

# الإحاطة في أخبار أسرارنا طرية

تأليف  
أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن أحمد الساماني  
الشهير بلسان الدين ابن الخطيب  
المتوفى سنة ٧٧٦ هـ

بترجمة وضبطه وقدم له  
الأستاذ الدكتور يوسف عاي طویل  
أستاذ الأدب الأندلسي والدراسات العليا  
بجامعة اللبنانية

تنبيه:  
وضعنا الفهارس العامة للكتاب في آخر الجزء الرابع

الجزء الثاني

منشورات  
محمد عيسى بيضون  
لتنشر كتب السنة والجماعة  
دار الكتب العلمية  
بيروت - لبنان

مستشارات محاسبات بيروت



دار الكتب العلمية

جميع الحقوق محفوظة

Copyright

All rights reserved

Tous droits réservés

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة  
لدار الكتب العلمية بيروت - لبنان.  
ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو  
مجزأً أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر  
أو برمجته على اسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً

Exclusive rights by

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Beirut - Lebanon

No part of this publication may be translated,  
reproduced, distributed in any form or by any means,  
or stored in a data base or retrieval system, without the  
prior written permission of the publisher.

Droits exclusifs à

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Beyrouth - Liban

Il est interdit à toute personne individuelle ou morale  
d'éditer, de traduire, de photocopier, d'enregistrer sur  
cassette, disquette, C.D, ordinateur toute production  
écrite, entière ou partielle, sans l'autorisation signée  
de l'éditeur.

الطبعة الأولى

٢٠٠٢ م - ١٤٢٤ هـ

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

رمل الطريف - شارع البحتري - بناية ملكارت  
الإدارة العامة: عرمون - القبة - مبنى دار الكتب العلمية

هاتف وفاكس: ٨٠٤٨١٠ / ١١ / ١٢ / ١٣ (٩٦١ ٥)

صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

Beirut - Lebanon

Raml Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg., 1st Floor

Head office

Aramoun - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.

Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13

P.O.Box: 11-9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kutub Al-ilmiyah

Beyrouth - Liban

Raml Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1er Étage

Administration générale

Aramoun - Imm. Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13

P.P: 11-9424 Beyrouth - Liban

ISBN 2-7451-3319-5



9 782745 133199

<http://www.al-ilmiyah.com/>

e-mail: [sales@al-ilmiyah.com](mailto:sales@al-ilmiyah.com)

[info@al-ilmiyah.com](mailto:info@al-ilmiyah.com)

[baydoun@al-ilmiyah.com](mailto:baydoun@al-ilmiyah.com)

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلّى الله على سيّدنا محمد وآله وصحبه وسلّم

محمد بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن فرج  
ابن يوسف بن نصر الخزرجي<sup>(١)</sup>

أميرُ المسلمين لهذا العهد بالأندلس، صدرُ الصدور، وعلمُ الأعلام، وخليفةُ الله، وعمادُ الإسلام، وقدوةُ هذا البيت الأصيل، ونيرُ هذا البيت الكريم، ولُبّابُ هذا المجدِّ العظيم، ومعنى الكمال، وصورة الفضل، وعنوانُ السَّعْدِ، وطائرُ اليُمن، ومحوّلُ الصُّنْعِ، الذي لا تبلغ الأوصاف مداه، ولا تُوفي العبارة حقّه، ولا يُجْري النظم والنثر في ميدان ثنائه، ولا تنتهي المدائحُ إلى غليائه.

**أُولَيْتِهِ:** أشهرُ من إمتاع الضُّحَى، مستوليةٌ على المدى، بالغةٌ بالسَّعةِ بالانتساب إلى سَعْدِ بنِ عُبادةِ عَنانِ السماء، مُبْتَجِحَةٌ في جِهَادِ العِدا، بحالةٍ من مَلَكِ جزيرة الأندلس، وحَسْبُكُ بها، وهي بها في أَسْنَى المَزَاينِ والحَلَى، وقُدُما فيه بحسبٍ لمن سَمِعَ ورَأَى.

**حاله:** هذا السلطان أَيْمَنُ أهلِ بيته نقيبةً، وأسعدهم ميلادًا وولايةً، قد جمع الله له بين حُسْنِ الصورة، واستقامة البنية، واعتدالِ الخُلُقِ، وصحّة الفكر، وثقوب الذهن، وثقوِ الإدراك، ولطافة المسائل، وحُسْنِ التأني؛ وجمع له من الطَّرَفِ ما لم يُجمع لغيره، إلى الحِلْمِ والأناة اللذين يُحِبُّهُما الله، وسلامة الصدر، التي هي من علامة الإيمان، ورقّة الحاشية، وسُرعة العبرة، والتبريز في ميدان الطهارة والعفة، إلى ضخامة التَّنْجُدِ، واستجادة الآلات، والكَلَفِ بالجهاد، وثَبَاتِ القَدَمِ، وقوة الجَأَشِ، ومشهور البَسالة، وإيثار الرُّفْقِ، وتَوْخِي السَّدَادِ، ونُجْحِ المحاولة. زادَهُ الله من فضله،

(١) ترجمة الغني بالله محمد بن يوسف بن نصر في اللوحة البدرية (ص ١١٣، ١٢٩) وأزهار الرياض (ج ٤ ص ٣٤).

وأبقى أمره في ولده، وأمنع المسلمين بعمره. ساق الله إليه المُلْك طواعيةً واختياراً، إثر صلاة عيد الفِطْرِ على بَغْتَةِ وفاة المُقَدَّس أبيه، من عام خمسة وخمسين وسبعمئة، لمخايل الخير، ومزية السَّن، ومَظَنَّة<sup>(١)</sup> البركة، وهو يافع، قريب العهد<sup>(٢)</sup> بالمراهقة، فأنبته الله الثَّبات الحَسَن، وسَدَل به السُّتر، وسَوَّغ العافية، وهنأ العيش؛ فلم تشح في مدته السماء، ولا كَلِب الأعداء، ولا تبدلت الألقاب، ولا غُوِيَت الشدائد، ولا عُرف الخوف، ولا فُورق الخُضْب، إلى أن كانت عليه الحادثة، ونابَه التَّمحيص الذي أكسبه الحُنْكة، وأفاده العِبرة، فشهد بعناية الله في كَفِّ الأيدي العادية، وأخطأ أَلَم السَّهام الرَّاشفة، وتَخَيَّب الآمال المكيدة، وأنسَدال أزِوَقَة السُّتر والعِضْمة، ثم العودة، الذي عَرَف الإسلام بدار الإسلام قَدَرها، وتملأ عِزُّها وَرَجَح وزُئْها، كما اختبر ضِدَّها فرصة المُلْك، وشاع العدل، وبَعَد الصيْتُ، وانتشر الذُكْر، وفاض الخير؛ وعَزَز القَطْر، فظهرت البركات، وتوالى الفتوح، وتخلدت الآثار. وسيرد من بيان هذه الجمل، ما يسعه الترتيب بحول الله.

**ترتيب دولته الأولى:** إذ هو ذو دَوْلَتَيْن، ومُسَوَّغ ولايتين، عَزَّزهما الله، بملْك الآخرة، بعد العُمُر الذي يملأ صحايف البرِّ، ويخلد حُسْنَ الذُكْر، ويُعرف إلى الوسيلة، ويرفع في الرفيق الأعلى الدَّرْجَة، عند الله خيرٌ وأبقى للذين آمنوا، وعلى ربهم يتوكلون.

**وزراؤه وحجابه:** انتدب إلى الثَّيَابَة عنه، والتَّشْمِير إلى الحجابة ببابه، الشيخ القائد المعتمد بالثَّجَلَة، المُتَحَوِّل من الخُدَّام الثُّبَاء، المتسود الأبوة؛ المخصوص بالقدح المُعَلَّى من المزية، المُسَلَّم في خُصُوصِيَة الملك والتربية، ظهير العلم والأدب، وأمين الجَدِّ، ومولى السُّلْف، ومُفَرِّغ الرأْي إلى هذا العهد، وعَقْد سَفَرَة<sup>(٣)</sup> السلطان، وبقية رجال الكمال من مشيخة<sup>(٤)</sup> المماليك، وخيار الموالي، أبا النعيم رضوان، رحمه الله، فحمد الكلَّ، وخلف السلطان، وأبقى الرُّتَب، وحَفِظ الألقاب، وبذل الإنصاف، وأوسع الكَنَف، واستدعى النَّصِيحة، ولم يأل جَهْدًا في حُسْن السَّيرة، وتَظَاهَر المَخْض، وأفردني بالمزية وعاملني بما يرتد عنه جسرُ أطرف الموالاة والصُّحبة، ووَفَّى لي الكَيْل الذي لا يقتضيه السَّن، والفَرْبَة من الاشتراك في الرتبة، والتَّرَحُّج عن الهَضْبَة، والاختصاص باسم الوَزارة على المُشْهَر والغَيْبَة، والمحافظة على التَّشْييع والقِدْمة، بلغ في ذلك أقصى الغايات، مدارج التخلق المأثور عن الجَلَة،

(١) في اللوحة البدرية (ص ١١٣): «ومظنة الحصافة».

(٢) في اللوحة: «قريب عهد بحال المراهقة». (٣) في اللوحة البدرية: «وعقد السلطان...».

(٤) في اللوحة البدرية: «مشيخة ولاء بيتهم أبو النعيم رضوان».



والتودد إليّ المرأة بعد المرأة، واختصصت بفوت المدّة بالسلطان، فكنت المنفرد بسرّه دونه، ومقضي همّه، وشفاء نفسه، فيما يُنكره من فتنة تقع في سيرته، أو تصير توجيه السّداجة في معاملاته، وصلاح ما يتغيّر عليه من قلبه، إلى أن لحق برّه.

### شيخ الغزاة ورئيس الجند الغربي لأول أمره:

أقر على الغزاة شيخهم على عهد أبيه، أبا زكريا يحيى بن عمر بن رحو بن عبد الله بن عبد الحق، مَطْمَح الطّواف<sup>(١)</sup>، ومَوْفى الاختيار، ولُبّاب القوم، وبقية السلف، جَزْماً ودهاء، وتجربة وحُكْمَةً وجدّاً وإدراكاً، ناهيك من رَجُلٍ قَدْ المَنازع، غريبها، مستحقّ التقدير، شجاعة وأصالة، ورأياً ومباحثة، نَسَابَةِ قبيلهِ، وأضحى قسّم، وكسرى ساستهم، إلى لُطف السّجّة، وحُسن التّأني، لغرض السلطان، وطرق التّنزل للحاجات، ورقّة غزل الشّفاعات، وإمتاع المجلس، وثُقوبِ الذّهن والفهم، وحُسن الهيئة. وزادهُ خصوصيّة ملازمته<sup>(٢)</sup> مجلس الرّقاع<sup>(٣)</sup> المعروضة، والرّسل الواردة. وسيأتي ذكره في موضعه بحول الله تعالى.

كاتب سرّه: قمت لأول الأمر بين يديه بالوظيفة التي أسندها إليّ أبوه المولى المقدّس، رحمه الله، من الوقوف على رأسه، والإمساك في التهاني والمبايعة بيده، والكتابة والإنشاء والعرض والجواب، والخُلع والمُجالسة، جامعاً بين خدمة القلم، ولقب الوزارة، معزّز الخُطّ برسم القيادة، مخصوصاً بالنيابة عنه في العيّنة، على كل ما اشتمل عليه سور القلعة والحضرة، مطلق أمور الإيالة، محكماً في أشتاته تحكيم الأمانة، مُطلق الراية، ظاهر الجاه والنعمة. ثم تضاعف العز، وتأكد الرّعي، وتمحّض القرب، فنقلني من جلّسة المواجهة، إلى صَفّ الوزارة؛ وعاملني بما لا مزيد عليه من العناية، وأحلّني المحل الذي لا فوقه في الخُصوصيّة، كافاً الله فضلّه، وشكّر رعيه، وأعلى محله عنده.

وأصدّر لي هذا الظّهير لثاني يوم ولايته: هذا ظهير كريم، صفي شربّه. وسفّرني في الرسالة عنه، إلى السلطان، الخليفة الإمام، ملك المغرب، وما إليه من البلاد الإفريقية، أبي عِنان، حسبما يأتي ذكره. ثم أغفاني في هذه المدة الأولى، عن كثير من الخدمة، ونوّه بي عن مباشرة العَرض بين يديه بالجملة، فاخترت للكلّ والبذلة، وما صان عنه في سبيل التجلّة، وإن كان منتهى أطوار الرّفعة، الفقيه أبا محمد بن

(١) في اللمحة البدرية (ص ١١٦): «الطرف ومرمى الاختيار».

(٢) في اللمحة البدرية (ص ١١٧): «بملازمة».

(٣) في اللمحة البدرية (ص ١١٧): «مجلس العرض وملتقى الرسل الواردة وإجالة قداح المشورة».

عطية<sup>(١)</sup>، مُسْتَنْزَلًا عن قضاء وادي آش وخطابتها، فكان يتولّى ما يُكْتَب بنظري، وراجعًا لحكمي، ومتردّدًا لبالي، مُكْفَى المؤنة في سبيل الحمل الكلي، إلى وقوع الحادثة، ونفوذ المشيئة بتحويل الدولة.

**قضائه:** جدّد أحكام القضاء والخطابة لقاضي أبيه الشيخ الأستاذ الشريف<sup>(٢)</sup>، نسيج وخده، وفريد دهره، إغرابًا في الوقار، وحُسن السُّمت، وأصالة البَيّت<sup>(٣)</sup>، وتبحُّرًا في علوم اللُّسان، وإجهازًا في فَضْل القضايا، وانفرادًا ببلاغة الخطبة، وسبقًا في ميدان الدهاء والرجاحة، أبي القاسم محمد بن أحمد بن محمد الحسني، الجانح إلى الإيالة النُصْرية من مدينة سَبْتَة<sup>(٤)</sup>. وسيأتي التعريف به في مكانه، إن شاء الله. وتوفي، رحمه الله، بين يَدَي حدود الحادثة، فأزجىء الأمر بمكانه، إلى قُدوم مُتَلَقِّف الكُرة، ومُتَعَاوِر تلك الخطبة، الشيخ الفقيه القاضي، أبي البركات قاضي أبيه، ووليها الأحقّ بها بعده، إذ كان غائبًا في السَّفارة عنه، فوقع التَّمحيصُ قبل إبرام الأمر على حال الاستنابة.

**الملوك على عهده:** وأوّلهم بالمغرب، السلطان، الإمام<sup>(٥)</sup>، أمير المسلمين، أبو عنان<sup>(٦)</sup> ابن أمير المسلمين أبي الحسن<sup>(٧)</sup> ابن أمير المسلمين أبي سعيد ابن أمير المسلمين أبي يوسف يعقوب بن عبد الحقّ، البعيد الشّأو<sup>(٨)</sup> في ميدان السَّعادة، والمُضْمي أغراض السَّداد، ومُعْظَم<sup>(٩)</sup> الظَّفَر، ومُخَوِّلُ المَوْهبة، المستولي على آماد الكمال<sup>(١٠)</sup>، عقلاً وفضلًا وأُبْهةً وزُواءًا، وخطًا وبلاغةً، وحفظًا وذكاءً<sup>(١١)</sup> وفهْمًا وإقدامًا<sup>(١٢)</sup>، تَعَمَّدَه الله برحمته، بَعَثَنِي إلى بابِه رسولًا على إثر بَيْعته، وتَمَام أمره،

(١) في اللّمة البدرية (ص ١١٦): «الفقيه الكاتب أبا محمد عبد الحق بن أبي القاسم بن عطية...».

(٢) كلمة «الشريف» ساقطة في اللّمة البدرية (ص ١١٦).

(٣) قوله: «وأصالة البيت» ساقط في اللّمة البدرية (ص ١١٦).

(٤) في اللّمة البدرية (ص ١١٦): «سبّة إلى أخريات شعبان من عام ستين وسبعمائة، وتوفي رحمه الله».

(٥) في اللّمة البدرية (ص ١١٧): «الشهير».

(٦) في اللّمة البدرية: «المسلمين فارس ابن...».

(٧) في اللّمة البدرية: «أبي الحسن علي بن عثمان بن يعقوب...».

(٨) في اللّمة البدرية: «شأو السعادة، المعنى...».

(٩) في اللّمة البدرية: «مُظْطَم».

(١٠) في اللّمة البدرية: «الأماد البعيدة الكمالية أبهة...».

(١١) في اللّمة البدرية (ص ١١٧): «وإدراكًا». (١٢) في اللّمة البدرية: «وإقدامًا وشجاعة».

وخاطباً إثره ووَّده، مُستَرَفِداً من مِنحة قبوله، فألْفَيْتُ بشراً مَبْدولاً، ورَفِداً ممنوحاً، وعزاً بادخاً، يضيق الزمان عن جلّالته، وتقصرُ الألسنة عن كُنته وُصفه، فكان دخولي عليه في الثامن والعشرين من شهر ذي قعدة عام خمسة وخمسين المذكور، وأنشدته بين يدي المُخاطبة، ومُضمن الرسالة: [المنسرح]

خليفةُ الله سَاعَدَ القَدَرَ      علاك ما لاح في الدُّجى قمرُ

فأخسب وكفى، واحتفل واحتفى، وأفضتُ بين يديه كزمته، إلى الحضور معه في بعض المواضع المطلة على مورد رحب. هاج به الخُدام أسداً، أزود، شثن الكفين، مُشعر اللبدة، حتى مَرَقَ عن تابوت خشبي كان مسجوناً به، من بعد إقلاعه، من بعض كُواه، وأثارته من خَلْفه، واستشاط وتوقد بأساً. وجلب ثورٌ عَبلُ الشوى، منتصبُ المروى، يقدمه صُورٌ من الجواميس، فقَرَبْتُ الخُطى، وحَمَيْتُ الوغى، وبلغ الزئير والجوار ما شاء، في موقف من ميلاد الشيم العلى يخشى الجبانُ مقارعة العدا، ويوطنُ نفسه الشجاعُ على ملاقة الردى، وخار الأسدُ عن المبارزة، لما بَلَغَ منه ثقافاً عن رد المناوشة، ومضطلعاً بأعباءِ المُحاملة، فتخطاه إلى طائفة من الرّجاله، أولي عُدّة، وذوي دُزِيّة، حمل نفسه متطارحاً كشهاب الرّجم، وسَرَك الدُّجى، وأخذته رماحهم بإبادته، بعد أن أزدى بعضُهم، وجَدَل بين يدي السلطان، متخبطاً في دمه. وعَرَضَ بعض الحاضرين، وأغزى بالنظم في ذلك، فأنشدته: [الكامل]

أنعامُ أرضك تَفْهَرُ الآسادا	طبعاً كَسَا الأرواح والأجسادا
وخصائصُ الله بَثَّ ضروبها	في الخَلْق ساد لأجلها من سادا
إن الفضائل في حماك بضائعُ	لم تخش من بعد النِّفاق كسادا
كَانَ الهَزْبُ محارباً فجزيته	بجزاء مَن في الأرض رام فسادا
فابغ المزيّد من آلائه بشكره	وارغم بما خُوِّلته الحُسّادا

فاستحسن تأتّي القريحة، وإمكان البديهة، مع قَيْد الصُّفة، وهيبّة المجلس. وكان الانصراف بأفضل ما عاد به سفيرٌ، من واد أصيل، وإمدادٍ مَوْهوبٍ، ومهاداة أثيرة، وقطار مَجْنوب، وصامت مَحْمول، وطُعْمَةٌ مَسُوعَةٍ. وكان الوصول في وسط محرم من عام ستة وخمسين وسبع مائة، وقد نجح السَّغْيُ، وأثمر الجَهد، وصَدَقَتِ المخيلةُ، وقد تضمّن رَحْلي الوُجْهَة، والأخرى قبلها جزء. والحمد لله الذي له الحمد في الأولى والآخرة. وتوفي، زعموا، بحيلة، وقيل: حَتَفَ أنْفَه، لَمَّا نَهَكَه المرض، وشاع عنه الإرجاف، وتنازع ببابه الوزراء، وتسابق إلى بابه الأبناء. وخاف مُدَبِّرُ أمره، عابدةً ملامتِه، على توقع بُرْثِه، وكان سيفُه يسبق على سوطه، والقبر أقربُ إلى مَنْ

تعرض لعتبه من سجنه، ففضى موضع هذا السبيل خاتمة الملوك الجلة، من أهل بيته. جدد الملك، وحفظ الرسوم، وأجرى الألقاب، وأغلظ العقاب، وصير إيالته أضيّق من الحَدِّ. وأمدّ الأندلس، وهزم الأضداد، وخلد الآثار، وبنى المدارس والزوايا، واستجلب الأعلام. وتحرك إلى تلمسان فاستضافها إلى إيالته، ثم ألحق بها قُسْطَينَة وبجاية، وجهاز أسطوله إلى تونس، فدخلها وتملكها ثقاته في رمضان عام ثمانية وخمسين وسبعمائة، واستمرت بها دعوته إلى ذي قعدة من العام، رحمة الله عليه. وكانت وفاته في الرابع عشر<sup>(١)</sup> لذي حجة من عام تسعة<sup>(٢)</sup> وخسين وسبعمائة. وصار الأمر إلى ولده المسمى بالسعيد، المكنى بأبي بكر، مختار وزيره ابن عمر القُدودي. ورام ضَبَطَ الإيالة المشرقية فأعياه ذلك، وبايع الجيش الموجه إليها منصور بن سليمان<sup>(٣)</sup>، ولجأ الوزير وسلطانه إلى البلد الجديد، مثنى الخلافة المرينية، فكان أملك بها. ونزله منصور بن سليمان، ثم استفضى إليه أمر البلد لحزم الوزير وقوة شكيمته. وغادر السلطان أبو سالم إبراهيم بن السلطان أبي الحسن<sup>(٤)</sup>، أخو الهالك السلطان أبي عنان، الأندلس، وقد كان استقر بها بإزعاج أخيه إياه عن المغرب، كما تقدم في اسمه، فطلع على الوطن الغربي بإعانة من ملك النصارى، عانى فيها هولا كثيرا، واستقر بأخرة بعد إخفاق شيعته المراكشية، بساحل طنجة، مستدعى ممن بجبال غُمارة، ودخلت سبتة وطنجة في طاعته. وفر الناس عن منصور بن سليمان، ضربة لازب، وتقبض عليه وعلى ابنه، فقتلا صبرا، نفعهما الله. وتملك السلطان أبو سالم المدينة البيضاء يوم الخميس عشر لشعبان عام ستين وسبعمائة، بنزول الوزير وسلطانه عنها إليه. ثم دالت الدولة. وكان من لحاق السلطان برُئدة، واستعانت به على رد ملكه ما يأتي في محله، والبقاء لله سبحانه.

وبتلمسان السلطان أبو حمو موسى بن يوسف بن يحيى بن عبد الرحمن بن يغمزس<sup>(٥)</sup> بن زيان، قريب العهد باسترجاعها، لأول أيام السعيد.

وبتونس<sup>(٦)</sup> الأمير إبراهيم ابن الأمير أبي بكر ابن الأمير أبي حفص ابن الأمير أبي بكر بن أبي حفص بن إبراهيم بن أبي زكريا يحيى بن عبد الواحد، لنظر الشيخ

(١) في اللمحة البدرية (ص ١١٧): «الرابع والعشرين من ذي حجة عام تسعة...».

(٢) في الأصل: «تسع» وهو خطأ نحوي.

(٣) في اللمحة البدرية: «منصور بن سليمان بن منصور بن عبد الواحد بن يعقوب بن عبد الحق».

(٤) في اللمحة البدرية: «أبي الحسن علي بن عثمان بن يعقوب».

(٥) في الأصل: «يغمراس» والتصويب من اللمحة البدرية (ص ١١٩).

(٦) في اللمحة البدرية: «وبإفريقية إبراهيم ابن الأمير أبي يحيى أبي بكر بن أبي حفص...».

رأس الدولة، وبقية الفضلاء، الشهير الذكر، الشائع الفضل، المعروف السياسة، أبي محمد عبد الله بن أحمد بن تافرايين، تحت مضايقة من عرب الوطن.

ومن ملوك النصارى بقشتالة<sup>(١)</sup>، بطرُره بن ألهنشه بن هِراندة بن شانجه بن ألفنش<sup>(٢)</sup> بن هِرانده، إلى الأربعين<sup>(٣)</sup>، وهو كما اجتمع وجهه، تولى<sup>(٤)</sup> الملك على أخريات أيام أبيه في محرم عام أحد وخمسين وسبعمئة. وعُقد معه سلم<sup>(٥)</sup> على بلاد المسلمين. ثم استمر ذلك بعد وفاته في دولة ولده المترجم به، وغمرت الرؤوم فتنة<sup>(٦)</sup> وألقت العصا، وأغضت القضاء، وأجالت على الكثير من الكبار الردى، بما كان من إخافته سائر إخوانه لأبيه، من خاصته، العجلة الغالبة على هواه، فنبذوه على سوء بعد قتلهم أمهم، وانتزوا عليه بأقطار غرسهم فيها أبوهم قبل موته بمرعية أمهم. وسلك لأول أمره سيرة أبيه في عدوله عن عهوده بمكايبه لمنصبه، إلى اختصاص عجلة، أنف بحرّاه كبار قوم، من أجل ضياع بذره وانقراض عقبه، فمال الخوارج عليه، ودبروا القبض عليه، وتحصل في أنشوطه، يقضي أمره بها إلى مطاولة عقله أو عاجل خلع، لولا أنه أفلت وتخلص من شرارها. فاضطره ذلك إلى صيلة السلم، وهو الآن بالحالة الموصوفة.

### الأحداث في أيامه:

لم يحدث في أيامه حدث إلا العافية المُسحّة والهذنة المتصلة، والأفراح المتجددة، والأمنة المُستحكمة، والسلم المُنعقدة. وفي آخر جمادى عام ستة<sup>(٧)</sup> وخمسين وسبعمئة لحق بجبل الفتحة<sup>(٨)</sup>، فشتم شعبته، وأبرّ مبتوته<sup>(٩)</sup>، كان على ثغره العزيز على المسلمين، من لدن افتتاحه، المؤسوم الخطة، المخصوص بمزية تشييده، عيسى بن الحسن بن أبي مندبل<sup>(١٠)</sup>، بقية الشيوخ أولي الأصالة والذهاء، والتزّبي بزي الخير، والمثل السائر في الانسلاخ من آية السعادة، والإغراق في سوء العقبي، والله غالب على أمره، فكان أملك بمصامه، وقرّ عينه بلقاء ولده، والتمتع منه بجواد عتيق. مُلّي من خلال السياسة، أزداه سوء الحظ، وشؤم التّضبة، واطلم ما بينه وبين

(١) في اللحمعة البدرية: «وبقشتالة».

(٢) في اللحمعة البدرية: «أربعين».

(٣) في اللحمعة البدرية: «السلم».

(٤) كلمة «فتنة» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من اللحمعة.

(٥) في الأصل: «ست» وهو خطأ نحوي. (٨) هو جبل طارق.

(٩) أي قام بتعليق أسواره وإصلاح أجزائه الخربة الهالكة. الإحاطة (ج ٢ ص ٢٣) حاشية رقم ٣.

(١٠) في اللحمعة البدرية (ص ١٢٠): «مندبل العسكري».

سلطانه، مسوغه برداء العافية على تفه صغر، وملبسه رداء العقّة على قدح الأمور، أبدى منها الخوف على ولده، وعرض ديسم عزمه، على ذوبان الجبل، فانحطوا في هواه، وغرّوه بكاذب غُصْبَةٍ، فأظهر الامتناع سادس ذي قعدة من العام المذكور، واتصلت الأخبار، وساءت الظنون، وضاعت الصدور، ونُكست الرؤوس لتوقع الفاقة، بانسداد باب الصّريخ، وانبتات سبب<sup>(١)</sup> الثّصرة، وانبعث طمع العدو، وانحطت الأطماع في استرجاعه واستقالته، لمكان حصانته، وسمو الذّروة، ووفور العُدّة، ووجود الطّعمة، وأخذ بتلاشي الفرصة. ثم رِدِفَت الأخبار بخروج جيشه صُحبة ولده إلى مُنازلة أُشْتَبُونَة<sup>(٢)</sup>، وإخفاق أمله فيها، وامتسك أهلها بالدعوة، وانتصافهم من الطائفة العادية؛ فبُودِر إليها من مألقة بالعدّد. وخُوطِب السلطان من ملك المغرب، أيده الله، بالجلية، فتحققت المُنازلة؛ واستقرّت الظنون. وفي الخامس والعشرين من شهر ذي قعدة، ثار به أهل الجبل، وتبرأ منه أشياعه، وخذّلوه بالفرار، فأخذت شُعباه ونقابيه، فكتر راجعاً أذراجه إلى القاعدة الكبيرة، وقد أعجله الأمر، وحملته الطمأنينة على إغفال الاستعداد بها، وكوثر<sup>(٣)</sup> فالقي به، وقد لحق به بعض الأساطيل بسبّته، لداعي تسوّر تُوطى على إمارته، فقيّد هو وابنه، وخيض بهما البحر للحين، ولم ينتطح فيها عَنزان، رحمه الله؛ سَنام فِتة ألقت بزكها، وأناخت بكلكلها، وقد قدّر أنها واقعة، ليس لها من دون الله كاشفة، فقد كان من بالجبل برموا على إيالة ذينك المرتسمين، وألقوا أجوارها، وأعطوها الصفقة، بما أطمعهما في الثورة، ولكل أجل كتاب. واحتمل إلى الباب السلطاني بمدينة فاس، وبرز الناس إلى مباشرة إيصالهما مجلوبين في منْصَة الشهرة، مرفوعين في هُضبة المُثلة. ثم أمضى السلطان فيهما حُكْم الفساد، بعد أيام الحراية، فقتل الشيخ بخارج باب السّمارين من البلد الجديد، بأيدي قرابته، فكان كما قال الأول: [الكامل]

أضحت رماح بني أبيه تنوشه      لله أرحامٌ هناك تُشَقُّقُ

وقُطعت رِجل الولد ويده، بعد طول عمل وسوء تناول، ولم ينشب أن استنقذه جِمامه فأضحى عبّرة في سرعة انقلاب حالهما من الأمور الحميدة، حسن طلعة، وذياح حَمْد، وقُضِل شهرة، واستفاضة خَيْرِيّة، ونباهة بيت، وأصالة عِزّ، إلى ضدّ هذه الخلال، وقانا الله مصارع السوء، ولا سلب عنا جِلباب السّتر والعافية.

(١) كلمة «سبب» ساقطة في اللمحة البدرية.

(٢) أُشْتَبُونَة بالإسبانية Estepona: وهي بلدة تقع على البحر المتوسط، وشمال جبل طارق.

الإحاطة (ج ٢ ص ٢٤) حاشية رقم ٣.

(٣) أي كثر خصوصه.

وسدّ السلطان ثغر الجبل بآخر من ولده اسمه السعيد، وكنيته أبو بكر، فلحق به في العشر الأول من المحرم من عام سبعة وخمسين وسبعمائة، ورتّب له بطانته، وقدر له أمره، وسوّغه رزقاً رغداً، وعيشاً خفّضاً. ويادر السلطان المترجم له، إلى توجيه رسوله؛ قاضياً حقّه، مقرّر السّرور بجواره، وأتبع ذلك ما يليق من الحال من برّ ومهاداة ونزل، وتعقبت بعد أيام المكافات، فاستحكم الوُدّ، وتحسنت الألفة إلى هذا العهد، والله وليّ توفيقهم ومُسنّي الخير والخيرة على أيديهم.

### الحادثة التي جرت عليه:

واستمرت أيامه كأحسن أيام الدول، خفّض عيش، وتوالي خصب، وشيأ أمن، إلّا أنّ شيخ الدولة القائد أبا النعيم، رحمه الله، أضاع الحزم. وإذا أراد الله إنفاذ قضائه وقدره، سلب ذوي العقول عقولهم، بما كان من أمنه جانب القصر الملمزم دار سكناه، من علية فيها أخو السلطان، بتهاونه، يحيل أمّه المداخلة في تحويل الأمر إليه، جملة من الأشرار، دار أمرهم على زوج ابنتها الرئيس محمد بن إسماعيل بن فرج من القرابة الأخلاف، وإبراهيم بن أبي الفتح، والدليل الموروري، وأمدته بالمال، فداخل القوم جملة من فرسان القيود، وعمرة السجون، وقلاميد الأسوار. وكانت تتردّد إليه في سبيل زيارة بنتها الساكنة في عصمة هذا الخبيث، المتزوع العصمة، خارج القلعة حتى تمّ يوم الأربعاء الثامن والعشرين لرمضان من العام، اجتمعوا وقد خفي أمرهم، وقد تألفوا عدداً يناهز المائة بالقوس الداخل من وادي هذّاره إلى البلد، لصق الجناح الصاعد منه إلى الحمراء، وكان بسورها ثلم، لم يتمّ ما شرعوا فيه من إصلاحه؛ فصبوا سلماً أعدّ لذلك، وصعدوا منه. ولما استوفوا، قصدوا الباب المضاع المسلّح، للثقة بما قبله؛ فلما تجاوزوه أعلنوا بالصياح، واستغلظوا بالتهويل، وراعوا الناس بالاستكثار من مشاعل الخلفاء، فقصدت طائفة منهم دار الشيخ القائد أبي النعيم؛ فاقتحمته غلاباً وكسرت أبوابه؛ وقتلته في مضجعه؛ وبين أهله وولده، وانتهبت ما وجدت به. وقصدت الأخرى دار الأمير، الذي قامت بدعوته، فاستنجزته واستولت على الأمر. وكان السلطان متحوّلاً بأهله إلى سكنى «جئة العريف» خارج القلعة، فلما طرّقه النبأ؛ وقرعت سمعه الطبول سدّده الله؛ وساند أمره في حال الحيرة، إلى امتطاء جواد كان مُرتبّطاً عنده في ثياب تبذّله ومصاحباً لأفراد من ناسه؛ وطار على وجهه، فلحق بوادي آش قبل سُبوق نكبته، وطرق مكانه بأثر ذلك، فلم يُلَف فيه، وأتبع فأغيا المُتبع. ومن الغد، استقام الأمر لأولي الثورة، واستكملوا لصاحبهم أمر البيعة، وخطبوا البلاد فألقت إلى صاحبهم بالآزمة، وأرسلوا إلى ملك النصارى في عقد الصلح. وشرعوا في منازل وادي آش، بعد أن ثبت أهلها مع

المُعْتَصِمُ بِهَا، فَلَا زِمَتَهُ الْمَحَلَّاتُ وَوَلِيَّ عَلَيْهِ التَّضْيِيقُ، وَخِيفَ فَوَاتُ الْبَدْرِ وَنَفَادُ الْقُوَّةِ، فَشَرَعَ السُّلْطَانُ فِي النَّظَرِ لِنَفْسِهِ، وَخَاطَبَ السُّلْطَانُ أَبَا سَالِمٍ مَلِكَ الْمَغْرِبِ فِي شَأْنِ الْقُدُومِ عَلَيْهِ، فَتَلَقَّاهُ بِالْقَبُولِ وَبَعَثَ مَنْ يَمْهَدُ الْحَدِيثَ فِي شَأْنِهِ، فَتَمَّ ذَلِكَ ثَانِي يَوْمٍ عِيدِ التَّحَرُّمِ مِنَ الْعَامِ. وَكَانَتْ عِنْدَ الْحَادِثَةِ عَلَى السُّلْطَانِ، سَاكِنًا بِجَنَّتِي الْمُنْسُوبَةِ إِلَيَّ مِنَ الْحَضْرَةِ، مُنْتَقِلًا إِلَيْهَا بِجَمْلَتِي، عَادَةُ الْمُتَرَفِّينَ، إِذْ ذَاكَ مِنْ مِثْلِي، فَتَخَطَّانِي الْحَتْفُ، وَنَالَتْنِي النَكْبَةُ، فَاسْتَأْصَلْتُ النِّعْمَةَ الْعَرِيضَةَ، وَالْجِدَّةَ الشَّهِيرَةَ، فَمَا ابْتَقَتْ طَارِقًا وَلَا تَلِيدًا، وَلَا ذَرْتَ قَدِيمًا وَلَا حَدِيثًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ مُخَفِّفِ الْحَسَابِ، وَمَوْقِظِ أُولِي الْأَلْبَابِ، وَلَطَفِ اللَّهِ بِأَنْ تَعَطَّفَ السُّلْطَانُ بِالْمَغْرِبِ إِلَى شِفَاعَةِ بِي بِخَطِّهِ، وَجَعَلَ أَمْرِي مِنْ فُصُولِ قَصْدِهِ. فَفُكَّتْ عَنِّي أَصَابِغُ الْأَعْدَاءِ، وَاسْتُخْلَصْتُ مِنْ أَنْيَابِهِمْ، وَلِحِجْتُ بِالسُّلْطَانِ بُوَادِي آشٍ، فَذَهَبَ الْبَأْسُ، وَاجْتَمَعَ الشَّمْلُ. وَكَانَ رَحِيلُ الْجَمِيعِ ثَانِي عِيدِ النُّحْرِ الْمَذْكُورِ، فَكَانَ النَّزُولُ بِفَحْصِ الْفَنَّتِ، ثُمَّ الْإِنْتِقَالُ إِلَى لَوْشَةٍ، ثُمَّ إِلَى أُنْتَقِيرِهِ، ثُمَّ إِلَى دُكْوَانٍ، ثُمَّ إِلَى مَرْبَلَةٍ، يَضُمُّ أَهْلُ كُلِّ مَحَلٍّ مِنْ هَذِهِ مَاتَمًا لِلْحَسْرَةِ، وَمِنَاحَةً لِلْفُرْقَةِ. وَكَانَ رُكُوبُ الْبَحْرِ صَخُوعَ الرَّابِعِ وَالْعَشْرِينَ مِنَ الشَّهْرِ، وَالِاسْتِقْرَارُ بِمَدِينَةِ سَبْتَةٍ، وَكَفَى بِالسَّلَامَةِ غُنْمًا، وَالْأَرْضُ لِلَّهِ يورثها مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ.

وَكَانَ الرَّحِيلُ إِلَى بَابِ السُّلْطَانِ، تَحْتَ بَرٍّْ لَا تَسْعُهُ الْعِبَارَةُ، وَلِقَاؤُنَا إِيَّاهُ بِظَاهِرِ الْبَلَدِ الْجَدِيدِ لِلْإِلْمَامِ أَلَمَ عَاقُهُ عَنِ الْإِصْحَارِ وَالتَّغْنِي عَلَى الْبَعْدِ، يَوْمَ الْخَمِيسِ السَّادِسِ لِمَحْرَمٍ مِنْ عَامٍ أَحَدٍ وَسَتِينَ بَعْدَهُ، فِي مَرْكَبٍ هَائِلٍ، وَاحْتِفَالٍ رَائِعٍ رَاقٍ، فَعُورُضٍ فِيهِ النَّزُولُ عَنِ الصُّهَوَاتِ، وَالْبَرُّْ اللَّائِقُ بِمَنَاصِبِ الْمُلُوكِ، وَالْوَصُولُ إِلَى الدَّارِ السُّلْطَانِيَّةِ، وَالطَّعَامُ الْجَامِعُ لِلطَّبَقَاتِ وَشِيُوخِ الْقَبِيلِ. وَقَمْتُ يَوْمِئِذٍ فَوْقَ رَأْسِ السُّلْطَانِ وَبَيْنَ يَدَيْ مَوْمَلِهِ، فَأَنْشَدْتُهُ مُغْرِيًا بَصْرَهُ، كَالْوَسِيلَةِ بِقَوْلِي<sup>(١)</sup>: [الطويل]

سَلَا هَلْ لَدَيْهَا مِنْ مُخَبَّرَةٍ ذَكَرُ؟ وَهَلْ أَعْشَبَ الْوَادِي وَنَمَّ بِهِ الزُّهْرُ؟

فَهَاجَ الْإِمْتِعَاضُ، وَسَالَتِ الْعَبْرَاتُ، وَكَانَ يَوْمًا مَشْهُودًا، وَمَوْقِفًا مَشْهُورًا، طَالَ بِهِ الْحَدِيثُ، وَعَمَرَتْ بِهِ النُّوَادِي، وَتَوَزَّعَتْنَا النَّزَائِلُ عَلَى الْأَمَلِ، شَكَرَ اللَّهُ ذَلِكَ وَكَتَبَهُ لِأَهْلِهِ، يَوْمَ الْإِفْتِقَارِ إِلَى رَحْمَتِهِ. وَاسْتَمَرَّتِ الْأَيَّامُ، وَدَالَتِ الدَّوْلَةُ لِلرَّئِيسِ بِالْأَنْدَلُسِ، وَالسُّلْطَانُ تَغْلِبُهُ الْمَوَاعِيدُ، وَتَوَنَّسَهُ الْأَمَالُ، وَالْأَسْبَابُ تَتَوَقَّرُ، وَالْبَوَاعِثُ تَتَأَكَّدُ. وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَمْرًا هَيَأَ أَسْبَابَهُ، وَاسْتَقَرَّتْ بِي الدَّارُ بِمَدِينَةِ سَلَا، مُرَابِطًا، مُسْتَمْتَعًا بِالْغَيْبَةِ، تَحْتَ نِعْمَةٍ كَبِيرَةٍ، وَإِعْفَاءٍ مِنَ التَّكْلِيفِ.

(١) البيت مطلع قصيدة من ٧٥ بيتًا وردت في الكتيبة الكامنة (ص ١٢٢ - ١٢٥) وكتاب العبر (م ٧ ص ٦٣٨ - ٦٤٢) ونفع الطيب (ج ٧ ص ٨٠ - ٨٤) وأزهار الرياض (ج ١ ص ١٩٦ - ٢٠٠).



وفي اليوم السابع لشوال من عام التاريخ، قَعَدَ السلطان بقبة العرض بظاهر جنة المصارة لتشيعه<sup>(١)</sup>، بعد اتخاذ ما يصلح لذلك؛ من آلة وحلية، وقد برز الخلق، لمشاهدة ذلك الموقف المُسِيل للدموع، الباعث للرقّة، المُتَّبِع بالدُعوات، لما قَدَفَ الله في القلوب من الرحمة، وصَحَّبه به في التغرُّب من العناية، فلم تَنُبْ عنه عين، ولا خَمَلْ له مَوَكِب، ولا تقلَّصت عنه هيبة، ولا فارقت حشمة، كان الله له في الدنيا والآخرة. وأجاز، واضطربت الأحوال، بما كان من هلاك مُعِينه السلطان أبي سالم، وعَدَرَ الخبيث المؤتمن على قلَّعته به، عمر بن عبد الله بن علي، صَعَّرَ الله جُزْئَه، وخَلَدَ جُزْئَه، وسُقِطَ في يده، إلَّا أَنَّهُ ثَبَّتَ في رُندة من إيالة الأندلس، الراجعة إلى إيالة المغرب، قدَّمه، فتعلَّل بها، وارتاشَ بسببها، إلى أن فتح الله عليه، وسدَّدَ عَزْمَه، وأراه لَمَّا ضَعُفَت الحيل صُنْعَه، فتحرَّك إلى بَرِّ مالقة، وقد فَعَّرَ عليها العدو فَمَه، ثم أقبل على مالقة، مستميتًا دونها، فسَهَّلَ الله الصَّعب، وأنجح القصد، واستولى عليها، واثَّالت عليه لحينها البلادُ، وبدا الرئيس المُتَوَثَّب على الحضرة، بعد أن استَوَعَبَ الذَّخيرة والعُدَّة، في جُمْلَةٍ ضخمة ممن خاف على نفسه، لو وُقِيَ بَذْمَةُ الغادر وعهده، واستَقَرَّ بنادي صاحب قُشتالة، فأخَذَه بجريرتِه<sup>(٢)</sup>، وَحَكَمَ الحيلة في جنائته وعَدْرَه، وألْحَقَ به من شاركه في التَّسَوُّر من شيعته، ووجَّه إلى السلطان برؤوسهم تَبَعَ رأسه. وَحَثَّ السلطان أسعده الله خُطاه إلى الحضرة، يتلقاه الناسُ، مُسْتَبْشِرِينَ، وتزاحمُ عليه أفواجهم مُستقبلين مُستغفرين، وأحقَّ الله الحقَّ بكلماته، وقَطَعَ دابر الكافرين.

وكان دخولُ السلطان دار مُلكه، وعَوْدُه إلى أريكة سلطانه، وحلوله بمجلس أبيه وجَدِّه، زوال يوم السبت المُوفي عشرين لجمادى الثانية من عام ثلاثة وستين وسبعمئة، جعلنا الله من همِّ الدنيا على حَذَر، وألْهَمْنَا لِمَا يَخْلُصُ عنده من قول وعمل. وتخلَّفَ الأميرُ وولده بكرة، أسعده الله، بمدينة فاس فيمن معه من جملة، وخلفه من حاشية ولد المُستولي على مُلك المغرب في إمساكه إلى أن يسترجع رُندة في مُعارضة هدفه. ثم إن الله جمع لأبيه بجمع شمله، وتَمَّ المقاصد بما عَمَّه من سعده. وكان وُضُولي إليه معه، في مَحْمَل اليُمن والعافية، وعلى كِسْرِ التيسير من الله والعناية يوم السبت المُوفي عشرين شعبان عام ثلاثة وستين وسبعمئة.

(١) أي لتشيع سلطان غرناطة المخلوع.

(٢) الجريمة: الذنب والجناية. لسان العرب (جرر).

## ترتيب الدولة الثانية السعيدة الدور إلى بيعة الكور:

هنا المسلمين ببركتها الوافرة، ومزاياها المتكاثرة، السلطان، أيده الله، قد مر ذكره، ويسر الله من ذلك ما تيسر.

وزراؤه: اقتضى حزمه إغفال هذا الرسم جملة، مع ضرورته في السياسة، وعظم الدخول، حذراً من انبعاث المكروه له من قبله، وإن كان قدّم بهذا اللقب في طريق مُنْصَرَفِهِ إلى الأندلس، وأياماً من مقامه برُنْدَة، فنَحَلَهُ عن كُرْهِ، علي بن يوسف بن كُماشَة، من عِتاق خدامه وخدام أبيه، مُستصحباً إِيَّاه، مَسْدُول التَّجْمُل على باطنِ نَفْرة، مختومُ الجُزم، على شوكة، في حَظْبِهِ في حَبْلِ المَتَغَلَب، وإقراضه السيئة من الحسنه، والمنزل الحَشين، إلى الإنفاق منه على الخلال الذميمة، ترأسها خاصّة الشوم، علاوة على حَمْل الشيخ الغريب الأخبار، والطمع في أرزاق الدور، والاسترابه بمودة الأب، وضيق العَطَن، وقَصْر الباب، وعَيّ اللسان، ومشهور الجُبْن. ولما وقع القَبْضُ، وساء الظنّ، بعثه من رُنْدَة إلى الباب المَرِينِي ليخلي منه جُنْدَه، ويجسّر مرض الأيام، بعد أن نقل من الخُطَة كعْبَه، فتيسّر بعد مُنْصَرَفِهِ الأمر، وتسّى الفتح. وحمله الجَشْعُ الفاضح، والهوى المتَّبِع، على التشطُّط لنفسه، والكذح لُخُونِصَتِهِ بما أقطعه الجَفْوَة، وعَسُر عليه العودة على السلطان بولده، إلى أن بلغ الخبرُ برجوع أمره، ودخول البلاد في طاعته، فألقى ما تَعَيَّن إليه، وأهوى به الطمعُ البالغ في عَرْش الدولة، ويَزْتاشُ في ريق انتقامها. وتحرك ورايةُ الإخفاق خافقةً على رأسه، قُطِبَ مَخْلَصُه، وجُوجوةُ عُوْدِه، من شيخ تدور بين فُتْكِهِ رَحَى جَجْجَعَة، وتشور بين أضلاعه حَيَة مكيدة، ويَنَعَق فوق مساعيه غرابُ شوم وطيرة. وحَدَث حرقاؤه صَرْقاً من مداخلة سلطان قشتالة، أيام هذه المجاورة، فبلغ أمنيته من ضربٍ وعِد؛ واقتناء عهد، واتخاذ مدد، وتزويد دار قرار، موهماً نفسه البقاء والتعمير والتَمْلِي، وانفساح المدة والأمر، وقيادة الدَّجَن<sup>(١)</sup> عند تَحَوُّل الموطن لِمَلَة الكُفْرِ، يسمح لذلك، لنقصان عقله، وقلة حِيَاثِه وضعف غَيْرَتِه. وطَوَى المراحل، وقبض حُمَى تَزَلُّز لها فُكَاؤه، أضلّها الحسرة، وانتزاع الخبائث. وتلقاه بمالقة، إيعازُ السلطان بالإقامة بها، لما يتصل به من سوء تصرفه، ثم أطلّع شافع الحياء في استقامة وطنه طَوَق عَثْبِه، وصَرَفَه إلى منزله، ناظراً في علاج مَرَضِه. ثم لما أفاق وَفَقَه دون حدّه، ولم يَسْنِد إليه شيئاً من أموره، فشرع في دَيْدَنِه من الفساد عليه، وتَمَرَس سلطان قشتالة، شاكياً إليه بئّه، وأضجّر لُسْكُنِي باديته بالثغر، فراب السلطانُ أمره، وأهمته شأنه، فتَقَبَّض عليه وعلى ولده، وصُرِفَا في

(١) يقصد بهم المدجنين وهم المسلمون الأندلسيون الذين بقوا في أرضهم التي افتتحها النصارى.

جُمْلَةً من دائرة السُّوء ممن ثَقُلَتْ وَطْأَتُهُ، فَعَرَّبُوا إلى تونس، أوائل شهر رمضان من عام ثلاثة وستين. ثم لما قَفَلَ من الحجِّ، واستقرَّ بِجَاية يُريد المغرب، حَنَّ إلى جوار التُّصْرَانِيَّة، التي رِيَمَ سَلْفُهُ الْعَبُودِيَّة إِلَيْهَا، فعبر البحر إلى بَرْجِلُونَةَ<sup>(١)</sup>، يَنْقُضُ عَنَاءَ طَرِيقِ الْحَجِّ عَلَى الصُّلْبَانِ، وَيَقْفُو عَلَى آثَارِ تَقْبِيلِ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ، تَقْبِيلَ أَيْدِي الْكُفَّارِ. ثم قصد باب الْمَغْرِبِ رَسُولًا عَنْ طَاغِيَةِ بَرْجِلُونَةِ فِي سَبِيلِ فِسَادٍ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، فلم يَنْجَحْ فِيهِ قَصْدُهُ، فَتَقَاعَدَ لَمَّا خَسِرَ فِيهِ ضِمَانَهُ، وَصَرَفَ وَكْرَهُ إِلَى الْإِتِّصَالِ بِصَاحِبِ قَشْتَالَةِ، وَعَنَّ عَلَى كَتَبٍ إِلَيْهِ بِخَطِّهِ، يَتَنَفَّقُ عِنْدَهُ وَيُغْرِيه بِالْمُسْلِمِينَ، فَتَقَبَّضَ عَلَيْهِ، وَسُجِنَ بِفَاسَ مَعَ أَرْبَابِ الْجَرَائِمِ. وَعَلَى ذَلِكَ اسْتَقَرَّ حَالُهُ إِلَى الْيَوْمِ، وَأَبْرَأَ إِلَى اللَّهِ مِنَ التَّجَاوُزِ فِي أَمْرِهِ. وَمَنْ يُضِلِّلِ اللَّهَ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ.

وَلَمَّا وَفَدْتُ عَلَى السُّلْطَانِ بَوْلَيْدِهِ، وَقَرَّتْ عَيْنِي بِلِقَائِهِ، تَحْتَ سَدَادِهِ وَعِزِّهِ، وَفَوْقَ أَرِيكَةِ مُلْكِهِ، وَأَدْبَيْتُ مَا يَجِبُ مِنْ حَقِّهِ؛ عَرْضْتُ عَلَيْهِ غَرَضِي، وَنَقَضْتُ لَهُ خِزَانَةَ سِرِّي، وَكَاشَفْتُهِ ضَمِيرِي بِمَا عَقَدْتُ مَعَ اللَّهِ عَهْدِي، وَصَرَفْتُ إِلَى التَّشْرِيقِ<sup>(٢)</sup> وَجْهِي، فَعَلَيْتُ بِي لِرُكُومِهِ عُلُوقُ الْكَرَامَةِ، وَلَا طَفَنِي بِمَا عَامَلْتُ الْبَرَّ بَيْنَ الدَّعْرِ وَالضَّنَانَةِ، وَيَضْرِبُ الْآمَادَ، وَخَرَجَ لِي عَنِ الْضُرُورَةِ، وَأَرَانِي أَنْ مُوَازَرْتَهُ أَبْرَ الْقُرْبِ، وَرَاكِنِي إِلَى عَهْدٍ بِخَطِّهِ، فَسَحَ فِيهِ لِعَامِينَ أَمَدَ الثَّوَاءِ، وَاقْتَدَى بِشُعْنِبِ، صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِ، فِي طَلَبِ الزِّيَادَةِ عَلَى تِلْكَ النُّسْبَةِ، وَأَشْهَدُ مِنْ حَضَرٍ مِنَ الْعِلْيَةِ، ثُمَّ رَمَى إِلَيَّ بَعْدَ ذَلِكَ بِمَقَالِيدِ رَأْيِهِ، وَحَكَمَ عَقْلِي فِي اخْتِيَارِ عَقْلِهِ، وَغَطَّى مِنْ جَفَائِي بِحِلْمِهِ، وَحَثَا فِي وَجْهِهِ شَهَوَاتِهِ تَرَابَ زَجْرِي، وَوَقَّفَ الْقَبُولَ عَلَى وَغْظِي، وَصَرَفَ هَوَاهُ فِي التَّحْوِيلِ ثَانِيًا وَقَصْدِي، وَاعْتَرَفَ بِقَبُولِ نَصَحِي، فَاسْتَعْنْتُ بِاللَّهِ، وَعَامَلْتُ وَجْهَهُ فِيهِ. وَصَادَقَنِي مُقَارَضَةُ الْحَقِّ بِالْجِهَادِ، وَرَمَى إِلَيَّ بِذُنْيَاهُ، وَحَكَمَنِي فِيمَا مَلَكَتْهُ يَدَاهُ، وَغَلَبَنِي عَلَى أَمْرِهِ لِهَذَا الْعَهْدِ، وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ. فَأَكْمَلُ الْمَقَامَ بِبَابِهِ إِلَى هَذَا التَّارِيخِ مُدَّةَ أَجْرِي اللَّهِ فِيهَا، مِنْ يَمْنِ الثَّقِيْبَةِ، وَأَطْرَادِ السُّدَادِ، وَطَرْدِ الْهَوَى، وَرَفْضِ الزُّورِ، وَاسْتِشْعَارِ الْجَدِّ، وَنُضْحِ الدِّينِ، وَسَدِّ الثُّغُورِ، وَصَوْنِ الْجَبَايَةِ، وَإِنْصَافِ الْمُزْتَرِّقَةِ، وَمُحَاوَلَةِ الْعَدُوِّ، وَقَرْعِ الْأَسْمَاعِ بِلِسَانِ الصَّدَقِ، وَإِيقَازِ الْعُيُونِ مِنْ نَوْمِ الْعَفْطَةِ، وَقَذْحِ زِنَادِ الرُّجُولَةِ، مَا هُوَ مَعْلُومٌ، يُعْضَدُ دَعْوَاهُ، وَلِلَّهِ الْمَتَّةُ، سَجِيَّةُ السَّدَاجَةِ، وَرَفْعُ النَّسَمَتِ، وَتَكْوُّرُ الْمُنْسَاءِ، وَتَقْوِيَتِ الْعَقَارِ فِي سَبِيلِ الْقُرْبَةِ، وَالزُّهْدِ فِي الزُّبْرِجِ<sup>(٣)</sup>، وَبَثَّ جِبَالَ الْأَمَالِ، وَالتَّعْزِيزَ بِاللَّهِ عَنِ الْغَنِيْمَةِ، وَجَعَلَ الثَّوْبَ غَطَاءَ اللَّيْلِ، وَمَقْعَدَ الْمَطَالَعَةِ فَرَاشَ

(١) هي برشلونة. (٢) يريد أنه قصد مكة لقضاء فريضة الحج.

(٣) الزُّبْرِج: الزينة من وُشِي أو جَوْهَرٍ وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَالذَّهَبُ. مَحِيطُ الْمَحِيطِ (زَبْرَج).

النوم، والشغل لمصلحة الإسلام، لَرِيم الأنفاس، فأثمر هذا الكرخ، وأنبَج هذا المسعى مناقب الدولة، بلغت أعنان السماء<sup>(١)</sup>، وآثَارًا خالدة ما بقيت الحُضراء على الغُبراء، وأخبارًا تُنقل وتُروى، إن عاندها الحاسدُ، فضحه الصُّباح المنيرُ، وكأثره القَطَر المُثَال، وأغياه السَّيل المُتَدافع.

فما يختص من ذلك بالسلطان، فخامة الرتبة، ونباهة الألقاب، وتجميل الرياش، وتربع الشريعة، وارتفاع التشاجر ببابه، والمنافسة والاغتباط منه، بمجالس التنبيه والمذاكرة، وبدارُ الدموع في حال الرقة، والإشادة باحتقار الدنيا بين الخاصة، وتعيين الصدقات في الأوقات العديدة، والقعود لمباشرة المظالم ستة عشر يومًا في كل شهر من شهور الأهلة، يصلُ إليه فيها اليتيم والأرملة، فيفرح الضعيف، ويتنظر حضور الزمن، ويتغمد هفوة الجاهل، ويتأثر لشكوى المصاب، ويعاقب الوزعة على الأغلاط، إلى إحسان الملكة في الأسرى، والإغراب في باب الحِلْم، والإعياء في ترك الحظ، والتبرُّي من سجية الانتقام، والكلف بارتباط الخيل، واقتناء أنواع السلاح، ومباشرة الجهاد، والوقار في الهيئات<sup>(٢)</sup>، وإرسال سجية الإيمان، وكساد سوق المكيدة، والتصائم عن السعاية؛ هذا مع الشباب الغض، والفاحم الجعد، وتعدد حبائل الشيطان في مسالك العُمر، ومطاردة قانص اللذات في ظلِّ السَّلم، ومغازلة عيون الشهوات من ثنایا الملوك. وأيُم الله الذي به تُستخلص الحقوق، وتُيسر السُّتور، وتُستوثق العهود، ولا تطمئن القلوب إلَّا به؛ ما كاذبته، ولا راضيت في الهوادة طوله، ولا سامحته في نقيض هذه الخلال. ولقد كنتُ أعجبُ من نفاق أسواق الذكري لديه، وانتظام أقيسة النصح عنده، وإيقاع نبات الرشد فيه نصيحة، وأقول: بارك الله فيها من سجية، وهنَّا المسلمين بها من نفْس زكية. وسيأتي بيان هذه النتائج، وتفسير مُجمل هذه الفضائل بحول من لا حول إلَّا به سبحانه. والحال متصلة على عهده الوثير من إعانته بالوسوع والخروج له عن هذه العُهدة، والتسليم له في البقية، إرهابًا لسيف جهاده، وجلاءً لمرآة نُصحه، وتسوية لميزان عدله، وإهابة لِمُحمد رُشده، شدُّ العقدة، عقدةً وغيره على حُرمة ماله وعرضه، ورعاية للسان العِلْم المُنبئ عن شأنه، ونيابةً عنه في مَعْقِل مُلكه، ومُستودع ماله وذخيرته، ومحافظة على سيره وعلايته لحُرمة وولده، وعُمرانًا للجوانح بتفضيله وحُبّه، معاملةً أخلص الله قصدها لوجهه، وأمَحَضها من أجله، ترفعه عن جِراية

(١) كلمة «السماء» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها ليكتمل المعنى والسجعة معًا.

(٢) الهيئات: جمع هيغة وهي كل ما أفرعك من صوت أو فاحشة تُشاع. محيط المحيط (هبع).

رَحَلَ هَالُئُهَا، وإِقْطَاعَ تَنْجَعِ قَدْرَتُهُ، أو فِصْلَةَ تَعَبْتُ الْبَنَانِ بِنَشِيرِهَا، وَخُطَّةَ تَشَدَّ إِلَيْهِ عَلَى مَنْشُورِهَا. وَاللَّهُ يُزَجِّجُ مِيزَانِي عِنْدَهُ، وَيَحْظِي وَسِيلَتِي لَدَيْهِ، وَيَحْرُكُ مَكَافَأَةَ سَعْيِي فِي خَوَاطِرِ حَجَّهِ، وَيُنَبِّهُ لَتَبْلِيغِ أَمَلِي مِنْ حَجِّ بَيْتِ اللَّهِ، وَزِيَارَةِ رَسُولِ اللَّهِ، بِمَنْهُ وَكَرَمِهِ، فَمَا عَلَى اسْتِخْثَاتِ الْأَجَلِ مِنْ قَرَارٍ، وَلَا بَعْدِ الشَّيْبِ مِنْ إِعْذَارٍ، وَحُسْبُنَا اللَّهُ وَنِعَمَ الْوَكِيلِ.

**أولاده<sup>(١)</sup>:** كَمُلَ لَهُ فِي هَذَا الْوَقْتِ مِنَ الْوَلَدِ أَرْبَعَةٌ؛ ثَلَاثَتُهُمْ ذُكُورٌ، يَوْسُفُ بِكْرُهُ، وَأَرَاهُ يَتْلُوهُ سَعْدٌ، ثُمَّ نَصْرٌ، غِلْمَةُ رُوقَةٍ، قَدْ أَفْرَغَهُمُ اللَّهُ فِي قَالِبِ الْكَمَالِ، إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسْبَتُهُمْ لَوْلَا مَنْشُورًا، فَسَخَّ اللَّهُ لَهُمْ أَمَدَ السَّعَادَةِ، وَجَعَلَ مَسَاعِيَهُمْ جَانِحَةً إِلَى حُسْنِ الْعُقْبَى، سَالِكًا بِهِمْ سَبِيلَ الْإِهْتِدَاءِ بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ.

**قضائته<sup>(٢)</sup>:** قَدِمَ لِأَوَّلِ قَدُومِهِ، الْفَقِيهَ الْقَاضِيَّ، الْحَسِيبَ، الْخَيْرَ، أَبَا جَعْفَرِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ جُزْيٍ، شَاكِرًا بِبَلَاءِهِ بِمَالَقَةٍ، إِذْ كَانَ قَدْ أَلْقَاهُ قَاضِيًا بِهَا لِلْمُتَغَلَّبِ، فَلَمْ يَأُلْ جَهْدًا فِي الْإِجْلَابِ عَلَى مَنْ اعْتَصَمَ بِقَصَبَتِهَا، وَالتَّحْرِيصِ عَلَى اسْتِثْنَائِهِمْ، فَاتَّخَذَ زُلْفَةً لَدَيْهِ، فَأَجْرَى الْأَحْكَامَ، وَتَوَخَّى السُّدَادَ. ثُمَّ قَدِمَ<sup>(٣)</sup> إِلَيْهَا الْفَقِيهَ الْقَاضِيَّ الْحَسِيبَ، أَبَا الْحَسَنِ عَلِيَّ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ، عَيْنَ الْأَعْيَانِ بِبَلَدِهِ مَالَقَةٍ، وَالْمَخْصُوصَ بِرَسْمِ التَّجَلَّةِ، وَالْقِيَامَ بِوِظَيفَةِ<sup>(٤)</sup> الْعَقْدِ وَالْحَلِّ بِهَا<sup>(٥)</sup> فِي الدَّوْلَةِ الْأُولَى، وَأَصَالَةَ الْبَيْتِ، وَالْانْقِطَاعَ إِلَيْهِ، وَمَصَاحِبَةَ رِكَابِهِ فِي طَلَبِ الْمُلْكِ، وَمُتَسَوِّرَ الْمَشَاقِ مِنْ أَجَلِهِ، وَأُولَى النَّاسِ بِاسْتِذْرَارِ خَلْفِ دَوْلَتِهِ، فَسَدَّدَ وَقَارِبَ، وَحَمَلَ الْكَلَّ<sup>(٦)</sup>، وَأَحْسَنَ فِصَاحَةَ<sup>(٧)</sup> الْخُطْبَةِ وَالْخُطَّةِ، وَأَكْرَمَ الْمَشِيخَةَ وَأَرْضَى، وَاسْتَشْعَرَ الثَّزَاهَةَ، وَلَمْ يَقِفْ فِي حُسْنِ التَّائِي عِنْدَ<sup>(٨)</sup> غَايَةِ، وَاسْتَمَلَ مَعَهَا لِفَقِّ الْخُطَابَةِ، فَأَبْرَزَ وَأَعْلَمَ، تَسْمِيًا وَحِفْظًا وَجَهْورِيَّةً، فَاتَّفَقَ فِي ذَلِكَ عَلَى رِجَاحَتِهِ، وَاسْتَصَحَبَ نَظْرَهُ عَلَى الْأَحْبَاسِ، فَلَمْ يَقِفْ فِي النَّصْحِ عِنْدَ غَايَةِ، أَعَانَهُ اللَّهُ.

(١) فِي اللَّحْمَةِ الْبَدْرِيَّةِ (ص ١١٥): «وُلِدَ لَهُ إِلَى هَذَا الْعَهْدِ وَلَدٌ ذَكَرَ اسْمُهُ يَوْسُفُ عَلَى اسْمِ أَبِيهِ».

(٢) تَحْتَ عُنْوَانِ «قَضَائَتِهِ» ذَكَرَ ابْنُ الْخَطِيبِ فِي اللَّحْمَةِ الْبَدْرِيَّةِ (ص ١١٦) قَاضِيًا وَاحِدًا هُوَ أَبُو الْقَاسِمِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْحَسَنِيِّ، وَقَالَ: إِنَّ الْغَنِيَّ بِاللَّهِ جَدَّدَ لَهُ أَحْكَامَ الْقَضَاءِ وَالْخُطَابَةِ إِلَى أَخْرِيَّاتِ شَعْبَانَ مِنْ عَامِ ٧٦٠ هـ.

(٣) النَّصُّ فِي نَفْحِ الطَّيِّبِ (ج ٧ ص ١١٦). (٤) فِي النَّفْحِ: «وَالْقِيَامُ بِالْعَقْدِ وَالْحَلِّ».

(٥) مِنْ هُنَا حَتَّى قَوْلِهِ: «بِاسْتِذْرَارِ خَلْفِ دَوْلَتِهِ» غَيْرُ وَارِدٍ فِي النَّفْحِ.

(٦) الْكَلَّ، بِفَتْحِ الْكَافِ وَتَشْدِيدِ اللَّامِ: الضَّعِيفُ. لِسَانُ الْعَرَبِ (كَلَل).

(٧) فِي النَّفْحِ: «مَصَاحِبَةٌ». (٨) فِي النَّفْحِ: «عَلَى».

كُتَابُهُ<sup>(١)</sup>: أسند الكتابة إلى الفقيه المُذْرَك، المبرّز في كثير من الخلال، ملازمه أيضًا في طلب المُلْك، ومطاردة قَنْص الحظّ، أبي عبد الله بن زَمْرَك، ويأتي التعريف بجمعهم.

شيخ غزاته: مُتولي ذلك في الدولة الأولى، الشيخ أبو زكريا يحيى بن عمر بن رَحُو بن عبد الله بن عبد الحق<sup>(٢)</sup>، قدّمه إليها مُعْتَبًا إياه، طاويًا بِساط العدوّ بالجملة، قدّموها بابنه عثمان على الخاصّة يومئذ، لمظاهرتة في الوجّه، وسعيه في عَوْدَة الدَّوْلَة، واستمرّت الحال إلى اليوم الثالث عشر لشهر رمضان من عام أربعة وستين وسبعمائة، وكان القبض على جُمْلَتهم، وأجلى هذا البيت من سُفْرة السياسة مدّة، مجتزئًا فيه بنظره على رسمه في الوزارّة من قبيله. ثم قدّم إليها موعودَه بها القديم الخدمة، وسالف الأدمّة، لما لجأ إلى وادي آش مفلتًا من وَبَقَة الحادثة، الشيخ أبا الحسن علي بن بدر الدين بن موسى بن رَحُو بن عبد الله بن عبد الحق، حلف السّداد أيامه، والمقاربة والفضل والدّماء، المخصوص على اختصار بيّمن النّقيبة، واستمرّت أيامه إلى نُقْبَة القفول عن غزوة جَيّان أخريات محرم من عام تسعة وستين، وتوفي، رحمه الله، حَتَف أنفه، فاحتفل لمواراته، وإقرايه من تآبيه، واستغفاره، والاعتراف بصدق موالاته، وتَفْجيعة لفقده، وما أعرب به من وفاء نُجْده، وقَدّم لها عَهْدًا طُرف اختياره، الأمين، الشّهم، البُهْمَة، خِذْن الشّهرة، والمشار إليه بالبّسالة، وفرع المُلْك والأصالة، عبد الرحمن ابن الأمير أبي الحسن علي بن السلطان أبي علي عمر ابن أمير المسلمين أبي سعيد عثمان ابن أمير المسلمين أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق، إذ كان قد لحق به، بعد ظهور أتيح له بوطنه من المغرب، استقرّ مبايعًا بعمالة سِجْلْمَاسَة وما إليها، وطن جدّه، وميراث سلفه، ففَسَح له جانب قبوله، وأخلّه من قُزْبه محلّ مثله، وأنزله بين ثغر الاغتباط ونُخره، ثم استظهر به على هذا الأمر، فأحسن الاختيار، وأعزّ الخُطّة، وهو القائم عليها لهذا العهد، وإلى الله أسباب توفيقه.

### ظَرَفُ السُلْطَان وَحُسْن تَوْقِيعِهِ:

بَدَّ في هذا الباب من تقدّمه، وكثرة وقوعه، بحيث لا يُعَدّ نادره، وقليل الشيء يدلّ على كثيره. مرّ بي يومًا ومعى ولده، يروم اتخاذ حذق القرآن، فقلّت له: أيّدك

(١) في عنوان: «كتابه» ذكر ابن الخطيب في اللمحة البدرية (ص ١١٦) أنه هو الذي أجرى للغني بالله رسم العرض والإنشاء، ثم هو نفسه قد استخدم في أخريات أيام الغني بالله كاتب الدولة التونسية الفقيه الكاتب أبا محمد عبد الحق بن أبي القاسم بن عطية.

(٢) كذا ذكره ابن الخطيب في اللمحة البدرية (ص ١١٦) وقال إن الغني بالله أقرّه على الغزاة على عهد أبيه.

الله، الأمير يريد كذا، ولا بدّ له من ذلك، وأنا وكيله عليك في هذا، فقال: حسبنا الله ونعم الوكيل. ولا خفاء ببراعة هذا التوقيع، وغرابة مقاصده، ومجالسته على الأيام معمورة بهذا ومثله.

**الملوك على عهده:** بالمغرب<sup>(١)</sup> السلطان الجليل إبراهيم ابن السلطان أبي الحسن ابن السلطان أبي سعيد ابن السلطان أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق. تولى ملك المغرب حسبما تقدم في اسمه<sup>(٢)</sup>، وألقى إليه بالمقاليد، واستوسقت له الطاعة، وبحسب ما بئ الله من إشراب<sup>(٣)</sup> الخلق إليه، وتعطشهم إلى لقائه، ورغبتهم في إنهاضه إلى ملك أبيه، كان انقلابهم إلى ضد هذه الخلال، شرقاً بأيامه وإحصاء لسقطاته، وولعاً باغتيابه وتربصاً لمكروه به، إذ أخفقت فيه الآمال، واستولت الأيدي من خدامه على ملكه. وقبض الله لإبادة أمره، وتغير حاله وهذا ركنه، الخائن الغادر نسمة السوء وقذار ناقة الملك، وصاعقة الوطن وحرد السيد عمر بن عبد الله بن علي<sup>(٤)</sup> مؤتمنة على البلد الجديد، دار ملكه ومستودع ماله وذخيرته، فسد الباب دونه، وجهز بخلعانه. وفض في اتباع الناقع المشؤوم سور ماله، وأقام الدعوة باسم أخيه أبي عمر، ذي اللوثة، الميؤوس من إفاخته، وذلك ضحوة اليوم الثامن عشر لشوال من عام اثنين وستين وسبعمئة. وبادر السلطان أبو سالم البيعة من متحول سكناه بقصر البلد القديم<sup>(٥)</sup>، وصابر الأمر عامة اليوم. ولما جن الليل، فر لوجهة، وأسلم وزراءه وخاصته، وقيدت خطاه الخيرية، فأوى إلى بعض البيوت، وبه تلاحق متبوعه، فقيّد إلى مصرعه السوء بظاهر بلده، وخز رأسه، وأوتي به إلى الغادر. وكان ما بين انفصال السلطان عنه مؤدعاً إلى الأندلس بإعانتة، ومطوّق فضل تلقيه وقفوله وحسن كفالته، ثمانية أشهر ويوم واحد. واستمرت دعوة أخيه الممّوه به إلى الرابع والعشرين من صفر من عام ثلاثة وستين وسبعمئة،

(١) ضمن العنوان نفسه جاء في اللمحة البدرية (ص ١١٧): أن سلطان المغرب في عهد الغني بالله هو أبو عنان فارس بن أبي الحسن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق، وولي بعده ولده السعيد أبو بكر.

(٢) المراد إبراهيم بن أبي الحسن بن أبي سعيد عثمان بن أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق، وقد تقدمت ترجمته في الجزء الأول من الإحاطة.

(٣) الإشراب: المحبة؛ يقال: أشرب فلان حبّ فلانة، أي خالط قلبه. وأشرب قلبه محبة هذا: أي حلّ محلّ الشراب. لسان العرب (شرب).

(٤) في اللمحة البدرية (ص ١١٨ - ١١٩): «عمر ابن الوزير عبد الله بن علي البياني».

(٥) البلد القديم هو مدينة فاس القديمة، والبلد الجديد هو ضاحية أنشأها بنو مرين بجوار مدينة فاس.

واستدعي من باب قُشتالة الأمير محمد أبو زيان ابن الأمير أبي زيد بن عبد الرحمن ابن السلطان المعظم أبي الحسن. وقد استقرَ نازعًا إليه أيام عمه السلطان أبي سالم، وقع عليه اختيارُ هذا الوزير الغادر، إذ وافق شئُ تغلبه طبقُ ضعفه<sup>(١)</sup>، وأعمل الحيلة في استجلابه، فوصل حسب غرضه، وأجريت الأمور باسمه، وأعيد أخوه المعتوه إلى مكانه، واستمرت أيام هذا الأمير مغلوبًا عليه، مغرَى بالشراب على فيه وبين الصُّحب إلى أن ساءت حاله، وامتألت بالموجدة على الوزير نفسه، فعاجله بحتفه، وبأشر اغتياله، وأوعز إلى خدامه بخنقه، وطَرَّحه بحاله في بعض سواقي قصره، مُتَّبِعًا ببعض أواني خمره، يوهُم بذلك قاتله، تردّيه سكرًا، وهويه طفوحًا. ووقف عليه بالعدول عند استخراجه، ونَدَّب النَّاس إلى مواراته، وبائع يومه ذلك أبا فارس عبد العزيز وارث ملك أبيه السلطان أبي الحسن، المنفرد به، وخاطب الجهات بدعوته، وهو صبيُّ ظاهرُ النبل والإدراك، مشهورُ الصُّون، وأعمل الحيلة لأول أمره، على هذا الوزير مخيف أريكة مُلكه، ومظنة البدا في أمره، فطوّقه الحمام واستأصل ما زَرَاه من مال وذخيرة، شكرَ الله على الدولة صنيعة، وفي ذلك يقول: [الطويل]

لقد كان كالحجاج في فتكاته      تحاذره البراء دؤمًا وتخشاه  
تغذى به عبد العزيز مبادرًا      وعاجله من قبل أن يتعشاه

وكان بعده وليُّه الحق ونصيره لا إله إلا هو. وهو اليوم ملك المغرب، مزاحمًا بابن أخيه، السلطان أبي سالم، المعقود البيعة بمراكش وما إليها، جمع الله شتات الإسلام، ورفع عن البلاد والعباد مضرة الفتنة.

وبتلمسان السلطان أبو حمو موسى ابن الأمير أبي يعقوب يوسف<sup>(٢)</sup> بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن بن زيان. حسيما كان في الدولة الأولى، متفقهًا منه على خلال الكرم والحزم، مضطلعًا بأمره والقيام على ما بيده. وبتونس<sup>(٣)</sup>، الأمير أبو سالم إبراهيم ابن الأمير أبي يحيى بن أبي حفص، حسيما تقدم ذكره.

(١) أخذه من المثل: «وَأَفَقَ شئُ طَبَقَةٍ». وشئٌ هو رجل من دُهاة العرب، وطبقة بنته، يضرب للمتوافقين. مجمع الأمثال (ج ٢ ص ٣٥٩).

(٢) في اللوحة البدرية (ص ١١٩): «يوسف بن يحيى بن عبد الرحمن بن يغمراسن».

(٣) في اللوحة البدرية (ص ١١٩): «وبإفريقية إبراهيم ابن الأمير أبي يحيى بن أبي بكر بن أبي حفص بن إسحق ابن الأمير أبي زكرياء».



## ومن ملوك النصارى:

فبَقِشْتَالَة سلطانها المتقدم الذكر في الدولة الأولى، بِطَرُهُ ابن السلطان ألَهْنَشَة<sup>(١)</sup> بن هراندة بن شانجُه بن ألَهْنَشَة<sup>(٢)</sup> بن هراندة، متأكدة بينهما السلم الجمّة، والهدنة المُبرمة، بما سَلَف من مظاهرتة إيَّاه، والحرص على ما اسْتَحَانه من المغرب في أسطوله، وبعثه إليه برأس عدوّه المتوثّب على ملكه، ورؤوس أشياعه، الظالمين العُدرة، وأتباعه الفَجْرة، مستمِرّة أيامه إلى وسط شعبان عام سبعة وستين، صارفاً وجهه إلى محاربة صاحب برجلونة<sup>(٣)</sup>، مستولياً على كثير من قواعده الشهيرة، وقلاعہ المنیعة، لما أسلفه به من إجازته، أخيه أنْدَرِيق المدعو بالقُند، ومظاهرتة حتى ساءت أحواله وأحوال عدوّه، وأوهنت الحركات قوى جيشه، وأضعف الاحتشاد عَمَرة أرضه، واشترّبت القلوب إلى الانحراف عن دعوتہ، ومالت النفوس إلى أخيه، وقامت البلاد بدعوتہ، وتلاحقت الوجوه بجهتہ، ورام التمسك بإشبيلية دار ملكه، فثار أهلها به في عام سبعة وستين. فخرج فارّاً عنها...<sup>(٤)</sup> به والسلاح يهشُّ إليه، وبعد أن استظهر بخويصته، وأحمل ما قَدَر عليه من ذخيرة، ورفع من له من ولدٍ وحرمة، رأى سُخنة العين من انتهاب قصوره، وتَشْعِيت منازلہ، وعاث الأيدي في خزائنه، وأسمعه الناس من مَخْض التأنيب وأعراض الشّمات، ما لا مزيد عليه، ولاذ بصاحب بُزْتغال، فنأى عنه جانبہ لما يجنيه أبواه من مخالفة رأي الأمة فيه، فقصد بلاد غَلِيسِيّة، وتلاحق أخوه أنْدَرِيق بحضرة إشبيلية، فاستوى على المُلْك وطاعت لأمره البلاد، وعاجله المسلمون لأول أمره، فاستولوا على كثير من الثغور، والحمد لله.

ولما توسد له الأمر تحوّل لاستئصال شأفة المخلوع، فأجلى عن غَلِيسِيّة في البحر، واستقرّ ببلد بِيُونَة، ممّا وراء دُروب قَشْتَالَة، وانتبذ عن الخِطّة القشتالية وأمر نفسه، ولجأ إلى ابن صاحب الأَنْتِكِيْرَة<sup>(٥)</sup>، وهو المعروف بِبِرْقَسِين أبي الأمير، وبين أول أرضه وبين قَشْتَالَة؛ ثمانية أيام، فقَبِلَه ولدُ السلطان المذكور، الساكن بأول ما تلقاه من تلك الأرض، وسَفَر بيْنه وبين أبيه فأنكر الأب استئذانه إيَّاه، والمراجعة في نَصْره، حَمِيّة له، وامتعاضاً للواقع. وحال هذه الأمة غريبة في الحماية الممزوجة بالوفاء والرفقة، والاستهانة بالنفوس في سبيل الحمد، وبين يدي العَشَاق، عادة العرب الأول. وأخبارهم في القتال غريبة، من الاسترجال والزحف على الأقدام، أميرهم ومأمورهم، والجثو في الأرض، أو دفن ببعض الأرض في التراب، والاستظهار في

(١) في اللوحة البدرية: «ألَهونش».

(٢) هي مدينة برشلونة.

(٣) بياض في الأصل.

(٤) الأنتكيرة: هي إنكلترا.

حال المُحاربة ببعض الألحان المُهَيَّجة، ورماتهم قسيهم غريبة جافية، وكلهم في دروع، والإحجام عندهم، والتقهر مقدار الشبر ذنب عظيم، وعار شنيع، ورماتهم يثبتون للخيال في الطراد، وحالهم في باب التحلي بالجواهر، وكثرة آلات الفضة، غريب. وبعد انقضاء سبعة عشر يوماً كان رجوعه ورجوع البرنس المذكور معه مصاحباً بأمراء كثيرين من خثرانه<sup>(١)</sup> وقربته، وبعد أن أسلفوه مالا كثيراً، واختص منه صاحب الأنتكيرة، بمائتي ألف دينار من الذهب إلى ما اختص به غيره، وارتهنوا فيه ولده وذخيرته. وكان ينفق على نفسه وجيشه بحسب دينار واحد من الذهب للفراس في ثلاثة أيام. وكان تأليف الجيوش في بنبلونة في أزيد من ثلاثين ألفاً، وعسر عليهم المجاز على فحص أحدونه، لبلاد تمسك لطاعة القند أخيه؛ فصالح القوم صاحب نباره<sup>(٢)</sup> على الإفراج لهم، ونزلت المحلات في فحص نباره، ما بين حدود أرض نباره وقشتالة، ونزل المتصير إليه أمر قشتاله، القند بإزائها في جموع لم تنتظم لمثله، إلا أنه لشهامته واغتراره، أجاز خندقاً كان بين يديه، وعبر جسراً نشب فيه عند الجولة. وكان اللقاء بين الفريقين يوم السبت سادس إبريل العجمي، وبموافقة شعبان من عام ثمانية وستين. وكان هذا الجمع الإفرنجي الآتي من الأرض الكبيرة<sup>(٣)</sup> في صفوف ثلاثة، مرتبة بعضها خلف بعض، ليس فيهم فارس واحد، إنما هم رجاله، سواء أميرهم وأمورهم، في أيديهم عصي جافية في غلظ المعاصم؛ يشرعونها أمامهم، بعد إثبات زجاجها<sup>(٤)</sup> فيما خلفهم من الأرض، يستقبلون منها وجوه عدوهم، ونحو خيله، ويجعلونها دعائم وتكات لبناء مصافهم، فلم ثقلهم المحلات، وبين أيديهم من الرماة الناشبة الدارعة، ما لا يحصيهم إلا الله عز وجل. وسائرهم السلطان، مستدعى نضرهم راجلاً أميلاً برأيهم؛ إلى أن أعيأ بعد ميلين منها فأزكبوه بغلة حملوه بينهم عليها، إلى موقف اللقاء والقند، وكان على مقدمة القوم الدك أخو البرنس، والبرنس مع السلطان مستجيره في القلب، والقند المعروف بقندار مائيان، وكثير من الأمراء؛ ردى وسيقه دونهم، ومن خلف الجميع الخيل بجنبها ساستهم وغلمانهم وخدامهم، ووراءها دواب الظهر وأبغالهم، وفي أثناء هذه العيبة من البنود وآلات الحرب والطرب والأبواق ما يطول ذكره. وكان في مقدمة القند المستأثر بملك قشتالة؛ أخوه شائجه في رجل قشتالة، قد ملأ السهل والجبل، ومن خلفهم أولو

(١) الخثران: جمع خاتر أو ختار، وهو المخادع، لسان العرب (ختر).

(٢) نباره: بالإسبانية Navarra وهي بلاد البشكنس، وعاصمتها بنبلونة.

(٣) المراد بالأرض الكبيرة فرنسا.

(٤) الزجاج: جمع زج وهو الحديد التي في أسفل الرمح. محيط المحيط (زجاج).

الخيـل الجافية القـبيلية، المُسبِغة الدُّروع، من رأس إلى حافرٍ، في نحو ألف وخمسمائة، وفي القلب أخوه الآخر دَنْطِيَّة في جمهور الرُّعماء والفرسان والدُّرُق، وهو الأكثر من رجال الجيش اليوم، ومن ورائهم السلطان أُنْدَرِيق في لفيف من الناس. ولما حمل بعضهم على بعض أقدم رماةُ الفِرْنَج، ثقةً بدرُوعهم، فعظُم أثرهم فيمن بإزائهم من رماة عدوهم ورجالهم، لكونهم كشفاء، فكشفوا إياهم. وحملت خيل قشتالة الدَّارعة، فزحزحت كُرَّ المصافِّ الإفرنجي، واتصل الحربُ بالبرنس، وهو مطلقٌ عليهم في رُبوة، فصاح بهم بحيث أسمع، وتناول شيئاً من التراب فاستَفَّه، وكسر ثلاث عَصِيي، وفعل مَن معه مثل فعله، وهي عادتهم عند الغضب، وعلامةُ الإقدام الذي لا نكوصَ بعده. ووجَّه إلى أخيه في المقدمة، يقول له: إن وجدت في نفسك ضعفاً، فاذكُر أنك ولدٌ صاحب الأتكتيرة. وحمل الكلُّ حملةَ رَجُل واحدٍ، فلم تجد الخيلُ الدَّارعة سبيلاً، وقامت في نحورها تلك الأسيَّة، فولَّوا منهزمين.

ولما رأى القُنْد هزيمة أخيه، تقدَّم بنفسه بمن معه من مدد الأمة الرِّغُونِيَّة<sup>(١)</sup>، وهو ينادي: يا أهل قشتالة، يا مَوَالِي، إياكم والعار، هاأنذا، فلم يثبت أمره، وتراجع قُلُّه. فعند ذلك فرَّ في أربعة من أولي ثقته، واستولى القَتْل والأسْرُ على خاصته، وتردَّى المنهزمون في الوادي خلفهم، فكان ذلك أغوَن الأسباب على هَلِكهم، فأناف عددٌ مَن هلك في هذه الواقعة، حسبما اشتهر، خمسين ألفاً. وامتلأت أيدي هذه الأمة من الأسلحة والأموال والأمتعة والأسرى الذين يُفادونهم بمال عظيم، واتصل القُنْد المنهزم بأرض رَغُون، ثم نَجَم من البلاد الفرنسية، ودخل أخوه بهذه الأمة أوائل البلاد معترفاً بحميد سَغيهم، وعزِيز نَصْرهم، وقد رابه استيلاؤهم، وأوجَسَه تغلبُهم، وساء في الأرض الرِّعادة عيائهم فاستأذنهم في اللُّحوق بقواعد أرضه، وقَبَضَ الأموال التي تجبي منها نفقاتهم، وقَبَضَ منها ديونهم قَبْلَه. وحثَّ السَّير، فوصل طُلَيْطَلَة، لا يُصدَّق بالنجاة، وخاطب السلطان المُتَرَجِم به، وقدَّر ودَّه، وحذَّره سَوْرَة هذه الأمة التي فاض بَحْرُها وأعيا أمرُها، وأنهى إليه شُرُها، وشَرِه إلى استيصال المسلمين، وحذَّ له مواعيدَها التي جُعِلت لذلك. ووصل إشبيلية؛ واثالثت البلاد عليه، وعادت الإيالة إلى حُكْمه، ثم شرع في جعل الضرائب، وفرض الأموال، وأخاف الناس بالطلُّب والتَّبعات، فعاد نفورُهم عنه جَزَعاً، وامتنعوا من العَزَم، وطرَدوا العُمال، وأحسَّ

(١) نسبة إلى رَغُون، وهي مملكة أراجون Aragon في الثغر الأعلى - إلى الجنوب الشرقي من سرقسطة.

بالشَّرِّ، فتحصَّن بإشيبيلية وجهاتها على نفسه، وطال على الأمة الواصلة في سبيل نُضره الأمر. فرجعت إلى بلادها، ووقيت نُفرة الفرسان، وأولي الأتباع، وأظهروا الخلاف، وكشفت جَيان وجهها في خلْعانه، والرجوع إلى دعوة أخيه المُتصَرِّف، فتحرَّك إليها السلطان المترجمُ به، بعد أن احتشد المسلمين، فكان من دخولها عثوةً، واستباحة المسلمين إياها وتخريبها، ما هو مذكور في موضعه. ثم ألحقت بها مدينة أُبْدَة، الذاهبة في مخالفة مذاهبها والحمد لله. وخالفت عليه قرطبةً، واستقر بها من الكِبَار جملة، كاتبوا أخاه، واستعجلوا، فتعرَّف في هذه الأيام، أنه قد بلغ أرض بُزْعُش، وناز الفتنة بينهم، ويد الإسلام لهذا العهد، والمُنية لله، وحده غالبية.

وإنما مددنا القول في ذكر هذه الأحوال الرُومية، لغرابة تاريخها، وليُستشعر الحذر، ويُؤخذ من الأمة المذكورة وغيرها، والله ولي نصر المؤمنين بفضله.

وبأرض رَعُون سلطانها الكائن على الدولة الأولى.

**بعض مناقب الدولة لهذا العهد:**

وأولا ما يَزَجع إلى مناقب الحِلْم والكَظْم من مآزق الجهاد الأكبر، وهو جهاد النفس.

فمن ذلك أن السلطان لما جَرَت الحادثة، وعَظمه التمحيص، وألجأ إلى وادي آش، لا يملك إلا نفسه في خبر طويل، بادر إلى مخاطبة ثقتة بقصبة المَريّة، قلعة المُلْك، ومَظَنَّة الامتناع، ومِهَاد السَّلامة، ومَخْزَن الجباية والعُدَّة، وقد أصبح محلُّ استِقْراره، بينها، وبين المُنتزى سداً، وبيعة أهلها لم ينسخ الشرع منها حُكماً يناشده الله في رَمَقه، ويتملقه في رَغِي ذِمَّتِه، والوفاء له، وإبراء غُزْبَتِه، وتمسُّكِه من أمانته، فردَّ عليه أسوأ الردِّ، وسجن رسوله في المُطْبَق، وخرج منها لعدُوّه، وناصح بعد في البُغي عليه. فلما ردَّ الله الأمر، وجَبَرَ الحق، أغْتَب وأجرى عليه الرِّزْق. ولما ثار في الدولة الثانية الدليلُ البَرْكي<sup>(١)</sup>، هاتفاً بالدعوة لبعض القرابة، وأكذبه الله، وعَقَه الشيطان بعد نُشر راية الخلاف، وجَعَلَ للدولة، علوً اليَد، وحسنَ العاقبة، وتمكَّن من المذكور، أبقى عليه، وغَلَب حكم المصلحة العامة في استحيائه، وهو من مُغْرِبَات الحِلْم المبني على أساس الدين، وإبتغاء وجه الله.

ولما أجلي عن الترشيح من القرابة، بعد تَقَرَّب التهمة، وعَمَس الأيدي في المعصية، صُرفوا إلى المغرب صَرَف العافية، وأجرى على من تخلفوه عوائد

(١) الدليل البركي: هو أحد وزراء سلطان غرناطة الغني بالله.

الأرزاق، ومرافق المواسم، ووعد ضعفاءهم بالإزفاد، وتجوفي عما يزجج للجميع من عقار ورباع، وأسعفت آمالهم في لحاق ذويهم من أهل وولد.

ومما يرجع إلى عوائد الرفق، ومرافق العدل من مآزق في جهاد النفس، وقوف وكيل الدولة، مع من يجاور مستخلص<sup>(١)</sup> السلطان من العامرين<sup>(٢)</sup> ومما ولي الفلاحة، وقد ادعوا أضرارا، يجره الحوار بين يدي القاضي بالحضرة، حتى بعد منقطع الحق، على ما يخص السلطان من الأصول التي جرّها الميراث عن كريم السلف. ولا كفضية التاجر المعروف بالحاج اللباس، من أهل مدينة وادي آش، وقد تحصّلت في داره، من قبل التاجر المذكور جارية من بنات الروم، في سبيل تفوت الذمم، ومستهلك المتولات، وترقت إلى تربية ولده، وأصبحت بعض الأظار<sup>(٣)</sup> لأمرائه، واتصل بها كلفه، وزاد هيمنه، وغشي مدافن الصالحين من أجلها، وأنهيت إليه خبره وبثه، وقررت عنده شجوه، وألمعت بما ينقل في هذا الباب عن الملوك قبله، فبادر إلى إخراجها من القصر بنفسه، وانتزاعها من أيدي الغبطة، انتزاع القهر، بحاله في جميل الزيّ، فمكنت منها يد عاشقها الذاهل، وقد خفت نفسه، وسكن حسه، وكاد لقاءه إياها أن يقضي عليه. ونظائر هذا الباب متعددة.

ومن مواقف الصدق والإحسان من خارق جهاد النفس، بناء المارستان الأعظم، حسنة هذه التخوم القصوى، ومزية المدينة الفضلى. لم يهتد إليه غيره من الفتح الأول، مع توفر الضرورة، وظهور الحاجة، فأغرى به همّة الدين، ونفس التقوى، فأبرزه موقف الأخدان<sup>(٤)</sup>، ورحلة الأندلس، وفذلكة الحسنات، فخامة بيت، وتعدّد مساكن، ورخب ساحة، ودرور مياه، وصحة هواء، وتعدّد خزائن ومتوضّات، وانطلاق جراية، وحسن ترتيب، أبرّ على مارستان مصر<sup>(٥)</sup>، بالساحة العريضة، والأهوية الطيبة، وتدق المياه من فورات المرمل، وأسود الصخر، وتموّج البحر، وانسدال الأشجار، إلى موافقه إياي، وتسويغه ما اخترعته بإذنه، وأجزئته بطيب نفسه، من اتخاذ المدرسة والزاوية، وتعيين الثربة، مغيرا في ذلك كله على مقاصد

(١) المراد يستخلص السلطان: الأملاك السلطانية الخاصة.

(٢) العامريون: هم الذين يفلحون الأرض ويعمرونها. لسان العرب (عمر).

(٣) الأظار: جمع ظئر، والظئر: المرضعة غير ولدها، وظئر الرجل: ابنه من الرضاع. لسان العرب (ظار).

(٤) الأخدان: جمع خدن وهو صاحب والرفيق والصدیق. محيط المحيط (خدن).

(٥) أغلب الظن أنه المارستان المنصوري الكبير الذي أنشأه السلطان المنصور بن قلاوون سنة

الملوك، نقشًا عليه، بطيب اسمه في المزيد، وتخليد في الجُدُرات للذكر، وصونًا للمدافن غير المعتادة، في قلب بلده بالمقاصر والأصونة، وترتيل التلاوة، آناء الليل<sup>(١)</sup>، وأطراف النهار. وكل ذلك إنما يُنسب إلى صدقاته، وعلو هِمَّتِه. ويشهد بما ينبتُه الحسُّ إلى المنقبة العظمى، في هذا الباب، من إمداد جبل الفتح، مع كونه في إيالة غيره، وخارج عن مُلكة حُكمه، وما كان من إعانتته، وسدُّ ثُغره، فانهار إليه على خطر السرى، والظهر البعيد المسعى، ما ملأ الأهواء، وقطع طمع العُدَّة، أنفقت عليه الأموال، ما إن مفاتحه لتنوء بالعضبة أولي القوة، بُودر بذلك، بين يدي التفاؤل، بنزول العدو إياه، فكان الكرى<sup>(٢)</sup> على إيصال الطعام إليه، بحساب درهم واحد وربع درهم للرطل من الطعام، منفعة فُذَّة، وحسنة كبرى، وبدعًا من يدع الفتوى.

وفي موقف الاستعداد لعدو الإسلام، من خارق جهاد النفس، إطلاق البنى<sup>(٣)</sup>، للمدة القريبة، والزمان الضيق، باثنين وعشرين ثغرًا من البلاد المجاورة للعدو، والمشاركة الحدود، مع أراضيهِ، المترامية النيران لقرب جوابه، منها ثغر أُرْجِدونة<sup>(٤)</sup>، المستولي عليه الخراب، أنفق في تجديد قَصْبته؛ واتخاذ جُبِه، ما يناهز عشرين ألفًا من الذهب، فهو اليوم شَجَى العدو، ومُعْتَصَم المسلمين، وحصن أشير، وما كان من تحصين جبله بالأسوار والأبراج، على بعد أقطاره، واتخاذ جباب الماء به، واحتفار السانية<sup>(٥)</sup> الهائلة برَبْضِه، ترك بها من الآثار ما يشهد بالقوة لله، والعناية بالإسلام. ثم ختم ذلك بنديد حصن الحمراء، رأس الحضرة، ومَعْقِل الإسلام، ومَفْزَع المُلْك، ومَعْقِد الأيدي، وصِوان المال والدُّخيرة، بعد أن صار قاعًا صفصفًا، وخرابًا بَلْقَعًا، فهو اليوم عروسٌ يُجْلِي المَهْضَب، ويغازل الشهب، سكن لمكانه الإزجاف، وذوت نجوم الأطماع، ونقل إليه مال الجباية، الْمُتَفَضَّل لهذا العهد، بحسب التدبير، ونفد الخراج، وصَوْن الألقاب، وقمع الخِزَانة بما لم يتقدَّم به عهد، من ثمانين سنة، والحمد لله، وتجديد أساطيل الإسلام، وإزاحة علل جيوش المَرْج، وعساكر البحر، فهي لهذا العهد، مَلَس الأديم، شارعة السُّبَا، مُنْقَضَة جفاتها إلى مساواة الأعداء، راكبة ظهور المحاسن، قلقة الموافق، قُدِّمًا إلى الجهاد، قد تعدَّد إغزاؤها، وجاست

(١) آناء الليل: ساعاته.

(٢) الكرى: الأجر.

(٣) البنى: جمع بناء.

(٤) أُرْجِدونة وأرشدونة، بالإسبانية Archidona: قاعدة كورة رِيه، وهي بقبلي قرطبة، ومن مدنها

مالقة، وتبعد عنها ثمانية وعشرين ميلًا. الروض المعطار (ص ٢٥).

(٥) السانية: الساقية.

البحر سوابحها، وتُعرِّفت بركتها، والحمد لله، وأنصاب جيش الجهاد، استغرق الشهور المستقبلية، لرود الصفراء والبيضاء الأهلّة إلى أكف أهلها، على الدوام، بعد أن كانت يتحيّتها المَطل، وينقصها المطال، والحمد لله.

وفي مواقف الجهاد الحسّي، وبيع النفوس من الله، وهو ثمرة الجهاد الأول، ما لا يحتاج عليه إلى دليل، من الجوف<sup>(١)</sup> إلى حصن أشر، قُبَل الثغر، والجارجُ المطلُ على الإسلام، والعزم على افتتاحه، وقد غاب الناس من مساورته، وأغيا عليهم فتحه، فلزمه السلطان بنفسه، بياض يوم القَيْظ، مُحَرِّضًا للمقاتلة، مُواسيًا لهم، خالطًا نفسه بالمُسْتَنْفَرَة، يصابر لهيب النار، ووقع السلاح، وتعميم الدُخان، مُفْدِيًا للكلمات، مُحَرِّضًا لذوي الجراح، مباشرًا الصلاة على الشهداء، إلى أن فتحه الله على يده، بعزمه وصبره، فباشر رَمَّ سوره بيده، وتحصين عَوْرته بنفسه، ينقل إليه الصَّخر، وينال الطَّين، ويخالط الفَعْلَة، لقرب محلّ الطاغية، وتوقع المفاجأة. ثم كان هذا العمل قانونًا مُطَرِّدًا في غيره، وَدَيَدْنَا في سواه، حسبما نذكر في باب الجهاد.

وفي باب النصيحة للمسلمين من مَآزِق الجهاد الأكبر، ما صدر في هذه الدولة، من مخاطبة الكافة، بلسان الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، صَدَعَتْ بذلك الخطباء من فوق أعواد المنابر، وأَسْمَعَتْ آذان المحافل، ما لم يتقدم به عهدٌ في الزمان الغابر.

**نص الكتاب:** وَلَمَّا صَحَّتْ الْأَخْبَارُ بِخُرُوجِ الْأُمَةِ الْإِفْرَنْسِيَّةِ إِلَى اسْتِثْصَالِ هَذِهِ الْبَقِيَّةِ، وَاللَّهُ مَتَمُّ نَوْرِهِ، وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ، صدر من مخاطبة الجمهور في باب التحريض بما نصّه:

«من أمير المسلمين عبد الله محمد ابن مولانا أمير المسلمين أبي الحجاج ابن مولانا أمير المسلمين أبي الوليد نصر، أيده الله ونصره، وأوى أمره، وَخَلَّدَ مَآثِرَهُ، إِلَى أَوْلِيَائِنَا الَّذِينَ تُوقِظُ مِنَ الْغَفْلَةِ أَحْلَامَهُمْ، وَنَدْعُوهُمْ لِمَا يَطْهَرُ مِنَ الْارْتِيَابِ إِيْمَانَهُمْ، وَيُخْلَصُ لَهُ أَسْرَارُهُمْ وَإِعْلَانُهُمْ، يَرِثِي لِعَدَمِ إِحْسَانِهِمْ، وَخِيْبَةِ قِيَاسِهِمْ، وَيَغَارُ مِنْ اسْتِيلَاءِ الْغَفْلَاتِ عَلَى أَنْوَاعِهِمْ وَأَجْنَاسِهِمْ، وَنَسْأَلُ اللَّهَ لَهُمْ وَلَنَا إِقَالَةَ الْعَثَرَاتِ، وَتَخْفِيزَ الشَّدَائِدِ الْمُعْتَوِرَاتِ، وَكَفَّ أَكْفُ الْعَوَادِي الْمُبْتَدِرَاتِ. إِلَى أَهْلِ فَلَانَةِ، دَافِعَ اللَّهَ عَنْ فِتْنَتِهِمُ الْغَرِيبَةِ، وَعَرَّفَهُمْ فِي الذَّرَارِيِّ وَالْحَرَمِ عَوَارِفَ اللَّطَائِفِ الْقَرِيبَةِ، وَتَدَارَكَهُمْ بِالصَّنَائِعِ الْعَجِيبَةِ، سَلَامٌ عَلَيْكُمْ أَجْمَعِينَ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

(١) الجوف في اصطلاح المغاربة الجهة المقابلة للقبلة، أي الشمال. اللوحة البدرية (ص ٢٢، حاشية ٣).

أما بعد حمد الله الذي لا نشرك به أحداً، ولا نجد من دونه مُلتَحداً، مبتلي قلوب المؤمنين أيها أقوى جلدًا، وأبْعَدُ في الصبر مدى، ليزيد الذين اهتدوا هدى، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي أُنْقَذَ من الردى، وتكفل الشفاعة لمن غدا، ضاربًا هام العدا، ومجاهدًا مَن اتخذ مع الله ولدًا، والرضى عن آلِه الذين كانوا لسماء ملته عمدا، فلم ترعهم الكتائب الوافرة وكانوا لهم أقل عدداً، ولا هالتهم أمم الكفر وإن كانت أظهر جمعًا وأكثر عدداً، صلاة لا تنقطع أبدًا، ورضى لا يبلغ مدى. فإننا كتبنا إليكم، كتبكم الله فيمن امتلأ قلبه غضبًا لأعدائه وحميةً، ورمى بفكره غرض السداد، فلم يُخط منه هدفًا ولا رمية. وقد<sup>(١)</sup> اتصل بنا الخبر الذي يوجب نصح الإسلام، ورغى الجوار والدُمام، وما جعل الله تعالى<sup>(٢)</sup> للمأموم على الإمام، فوجب علينا<sup>(٣)</sup> إيقاظكم من مراقدكم المُستغرقة، وجمع أهوائكم المُفترقة<sup>(٤)</sup>، وتهيئكم إلى مصادمة الشدائد المُزعدة المُبرقة، وهو أن كبير<sup>(٥)</sup> النصرانية، الذي إليه يُنقادون، وفي مَرْضاته يُصادقون ويُعادون، وعند رؤية صليبه يكون<sup>(٦)</sup> ويسجدون، لما رأى الفتن قد أكلتهم خَضَمًا وقَضَمًا<sup>(٧)</sup>، وأوسعهم هَضَمًا فلم تُبَق لهم<sup>(٨)</sup> عَصَبًا ولا عَظَمًا، ونثرت ما كان نَظَمًا، أعمل نظره فيما يجمع منهم ما افترق، ويرفع ما طَرَق، ويرفو<sup>(٩)</sup> ما مَرَّق الشَّتات وَخَرَّق، فرمى الإسلام بأمة عددها كالقَطَر<sup>(١٠)</sup> المُثَال، والجراد الذي تضرب به الأمثال، وعاهدهم وقد حضر التمثال، وأمرهم وشأنهم الامتثال، أن يدمنوا<sup>(١١)</sup> لمن ارتضاه<sup>(١٢)</sup> الطاعة، ويجمعوا من<sup>(١٣)</sup> ملته الجماعة، وَيَطْلُعُ الكل على هذه الفئة القليلة الغربية بَعْتَةً كقيام الساعة، وأقْطَعهم، قطع الله بهم، العباد والبلاد، والطَّارِف والتَّلاذ<sup>(١٤)</sup>، وسَوَّغهم الحريم المستضعف<sup>(١٥)</sup> والأولاد، وبالله نَسْتَدْفَع ما لا نُطِيقه، ومنه نسأل عادة الفَرَج، فما سُدَّتْ لديه طريقة، إلَّا آتَا رأينا غَفْلَةَ الناس مع

(١) من هنا حتى الآية الكريمة (إحدى الحُسَيْنَيْن) ورد في نفع الطيب (ج ٦ ص ٢٠٤ - ٢٠٥).

(٢) كلمة «تعالى» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من النفع.

(٣) قوله: «فوجب علينا» ساقط في النفع. (٤) في النفع: «المفترقة».

(٥) في المصدر نفسه: «كبير دين النصرانية». (٦) في المصدر نفسه: «يكبرون».

(٧) خضم الطعام: قطعه وأكله. والقضم: التقطيع بأطراف الأسنان. لسان العرب (خضم) و(قضم).

(٨) كلمة «لهم» ساقطة في النفع.

(٩) في الأصل: «ويرفو» والتصويب من النفع. ويرفو: يرقع. لسان العرب (رفا).

(١٠) في النفع: «القَطَر». (١١) في النفع: «يدموا».

(١٢) في النفع: «ارتضاه من أمته الطاعة». (١٣) في النفع: «في».

(١٤) الطارف: الجديد المستحدث. التلاذ: القديم الموروث. لسان العرب (طرف) و(تلد).

(١٥) كلمة «المستضعف» ساقطة في النفع.



تصميمهم مؤذنةً بالبوار<sup>(١)</sup>، وأشفقنا للذين<sup>(٢)</sup> من وراء البحار، وقد أصبح معظمهم<sup>(٣)</sup> في لهوات الكفار، وأردنا أن نهزهم<sup>(٤)</sup> بالموعظة التي تكحل البصائر بميل الاستبصار، وتلهيكم الاستنصار بالله عند عدم الانتصار، فإن جبر الله الخواطر بالضراعة إليه، والانكسار، ونسخ الإغسار بالإيسار، وأنجد اليمين بانتهاء اليسار، وإلا فقد تعين في الدنيا والآخرة حظُّ الخسار، فإن من ظهر عليه عدو دينه<sup>(٥)</sup>، وهو عن<sup>(٦)</sup> الله مضروف، وبالباطل مشغوف، وبغير العزف معروف، وعلى الحطام المسلوب ملهوف<sup>(٧)</sup>، فقد تله<sup>(٨)</sup> الشيطان للجبين، وخسر<sup>(٩)</sup> الدنيا والآخرة، وذلك<sup>(١٠)</sup> هو الخسران المبين. ومن نفذ فيه قدر الله عن أداء الواجب وبذل المجهود، وآجر<sup>(١١)</sup> بالعبودية وجة الواحد الأحد المعبود، ووطن النفس عن<sup>(١٢)</sup> الشهوات الموبقة في دار الخلود، العائدة بالحياة الدائمة والوجود، أو الظهور على عدوه المحشور إليه المحشود<sup>(١٣)</sup>، صبراً على المقام المحمود، وبيعاً<sup>(١٤)</sup> تكون الملائكة فيه من<sup>(١٥)</sup> الشهود، حتى تعيث<sup>(١٦)</sup> يد الله في ذلك البناء المهدوم، بقوة الله المحمود، والسواد الأعظم الممدود، كان على أمر ربه<sup>(١٧)</sup> بالحياء المردود: ﴿قُلْ هَلْ تَرْتَضُونَ إِنَّا إِلَّا إِحْدَى الْمُسْتَبِينَ وَنَحْنُ نَرْتَضِ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرْتَضُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُّتَرِضُونَ﴾<sup>(١٨)</sup>. فالله<sup>(١٩)</sup> الله في الهمم، فقد خبت<sup>(٢٠)</sup> ريحها. والله الله في العقائد، فقد خفت<sup>(٢١)</sup> مصابيحها. والله الله في الرجولة<sup>(٢٢)</sup>، فقد قلَّ حدُّها. والله الله في الغيرة، فقد نَعَسَ<sup>(٢٣)</sup> جدُّها، والله الله في الدين، فقد طمع

(١) في النفخ: «البوار». والبوار: الهلاك. لسان العرب (بور).

(٢) في النفخ: «للدين المقطع من...». (٣) في النفخ: «مُضَغَّة».

(٤) في النفخ: «نهزكم». (٥) في النفخ: «عدو دين الله تعالى».

(٦) في النفخ: «من». (٧) في النفخ: «عنه ملهوف».

(٨) تله: صرعه، وتله للجبين: صرعه، ومنه قول الله تعالى: ﴿وَتَلَّ لِلْجَبِينِ﴾ سورة الصافات ٣٧، الآية ١٠٣. وانظر محيط المحيط (تلل).

(٩) في النفخ: «وقد خسر». (١٠) في النفخ: «ذلك».

(١١) في النفخ: «وأفرد». (١٢) في النفخ: «على الشهادة المبوءة دار...».

(١٣) في الأصل: «عدوه المحشود إليه...»، والتصويب من النفخ.

(١٤) في النفخ: «وبيعاً من الله تكون». (١٥) كلمة «من» ساقطة في النفخ.

(١٦) في النفخ: «تعين». (١٧) في النفخ: «أمره».

(١٨) سورة التوبة ٩، الآية ٥٢. وهنا ينتهي النص في نفخ الطيب.

(١٩) النص في نفخ الطيب (ج ١٠ ص ٢٣٢). (٢٠) في النفخ: «خدمت».

(٢١) في النفخ: «خبت». (٢٢) في النفخ: «الرجولية».

(٢٣) في النفخ: «تعسر».

العدو في تحويله. والله الله في الحريم، فقد مدَّ إلى استرقاقه يدَ تأميله. والله الله في المساكن التي زحف لسكنائها، والله الله في الجملة التي يريد إطفاء نورها وسناها<sup>(١)</sup>، وقد كمل فضلها وتناهى، والله الله في القرآن العظيم<sup>(٢)</sup>. والله الله في الجيران. والله الله في الطارف والتالد، والله الله في الوطن الذي توارثه الولد عن الوالد. اليوم تستأسد النفوس المهينة، اليوم يستنزل الصبر والسكينة. اليوم<sup>(٣)</sup> تحتاج الهمة أن ترعى هذه النفوس الكريمة الذمم، اليوم يسلك سبيل العزم والحزم والشدة والشمم، اليوم يزجج إلى الله تعالى المصرون، اليوم يفيق من نومه الغافلون<sup>(٤)</sup> والمغتزون، قبل أن يتفاقم الهول، ويحق القول، ويسد الباب، ويحق العذاب، ويسترق بالكفر<sup>(٥)</sup> والرقاب، فالنساء تقي بأنفسهن أولادهن الصغار، والطيور ترفرف لتحمي الأوكار<sup>(٦)</sup>، إذا أحست العياث<sup>(٧)</sup> بأفراخها والإضرار. تمر الأيام عليكم مرَّ السحاب، وذهاب الليالي لكم ذهاب، فلا خبر يفضي إلى العين، ولا حديث في الله تعالى يُسمع بين اثنين، ولا كذ إلا لزينة يحلى بها نحرٌ وجيد، ولا سعي إلا في<sup>(٨)</sup> متاع لا يغني في الشدائد ولا يفيد. وبالأمس نديتم إلى التماس رُحى أو رضى<sup>(٩)</sup> مسخر السحاب، واستقالة كاشف العذاب، وسؤال مرسل الديمة، ومحيي البشر والبهيمة، وقد أمسكت عنكم رحمة السماء؛ واغبرت جوانبكم المخضرة احتياجاً إلى بلالة الماء ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾<sup>(١٠)</sup> وإليها الأكف تمدون، وأبوابها بالدعاء تقصدون، فلم يضرجر<sup>(١١)</sup> منكم عددٌ معتبر، ولا ظهر للإنبابة ولا للصدقة<sup>(١٢)</sup> خبر، وتتوقون عن<sup>(١٣)</sup> إعادة الرغبة إلى الغني<sup>(١٤)</sup> الحميد، والولي الذي ﴿إِنْ يَشَأْ﴾<sup>(١٥)</sup> يذهبكم ويأت بحلق جديد<sup>(١٦)</sup>. وأيم الله لو كان لهم لارتقت الساعات، وضاحت المتسعات، وتزاحمت على جماله وغصت الجماعات<sup>(١٧)</sup>. أتعززا على الله وهو القوي العزيز؟ وتليسا<sup>(١٨)</sup> على الله وهو

(١) في النفع: «إطفاء سناها». (٢) كلمة «العظيم» ساقطة في النفع.

(٣) في النفع: «اليوم ترعى لهذه المساجد الكرام الذمم».

(٤) في المصدر نفسه: «الغفلة المغترون». (٥) في المصدر نفسه: «الكفر الرقاب».

(٦) الأوكار: جمع وكُر وهو عش الطائر. لسان العرب (وكر).

(٧) في النفع: «العياث». (٨) كلمة «في» ساقطة في النفع.

(٩) قوله: «أو رضى» ساقط في النفع. (١٠) سورة الذاريات ٥١، الآية ٢٢.

(١١) يضرجر: يسير في الصحراء. لسان العرب (صحر).

(١٢) في النفع: «ولا الصدقة». (١٣) في النفع: «من».

(١٤) في النفع: «الولي الحميد والغني الدني...».

(١٥) في الأصل: «شاء». (١٦) سورة إبراهيم ١٤، الآية ١٩.

(١٧) في الأصل: «وتزاحمت على أنديته الجماعات».

(١٨) في الأصل: «أتليسا».

الذي يُمَيِّز الخبيث من الطيب والشَّبه من الإبريز؟ أُمْنَابَذَةٌ والنواصي بيده<sup>(١)</sup>؟ أغرورًا في الشدائد<sup>(٢)</sup> بالأمل والرجوعُ بَعْدُ إليه؟. مَنْ يبدأ الخلق ثم يعيده؟ ثم<sup>(٣)</sup> يُنزل الرزق ويفيده؟ مَنْ يُزَجِّعُ إليه في المُلَمَّات؟ مَنْ يُرْجَى في الشدائد والأزمات؟ من يوجد في المَحْيَا والمَمَات؟ أفي الله شكَّ يختلج القلوب؟ أم<sup>(٤)</sup> غيرُ الله يدفعُ المكروه، وَيُيسِّرُ المطلوب؟ تفضلون على اللجأ إليه في الشدائد، بواسمِ الجهل<sup>(٥)</sup>، وثرة الأهل<sup>(٦)</sup> وطائفة منكم قد برزت إلى استسقاء رحمته، تمدُّ إليه الأيدي والرقاب، وتستكشف بالخضوع لعزته<sup>(٧)</sup> العقاب، وتستعجل إلى مواعد<sup>(٨)</sup> إجابته الارتقاب، وكأنكم أنتم<sup>(٩)</sup> عن كَرَمِه قد استغنيتم، أو على الامتناع من الرجوع إليه بَنَيْتُمْ. أما تعلمون كيف كان نبيكم صلوات الله وسلامه عليه من التبليغ باليسير، والاستعداد إلى دار الرحيل<sup>(١٠)</sup> الحقِّ والمسير، ومداومة الجوع، وهَجْر الهجوع، والعمل على الإياب إلى الله والرجوع؟ دَخَلَتْ عليه<sup>(١١)</sup> فاطمة، رضي الله عنها، ويدها كسرة شعير، فقال: ما هذه<sup>(١٢)</sup> يا فاطمة؟ فقالت: يا رسول الله، خَبَزْتُ قرصةً، وأحببت أن تأكل منها. فقال: يا فاطمة، أما أنه أول طعام دخل جوف أبيك منذ ثلاث؟ وكان ﷺ يستغفر في اليوم سبعين مرة، يلتمسُ رَحْمَه، ويقوم وهو المغفور له ما تقدَّم من ذَنْبِه وما تأخَّر، حتى تورَّمت<sup>(١٣)</sup> قدماه، وكان شأنه الجهاد، ودأبه الجِدُّ والاجتهاد، ومواقف صبره تعرفها الرُّبَى والوهاد. فإذا لم تقتدوا به فبمن تقتدون؟ وإذا لم تهتدوا بهديه<sup>(١٤)</sup> فبمن تهتدون؟ وإذا لم تُرضوه باتِّباعكم فكيف تُعْزَون<sup>(١٥)</sup> إليه وتُنسبون؟ وإذا لم ترغبوا في الأتِّصاف بصفاته غضبًا لله تعالى وجهادًا، وتقللاً من العَرَض الأدنى وسُهادًا، ففيم ترغبون؟ فابتروا حبال الآمال، فكلَّ آت قريب، واعتبروا بِمَثَلات ما دَهَمَ<sup>(١٦)</sup> من تقدم من أهل البلاد والقواعد، فذهولكم عنها غريب، وتفكُّروا في منابرها التي كان<sup>(١٧)</sup> يعلوها واعظٌ أو خطيب، ومطيلٌ ومطيب، ومساجدها المتعددة الصفوف، والجماعات

(١) في النفع: «في يديه». (٢) قوله: «في الشدائد» ساقط في النفع.

(٣) في النفع: «مَنْ». (٤) في النفع: «أَنْتُمْ».

(٥) في النفع: «إليه موائد الفضل، ونزه الجهل». (٦) قوله: «ثرة الأهل» ساقطة في النفع.

(٧) في النفع: «لعظمته». (٨) في النفع: «مواعيد».

(٩) كلمة «أنتم» ساقطة في النفع.

(١٠) في النفع: «والاستعداد للرحيل إلى دار الحق...».

(١١) كلمة «عليه» ساقطة في النفع. (١٢) في النفع: «هذا».

(١٣) في النفع: «ورمت». (١٤) في النفع: «به».

(١٥) تعتزون: تنتسبون إليه. لسان العرب (عزا). (١٦) قوله: «ما دهم» ساقط في النفع.

(١٧) في النفع: «التي يعلو عليها واعظ وخطيب».

المعمورة بأنواع الطاعات<sup>(١)</sup>، وكيف أخذ الله فيها بذنب المترفين من دونهم، وعاقب الجمهور بما أغمضوا<sup>(٢)</sup> عيونهم، وساءت بالغفلة عن الله عُقى جميعهم، وذهبت النقمات بعاصيهم، ومن داهن في أمره من مطيعهم، وأصبحت مساجدهم مناصب للصلبان، واستبدلت مآذنه بالنواقيس من الأذان. هذا والناس ناس، والزمان زمان. فما هذه الغفلة عن من إليه الرجعى وإليه المصير؟ وإلى متى التساهل في حقوقه وهو السميع البصير؟ وحتى متى مدّ الأمل في الزمن القصير؟ وإلى متى نسيان اللجأ إلى الولي النصير؟ قد تداعت الصلبان مُجلبة<sup>(٣)</sup> عليكم، وتحركت الطواغيت من كل جهة إليكم. أفيخذلكم الشيطان وكتاب الله قائم فيكم؟ وألسنة الآيات تناديكُم؟ لم تُنم سطورها، ولا احتجب نورها، وأنتم بقايا من افتتحها<sup>(٤)</sup> من عدد قليل، وصابر فيها كل خطب جليل، فوالله لو تمحّض الإيمان، ورضي الرحمن، ما ظهر التثليث في هذه الجزيرة على التوحيد، ولا عديم الإسلام فيها عزم<sup>(٥)</sup> التأيد. ولكن شمل الداء، وصمّ النداء، وعميت الأبصار، فكيف الاهتداء والباب مفتوح، والفضل ممنوح؟ فتعالوا نستغفر الله جميعاً، فهو الغفور الرحيم، ونستقبل مُقبل العثرات<sup>(٦)</sup>، فهو الرؤوف الحليم، ونصرف الوجوه إلى الاعتراف بما قدّمت أيدينا، فقبول المعاذير من شأن الكريم. سُدّت الأبواب، وضعفت الأسباب، وانقطعت الآمال إلا منك يا كريم<sup>(٧)</sup>، يا فتاح، يا وهّاب ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن نَّصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾<sup>(٨)</sup> ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَلِيلُوا الَّذِينَ يَكُونُكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلَيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾<sup>(٩)</sup> ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾<sup>(١٠)</sup> ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَانْفِرُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾<sup>(١١)</sup>. أعدوا الخيل وارتبطوها، وروّضوا النفوس على الشهادة واغبطوها<sup>(١٢)</sup>، فمن خاف الموت رضي بالدينّة، ولا بدّ على كل حال من المنيّة، والحياة مع الدّل ليست من شيم<sup>(١٣)</sup> أهل العقول والنفوس السنيّة، واقتنوا السلاح والعدّة، وتعرّفوا إلى الله في الرّخاء يعرفكم في الشدّة، واستشعروا القوة بالله تعالى على أعدائه وأعدائكم، واستميتوا من دون أبنائكم، وكونوا كالبنّيان<sup>(١٤)</sup> المرصوص

(١) في النفع: «الطاعة».

(٢) في النفع: «متركمة».

(٣) في النفع: «عادة».

(٤) في النفع: «العتار».

(٥) سورة محمد ٤٧، الآية ٧.

(٦) سورة آل عمران ٣، الآية ١٣٩.

(٧) في النفع: «وغيظوها».

(٨) في النفع: «كالبنّان».

(٩) في النفع: «الطاعة».

(١٠) في النفع: «متركمة».

(١١) في النفع: «عادة».

(١٢) قوله: «يا كريم» ساقط في النفع.

(١٣) سورة التوبة ٩، الآية ١٢٣.

(١٤) سورة آل عمران ٣، الآية ٢٠٠.

(١٥) في النفع: «شيم النفوس السنيّة».

لحملات العدو<sup>(١)</sup> النازل بفنائكم، وخطوا<sup>(٢)</sup> بالتعويل على الله وخدة بلادكم، واشتروا من الله جلّ جلاله أبناءكم<sup>(٣)</sup>.

ذكروا أنّ امرأة احتَمَلَ السبع ولدها، وشكّت إلى بعض الصالحين، فأشار عليها بالصدقة فتصدّقت برغيف، فأطلق السبع ولدها. وسمعت النداء: يا هذه، لُقْمَةٌ بلقمة، وإنّا لما استودعناه لحافظون. اهجروا<sup>(٤)</sup> الشهوات، واستدركوا الباقيات<sup>(٥)</sup> من قبل الفوات، وأفضّلوا<sup>(٦)</sup> لمساكينكم من الأقوات، واخشعوا لما أنزل الله تعالى من الآيات، وخذوا نفوسكم بالصبر على الأزمات، والمواساة في المهمّات، وأيقظوا جفونكم من السّنين. واعلموا أنكم رُضِعَ<sup>(٧)</sup> نُدِي كلمة التوحيد، وجيران البلد الغريب، والدّين الوحيد، وحزب التّمحيص، ونَفَر المرام العويص<sup>(٨)</sup>، فتفقّدوا مُعاملتكم<sup>(٩)</sup> مع الله تعالى، فمهما رأيتم<sup>(١٠)</sup> الصّدق غالبًا، والقلب للمولى الكريم مراقبًا، وشهاب اليقين<sup>(١١)</sup> ثاقبًا، فثقوا بعناية الله التي لا يَغْلِبكم معها غالب، ولا ينالكم من أجلها<sup>(١٢)</sup> عدوٌّ مُطالب، وأنكم<sup>(١٣)</sup> في السّتر الكثيف، وعصمة<sup>(١٤)</sup> الخبير اللّطيف. ومهما رأيتم الخواطر مُتَبَدِّدة، والظنون بالله متردّدة، والجهات التي تخاف وتزجى متعدّدة، والغفلة عن الله ملابسها<sup>(١٥)</sup> مُتجدّدة، وعادة دواعي الخذلان دائمة، وأسواق الشهوات قائمة، واعلموا<sup>(١٦)</sup> أنّ الله منقذ فيكم وعدّه ووعدّه في الأمم الغافلين، وأنكم قد ظلمتم أنفسكم ولا عدوان إلّا على الظّالمين. والتوبة تَرُدُّ الشارد والله يحبُّ التّوابين، ويحبُّ المُتطهّرين، وهو القائل: ﴿إِنَّ أَحْسَنَ يَدِينِ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّاكِرِينَ﴾<sup>(١٧)</sup>. وما أقرب صلاح الأحوال، إذا صلّحت العزائم، وتوالى على حزب الشيطان الهزائم، وخُملت الدّنيا الدّنية في العيون، وصدقت فيها عند الله الظّنون: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾<sup>(١٨)</sup>.

(١) في النفع: «هذا العدو».

(٢) في النفع: «أولادكم».

(٣) في النفع: «البقية من بعد الفوات».

(٤) أفضل من الشيء: ترك منه بقية. محيط المحيط (فضل).

(٥) في النفع: «رضعاء».

(٦) في النفع: «معاملاتكم».

(٧) في النفع: «البنين».

(٨) في النفع: «فإنكم».

(٩) في النفع: «ملاسمها».

(١٠) في النفع: «فاعلموا».

(١١) سورة هود ١١، الآية ١١٤.

(١٢) سورة فاطر ٣٥، الآية ٥.

وثُوبوا<sup>(١)</sup> سراعًا إلى طهارة القلوب، وإزالة الشُّوب<sup>(٢)</sup>، واقصدوا أبواب غافر الذنوب<sup>(٣)</sup> وقابل الثوب، واعلموا أنَّ سوء الأدب مع الله يفتح أبواب الشدائد، ويسدُّ طريق<sup>(٤)</sup> العوائد، فلا تَمْطُلُوا بالتوبة أزمانكم، ولا تأمنوا مكر الله فتَغشَوْا إيمانكم، ولا تَعْلَقُوا متابكم بالصُّرائر<sup>(٥)</sup>، فهو عَلام السرائر، وإنما علينا معاشر الأولياء<sup>(٦)</sup> أن نُنصَحكم وإن كُنَّا أولى بالنَّصيحة، ونعتمدكم بالموعظة الصريحة، الصادرة - عَلِمَ الله - عن صدق القرية، وإن شاركناكم في الغفلة، فقد ناديناكم<sup>(٧)</sup> إلى الاستِزْجاع والاستغفار، وإنما لكم لدنيا<sup>(٨)</sup> نفسٌ مبدولة في جهاد الكفار، وتقدُّم<sup>(٩)</sup> إلى ربِّكم العزيز الغفار، وتقدُّم لديكم إلى مواقف الصُّبر التي لا تَرْتَضِي<sup>(١٠)</sup> بتوفيق الله الفَرار، واجتهاد فيما يعود بالحُسنى وعُقْبى الدَّار، والاختيار لله وليّ الاختيار، ومُصْرَف الأقدار. وها نحن نسرع في الخروج إلى مدافعة هذا العَدُو، ونفدي بنفوسنا البلاد والعباد، والحرِّم المُستضعف والأولاد، ونُضَلِّي<sup>(١١)</sup> من دونهم نارَ الجِلال، ونُسْتَوْهب منكم الدُّعاء إلى<sup>(١٢)</sup> مَنْ وَعَدَ بإجابته، وتَقَبَّلَ<sup>(١٣)</sup> مَنْ صَرَفَ إليه وَجَهَ إجابته. اللَّهُمَّ كُنْ لَنَا فِي هَذَا الانْقِطَاعِ<sup>(١٤)</sup> نَصِيرًا، وعلى أعدائك ظهيرًا، ومن انتقام عِبْدَةِ الأصنام مُجِيرًا<sup>(١٥)</sup>. اللَّهُمَّ قُوَّ مَنْ ضَعُفَتْ حِيلَتُهُ، فأنت القوي المعين، وانصر مَنْ لا نصير له إِلَّا أَنْتَ، إياك<sup>(١٦)</sup> نَعْبُدُ، وإياك نُسْتَعِينُ. اللَّهُمَّ ثَبَّتْ أَقْدَامَنَا وَأَنْصُرْنَا عِنْدَ تَزَلُّلِ الْأَقْدَامِ، وَلَا تُسَلِّمْنَا عِنْدَ لِقَاءِ عَدُوِّ الْإِسْلَامِ، فَقَدْ أَلْقَيْنَا إِلَيْكَ يَدَ الْاسْتِسْلَامِ. اللَّهُمَّ دَافِعْ بِمَلَائِكَتِكَ الْمُسَوِّمِينَ، [عَمَّنْ ضُيِّقَتْ أَرْجَاؤُهُ، وانقطع إِلَّا مِنْكَ رَجَاؤُهُ. اللَّهُمَّ هَيِّئْ لضعفائنا، وكلُّنا ضعيفٌ فقيرٌ، إليك، ذليلٌ بين يديك حقيرٌ، رحمةً تُروى بِالْأَزْمَةِ وتُشَبِّعُ، وقوةً تطرد وتُسْتَنْبِيعُ. يَا غَلَابَ الْغُلَابِ، يَا هَازِمَ الْأَحْزَابِ، يَا كَرِيمَ الْعَوَائِدِ، يَا مُفَرِّجَ الشَّدَائِدِ، رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا، وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا، وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ<sup>(١٧)</sup>]. اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا<sup>(١٨)</sup> مِمَّنْ تَبْقِظُ فِتْقَظًا، وَذَكَرَ

(١) ثَاب: رَجَعَ. لسان العرب (ثوب).

(٢) الشُّوب: المخالط من الأدران - لسان العرب (شوب).

(٣) في النفع: «الذنب». (٤) في النفع: «طرق».

(٥) في النفع: «بالضرائر». (٦) قوله: «معاشر الأولياء» ساقط في النفع.

(٧) في النفع: «سبقناكم». (٨) في الأصل: «الدنيا» والتصويب من النفع.

(٩) في النفع: «وتقدم قبلكم إلى مواقف الصبر...».

(١٠) في النفع: «ترضى بالفرار».

(١١) نُضَلِّي النَّارَ: نحترق بها. قال الله تعالى: ﴿لَا يَسْلَمْنَ إِلَّا آلَ الْأَنْبِيَاءِ﴾ سورة الليل ٩٢، الآية ١٥.

(١٢) في النفع: «لمن». (١٣) في النفع: «فإنه يقبل».

(١٤) في النفع: «كفيلًا». (١٥) في النفع: «كفيلًا».

(١٦) في النفع: «فإياك». (١٧) ما بين قوسين ساقط في نفع الطيب.

(١٨) في النفع: «اللهم اجعلنا على تيقظ وتذكر مَنْ قال...».

فَتَذَكَّرْ، وَمَنْ ﴿قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ (١٧٣) فَأَنْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسَّ لَهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ (١). وقد وَرَدَتْ علينا المخاطبات من قِبَل (٢) إخواننا المسلمين الذين عَرَفْنَا في القديم والحديث اجتهداهم، وشكرنا في ذات الله تعالى جِهادَهُم، بني مَرِين، أولي الامتِعاَضِ لله والْحَمِيَّةِ، والمُخصَّصين بين القبائل الكريمة بهذه المِزِيَّة، بعِزَمِهِم على الامتِعاَضِ لحَقِّ الجِوار، والمُصَارَخَةِ التي تليق بالأحرار، والثَّفَرَةِ لانتهاك ذِمَارِ نَبِيَّتِهِمْ (٣) المُختار، وحركة سُلطانِهِمْ (٤) محلُّ أخينا بمن له من الأولياء والأنصار، إلى الإعانة على هؤلاء الكُفَّار، ومُدافعة أحزاب الشيطان وأهل النار، فاسألوا الله تعالى إعانتَهُم على هذا المَقْصِدِ الكريم الآثار، والسعي الضَّمين للعِزِّ والأجر والفَخار، والسَّلام الكريم يَخْصُكُمْ أيها الأولياء، ورحمة الله وبركاته (٥). في الثاني عشر من شهر رمضان المعظم من عام سبع وستين وسبعمائة. عَرَفْنَا الله خيرَه، صَحَّ هذا، فكان دِفَاعُ الله أقوى، وعِصْمَتُهُ أَكْفَى. والحمد لله على عوائده الحُسنى.

ومن الغيرة على الدين، وتَغْيِيرِ أحوال الملحدين، من مَازَقِ جِهاد النفس، ما وقع به العمل من إخماد البِدْع، وإذهاب الآراء المضلة، والاشْتِدَادِ على أهل الزَّيْغ والزَّنْدَقَةِ. وقد أَضَاقَتْ أرباب هذه الأضاليل الشريعة، وسُدَّتْ مَضَرُّهُم في الكافَّة، فَيَسَلُطُ عليهم الحُكَّام، واستدعيت الشهادات، وأخذهم التَّشْريد، فهل تُحِسُّ منهم أَحَدًا، أو تسمع لهم رِكْزًا؟

وَقُيِّدَ في ذلك عني مقالات أخرى. منها رسالة «الغيرة على أهل الحيرة»، ورسالة «حَمَلُ الجمهور على السنن المشهور». ورسالة «أَنْشَدْتُ على أهل الرَّد». فارتفع الخوض، وكسَدَتْ تلك الأسواق الخبيثة، وضُمَّ منها الصُّدى، ووضَّح نار الهدى، والحمد لله، ولو تتبعت مناقب الهدى، لأخرج ذلك عن الغرض.

**الأحداث:** وفي غرة ذي الحجة كانت الثورة الشَّنعاء المُجْحفة بالدولة، وقد كان السلطان أَثْنَرُ بَطَائِفَة، تُدَاخِلُ بعض القِرابَةِ، فعاجَلَهُ بالقبض عليه، وهو في محل ولايته، فَصُفِّدَ وأُخْمِلَ إلى قَصْبَةِ أَلْمَرِيَّةِ، وخاف أرباب المكيدة افتضاح الأمر، فتعَجَّلُوا إبراز الكامن، وإظهار الحَبِثِ، وتولَّى ذلك جُمْلَةٌ من بني غرون دُنَابِي بيت

(١) سورة آل عمران ٣، الآيتان ١٧٣، ١٧٤. (٢) في النفع: «من إخواننا».

(٣) في الأصل: «بيتهم» والتصويب من النفع.

(٤) في النفع: «سلطانهم بتلك الأقطار والأمصار، ومُدافعة...».

(٥) هنا ينتهي النص في نفع الطيب.

الإدبار، وقد عابهم من بني مطرون، يدور أمرهم على الدليل البركي<sup>(١)</sup>، فأكذب الله دَعْوَتَهُمْ، بعد أن أركبوا الشيخ علياً بن نصر، ونصبوه تلقاء القلعة بباب البُنود<sup>(٢)</sup>، ودَعَوْا الناس إلى بيعته. وأخذ السلطان جذره، وناصبهم القتال، وأشاع العطا، واستركب الجيش. وعَمَّر الأسوار، فأخفق القصد، وفَرَّ الدليل البركي، وتَقَبَّضَ على الرئيس المذكور، وجعل الله العاقبة الحسنة للسلطان.

وكان ممَّا أَمَلِيَتْهُ يومئذ بين يدي السلطان، من الكلام المُزْسَل، ما هو نصه، بعد الصُّدر: وإلى هذا فَمِمَّا أَفَادَتْهُ الْفِطْرُ السليمة، والجِلْم والقَضَاءُ بالشرعية، والنَّقْلُ الشرعي والسَّنَ الْمَرْعي، أَنَّ مُغَالِبَ الْحَقِّ مَغْلُوبٌ، ومزاحمَ الله مهزومٌ، ومكابرَ الْبُزْهَانَ بِالْجَهْلِ مَوْسُومٌ، ومرتع الْغَيِّ مهجورٌ، وسيفُ الْعُدْوَانِ مفلولٌ، وحظُّ الشيطان مَوْكُوسٌ، وحزبُ السلطان منصور. ولا خفاءُ بِنِعْمَةِ الله علينا، التي اطَّرَدَهَا فِي الْمَوَاطِنِ الْعَدِيدَةِ؛ وَالْهَضْبَاتِ الْبَعِيدَةِ، وَالشُّبُهَاتِ غَيْرِ الْمُيِّنَةِ، وَالظُّلُمَاتِ الْكَثِيفَةِ، مَعْلُنٌ بِوُفُورِ الْحِظِّ مِنْ رَحْمَتِهِ، وَإِبْرَازِ الْقِدَاحِ فِي مَجَالِ كَرَامَتِهِ، وَالِاخْتِصَاصِ بِسِيمَا اخْتِيَارِهِ، فَجَعَلَ الْعَصْمَةَ لَيْلَةَ الْحَادِثِ عَلَيْنَا مِنْ دُونِ مَضْجَعِ أَمَانَا، وَنَهَجَ لَنَا سَبِيلَ التَّجَاةِ بَيْنَ يَدَيِ كَسْبِهِ عَلَيْنَا، وَسَخَّرَ لَنَا ظَهْرِي الطَّرِيفِ وَالطَّرِيقِ، بعد أن فَرَّقَ لَنَا بَحْرَ اللَّيْلِ، وَأَوْضَحَ لَنَا خَفِيَّ الْمَسْلَكِ، وَعَبَّدَ لَنَا عَاصِيِي الْحَزْمِ، وَدَمَّتْ غَمْرُ الشُّغْرَاءِ<sup>(٣)</sup>، وَأَوْطَأْنَا صَهْوَةَ الْمَنَعَةِ، وَضَرَبَ وَجْهَ الشُّرْذِمَةِ الْمُتَبِعَةِ، بعد أن رَكُضُوا قَنِيْبَ الْبِرَازِنِ الْبَادِئَةِ، مِنْ خَزَائِنِ إِهْدَائِنَا، أَلْمَتَجَمَّلَةِ بِحَلِي رَكْبِنَا؛ وَتَحَمَّلُوا السِّلَاحَ وَالرِّيَاشَ الْمُخْتَارَ مِنْ أَثَرِ صِلَاتِنَا، وَأَبْهَرُوا الْأَنْفَاسَ الَّتِي طَالَ مَا رَفَعَهَا إِيْنَانُنَا وَأَبْلَغَهَا الرِّيقُ تَأْمِينُنَا، وَصَبَّبُوا الْعَرَقَ الَّذِي أَفْضَلُهُ طَعْمَانَا، شَرِهَيْنِ إِلَى دَمِنَا، الْمَخْظُورَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، الْمَحْوَطَ بِسِيَاجِ الْبَيْعَةِ، الْمَحْصَنَ عَنْهُمْ بِتَقْدِيمِ النُّعْمَةِ، وَحُزْمَةِ الْأَبِ وَمُتَعَدِّدِ الْأَذْمَةِ، فَجَعَلَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ حَاجِزًا، وَسَدًّا لِيَأْجُوجُهُمْ مِنَ الْمَرْدَةِ مَانِعًا، وَانْقَلَبُوا يَعْضُونَ الْأَنَامِلَ الْعَضَّةَ مِنْ سُرَيْطِ جَفَانِنَا، وَيَقْلَبُونَ الْأَكْفَ الَّتِي أَجْدَبَهَا الدَّهْرُ، تَرْفِيْعًا مِنَ الْمَهَنِ الْمُتَرْتِبَةِ فِي خِدْمَتِنَا، قَدْ حَالَهُمْ صِغَارُ الْقَدْرِ، وَذُلُّ الْخَيْبَةِ، وَكَبَحَ اللَّهُ جَمَاعَتَهُمْ عَنِ التَّنْفِقِ بِتِلْكَ الْوَسِيلَةِ. وَاحْتَلَلْنَا قَصْبَةَ وَادِي آشٍ، لَا نَمْلِكُ إِلَّا أَنْفُسَنَا، لَمْ يَشْبُهَا غَشُّ الْمَلَّةِ، وَلَا كِيَادُ الْأَمَّةِ، وَلَا دَنَسُهَا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَارُ الْفَاحِشَةِ، وَلَا وَسَمُهَا الشُّومُ فِي الْوَلَايَةِ، وَلَا

(١) الدليل البركي: هو أحد وزراء سلطان غرناطة، الغني بالله.

(٢) باب البنود: من أبواب غرناطة، يفصله عن قصبة الحمراء نهر خدره، وما يزال هذا الباب قائماً حتى اليوم. راجع نهاية الأندلس للأستاذ محمد عبد الله عنان (ص ٢١) ومملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر للدكتورة مريم قاسم طويل (ص ٢٩٤).

(٣) الشُّغْرَاءُ: الأرض الكثيرة الشجر. محيط المحيط (شعر).



أحبط عمل نجابتها دَخَلَ العقيدة، ولا مرضُ السَّريرة، مذ سَلَمْنَا المَقَادَةَ لمن عَطَفَ علينا القلوب، وصَيَّرَ إلينا مُلْكًا أبينا من غير حَوْل ولا حيلة، نرى أَنَّهَا أَمَلَكُ لِحَرَمَتِنَا، وأَعْلَمُ بما كُنَّا، وأَرْحَمُ بنا، فتَشَبَّثَ بها القَدَمُ، وَحَمِيَتْ لَنَا من أهلها، رعاها الله الهَمَمُ، وَصَدَقَتْ في الذَّبِّ عَنَّا العِزَّاتُ، وحاصرنا جيشُ العدو، وأولياءُ الشياطين، وظهر الباطل، فبان الظُّفَرُ والاستقبال، وَظَهَرَتِ الفِتْنَةُ القليلة، والله مع الصابرين، فَعُغِّلُوا هناك وانقلبوا صاغرين. ومع ما لنا من الضِّيق، وأَهْمُنَا من الأمر، فلم نُطْلَقْ به غارة، ولا شَرِهْنَا إلى تغيير نعمة، ولا سَرَخْنَا عَنَّا اكتساحٌ على هجمة، ولا شِعْنَا لِنِسَا في بيتٍ ولا حُلَّة، وأَمْسَكْنَا الأَرْماقَ بِيَسِيرِ الحلال الذي اشتملته خزائننا من أغشار وَزَكَّوات، وحظوظ من زِراعات، وارتقينا الفَرْجَ مِمَّنْ مَحَصَّ بالشُّدة، والإقالة ممن نَبَّه من الغفلة، وألَّهَمَّ الإقلاق والثَّوبَةَ. ثم وَقَفْنَا سبْحانَه، وألَّهْمْنَا من أَمْرِنَا رَشَدًا، وسلك بنا طريقًا في بَحرِ الفِتْنَةِ يَبْسَا، فِذْناه بحقن الدماء، وتأمين الأزْجاء، وشَكَرْنَا على البَلَاءِ؛ كَشُكْرِنَا إِيَّاهُ على الآلَاءِ. وَخَرَجْنَا على الأندلس، ولقد كاد، لولا عِصْمَتُهُ، بأن نذهب مذاهب الزُّوراء، وَنَسْتَأْصِلَ الشَّافَةَ<sup>(١)</sup>، وَنَسْتَأْصِلَ العَرْصَةَ<sup>(٢)</sup>، سبْحانَه ما أكْمَلَ صُنْعَه، وأَجْمَلَ عَلَيْنَا سِتْرَه، إلى أن جُزْنَا البحر، وَلِحِقْنَا بجوار سلطان المغرب. لم تَنْبُ عَنَّا عَيْنٌ، ولا شَمَخَ عَلَيْنَا أَنْفٌ، ولا حَمَلَ عَلَيْنَا بَرْكَبٌ<sup>(٣)</sup>، ولا هَتَفَتْ حولنا غاشية، ولا نُزِعَ عَنَّا للتقوى والعَفَافِ سِتْرٌ، بل كان الناس يُوجِبُونَ لَنَا الحَقَّ الذي أَغْفَلَهُ الأوغاد من أبناء دولتنا، والضَّفَادِعَ ببركة نعمتنا، حتى إذا الناس عافوا الصَّيْحَةَ، وَتَمَلُّوا الحسرة، وسِيمُوا الخَسار والخيبة، وسامهم الطَّغَامُ<sup>(٤)</sup> الذين يرجون الله وقارًا، ولا يألون لشعائره المعظَّمة احتقارًا، كلابُ الأَطْماع، وَعَبْدَةُ الطَّاغُوتِ<sup>(٥)</sup>، ومدبِّرو حُجُوجِ الجهل، وميائيس أسواق البُعد عن الرُّبِّ، وعرائس مَحْرَمِ الزينة، وَدُودُ القَرْزِ، وَثِغَارُ النَّهْمِ الأَعزَّة على المؤمنين بالباطل، الأَذَلَّة في أنفُسِهِم بالحق، ممن لا يُحَسِّنُ المحاولة، ولا يُلَازِمُ الصُّهْوة، ولا يحمل السلاح، ولا يُنْزِعُ مجتمَعِ الحِشْمَةِ عن الفحشاء، ولا يُطْعِمُ المسكين، ولا يشعر بوجود الله، جاروا من شَقِيهِمُ المحروم، على مضعوفٍ مُلْتَفٍّ في الحَرَمِ المحصور، مُحْتَفٍّ بلُطْفِ المهد، مُعَلَّلٌ بالخداع، مسلوب الجِراءَ بأيدي انتهازهم، شَوْمٌ على الإسلام، ومعرَّةٌ في وجه الدين، أخذ الله

(١) الشَّافَةُ: قرحة تخرج في أسفل القدم، وإذا قُطعت مات صاحبها، وقوله: استأصل شافته: أي أذهب كما تذهب تلك القرحة، أو أزاله من أصله. محيط المحيط (شاف).

(٢) العَرْصَةُ: ساحة الدار. محيط المحيط (عرص).

(٣) الركب: الجماعة من عشرة فصاعدًا. محيط المحيط (ركب).

(٤) الطَّغَام: أوغاد الناس، الواحد والجمع فيه سواء. محيط المحيط (طغم).

(٥) الطَّاغُوت: اللَّاتُ والعُزَّى، والشيطان، والأصنام. محيط المحيط (طغا).

منهم حق الشريعة، وأنصف أنمة الملة، فلم ينشبا أن تهارشوا، فعُضَّ بعضهم، واستأصلهم البغي، وألحم للسيف، وتفنن القتل، فمن بين مُجدَّل يُوارى بأحلاس الدواب الوبرة، وغريق يُزفُّ به إلى سوء الميته، واستُبينت حُرمة الله، واستُضميم الدين، واستُبيحت المحرّمات، واستُبضعت الفروج في غير الرّشدة، وساءت في عدوِّ الدين الحيلة، فتحركنا عن اتفاق من أرباب الفُتيا، وعزم من أولي الحرية، وتحريض من أولي الحفيظة والهمة، وتداخِر من الشوكة، وتحريك من وراء البحر من الأمة، فكان ما قد علمتم من تَسكين الثائرة وإشكا العديم، وإِضمات الصارخ، وسُغب الثأى<sup>(١)</sup>، ومعالجة البلوى، وتدارك القَطَر، وقد أَشْفَى، وكشف الضرِّ والبأسا، أما الحَبوة فالتمسها، وجَلَّ الرَّبِّ، واستشاط عليها جوُّ السماء. وأما مرافق البحر ومرافذه، فسَدَّت طرقها أساطيلُ الأعداء. وأما الحَمِيَّة، فبدَّدها فسادُ السيرة، وغَمَط الحق، وتفضيل الأذى. وأما المال، فاضطَلَم السَّفَه بيضاءً وصفراءً، وكبس خزائنه حتى وقع الإِدقاع والإعدام، وأقوى العامر، وافتَقرت المجابي والمغابن، واغترَبت جفون السيوف من حُلاها، وجردتموا الآلة إلى أعلاها، والدَّغَل المُستَبطن الفاضح، ويمحض الحين، وأسلمت للدواء العَرْضة، وتخرَّبت الثغور من غير مُدافعة، واكتُسحت الجهات فلم يُترك بها نافخ، ووقع القول، وحقَّ الَهْت، وخُذِل الناصر، وتبرَّأت الأواصر، فحاكمتنا العدو إلى النُصفه، ولم نقره على الدنيَّة، وبايَّناه أحوَج ما كُنَّا إلى كَذحه، وأطمع ما أصبحنا في مظاهرتة على الكفار مثله، اعتزازاً بالله، وثقةً به، ولجأً إليه، وتوكلاً عليه، سبَّحانه ما أبهر قدرته، وأسرع نُصرتة، وأوجى أمره، وأشدَّ قهره. وزَكَبنا بحر الخطر، بجيش من التجربة، ونَهَذنا قُدماً، لا نهاب الهول ولا نراقبه، وأطللنا على أحوال رَيِّه<sup>(٢)</sup> في الجمع القليل، إلّا من مدد الصبر المفرد، إلّا مِنْ مَظاهرة الله الغُفل، إلّا مِنْ زينة الحق المُظَلَّل جناح عقابه يجتاح الروح، تُسدَّ جياؤه بصهيل العزِّ، المطالعة غُرَّه بطليعة النصر. فلَمَّا أَحَسَّ بنا المؤمنون المُطَهِّرون بساحتهم انتزَوا من عِقال الإيالة الظالمة، والدَّعوة الفاجرة، وتبرأوا من الشُّرذمة الغاوية، والطائفة المُناصبه لله المحاربة، وأقبلوا تُنِيَّات وأفراداً، وزُرافات ووحداناً، ينظرون بعيون لم تُزو من غَيْبتنا، من مُحيا رحمة، ولا اكتحلت بمنظر رافية، ووجوه عليها قسوة الحَسف، وإِشار عليها بوسُ الجَهد، يتعلَّقون بأذيالنا تعلق الغريق، يثنون من الجوع والخوف أنين المرضى، ويجهشون بالبكاء، ويُعلنون لله ولنا بالشكوى، فعرفناهم الأمان من الأعداء، وأول عارفة جعلونا

(١) الثأى والثأى: الضعف والركاكة، وآثار الجرح.

(٢) رَيِّه: كورة من كور الأندلس كثيرة الخيرات. الروض المعطار (ص ٢٧٩).

عليهم، وصرفنا وجه التأمين والتأنيس، وجميل الوُدِّ إليهم، وخازَظْناهم<sup>(١)</sup> الإجهاش والرُّقعة، ووَثَّبنا<sup>(٢)</sup> لهم من الذَّلَّة، واستولينا على دار الملك ببلدهم، فأنزلنا منها أخابيث كان الأشقياء مُخْلَفُوهم بها، من أخلاف لا يزال تطأ إيشارهم الحدود، وتأنف من استكفائهم اليهود، واثالت علينا البلاد، وسَمَر الطاغية ذيله عن الجهات، وراجع الإسلام رَمَق الحياة، وحَثَّنا السير إلى دار الملك، وقد فرَّ عنها الشقي الغاصب، بشوكة بغيه، التي أمدته في الغي، وأجزته على حُرمة الله. وقصد دار قَشْتالة، بكل ما صائت الحقاق من ذخيرة، وحجبت الأمهاء من خرزة ثمينة، يتوعدون المسلمين بإدالة الكفر من الإيمان، واقتياد جيوش الصُّلبان، وشَد الحيازِم إلى تبديل الأرض غير الأرض، وسَوِّم الدين، وطمس معالم الحق، كياداً لرسول الله في أمته، ومناصبه له في حنيفيته، وتبديلاً لنعمة الله كُفْراً، ولمعروف الحق نُكْراً، أصبح له الناس على مثل الرُّضف، يرتقبون إطلال الكريهة، وسقوط الظُّلَّة، وعودة الكَرَّة، وعُقْبى المَعَرَّة، والله من ورائهم مُحيط، وبما يعملون محيط، ولدعاء المستضعفين من المؤمنين مُجيب، ومنهم وإن قعدوا في أقصى الأرض قريب. ولم نُقدِّم مذ حللنا بدار الملك شيئاً على مراسلة صاحب قشتالة في أمره، نناشده العَهْد، ونُطْري له الوفاء، ونُناجزه إلى الحق، ونقوده إلى حُسْن التلطف، إلى الذي نشاء من الأمن، فحسم الداء، واجتث الأعداء، وناصح الإسلام وهو أعدا عدوه، وحَزَم الدين، وهو المعطل من أذوائه، وصارت صُغرى عناية الله بنا، التي كانت العُظمى، واندرجت أولاهها في الأخرى، وأتت ركائب اليُمن واليَمين تترى، ورأى المؤمنون أن الله لم يخلق هذا الصُّفْع سدى ولا هباء عبثاً، وأن له فينا خبيثة غيب، وسرَّ عناية، يبلِّغنا إياها، ويَطوِّقنا طوقها، لا مانع لعطائه، ولا مُعدَّد لآلائه، له الحمد ملء أرضه وسمائه.

فمن اضطردت له هذه العجائب، فحملته عوائق الاستقامة مزية جيوب التقوى، كيف لا يتمنى، ويدين الله بمناصحته، ويحذر عناد الله بمخالفته، ويخشى عاقبة أمره، إنها لا تُغمي الأبصار، ولكن تُغمي القلوب التي في الصدور. فقلَّمنا أظفار المطالبة وأغضينا عن البقية وسوغنا من كشف وجهه في حَرْبنا نعمة الإبقاء، وأقْطَعنا رَجَم مَنْ قطع طاعتنا جانب الصَّفْح، وأدْرزنا لكثير ممن شَحَّ عَنَّا ولو بالكلمة الطيبة جورية الرزق، ووهنا ما وجب لنا من الحق، ودنا له بكظم الغيظ؛ وعَمَرنا الرُّتْب بأربابها،

(١) لم تَرَد هذه الصيغة في معاجم اللغة، والمراد أنهم بكوا بكاءً شديداً.

(٢) وَثَّب: أَعَدَّه على وسادة، والمراد هنا أنه أكرمهم وأقالهم من الذَّلَّة. محيط المحيط (وثب).

وجردنا الألقاب بعد خرابها، وقَبَضْنَا الجباية مُحَمَّلَةً كَتَدَّ العادة، مقودة بزمام الرِّفق، ممسوخاً عطفها بكفِّ الطواعية، فبللنا صداً الجيش المَمَطُول بالأمانى، المُعَلَّل بالكذب، المُسْتخدم في الذبِّ عن مجاثم الفحشاء، ومراقِد العَهر، ودارينا الأعداء، وحسمنا الداء، وظَهَرَ أمر الله وهم كارهون، إلّا أن تلك الشُّرذمة الخبيثة أَبَقَتْ جرائمَ نِفَاق، رَكِبَها انْحِجار الغَدْر، وبَدَّرَ بها حصيدُ الشرِّ، وأخلطوا الحقائق اللَّعْنَة ممن ساء ظنّه، وخبثُ فكره، وظنَّ أن العقاب لا يفلته، والحق لا يدره، والسياسة لا تخفزه، فدبَّت عقاربُهم، وتدارت طوافاتهم، وتآبَت فسادهم، فدَبَّروا أمراً تَبَرَّه الله تَتَبيراً، وأوسعه خِزياً وبيلاً، وجفلوا يرتادون من أذيال القرابة، مَنْ اسْتَخْلَصَ الشَّيْطَانُ وأصحبَه الجِذْلان، مَنْ لا يصلح لشيءٍ من الوظائف، ولا يستقلُّ ببعض الكُلف، فحركوا منهم زاهق زمانه، من شرِّ الدَّواب الذين لا يسمعون، فأَجْرهم رَسَنه، وتوقف وقفة العين بين الورد والصُّدر، بخلال ما أطلعنا الله طلع نيته، فعاجلناه بالقبض، واستودعناه مَضْفِداً ببعض الأطباق البعيدة، والأجباب العميقة، فخرج أمرهم، وخافوا أن نَحْتَرش السعايات، صباب مكرهم، وتتبع نفاقهم، فأَقْدَمُوا إقدام العير على الأسد، استعجالاً للحين، ورجعاً لحكم الخيار، وإقداماً على التي هي أشدُّ، تولَّى كبرها، وكشف وجهه في معصيتها الخبيث البركي<sup>(١)</sup> حِلَف التهور والخرق، المموه بالبسالة وهو الكَذُوب الثُّكُوث الفُلُول، تحملنا هفوته، وتغمَّدنا بالعفو قديماً وحديثاً زَلَّتْه، وأعرضنا فيه عن النَّصِيحة، وأبقينا له حكم الولاية، وأنسنا من نَفَرْتِه، وتعافنا عن غِرَّتِه، وسَوَّغنا الجرائم التي سبقت، والجرائر التي سلفت، من إفساد العهد وأسر المسلمين، والافتيات على الشرع، والصُّدُوع بدعوى الجاهلية، فلم يفده إلّا بَطَرًا، ولم يزدَه إلّا مَكْرًا، والخير في غير أهله يستحيل شراً، والنفع ينقلب ضراً. والتفت عليه طائفة من الخلائق، بنو غُرُون قُرْعاء الجبل والمَشَامَة، وأذئاب بيت الإدبار، ونفاية الشُّرَار، عَرَكَ جراتهم مكان صهرهم البائس، ابن بطرون، الضعيف المُتَمِّة السقيط الهَمَّة، الخامل التفصيل والجُملة، وغيرهم ممن يأذن الله بضلال كيدهم وتخيب سَغيهم، فاقتحموا البلد صبيحةً يهتفون بالناس أن قد طرق جِمامهم، وأن العدو قد دَهَمَهم، مُلتفتين يرون أنهم في أذيالهم، وأن رماحهم تنهشهم وتنوشهم، وسُرْعانهم ترهقهم، كأنهم سقطوا من السماء، أو ثاروا من بين الحَصَباء، ثم جالوا في أزقة البلد يقذفون في الصُّفاح نارَ الحُبَّاح<sup>(٢)</sup> ركضاً فوق الصُّخر المرصوف،

(١) الخبيث البركي: هو أحد وزراء سلطان غرناطة، الغني باله.

(٢) الحُبَّاح: ذباب يطير بالليل له شعاع في ذنبه كالسراج، وبنار الحُبَّاح يضرب المثل في الضعف. محيط المحيط (حب).

وخوضاً في الماء غير المرهوف. ثم قصدوا دار الشيخ البائس علي بن أحمد بن نصر، ثفاية البيت، ودردى القوم، ممسوخ الشكل، قبيح اللثغ، ظاهر الكدر، لإدمان المعاقرة، مزنون بالمعاقرة والرّبت على الكبرة، ساقط الهمة، عديم الدين والجشمة، مُنتمت في البخل والهلع، إلى أقصى درجات الخسة، مثل في الكذب والنميمة، معيب المشانة، لا يُرق بّوله، ولا يجفّ سلسه، فاستخرجوه مُبايعاً في الخلافة، منصوباً بأعلى كرسي الإمامة، مدعوماً بالأيدي لكونه قلقاً لا يثبت على الصّهوة، مختاراً لحماية البينة، والعدل في الأمة، مُغتماً للذب عن الحنيفة السّمحة، وصعدوا به إلى ربوة بإزاء قلعتنا، مُنتتراً باب البنود<sup>(١)</sup>، مستنداً إلى الربض، مطلاً على دار الملك، قد أقام له رسم الوزارة ابن مطرون الكاري، الكسح الدروب برسم المّسومة، الحزّد، المهيّن الحجة، فحلّ طاحونة الغدر، وقدر السّوق والخيانة، واليهودي الشكل والنحل، وقرعت حوله طبول الأعراس، إشادة بخمول أمره، واستهجان آله، ونُشرت عليه رايةً فال رأيها، وخاب سعيها، ودارت به زغيفة من طعام من لا يُملي ولا يزيد المكا والصغير من حيله، وانبثت في سكك البلد مُناديه، وهتف أولياء باطله باسمه وكُنيته، وانتجزوا مواعيد الشيطان فأخلفت، ودعوا سماسير الغرور فصمت، وقدحوا زناد الفتنة فصلدت وما أوارت. ولحين شعرنا بالحادثة، ونظرنا إلى مرج الناس، واتصل بنا ريح الخلاف، وجهير الخلعان، استعنا بالله وتوكلنا عليه، وفوّضنا أمرنا إلى خير الناصرين، وقلنا: ربّنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق، وأنت خير الفاتحين، واستركبنا الجند، وأذعنا خبّر العطاء، وأطلقنا بريح الجهاد، ونفّير الجلاّد. وملأنا الأكفّ بالسلاح، وعمّرنا الأبراج بالرجال، وقرعنا طبول الملك، ونشرنا ألوية الحق؛ واستظهرنا بخالصة الأمراء أولياء الدعوة، وخاطبنا فقيه الرّبض، نخبر مخبره؛ ونُسبر غوره، فالفينا متوارياً في وكره، مُرعياً على دينه، مُشفقاً من الإخطار برّمه، مشيراً بكّمه. وتفقدنا البلد، فلم نرتب بأحد من أهله. فلما كملت البيعة، وفُخمت الجملة، أنهدنا الجيش، وليّ أمرنا، الذي اتخذناه ظهيراً؛ واستنبطناه مشيراً، والتزمناه جليساً وصهيراً، ولم ندخر عنه محلاً أثيراً، الشيخ الأجلّ، أبا سعيد عثمان ابن الشيخ أبي زكريا يحيى بن عمر بن رحو، مُمهّد الرعب بقدمه، والسّعد في خدمتنا بخدمة، في جيش كثيف الجملة، سابغ العدة، مُزاح العلة، وافر النّاشية، أخذ بباب الرّبض وشعباه، ولفّ عليه أطنابه، وشرع إليه أمله. ولم يكن إلّا كلّاً ولا، حتى داسه

(١) باب البنود: أحد أبواب مدينة غرناطة، وما يزال قائماً حتى اليوم. راجع نهاية الأندلس للأستاذ محمد عبد الله عنان (ص ٢٩٤) ومملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر للدكتورة مريم قاسم طويل (ص ٢٩٤).

بالسنايك، وتخلّفه مجرّ العوالي، ومجرى السوابق، وهو الحمى الذي لا يُتوعد، والمجدّ الذي لا يغرب، فلولا تظاهر مشيخته بشعار السّلم؛ واستظلاله بظلال العافية، لحثّ الفاقرة، ووقعت به الرّزية. وفرّ الأعداء لأول وهلة، وأسلموا شقيهم أذلّ من وتد في قاع، وسلّخه في أعلى يّفاع، فتقبّض عليه، وأخذت الخيل أعقاب الغدرة أشباعه، وقيد إلينا يرُسّف في قيد المُهزم، ثُغلبان مكيدة، وشكّية ضلال ومظنة فضيحة، وأضحوكة سمر. فتضرع بين أيدينا، وأخذته الملامة، وعلاه الخزي، وثُلّ إلى المُطبّق، حتى نستدعي حكم الله في جرّمه، ونقتضي الفتيا في جريّته، ونختار في أقسام ما عرضه الوحي من قتلته. وهذأت الثائرة، والحمد لله من يومها، واجتثت شجرة الخلاف من أصلها، فالحمد لله الذي أتمّ نوره ولو كره الكافرون ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَنَظِيلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾<sup>(١)</sup>. وماذا رابهم مئا، أصغر الله مُنقلبهم، وأخزى مرّدهم، واستأصل فُلُكهم؟ أولا يتبنى أمر وارثه، ثم عوده إلينا طواعية، ثم رفعنا وطأة العدو وحزبه، ومددنا ظلال الأمن دفعة، وأنفأنا رَمَق الثغور، حين لم يجدوا حيلة إلّا ما عرفوا من أمنه، وبلوا من حَيْطته وتسوُّغا من هذنة، وانسحبت فوق آمالهم وحريمهم من عِقّة، وأظهر الله علينا من نعمة. ربّنا أنك تعلم ما نخفي وما نعلن، وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء. اللهمّ ألبسنا سريرتنا، وعاملنا بدخلتنا فيهم، وإن كُنا أردنا لجماعتهم شراً، وفي دينهم إغماضاً، وعن العدل فيهم عدولاً، فعاملنا بحسب ما تبلوه من عقيدنا، وتستكشفه من خبيثتنا، وإن كنت تعلم صحة مُناصحتنا لسوادهم؛ واستنفادنا الجهد في إتاحة عافيتهم، ورعي صلاحهم، وتكيف آمالهم، فصل لنا عادة صُنْعك فيهم، ومسلنا طاعتهم، واهد بنا جماعتهم، وارفع بنظرنا إطاعتهم، يا أرحم الراحمين.

ولما أسفر صبح هذا الصُّنع عن حُسن العفو، واستقرّ على التي هي أزكى، وظهر لنا، لا تخاف بالله دركاً ولا تخشى، وأن سبيل الحق أنجى ومحجّته أخجى، خاطبنا كم نجلو نعم الله قبلنا عليكم، وتُشيد بتقوى الله بناديكم، وعنايته لدينا ولديكم، ونهدي طرف صنّعه الجميل قبلنا إليكم ليكسبكم اعتباراً، فزجّوا الله وقاراً، وتزيدوا يقيناً واستبصاراً، وتصفّوا العين من اختار لكم اختيأراً. وهو حسبنا ونعم الوكيل، والله يصل سعدكم، ويحرس مجدكم. كتب في كذا. والسلام عليكم، ورحمة الله وبركاته.

(١) سورة الأعراف ٧، الآية ١٣٩. ومُتَبَّرٌ: هالك.

### الجهاد في شعبان من عام سبعة وستين وسبعمائة:

اقتضى نظر الحزم، ورأى الاجتهاد للإسلام إطلاق الغارات على بلد الكفرة من جميع جهات المسلمين، فعظم الأثر، وشَهِرَ الذكر، واكتسحت الماشية، وألحَمَ السيف. وكان ثغر بُرْغة، الفائزةُ به يدُ الكفرة، لهذه السنين القريبة، قد أهُمَّ القلوب، وشغل النفوس، وأضاق الصدور، لانبتات<sup>(١)</sup> مدينة رُنْدَة، بحيث لا يخلُص الطّيف، ولا تبلغ الرسالة من الطّير وغيرها إلى ناحية العدو، فوقع العمل على قصده واستعانة الله عليه، واستنفر لمنازلته أهل الجهات الغربية من مالقة ورندة، وما بينهما، ويسّر الله في فتحه، بعد قتال شديد، وحرب عظيمة، وجهاد شهير، واستولى المسلمون عليه، فامتلات أيديهم أثاثًا وسلاحًا ورياشًا وآلة، وطُهِرت للحين مساجده، وزُيِّت بكلمة الله مشاهده، وأنست بالمؤمنين معاهده، ورُتِّب فيه الحماة والرماة، والفرسان الكماة، واتّصلت بفتحة الأيدي، وارتفعت العوائق، وأوضحت بين المسلمين وأخوانهم السُّبُل، والحمد لله. وتوجَّهت بفتحه الرسائل، وعظمت المنن الجلائل، وفرّ العدو لهذا العهد عن حصن السهلة، من حصون الحُفرة اللُويشِيَّة، وسُدَّ الطريق المائلة، وذلك كله في العشر الأوسط لشعبان من هذا العام. ثم أجلب المسلمون في رُنْدَة في أخرياته وقصدوا باغة وجيرة فاستنزلوا أهلها، وافتتحوها، فعظمت النعمة، واطرد الفتح، واتسعت الجهة.

وكانت مما خطبت به الجهة المرينية<sup>(٢)</sup> من إملائي:

المقام الذي نُبشِرُه بالفتح ونحييه، ونعيد له خبر المسرة بعد أن نبديه؛ ونسأل الله أن يضع لنا البركة فيه، ونشرك مساهمته فيما نهضه من أغصان الزهور ونجنيه، ونعلم أن عزة الإسلام وأهله أسنى أمانيه، وإعانتهم أهُمُّ ما يعنيه. مقام محلّ أخينا الذي نعظم قدره، ونلتزم برّه، ونعلم سرّه في مساهمة المسلمين وجهره؛ السلطان الكذا، الذي أبقاه الله في عمل الجهاد ونيتّه؛ متكفلةً بنشر كلمة الله طويته، متممةً من ظهور الدين الحنيف أميّته، معظّم جلاله، ومُجَزَّل ثنائه، ومؤمِّل عادة احتفاله بهذا الوطن الجهادي واعتنائه، أيّد الله أمره، وأعزّ نصره. سلام كريم عليكم، ورحمة الله وبركاته. أما بعد حمد الله، واصل سبب الفتوح، ومُجَزَّل مواهب النّصر الممنوح، ومؤيد الفئة القليلة بالملائكة والرُّوح، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد نبيّه، الآتي بنور الهدى بيّن الوضوح، الداعي من قبوله ورضوانه إلى المنهل المورود والباب المفتوح، والرّضا عن آله وأصحابه، أسود السُّروج وحماة السُّروج، والمقتفين

(١) الانبتات: الانقطاع. لسان العرب (بتت). (٢) المراد بالجهة المرينية بلاط بني مرين بفاس.

نهجه في جهاد عدوّ الله بالعين القارّة والصدر المشروح، والدعاء لمقامكم العلي بالرفع الصّروح، فإنّا كتبناه إليكم، كتب الله لكم سُبُوح المواهب، ووضوح المذاهب، وعزة الجانب، وظفرة الكتائب. من حمراء غرناطة حرسها الله، ونعم الله واكفة السحاب، كفيلاً بنيل الرغائب، والله يصل لنا ولكم عوارف اللطائف، ويجعل الشّهد دليلاً على الغائب. وإلى هذا وصل الله إعزازكم، وحرس أخوازكم، وعَمَر بالحقيقة من أُمراء مجازنا ومجازكم. فإنّا بادرنا تعريفكم بما فتح الله علينا من الثغر العزيز على الإسلام، العائد رزوه الفادح على عبادة الأصنام، ركاب الغارات، وممكّن حياة المضّرات، ومخيف الطريق السابلة؛ والمسارح الآهلة، حصن برّعة. ويسّر الله في استرجاعه، مع شهرة امتناعه، وتطهّر من دنس الكفار، وأنيرت مئذنته بكلمة الشهادة الساطعة الأنوار، وعجلنا ذلك على حين وضعت الحرب فيه أوزارها، ووفت الأوتار أوبارها، فسار الكتاب إليكم، وأجير الأجر لم يَجُفَّ عرقه، وعذر الاستعجال لاحبة طرقه. ولما عُذنا إلى حضرتنا، بعد ما حصّناه وعمّزناه، وأجزلنا نظر الحزم له وفرقناه، لم تكد البنود لمسّرة فتحه أن تعاد إلى أماكن صونها، مرتقبة عادة الله في عونها، حتى طرقت الأنباء السارة بتوالي الصنع وانفراده، بتشفيح أفرادها، وذلك أن أهل رُندة، حرسها الله، نافسوا جيرانهم من أهل مالقة، كان الله لجميعهم، وتولّى شكر صنيعهم، فيما كان من امتيازهم بحصن برّعة، الجار المُصاقب لها، فحميت همهم السنيّة، وهانت في الله موارد المنيّة، وتضافر العمل والنيّة، وظهر نُجح المقاصد الدنيّة في إتاحة الفتوح الهيّة، فوجهوا نحو حصن وحبر، وهو الداين صحر المدينة ونحرها، والعدوّ الذي لا يفتّر عن ضرّها، والحيّة الذكر التي هي مروان أمرها؛ ففتحوه بعون الله وقوته، وتهتّوا بعده سلوك الطريق، وإشاعة الريق، ومراصد الحرس، ومجلّو الجرس، وأنصفوا، وانصرفوا إلى حصن باغة، من مشاهد تلك الحفرة، فناشبهوه القتال، وأذاقوه الوبال، وفوقوا إليه النّبال، ففتح الله فتحاً هيّناً، لم تُفكّ فيه للمسلمين نفس، ولا تطرّق لنصر التيسير لئس، فقابلنا بها لشكر هذه النعم المتواليّة، والمِنّ المتقدّمة والتالية، وأعدنا الأعلام إلى مراكزها المشرفة المراقب، والطبول إلى قرعها عملاً من الإشارة بالواجب، وشكرنا الله على اتصال المواهب، ووضوح المذاهب، وخاطبنا مقامكم الذي نرى الصّنائع متواترة بنيته الصالحة وقصده، ويُعتد في الحرب والسلم بمجده، علماً بأن هذه المسرات، نصيبكم منها النصيب الأوفى؛ وارتياحكم إلى مثلها لا يخفى. ونحن نرقب ما تنجلي عنه هذه النكايات التي تُفكّت كبد العدو تتاليها، وتروع أحوازه وما يليها، ولا بدّ له من امتعاض يروم به صرع المعرّة، ويأبى الله أن ذلك يأتي بالكثرة، والله يجعلها محركات لحتفه المرقوب، وجينه المجلوب، ويحقق حق القلوب، في نُصرة المطلوب، عرّفناكم بما تريدون



عملًا بواجب برِّكم، ومعرفةً بقدركم، وما يتزايد نعرفكم به، ويتصل سبب التأكيد والتعجيل بسببه، والسلام.

### الغزاة إلى حصن أشر<sup>(١)</sup>:

وفي أوائل شهر رمضان بعده، أعمل السلطان الحركة السعيدة إلى حصن أشر، وهو قُفل الثغر الذي فضَّه الطاغية، وسورها الذي فرغه الكفر، وجارحُه المحلَّق على البلاد، والمتحكم لولا فضل الله في الأموال والأولاد، فتأذن الله برد مُغتَصِبِه، والشُّفا من وَصَبِه، وأحاط به وناصبه الحرب، ففتحه الله على يده عَنوةً، على سموِّ ذروته، ويُعد صيته وشهرته، واختيار الطاغية في حاميته بعد حرب لم يسمع بمثله، فاز بمزية الحمد فيها السلطان، لمباشرته إياها بنفسه، وحمل كَلِّها فوق كاهله، واتقاد ما خَمَد من الحِمِيَّة بتحريضه. ثم لما كان بعد الفتح من استخلاص القَصْبَةِ وسدِّ ثَلَمِها بيده، ومصابرة جو القيظ عامة يومه، فحاز ذكرًا جميلًا وحلَّ من القلوب محلًّا أثيرًا، ورحل منها، بعد أن أسكن بها من الفرسان رابطة مُتَخَيِّرة، ومن الرُّماة جُملة، وتخلَّف سلاحًا وعُدَّة، فكان الفتح على المسلمين، في هذا المَعْقِل العزيز عليهم جليلًا، والمنَّ من الله جزيلاً، والصنع كثيرًا، وصدرت المخاطبة للمغرب بذلك، على الأسلوب المرسل الخلي من السجع الغني.

### الغزاة المُعْمَلة إلى أطرية<sup>(٢)</sup>:

في شهر شعبان من عام ثمانية وستين وسبعمائة، كانت الحركة إلى مدينة أطرية بنت إشبيلية، وبلدة تلك الناحية الآمنة، مهاد الهدنة البعيدة عن الصُّرْمَةِ، حرك إليها بعدُ المدى، وآثرها بمحض الرُّدى، من بين بلاد العدا، ما أسلف به أهلها المسلمين، من قتل أسراهم في العام قبله. فنزلها السلطان أول رمضان، وناشبهها الحرب واستباح المدينة وربَّضها عَنوةً، ولجأ أهلها إلى قصبتها المنيعه، ذات الأبراج المشيَّدة، وأخذ القتال بِمُخْتَنَقِهِم، وأعان الزحام على استنزالهم، فاستنزلوا على حكم المسلمين، فيما يناهز خمسة، بما لم يتقدمه عهد؛ ولا اكتَحَلَتْ به في هذه المدة عين، ولا تلقته عنها أذن، وامتلأت أيدي المسلمين، بما لم يعلمه إلَّا الله، من شتَّى الغنائم، وأنواع الفوائد، واقتسم الناس السَّبي رُبْعًا على الأكفال والظهور، وتقديرًا بقدر الرجال، وحملًا فوق الظهور للفرسان، وعُمرانًا للسروج

(١) أشر: بالإسبانية Iznajor، وهو حصن يقع على ضفة نهر شنيل.

(٢) أطرية: بالإسبانية Utrera وهي مدينة تقع جنوب شرقي إشبيلية. راجع: أزهار الرياض (ج ٤ ص ٦٠).

والأعضاء بالصُّبِيَّة، وبرز الناس إلى ملاقة السلطان، في هول من العزُّ شهير من الفخر، وبعيد من الصيت، قَرَّتْ له أعينهم، وقعد لبيعهم أيامًا تباغًا، وملأ بهم البلاد هدايا وتحفًا والحمد لله، وصدرت المخاطبة بذلك إلى السلطان بالمغرب بما نصه من الكلام المرسل من إنشائي.

### الغزاة إلى فتح جيان:

وفي آخر محرم من عام تسعة وستين وسبعمائة، كانت الحركة الكبرى إلى مدينة جيان، إحدى دور الملك، ومدن المغمود، وكرسيَّة الإمارة، ولو أن المدن الشهيرة افتتحها الله غنوة، ونقل المسلمون ما اشتملت عليه من النعم والأقوات والأموال والأنعام والأثواب والدواب والسلاح، ومكَّنهم من قتل المُقاتلة، وسبني الذرية، وتخريب الديار، ومحو الآثار، واستئسف النعم، وقطع الأشجار. وهذا الفتح خارق، تعالى أن يحيط به التَّظْم والنشر. فذكره أطير، وفخره أشهر. وصدرت في ذلك المخاطبة من إملاني إلى ملك المغرب. وأصاب الخلق عقب القُفول في هذه الغزاة، مرضٌ وافد، فشا في الناس كافة، وكانت عاقبته السَّلامة؛ وتدارك الله بلطفه، فلم يتَّسع المجال لإنشاد الشعراء، ومواقف الإطراء، إلى شغل عن ذلك.

### الغزاة إلى مدينة أبدة:

وفي أول ربيع الأول من هذا العام، كان الغزو إلى مدينة أبدة، واحتلَّ بظاهرها جيش المسلمين، وأبلى السلطان في قتالها، وقد أخذت بعد جارتها جيان أقصى أُنْبَة، واستعدَّت بما في الوُسع والقوة، وكانت الحرب بها مشهورة. وافتتحها المسلمون فانتهبوها، وأغفوا مساكنها العظيمة البناء، وكنائسها العجيبة المرأى، وألصقوا أسوارها بالثرى، ورأوا من سعة ساحتها، وبُعد أقطارها، وضخامة بنائها، ما يُكذِّب الخبر فيه المرأى، ويُبَلِّد الأفكار، ويُخَيِّرُ الثُّهَى. والله الحمد على آلائه التي لا تحصى. وقُفِّل المسلمون عنها، وقد أخربوها، بحيث لا تَعْمُر رباها، ولا تأتلف حجورها وجموعها. وصدرت المخاطبة بذلك إلى صاحب المغرب من إنشائي بما نصه:

وإلى هذا العهد جرت الحادثة على ملك قشتالة، يَظُرُّه بن أذفونش بن هيراندة بن شانجُه، وهو الذي تهيا به الكثير من الصُّنع للمسلمين، بمزاحمة أخيه أندريق في الملك وتضييقه عليه، وجياز سَبْعَة من كبار أصحابه، وأهل ملته إليه، واقتدار بطره المذكور إلى إعانة المسلمين، وإجلابهم على مَن آثر طاعته ضده، فانهزم بظاهر حصن مُنْتِيل، ومعه عدد من فرسان المسلمين، ولجأ إلى الحصن على غير أهبة

ولا استعداد، فأخذ أخوه الذي هزمه بمُخَتِّقه، وأدار على الحصن البناء، وفرّ جيشُ المحصور، فاجتمع فُلُه بأحواز أُبْدَة، وراسلوا المسلمين في مظاهرتهم على استنقاذهم، فتوجهت الفُتيا بوجوب ذلك. ووقع الاستِنْفار والاحتشاد حرصًا على تخليصه، ليسبَّب بقاءه بقاء الفتنة تستأصل الكفر، وتشغل بعض العدو ببعضه.

وفي أثناء هذه المحاولة تَبَاطَن الحائِنُ المحصور بمن معه، وبُعِد عليه الخلاص من ورطته، ومساهمة المسلمين إياه في محتته؛ وانقطعت عنه الأنباء بفرج من كربته، فداخل بعض أمراء أخيه وظَهْرَائِه، ممن يباشر حصاره، وكان قومًا شهيرًا من المَدَد الذي ظاهره، من أهل إفْرِنْسِيَة، ووعد به بكل ما يطمع من مال ومَهْد، وتَوْفِيَة عهد، فأظهر له القبول، وأضْمَرَ الخديعة. ولما نزل إليه، سَجَنه ومن لحق به من الأدْلَاء وأولي الحرّة بالأرض وأمسكه، وقد طَيَّر الخبر إلى أخيه، فأقبل في شِرْذِمَة من خواصه وخُدَامِه، فهاجم عليه وقتله، وأَوْسَعَ العفو مَن كان محصورًا معه، وطير إلى البلاد برأسه، وأَوْغَرَ الثُّبْن في جُثَّتِه، ولَبَس ثياب الحزن من أجله، وإن كان معترفًا بالصَّواب في قتله، وخاطب البلاد التي كانت على مِثْل الجَمَر من طاعة الجاهر بمظاهرة المسلمين، وما جَرَّ ذلك من افتتاح بلادهم، وتخريب كنائسهم، والإتيان على نِعَمهم، فأجابته ضَرْبَة، واتفقت على طاعته، فلم يختلف عليه منها اثنان، إلَّا ما كان من مدينة قَرْمُونَة. واجتمعت كلمة النصارى، ووقع ارتفاع شتاتهم، وصرفوا وجوههم إلى المسلمين، وشاع استدعاؤهم جميع مَن بأرض الشرق من العَدُوِّ الثقيل ببرجلونة<sup>(١)</sup>، وعدُوِّ الأَشْبُونَة، والعدو الثقيل الوطأة بإفرانسيّة. وقد كان الله، جلّ جلاله، ألهم أهل البصائر النظر في العواقب، والفكر فيما بعد اليوم أَعْمَل. ووقع لي إذن السلطان، المُخْلِي بيني وبين النصائح، في مخاطبة سلطان النصارى المَنكُوب لهذا العهد، فأشرت عليه بالاحتراز من قومه، والثَّقُفُ لِمَكَايِد مَن يَخْطُب في حَبْل أخيه، وأرَيْتُه اتخاذ مَغْقِل يحرز ولده وذخيرته، ويكون له به الخيار على دهره، واستظهرت له على ذلك بالحكايات المتداولة، والتواريخ المعروفة، لتتَّصِل الفتنة بأرضهم، فقبل الإشارة وشكر النصيحة، واختار لذلك مدينة قَرْمُونَة المختصّة بالجوار المُكْتَب، من دار مُلْكهم إشبيلية، فشَيَّد هضابها، وحصَّن أسوارها، وملأها بالمخازن طعامًا وعُدَّة، واستكثر من الآلات، واستظهر عليها بالثِّقَات، ونقل إليها المال والذخيرة، وسجن بها رِهان أكابر إشبيلية، وأسرى المسلمين، وبالع في ذلك، فيما لا غاية وراءه ولا مطمع، ولا ينصرف إلى مصرعه الذي دعاه القَدَر إليه، حتى تركها عُدَّة خَلْفه، وأودع

(١) هي مدينة برشلونة، عاصمة مملكة أراغون في أيام ابن الخطيب.

بها ولده وأهله، ولجأ إليها بعض من خُدّامه ممن لا يقبل مَهْدَنَة ضده، ولا يُقَرّ أمان عدوه، والتفوا على صغير من ولده كالتَّخَل على شَهِدِه، ولجأوا إلى المسلمين، فَبَغَضَ عليهم الكَرَّةَ والفتح بقاء هذا الشَّجَى المُعْتَرِض في حَلْقِه، وأهمُّه تغيير أمره، وجَفَّجَ به المسلمون لأجله، وأظهروا لمن انحاز بقرمونة الامتساك بعهدِه، فَعَظُم الخَزَقُ، وأظهر الله نُجْحَ الحيلة، وصدَّق بها المُخَيَّلَة، وتفتَّر الأمر، وخَمَدَت نار ذلك الإرجاف، واشتغل الطاغية بقرمونة، بخلال ما خوطب به صاحب الأرض الكبيرة<sup>(١)</sup>، فطَمَّعَه في المظاهرة، وتَحَطَّبَ له مُلْكُ قشتالة، وعقد السَّلم مع صاحب بُرْطُغال<sup>(٢)</sup> والأشبونة، ونشأت الفتن بأرضهم، وخرجت عليهم الخوارج، فأوجب إزعاجه إلى تلك الجهة، وإقرار ما بالبلاد المجاورة للمسلمين من الفرسان والحماة تقاتل وتدافع عن أخوازها، وجعل الخصص مُوجَّهَة قَرْمُونَة، وانصرف إلى سَدِّ الفتوق التي عليه بَلُطَفِ الحيلة، ببواطن أرضه، وأحشَاءِ عَمالته، وصار في مُلْكِه أَشْغَل من ذات النُحيين، فساغ الرِّيْقُ، وأمكن العُدْر، وانتَهز العُرَّة، واستؤنفت الحركة، فكانت إلى حصن مُنتيل والحويز، ففتحهما الله في رمضان من عام سبعين وسبعمئة، ثم إلى ثغر رُوْطَة، ففتحَه الله عن جَهِد كبير، واتصل به حصن رُمرة، فأَمَن الإسلام عادية العدو بتلك الناحية، وكَبَسَ أهلُ رُنْدَة بإيعاز من السلطان إليها وإلى مَن بالجَبَل، جبل الفتح، حصن برج الحكيم والقشتور، فيسر الله فتحهما في رمضان أيضًا.

ثم كانت الحركة إلى الجزيرة الخضراء<sup>(٣)</sup>، باب الأندلس، وبكرُ الفتح الأول، فكانت الحركة إليها شهر ذي الحجة من العام المذكور. ووقع تحريض الناس بين يدي قصدها في المساجد بما نصَّه:

معاشر المسلمين المجاهدين، وأولي الكفاية عن ذوي الأعدار من القاعدين، أعلى الله بعلو أيديكم كلمة الدين، وجعلكم في سِوى الأجر والفخر من الزاهدين، اعلموا، رحمكم الله، أن الإسلام بالأندلس ساكن دار، والجزيرة الخضراء بأبه، ومُبعد مغار، والجزيرة الخضراء ركابه، فمن جهتها اتصلت في القديم والحديث أسبابه، ونَصَرته على أعدائه وأعداء الله أحبابه، ولم يشك العدو الكافر الذي استباحها، وطَمَسَ بظُلْمَة الكفر صباحها، على أثر اغتصابها، واسوداد الوجوه المؤمنة لمصابها، وتبديل محاربها، وعلوق أصله الخبيث في طيِّب ثرائها، أن صريع الدين الحنيف بهذا الوطن الشريف لا ينتعش ولا يقوم، بعد أن فُري الحُلُقُوم، وأن الباقي

(٢) برطغال: هي البرتغال Portugal.

(١) الأرض الكبيرة هي فرنسا.

(٣) راجع: أزهار الرياض (ج ٤ ص ٧٢).

رمقٌ يذهب، وقد سُدَّ إلى التَّدَارِكِ المذهب، لولا أن الله دفع الفاقرة<sup>(١)</sup> وَوَقَّاهَا، وَحَفِظَ الْمَسْكَنَةَ واستبقاها، وإن كان الجبل<sup>(٢)</sup> عصمة الله نِعَمَ البقية، وبِمَكَانِهِ حَقَّتِ التَّقِيَّةُ، فحسبُكَ من مصراعٍ بابٍ فُجِعَ بثانيه، ومُضَاقٍ جِوَارٍ حِيلَ بينه وبين أمانيه. والآن، يا عباد الله، قد أمكنكم الانتهاز، فلا تُضَيِّعُوا الفرصة، وفتَرَ الْمُخْتَقُ فلا تُسَوِّغْهُ غُصَّةً، وَاعْمُرُوا البواطن بِحِمِيَّةِ الْأَحْرَارِ، وَتَعَاهَدُوا مع الله معاهد الأولياء الأبرار، وَانظُرُوا للعون من الدَّرَارِيِّ وَالْأَبْكَارِ، والنشأة الصُّغَارِ، زُغِبَ الحواصل في الأكوار، والدين المنتشر بهذه الأقطار، واعملوا للعواقبُ تحمدوا عملكم، وأخلصوا لله الضمائرُ يُبَلِّغْكُمْ من فضله أملككم، فما عُذِرَ مَنْ سَلَّمَ في بابٍ وَكُرِهَ، وماذا ينتظر من أذعن لَكَيْدِ عَدُوِّهِ ومكره. من هذه الْفُرْضَةِ، دخل الإسلام تَرَوُّعُ أَسْوَدِهِ، ومن هذه الجهة طلع الفتح الأول تَخْفِقُ بُنُودُهُ، ومنها تَقْتَحِمُ الطير الغريب، إذا رامت الْجَوَازَ وفُودُهُ، فيبصر بها صافات والدليل يقوده. البابُ المسدود، يا عباد الله، فافتحوه، وَجْهَ التَّصَرُّعِ تجلَّى يا عباد الله فَاَلْمَحُوه، الداءُ الْعُضَالُ يا عباد الله فاستأصلوه، حَبْلُ اللَّهِ يا رجال الله قد انقطع فصلوه. في مثلها تَرْخُصُ النفوس الغالية، في مثلها تُخْتَبِرُ الْهِمَمُ الْعَالِيَةَ، في مثلها تُشْهَرُ العقائد الوثيقة، وتُدَسُّ الْأَحْبَاسُ العريقة، فَتَضُرُّ الله وجهه من نظر إلى قلبه، وقد امتلأته حِمِيَّةُ الدين، وأصبح لأن تكون كلمة الله هي العليا مُتَهَلِّلُ الْجَبِينِ.

اللهم إِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِأَسْرَارِ الْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلْتَهُ، وَعِنَايَةِ النَّبِيِّ الْعَرَبِيِّ الَّذِي أَوْفَدْتَ مِنْ خُصُوصِ الرَّحْمَاتِ وَأَجْزَلْتَ، وَبِكُلِّ نَبِيٍّ رَكِعَ لَوَجْهِكَ الْكَرِيمِ وَسَجَدَ، وَبِكُلِّ وَلِيٍّ سَدَّهَ مِنْ إِمْدَادِكَ كَمَا وَجَدَ، أَلَا مَا رَدَّدْتَ عَلَيْنَا ضَالَّتَنَا الشَّارِدَةَ، وَهَنَاتَنَا بَفَتْحِهَا مِنْ نِعْمِكَ الْوَارِدَةِ، يَا مُسْهَلَ الْمَآرِبِ الْعَسِرَةِ، يَا جَابِرَ الْقُلُوبِ الْمُنْكَسِرَةِ، يَا وَلِيَّ الْأُمَّةِ الْغَرِيبَةِ، يَا مُنْزِلَ اللَّطَائِفِ الْقَرِيبَةِ، اجْعَلْ لَنَا مِنْ مَلَائِكَةِ تَضْرِكُ مَدَدًا، وَأَنْجِزْ لَنَا مِنْ تَمَامِ نُورِكَ الْحَقِّ مَوْعِدًا. رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً، وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا.

فوق الانفعال، وانتشرت الحِمِيَّةُ، وَجُهَزَتِ الْأَسَاطِيلُ. وكانت مُنَازَلَتُهَا يوم السبت الثالث والعشرين من الشهر المذكور، وعاطاها المسلمون الحرب، فَدَخَلَتْ الْبِثْيَةُ وهي المدينة الملاصقة لها عَنُودَ، قتل بها من الفرسان الدَّارِعَةُ عِدَّةً، وَصُرِفَتِ الْغَنَائِمُ إِلَى المدينة الكبرى، فَأَرَاوُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ، مَا لَا طَاقَةَ لَهُمْ بِهِ، وَخَذَلَهُمُ اللَّهُ جَلًّا

(١) الفاقرة: الداهية التي تكسر الفقار، والجمع فواقر. محيط المحيط (فقر).

(٢) المقصود هنا جبل الفتح، أي جبل طارق.

جلاله، على مَنعة الأسوار وُبعد مهاوي الأغوار، وكثرة العدِّ والعدِّد، وطلبوا الأمان لأنفسهم، وكان خروجهم عنها يوم الاثنين الخامس والعشرين من الشهر المذكور، السعيد على المسلمين، في العيد والسرور، برد الدين، والله الحمد على آلائه، وتوالي نعمه وإرغام أعدائه.

وفي وسط ربيع الأول من عام أحد وسبعين وسبعمئة، أعمَل الحركة إلى أخواز إشبيلية دار الملك، ومحل الشُّوكة الحاذة، وبها نائبُ سلطان النصارى، في الجمع الخَشين من أنجاد فرسانهم، وقد عَظُم التضييق ببلدة قَرمونة، المنفرد بالانتزاع على مَلِك النصارى، والانحياز إلى خدمة المسلمين، فنازل المسلمون مدينة أُشونة<sup>(١)</sup>، ودخلوا جفنها عَنوة، واعتصم أهلها بالقَصبة، فتعاصت، واستعجل الإقلاع منها لعدم الماء المَروي والمحلات، فكان الانتقال قُدماً إلى مدينة مُرشانة وقد أحرقوا بها، وبها العُدَّة والعديد من الفرسان الصُّناديد، ففتحها الله سبحانه، إلَّا القَصبة، واستولى المسلمون فيها، وفي جارتها، من الدواب والآلات على ما لا يأخذه الحَضَر، وقُتل الكثير من مُقاتلتها، وعمَّ جميعها العَدَم والإحراق، ورَفعت ظهور دواب المسلمين من طعامها ما ثَقُلَهُ أَظْهُرُ مراكب البحار، ما أوجب في بلاد المسلمين التَّوسُّعة، وانحطاط الأسعار، وأوجب الغلاء في أرض الكُفَّار، وقفل، والحمد لله، في عزٍّ وظهور، وفرح وسرور.

### مولده السعيد النَّشِيئة<sup>(٢)</sup>، الميمون الطلوع والحيثة:

المقترن بالعافية، منقولاً من تهليل نشأته المباركة، وجرز طفولته السعيدة، في نحو ثلث ليلة الاثنين والعشرين من جمادى الآخرة عام تسعة وثلاثين وسبعمئة. قُلْتُ: ووافقه من التاريخ الأعجمي رابع ينير من عام ألف وثلاثمائة وسبعة وسبعين<sup>(٣)</sup> لتاريخ الصُّفر. واقتضت صناعة التعديل بحسب قيمودا وبطليموس، أن يكون الطالع ببرج القَمَر؛ لاستيلائه على مواضع الاستقبال المتقدم للولادة، ويكون التخمين على ربع ساعة وعشر ساعة، وثلث عشر الساعة السادسة من ليلة الاثنين المذكورة، والطالع من بُرج السُّنبلة، خمس عشرة درجة، وثمان وأربعون دقيقة من درجة. كان الله له في الدنيا والآخرة، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

(١) أُشونة، بالإسبانية: Osuna، وهي مدينة من كور إستجة الأندلس. الروض المعطار (ص ٦٠).

(٢) النشيئة: النشأة.

(٣) الصواب: ٢١ كانون الثاني من عام ١٣٣٨م.

## محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن خميس بن نصر ابن قيس الخزرجي الأنصاري<sup>(١)</sup>

من ولد سعد بن عبادة، صاحب رسول الله ﷺ، ابن سليمان بن حارثة بن خليفة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمر بن يعرب بن يشجب بن قحطان بن هُمَيْسَع بن يُمَن بن ثَبْت بن إسماعيل بن إبراهيم صلى الله عليه وعلى محمد الكريم. أمير المسلمين بالأندلس ودايلها خدمة النُضريين بها. يكنى أبا عبد الله، ويلقب بالغالب بالله.

**أُولِيَّتُهُ:** وقد اشتهر عند كثير ممن غني بالأخبار أن هذا البيت النُضري من ذُرِّيَةِ سَعْدِ بْنِ عَبَادَةَ سَيِّدِ الْخَزْرَجِ، وصاحب رسول الله ﷺ. وصنَّف الناس في اتصال نَسَبِهِمْ بِقَيْسِ بْنِ سَعْدِ بْنِ عَبَادَةَ غَيْرَ مَا تَصْنِيف. وأقوى ما ذُكِرَ قَوْلُ الرَّازِي: دخل الأندلس من ذُرِّيَةِ سَعْدِ بْنِ عَبَادَةَ رَجُلَانِ، نَزَلَ أَحَدُهُمَا أَرْضَ تَاكُرُوتَا، وَنَزَلَ الْآخَرُ قَرْيَةً مِنْ قُرَى سَقَرَسْطُونَةَ، تَعْرِفُ بِقَرْيَةِ الْخَزْرَجِ، وَنَشَأَ بِأَحْوَازِ أَرْجُونَةَ مِنْ كُنْبَانِيَّةٍ<sup>(٢)</sup> قَرْطُبَةَ، أَطِيبَ الْبِلَادِ مَدْرَةَ، وَأَوْفَرَهَا غَلَّةً، وَهُوَ بِلْدُهُ، وَبِلْدُ جَدِّهِ، فِي ظِلِّ نِعْمَةٍ، وَعِلَاجِ فَلَاحَةٍ، وَبَيْنَ يَدَيِ نَجْدَةٍ وَشَهْرَةٍ، بِحَيْثُ اقْتَضَى ذَلِكَ، أَنْ يَفِيضَ شِرْيَانِ الرِّيَاسَةِ، وَانْطَوَتْ أَفْكَارُهُ عَلَى نَيْلِ الْإِمَارَةِ، وَرَأَى مَرْتَادُو أَكْفَاءِ الدُّوَلِ أَهْلًا، فَقَدَحُوا رَغْبَتَهُ، وَأَثَارُوا طَمَعَهُ.

حَدَّثَ شَيْخُنَا الْكَاتِبُ الشَّاعِرُ، مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ اللَّوْشِي الْيَخْضُبِي، وَقَدْ أَخْبَرَنِي أَنَّهُ كَانَ يَوْجَدُ بِمَدِينَةِ جَيَّانَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْمَالِيَّةِ، وَكَانَ لَهُ قَرَسٌ أَتْنَى مِنْ عِتَاقِ الْخَيْلِ، عَلَى عَادَةِ أَوْلِيِّ الْمَالِيَّةِ، وَكَانَ لَهُ مِنْ أَهْلِ الثَّغُورِ، مِنْ ارْتِبَاطِ الْخَيْلِ، وَالتَّنَافُسِ فِي إِعْدَادِ الْقُوَّةِ. وَشَهَرَتْ هَذِهِ الْفَرَسُ فِي تِلْكَ النَاحِيَةِ، وَبِعَتْ الطَّاعِيَةَ مَلِكُ الرُّومِ فِي ابْتِيَاعِهَا، فَعَلَقَتْ بِهَا كَفُّ هَذَا الرَّجُلِ، وَأَثَرُ بِهَا نَفْسُهُ، وَازْدَادَ غِنًى بِهَا لَدَيْهِ، وَرَأَى فِي النَّوْمِ قَائِلًا يَقُولُ لَهُ: سِزْ إِلَى أَرْجُونَةَ، بِفَرَسِكَ، وَابْحَثْ عَنْ رَجُلٍ اسْمُهُ كَذَا، وَصِفَّتُهُ كَذَا، فَأَعْطَهُ إِيَّاهَا، فَإِنَّهُ سَيَمْلِكُ جَيَّانًا وَسَوَاهَا، يَنْتَفِعُ بِهَا عَقَبُكَ. وَأَرْجَىءِ الْأَمْرَ، فَعَرِضَ عَلَيْهِ ثَانِيَةً، وَحُتَّ فِي ذَلِكَ فِي الثَّلَاثَةِ، فَسَأَلَ ثَقَّةً لَهُ خَيْرًا بِتِلْكَ النَاحِيَةِ وَأَهْلِهَا، فَقَالَ لَهُ الْمُخْبِرُ، وَكَانَ يُعْرِفُ بَابَنَ يَعْيشَ، فَوَصَفَهُ لَهُ، فَتَوَجَّهَ الْفَقِيهَ إِلَى

(١) ترجمة أبي عبد الله محمد بن يوسف بن نصر في المغرب (ج ٢ ص ١٠٩) والبيان المغرب - قسم الموحدين (ص ٢٩٦، ٣٤١) واللمحة البدرية (ص ٣٦).

(٢) كنبانية: كلمة إسبانية Campaña، وتعني الأرض الجرداء. راجع نفح الطيب (ج ٤ ص ١٩١) حاشية المحقق.

أرجونة، ونزل بها، وتُسومع به، وأقبل السلطان وأظهره، وتكلموا في شأنه، فذكر غَرْضه فيه، وأظهر العجز عن الثَّمَن، وسأل منه تأخير بعضه، فأُسْعِفَه، واشترى منه الفَرَس بمال له خَطَر. فلما كُمل له القصد، طلب منه الخُلوة به في المسجد من الحصن، وخرج له عن الأمر، وأعطاه بَيْعته، وصرف عليه الثَّمَن، واستكتمه السلطان خيفةً على نفسه، وانصرف إلى بلده.

قال: وفي العام بعده، دعا إلى نفسه بأَرْجونة، وتملك مدينة جَيَّان، واختلف في السبب الذي دعاه إلى ذلك، فقيل: إن بعض العمال أساء معاملته في حقٍّ مَخْزَنِي، وقيل غير ذلك.

حاله: هذا الرجل كان آيةً من آيات الله في السَّدَاجَة والسلامة والجُمُهورية، جندياً، ثُغْرياً شهماً، أيّداً، عظيم التَّجَلُّد، رافضاً للدَّعة والرَّاحة، مؤثراً للتَّكْشِف، والاختِرَاء باليسير، مُتَبَلِّغاً بالقليل، بعيداً عن التَّصَنُّع، جافي السلاح، شديد العزم، مَرْهُوب الإقدام، عظيم التَّشْمِير، مُقْرياً لضيّفه، مُضْطَنّاً لأهل بيته، فظاً في طلب حُظّه، مُحْمِيّاً لقرباته وأقرانه وجيرانه، مباشراً للحروب بنفسه، تتغالى الحُكَاة في سلاحه، وزينة دُبُوره. يُخْصِف النعل، ويلبس الخشن، ويؤثر البداوة، ويستشعر الجدّ في أموره. سَعَدَ بيوم الجمعة، وكان فيه تملكه جيتان؛ ثم حضرة المُلْك غَرْناطة، وقيل: يوم قيامه شرع فيه الصَّدَقَة الجارية على ضُعفاء الحَضْرَة، ومناهم إلى اليوم. وتملك مدينة إشبيلية<sup>(١)</sup> في أخريات ربيع الأول من عام ظهوره، وهو عام تسعة وعشرين وستمائة نحواً من ثلاثين يوماً. وملك قرطبة في العشر الأول لرجب من العام المذكور، وكلاهما عاد إلى مُلْك ابن هود.

ولما تم له القصد من تملك التَّيْنِضَة، والحصول على العُمَال، مباشراً للحسابات بنفسه، فتوقّر ماله، وُعْصِت بالصامات خزائنه، وعقد السِّلَم الكبير، وتهنأ أمره، وأمكنه الاستعداد، فأنعم الأهواء، وملأ بطن الجَبَل المتصل بالقلعة حُبُوباً مختلفة، وخزائن دَرّة، ومالاً وسلاحاً واريةً ظهراً، وكُرَاعاً، فوجد فائدة استعدادده، ولجأ إلى ما أدّخره من عتاده.

سيرته: تظاهر لأول أمره بطاعة الملوك بالعدوة وإفريقية، يَخْطُب لهم زماناً يسيراً، وتوصل بسبب ذلك إلى إمدادٍ منهم وإعانة، ولقبل ما افتتح أمره بالدعاء للمستنصر العباسي ببغداد، حاذياً حذو سمّيه ابن هُود، لِلهَج العامة في وقته، بتقلد تلك الدعوة، إلى أن نزع عن ذلك كله.

(١) في المغرب: «وقد ملك إشبيلية وقتل ملكها المعتضد الباجي».



وكان يعقد للناس مجلسًا عامًا، يومين في كل أسبوع، فترتفع إليه الظلامات، ويُشافه طالب الحاجات، وتنشده الشعراء، وتدخل إليه الوفود، ويُشافه أرباب النصائح في مجلس اختص به أهل الحضرة، وقضاة الجماعة، وأولي الرتب النبئية في الخدمة، بقراءة أحاديث من الصّحّاحين، ويختتم بأغشار من القرآن. ثم ينتقل إلى مجلس خاص، ينظر فيه في أموره، فيصرف كل قصد إلى مَنْ يليق به ذلك، ويؤاكل بالعشيّات خاصته من القرابة؛ ومَنْ يليهم من نُبهاء القوّاد.

**أولاده:** أعقب ثلاثة من الذكور، محمدًا وليّ عهده وأمير المسلمين على أثره؛ والأميرين أبا سعيد فرج، وأبا الحجاج يوسف؛ تُوفّيّا على حياته؛ حسبما يتقرر بعد إن شاء الله.

**وزراء دولته:** وزر له جماعة؛ الوزير أبو مروان عبد الملك بن يوسف بن صناديد، زعيم قاعدة جيّان؛ وهو الذي مكّنه من ناصية جيّان المذكورة. واستوزر علي بن إبراهيم الشيباني من وجوه حضّرتة، وذوي النّسب من الفضلاء أولي الدّمائة والوقار. واستوزر الرئيس أبا عبد الله ابن الرئيس أبي عبد الله الرّيممي. واستوزر الوزير أبا يحيى ابن الكاتب من أهل حضّرتة، وغيرهم ممن تبلغ به الشهرة مبلغًا فيهم.

**كُتّابه:** كتب له من الجلّة جماعة، كالكاتب المحدث الشهير أبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن سعيد اليحصبي اللّوشي، ولما توفي كتب عنه ولده أبو بكر بن محمد. هؤلاء مشاهير كُتّابه، ومن المرؤوسين أعلام، كأبي بكر بن خطاب وغيره.

**قضاته:** ولي له قضاء الجماعة، القاضي العالم الشهير، أبو عامر يحيى بن عبد الرحمن بن ربيع الأشعري، من جِلّة أهل الأندلس في كِبَر البيت، وجلالة المنصب، وغزارة العلم. ثم ولي بعده الفقيه أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن عبد الجليل بن غالب الأنصاري الحَزرجي. ثم ولي بعده الفقيه أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن عبد السلام التميمي، وهذا الرجل من أهل الدين والأصالة، وآخر قضاء العدل. ثم ولي بعده الفقيه القاضي أبو عبد الله محمد بن عياض بن موسى اليحصبي. ثم ولي بعده الفقيه القاضي الحسيب أبو عبد الله بن أضْحَى، وبيته شهير، ولم تطل مدته. وولي بعده آخر قضاته أبو بكر محمد بن فتح بن علي الإشبيلي، الملقب بالأشبرون.

## الملوك على عهده:

بمراكش المأمون إدريس، مأمون الموحدين، مزاحما بأبي زكريا يحيى بن الناصر بن المنصور بن عبد المؤمن بالجبل. ولما توفي المأمون ولي الرشيد أبو محمد عبد الواحد في سنة ثلاثين وستمائة، وولي بعده أبو حفص عمر بن إسحق المرتضى، إلى أن قتله إدريس الواثق أبو دُبوس في عام خمسة وستين. وولي بعده سيرا بنو عامر بن علي بمراكش، وتعاقب منهم على عهده جلة؛ كالأمير عثمان وابنه حمو، وأخيه أبي يحيى بن عبد الحق. واستمر الملك في أسن أملاكهم، أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق بن مخيو إلى آخر أيامه.

وبتلمسان، شبيهه يغمراسن بن زيان، أول ملوكهم، وتقدمه أخوه أكبر منه برهة. ويغمراسن أول من أثل الملك، وحاز الذكر، واستحق الشهرة.

وبتونس، الأمير أبو زكريا يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص. وخاطبه السلطان المترجم به، والتمس رفته، وقد حصل على إعانته، وولي بعد موته ولده المستنصر أبو عبد الله، ودامت أيامه إلى أول أيام ولد السلطان المترجم له عام أربعة وسبعين.

وبقشتالة هراندة بن ألهنشة بن شانجه الإنبرطور. وهراندة هذا هو الذي ملك قرطبة وإشبيلية، ولما هلك ولي بعده ألفنش ولده ثلاثا وثلاثين سنة، واستمر ملكه مدة ولايته، وصدرا من دولة ولده بعده.

وبرغون جايماش ابن بطره ابن ألفونش قُطط بَزجلونه. وجايماش هذا هو الذي ملك بلنسية وصيرها دار ملكه من يد أبي جميل زيان بن مرذنيش.

لمع من أخباره: قام ابن أبي خالد بدعوته بغرناطة، كما ذكر في اسمه، ودعاه وهو بجيان، فبادر إليها في أخريات رمضان من عام خمسة وثلاثين وستمائة، بعد أن بعث إليه الملائ من أهلها ببيعتهم مع رجلين من مشيختهم؛ أبي بكر<sup>(١)</sup> الكاتب، وأبي جعفر التيزولي.

قال ابن عذاري في تاريخه<sup>(٢)</sup>: أقبل وما زيه بفاجر، ونزل<sup>(٣)</sup> عشي اليوم الذي

(١) في البيان المغرب - قسم الموحدين (ص ٣٤٢): «أبي بكر ابن الكاتب، وأبي جعفر التيزولي».

(٢) البيان المغرب - قسم الموحدين (ص ٣٤٢).

(٣) في البيان المغرب: «ونزل بخارج غرناطة على أن يدخلها من الغد غدوا ثم بدا له غير ذلك فدخلها مع غروب الشمس يوم نزوله».

وصل بخارج غرناطة، على أن يدخلها من الغد، ثم بدا له فدخلها عند غروب الشمس، نظرًا للحزم.

وحدث أبو محمد البسطي قال<sup>(١)</sup>: عاينته<sup>(٢)</sup> يوم دخوله وعليه شاشية<sup>(٣)</sup> ملفّ مضلعة أكتافها مُحَرَّقة<sup>(٤)</sup>. وعندما نزل بباب جامع القصبية، كان مؤذن المغرب في الحيلة، وإمامه يومئذ أبو المجد المرادي قد غاب، فدفع الشيخ السلطان إلى المحراب، وصلى<sup>(٥)</sup> بهم، على هيئته تلك، بفاتحة الكتاب. ﴿وَإِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾<sup>(٦)</sup>. والثانية بـ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾<sup>(٧)</sup>. ثم وصل قصر باديس، والشمع بين يديه<sup>(٨)</sup>.

وفي سنة ثلاث وأربعين وستمائة، صالح طاغية الروم، وعقد معه السلم الذي طاحت في شروطه جيان. وكان واقع بالعدو الراتب تجاه حضرته، المختص بحصن بلبش على بريد من الحضرة، وكان الفتح عظيمًا، ثم حالفه الصنع بما يضيق المجال عن استيعابه. وفي حدود اثنين وستين وستمائة صالح طاغية الروم، وعقد معه السلم، وعقد البيعة لولي عهده، واستدعى القبائل للجهاد.

**مولده:** في عام خمسة وتسعين وخمسمائة بأزجونة، عام الأرك<sup>(٩)</sup>.

**وفاته:** في منتصف جمادى الثانية من عام واحد وسبعين وستمائة، ورّد عليه وقد أسنّ، جملة من كُتّاب الرُعائم، يقودون جيشًا من أتباعهم، فبرز إلى لقائهم بظاهر حضرته، ولما كَرَّ آيَبًا إلى قصره، سقط ببعض طريقه، وخامره خَصَر، وهو راكب، وأردفه بعض مماليكه، واسمه صابر الكبير، وكانت وفاته ليلة الجمعة التاسع

(١) النص في البيان المغرب - قسم الموحدين (ص ٣٤٢ - ٣٤٣).

(٢) في البيان المغرب: «عاينته».

(٣) في المصدر نفسه: «دخوله بشاية». والشاية والشاشية: لباس حربي محشو بالقطن لوقاية المحارب.

(٤) في المصدر نفسه: «مقطعة».

(٥) في المصدر نفسه: «فصلى بهم على هيئة سفره بفاتحة...».

(٦) سورة النصر ١١٠، الآية ١. (٧) سورة الإخلاص ١١٢، الآية ١.

(٨) في البيان المغرب: «ثم خرج إلى قصر باديس ابن حبوس والشمع بين الأبواب يتقد...».

(٩) كانت وقعة الأرك سنة ٥٩١ هـ وليس سنة ٥٩٥ هـ، وذلك بين المنصور يعقوب بن يوسف الموحيدي وجيوش قشتالة بقيادة ألفونسو الثامن، وكان النصر فيها للموحدين، وكان عدد قتلى النصاري ثلاثين ألفًا، واستشهد من المسلمين نحو الخمسمائة. البيان المغرب - قسم الموحدين (ص ٢١٨).

والعشرين لجمادى الثانية المذكورة، ودفن بالمقبرة الجامعة العتيقة بسنام السبيكة، وعلى قبره اليوم منقوش:

«هذا قبر السلطان الأعلى، عزّ الإسلام، جمال الأنام، فخر الليالي والأيام، غياث الأمة، غيث الرحمة، قطب الملة، نور الشريعة، حامى السنة، سيف الحق، كافل الخلق، أسد الهيجاء، حِمَام الأعداء، قوام الأمور، ضابط الثغور، كاسر الجيوش، قانع الطغاة، قاهر الكفرة والبغاة، أمير المؤمنين، علم المهتدين، قدوة المتقين، عصمة الدين، شرف الملوك والسلاطين، الغالب بالله، المجاهد في سبيل الله، أمير المسلمين، أبو عبد الله محمد بن يوسف بن نصر الأنصاري، رفعه الله إلى أعلى عِلِّيِّين، وألحقه بالذين أنعم الله عليهم من النبيّين والصّديقين، والشهداء والصالحين. ولد، رضي الله عنه، وأتاه رحمة من لدنه، عام أحد وتسعين وخمسائة، وبويع له يوم الجمعة السادس والعشرين من رمضان عام خمسة وثلاثين وستمائة، وكانت وفاته يوم الجمعة بعد صلاة العصر التاسع والعشرين لجمادى الآخرة عام أحد وسبعين وستمائة، فسبحان مَنْ لا يفنى سلطانه، ولا يبيد ملكه، ولا ينقضي زمانه، لا إله إلا هو الرحمن الرحيم».

ومن جهة أخرى: [البسيط]

قبر الإمام الهمام الطاهر العلم	هذا محلّ العلى والمجد والكرم
ومن شيم غُلوية الشّيم	لله ما ضمّ هذا للحد من شرف
لا بأس عثّرة ولا ندى هَرَم	بالجود والبأس ما تحوي صفائحه
فخر الملوك الكريم الذات والشّيم	مُغني الكرامة والرضوان يعهده
كالغيث في مجد وكالليث في أجَم	مقامه في كلا يومي ندى ووغى
تقرّ بالحق فيها جملة الأمم	مآثر تُليت آثارها سورًا
تضيق عنه بلاد العُزْب والعجم	كأنه لم يسر في محفل لَجِب
يفتر منها الهدى عن ثغر مبتسم	ولم يباد العدا منه ببادرة
لا تشرب الماء إلا من قُلَيْب دَم	ولم يجهز لهم خيلا مضمرة
تأوي رعيته منه إلى حُرَم	ولم يقم حكم عدل في سياسته
وما حواه لدين الله من حُرَم	مَنْ كان يجهل ما أولاه من نعم
أبدى وأوضح من نار على علم	فتلك آثاره في كل مَكْرَمَة
سحائب الرحمة الوكّافة الدّيم	لا زال تهيم على قبر تضمّنه

محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أبي عامر  
ابن محمد بن أبي الوليد بن يزيد بن عبد الملك المعافري،  
المنصور بن أبي عامر<sup>(١)</sup>

مُعَظَّم الظَفَر، وَخِذَن السَّغْد، وَمَلَقَى عُصِيَّ الْجَدِّ، وَجَوَّ رِيَّاح الشَّهْرَةِ، وَدِيَّوَان  
فَنُون السِّيَاسَةِ، وَحِجَاجُ الدَّوْلَةِ الْعَبْشِمِيَّة<sup>(٢)</sup>، فِي التُّخُومِ الْمَغْرِبِيَّةِ، الْمَزْيُ<sup>(٣)</sup> بِالظَّرْفِ  
وَكَمَالِ السَّجِيَّةِ، وَالْجِهَادِ الْعَظِيمِ، الْعَرِيقُ فِي بَخْبُوحَةِ بِلَادِ الْكُفَّارِ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

أَوَّلِيَّتُهُ: دَخَلَ جَدُّهُ عَبْدُ الْمَلِكِ الْأَنْدَلُسُ مَعَ طَارِقِ مَوْلَى مُوسَى بْنِ نَصِيرٍ فِي أَوَّلِ  
الِدَاخِلِينَ مِنَ الْمَغْرِبِ، وَكَانَ لَهُ فِي فَتْحِهَا أَثَرًا جَمِيلًا، وَإِلَى ذَلِكَ أَشَارَ مَادِحُهُ  
مُحَمَّدُ بْنُ حَسَّانَ<sup>(٤)</sup>: [الطويل]

وَكُلُّ عَدُوٍّ أَنْتَ تَهْزِمُ<sup>(٥)</sup> عَرْشَهُ      وَكُلُّ قُتُوحٍ عَنْكَ يُفْتَحُ بِأُهَا  
وَإِنَّكَ<sup>(٦)</sup> مِنْ عَبْدِ الْمَلِكِ الَّذِي لَهُ      حُلَى فَتَحِ قَرْطَاجَةَ<sup>(٧)</sup> وَانْتَهَابُهَا

وَنَزَلَ عَبْدُ الْمَلِكِ الْجَزِيرَةُ الْخَضْرَاءَ لِأَوَّلِ الْفَتْحِ، فَسَادَ أَهْلُهَا، وَكَثُرَ عَقِبُهُ بِهَا؛  
وَتَكَرَّرَتْ فِيهِمُ التَّبَاهَةُ، وَجَاوَرُوا الْخُلَفَاءَ بِقَرْطَبَةٍ. وَكَانَ وَالِدُ مُحَمَّدٍ هَذَا، مِنْ أَهْلِ  
الِدِينِ وَالْعَفَافِ وَالزَّهْدِ فِي الدُّنْيَا وَالْقُعُودِ عَنِ السُّلْطَانِ. سَمِعَ الْحَدِيثَ، وَأَدَّى  
الْفَرِيضَةَ، وَمَاتَ مَنْصَرَفًا عَنِ الْحِجِّ بِإِطْرَابِلُسَ.

حَالُهُ: كَانَ هَذَا الرَّجُلُ يَكْرَهُ الدَّهْرَ، وَفَائِدَةُ الْأَيَّامِ، وَبَيْنَصَةُ الْعَمْرِ، وَفَرَدَ الْخَلْقَ  
فِي اضْطِرَادِ السَّعْدِ، وَتَمَلَّدَ الْعَاجِلُ مِنَ الْحِظِّ، حَازِمًا، دَاهِيَةً، مُشْتَمَلًا عَلَى أَقْطَارِ  
السُّوَدَدِ، هَوِيًّا إِلَى الْأَقَاصِيِّ، وَطُمُوْحًا، سَوْسًا حَمِيًّا، مُضْطَنَعًا لِلرَّجَالِ، جَالِبًا

(١) ترجمة المنصور العامري في البيان المغرب (ج ٢ ص ٢٥٦) والذخيرة (ق ٤ ص ٥٦) وأعمال  
الأعلام (القسم الثاني ص ٥٩) والحلة السيرة (ج ١ ص ٢٦٨) ومطمح الأنفس (ص ٣٨٨)  
وجذوة المقتبس (ص ١٧، ٧٨) وبغية الملتبس (ص ٢١، ١١٥) والمعجب (ص ٧٢) وكتاب  
العبر (م ٤ ص ٣١٨) والمغرب (ج ١ ص ١٩٥) والمختصر في أخبار البشر (ج ٢ ص ١١٧،  
١٣٦) وتبصرة المختصر في أخبار البشر (ج ١ ص ٤٧٧) ونفح الطيب (ج ١ ص ٣٨٢).

(٢) العبشمية: نسبة إلى عبد شمس، وهي من أوصاف الدولة الأموية. محيط المحيط (شمس).

(٣) المزْي: الظريف. محيط المحيط (مزي).

(٤) البيتان في البيان المغرب (ج ٢ ص ٢٥٦) وجاء فيه أن المادح هو محمد بن حسين الشاعر  
العالم بأخبار الأندلس.

(٥) في البيان المغرب: «تَهْدِيم».

(٦) في الأصل: «برأيك» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من البيان المغرب.

(٧) في الأصل: «قَرْطَبَة» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من البيان المغرب.

للأشراف، مستملاً للقلوب، مُطبّقاً المفاصل، مُزيحاً للعلل، مستبصرًا في الاستبداد، خاطبًا جميل الذكر، عظيم الصبر، رحيب الذُّع، طموح الطرف، جَشيع السيف، مُهادي جِياد العقاب والمثوبة، مَهيبًا، جَزَلًا، مُنكسف اللون، مُضِفِر الكفّ، آية الله، جلّ جلاله، في النَّضْر على الأعداء ومصاحبة الظَّفَر، وتوالي الصُّنع.

نباهته: قال المؤرخ<sup>(١)</sup>: سلك سبيل القضاء<sup>(٢)</sup> في أولَّيته، مقتفياً آثار عُموته وخُؤولته، يطلب<sup>(٣)</sup> الحديث في حدائته. وكتب منه كثيرًا، ولقي الجَلَّة من رجاله، ثم صحب الخليفة الحكم<sup>(٤)</sup> مُتَحَرِّبًا في زُمرته، وولي له الأعمال من القضاء والإمامة، ثم استكفاه، فعدل عن سبيله، وصار في أهل الخدمة. ثم اختصّه بخدمة أم ولده هشام، فزاد بخاصَّته لولي العهد، عزًّا ومكانةً من الدولة، فاحتاج الناس إليه، وغَسُوا بابَه، وبلغ الغاية من أصحاب السلطان معه، إسعافٌ، وكَرَم لقاء، وسهولةٌ حجاب، وحُسن أخلاق، فاستطار ذكره، وعُمِّر بابُه، وساعده الجَدُّ. ولَمَّا صار أمر المسلمين إليه، بلغ<sup>(٥)</sup> التي لا فوقها عزًّا وشهرة.

الثناء عليه: قال: وفي الدولة العامرية، وأعين محمد على أمره، مع قوة سعده، بخصال مؤلفة لم تجتمع لمن قبله، منها الجود، والوقار، والجَدُّ والهيبة، والعدل والأمن، وحبّ العمارة، وتأمير المال، والضبط للرعية، وأخذهم بترك الجدل والخلاف والتشعُّب، من غير وَهْن في دينه، وصحَّة الباطن، وشرح كل فضل، وجَلَب كلّ ما يوجب عن المنصور فيه.

### غزواته وظهوره على أعدائه:

واصل، رحمه الله، الغزو بنفسه، فيما يناهز خمسين غزوة، وفتح فيها البلاد، وخَصَّد شوكة الكفر، وأذلَّ الطواغيت وفضَّ مصاف الكفَّار، وبلغ الأعماق، وضرب على العدو الضرائب، إلى أن تلقاه عظيم الروم بنفسه وأتحفه بابنته في سبيل الرغبة في صِهْره، فكانت أحظى عقائله، وأبرّت في الدين والفضل على سائر أزواجه، وعقد اثني عشر برورًا إلى تلقي ملوك الروم القادمين عليه مُضطَّهرين بإلحاح سيفه، مُنكبين على لُثم سريره.

(١) النص في البيان المغرب (ج ٢ ص ٢٥٧ - ٢٥٨) بتصرف.

(٢) في البيان المغرب: «القضاء». (٣) في البيان المغرب: «فطلب».

(٤) هو خليفة الأندلس الحكم بن عبد الرحمن الناصر، المعروف بالحكم المستنصر، وقد حكم الأندلس من سنة ٣٥٠ هـ إلى سنة ٣٦٦ هـ.

(٥) في الأصل: «فبلغ».

شعره: ومما يؤثر من شعره<sup>(١)</sup>: [الطويل]

رَمَيْتُ بِنَفْسِي هَوَلَ كُلِّ عَظِيمَةٍ<sup>(٢)</sup>      وَخَاطَرْتُ وَالْحُرَّ الْكَرِيمَ يُخَاطِرُ<sup>(٣)</sup>  
وَمَا صَاحِبِي إِلَّا جَنَانٌ مُشَيِّعٌ      وَأَسْمَرُ خَطِيٍّ وَأَبْيَضُ بَاتِرٍ<sup>(٤)</sup>  
وَمَنْ شِيمَتِي<sup>(٥)</sup> أَنِي عَلَى كُلِّ<sup>(٦)</sup> طَالِبٍ      أَجُودُ بِمَالٍ لَا تَقِيهِ الْمَعَاذِرُ  
وَأَنِي لَزَجَاءُ الْجِيُوشِ إِلَى الْوَعَى      أَسُودُ تَلَاقِيهَا أَسُودُ خَوَادِرُ  
فَسُدْتُ<sup>(٧)</sup> بِنَفْسِي أَهْلَ كُلِّ سِيَادَةٍ      وَكَانَرْتُ<sup>(٨)</sup> حَتَّى لَمْ أَجِدْ مَنْ أَكْثَرُ  
وَمَا شِدْتُ بَنِيَانًا<sup>(٩)</sup> وَلَكِنْ زِيَادَةً      عَلَى مَا بَنَى عَبْدُ الْمَلِكِ وَعَامِرُ  
رَفَعْنَا الْعَوَالِي<sup>(١٠)</sup> بِالْعَوَالِي سِيَاةً<sup>(١١)</sup>      وَأَوَزَّئْنَاهَا فِي الْقَدِيمِ مَعَاوِرُ<sup>(١٢)</sup>

وبلغ في ملكه أقطار المغرب، إلى حدود القبلة<sup>(١٣)</sup>، وبمدينة فاس، إثر ولده المقلد فتح تلك الأقطار، ونهد أولئك الملوك الكبار.

**دخوله غرناطة:** قال صاحب الديوان في الدولة العامرية، وقد مر ذكر المنصور، قُومِسَ الْفَرَنْجَةُ بِمَدِينَةِ بَرَشْلُونَةِ: وهذه الأمة أكثر النصرانية جمعًا، وأوسعها، وأوفرها من الاستعداد، وما أوطىء من الممالك والبلاد، وفتح من القواعد، وهُزِمَ مِنَ الْجِيُوشِ. وقفل المنصور عنها، وهو أطمع الناس في استئصالها؛ ثم خَصَّهْمُ بِصَافَّةِ سَنَةِ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ، وَهِيَ الثَّالِثَةُ عَشْرَةَ<sup>(١٤)</sup> لَغَزَوَاتِهِ؛

(١) الأبيات في البيان المغرب (ج ٢ ص ٢٧٤) والحلة السيرة (ج ١ ص ٢٧٤) ونفع الطيب (ج ١ ص ٣٨٣). وورد منها ثلاثة أبيات في المغرب (ج ١ ص ٢٠٣).

(٢) في البيان المغرب: «كريمة».

(٣) في البيان المغرب والحلة السيرة: «مخاطر».

(٤) الجنان: القلب. المُشَيِّعُ: الجريء. الأسمر: الريح. الخطي: المنسوب إلى الخط وهو موضع باليمامة كانت تصنع منه الرماح. الأبيض: السيف. لسان العرب (جنن) و(شيع) و(سمر) و(خطط) و(بيض).

(٥) في الحلة السيرة: «شيمي».

(٦) كلمة «كل» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من الحلة السيرة.

(٧) في الحلة والبيان: «لَسَدْتُ». (٨) في النفع: «وفاخرت... من أفاخر».

(٩) في المغرب: «بيتا لي».

(١٠) في الأصل: «العلی» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصادر الأربعة.

(١١) في المغرب: «بسالَة». وفي الحلة: «حديثه». وفي البيان المغرب والنفع: «حديثه».

(١٢) رفعنا العوالي: رفعنا المجد. والعوالي: الرماح. معافر: قبيلة المنصور العامري.

(١٣) تقع بلاد القبلة في جنوب المغرب. (١٤) في الأصل: «عشر» وهو خطأ نحوي.

وقد احتفل لذلك، واستبلغ في التَّفير، واستوفى أتمَّ الأبهة، وأكمل العُدَّة، فجعل طريقه على شرقي الأندلس؛ لاستكمال ما هنالك من الأطعمة، فسلك طريق إلبيرة، إلى بَسْطَة، إلى تَدْمِير؛ وعزم في هذه الغزوات بُرِل ملك فَرَنْجَة ونازل مدينة برجلونة؛ فدخلها عَثْوَة يوم الاثنين النصف من صفر، سنة أربع وسبعين أو خمس بعدها.

قلت: وفي دخول المنصور بجيشه بلد إلبيرة؛ ما يحقق دعوى مَنْ ادَّعى دخول المعتمدين من أهل الأندلس لذلك العهد؛ إذ كان يصحب المنصور في هذه الغزوة، من الشعراء المرتزقين بديوانه من يذكر؛ فضلاً عن سائر الأصناف على ندادة هذا الصنف من الخدام؛ بالنسبة للبحر الزاخر من غيرهم.

والذي صحَّ أنه حضر ذلك، أبو عبد الله محمد بن حسين الطُّبْنِي، أبو القاسم حسين بن الوليد، المعروف بابن العريف، أبو الوضَّاح بن شُهَيْد، عبد الرحمن بن أحمد، أبو العلا صاعد بن الحسن اللغوي، أبو بكر زيادة الله بن علي بن حسن اليمني، عمر بن المنجم البغدادِي، أبو الحسن علي بن محمد القرشي العباسي، عبد العزيز بن الخطيب المحرود، أبو عمر يوسف بن هارون الزِيَادِي، موسى بن أبي طالب، مروان بن عبد الحكم بن عبد الرحمن، يحيى بن هُذَيْل بن عبد الملك بن هذيل المكفوف، سعد بن محمد القاضي، ابن عَمْرُون القرشي المرواني، علي النقاش البغدادِي، أبو بكر يحيى بن أمية بن وَهَب، محمد بن إسماعيل الزبيدي، صاحب المختصر في اللغة، أحمد بن دَرَّاج القَسْطَلِي، مُتَنَبِّي الأندلس، أبو الفرج مُنِيل بن مُنِيل الأشجعي، محمد بن عبد البصير، الوزير أحمد بن عبد الملك بن شهيد، محمد بن عبد الملك بن جَهْوَر، محمد بن الحسن القرشي، من أهل المشرق، أبو عبيدة حسان بن مالك بن هاني، طاهر بن محمد المعروف بالمُهَنْد، محمد بن مُطَرِّف بن شَخِص، سعيد بن عبد الله الشُّنْتَرِينِي، وليد بن مَسْلَمَة المرادي، أغلب بن سعيد، أبو الفضل أحمد بن عبد الوهاب، أحمد بن أبي غالب الرُّصَافِي، محمد بن مسعود البَلْخِي، عُبَادَة بن محمد بن ماء السماء، عبد الرحمن بن أبي الفهد الإلبيري، أبو الحسن بن المضيء البَجَلِي الكاتب، عبد الملك بن سهل، الوزير عبد الملك بن إدريس الجزيري، قاسم بن محمد الجَيَّانِي.

قال المؤرخ: هؤلاء مَنْ حفظته منهم، وهم أكثر من أن يحصوا، فعلى هذا يتبنى القياس في ضخامة هذا الملك، وانفساح هذا العِزِّ.



**وفاته:** توفي، رحمه الله، منصرفاً من غزاته المسمّاة بقتال الشّرك والرّيد، وقد دَوّخ أقطار قُشتالة، ليلة الاثنين سبعمائة وعشرين لرمضان عام اثنين وتسعين وثلاثمائة<sup>(١)</sup>، وقد عهد أن يُدفن ببلد وفاته، بعد وصية شهيرة صدرت عنه، إلى المُظفر ولده، فدفن بمدينة سالم، التي بناها في نحر العدو من وادي الحجارة، وبقصرها، وقبره معروف إلى اليوم. وكان قد اتخذ له من عُبار ثيابه الذي علاها في الجهاد، وعاء كبيراً بحديه، رحمه الله. وكُتب على قبره هذا الشعر<sup>(٢)</sup>: [الكامل]

آثارُهُ تُنبِيكَ عن أخبارِهِ<sup>(٣)</sup>      حتى كَأَنَّكَ بالعيان<sup>(٤)</sup> تَرَاهُ  
تالله لا يَأْتِي الزمانُ بِمِثْلِهِ      أبداً ولا يَحْمِي الثغورَ سِوَاهُ<sup>(٥)</sup>

**محمد بن عباد بن محمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل**  
**ابن قريش بن عباد بن عمرو بن أسلم بن عمرو بن عطف**  
**ابن نعيم، لخمى النسب<sup>(٦)</sup>**

**أوليته:** دخل الأندلس جدّه عطف مع بلج بن بشر القشيري، من أشرف الطّالعة البلجية، وهم من عرب حمص من أرض الشام، وموضعه بها يعرف بالعريش في آخر الجفار بين مصر والشام. ونزل عطف بقرية تعرف بيومين من إقليم طُشانة على ضفة النهر الأعظم من أرض إشبيلية. ولما هلك قريش، ورث السيادة إسماعيل بن قريش، وهو القاضي المشهور بالفضل والدهاء، يكنى أبا الوليد. وليّ الشرطة الوسطى لهشام بن الحكم، وخُطّة الإمامة إلى صلاة الجمعة. ثم خلفه أبو القاسم المنفرد برئاسة إشبيلية، المُتخف فيها بخُطط الوزيرين والقضاء

(١) في كتاب العبر لابن خلدون: هلك المنصور سنة ٣٧٤ هـ بعد ٢٧ سنة من ملكه. وفي جذوة المقتبس وبغية الملتبس والمعجب والمختصر في أخبار البشر، وتمة المختصر في أخبار البشر: توفي المنصور سنة ٣٩٣ هـ.

(٢) البيتان في البيان المغرب (ج ٢ ص ٣٠١) والحلة السيرة (ج ١ ص ٢٧٣) والمغرب (ج ١ ص ٢٠٢ - ٢٠٣).

(٣) في المغرب: «عن أوصافه».

(٤) رواية البيت في البيان المغرب هي:

تالله ما مَلَكَ الجزيرةَ مِثْلُهُ      حَقًّا ولا قَادَ الجيوشَ سِوَاهُ

(٦) ترجمة المعتمد بن عباد في قلائد العقيان (ص ٤) والذخيرة (ق ٢ ص ٤١) والمعجب (ص ١٥٨) والحلة السيرة (ج ٢ ص ٥٢) وأعمال الأعلام (القسم الثاني ص ١٥٧) والبيان المغرب (ج ٣ ص ٢٤٤، ٢٥٧) والوافي بالوفيات (ج ٣ ص ١٨٣) ووفيات الأعيان (ج ٤ ص ٢٧٤) والصلة (ص ٤٩٩، في ترجمة القاضي عبد الرحمن بن سوار).

والمظالم. وعزَّ جاهه، وكثرت حاشيته، وتعددت غلمانته، وأذعنت له عُداته. ثم خلفه الأمير المعتضد ولده، وكان خيِّراً حازماً، سديد الرأي، مضئوعاً له في الأعداء، فلما توفي، تصيّر الأمر إلى ولده المترجم به، المكنى أبا القاسم إلى حين خلعه.

حاله: قالوا كلُّهم: كان المعتمد، رحمه الله، فارساً شجاعاً، بطلاً مقدماً، شاعراً ماضياً، مشكور السيرة في رعيته. وقال أبو نصر في قلائده<sup>(١)</sup>: «وكان المعتمد على الله ملكاً قمع العدا، وجمع<sup>(٢)</sup> بين البأس والثدا، وطلع على الدنيا بذرَّ هدى، لم يتعطل يوماً كفه ولا بنانه، آونة يراعه وآونة سنائه، وكانت أيامه مواسم، وثغور<sup>(٣)</sup> برّه بواسم». لقبه أولاً الظافر، ثم تلقب<sup>(٤)</sup> بالمعتمد، كلفاً بجاريته اعتماد، لما ملكها، لتتفق حروف لقبه بحروف اسمها، لشدة ولوعه بها.

وزراؤه: ابن زَيْدون. وابن عَمَّار، وغيرهما.

أولاده المملكون: عبيد الله، يكنى أبا الحسن، وهو الرشيد، وهو الذي لم يوافق أباه على استئصاخ المرابطين، وعزَّس بزوال الملك عنهم، فقال: أحبُّ إليَّ أن أكون راعي إبل بالعدوة من أن ألقى الله، وقد حُولت الأندلس دار كفر، وكان قد ولّاه عهده، وبويع له بإشبيلية، وهو المحمول معه إلى العدو. ثم الفتح، وهو الملقب بالمأمون، كان قد بويع له بقرطبة، وهو المقتول بها، المُحمَّل رأسه إلى محلّة العدو المرابطين، المحاصرة لأبيه بإشبيلية. ثم يزيد الراضي، وكان قد ولّاه رُنْدَةَ، فقتل لما ملكها اللمّثونيون. ثم عبد الله، ويكنى أبا بكر. هؤلاء الأربعة من جاريته اعتماد، السيدة الكبرى، والمدعوة بالرُمَيْكِيَّة منسوبة إلى مولاها رُمَيْك بن حجاج، الذي ابتاعها منه المعتمد.

ملمّته: لما تكالب أذفونش بن فردلان على الأندلس بعد أخذه مدين طليطلة ضيق بالمعتمد، وأجحف في الجزية التي كان يتّقي بها على المسلمين عاديته، وعلى ذلك أقسم أخذها وتجنّى عليه، وطمع في البلاد، فحكى بعض الإخباريين أنه وجّه إليه رسله في آخر أمره لقبض تلك الضريبة، مع قوم من رؤساء النصارى، ونزلوا خارج باب إشبيلية، فوجّه إليهم المال، مع بعض الوزراء، فدخلوا على اليهودي

(١) قلائد العقيان (ص ٤).

(٢) كلمة «بين» غير واردة في القلائد.

(٣) في الأصل: «وثغوره برّة»، والتصويب من القلائد.

(٤) عن لقبه بالمعتمد لتتفق حروف لقبه بحروف اسم زوجته اعتماد ورد في الحلة السيرة (ج ٢ ص ٦٢).

المذكور في خبائه، وأخرجوا المال، فقال لهم: لا أَخَذْتُ منه هذا العيار ولا أخذت منه إلّا ذهبًا مشجّرًا، ولا يؤخذ منه في هذا العام إلّا أجفان البلاد، ونُقل كلامه إلى المعتمد، فبادر بالقبض عليه وعلى النصارى، ونكّل بهم، وقُتل اليهودي بعد أن بذل في نفسه زنة جسمه ذهبًا، فلم يُقبل منه، واحتبس النصارى، وراسله الطاغية في إطلاقهم، فأبى إلّا أن يُخلي منه حصن الحدود، فكان ذلك. واستصرخ اللُمثوثيين، وأجاز البحر بنفسه، وأقسم الطاغية بإيمانه المغلطة إلّا يرفع عنه يده. وهاجت حفيظة المعتمد، واجتهد في جواز المرابطين، وكان مما هو معلوم من الإيقاع بالطاغية في وقعة الزلاّقة<sup>(١)</sup>، فإنه الذي أصلى نارها بنفسه، فعظم بلاؤه، وشهر صبره، وأصابته الجراح في وجهه ويده، رحمه الله. وفي ذلك يقول أبو بكر بن عبادة المرّي<sup>(٢)</sup>:

[الوافر]

وقالوا كَفُّهُ جُرِحَتْ فقلنا	أعاديهِ تُواقِعها <sup>(٣)</sup> الجراح
وما أُنر <sup>(٤)</sup> الجراحِ ما رأيتم	فَتُوهِنُها المَنَاصِلُ والرِّماح
ولكن فاضَ سَيْلُ البأس <sup>(٥)</sup> منها	ففيها من مجاريهِ أنسيّاح <sup>(٦)</sup>
وقد صَحَّحَتْ وَسَحَّحَتْ بالأمانِي	وفاضَ الجودُ منها والسَّمّاح
رأى منه أبو يعقوب فيها	عُقَابًا لا يُهاض له جناح <sup>(٧)</sup>
فقال له لك القِدْحُ المُعَلَّى	إذا ضُرِبَتْ بمشهدك القِداح

ولما اتصلت به الصّيحة؛ بين يدي دخول المدينة، ركب في أفراد من عبيده؛ وعليه قميص يَشْفُ عن بدنه، والسيف مُتَنَضّي بيده، ويَمّم باب الفَرَج، فقدم الداخلين، فردّهم على أعقابهم؛ وقتل فارسًا منهم؛ فانزعجوا أمامه؛ وخَلَفُوا الباب؛ فأمر بإغلاقه؛ وسكنت الحال؛ وعاد إلى قصره. وفي ذلك

(١) كانت وقعة الزلاّقة في سنة ٤٧٩ هـ بين المرابطين وملوك الطوائف من جهة والإسبان من جهة ثانية. وكان النصر فيها للمسلمين. وهناك دراسة مستفيضة عنها في كتاب: مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر (ص ١٨٣ - ٢٠٤) فلتنظر.

(٢) هو أبو بكر بن عبادة، المعروف بابن القزاز، والآيات في قلائد العقيان (ص ١٣) والمغرب (ج ٢ ص ١٣٥) وأعمال الأعلام (القسم الثالث ص ١٤٩).

(٣) في المغرب: «تُواقِفها».

(٤) في الأصل: «وما لمَرّت» والتصويب من القلائد والمغرب.

(٥) في المغرب «الجود».

(٦) رواية عجز البيت في المغرب هي: فأَمسى في جوانبها أنسيّاح.

(٧) هذا البيت والذي يليه غير واردين في المغرب.

يقول<sup>(١)</sup>: [مجزوء الكامل]

مُلْكِي وتُسَلَمَنِي الجُمُوعُ	إِنْ يَسْلُبِ القَوْمُ العِدَا <sup>(٢)</sup>
لَمْ تُسَلِّمِ القَلْبَ الضُّلُوعُ	فَالْقَلْبُ بَيْنَ ضُلُوعِهِ
أَلَّا تُحَصِّنَنِي الدُّرُوعُ	قَدْ رُمْتُ يَوْمَ نِزَالِهِمْ
صَ عَنْ الحَشَا شَيْءٌ دَفُوعُ	وَبَرَزْتُ لَيْسَ سِوَى القَمِي
بِهَوَايَ ذُلِّي والخُضُوعُ	أَجَلِي تَأَخَّرَ لَمْ يَكُنْ
لِ <sup>(٣)</sup> وَكَانَ مِنْ أَمَلِي الرجُوعُ	مَا سَزْتُ قَطُّ إِلَى القِتَا
وَالأُضْلُ تَتْبَعُهُ الفُرُوعُ	شَيْمِ الأُولَى <sup>(٤)</sup> أَنَا مِنْهُمْ

جوده: وأخبار<sup>(٥)</sup> جوده شهيرة، ومما يؤثر من ذلك، على استصحاب حال العز، ووفور ذات اليد، وأدوات الملك، غريب. والشاهد المقبول بقاء السجية ومصاحبة الخلق الملكية، مع الإقتار والإيسار، وتقلب الأقطار. وتعرض له الحضري القرموني الضرير بخارج طنجة؛ وهو يجتاز عليها في السواحل من قهر واعتقال، بأشعار ظاهرة المقت، غير لائقة بالوقت، ولم يكن بيده، زعموا، غير ثلاثين ديناراً<sup>(٦)</sup> كانت بخفه، معدة لضرورة ضرر وأزمة، وأطبع عليها دمه، وأدرج قطعة شعر طيها اعتذار عن نثرها، راغباً في قبول أمرها، فلم يراجعه الحضري بشيء عن ذلك، فكتب إليه<sup>(٧)</sup>: [مجزوء الرمل]

قُلْ لِمَنْ جَمَعَ العِدْ	مَ وَمَا <sup>(٨)</sup> أَخْصَى صَوَابَهُ
كَانَ فِي الصُّرَةِ شِعْرُ	فَتَنَظَّرْنَا <sup>(٩)</sup> جَوَابَهُ
قَدْ أَتَيْنَاكَ <sup>(١٠)</sup> فَهَلَا	جَلَبَ الشُّعْرُ جَوَابَهُ <sup>(١١)</sup> ؟

(١) الأبيات في ديوان المعتمد بن عباد (ص ٨٨ - ٨٩) وقلائد العقيان (ص ٢١ - ٢٢) والحلة السيرة (ج ٢ ص ٦٥ - ٦٦).

(٢) رواية صدر البيت في الحلة السيرة هي: إن تستلب عني الدنيا.

(٣) في الحلة السيرة: «إلى الكماة». (٤) في الديوان: «الألى».

(٥) قارن بالذخيرة (ص ٢ ص ٦٦ - ٦٧). (٦) في الذخيرة (ق ٢ ص ٦٧): «مثقالاً».

(٧) الأبيات في ديوان المعتمد بن عباد (ص ٩١) والذخيرة (ق ٢ ص ٦٧) والمعجب (ص ٢٠٦).

(٨) في الذخيرة: «ومن».

(٩) في الأصل: «فانتظرنا» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الديوان والمصدرين الآخرين.

(١٠) في الأصل: «أتيناك» وهو تحريف، والتصويب من الديوان والمصدرين الآخرين.

(١١) في الديوان والمصدرين الآخرين: «ثوابه».

حلمه: رُفِعَ إليه صَدْرَ دولته شعر، أُغري فيه بأبي الوليد بن زيدون، وهو شهير، وتُخَيَّرَ له موقع وتَرَصَّدَ حين، وانتظر به مُؤَجَّرَه، وهو<sup>(١)</sup>: [الكامل]

يا أيها الملك الأعز<sup>(٢)</sup> الأعظم  
واحسم بسيفك داء<sup>(٤)</sup> كل منافق  
لا تتركَنَّ للناس موضعَ شُبْهة<sup>(٥)</sup>  
قد قال شاعرٌ كِنْدَةَ فيما مضى  
«لا يَسْلَمُ الشَّرَفُ الرفيعُ من الأذى  
فوقع على الرقعة<sup>(٨)</sup>: [الكامل]

كَذَبْتَ مُنَاكُم، صرّحوا أو جَمَعُوا  
خُنْتُمْ وَرُمْتُمْ أَنْ أَخُونَ وَإِنَّمَا  
وَأَرَدْتُمْ تَضْيِيقَ صَدْرِ لَمْ يَضِيقْ  
وَزَحَفْتُمْ بِمُحَالِكُمْ لِمُجَرَّبِ  
أَتَى رَجَوْتُمْ عَذَرَ مَنْ جَرَّيْتُمْ  
أنا ذا<sup>(١٤)</sup> كُمْ لَا السَّغْيَ<sup>(١٥)</sup> يُنْمِرُ غَرْسُهُ  
كُفُّوا وَلَا فَارُقُوا لِي بَطْشَةً  
الدِّينُ أَمَتَنُ وَالسَّجِيَّةُ<sup>(٩)</sup> أَكْرَمُ  
حَاوَلْتُمْ أَنْ يُسْتَخَفَّ يَلْمَلَمُ<sup>(١٠)</sup>  
وَالسُّمُرُ فِي صَدْرِ<sup>(١١)</sup> الثُّحُورِ تُحَطِّمُ  
مَا زَالَ يَثْبُتُ لِلْمُحَالِ<sup>(١٢)</sup> فَيَهْزِمُ  
مِنْهُ الْوَفَاءُ وَظَلَمَ<sup>(١٣)</sup> مَنْ لَا يَظْلِمُ  
عِنْدِي وَلَا مَبْنَى الصَّنِيعَةِ يُهْدَمُ<sup>(١٦)</sup>  
يَبْقَى<sup>(١٧)</sup> السَّفِيهُ بِمِثْلِهَا يَتَحَلَّمُ<sup>(١٨)</sup>

(١) الأبيات في الذخيرة (ق ٢ ص ٥١) وقلائد العقيان (ص ١٤ - ١٥).

(٢) في المصدرين: «العلي». (٣) في الذخيرة: «يتم». وفي القلائد: «يتم».

(٤) كلمة «داء» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من المصدرين.

(٥) في القلائد: «تهمة». (٦) في المصدرين: «بيتا».

(٧) البيت للمتنبي وهو في ديوانه (ص ٦٣٠).

(٨) الأبيات في ديوان المعتمد بن عباد (ص ٦٧) والذخيرة (ص ٢ ص ٥١ - ٥٢) وقلائد العقيان (ص ١٥ - ١٦).

(٩) في الديوان والذخيرة: «المروءة».

(١٠) يَلْمَلَمُ: موضع على ليلتين من مكة، وهو ميقات أهل اليمن. معجم البلدان (ج ٥ ص ٤٤١).

(١١) في الديوان والقلائد: «في تُغَر». وفي الذخيرة: «ما في تُغَر الصدور».

(١٢) في الديوان: «في المجال». وفي الذخيرة: «في المحال».

(١٣) في الديوان والذخيرة: «وجور». (١٤) في القلائد: «أنا ذلكم».

(١٥) في الديوان والمصدرين: «لا البقي». (١٦) في الذخيرة: «يُثْلَم».

(١٧) في الديوان والمصدرين: «يُلْقَى». (١٨) في الديوان والمصدرين: «فَيَحْلَم».

## توقيعه ونثره في البديهة:

كتب مع الحمائم إلى ولده الرشيد عَقِب الفراغ من وقعة الزَّلَاقَة:

يا بني، وَمَنْ أَبْقَاه الله وَسَلَّمَهُ، ووقاه الأسواء وَعَصَمَهُ، وَأَسْبَغَ عَلَيْهِ آلاءَهُ وَأَنْعَمَهُ، كَتَبْتُهُ، وَقَدْ أَعَزَّ اللهُ الدِّينَ، وَأَظْهَرَ الْمُسْلِمِينَ، وَفَتَحَ لَهُمْ عَلَى يَدَيِ مُسْتَدْعِيَاتِ الْفَتْحِ الْمُبِينِ، بِمَا يَسَّرَهُ اللهُ فِي أَمْسِهِ وَسَنَاهُ، وَقَدَّرَهُ سَبْحَانَهُ وَقَضَاهُ، مِنْ هَزِيمَةِ أَذْفُونِشِ ابْنِ فِرْدَوْشَ لَعْنَهُ اللهُ وَأَصْلَاهُ، وَإِنْ كَانَ طَاحَ لِلْجَحِيمِ، وَلَا أَعَدَمَهُ وَإِنْ كَانَ أَهْلَ الْعَيْشِ الدُّمِيمِ، كَمَا قَنَعَهُ الْخَزْيُ الْعَظِيمُ. وَأَتَى الْقَتْلَ عَلَى أَكْثَرِ رِجَالِهِ وَحُمَاتِهِ، وَاتَّصَلَ الثَّهْبُ سَائِرَ الْيَوْمِ، وَاللَّيْلَةُ الْمُتَّصِلَةُ بِهِ، جَمِيعَ مُحَلَّاتِهِ، وَجَمَعَ مِنْ رُؤُوسِهِمْ بَيْنَ يَدَيَّ، مِنْ مَشْهُورِي رِجَالِهِمْ، وَمَذْكَورِي أَبْطَالِهِمْ، وَلَمْ يَخْتَرْ مِنْهُمْ إِلَّا مِنْ شَهْرٍ وَقَرَبَ، وَامْتَلَأَتِ الْأَيْدِي مِمَّا سُلِبَ وَنُهِبَ. وَالَّذِي لَا مَرِيَةَ فِيهِ، أَنْ النَّاجِي مِنْهُمْ قَلِيلٌ، وَالْمُفْلَتُ مِنْ سَيُوفِ الْجَزَعِ وَالْبَعْدِ قَتِيلٌ، وَلَمْ يُصْبِنِي بِفَضْلِ اللهِ إِلَّا جَرَحَ أَشْوَى، وَحَسَنَ الْحَالِ عِنْدَنَا وَاللهُ وَزَكَّى، وَلَا يُشْغَلُ بِذَلِكَ بَالٌ، وَلَا يُتَوَهَّمُ غَيْرُ الْحَالِ الَّتِي أَشْرَتْ إِلَيْهَا حَالُ، وَالْأَذْفُونِشُ بْنُ فِرْدَوْشَ، إِنْ لَمْ يَصْبِحْ تَحْتَ السَّيُوفِ فَسَيَمُوتُ لَا مُحَالَةَ كَمَدًا، وَإِنْ كَانَ لَمْ تَعْلَقَهُ أَسْرَادُ الْحَمَامِ فَعَدَا، فَإِنْ بَرَأَسَهُ طُمْرَةٌ وَلِحَامٌ. فَإِذَا وَرَدَ كِتَابِي هَذَا، فَمُرْ بِجَمْعِ الْخَاصِّ وَالْعَامِّ، مِنْ أَهْلِ إِشْبِيلِيَّةِ، وَجِيرَانِهَا الْأَقْرَبِينَ، وَأَصْفِيَانَا الْمُحِبِّينَ، فِي الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ، أَعِزَّهُمُ اللهُ، وَلِيُقْرَأْ عَلَيْهِمْ فِيهِ، لِيَأْخُذُوا مِنَ الْمَسْرَةِ بِأَنْصِبَائِهِمْ، وَيُضِيفُوا شُكْرًا لِلَّهِ إِلَى صَالِحِ دُعَائِهِمْ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا صَنَعَ حَقَّ حَمْدِهِ، جَلَّ الْمَزِيدُ لِأَمْرِ حِينٍ، إِلَّا مِنْ عِنْدِهِ وَالسَّلَامُ.

تَلَطَّفَهُ وَظَرَفَهُ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ الدَّانِي: سَأَلَنِي فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ عِنْدَ قُدُومِي عَلَيْهِ بِأَغْمَاتٍ، قَاضِيًا حَقَّ نِعْمَتِهِ، مُسْتَكْثَرًا مِنْ زِيَارَتِهِ، مُسْتَمْتَعًا بِرَائِقِ أَدَبِهِ، عَلَى حَالِ مُحَنَّتِهِ، عَنْ كُتُبِي، فَأَعْلَمْتُهُ بِذَهَابِهَا فِي نَهْبِ حَضْرَتِهِ. وَكُنْتُ قَدْ جَلَبْتُ فِي سَفَرَتِي تِلْكَ، الْأَشْعَارَ السَّتَةَ، بِشَرْحِ الْأَسْتَاذِ أَبِي الْحَجَّاجِ الشَّشْمَرِيِّ الْأَعْلَمِ، وَكَانَتْ مُسْتَعَارَةً، فَكْتَمْتُهَا عَنْهُ. وَوَشَى إِلَيْهِ أَحَدُ الْأَصْحَابِ، فَخَجَلَ بِكُرمِهِ وَحُسْنِ شَيْمَتِهِ، مِنْ الْأَخْذِ مَعِي فِي ذِكْرِ مَا كَتَمْتُهُ، فَاسْتَطَرَدَ إِلَى ذَلِكَ بِغَرَضِ نَبِيلٍ، وَنَحَا فِيهِ نَحْوًا، يَغْرُبُ عَنِ الشَّرَفِ الْأَصِيلِ، وَأَمْلَى عَلَيَّ، فِي جُمْلَةٍ مَا كَانَ يُمْلِيهِ: [الكامل]

وَكَوَاكِبٍ لَمْ أَذِرْ قَبْلَ وَجُوهِهَا	أَنَّ الْبَدُورَ تَدُورُ فِي الْأَزْرَارِ
نَادَمْتُهَا فِي جَنَحِ لَيْلٍ دَامَسَ	فَاعْزَنَهُ مِثْلًا مِنَ الْأَنْوَارِ
فِي وَسْطِ رَوْضَةٍ نَرَجَسَ كَعْيُونَهَا	مَا أَشْبَهَ الثُّوَارَ بِالثُّوَارِ
فَإِذَا تَوَاصَفْنَا الْحَدِيثَ حَسِبْتَنِي	أَلَهُوَ بِمُلْتَقَطِ لَدَرْ نِشَارِ

فإذا اكتحلْتُ برقَّ ثغرٍ باسم      سَكَبْتُ جُفُونِي أغزر الأمطار  
 حَذَرَ الملام وخيفةً من جفوة      تذر الصدور على شفيرِ هار  
 تركَ الجواري الأنسات مذهبِي      وسَوَّلَهَا ظَفَرٌ بريشة الأشعار

فلم أتمالك عند ذلك ضحكًا، وعلمت أن الأمر قد سُرِّي إليهِ، فأعلمته قصَّتْهَا، فبسط العُذر بفضلِهِ، وتأوَّل الأمر، وقَسَمَ الأشعار، على ثلاثة من بنيهِ؛ ذوي خطِّ رائع، ونقل حَسَن، وأدب بارع، أخذوا في نسخها، وصرفوا الأصل لأجل قريب.

محتته: ولم يلبث أمير اللمتونيين بعد جوازه إلى الأندلس، وظهوره على طائفة الروم، أن قَسَد ما بينه وبين رؤساء الطوائف بالأندلس، وعزم على خلْعهم، فأجاز من سَبَّته العساكر، وسِرِب الأمداد. وأخذ المعتمد بالعزم يحصِّن حصونه، وأودع المعادل عُدَّتْهُ، وقَسَم على مظان الامتناع ولده، وصَمَدَت الجموع صَمْدَةَ بنيهِ، ونازل الأمير سِينِرَ إشبيلية، دار المعتمد، وحَضَرَة ملكه، ونازل الأمير محمد ابن الحاج قرطبة، وبها المأمون، ونزل جَزُور من قواده رُنْدَة، وبها الرّاضي ابن المعتمد. واستمرَّ الأمر، واتصلت المحاصرة، ووقعت أمور يضيق الكتاب على استقصائها. فدخلت قرطبة في جمادى الآخرة عام أربعة وثمانين وأربعمائة، وقُتِل الرّاضي، وجُلب رأسه فطيف به بمرأى من أبيهِ. وكان دخول إشبيلية على المعتمد، دخول القُهر والغلبة، يوم الأحد لعشر بقين من رجب، وشملت الغارة، واقتُحمت الدُور، وخرج ابن عباد في شِكَّتِهِ<sup>(١)</sup>، وابنه مالك في أمته معهما، فقتل مالك الملقب بفخر الدولة ورَهَقَت الخيل، وكَثُر، فدخل القصر مُلقِيًا بيده. ولما جَنَّ الليل، وجّه ابنه الأكبر الرشيد إلى الأمير، فحُجِب عنه، ووَكِّل بعض خدمه به، وعاد إلى المعتمد فأخبره بالإعراض عنه، فأيقن بالهَلَكَة، وودَّع أهله، وعلا البكاء، وكَثُر الصُّراخ، وخرج هو وابنه، فَأَنْزَلَا فِي خِباء حصين، ورَقَبَا بالحرس، وأُخْرِجَ الحَرَم من قصره، وَضُمَّ ما اشتمل عليه، وأمر بالكَتَب إلى ولده برُنْدَة ففعل. ولَمَّا نَزَل، واستُوصِلت ذخيرته، سلا، وأُجِيزَ المعتمد البحر، وَمَن معه إلى طنجة، فاستَقَرَّ بها في شعبان من العام، وفي هول البحر عليه في هذا الحال، يقول رحمه الله: [البيسط]

لم أنس والموت يُذْنِني ويُقْصِني      والموت كأنَّ المنى يأتيني  
 أبصرْتُ هَوْلًا لو أَنَّ الدهرَ أبْصَرَه      لما خُوفًا لأمرٍ ليس بالدون

(١) الشُّكَّة: السلاح وعدة الحرب. لسان العرب (شكك).

قد كنت ضائاً بنفس لا أجود بها      فبغثها باضطرابٍ بينع مغبون  
 كم ليلة بث مطوياً على حرق      في عسرٍ من عيون الدبر في العين  
 فتلك أحسن أم ظلت به      في ظل عزّة سلطان وتمكين؟  
 ولم يكن والذي تغنو الوجوه له      عِرضي مُهاناً ولا مالي بمخزون  
 وكم خلوت من الهيجا بمعترك      والحرب ترفل في أثوابها الجون  
 يا رب إن لم تدع حالاً أسر به      فهب لعبدك أجراً غير ممنون

وجرى على بناته شيء يوم خروجهن، واضطرتها الضيقة إلى معيشتهم من غزل أيديهن، وجرت عليه محن طال لها شجنه وأقعده قيده، إلى أن نقل إلى أغمات وريكة، وحل عنه الاعتقال، وأجري عليه رزقه، تبلى به لمدة من أعوام أربعة، واستنقذه حمامه، رحمة الله عليه.

**وصوله إلى غرناطة:** قال ابن الصيرفي: وقد أجرى ذكر تملك يوسف بن تاشفين غرناطة، وخلع أميرها عبد الله بن بلقين حفيد باديس، يوم الأحد لثلاث عشرة خلت من رجب عام ثلاثة وثمانين<sup>(١)</sup>، ولحق ابن عباد<sup>(٢)</sup> وحليفه ابن مسلمة<sup>(٣)</sup> بخيل ورجل وزمالة وعدد، وحل ذلك من ابن عباد تضمناً لمسرة أمير المسلمين، وتحقيقاً بمولاته، فدخلا عليه، وهنأه، وقد تحكمت في نفس ابن عباد الطماعية في إسلام غرناطة إلى ابنه<sup>(٤)</sup>، بعد استيفاء نعمة صاحبها، عوضاً عن الجزيرة الخضراء، وكان قد أشخصه معه، فعرض بغرضه، فأعرض أمير المسلمين عن الجميع إعراضاً، كانت منية كل منهما التخلص من يده، والرجوع إلى بلده، فأعمل ابن عباد الحيلة، فكتب، يزعم أنه وردت عليه تحته من إشبيلية في اللحاق أنباء مهمة طرقت بتحريك العدو، واستأذن بها في الصدور، فأخذ له ولحليفه ابن مسلمة، فانتهزا الفرصة، وابتدرا الرجعة، ولحق كل بموضعه يظن أنه ملك رئاسة أمره.

**مولده:** ولد المعتمد على الله بمدينة باجة سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة. ووُلِّي سنة إحدى وستين. وخلع سنة أربع وثمانين.

(١) كذا ورد في الإعلام بمن حلّ مراكش وأغمات من الأعلام (ص ٣٢٠).

(٢) هو المعتمد بن عباد، صاحب إشبيلية. وقصته والمتوكل بن الأفطس مع ابن تاشفين الواردة هنا، انظرها في وفيات الأعيان (ج ٥ ص ٤٨٥) والحلل الموشية (ص ٥١ - ٥٢) والبيان المغرب (ج ٤ ص ١٢٧، ١٤٣ - ١٤٤).

(٣) هو المتوكل بن الأفطس، صاحب بطليوس. (٤) هو الراضي يزيد ابن المعتمد بن عباد.



وفاته: كانت وفاة المعتمد على الله بأغمت في ربيع الأول سنة ثمان وثمانين وأربعمائة، بعد أن تقدمت وفاته وفاة الحرة اعتماد، وجزع عليها جزعاً أقرب سرعة لحاقه بها. ولما أحس بالمنية رثى نفسه بهذه الأبيات وأمر أن تُكتب على قبره<sup>(١)</sup>:  
[البسيط]

قَبْرَ الْغَرِيبِ سَقَاكَ الرَّائِحُ الْغَادِي  
بِالْجَلْمِ بِالْعِلْمِ بِالثُّغْمَى إِذَا اتَّصَلَتْ  
بِالطَّاعِنِ الضَّارِبِ الرَّامِي إِذَا اقْتَتَلُوا  
بِالْدَهْرِ فِي نَقَمٍ بِالْبَحْرِ فِي نَعَمٍ  
نَعَمْ هُوَ الْحَقُّ فَاجَانِي<sup>(٢)</sup> عَلَى قَدَرٍ  
وَلَمْ أَكُنْ قَبْلَ ذَاكَ التَّغَشُّ أَعْلَمُهُ  
كَفَاكَ فَارْتَقُ بِمَا اسْتَوْدَعْتَ مِنْ كَرَمٍ  
يَبْكِي أَخَاهُ الَّذِي غَيَّبَتْ وَابِلُهُ  
حَتَّى يَجُودَكَ دَمْعُ الطَّلِّ مِنْهُمْ رَا  
فَلَا<sup>(٤)</sup> تَزَلْ صَلَوَاتُ اللَّهِ نَازِلَةً<sup>(٥)</sup>  
حَقًّا ظَفِرَتْ بِأَسْلَاءِ ابْنِ عَبَادٍ  
بِالْخَضْبِ إِنْ أَجْدَبُوا بِالرَّيِّ لِلصَّادِي  
بِالْمَوْتِ أَحْمَرَ بِالضَّرْغَامَةِ الْعَادِي  
بِالْبَذْرِ فِي ظُلْمٍ بِالصَّدْرِ فِي النَّادِي  
مَنْ السَّمَاءِ وَوَفَانِي<sup>(٣)</sup> لِمِيعَادٍ  
أَنَّ الْجِبَالَ تَهَادَى فَوْقَ أَغْوَادٍ  
رَوَاكُ كُلِّ قَطُوبٍ الْبَرْقِ رَعَادٍ  
تَحْتَ الصَّفِيحِ بِدَمْعِ رَائِحِ غَادِي  
مَنْ أَغَيْنَ الزُّهْرَ لَمْ تَبْخُلْ بِإِسْعَادٍ  
عَلَى دِفِينِكَ لَا تُخْصِي بِتَغْدَادٍ

بعض ما رثي به: قال ابن الصيرفي: وخالف في وفاة المعتمد، فقال: كانت في ذي حجة. فلما انفصل الناس من صلاة العيد، حفَّ بقبره ملأ، يتوجعون ويترحمون عليه، وأقبل ابن عبد الصمد، فوقف على قبره وأنشد<sup>(٦)</sup>:  
[الكامل]

مَلِكُ الْمُلُوكِ، أَسَامِعْ فَأَنَادِي  
لَمَّا خَلَّتْ<sup>(٧)</sup> مِنْكَ الْقَصُورُ فَلَمْ<sup>(٨)</sup> تَكُنْ  
أَقْبَلْتُ فِي هَذَا الشَّرَى لَكَ خَاضِعًا  
أَمْ قَدْ عَدَّتْكَ عَنِ السَّمَاعِ عَوَادِي؟  
فِيهَا كَمَا قَدْ كُنْتُ فِي الْأَغْيَادِ  
وَتَخِذْتُ<sup>(٩)</sup> قَبْرَكَ مَوْضِعَ الْإِنْشَادِ

(١) الأبيات في المعجب (ص ٢٢٢)، وهي غير واردة في ديوانه.

(٢) في الأصل: «فاجاني» وهكذا ينكسر الوزن. وفي المعجب: «نعم هو الحق حاباني به قدر».

(٣) في المعجب: «ووفاني». (٤) في المعجب: «ولا».

(٥) في المعجب: «دائمة».

(٦) الأبيات في قلائد العقيان (ص ٣٠) ووفيات الأعيان (ج ٤ ص ٢٨٩) وجاء في الأخير أن الشاعر هو: أبو بحر عبد الصمد.

(٧) في وفيات الأعيان: «نقلت عن».

(٨) في المصدر: «ولم».

(٩) في وفيات الأعيان: «وجعلت».

ثم خَرَّ يَبْكِي، وَيُقَبِّلُ الْقَبْرَ وَيَعْفُرُ وَجْهَهُ فِي الثَّرَابِ، فَبَكَى ذَلِكَ الْمَلَأَ حَتَّى أَخْضَلُوا مَلَابِسَهُمْ، وَارْتَفَعَ نَشِيجُهُمْ، فَلَلَّهُ دُرُّ ابْنِ عَبْدِ الصَّمَدِ، وَمَلَاذَ ذَلِكَ الْبَلَدِ.

محمد بن سعد بن محمد بن أحمد بن مَرْدَنِيش الْجُدَامِي<sup>(١)</sup>

قال بعضهم: ينتمي في تُجِيب، الأمير أبو عبد الله.

**أَوَّلِيَّتُهُ:** معروفة. وعلى يد أبيه جَرَّتِ الوقعة الكبرى بظاهر إفراغة<sup>(٢)</sup>، على ابن رُذْمِيرِ الطاغية، فجَلَّتِ الشُّهرة، وعَظُمَتِ الأثرَة. قال بعضهم: تولى أبوه سعد قيادة إفراغه وما إليها، وضبطها. ونازلها ابن رذمير، فشهر غناؤه بها في دفاعه، وصبره على حصاره، إلى أن هزمه الله عزَّ وجلَّ، على يدي ابن غانية. وظهر بعد ذلك فحسُن بلاؤه، وبَعُدَ صيته. ورأس ابنه محمد، ونَقَّقَ في أَلْفَتِهِ. وكان بينه وبين ابن عياض المتأمر بمُرْسِيَةِ صِهْرٍ، ولَّاه لأجله بَلَنْسِيَةَ. فلما توفي ابن عياض، بادرها ابن سعد، وبلغه أثناء طريقه غدر العدو بحصن جلال، فكَرَّ وقاد له وفتح. وعاد فملك بلنسية، وقد ارتفع له صيتٌ شهير، ثم دخلت مُرْسِيَةُ في أمره، واستقام له الشُّرْقُ، وعَظُمَتِ حاله.

**حاله:** قال ابن حمادة: ساد من صغره بشجاعته ونجابته، وصيت أبيه، فمال بذلك إلى القيادة، وسُنَّه إحدى وعشرون سنة. ثم ارتقى إلى المُلْكِ الراسخ، والسلطان الشامخ، بباهر شجاعته وشهامته، فسَمَا قَدْرُهُ، وعَظُمَ أمره، وفَشَى في كل أمة ذكره.

وقال غيره: كان بعيد الغور، قويَّ السَّاعد، أصيل الرأي، شديد العزم، بعيد العفو، مؤثراً للانتقام، مرهوب العقوبة.

وقال في مختصر «ثورة المُريدِين»<sup>(٣)</sup>: كان عظيم القوة في جِسْمِهِ، ذا أيدٍ في عظمتِه، جَزَارَةً في لحمه، وكان له فروسيَّة، وشجاعة، وشهامة، ورياسة.

(١) ترجمة ابن مردنيش في المعجب (ص ٢٧٨) والمغرب (ج ٢ ص ٢٥٠) وأعمال الأعلام (القسم الثاني ص ٢٥٩) وكتاب العبر (م ٤ ص ٣٥٧) واسمه فيه: محمد بن أحمد بن سعيد بن مردنيش، ونفع الطيب (ج ٤ ص ١٨٥، ٢٨٩) و(ج ٥ ص ٤١، ٤٥) و(ج ٦ ص ١٤٧، ٢١٥، ٢٣٥).

(٢) إفراغه بالإسبانية Fraga، وهي مدينة بغربي لاردة، لها حصن منيع وبساتين كثيرة. حاصرها ابن رذمير سنة ٥٢٨ هـ، فتصدى له يحيى بن علي بن غانية فهزمه بعد أن قُتل أكثر رجاله بالجملة، وفرَّ ابن رذمير. الروض المعطار (ص ٤٨).

(٣) هذا الكتاب لابن صاحب الصلاة، صاحب كتاب: «تأريخ المن بالإمامة». ولسوء الحظ، فقد =

بطلته وجوده: قال: وكان له يومان في كل جمعة؛ الاثنين والخميس، يشرب مع ندمائه فيهما، ويجود على قُوّاده، وخاصته وأجناده، ويذبح البقر فيهما، ويفرق لحومها على الأجناد، ويحضر القيّان بمزاميرهن وأغواذهن، ويتخلل ذلك لهو كثير، حتى مَلَكَ القلوب من الجند، وعاملوه بغاية النُصح، وربما وَهَبَ المال في مجالس أنسه.

ذكر أنه استدعى يومًا ابن الأزرق أَحَدَ قُوّاده، فشرب معه ومع القرابة، في مجلس قد كساه بأحمر الوشي والوطيء والآنية من الفضة وغيرها، وتمادى في لهو وشراب عامة اليوم، فلما كُمِلَ نهاره معهم، وهبهم الآنية، وكلّ ما كان في المجلس من الوشي وغير ذلك.

ما نقم عليه ووصم به:

قالوا: كان عظيم الانهماك في ميدان البطالة، واتخذ جُمْلَةً من الجواري، فصار يُراقِدُ منهن جملة تحت لحاف واحد<sup>(١)</sup>. وانهمك في حُبِ القيّان، والزُّمَرِ والرقص. قالوا: وكان له فتى اسمه حسن، ذو رقبة سمينة، وقفًا عريض، فإذا شرب، كان يرزّه، ويعطيه بعد ذلك عطاءً جزيلاً. وفي ذلك يقول كاتبه المعروف بالسّالمي، وكان يحضر شرابه ويخمر: [المنسرح]

أَدِرْ كَوْوَسَ المُدَامِ والرُّزْ	فقد ظَفِرْنَا بدولة العِزِّ
وَنِعَمَ الكَفِّ من قفا حسن	فإنها في ليانة الحَزِّ
وصاحبٌ إن طَلَبْتُ أخدعه	فلم يك <sup>(٢)</sup> في بَذْلِهِ بمعتزِّ
انحنى على أخداعي فأطربني	وهزَّ عَظْفِيَّ أيما هَزِّ

وأجزل صلة السّالمي حين أنشدّها إياه، واشتهرت هذه الأبيات بالشرق، واستظرفها الناس. فردّ مُرسية دار مجونه، وبلغ في زمانه ألفًا وأربعين. وآثر زِيَّ النصارى من الملابس، والسلاح، واللّجم، والسروج. وكَلَّفَ بلسانهم يتكلم مُباهتة، وألجأه الخروج عن الجماعة، والانفرادُ بنفسه إلى الاحتماء بالنصارى، ومُصانعتهم، والاستعانة بطواغيتهم، فصالح صاحب بَرْشِلونة لأول أمره على ضريبة، وصالح ملك

= هذا الكتاب، وهو يتناول تاريخ طائفة دينية دعت إلى الزهد والتقشف بزعامة أبي العباس أحمد بن قسي. راجع تاريخ المن بالإمامة (مقدمة المحقق).

(١) قال ابن الخطيب في أعمال الأعلام (القسم الثاني ص ٢٦١): «فكان يُراقِدُ أَزِيدَ من مائتي جارية تحت لحاف واحد».

(٢) في الأصل: «فلم يكن» وهكذا ينكسر الوزن.

فَشَتَّالَةٌ عَلَى أُخْرَى؛ فَكَانَ يَبْذُلُ لَهُمْ فِي السَّنَةِ خَمْسِينَ أَلْفَ مِثْقَالٍ. وَابْتَنَى لَجِيْشَهُ مِنَ النَّصَارَى مَنَازِلَ مَعْلُومَاتٍ وَحَانَاتٍ لِلخُمُورِ، وَأَجْجَفَ بِرَعِيَّتِهِ لِأَرْزَاقٍ مِّنْ اسْتِعَانٍ بِهِ مِنْهُمْ، فَعَظُمَتْ فِي بِلَادِهِ الْمَغَارِمُ وَتَقَلَّتْ، وَاتَّخَذَ حَوَانِيتَ بَيْعِ الْأَذْمِ وَالْمِرَافِقِ، تَخْتَنُقُ بِجَانِبِهِ، وَجَعَلَ عَلَى الْأَغْنَامِ وَعُرُوضِ الْبَقَرِ، مُؤَنَّا غَرِيبَةً. وَأَمَّا رُسُومُ الْأَعْرَاسِ وَالْمَلَاهِي، فَكَانَتْ قِبَالَاتِهَا غَرِيبَةً. حَدَّثَ بَعْضُ الْمُؤَرِّخِينَ عَنِ الثَّقَةِ، قَالَ: كُنْتُ بِجَيْتَانَ مَعَ الْوَزِيرِ أَبِي جَعْفَرِ الْوَقْشِيِّ، فَوَصَلَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مَرْسِيَّةَ، كَانَ يَعْرِفُهُ، فَسَأَلَهُ الْوَزِيرُ عَنْ أَحْوَالِ ابْنِ مَرْدَنِيْشٍ وَعَنْ سِيرِهِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: أَخْبِرْكَ بِمَا رَأَيْتَهُ مِنْ جَوْرِ عَمَّالِهِ وَظَلْمِهِمْ؛ وَذَلِكَ أَنَّ أَحَدَ الرِّعْيَةِ بِشَاطِبَةِ وَاسْمِهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، كَانَ لَهُ بَنْظَرٌ شَاطِبَةٍ، ضُيُوعَةٌ يَعِيشُ بِهَا، وَكَانَ لَازِمُهَا أَكْثَرَ مِنْ فَائِدِهَا، فَأَعْطَى لِأَزْمَاقِهَا حَتَّى افْتَقَرَ، وَفَرَ إِلَى مُرْسِيَّةَ. وَكَانَ أَمْرُ ابْنِ مَرْدَنِيْشٍ، أَنَّهُ مَنَ فَرَ مِنَ الرِّعْيَةِ أَمَامَ الْغَزْوِ، أَخَذَ مَالَهُ لِلْمَخْزَنِ. قَالَ الرَّجُلُ الشَّاطِبِيُّ: فَلَمَّا وَصَلْتُ إِلَى مَرْسِيَّةَ فَأَرَا عَنْ وَطَنِي، خَدِمْتُ النَّاسَ فِي الْبُتْيَانِ، فَاجْتَمَعَ لِي مِثْقَالَانِ سَعْدِيَّانِ، فَبَيْنَمَا أَنَا أَمْشِي فِي السُّوقِ، وَإِذَا بِقَوْمٍ مِنْ أَهْلِ بَلَدِي شَاطِبَةٍ، وَمِنْ قَرَابَتِي، فَسَأَلْتُهُمْ عَنْ أَوْلَادِي وَزَوْجَتِي، فَقَالُوا: إِنَّهُمْ فِي عَافِيَةٍ، فَفَرَحْتُ فَرَحًا عَظِيمًا، وَسَأَلْتُهُمْ عَنِ الضُّيُوعَةِ، فَقَالُوا: إِنَّهَا بَاقِيَةٌ بِيَدِ أَوْلَادِكَ، فَقُلْتُ لَهُمْ: عَسَى تَبَيَّنَتْ عِنْدِي اللَّيْلَةُ، فَاشْتَرَيْتُ لَحْمًا وَشَرَابًا، وَضَرَبْنَا دَفًّا. فَلَمَّا كَانَ عِنْدَ الصَّبَاحِ، وَإِذَا بِنَقَرٍ عَنِيفٍ بِالْبَابِ. فَقُلْتُ: مَنَ أَنْتَ؟ فَقَالَ: أَنَا الطَّرْقُونُ الَّذِي بِيَدِهِ قَبَالَةُ اللَّهِو، وَهِيَ مُتَّفَقَةٌ بِيَدِي، وَأَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ الْبَارِحَةَ الدَّفَّ فَأَعْطَانَا حَقَّ الْغُرْسِ الَّذِي عَمِلْتُ. فَقُلْتُ لَهُ: وَاللَّهِ مَا كَانَتْ لِي غُرْسٌ، فَأَخَذْتُ وَسُجِّجْتُ، حَتَّى افْتَدَيْتُ بِمِثْقَالٍ وَاحِدٍ مِنَ الَّذِي خَدِمْتُ بِهِ، وَجِئْتُ إِلَى الدَّارِ، فَقِيلَ لِي إِنْ فَلَانًا وَصَلَ مِنْ شَاطِبَةِ السَّاعَةِ، فَمَشَيْتُ لِأَسْأَلَهُ عَنْ أَوْلَادِي، فَقَالَ: تَرَكْتُهُمْ فِي السَّجْنِ، وَأَخَذْتُ الضُّيُوعَةَ مِنْ أَيْدِيهِمْ فِي رَسْمِ الْجَبَالِيِّ، فَرَجَعْتُ إِلَى الدَّارِ، إِلَى قَرَابَتِي، وَعَزَفْتُهُمْ بِالَّذِي طَرَأَ عَلَيَّ، وَبَكَيْتُ طَوْلَ لَيْلَتِي، وَبَكَوْا مَعِي، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ، وَإِذَا بِنَاقِرٍ بِالْبَابِ، فَخَرَجْتُ، فَقَالَ: أَنَا رَجُلٌ صَاحِبُ الْمَوَارِيثِ، أَعْلَمْنَا أَنَّكُمْ بِكَيْتِمِ الْبَارِحَةِ، وَأَنَّهُ قَدْ مَاتَ لَكُمْ مَيْتٌ مِنْ قَرَابَتِكُمْ غَنِيٌّ، وَأَخَذْتُمْ كُلُّ مَا تَرَكَ، فَقُلْتُ: وَاللَّهِ مَا بِكَيْتٍ إِلَّا نَفْسِي، فَكَذَّبْنِي وَحَمَلْنِي إِلَى السَّجْنِ، فَدَفَعْتُ الْمِثْقَالَ الثَّانِي، وَرَجَعْتُ إِلَى الدَّارِ وَقُلْتُ: أَخْرِجْ إِلَى الْوَادِي، إِلَى بَابِ الْقَنْطَرَةِ، أَغْسِلْ ثِيَابِي مِنْ دَرَنِ السَّجْنِ، وَأَفِرُّ إِلَى الْعُدُودِ، فَقُلْتُ لَامْرَأَةٍ تَغْسِلُ الثِّيَابَ: اغْسِلِي مِمَّا عَلَيَّ، وَجَرِّدْنَاهَا، وَدَفَعْتُ لِي زَنَارًا أَلْبَسَهُ. فَبَيْنَا أَنَا كَذَلِكَ، وَإِذَا بِالْخَصِيِّ قَائِدِ ابْنِ مَرْدَنِيْشٍ، يَسُوقُ سَتِينَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْجَبَلِ، لِابْسِي الزَّنَانِيرَ، فَرَأَيْتُ عَلَى شَكْلِهِمْ، فَأَمَرَ بِحَمَلِي إِلَى السُّخْرَةِ وَالْخِدْمَةِ بِحَصْنٍ مَسْقُوطٍ عَشْرَةَ أَيَّامٍ، فَلَبِثْتُ أَخْدُمُ وَأَحْضُرُ مَدَةَ عَشْرَةِ أَيَّامٍ، وَأَنَا أَبْكِي وَأَشْتَكِي لِلْقَائِدِ الْمَذْكُورِ، حَتَّى أَشْفَقَ عَلَيَّ وَسَرَّحَنِي. فَارْجَعْتُ أُرِيدُ مَرْسِيَّةَ، فَقِيلَ لِي عِنْدَ بَابِ الْبَلَدِ: كَيْفَ اسْمُكَ؟

فقلت: محمد بن عبد الرحمن، فأخذني الشرطي، وحملت إلى القابض بباب القنطرة، فقالوا: هذا من كتبه من أرباب الحالي بكذا وكذا دينار، فقلت: والله ما أنا إلا من شاطبة، وإنما اسمي وافق ذلك الاسم، ووصفت له ما جرى عليّ، فأشفق وضحك مني؛ وأمر بتسريحى، فسرت على وجهي إلى هنا.

### بعض الأحداث في أيامه، ونبذ من أخباره:

استولى على بلاد الشرق، مُرسية وبلنسية وشاطبة ودانية، ثم اتسع نطاق ملكه، فولّى جيّان، وأبدة، وبياسة، وبسطة، ووادي آش. وملك قزمونة، ونازل قرطبة وإشبيلية، وكاد يستولي على جميع بلاد الأندلس، فولّى صهره ابن هُمّشك، وقد مرّ في باب إبراهيم، مدينة جيّان وأبدة وبياسة، وضيق منها على قرطبة، واستولى على إستجة، ودخل غرناطة سنة سبع وخمسين وخمسائة، وثار عليه يوسف بن هلال من أصهاره بحصن مطرنش وما إليه. ثم تفاسد ما بينه وبين صهره الآخر ابن هُمّشك، فكان سبب إظهار أمره، واستولى العدو في مدة ابن سعد على مدينة طُرطوشة عام ثلاثة وأربعين وخمسائة، وعلى حصن إقليج، وحصن شرانية.

**دخوله غرناطة:** ولما دخل ابن هُمّشك<sup>(١)</sup> مدينة غرناطة، وامتنعت عليه قصبتهّا، وهزم الجيش المُضَرَّح لمن حُصر بها من الموحدين بمرج الرقاد<sup>(٢)</sup> وثاب أثناء ذلك أمر الموحدين، فتجهز لنصرهم السيد أبو يعقوب، وأجاز البحر، واجتمعوا بالسيد أبي سعيد بمالقة، استمدّ ابن هُمّشك صهره الأسعد، أبا عبد الله محمد بن سعد، فخرج بنفسه في العسكر الكبير من أهل الشرق والنصارى، فوصل إلى غرناطة، واضطربت محلته بالربوة السامية المتصلة ببربض البّيّازين، وتُعرف إلى اليوم بكُدية مردنيش، وتلاحق جيش الموحدين بأحواز غرناطة، فأبينوا جيش عدوهم، فكانت عليه الدّبرة، وفر ابن مردنيش، فلحق بجيآن، واتصلت عليه الغلبة من لدن منتصف عام ستين، فلم يكن له بعده ظهور.

**وفاته:** وظهر عليه أمر الموحدين، فاستخلصوا معظم ما بيده، وأوقعوا بجنده الوقائع العظيمة، وحُصر بمدينة مرسية، واتصل حصاره، فمات أثناء الحصار في عاشر

(١) هو القائد أبو الحسن بن همشك، صهر محمد بن مردنيش، كما ورد في أعمال الأعلام (القسم الثاني ص ٢٦١).

(٢) مرج الرقاد: موضع بظاهر غرناطة، انهزم فيه الموحدون أقبح هزيمة سنة ٥٥٧ هـ على يد أبي الحسن بن همشك، صهر محمد بن مردنيش. راجع أعمال الأعلام (القسم الثاني ص ٢٦١).

رجب من عام سبعة وستين وخمسمائة<sup>(١)</sup> وله ثمانية وأربعون عامًا، ووصل أمره أبو القمر هلال<sup>(٢)</sup>، وألقى باليدين إلى الموحدين، فنزل على عهدٍ ورسومٍ حسبما يأتي في موضعه.

### محمد بن يوسف بن هود الجذامي

أمير المسلمين بالأندلس، يكنى أبا عبد الله، ويلقب من الألقاب السلطانية بالمتوكل على الله<sup>(٣)</sup>.

**أُولَيْتِه:** من ولد المستعين بن هود. وأوليتهم معروفة، ودولتهم مشهورة، وأمراؤهم مذكورون. خرج من مرسية تاسع رجب عام خمسة وعشرين وستمائة إلى «الضُخور» من جهاتها، في نفر يسير من الجنود معه، وكان الناس يستشعرون ذلك، ويرتقبون ظهور مسمى باسمه واسم أبيه، ويندّدون بإمرته وسلطانه. وجرى عليه بسبب ذلك امتحان في زمن الموحّدين مرات، إذ كان بعض الهاتفين بالأمور الكائنة، والقضايا المستقبلية، يقول لهم: يقوم عليكم قائم من صنف الجند، اسمه محمد بن يوسف، فقتلوا بسبب ذلك شخصًا من أهل جِيَان. ويقال إن شخصًا ممن ينتحل ذلك، لقي ابن هود، فأمعن النظر إليه، ثم قال له: أنت سلطان الأندلس، فانظر لنفسك، وأنا أدلك على مَنْ يقيم مُلكك، فاذهب إلى المُقَدِّم العُشْتِي فهو القائم بأمرك. وكان العُشْتِي<sup>(٤)</sup> رجلًا ضُلعوكًا<sup>(٥)</sup> يقطع الطريق، وتحت يده جماعة من أنجاد<sup>(٦)</sup> الرجال، وسباع الشرار، قد اشتهر أمرهم، فنهض إلى المقدم، وعرض عليه الأمر، وقال: نستفتح بمُغَاوَرَة إلى أرض العدو، على اسمك وعلى سعدك، ففعلوا، فجلبوا كثيرًا من الغنائم والأسرى، وانضاف إلى ابن هود طوائفٌ مثل هؤلاء، وبايعوه

(١) كذا في أعمال الأعلام (القسم الثاني ص ٢٦٢)، وفي المعجب (ص ٢٧٩) أنه مات في شهر سن ٥٦٨ هـ. وفي نفع الطيب (ج ٦ ص ١٤٧، ٢٣٥) أن وفاته كانت سنة ٥٦٦ هـ.

(٢) هو هلال بن محمد بن سعد بن مردنيش، تولى الأمر بعد موت أبيه سنة ٥٦٧ هـ، ولكنه خالف أباه في العدا للموحدين، فتخلّى عن مرسية، وأذعن للخليفة الموحي أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن. أعمال الأعلام (القسم الثاني ص ٢٧١).

(٣) ترجمة المتوكل محمد بن يوسف بن هود في البيان المغرب - قسم الموحدين (ص ٢٧٦) والمعجب (ص ٤١٧) والمغرب (ج ٢ ص ٢٥١) وكتاب العبر (م ٤ ص ٣٦١) والحلة السيرة (ج ١٢٨ ص ٢٩٦، ٣٠٣، ٣٠٨) وأعمال الأعلام (القسم الثاني ص ٢٧٧) والأعلام للزركلي (ج ٧ ص ١٤٩).

(٤) قارن بالبيان المغرب (قسم الموحدين ص ٢٧٦).

(٥) في البيان المغرب: «حواسًا».

(٦) في البيان المغرب (ص ٢٧٧): «من أراذل الناس».

بـ«الصُّخَيْرَات»<sup>(١)</sup> كما ذكر، من ظاهر مرسية، وتحرك إليه السيد أبو العباس بعسكر مرسية، فأوقع به وشرّده، ثم تاب إليه ناسه، وعدل إلى الدُّعاء للعباسيين، فتبعه اللقيف، ووصل تقليد الخليفة المستنصر بالله ببغداد، فاستنصر الناس في دعوته، وشاع ذكره، وملك القواعد، وجيش الجيوش، وقهر الأعداء، ووفى للعشي بوعده، فولاه أسطول إشبيلية، ثم أسطول سبتة، مضافاً إلى أمرها، وما يرجع إليه، فثار به أهلها بعد وخلعوه، وفرّ أمامهم في البحر، وخفي أثره إلى أن تحقق استقراره أسيراً في البحر بغرب الأندلس، ودام زماناً، ثم تخلص في سنّ الشيخوخة، ومات برباط آسفي.

حاله: كان شجاعاً، ثبّتاً، كريماً حيّاً، فاضلاً، وفيّاً، متوكلاً عليه، سليم الصدر، قليل المبالاة، فاستغلى لذلك عليه ولأته بالقواعد، كأبي عبد الله بن الرميمي بالمرية، وأبي عبد الله بن زنون بمالقة، وأبي يحيى عُتْبَة بن يحيى الجزولي بغرناطة. وكان مَجْدُوداً، لم ينهض له جيش، ولا وُقُق لرأي؛ لَغَلْبَة الخِفَّة عليه، واستعجاله الحركات، ونشاطه إلى اللقاء، من غير كمال استعداد.

### بعض الأحداث في أيامه<sup>(٢)</sup>:

جرت عليه هزائم، منها هزيمة السلطان الغالب بالله إِيَّاه مرّتين، إحداهما بظاهر إشبيلية، وركب البحر فنجا بنفسه، ثم هزمه باللبيرة من أحواز غرناطة، زعموا كل ذلك في سنة أربع وثلاثين وستمائة أو نحوها.

وفي سنة خمس وثلاثين، كان اللقاء بينه وبين المأمون إدريس أمير الموحدين بإشبيلية، فهزمه المأمون أقبح هزيمة، واستولى على محلّته، ولاذ منه بمدينة مُرْسِيَة.

ثم شغل المأمون الأمر، وأهمّته الفتنّة الواقعة بمراكش، فصرف وجهه إليها، وثاب الأمر للمتوكل، فدخلت في طاعته المرية، ثم غرناطة، ثم مالقة. وفي سبع وعشرين وستمائة، تحرك بفضل شهامته بجيوش عظيمة، لإضراخ مدينة ماردة، وقد نازلها العدو وحاصر، ولقي الطاغية بظاهرها، فلم يتأنّ، زعموا، حتى دفع بنفسه العدو، ودخل في مصافه، ثم لما كثر إلى ساقته، وجد الناس منهزمين لما غاب عنهم، فاستولت عليه هزيمة شنيعة، واستولى العدو على ماردة بعد ذلك.

(١) في البيان المغرب (ص ٢٧٧) أن الصخيرات موضع بمقربة من مرسية.

(٢) قارن بالبيان المغرب - قسم الموحدين (ص ٢٨٨ - ٢٨٩، ٢٩٤).

وفُتِحَ عليه في أمور، منها تملُّكُه إشبيلية سنة تسع وعشرين وستمائة، وولَّى عليها أخاه الأمير أبا النجاة سالمًا الملقب بعماد الدولة. وفي سنة إحدى وثلاثين، رَجَعَت قرطبة إلى طاعته، واستَوْسَقَ أمره. وتملَّك غرناطة ومالقة عام خمسة وعشرين وستمائة، ودانت له البلاد. وفي العشر الأول من شوال، دخل في طاعته الرُّيسان أبو زكريا، وأبو عبد الله، ابنا الرئيس أبي سلطان عزيز بن أبي الحجاج بن سعد، وخرجا عن طاعة الأمير أبي جَمِيل، وأخذَا البيعة لابن هود على ما في أيديهما. وفي سنة ست وعشرين وستمائة، تملك الجزيرة الخضراء عَنوة، يوم الجمعة التاسع لشعبان من العام، وفي العشر الوسط من شوال ورد عليه الخبر ليلاً بقصد العدو وَجْهَة مدينة وادي آش، فأسرى ليله مسرَّجًا بقية يومه، ولحق بالعدو على ثمانين ميلًا، فأتى على آخرهم، ولم يَنْجُ منه أحد.

إخوته: الرئيس أبو النجاة سالم، وعلامته: «وُثِقْتُ بالله»، ولقبُه «عماد الدولة»، والأمير أبو الحسن عضد الدولة، وأسره العدو في غارة، وافتكَّه بمال كثير، والأمير أبو إسحق شرف الدولة. وكلهم يُكَتِّب عنه، من الأمير فلان.

ولده: أبو بكر الملقب بالوائق بالله، أَخَذَ له البيعة على أهل الأندلس، في كذا، ووُلِّي بعده وليَّ عهده، واستقلَّ بملك مرسية، ثم لم يَنْشُب أن هلك.

**دخوله غرناطة:** دخل غرناطة مرَّات عديدة، إحداها في سنة إحدى وثلاثين وستمائة، وقد وردت عليه الرِّاية والتقليد من الخليفة العباسي ببغداد. وبمصلَّى غرناطة، قرىء على الناس كتابه، وهو قائم، وزِيَّ السَّود، ورايته السوداء بين يديه، وكان يوم اسْتِسْقَاء، فلم يَسْتَمَّ على الناس قراءة الكتاب يومئذ، إلَّا وقد جادت السماء بالمطر، وكان يومًا مشهودًا، وضُنْعًا غريبًا، وأمر بعد انصرافه، أن يُكَتِّب عنه بتلك الألقاب التي تضمَّنْها الكتاب المذكور إلى البلاد.

**وفاته:** اختلف الناس في سبب وفاته، فذكر أنه قد عاهد زَوْجَه أَلَّا يتخذ عليها امرأة طول عمره، فلمَّا تَصَيَّرَ إليه الأمر، أعجبتَه روميَّة حصلت له بسبب السَّبي من أبناء زعمائهم، من أجمل الناس، فسَتَرها عند ابن الرِّممي خليفته، فزعموا أن ابن الرميي عُلِقَ بها، ولما ظهر حَمْلُها، خاف افتضاح القصة، فدبَّر عليه الحيلة، فلمَّا حلَّ بظاهر المرئية، عرض عليه الدخول إليها، فاغتاله ليلاً، بأن أقعد له أربعة رجال، قضوا عليه حَقًّا بالوسائد. ومن الغد ادَّعى أنه مات فجأة، ووقف عليه العُدُول، والله أعلم بحقيقة الأمر سبحانه، وكانت وفاته ليلة الرابع والعشرين من جمادى الآخرة عام خمسة وثلاثين وستمائة. وفي إرجاف الناس بولاية ابن هود، والأمر قبل وقوعه،



يقول الشاعر: [الطويل]

هُمامٌ به زاد الزمان طَلاقه      ولذتْ لنا فيه الأمانى مَوْرَدًا  
فَقُلْ لبني العباس ها هي دولةٌ      أغار بها الحقُّ المبينُ وأنْجَدًا  
فإن الذي قد جاء في الكُتُبِ وَضْفُهُ      بتمهيد هَذي الأرض قد جاء فاهْتَدًا  
فإن بَشَرْتنا بابن هُودٍ محمدٍ      فقد أظهر الله ابنَ هُودٍ محمداً

### محمد بن أحمد بن زيد بن أحمد بن زيد بن الحسن ابن أيوب بن حامد بن زيد بن منخل الغافقي

يكنى أبا بكر، من أهل غرناطة. وسكن وادي آش.

**أُولَيْتِهِ:** أصل هذا البيت من إشبيلية، وذكره الرّازي في الاستيعاب، فقال: وبإشبيلية بيتُ زيد الغافقي، وهم هناك جماعة كبيرة، فرسانٌ ولهم شرف قديم، وقد تصرّفوا في الخدمة. بلديون<sup>(١)</sup>، ثم انتقلوا إلى طَلَيْطُلَة، ثم قُرْطَبَة، ثم غرناطة. وذكر الملاحى في كتابه الحسن بن أيوب بن حامد بن أيوب بن زيد، وعَدّه من أهل الشورى، وقُضاة الجماعة بغرناطة. وأحمد بن زيد بن الحسن هو المقتول يوم قيام بني خالد، بدعوة السلطان أبي عبد الله الغالب بالله بن نصر<sup>(٢)</sup>، وكان عاملَ المتوكل على الله بن هود بها، وعمّن جُمع له بين الدين والفضل والمالِية.

#### حاله ونباهته ومحتته ووفاته:

كان هذا الرجل عَيْنًا من أعيان الأندلس، وصدرًا من صدورها، نشأ عفاً مُتَّصَاوِنًا عَزَوفًا، وطلاوةً، نزيهاً، أبيضاً، كريم الخؤولة، طيب الطّعمة، حرّ الأصالة، نبه الصّهر. ثم استعمل في الوزارة ببلده، ثم قُدّم على مَنْ به من الفرسان، فأورّدهم الموارد الصّفيّة بإقدامه، واستباح من العدو الفرصة، وأكسبهم الذكر والشهرة، وأنفق في سبيل الله، إلى غضاضة الإيمان، وصحّة العقد، وحسن الشّيمة، والاسترسال في ذكر التواريخ، والأشعار الجاهليّة، والأمثال، والتمسك بأسباب الدين، وسحب أذيال الطّهارة، وهجر الخبايث، وإيثار الجَدِّ، والانحطاط في هوى الجماعة.

(١) البلديون: هم العرب الذين دخلوا الأندلس على يد موسى بن نصير، والشاميون هم العرب الذين دخلوا الأندلس مع بلّج بن بَشْر القشيري سنة ١٢٣ هـ. راجع الجزء الأول من الإحاطة في «فصل في فتح هذه المدينة».

(٢) هو أبو عبد الله الغالب بالله محمد بن يوسف بن محمد بن نصر الخزرجي الأنصاري، حكم غرناطة من سنة ٦٣٥ هـ إلى سنة ٦٧١ هـ. راجع للمحة البدرية (ص ٤٢).

مشيخته: قرأ بغرناطة على شيخ الجماعة أبي عبد الله بن الفَخَّار، وببلده على الأستاذ أبي عبد الله الطُرْسُوني، وبه انتفاعه. وكان جَهْوَري الصَّوت، متفاضلاً، قليل التَّهْيِيب في الحفل. ولما حدث بالسلطان أبي عبد الله من كِياد دولته، وتلاحق بوادي آش مُفْلَتًا، قام بأمره، وضبط البلد على دعوته، ولمَّ المُدَاهنة في أمره، وجعل حِيلَ عدوه دُبَر أذنه، إلى أن خرج عنها إلى العُدوة، فكان زمان طريقه مُفْدِيًا له بنفسه، حتى لحق بمَأْمَنه، فتركها مغربة.

### خبر في وفاته ومَغْرَجِه:

وكانت الحمد لله على مَحْمده، واستأثر به الدَّاخل، فشدَّ عليه يدَ اغتباطه، وأغرى به عقد ضَنائته، وخطه بنفسه، ثم أغرى به لمكانته من الشَّهامة والرياسة، فتَقَبَّض عليه، وعلى ولده، لُبَاب بني وقته، وغُرَّة أبناء جنسه، فأودعهما مُطْبِقَ أرباب الجرايم، وهَمَّ باغتيالهما، ثم نقلهما إلى مدينة المُنْكَب ليلة المنتصف لمحرَّم من عام اثنين وستين وسبعمائة في جُمْلَةٍ من الثُّبَاء مأخوذِينَ بمثل تلك الجريرة. ثم صُرف الجميع في البحر إلى بجاية، في العشر الأول لربيع الأول مُصَفَّدِينَ. ولما حلَّوا بها، أقاموا تحت بُرٍّ وتجلَّة. ثم ركبوا البحر إلى تونس، فقطع بهم أسطول العدو بأحواز تَكَرَّنت، ووقعت بينه وبين المسلمين حرب، فكرَّم مقام المترجم يومئذ، وحسَّن بلاؤه. قال المُخْبِر: عهدي به، وقد سلَّ سيفًا، وهو يضرب العدو ويقول: اللهم اكْتُبْها لي شهادة. واستولى العدو على مَنْ كان معه من المسلمين، ومنهم ولده، وكُتِب: افْتُكَّ الجميع ببلد العُنَاب، وانصرف ابنه إلى الحج، وآب لهذا العهد بخلال حميدة كريمة، من سُكون وفضل ودين وحياء، وتلاوة، إلى ما كان يجده من الرِّكْض، ويعانيه من فروسية، فمضى على هذا السبيل من الشهادة، نفعه الله، في ليلة الجمعة الثامن لرجب من عام اثنين وستين وسبعمائة.

شعره: أنشدني قاضي الجماعة أبو الحسن بن الحسن له: [البسيط]

يا أيها المرتجى لِلطَّفِ <sup>(١)</sup> خالِقِه	وَفَضْلِه في صلاحِ الحالِ والمالِ
لو كنتَ توقنَ حقًا لُطْفَ قُدْرَتِه	فاشْمَخْ بأنفك عن قيل وعن <sup>(٢)</sup> قالِ
فإنَّ لله لطفًا عَزَّ خالقنا	عن أن يُقاسَ بِتَشْبِيهِه وتمثالِ
وكل أمرٍ وإنْ أغياكَ ظاهرُه	فالصُّنْع في ذاك لا يجري على بالِ

(١) في الأصل: «لطف» وهكذا ينكسر الوزن.

(٢) كلمة «عن» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها ليستقيم الوزن.

## محمد بن أحمد بن محمد الأشعري

من أهل غرناطة، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن المحروق، الوكيل بالدار السلطانية، الفهرمان بها، المُستَوَزِر آخر عمره، سداد من عَوْن.

**حاله وأوليته وظهوره:** كان، رحمه الله، من أهل العفاف والتَّصَاوُن، جانحاً إلى الخير، مُحِبّاً في أهل الإصلاح، مَغْضُوض الطَّرْف عن الحُرْم، عَفِيفاً عن الدماء، مستمسكاً بالعدالة، من أهل الخصوصية، كتب الشروط، وبرَز في عُدُول الحضرة. وكان له خط حسن، ومشاركة في الطلب، وخصوصاً في الفرائض، وحظّه تافه من الأدب. امتدح الأمراء، فترقى إلى الكتابة مروّساً مع الجملة. وعند الإيقاع بالوزير ابن الحكيم، تَعَيَّن لحصر ما استرفع من مُنْتَهَب ماله، وتحصّل بالدار السلطانية من أثاثه وخُزَيْنِهِ<sup>(١)</sup>، فحزم واضطلع بما كان داعية ترقيه إلى الوكالة، فساعده الوقت، وطلّع له جاه كبير، وتملّك أموالاً عريضة، وأرضاً واسعة، فجمع الدنيا بحزمه ومشاربته على تَنْمِية داخله. وترقى إلى سماء الوزارة في الدّولة السادسة من الدول النُصْرِيَّة<sup>(٢)</sup>، بتدبير شيخ الغَزَاة، وزعيم الطائفة عثمان بن أبي العلي<sup>(٣)</sup>، فوصله إلى أذوار دنياه، والله قد خبأ له المكروه في المحبوب، وتأذّن الله سبحانه بنفاد أجله على يده، فاستولى وَحَجَب السلطان. ثم وقعت بينه وبين مُرَشَّحه الوَخْشَة الشهيرة عام سبعة<sup>(٤)</sup> وعشرين وسبعمائة، مارساً لمكان الفتنة، صِلَة فارط في حَجَب السلطان، وأجلى جُمهور ما كان ببابه، ومنع من الدخول إليه، فاضطربت حاله، وأعمل التدبير عليه، فهجم عليه بدار الحُرّة الكبيرة جَذّة السلطان، وكان يعارضها في الأمور، ويجعلها تكأة لغرضه، فَتَيَّان من أحداث الممالك المُستَبِقين مع محجوبه، تناولاه سَطّاً بالخناجر، ورمى نفسه في صهريج الدار، وما زالا يَتَعَاورانه من كل جانب حتى فارق الحياة، رحمه الله تعالى.

**مشيخته:** قرأ على الأستاذ أبي جعفر بن الزبير، وكانت له فيه فِرَاسَة صادقة.

(١) الأثاث: ما جَدّ من متاع البيت، ولا واحد له. والخُزَيْنُ: أردأ متاع البيت. محيط المحيط (أثث) و(خرث).

(٢) المراد بالدولة السادسة سادس سلاطين بني نصر، وهو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن نصر. وترجمته في اللمحة البدرية (ص ٩٠). وترجم له ابن الخطيب في الجزء الأول من الإحاطة ترجمة ضافية.

(٣) في الأصل: «الغلاء» والتصويب من اللمحة البدرية (ص ٩٣).

(٤) في الأصل: «سبع» وهو خطأ نحوي.

## محمد بن فتح بن علي الأنصاري

يكنى أبا بكر، ويشهر بالأشبيرون، قاضي الجماعة.

حاله: كان طرّفاً في الدّهاء والتخلّق والمعرفة بمقاطع الحقوق، ومغامز الرّيب، وعِلل الشهادات، فذاً في الجزالة، والصّرامة، مقدّاماً، بصيراً بالأُمور، حسن السيرة، عذب الفكاهة، ظاهر الحُطوة، عليّ الرتبة. خرج من إشبيلية عند تغلب العدو عليها، ووَلّي القضاء بمالقة وبسطة. ثم وُلّي الحسبة بغرناطة، ثم جُمعت له إليها الشّربة. ثم قُدّم قاضياً، واستمرت ولايته نحواً من ثلاثين سنة.

وفاته: توفي ليلة الحادي عشر من شهر ربيع الأول عام ثمانية وتسعين وستمائة.

## محمد بن أحمد بن علي بن حسن بن علي ابن الزييات الكلاعي<sup>(١)</sup>

ولد الشيخ الخطيب أبي جعفر بن الزييات، من أهل بَلّش، يكنى أبا بكر.

حاله: من «عائد الصلة» من تأليفنا: كان، رحمه الله، شبيهاً بأبيه، في هذيه، وحسن سمته ووقاره، إلّا أنه كان حافظاً للرتبة، مقيماً للأبهة، مُستدعيّاً بأبيه ونفسه للتجلّة، بقية من أبناء المشايخ، ظرفاً وأدباً ومروءة وحشمة، إلى خطّ بديع قيد البصر، ورواية عالية، ومشاركة في فنون، وقراءة، وفقه، وعريّة، وأدب وفريضة، ومعرفة بالوثائق والأحكام. تولّى القضاء ببلده، وخلف أباه على الخطابة والإمامة، فأقام الرّسم، واستعمل في السّفارة، فسدّ مسدّاً مثله، وأقرأ ببلده، فانتفع به.

مشيخته: قرأ على الأستاذ الخطيب أبي محمد بن أبي السّداد الباهلي، وبغرناطة على شيخ الجماعة الأستاذ أبي جعفر بن الزبير، ومن أعلام مشيخته جدّه للأُم، خال أبيه، الحكمي العارف أبو جعفر ابن الخطيب أبي الحسن بن الحسن المَدْحِجي الحمي، والخطيب الرّبّاني أبو الحسن فضل بن فضيلة، والوزير أبو عبد الله بن رُشيد.

(١) ترجمة محمد بن أحمد بن الزييات الكلاعي في الكتيبة الكامنة (ص ١١٥) ونيل الابتهاج (ص ٢٣٧).

## محمد بن علي بن عبد الله بن محمد بن الحاج<sup>(١)</sup>

يكنى أبا عبد الله، ويُعرف بابن الحاج.

**أُولَيْتُهُ وحاله:** كان أبوه نَجَّارًا من مُدَجَّجِي مدينة إشبيلية، من العارفين بالحِيل الهندسية، بصيرًا باتخاذ الآلات الحربية الجافية، والعمل بها. وانتقل إلى مدينة فاس على عهد أبي يوسف المنصور بن عبد الحق، واتخذ له الدُّولاب المنفسح القُطر، البعيد المدى، مُلَيِّن المركز والمحيط، المتعدّد الأكواب، الخفيّ الحركة، حسبما هو اليوم ماثل بالبلد الجديد، دار الملك بمدينة فاس، أحد الآثار التي تحدد إلى مشاهدتها الرُّكّاب، وبناء دار الصُّنعة بسلا. وانتقل بعد مهلك أبيه إلى باب السلطان ثاني الملوك من بني نصر<sup>(٢)</sup>، ومَتَّ إليه بوسيلة أذنت محلّه، وأسنت جرياته، إلى أن تولّى وزارة ولده أمير المسلمين، أبي الجيوش نصر<sup>(٣)</sup>، واضطلع بتدبيره، ونقم الناس عليه إشاره لمقالات الرُّوم، وانحطاطه في مَهْوَى لهم، والتشبه بهم في الأكل والحديث، وكثير من الأحوال والهيئات والاستحسان، وتطريز المجالس بأمثالهم وجَكمهم، سمةً وسمت منه عقلاً، لنشأته بين ظَهْرانيهم، وسبقت إلى قوى عقله المكتسب في بيوتهم، فلم تفارقه بحال، وإن كان آية في الدهاء، والنظر في رَجُلٍ بعيد الغور، عميق الفكر، قائم على الدُّمْنَة، مُنْطَوٍ على الرُّضْف، لَيْن الجانب، مَبْذُول البشر، وحيد زمانه في المعرفة بلسان الرُّوم وسيرهم، مُحْكَم الأوضاع في أدب الخدمة، ذَرَب بالتصرف في أبواب الملوك.

وكان من ثورة العامة بسططانه ما تقدم، وجَهَرُوا بإسلامه إليهم، وقد ولّوه بسبب الثورة، وطَوَّقوه كياد الأزيمة، فَضَنُّ به السلطان ضنّانة أَعْرَبَتْ عن وفائه، وصان مُهْجَتَهُ، واستمرَّ الأمر إلى أن خُلِعَ الملك عن الملك. وكان نزول الوزير المذكور تحت خفارة شيخ العَزَاة، وكبير الطائفة، عثمان بن أبي العلى، فانتقل محفوظ

(١) ذكره ابن الخطيب في اللوحة البدرية (ص ٧١)، وقال: إنه تولّى وزارة سلطان غرناطة أبا الجيوش نصر بن محمد بن محمد بن يوسف بن نصر.

(٢) الصواب أنه ثالث سلاطين بني نصر، وهو أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن يوسف بن نصر، الملقب بالمخلوع، ووالد أبي الجيوش نصر. وقد حكم غرناطة من سنة ٧٠١ هـ إلى سنة ٧٠٨ هـ. ترجمته في اللوحة البدرية (ص ٦٠). وقد تقدمت ترجمته في الجزء الأول من الإحاطة.

(٣) هو أبو الجيوش نصر بن محمد بن محمد بن يوسف بن نصر، رابع سلاطين بني نصر بغرناطة، حكم من سنة ٧٠٨ هـ إلى سنة ٧٢٢ هـ. ترجمته في اللوحة البدرية (ص ٧٠). وسيترجم له ابن الخطيب في الجزء الثالث من الإحاطة.

الجملة، مَحُوط الوفر، ولم يَنْشِبْ إلى أن لجأ إلى العُدوة، واتصل بالأمير أبي علي عمر بن السلطان الكبير أبي سعيد، فحرَّكه، زعموا، على مُحَاذَة أبيه، وحمله على الانْتِزَاء، فكان ما هو معلوم من دُعائه إلى نفسه، ومنازعة أبيه، ولقائه إياه بالمَقْرَمِدَة<sup>(١)</sup>، وفُلَّ جيشه، وفي أثنائه هلك المترجم به.

**وفاته:** توفي بفاس الجديد في العشر الأول من شعبان عام أربعة عشر<sup>(٢)</sup> وسبعمائة.

## محمد بن رضوان بن محمد بن أحمد بن إبراهيم ابن أرقم النُميري

من أهل وادي آش، يكنى أبا يحيى.

**حاله:** كان صَدْرًا شهيرًا، عالِمًا عَلَمًا، حَسِيًّا، أَصِيلًا، جَمَّ التحصيل، قوي الإدراك، مضطلعًا بالعربية واللغة، إمامًا في ذلك، مشاركًا في علوم من حساب وهيئة وهندسة. قال الشيخ: كان في هذا كله أْبْرَغ من لقيته، إلى سَرَاوة وفضل وتواضع ودين، جاريًا في ذلك على سُنن سلفه، وعلو مَخْتَدِه، جالسته، رحمه الله، كثيرًا عند عِلْيَة من أدرسته بغرناطة؛ لإقامته بها، وتكرر لقائي إياه بها وبغيرها، فرأيت أَصِيلًا جليلاً قد جمع علمًا وفضلًا، وحُسْن خلق، وكان حَسِن التقييد، لخطه رونق يمتاز به، ويبعد عن غيره. وُلِّي القضاء ببلده، ثم وُلِّي بعد مدة بَيْرُشَانَة<sup>(٣)</sup>، فحُمِدَت سيرته.

**مشيخته:** أخذ القراءات السبع عن أبي كرم جودي بن عبد الرحمن، وقرأ عليه الغريب واللغة، ولازمه في ذلك، وأجاز له إجازة عامة، وأخذ من غيره ببلده، وصحب بَغْرَنَاطَة جُملة من العلماء بها، أيام اختلافه إليها، وإقامته بها.

**تأليفه:** ألَّف كتابًا سماه «الاحتفال في استيفاء ما للخيل من الأحوال»، وهو كتاب ضخَم وَقَفْتُ عليه من قبله وأقْدَتُهُ. واختصر الغريب المُصَنَّف، وله تقايد منشور ومنظوم في علم النجوم، ورسالة في الإسْطِزْلَاب الخطي والعمل به، وشجرة في أنساب العرب.

**وفاته:** توفي ليلة السبت السابع عشر لشهر ربيع الآخر عام سبعة وخمسين وسبعمائة.

(١) المَقْرَمِدَة: بلدة تقع جنوب شرقي مدينة فاس. (٢) في الأصل: «أربع عشرة» وهو خطأ نحوي.

(٣) برشانة: بالإسبانية Purchena، وهي حصن على مجتمع نهريْن. الروض المعطار (ص ٨٨). وذكرها ياقوت في معجم البلدان (ج ١ ص ٣٨٤) وقال: إنها من قرى إشبيلية بالأندلس.

محمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم  
ابن محمد بن خلف بن محمد بن سليمان بن سوار  
ابن أحمد بن حزب الله بن عامر بن سعد الخير بن عَيَاش<sup>(١)</sup>

المكنى بأبي عَيْشُون بن حَمُود، الداخِل إلى الأندلس صحبة موسى بن نصير، ابن عَنبَسَة بن حارثة بن العباس بن المرداس، يَكْنَى أبا البركات، بَلْفِيْقِي<sup>(٢)</sup> الأصل، مَزُوي<sup>(٣)</sup> النشأة والولادة والسلف، يعرف بابن الحاج، وشَهْرُ الآن في غير بلده بالبلفيقي، وفي بلده بالمعرفة القديمة.

**أُولَيْتِه:** قد تقدم اتصال نسبه بحارثة بن العباس بن مِزْدَاس، صاحب رسول الله ﷺ، وأحد خطبائه وشعرائه، رئيس في الإسلام، ورئيس في الجاهلية. وكان لسلفه، وخصوصاً لإبراهيم، من الشهرة بولاية الله، وإيجاب الحق من خُلُقِه ما هو مشهور، حسبما تنطق به الفهارس، يعضد هذا المجد من جهة الأمومة، كأبي بكر بن ضُهِيب، وابن عمه أبي إسحق، وغيرهم، الكثير ممن صنف في رجال الأندلس، كأبي عبد المجيد المالقي، وابن الأبار، وابن طلحة، وابن فُرْتُون، وابن صاحب الصلاة، وابن الزُّبير، وابن عبد الملك، فليُنظر هناك.

**حاله:** نشأ ببلده أَلْمَرِيَة عمود العفة، فضفاض جِلْبَاب الصَّيَانَة، غَضِيض طرف الحياء، نائِي جَنْب السَّلام، حليف الانقباض والازْوَار، أَوِيًا إلى خالص التَّشَبُّ وبَخْت الطُّعْمَة، لا يُرى إلَّا في منزل مَنْ سألَه، وفي حَلَقِ الأَسَانِيد، أو في مسجد من المساجد خارج المدينة المَعْدَّة للتَّعَبُّد، لا يجيء سوقًا، ولا مجمعا، ولا وليمة، ولا مجلس حاكم أو وال، ولا يلبس أمرًا من الأمور التي جرت عادته أن يلبسها بوجه من الوجوه. ثم ترامى إلى رُخْلَة، فجاس خلال القطر الغربي إلى بجاية، نافضًا إياه من العلماء والصلحاء والأبواء والآثار بتَقْيِيدِه، وأخذَه قِيَام ذكر، وإغفال شهرة. ثم صرف عِناَنَه إلى الأندلس، فتصرف في الإقراء، والقضاء، والخطابة. وهو الآن نسيجٌ

(١) ترجمة أبي البركات محمد بن محمد بن الحاج البلفيقي في الكتيبة الكامنة (ص ١٢٧) وتاريخ قضاة الأندلس (ص ٢٠٢) ونفح الطيب (ج ٨ ص ١٦) وأزهار الرياض (ج ٤ ص ١٠٧) والديباج المذهب (ص ١٦٤) والتعريف بابن خلدون (ص ٦١) وجذوة الاقتباس (ص ١٨٣) والدرر الكامنة (ج ٤ ص ١٥٥)، وغاية النهاية (ج ٢ ص ٢٣٥).

(٢) نسبة إلى بَلْفِيْق Vellefique وهي بلدة تابعة لمدينة ألمرية. الإحاطة (ج ٢ ص ١٤٣) حاشية رقم ١ بتحقيق عنان.

(٣) نسبة إلى مدينة ألمرية.

وخِده في أصالة عريقة، وسجّية على السلامة مفطورة، فما شئت من صدر سليم، وعَقْد وثيق، وغور قريب، ونُصح مَبْدول، وتَصْنُع مرفوض، ونفس ساذجة، وباطن مساوٍ للظاهر، ودمعة سريعة، وهزل يُثمر تجلّة، وانبساط يفيد حُسن نيّة، إلى حُسن العهد، وفضل المشاركة، ورُقّة الحاشية، وصلابة العود، وصدق العزيمة، وقوة الحامية، وبلاغة الموعظة، وجلّة الوقت، وفائدة العصر، تفنّنًا وإمتاعًا، فارس المنابر غير الهيّابة، ولا الجَزوع، طيّب الثّعمة بالقرآن، مُجهّشًا في مجال الرُقّة، كثير الشفقة لصالح العامة، متأسفًا لضياع الأوقات، مُذمّعًا على الفِئته، مُجِمًّا، مُحوّلًا في رئاسة الدين والدنيا. هذا ما يُسامح فيه الإيجاز، ويتّجافى عنه الاختصار، ويكفي فيه الإلماع والإشارة، أبقي الله شيخنا أبا البركات.

**مشيخته وولايته:** تقدم قاضيًا بقنّالش<sup>(١)</sup>، في جمادى الثانية عام خمسة عشر وسبع مائة ثم وُلّي مَرَبْلَة، وإِسْتَبُونَة<sup>(٢)</sup> ثم كانت رحلته إلى بجاية. ثم عاد فقعد بمجلس الإقراء من مالقة للكلام على صحيح مُسلم، مُتَّفَقًا على اضطلاع به بذلك. ثم رحل إلى فاس. ثم آب إلى الأندلس، واستقرّ ببلده أَلْمَرِيّة، فقعد بمسجدها الجامع للإقراء، ثم قُدّم قاضيًا بِبَرْجَة ودَلَايَة، والبِيئُول<sup>(٣)</sup> وفَنِيَانَة<sup>(٤)</sup>، ثم نقل عنها إلى بيرة، ثم غربي أَلْمَرِيّة. ثم قُدّم قاضيًا بمالقة، ثم قُدّم بغيرها مضافًا إلى الخطابة، ثم أعيد إلى قضاء أَلْمَرِيّة، بعد وفاة القاضي أبي محمد بن الصائغ. ومن كتاب «طُرْفَة العصر» من تأليفنا في خبر ولايته ما نصه:

فتقلّد الحكم في الثالث والعشرين لشعبان من عام سبعة<sup>(٥)</sup> وأربعين وسبع مائة، ثالث يوم وصوله مُسْتَدْعَى، وانتابه الطُّلبة ووجوه الحضرة والدولة، مهنّين بمثواه من دار الصيانة، ومحل التَّجَلّة، إحدى دور الملوك بالحمراء، فطَفِقُوا يَغْشُونَهُ بِهَا زَرَافَاتٍ ووُحْدَانًا، في إتاحة الخير، وإلهام السُّداد، وتَسْوِيع الموهبة. وكان وصوله، والأفُق قد اغْبَرَّ، والأَرْض قد اقْشَعَرَّتْ لانصرام حظٍّ من أيام الشتاء الموافق لشهر ولايته، لم

(١) قنّالش: بلدة تابعة لمقاطعة أَلْمَرِيّة، على مقربة من بلفيق بلد المترجم له أبي البركات البلفيقي.

الإحاطة (ج ٢ ص ١٤٥) حاشية رقم ٢.

(٢) إِسْتَبُونَة أو أَسْتَبُونَة: بالإسبانية Estepona، وهي بلدة تقع على البحر المتوسط شمال جبل طارق. الإحاطة (ج ٢ ص ٢٤) حاشية رقم ٣.

(٣) البِيئُول: بالإسبانية: Albinol، وهي بلدة تابعة لمقاطعة مالقة. الإحاطة (ج ٢ ص ١٤٥) حاشية رقم ٦.

(٤) فَنِيَانَة: Fināna: قرية بقرب وادي آش من الأندلس، وقيل هي حضن. نزهة المشتاق (ص ٥٦٧) والروض المعطار (ص ٤٤١).

(٥) في الأصل: «سبع» وهو خطأ نحوي.



يَسِجُ فِيهِ الْغَمَامُ بِقُطْرَةٍ، وَلَا لَمَعَتِ السَّمَاءُ بِنَزْعَةٍ، حَتَّى أَضْرَّتِ الْأَنْفُسُ الشَّخَّ، وَحَسَرَ الْعُسْرُ عَنْ سَاقِهِ، وَتَوَقَّفَتِ الْبُذُورُ، فَسَاعَدَهُ الْجَدُّ بِنَزُولِ الرَّحْمَةِ عِنْدَ نَزُولِهِ مِنْ مِرْقَاةِ الْمَنْبَرِ، مُجَابَةً دَعْوَةِ اسْتِسْقَائِهِ، ظَاهِرَةٌ بَرَكَةُ خَشْوَعِهِ، وَلِذَلِكَ مَا أَنْشَدْتَهُ فِي تِلْكَ الْحَالِ<sup>(١)</sup>: [الكامل]

ظَمِئْتُ إِلَى الشُّقْيَا الْأَبَاطُحُ وَالرُّبَا      حَتَّى دَعَوْنَا الْعَامَ عَامًا مُجَدِّبَا  
وَالْغَيْثُ مَسْدُولُ الْحِجَابِ وَإِنَّمَا      عَلِمَ الْغَمَامُ قَدُومَكُمْ فَتَأَذَّبَا

وتولى النظر في الأحكام فأجال قداحها، مضطلعًا بأصالة النظر، وإرجاء المُشْتَبَهَاتِ، وسلك في الخطابة طريقةً مُثْلَى، يفرغ في قوالب البيان أغراضها، ويضرف على الأحكام الكواين والبساطات أساليبها، من المحاكاة، باختلاف القبض والبسط، والوعد والوعيد، حظوظها على مَقْبُضِ الْعَدْلِ، وسبب الصواب يقوم على كثير مما يَضْدَعُ بِهِ، من ذلك شاهدُ الْبِدِيْهِةِ، ودليلُ الْاِسْتِيعَابِ. قال شيخنا أبو البركات: ثم صُرِفَتْ عَنْهَا لِلْسَّبَبِ الْمَتَقَدِّمِ، وَبَقِيَتْ مَقِيَمًا بِهَا، لَمَّا اِشْتَهَرَ مِنْ وَقُوعِ الْوَبَاءِ بِالْمَرْيَةِ، ثُمَّ أُعِدَّتْ إِلَى الْقَضَاءِ وَالْخُطَابَةِ بِالْمَرْيَةِ، وَكُتِبَ بِذَلِكَ فِي أَوَائِلِ رَجَبِ عَامِ تِسْعَةِ أَرْبَعِينَ. وَبَقِيَتْ عَلَى ذَلِكَ إِلَى أَنْ صُرِفَتْ بِسَبَبِ مَا ذَكَرَ. ثُمَّ أُعِدَّتْ إِلَيْهَا فِي أَوَاخِرِ رَجَبِ سَنَةِ سِتِّ وَخَمْسِينَ، عَسَى أَنْ يَكُونَ الْاِنْقِطَاعُ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ. فَأَنَا الْآنَ أَتَمَثَّلُ بِمَا قَالَهُ أَبُو مُطَرِّفٍ<sup>(٢)</sup> بَنَ عَمِيرَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: [الخفيف]

قَدْ نُسَبْنَا إِلَى الْكِتَابَةِ يَوْمًا      وَأَتَتْ<sup>(٣)</sup> خُطَّةَ الْقَضَاءِ تَلِيهَا  
وَبِكُلِّ لَمْ تُطِيقْ لِلْمَجْدِ إِلَّا      مَنْزِلًا نَابِيًا وَعَيْشًا كَرِيهَا  
نِسْبَةً بُدِّلَتْ فَلَمْ تَتَغَيَّرْ      مِثْلُ مَا يَزْعُمُ الْمَهْنَدِسُ فِيهَا

بَدَّلَ مِنْ لَفْظِ الْكِتَابَةِ إِلَى الْخُطَابَةِ. وَأَغْرَبَ مَا رَأَيْتُ مَا أَحْكِي لَكَ، وَأَنْتَ أَعْلَمُ بِبَعْضِ ذَلِكَ، أَنْ أَفْضَلَ مَا صَدَّرَ عَنِّي فِي ذَلِكَ، الْخُطَّةُ مِنَ الْعَمَلِ الَّذِي أَخْلَصْتُ لِلَّهِ فِيهِ، وَرَجَوْتُ مِنْهُ الْمَثُوبَةَ عَلَيْهِ، وَفِيهِ مَعَ ذَلِكَ مَفْتَخَرٌ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَفْتَخَرَ غَيْرَ مُلْتَفِّتٍ لِلدُّنْيَا، فَعَلِيهِ عَوَّلْتُ سُبْحَانَهُ. انْتَهَى كَلَامُهُ.

تصانيفه: كتب إليّ بخطه ما نصه، وهو فصل من فصول: وأما توالي في فأكثرها، أو كلها غير مُتَمِّمَةٍ، فِي مُبَيَّضَاتٍ. مِنْهَا كِتَابٌ قَدْ يَكْبُو الْجَوَادُ فِي أَرْبَعِينَ

(١) البيتان في نفع الطيب (ج ٨ ص ١٧).

(٢) هو أحمد بن عبد الله بن عميرة البلنسي، وقد تقدمت ترجمته في الجزء الأول من الإحاطة، ووردت آياته التالية هناك ببعض اختلاف عما هنا.

(٣) في الأصل: «ثم جاءت» وهكذا ينكسر الوزن.

غلطة عن أربعين من الثقاد، وهو نوع من تَضحيف الحُقَاف للدارقُطني، منها «سَلوَةُ الخاطر فيما أَشْكل من نِسْبة النِّسب الرِّتب إلى الذَّاكر». ومنها كتاب «قَدْرُ جَمِّ في نظم الجُمْل». ومنها كتاب «خطر قَبْطر، ونَظَر فَحْطَر، على تنبيهات على وثائق ابن قَتُوح». ومنها كتاب «الإفصاح فيمن عُرِف بالأندلس بالصلاح». ومنها «حركة الدَّخُولية في المسألة المالقية». ومنها «خَطَرَةُ المجلس في كلمة وَقَعَت في شعرِ استنصر به أهلُ الأندلس» جزء صغير. ومنها «تاريخ أَلْمَرِيَّة» غير تام. ومنها ديوان شعره المسمى بـ «العَذْب والأجاج في شعر أبي البركات ابن الحاج»<sup>(١)</sup>. ومختصره سَمَّاه القاضي الشريف «اللؤلؤ والمرجان، اللذان من العذب والأجاج يُسْتَخرجان»<sup>(٢)</sup>. ومنها «عرائس بنات الخواطر المجلوَّة على مَنَصَّات المنابر» يحتوي على فصول الخطب التي أنشئت بطول بنى والخطابة. ومنها «المُؤْتَمَن على أبناء الزمن». ومنها تأليف في أسماء الكتب، والتَّعريف بمؤلفيها، على حروف المعجم. ومنها «ما اتفق لأبي البركات فيما يُشبه الكرامات». ومنها كتاب «ما رأيتُ وما رُئي لي من المقامات». ومنها كتاب «المرجع بالدرك على مَنْ أنكر وقوع المشترك». ومنها «مُشَبَّهَات اصطلاح العلوم». ومنها «ما كثر وروده في مجلس القضاء». ومنها «العَلَسِيَّات»، وهو ما صدر عني من الكلام على صحيح مُسلم أيام التكلّم عليه في التَّغْلِيس. ومنها «الفصول والأبواب، في ذكر مَنْ أخذ عني من الشيوخ والأتباع والأصحاب».

ثم قال: وقد ذهب شَرُخُ الشُّباب ونشاطه، وتقطَّعت أوصاله، ورَحَلَ رِباطه، وأصبحت النفس تنظر لهذا كله بعين الإمهال والإغفال، وقلة المبالاة التي لا يصل أحد بها إلى مَنال. وهذه الأعمال لا يُنْشِطُ إليها إِلَّا المَحْرُكَات التي هي مفقودة عندي، أحدها طلبة مجتمعون متعطشون إلى ما عندي، متشوّفون غاية التشوّف، وأين هذه بالمرية؟ الثاني، طلبُ رياسة على هذا، ومتى يرأس أحد بهذا اليوم، وعلى تقدير أن يرأس به وهو محالٌ في عادة هذا الوقت، فالتشوّف لهذه الرياسة مفقود عندي. الثالث، سلطانٌ يملأ يد مَنْ يُظهر مثل هذا، على يده غبطة، وما تم هذا. الرابع، نيَّة خالصة لوجه الله تعالى في الإفادة، وهذا أيضًا مفقود عندي، ولا بدّ من الإنصاف. الخامس، قَصْدُ بقاء الذِّكر، وهذا خيال ضعيف بعيد عني. السادس، الشفقة على شيء ابتدئ، وسعي في تحصيل مبادئه، أن يضع على قُطْع ما سوى هذا الإشفاق،

(١) في نفح الطيب (ج ٨ ص ١٩): «العذب والأجاج، من كلام أبي البركات ابن الحاج».

(٢) في المصدر نفسه: «اللؤلؤ والمرجان، من بحر أبي البركات ابن الحاج يستخرجان».

وهذا السادس، هو الذي في نفسي منه شيء، وبه أنا أقيد أسماء من لقيت، وما أخذت، ويكون إن شاء الله إبراز إذا الصحف نُشرت. وأكثر زماني يذهب في كيفية الخروج عما أنا فيه، فإذا يُنظر إليّ العاقل في هذا الوقت بعين البصيرة، لا يسعه إلا الشفقة عليّ، والرّحمة لي، فإنه يرى رجلاً مُطرقاً أكثر نهاره، ينظر إلى مآله، فلا ينشط إلى إصلاحه، وهو سابع ولا يلبس بالعبادة، وهو في زمانها المُقارب للفتوت، ولا ينهض إلى إقامة حق كما ينبغي لعدم المُعين، ولا يجنح إلى شيء من راحات الدنيا، ويشاهد من علوم الباطل الذي لا طاقة له على رفعه ما يُضيق صدر الحرّ يقضي نصف النهار، مُحتلاً في مكان غير حسن، تارة يُفكر، وتارة يكتب ما هو على يقين منه أنه كذا لا يُنتفع به، ونصف النهار يقعد للناس، تارة يرى ما يكره، وتارة يسمع ما يكره، لا صديق يُذكره بأمر الآخرة، ولا صديق يُسليه بأمر الدنيا، يكفيني من هذه الغزارة، اللهم إليك المشتكى يا من بيده الخلق، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

شعره: من مُطولاته في النزعة الغربية التي انفرد بها، منقولاً من ديوانه، قال: ومما نظمته بسبنته في ذي الحجة من عام خمسة وعشرين وسبعمائة، في وصف حالي، وأخذها عني الأستاذ بسبنته، أبو عبد الله بن هاني، والأديب البارع أبو القاسم الحسيني، وأبو القاسم بن حزب الله، وسواهم. ولما انفصلت من سبنته إلى بلاد الريف<sup>(١)</sup> زدت عليها أبياتاً في أولها، وكثر ذلك بوادي لو من بلاد الريف وهي: [الطويل]

تأسفتُ لكن حين عزّ التأسفُ	وكفكفتُ دمعاً حين لا عين تذرُفُ
ورام سكوننا هو في رَجُل طائر	ونادى بأُنسِ والمنازل تعنفُ
أراقب قلبي مرّة بعد مرة	فألُفّيه ذِيَاكَ الذي أنا أغرِفُ
سقيماً ولكن لا يحسُّ بدائه	سوى مَنْ له في مآزق الموت مَوْقفُ
وجاذب قُلُوباً ليس يأوي لمألِفُ	وعالج نَفْساً داؤها يتضاعفُ
وأعجب ما فيه استواء صفاته	إذ الهَمُّ يُشقيه أو السرُّ يَنزِفُ
إذا حَلَّت الضُّرَاءُ لم ينفع لها	وإن حَلَّت السَّراءُ لا يَتَكَيَّفُ
مذاهبه لم تُبَد غاية أمره	فؤاد، لعمرى، لا يُرى منه أطرفُ
فما أنا من قوم قُصارى هُمومهم	بئوهم وأهلهم وثوبٌ وأرغفُ

(١) تقع بلاد الريف في المغرب الأقصى. الإحاطة (ج ٢ ص ١٥١) حاشية رقم ١.

ولا لِيَ بالإسراف فكرٌ محدثٌ  
ولا أنا مِمَّنْ لَهُوهُ جَلٌّ شائِه  
ولا أنا مِمَّنْ أُنْسُهُ غَايَةُ الْمُتَى  
ولا أنا مِمَّنْ تَزْدَهِيه مَصَانِعُ  
ولا أنا ممن هُمُّهُ جَمْعُهَا فَإِنْ  
على أَنَّ دهري لم تَدَعْ لي ضُروفه  
ولا أنا ممن هذه الدار هُمُّه  
ولا أنا ممن للسؤال قد انبَرى  
ولا أنا ممن نَجَّحَ اللهُ سَغِيهِمْ  
فلا في هَوَى أَضْحَى إِلَى اللّٰهُ قَائِدًا  
أحارب دهري في نقيض طباعه  
وأنظره شَرْزًا بِأَضْلَفِ نَاطِر  
وأضْبُطْهُ ضَبْطَ المَحْدُثِ صَخْفَه  
وياخذ مني كلَّ ما عَزَّ نِيلَه  
أدور له في كل وَجْهِ لِعَلَّنِي  
ولما يئسنا منه تَهَنَّا ضرورة  
تَكَلَّفْتُ قَطْعَ الأَرْضِ أَطْلُبَ سَلْوَةً  
وخاطرتُ بالنفس العزيزة مُقَدِّمًا  
وصرَّفتُ نفسي في شؤون كثيرة  
وُخِضْتُ لأنواع المعارف أَبْحُرًا  
ولم أُحِلْ من تلك المعاني بطائل  
وقد مرَّ من عمري الأَلَدُّ وَها أنا  
وإني على ما قد بَقِيَ منه إِنْ بَقِيَ  
أَعُدُّ لِيَالِي العِمرِ والفِرْضِ صَوْمَهَا  
على أَنَّهَا إِنْ سَلِمَتْ جَدَلِيَّةٌ  
تُحَدِّثُنِي الآمَالِ وَهي كِدِينُهَا  
بَأَنِّي فِي الدُّنْيَا سَاقِضِي مَآرِبِي  
وتلك أَمَانٌ لَا حَقِيقَةَ عِنْدَهَا

سَيَغْدُو حَبِيبِي أَوْ سَيَشْعُرُ مُطْرَفُ  
بِرَوْضِ أَنْيَقِ أَوْ غَزَالِ مُهْفَهْفِ  
بِصَوْتِ رَخِيمٍ أَوْ نَدِيمٍ وَقَرْقَفِ  
وَيُسْبِيهِ بُسْتَانٌ وَيُلْهِيه مُخْرَفُ  
تَرَاتٍ يَثْبُ بِسَغِي لَهَا وَهُوَ مُزْجَفُ  
مِنَ المَالِ إِلَّا مَسْحَةَ أَوْ مَجْلَفُ  
وَقَدْ غَرَّهَ مِنْهَا جَمَالٌ وَزُخْرَفُ  
ولا أنا ممن صَانِ عَنْهُ التَّعَطُّفُ  
فَهَمَّتْهُمْ فِيهَا مُصَلَّى وَمُضْحَفُ  
ولا فِي ثَقَى أَمْسَى إِلَى اللهِ يَزْلِفُ  
وَحَزْبُكَ مِنْ يَقْضِي عَلَيْكَ تَعْجُوفُ  
فِيَعْرِضُ عَنِّي وَهُوَ أَزْهَى وَأَضْلَفُ  
فِيَخْرُجُ فِي التَّوْقِيعِ أَنْتَ الْمُضْجِفُ  
وَيَبْدُو بِجَهْلِي مِنْهُ فِي الأَخْذِ مُحْتَفُ  
سَأْتِبْتَهُ وَهُوَ الَّذِي ظَلَّ يَحْذِفُ  
فَلَمْ تَبْقَ لِي فِيهَا عَلَيْهِ تَشَوُّفُ  
لِنَفْسِي فَمَا أَجْدَى بِتِلْكَ التَّكْلُفُ  
إِذَا مَا تَخْطَى النُّضْلُ قَصْدَ مُرْهَفُ  
لِحَظِّي فَلَمْ يَظْفِرْ بِذَلِكَ التَّصْرُفُ  
فَفِي الْحَيْنِ مَا اسْتَجَرْتُهَا وَهِيَ تَتَرَفُ  
وَإِنْ كَانَ أَهْلُهَا أَطَالُوا وَأَسْرَفُوا  
على مَا مَضَى مِنْ عَهْدِهِ أَتْلَهْفُ  
لِحَرَمَةٍ مَا قَدْ ضَاعَ لِي أَتُخَوِّفُ  
وَحَسْبُكَ مِنْ فَرَضِ الْمُحَالِ تَعْسُفُ  
تَعَارِضُ آمَالًا عَلَيْهَا يُنَيِّفُ  
تُبَدِّلُ فِي تَخْدِيثِهَا وَتُحَرِّفُ  
وَبَعْدُ يَحِقُّ الزَّهْدُ لِي وَالتَّقَشُّفُ  
أَفِي قَرْنِي الضُّدِّينِ يَبْقَى التَّكْلُفُ؟

وربَّ أَخْلَاءَ شَكُوْتُ إِلَيْهِمْ  
فبَعْضُهُمْ يُزْرِي عَلَيَّ وَبَعْضُهُمْ  
وَبَعْضُهُمْ يَوْمِي إِلَيَّ تَعْجَبًا  
وَبَعْضُهُمْ يُلْقِي جَوَابَهُ عَلَى  
يَسِيءٍ اسْتِمَاعًا ثُمَّ يُعَدُّ إجابة  
ولا هو يبدي لي عليَّ تَعَقُّلاً  
وما أَمَرْنَا إِلَّا سِوَاءَ إِنَّمَا  
فلو قد فَرَعْنَا من علاج نفوسنا  
أما لهم من عِلَّةٍ أَزَمَتْ بِهِمْ  
وَحُضْنَا لَهُمْ فِي الْكُتُبِ عَنْ كُنْهِ أَمْرِهِمْ  
وَصَنَّفْتُ فِي الْآفَاتِ كُلِّ غَرِيبَةٍ  
وليس عَجِيبًا من تَرَكَّبَ جَهْلُهُمْ  
إِذَا جَاءَنَا بِالسُّخْفِ من نَزْوِ عَقْلِهِ  
فما جَاءَنَا إِلَّا بِأَمْرِ مُنَاسِبٍ  
ولكن عَجِيبُ الْأَمْرِ عِلْمِي وَغَفْلَتِي  
إِلَّا أَنَّهَا الْأَقْدَارُ يَظْهَرُ سِرُّهَا  
أَيَا رَبِّ إِنْ اللَّبَّ طَاشَ بِمَا جَرَى  
وَلِنَا لِنَدْعُوهُمْ وَنَخْشَى وَإِنَّمَا  
أَقُولُ وَفِي أَثْنَاءِ مَا أَنَا قَائِلٌ  
وإِنِّي مع السَّاعَاتِ كَيْفَ تَقَلَّبْتُ  
وما جَرَّ ذَا التَّسْوِيفِ إِلَّا شَيْبَتِي  
إِذَا جَاءَ يَوْمٌ قَلْتُ هُوَ الَّذِي يَلِي  
أَقْدَمَ رَجُلًا عِنْدَ تَأْخِيرِ أَخِيهَا  
كَأَنِّي لِدَانِي الْمَرَاقِدِ مِنْهُمْ  
وَهَبْنِي أَعِيشْ هَلْ إِذَا شَابَ مَفْرَقِي  
وكيف وَيَسْتَدْعِي الطَّرِيقَ رِيَاضَةً

ولكن لِقَهُمُ الْحَالُ إِذْ ذَاكَ لَمْ يَفُؤَا<sup>(١)</sup>  
يَغْضُ وَبَعْضُ يَرِثِي ثُمَّ يَضْدُفُ  
وَبَعْضُ بِمَا قَدْ رَأَيْتَهُ يَتَوَقَّفُ  
مُقْتَضَى الْعَقْلِ الَّذِي عَنْهُ يَتَوَقَّفُ  
عَلَى غَيْرِ مَا تَحْذُوهُ يَحْذُو وَيَخْصِفُ  
وَلَا هُوَ يَرِثِي لِي وَلَا هُوَ يَغْنِفُ  
عَرَفْنَا وَكُلُّ مِنْهُمْ لَيْسَ يَعْرِفُ  
وَحَطُّوا الدِّينَةَ مِنْ عَلِيلٍ وَأَنْصَفُوا<sup>(٢)</sup>  
وَلَمْ يَعْرِفُوا أَغْوَارَهَا وَهِيَ تَخْلَفُ؟  
وَمِثْلِي عَنْ تِلْكَ الْحَقَائِقِ يَكْشِفُ  
فَجَاءَ كَمَا يَهْوَى الْغَرِيبُ الْمُصَنَّفُ  
فَإِنْ يَخْجِبُوا عَنْ مِثْلِ ذَاكَ وَصَرَفُوا<sup>(٣)</sup>  
إِذَا مَا مَثَلْنَاهُ أَزْهَى وَأَسْخَفُ  
أَيَنْهَضُ عَنْ كَفِّ الْجَبَانِ الْمُثَقَّفِ؟  
فَدَيْتُكُمْ أَيُّ الْمَحَاسَنِ أَكْشِفُ  
إِذَا مَا وَفَى الْمَقْدُورُ فَالرَّأْيُ يَخْلَفُ  
بِهِ قَلَمُ الْأَقْدَارِ وَالْقَلْبُ يَرْجِفُ  
عَلَى رَسْمِكَ الشَّرْعِي مِنْ لَكَ يَغْكُفُ  
رَأَيْتُ الْمَنِيَا وَهِيَ لِي تَتَخَطَّفُ  
لَأَسْهَمِهَا إِنْ فَوَّقَتْ مَتَهَدَفُ  
تُخَيِّلُ لِي طَوْلَ الْمَدَى فَأَسُوفُ  
وَوَقْتُكَ فِي الدُّنْيَا جَلِيسٌ مُحَقَّفُ  
إِذَا لَاحَ شَمْسٌ فَالْنَفْسُ تَكْشِفُ  
وَلَمْ أَوْدِعْهُمْ وَالْخَضُّ رِيَانٌ يَنْسِفُ  
وَوَلَّى شَبَابِي هَلْ يُبَاحُ التَّشَوُّفُ؟  
وَتِلْكَ عَلَى عَصْرِ الشَّبَابِ تُوَلِّفُ

(١) في الأصل: «يُفُ».

(٣) في الأصل: «وصرف».

(٢) في الأصل: «وأنصف».

متى يقبل التَّقْوِيم غير عطوفة  
ولو لم يكن إلّا ظُهوره سرّه  
أَمْوَلِي الأسارى أنت أولى بعذرهم  
قَدْفنا بلجّ البحر والقيّد أخذُ  
وفي الكون من سرّ الوجود عجائب  
وكَعَتْ عليهم نكشة فتأخروا  
فليس لنا إلّا أن نحطّ رقابنا  
فهذا سبيلٌ ليس للعبد غيرها

وبي بَغده حِسَان<sup>(١)</sup> فالنَّار تَنسِف؟  
إذا ما دنا التَّدليس هان التنطُّف  
وأنت على المملوك أحقُّ وأعطفُ  
بأَرْجُلنا والرَّيح بالموج تعصف  
أطلَّ عليها العارفون وأشرفوا<sup>(٢)</sup>  
ودذتُ بأن القوم بالكل أسعَفُ  
بأبواب الاستِسْلام والله يَلْطَفُ  
ولّا فماذا يستطيع المُكَلَّفُ

وقال: وضمنها محاوراة بينه وبين نفسه، وقِيذَتْها عنه زوال يوم الثلاثاء التاسع والعشرين لمحرّم خمس وخمسين وسبعمئة، برابطة العقاب<sup>(٣)</sup>، متعبد الشيخ ولي الله أبي إسحق الإلبيري، رحمه الله، فمناها<sup>(٤)</sup>: [الكامل]

يَأبى شجونَ حديثي الإفصاحُ  
قالت صفيّة إذ مررتُ<sup>(٥)</sup> بها  
فأجبتُها لولا الرقيبُ لكان لي<sup>(٦)</sup>  
قالت: وهل في الحيّ حيّ غَيْرنا؟  
فأجبتها: إنّ الرقيبَ هو الذي<sup>(٧)</sup>  
وهو الشهيدُ على مواردِ عبده  
قالت وأين يكون جُودُ<sup>(٩)</sup> الله إذ  
فافرَحَ بِإذن<sup>(١١)</sup> الله جلّ جلاله

إذ لا تقومُ بشَرْحِهِ الألواحُ  
أفلا تَنزَلُ ساعةً ترتاح؟  
ما تَبْتَغي بَغْدَ العُدُوّ رواح  
فاسمُخْ قَدْ يَثُكُ فالسماخُ رياحُ  
بِيَدَيْهِ مئاهُ هذه الأرواح  
سيّان ما الإخفاء والإفصاح<sup>(٨)</sup>  
يُخشى<sup>(١٠)</sup> ومنه هذه الأفراح  
واشطّخْ فَنَشْوانُ الهوى شطّاح

(١) في الأصل: «بعد حسّاً» وهكذا ينكسر الوزن.

(٢) في الأصل: «وأشرف».

(٣) هي رابطة العقاب أو رباط العقاب، كانت تخصص للعبادة، وكانت على مقربة من مدينة غرناطة. الإحاطة (ج ٢ ص ١٥٥) حاشية رقم ٤ من تعليق الأستاذ محمد عبد الله عنان.

(٤) القصيدة في الكتيبة الكامنة (ص ١٢٨ - ١٢٩).

(٥) في الكتيبة: «... صفة عندما مرّت بها إليّ أتتزلّ...».

(٦) في الكتيبة: «في».

(٨) في الكتيبة: «والإيضاح».

(٩) في الأصل: «وجود» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة الكامنة.

(١٠) في الأصل: «تخشى» والتصويب من الكتيبة.

(١١) في الكتيبة: «فافرح على اسم الله».

وانهج<sup>(١)</sup> على ذم الرجال ولا تخف  
وانزل على حكم السُرور ولا تَبَل  
واخلع عذارك في الخلاعة يا أخي  
وانظر إلى هذا النهار فسيئه  
أنواره ضجكت<sup>(٢)</sup> وأثري كأسه  
وانظر إلى الدنيا بنظرة رحمة  
فأجبثها لو كنت تعلم<sup>(٣)</sup> ما الذي  
من كل معنى غامض من أجله  
حتى لقد سَكروا من الأمر الذي  
لَعَذَرْتَنِي وعلمت أني طالب  
فاترك صفيك قارعاً باب الرضى  
يا حي<sup>(٤)</sup>، حي على الفلاح وخلني

فالحكم<sup>(٥)</sup> رخب والنوال مباح  
فالوقت صاف ما عليك جناح  
باسم الذي دارت به الأقداح  
ضجكت ونور جبينه وضاح  
فقد استوى ريحائه والراح  
فجفاؤها بوفائها ينزاح  
يبدو لتاركها وما يلتاح  
قد ساح قوم في الجبال وناحوا<sup>(٦)</sup>  
هاموا به عند العيان فباحوا<sup>(٧)</sup>  
ما الزهد في الدنيا له مفتاح  
والله جل جلاله الفتح  
فجماعتي حثوا المَطي وراحوا<sup>(٨)</sup>

وقيدت من خطه في جملة ما كتب إلي ما نصه :

ومما نظمته بغرناطة، وبعضه ببرجة، وهو مما يعجبني، وأظنه كتبه لك، وهو  
غريب المتزع، وإنه لكما، قال<sup>(٩)</sup> : [الكامل]

خُذْهَا على رغم الفقيه سُلَافَةً  
أبدي أطباء القلوب لأهلها  
وإذا المرائي<sup>(١٠)</sup> قال في نَشوانها  
ياقوتة<sup>(١١)</sup> دارت على أربابها  
مُزِجَتْ فغار الشيخ من تركيبها  
فبدت<sup>(١٢)</sup> فغار الشيخ من إظهارها

تُجلى بها الأقمار في شمس الضحى  
منها شراباً للنفس مُبَرِّحاً<sup>(١٣)</sup>  
قل أنت بالإخلاص فيمن قد صحا  
فاهتزت الأقدام منها واللحا  
فلذلك جَرَّدها وصاح وسرَّحاً<sup>(١٤)</sup>  
فاشتدَّ يَبْتَدِرُ الحجاب مُلَوَّحاً

- (١) في الكتيبة: «وارهَج» .  
(٢) في الكتيبة: «فَقَحَّتْ» .  
(٣) في الأصل: «وتاح» والتصويب من الكتيبة .  
(٤) في الكتيبة: «يا أخت» .  
(٥) في الكتيبة: «فالحلم» .  
(٦) في الأصل: «وساخ» والتصويب من الكتيبة .  
(٧) في الكتيبة: «فمَرَّحاً» .  
(٨) في الكتيبة: «فمَرَّحاً» .  
(٩) القصيدة في الكتيبة الكامنة (ص ١٢٩ - ١٣٠) . (١٠) في الكتيبة: «مفرَّحاً» .  
(١١) في الأصل: «وإذا امرؤ» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة .  
(١٢) في الكتيبة: «يا قهوة» .  
(١٣) في الكتيبة: «وَصَرَّحاً» .  
(١٤) في الكتيبة: «وبدث» .

لا تعترض أبدًا على مُسْتَرْفِدٍ<sup>(١)</sup> وكذاك لا تَغْتَبِ على مُسْتَهْتَرٍ  
سكرانٌ يعثرُ في ذبول لسانه  
كَتَمَ الهوى حريّةً<sup>(٢)</sup> بعضٌ وبعد  
لا تخشين<sup>(٣)</sup> على العدالة هاتِفًا  
الحُبُّ خمرُ العارفين قد صَفَتْ<sup>(٤)</sup>  
فاشطخ على هذا الوجود وأهله  
كَبُرَ عليهم إنهم موتى على  
واهزأ بهم فمتى يَقُلْ نُصَاحَاؤُهُمْ  
وَإِذَا أَرَبُهُمْ<sup>(٥)</sup> استخفَّ فُقُلْ له  
أُبْنِي سُلَيْمٍ قد نجا مجنونكم  
هل يستوي من لم يَبُخْ بحبيبه  
فافرُخْ وطبَّ وابْهَجْ<sup>(٦)</sup> وقلْ ماشئته<sup>(٧)</sup>  
قد غار من أسرارها أن يُفَضَّحَا<sup>(٨)</sup>  
لم يدر ما الإيضاح لَمَّا أَوْضَحَا  
كُفِّرَا ويَحْسَبُ أنه قد سَبَّحَا  
ضُّ ضَاقَ دَزَعًا بالغرام فبِرَّحَا  
تُغَرَّ<sup>(٩)</sup> ارتياح العاشقين فجرَّحَا<sup>(١٠)</sup>  
حتما على مَنْ ذاقها أن يَشْطَحَا  
عُجْبًا فليس براجح من رَجَّحَا  
غيرِ الشَّهادة ما أَعْرَّ وأُقْبَحَا  
أِهِنْجْ<sup>(١١)</sup> فُقُلْ حتى أَلَاقي مُفْلِحَا  
بالله يا يحيى بن يحيى دَغْ جِحَا  
مجنونٌ ليلي العارفين<sup>(١٢)</sup> به قد محا  
مَعَ مَنْ يَذْكر حبيبه قد أَفْضَحَا<sup>(١٣)</sup>  
ما أُمْلَحَ الفقراء يا ما أُمْلَحَا

ومن مقطوعاته التي هي آيات العجائب، وطررُ حُلل البدائع في شتى الأغراض والمقاصد، قوله يعتذر لبعض الطلبة، وقد استدبره ببعض حُلُق العلم بسببته<sup>(١٤)</sup> :  
[السريع]

إن كنتُ أَبْصَرْتُكَ لا أَبْصَرْتُ  
بصيرتي في الحقُّ بُزْهَانُهَا  
لا عَزَوَ أَنِي لم أَشَاهِدْكُمْ  
فالعينُ لا تُبْصِرُ إِنْسَانُهَا<sup>(١٥)</sup>

(١) في الكتيبة: «مستهتر».

(٢) في الأصل: «كَمَ الهوى حرب...» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة.

(٣) في الكتيبة: «لا تحسبن».

(٤) في الكتيبة: «مُبَرَّحَا».

(٥) في الكتيبة: «أفلخ».

(٦) في الكتيبة: «العامرية».

(٧) في الكتيبة: «وارهخ».

(٨) في الأصل: «شنت» والتصويب من الكتيبة.

(٩) في الكتيبة: «فجرَّحَا».

(١٠) في الكتيبة: «فجرَّحَا».

(١١) في الكتيبة: «فجرَّحَا».

(١٢) في الكتيبة: «فجرَّحَا».

(١٣) في الكتيبة: «فجرَّحَا».

(١٤) في الكتيبة: «فجرَّحَا».

(١٥) في الكتيبة: «فجرَّحَا».



ومنها قوله في غرض التورية، وهو بديع في معناه<sup>(١)</sup>: [الطويل]

يلومونني بعد العذار على الهوى ومثلي في وجدي<sup>(٢)</sup> له لا يُفْنَد<sup>(٣)</sup>  
يقولون<sup>(٤)</sup> أَمْسِكْ عنه قد ذَهَبَ الصُّبا وكيف يُرى<sup>(٥)</sup> الإمساك والخيط أسود؟<sup>(٦)</sup>

ومنها قوله في المُجَنَّبَات، وهو من الغريب البديع<sup>(٧)</sup>: [الطويل]

ومُضَفَّرَةُ الحَدَّيْنِ مطوَّيَّة الحشَا على<sup>(٨)</sup> الجُنِّين والمُضَفَّرُ يُؤْذَن بالخوف  
لها هيئة<sup>(٩)</sup> كالشمس عند طلوعها ولكنها في الحين تَغْرُبُ في الجَوْفِ

ومنها قوله في النُّصَح، ولها حكاية تقتضي ذلك: [الكامل]

لا تَبْذُلَنَّ نَصِيحَةً إِلَّا لِمَنْ تَلْقَى لِبَذْلِ النُّصَحِ مِنْهُ قُبُولًا  
فالنَّصِيحُ إِنْ وَجَدَ الْقَبُولَ فَضِيلَةٌ وَيَكُونُ إِنْ عَدِمَ الْقَبُولَ فَضُولًا  
ومنها في الحكم<sup>(١٠)</sup>: [الخفيف]

ما رَأَيْتُ الهمومَ تَدْخُلُ إِلَّا مِنْ دُرُوبِ العُيُونِ وَالْآذَانِ  
عُضٌّ طَرْقًا وَسُدٌّ سَمْعًا وَمَهْمًا<sup>(١١)</sup> تَلْقَى هُمًا فَلَا تَثِقُ بِضَمَانِ

ومنها قوله، وهو من المعاني المبكرات<sup>(١٢)</sup>: [الكامل]

حَزَنْتُ عَلَيْكَ الْعَيْنُ يَا مَغْنَى الْهَوَى فَالدمعُ مِنْهَا بَعْدَ بُعْدِكَ مَا رَقَا<sup>(١٣)</sup>

(١) البيتان في الكتيبة (ص ١٣١) وتاريخ قضاة الأندلس (ص ٢٠٦) ونفع الطيب (ج ٨ ص ٢٣).

(٢) في الكتيبة وتاريخ قضاة الأندلس: «حُبِّي». (٣) يُفْنَدُ: يُتَّهَمُ بالكذب. لسان العرب (فند).

(٤) في الأصل: «يقولون لي أَمْسِكْ...». وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصادر.

(٥) في المصادر: «أرى».

(٦) في البيت تورية؛ فالإمساك يطلق على الصوم، وأراد هنا الكَفَّ عن الحب. والخيط الأسود يطلق على الليل، وأراد العذار، وفي التنزيل الكريم: «وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ». سورة البقرة ٢، الآية ١٨٧.

(٧) البيتان في الكتيبة (ص ١٣١)، وتاريخ قضاة الأندلس (ص ٢٠٥)، ونفع الطيب (ج ٨ ص ٢٣).

(٨) في الكتيبة: «عن».

(٩) في الكتيبة وتاريخ قضاة الأندلس ونفع الطيب: «بَهْجَةً».

(١٠) البيتان في الكتيبة الكامنة (ص ١٣٢).

(١١) في الكتيبة: «... سمعًا وإن أحسست هُمًا...».

(١٢) البيتان في الكتيبة الكامنة (ص ١٣٢ - ١٣٣) ونفع الطيب (ج ٨ ص ٢٧).

(١٣) أصل القول: «رقأ»، وقد أسقط الهمزة للضرورة الشعرية؛ يقال: رقأ الدمعُ إذا جفَّ. لسان العرب (رقأ).

ولذلك قد<sup>(١)</sup> صُبِغَتْ<sup>(٢)</sup> بلونٍ أزرقي أو ما ترى ثوبَ المآتم أزرقا؟  
ومنها قوله في المعاني الغربية. قال: ومما نظمته في عام أربعة وأربعين في  
التفكر في المعاني، مُغْلَقُ العَيْنين: [السريع]  
أَبْحَثُ فِيمَا أَنَا حَصَّلْتُهِ عِنْدَ انْغِمَاضِ الْعَيْنِ فِي جَفْنِهَا  
أُخَسِبُنِي كَالشَّاةِ مَجْتَرَةً تَمْضَغُ مَا يَخْرُجُ مِنْ بَطْنِهَا  
وقال: ومما نظمته بين أُنْدَرَشْ وِبَرْجَةِ<sup>(٣)</sup> عام أربعة وأربعين، وأنا راكب مسافر،  
وهو مما يُعْجِبُنِي، إِذْ لَيْسَ كُلُّ مَا يَصْدُرُ عَنِّي يُعْجِبُنِي. قُلْتُ وَيَحَقُّ أَنْ يَعْجِبَهُ<sup>(٤)</sup>:  
[الطويل]

تَطَالَبَنِي نَفْسِي بِمَا لَيْسَ لِي بِهِ يَدَانِ<sup>(٥)</sup> فَأَعْطِيهَا الْأَمَانَ<sup>(٦)</sup> فَتَقَبَّلُ  
عَجَبْتُ لِحَضْمٍ لَجَّ فِي طَلِبَاتِهِ يَصَالِحُ عَنْهَا<sup>(٧)</sup> بِالْمَحَالِ فَيَفْصَلُ  
قال: ومما نظمته في السَّتَةِ المذكورة من ذَمِّ النِّسَاءِ<sup>(٨)</sup>: [الخفيف]

مَا رَأَيْتُ النِّسَاءَ يَضْلُخْنَ إِلَّا لِلَّذِي يَضْلُحُ الْكَنِيفَ لِأَجَلِهِ<sup>(٩)</sup>  
فَعَلَى هَذِهِ الشَّرِيطَةِ صَالِحِ<sup>(١٠)</sup> هَنْ لَا تَعْدُ بِأَمْرِي عَنْ مَحَلِّهِ  
قال: ومما نظمته في السَّتَةِ المذكورة<sup>(١١)</sup>: [الخفيف]

قَدْ هَجَرْتُ<sup>(١٢)</sup> النِّسَاءَ دَهْرًا فَلَمْ أَبْ لَغْ أَذَانِي<sup>(١٣)</sup> صِفَاتِهِنَّ الذَّمِيمَةَ  
مَا عَسَى أَنْ يُقَالَ فِي هَجْوٍ مَنْ قَدْ خَصَّهُ الْمَصْطَفَى بِأَقْبَحِ شِيمَةٍ  
أَوْ يَبْقَى لِنَاقِصِ<sup>(١٤)</sup> الْعَقْلِ وَالذِّبِّ نِ إِذَا عُذَّتِ الْمَثَالِبُ قِيمَةً؟

وقال: وما نظمته في تاريخ لا أذكره الآن، هذان البيتان، ولم أر معناهما لمن  
مضى. ولو رحل رجل إلى خراسان، ولم يأت إلا بهما، كان ممن لم يخفق

(١) في الكتيبة: «ما».

(٢) في النفح: «ظهرت».

(٣) أُنْدَرَشْ وِبَرْجَةِ كانتا في عهد ابن الخطيب تابعتين لمقاطعة ألمرية.

(٤) البيتان في الكتيبة الكامنة (ص ١٣٣) ونفح الطيب (ج ٨ ص ٢٦).

(٥) ليس لي به يدان: ليس لي عليه قدرة. (٦) في الكتيبة: «وأعطيها الأمان».

(٧) في الكتيبة: «عنه».

(٨) البيتان في الكتيبة الكامنة (ص ١٣٣).

(٩) في الأصل: «من أجله» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب في الكتيبة الكامنة.

(١٠) في الكتيبة: «فأصحبهن».

(١١) الأبيات في الكتيبة الكامنة (ص ١٣٣).

(١٢) في الكتيبة: «قد هجوْتُ».

(١٣) في الأصل: «أذاني» وهكذا ينكسر الوزن. وفي الكتيبة الكامنة: «أذاني» بدال غير معجمة.

(١٤) في الأصل: «لنا قِصْر» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة الكامنة.

مسعاه، ولا أجذب مرعاه، يَنْفَتَحُ بهما للقلب باب من الراحة فسيح، إذا أجهده ما يكابد من المَضاضة، ونَقَضَ العهود، واختلاف الوعود. وهذه المحنة من شر ما ابْثَلِي به بنو آدم، شَنْشَنَة نعرفها من أمرهم. ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فَنَسِي<sup>(١)</sup>: [الطويل]

رعى الله إخوانَ الخيانة إنهم      كَفَوْنَا مَوُونَاتِ الْبَقَاءِ<sup>(٢)</sup> على العهدِ  
فلو<sup>(٣)</sup> قد وَفَوْا كُتًّا<sup>(٤)</sup> أسارى حُقُوقَهُمْ      نراوح ما<sup>(٥)</sup> بين التَّسَيِّئَةِ والنقدِ

وقال يُدَاعِبُنِي، وعلى سبيل الكناية يخاطبني: ولقد لقيت رجلاً ببلاد الهند يعرف بأبي البركات ابن الحاج، وكان بَرْد في بستان كان له، فقلت أهجوه عام أربعة وأربعين وسبعمائة: [الكامل]

قالوا أبو البركات جَمَّ<sup>(٦)</sup> ماؤه      فغدا أبو البركات لا البركات<sup>(٧)</sup>  
قُلْنَا لَأَنْ يُكْنَى بموجوداته      أولى مِنْ أَنْ يَكْنَى بمغْدُومَاتِ

ومما نظمته عام خمسة وأربعين وسبعمائة<sup>(٨)</sup>: [السريع]

قد كنتُ معذوراً بعلمي وما      أبْثُ من وعظي بين البَشَرِ<sup>(٩)</sup>  
من حيث قد أَمْلُتُ إِصْلَاحَهُمْ      بالوعظ والعلم فخانَ النَّطَرُ  
فلم أجد أَوْعَظَ للناس من      أصواتِ وُعَاظِ جلود البقرِ

ومما نظمته بمرسى تلهي، من بلد هُنَيْن<sup>(١٠)</sup>، عام ثلاثة وخمسين، وقد أصابني هَوَسٌ في البحر وخاطبت به بعض الأصحاب: [الكامل]

رأسي به هَوَسٌ جديد لا الذي      تَذْرِيهِ من هَوَسٍ قديم فيه  
قد حلَّ ما أبديه من هذا كما      قد حلَّ من ذاك الذي أخفيه

(١) البيتان في تاريخ قضاة الأندلس (ص ٢٠٥) ونفع الطيب (ج ٨ ص ٢٦).

(٢) في الأصل: «البقا» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصدرين السابقين.

(٣) في تاريخ قضاة الأندلس: «ولو قَرَّبُوا كُتًّا...».

(٤) في النسخ: «كانوا».

(٥) كلمة «ما» ساقطة في الأصل، وهكذا ينكسر الوزن، وقد أضفناها من المصدرين السابقين.

(٦) جَمَّ ماؤه: كثر واجتمع. محيط المحيط (ج ١).

(٧) في الأصل: «لا أبا البركات» وهكذا ينكسر الوزن.

(٨) الأبيات في الكتيبة الكامنة (ص ١٣٣ - ١٣٤).

(٩) في الكتيبة: «... مغروراً بوعظي وما... علمي بين...».

(١٠) هونين: بلد في جبال عاملة في جنوب لبنان. معجم البلدان (ج ٥ ص ٤٢٠).

ومن الملح قوله: قال: وبث بحمام الخندق من داخل ألمرية ليلة الجمعة الثامن من شهر محرم عام اثنين وثلاثين منفردا، فطفيء المصباح، وبقيت مفكرا، فخطر ببالي ما يقول الناس من تخيل الجن في الأرحاء والحمامات، وعدم إقدام كافة الناس إلا ما شذ عند دخولها منفردين بالليل، لا سيما في الظلام، واستشعرت قوة في نفسي عند ذلك، أعراض وأوهام، فقلت مرتجلا، رافعا بذلك صوتي: [الكامل]

زعم الذين عقولهم قَدَرُها      إن عُرِضْتُ للبيع غير ثمين  
أن الرُّحَا معمورة بالجن والـ      حمّام عندهم كذا بيقين  
إن كان ما قالوه حقّا فاحضروا      للحرب هذا اليوم من صُفّين  
فلئن حضرتم فاعلموا بحقيقة      بأنني مُصارع قيس المجنون

قال: ودخلت رياضًا يومًا، فوجدت كساء منشورًا للشمس لم أعرفه من حوائجي، ولا من حوائج حارسة البستان، فسألته فقالت: هو لجارتي، فقلت: [الكامل]

مَنْ مُنْصَفِي من جارتي جارت على      مالي كأني كنتُ من أعدائها  
عمدتُ إلى الشمس التي انتشرت على      أرضي وأمت فيه بثس كسائها  
لولا غَيُومٌ يومَ تَنَبَّس الكسا      سرّت لحجب الشُخب جلّ ضيائها  
لقضيتُ منهم الخسار لأنني      أصبختُ مُزوّراً على بُخلائها

قلت: وصرت إلى مَعْنَى بِحَمّة بجانة<sup>(١)</sup>، وسار معي كلبٌ كان يحرس رياضي اسمه قَطْمِير، وهو، فيما يُذكر، كلب أهل الكهف، في بعض الأقوال، فتبعني من ألمرية إلى الحمّة، ثم من الحمّة إلى ألمرية، فقلت: [المقارب]

رحلتُ وقطميرُ كلبِي رفيقي      يونس قلبي بطول الطريقِ  
فلَمّا أَنُخْتُ أناخَ حدائي      يلاحظني لحظَ خلّ شفيقِ  
ويرعى أذمّة رفيقي كما      يتغنّى الصديقُ الصدوقِ  
على حين قومي بني آدم      بلؤمهم لم يوفّوا حقوقي  
ولا فرق بين الأبعاد منهم      وبين أخ مُسْتَحَب شفيقِ  
أو ابن متى تلقاه تَلَقَّه      هويّ اشتياق بقلب خَفُوقِ

(١) بجانة: بالإسبانية Pechina، وهي مدينة بالأندلس، وحمّة بجانة عجيبة الشأن، تقع في جبل شامخ يبعد عن بجانة ثلاثة أميال. الروض المعطار (ص ٧٩).

فما منهم من وليٍّ حميم      ولا ذي إخاءٍ صحيح حقيق  
 وناهيك ممن يُفضّل كلبًا      عليهم فيا ويلهم من رفيق  
 ألا من يرقّ لشيخ غريب      أبي البركات الفتى البلقيق  
 وقال: ومما نظمته بتاريخ لا أذكره هذين البيتين<sup>(١)</sup>: [الطويل]

وإني لخير<sup>(٢)</sup> من زماني وأهله      على أنني للشّرّ أوّل سائق<sup>(٣)</sup>  
 لحى الله دهرًا قد تقدّمتُ أهله      فتلك لعمرُ الله إحدى البوائق

ومن النزعات الشاذة الأغراض: [البسيط]

لا بارك الله في الزهاد إنهم      لم يتركوا عرّض الدنيا لفضلهم  
 بل أثقلتهم تكاليف الحياة فلم      يُصايروها فملّوا ثقل حملهم  
 وعظّم الناس منهم تركها فغدوا      من غبطة الثّرك في حرص لأجلهم  
 نعم أسلم أن القوم إذ زهدوا      زادا وأعلى الناس طرًا فضل تركهم  
 من حيث قد أحرّزوا التّرجيع دونهم      لا شيء أبين من ترجيح فضلهم  
 فالمالُ والعجود والراحات غاية ما      يحكي لنا الزهد في ذاعن أجّلهم  
 والزاهدون براحت القلوب مع الـ      أبدان سُروا وعزّوا بعد ذلّهم  
 فكل ما فرّقوا قد حصّلوا غرضًا      منه وزادوا ثناء الناس كلّهم

قال: ومما نظمته عام أربعين في ذم الخمر من جهة الدنيا، لا من جهة الدين،  
 إذ ليس بغريب: [الطويل]

لقد ذمّ بعض الخمر قومًا لأنها      تُكرّ على دين الفتى بفساد  
 وقد سلّموا قول الذي قال إنها      تحلّ من الدنيا بأعظم ناد  
 وتذهب بالمال العظيم فلن ترى      لمُذمّنها من طارفٍ وتلاد  
 فيُمنسي كريمًا سيّدًا ثم يغتدي      سفيهاً حليف الغيّ بعد رشاد  
 وقالوا: تسلّى وهو عارية لها      وإلا فلم يأتوا لذاك بشاد  
 وصِل<sup>(٤)</sup> ونورٌ وحسناء طفلة      ومَرأى به للطّريف سير جواد

(١) البيتان في تاريخ قضاة الأندلس (ص ٢٠٦).

(٢) في الأصل: «وإين الخير» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من تاريخ قضاة الأندلس.

(٣) في الأصل: «سابق»: والتصويب من تاريخ قضاة الأندلس.

(٤) أصل القول: «وصلة» وهكذا ينكسر الوزن.

وهَلَا<sup>(١)</sup> يُدَاوَى من مرارتها التي  
ولو أَشْرَب الإنسان مَهْلًا بهذه  
ومن حُسْن حال الشَّارِبِينَ يُقَيُّوْ  
ومن حُسْن ذا المحروم أَنَّ مُدَامَهُ  
فيختلف التَّدْمَان طَرًّا لروحه  
ومن حُسْنه بين الورى ضربٌ ظهره  
مجانينٌ في الأوهام قد ضلَّ سعيهم  
أواخرها مقرونةٌ بِمِهَاد؟  
لأصبح مسرورًا بِأَطْيَب زاد  
نها بالرغم من برقي وِسَاد<sup>(٢)</sup>  
إذا غَلَبَتْ تكسوه ثوبٌ رُقَاد  
ويحدوهم نحو المروءة حادي  
فِيُمْسِي بلا حرب رهين جِلَاد  
يخففون بيعًا بحسن عَوَاد

ومن نظمه في الإنحاء على نفسه، واستبعاد وجوه المطالب في جنسه، مِمَّا  
نظَّمته يوم عرفة عام خمسين<sup>(٣)</sup> وأنا مُنْزَوٍ في غَارٍ ببعض جبال ألمرية<sup>(٤)</sup>:  
[الخفيف]

زعموا أَنَّ في الجبال رجالًا<sup>(٥)</sup>  
وَادَّعُوا أَنَّ كُلَّ مَنْ سَاخَ فِيهَا  
فاخترقنا تلك الجبال مرارًا  
ما رأينا فيها سويًّا<sup>(٦)</sup> الأفاعي  
وسباعًا يجرون<sup>(٧)</sup> بالليل عَذْوًا  
وَلَوْ أَنَّا<sup>(٨)</sup> لَدَى الْعُدُوَّة الْأَخْـ  
وإذا أَظْلَم الدُّجَى جاء إبليس  
صالحينا<sup>(٩)</sup> قالوا من الأبدالِ  
فَسَيَلْقَاهُم على كُلِّ حالٍ  
بِنِعَالٍ طَوْرًا ودون نعال  
وَشَبَا<sup>(١٠)</sup> عقربٍ كمثَل النبال  
لا تسلني عنهم بتلك الليالي<sup>(١١)</sup>  
رى رأينا نواجذَ الرُّبَالِ<sup>(١٢)</sup>  
س إلينا يزورُ طَيْفَ الخيال<sup>(١٣)</sup>

(١) أصل القول: «وهل» وهكذا ينكسر الوزن.

(٢) هكذا ورد عجز هذا البيت، وهو منكسر الوزن.

(٣) يعني عام خمسين وسبعمئة كما في نفح الطيب (ج ٨ ص ١٨).

(٤) القصيدة في نفح الطيب (ج ٨ ص ١٨).

(٥) في الأصل: «قومًا» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.

(٦) في الأصل والنفح: «صالحين» وهكذا ينكسر الوزن.

(٧) في النفح: «خلاف».

(٨) شبا العقرب: إبرتها التي تلدغ بها، واحدها شبة. محيط المحيط (شبا).

(٩) في الأصل: «يخترن» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.

(١٠) في الأصل: «الفيال» والتصويب من النفح.

(١١) في الأصل: «ولو كذا» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.

(١٢) الرُّبَال: الأسد، ونواجهه: أنيابه، واحدها ناجد. محيط المحيط (رأبل) و(نجد).

(١٣) في النفح: «خيال».

هو كان الأنيسَ فيها ولولا ه أصيبت عقولنا بالخبال<sup>(١)</sup>  
 خلّ عنك المحالَ يا من تَعَتَّى ليس يلقى<sup>(٢)</sup> الرّجالَ غيرُ الرجال  
 قال: ومن المنازع الغريبة ذمّ الأصحاب ومدحُ الأعداء، فمن ذلك قولي:  
 [المقارب]

جزى الله بالخير أعداءنا فموردهم أنسى المصدرِ  
 هم حَمَلونا على العُرف كزها وهم صَرَفونا عن المُنكر  
 وهم أفعَدونا بمجلس حُكم وهم بَوَّؤونا ذرى المُنبر  
 وهم صيَّرونا أئمة علم ودين وحسبُك من مَفخَر  
 عدوّي بأول فدي مائهم وإن جئتُ بالإثم لم يغدر  
 وأنت ترى تمحيص من يغد ل بين المُسيء وبين البري<sup>(٣)</sup>  
 ولا زوّد الله أصحابنا بزد تَقِيّ ولا خيّر  
 هم جرَّؤونا على كل إثم وما كنتُ لولاهم بالمُخبر  
 وعدُّوا مِن أكبار آثامنا فكانوا أضرَّ من الفاتر  
 أعارني القوم ثوب الثقى وإنني مما أعاروني بري  
 إذا خدعوني ولم يَنصَحوا وإنني بالنُصح منهم حري  
 فمن كان يَكْذِب حال الرضى يَضدُّق في غضب يَفْتَرِي  
 بلى سوف تلقى لدى الحاليتين يخكُم النُفْس هوى الفري  
 فياربُّ أبق علينا عقولنا نبيع بها وبها نشتري

قال: وما رأيتُ هذا المعنى قط لأحد، ثم رأيت بعد ذلك لبعضهم ما معناه:  
 [الطويل]

عداتي لهم فضلٌ عليّ ومئة فلا أذهبَ الرحمن عني الأعدا  
 هم بَحَثوا عن زلّتي فاجتنبتها وهم نافسُوني فاكتسبتُ المعالي  
 فوقع حافري على ساق هذا. قال: ومما نظمته، متخيلاً أني سابقٌ معناه:  
 [الوافر]

خَلَسْنَا لَيْلَةً مِنْ كَفِّ دَهْرٍ ضَنِينٍ بِاللَّيَالِي الطَّيِّبَاتِ

(١) الخبال: الجنون. لسان العرب (خبل). (٢) في الأصل: «تلقى» والتصويب من النفع.

(٣) في الأصل: «البر». والبري: أصلها: البريء، وقد حذفت الهمزة للضرورة الشعرية.

سَلَكْنَا لِلْهَوَى وَالْعَقْل فِيهَا      مَسَالِكٌ قَدْ جُلِينَ عَلَى الشَّتَاتِ  
قَضَيْنَا بَعْضَ حَقِّ النَفْسِ فِيهَا      وَحَقُّ اللَّهِ مَرْعِي الثَّبَاتِ  
فَلَمْ نَرِ قَبْلَهُ فِي الدَّهْرِ وَقْتًا      بَدَتْ حَسَنَاتُهُ فِي السَّيِّئَاتِ

ثم رأيت بعد ذلك على هذا: [مخلع البسيط]

لَا وَلِيَالٍ عَلَى الْمُصَلَّى      تَسْرُقُ فِي نُسْكَهَا الذُّنُوبُ  
فَوَقَعْتَ سَاقِي عَلَى حَافِرِ هَذَا الْمَحْرُومِ، إِلَّا أَنِّي جَرَّدْتُ ذَلِكَ فِي الْمَعْنَى،  
وَأَوْضَحْتُهُ، وَجَلَوْتُهُ عَلَى كُرْسِيِّ التَّقْعِيدِ وَالتَّنْجِيدِ، فَلَوْلَا التَّارِيخُ لَعَادَ سَارِقُ الْبَرْقِ.

نثره: وَأَمَّا نَثْرُهُ، فَنَمِطٌ مَرْتَفِعٌ عَنْ مُعْتَادِ عَصْرِهِ، اسْتِنْفَازًا وَبِلَاغَةً، وَاسْتِرْسَالًا  
وَحِلَاوَةً، قَلَمًا يُعَرِّجُ عَلَى السَّخْجِ، أَوْ يَأْمُرُ عَلَى التَّكْلِيفِ، وَهُوَ كَثِيرٌ بِحَيْثُ لَا يَتَّعَيْنُ  
عِيُونُهُ، وَلَكِنْ نُلَمِّعُ مِنْهُ نُبْذَةً، وَنَجْلِبُ مِنْهُ يَسِيرًا. كَتَبَ إِلَيَّ عِنْدَ إِيَابِي مِنَ الرُّسَالَةِ إِلَى  
مَلِكِ الْمَغْرِبِ، مِمَثَّلًا بِيَتَيْنِ لِمَنْ قَبْلَهُ، صَدَّرَ بِهِمَا<sup>(١)</sup>: [السريع]

أَيْتَهَا<sup>(٢)</sup> النَفْسُ إِلَيْهِ أَذْهَبِي      فَحُبُّهُ الْمَشْهُورُ مِنْ مَذْهَبِي  
أَيَّاسُنِي<sup>(٣)</sup> التَّوْبَةُ مِنْ حُبِّهِ      طُلُوعُهُ شَمْسًا مِنَ الْمَغْرِبِ

بَلْ مَحَلُّكَ أُمْتَلُ مِنَ التَّمَثِيلِ بِالشَّمْسِ، فَلَوْ كَانَ طُلُوعُكَ عَلَى هَذِهِ الْأَقْطَارِ  
شَمْسًا، لِأَصْبَحَ جُلُّهَا لَكَ عُبَادًا. وَلَوْ كَانَ نَزْوَلُكَ مَطَرًا لَتَكَيَّفَتْ الصُّخُورُ ثُرَابًا دِيمًا.  
وَلَوْلَا مَعْرِفَتُنَا مَغْشَرِ إِخْوَانِ الصَّفَا، بِإِقْرَارِ أَنْفُسِنَا، لَحَكَمْنَا بِأَنْ قُلُوبَنَا تَمَانُّمْ لِأَصْدِقَائِنَا،  
وَلَكِنْ سَبَقَتْ عَيُونُ السَّعَادَةِ بِالْكَلَّاتِ، فَلَوْ تُصَادَفُ بِالرَّضَى مُحَلًّا؛ لِأَنَّ تَحْصِيلَ  
الْحَاصِلِ مُحَالٌ، لَا زَلَّتْ مَحْرُوسًا، بَعَيْنُ الَّذِي لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ مَكْنُوفَةٌ بِبَرَكَةِ  
الَّذِي يَرُومُهُ رَائِمٌ، وَالسَّلَامُ.

وَكَتَبَ إِلَيَّ عِنْدَمَا تَقَلَّدْتُ مِنْ رِئَاسَةِ الْإِنْشَاءِ مَا تَقَلَّدْتُ: تَخْصُّمُكَ يَا مُحَلُّ الْإِبْنِ  
الْأَرْضَى وَلَادَةً، وَالْأَخَ الصَّادِقَ إِخْلَاصًا وَوُدًّا، خَصُّمُكَ اللَّهُ مِنَ السَّعَادَةِ بِأَعْلَاهَا مَرْقَى،  
وَأَفْضَلُهَا عُقْبَى، وَأَحْمَدُهَا غِنَى، وَأَكْرَمُهَا مَسْعَى، تَحِيَّةُ اللَّهْفَانِ إِلَى أَيَّامِ لِقَائِكَ،  
الْمُسْلَى عَنْهَا بِتَأْمِيلِ الْعُودِ إِلَيْهَا، الْمُزْجَى أَوْقَاتَهُ بِتَرْدَادِ الْفِكْرِ فِيهَا، مُحَمَّدُ بْنُ الْحَاجِّ،  
أَبْقَاهُ اللَّهُ، عَنْ شَوْقٍ، وَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، لَمْ أَجِدْ قَطُّ مِثْلَهُ إِلَى وَلِيِّ حَمِيمٍ. وَاللَّهُ  
عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ، مَعْرِفًا أَنَّنِي بِعِلَاقِمِهِ، وَتُضْلِيلِنِي عَنْ كُسْرِهِ مَجَامِعُهُ، لَمَّا اعْتَنَى بِهِ

(١) البيتان لابن خروف الشاعر، وقيل لغيره، وهما في نفع الطيب (ج ٨ ص ٢٦).

(٢) في الأصل: «يا أيها» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفع.

(٣) في الأصل: «أياسي» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفع.



من توفلكم بالرُتبة التي ما زال أحبّاؤكم بها مَمطولي برّه، على أنك لم تزد بذلك رُتبة على ما كنت باعتبار الأهلية، والمكانة العلية، إلا عند الأطفال والأغفال، والمُحلّقين من النساء والرجال، لكن أفرعتنا هذه المخاطبة المحظية في قالب الجمهور، ولم نسر فيها، على الأصح، لكن على الجمهور، ولو كانت مَصَارِف الوجود بيدي، لوافقتك من الوجود منازلُ أسمائه منازل، وأوطأتك أفلاكه مَرَاكِب، وأوردتك كوثره مَشْرِبًا، وأحللتك أرفعه مَغْفِلًا، وأقْبَسَتْكَ بدره مصباحًا، وأهدتك أسرارهِ تَحْفًا. وقد تبلغ المقاصدُ مبالغ لا تنتهي أقاصيها الأعمال، فنحن وما نُضمّره لتلك الجملة الجليلة الفاضلة، مما الله رقيبٌ عليه، ومحيطٌ بدقائقه. ولو كانت لهذا العبد الغافل، المأسور في قيد نفسه، المحزون على انتهاب الأيام، رأس عمره في غير شيء، دعوة يساعدها الوجودُ حتى يغلب على ظنه أن العليم بذات الصدور، ولأها من قبوله بارقةً لخصّك بها، والله شهيد على ما تكئه الأفئدة، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

والفضلُ جَمٌّ، والمحاسنُ عديدة، فلنقصّر اضطرارًا، ولنكفّ امتثالًا للرسم، وانقيادًا، أمتّع الله به.

### محمد بن عبد الله بن منظور القيسي (١)

من أهل مالقة، يكنى أبا بكر.

**أولّيته:** أصله (٢) من إشبيلية، من البيت المشهور بالتعيين والتقدم، والأصالة، تشهد بذلك جملة أوضاع، منها «الرّوض المحظور» (٣) في أوصاف بني منظور، وغيره.

**حاله:** من كتاب «عائد الصلة». كان (٤) جَمّ التواضع والتخلق، كثير البرّ، مفرط الهشّة، مبذول (٥) البشر، عظيم المشاركة، سريع اللسان إلى الثناء، مُسترسلاً في باب الإطراء، ذرباً على الحكم، كثير الحُكّة، قديم العالة، بصيراً بالشروط، ولّي القضاء بجهات كثيرة، وتقدم بمالقة، بلده فشكرت (٦) سيرته، وحُمدت مدارته. وكان سريع

(١) ترجمة ابن منظور في الكتبية الكامنة (ص ١١٩) والدرر الكامنة (ج ٤ ص ٣٧) وتاريخ قضاة الأندلس (ص ١٩٢). وجاء في المصدر الأخير أنه «أبو بكر محمد بن عبيد الله بن محمد بن يوسف بن يحيى بن عبيد الله بن منظور...».

(٢) قارن بتاريخ قضاة الأندلس (ص ١٩٢). (٣) في تاريخ قضاة الأندلس: «المنظور».

(٤) النص في تاريخ قضاة الأندلس (ص ١٩٢).

(٥) في تاريخ قضاة الأندلس: «مبدول» بالبدال المهملة.

(٦) في المصدر نفسه: «فحمدت سيرته، وشكرت طريقته...».

العبرة، كثير الحُشْيَة، حسن الاعتقاد، معروف الإيثار والصدقة، شائع الإقراء لمن ألمَّ بصُفْعه، واجتاز على محلّ ولايته، جاريًا على سُنن سلفه، ينظم ويثر، فلا يقصر.

**مشيخته:** قرأ<sup>(١)</sup> على الأستاذ أبي محمد بن أبي السّداد الباهلي، ولازمه وانتفع به، وسمع على غيره من الأعلام، كالخطيب الولي أبي عبد الله الطنجالي، والعدّل الراوية المُسنّ أبي عبد الله بن الأديب، والمسّن أبي الحكم مالك بن المُرخّل، وعلى الشيخ الصوفي أبي عبد الله محمد بن أحمد الأقشري الفاسي، ولبس عنه خِرقة التّصوف، وعلى الخطيب أبي عبد الله بن رُشيد، وعن الشيخ القاضي أبي المجد بن الأحوص، وعلى ابن مجاهد الرُندي، المعروف بالسّمّار، والخطيب أبي العباس بن خميس بالجزيرة الخضراء، وعلى الخطيب الزاهد أبي عبد الله السّلال. وكتب إليه بالإجازة، أبو عبد الله بن الزبير، والفقير أبو الحسن بن عقيل الرُندي، والوزير المُعمر أبو عمر<sup>(٢)</sup> الطنجي، وأبو الحكم بن منظور، ابن عم أبيه، والأستاذ أبو عبد الله بن الكماد. نقلت ذلك من خطه.

**توليفه:** أخبرني<sup>(٣)</sup> أنه ألّف «نفحات المُسوك»<sup>(٤)</sup>، و«عيون الثّبر المُسبوك» في أشعار الخلفاء والوزراء والملوك. وكتاب «السُّحب»<sup>(٥)</sup> الواكفة والظلال الوارفة، في الرّد على ما تضمّنه المضمّنون<sup>(٦)</sup> به على غير أهل من اعتقاد الفلاسفة. وكتاب الصّيب الهتّان، الواكف بغايات الإحسان، المشتمل على أدعية مستخرجة من الأحاديث الصحيحة النبوية وسُور القرآن. وكتاب «البرهان والدليل في خواص سور التّنزيل، وما في قراءتها في النوم من بديع التّأويل»<sup>(٧)</sup>. وكتاب يشتمل على أربعين حديثًا في الرقائق، موصولة الأسانيد. وكتاب «تُحفة الأبرار في مسألة النبوة والرسالة، وما اشتملت عليه من الأسرار». وكتاب «الفعل المبرور، والسّعي المشكور، فيما وصل إليه، أو تحصل لديه من نوازل القاضي أبي عمر بن منظور».

**شعره:** ومن شعره قوله<sup>(٨)</sup>: [البسيط]

ما لِلْعِطاسِ وَلَا لِلْفَالِ مِنْ أَثَرٍ      فَثِقْ فِدَيْتُكَ<sup>(٩)</sup> بِالرَّحْمَنِ وَاصْطَبِرِ

(١) النص أيضًا في تاريخ قضاة الأندلس (ص ١٩٢)، ولكن باختصار.

(٢) في المصدر نفسه: «أبو عمرو». (٣) قارن بتاريخ قضاة الأندلس (ص ١٩٢).

(٤) في تاريخ قضاة الأندلس: «النسوك». (٥) في المصدر نفسه: «السجم».

(٦) في المصدر نفسه: «المظنون به من اعتقادات الفلاسفة».

(٧) وقوله: «وما في قراءتها... التّأويل» ساقط في تاريخ قضاة الأندلس.

(٨) البيتان في الكتيبة الكامنة (ص ١١٩) وتاريخ قضاة الأندلس (ص ١٩٢).

(٩) في تاريخ قضاة الأندلس: «بدينك».

وَسَلَّمَ الْأَمْرَ فَاَلْأَحْكَامُ مَاضِيَةٌ تَجْرِي عَلَى السَّنَنِ<sup>(١)</sup> المربوط بالقدر

### محمد بن علي بن الخضر بن هارون الغساني

من أهل مالقة، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن عسكر<sup>(٢)</sup>.

حاله: من كتاب «الذيل والتكملة»<sup>(٣)</sup>: كان مُقَرَّبًا<sup>(٤)</sup> مُجَوِّدًا، نحويًا<sup>(٥)</sup>، متوقِّد الذهن، متفنتًا في جملة معارف، ذا حظٍّ صالح من رواية الحديث، تاريخيًا، حافظًا، فهميًا<sup>(٦)</sup>؛ مشاورًا، دؤوبًا<sup>(٧)</sup> في الفتوى، متينًا في<sup>(٨)</sup> الدين، تامَّ المروءة، سنيًا فاضلاً، مُعَظِّمًا عند الخاصة والعامة، حسن الخلق، جميل العشرة، رحيب<sup>(٩)</sup> الصدر، مسارعًا إلى قضاء الحوائج<sup>(١٠)</sup>، شديد الإجمال<sup>(١١)</sup>، محسنًا إلى مَنْ أساء إليه، نفاعًا بجاهه، سَمَحًا بذات يده، متقدمًا في عقد الوثائق، بصيرًا بمعانيها، سريع البديهة<sup>(١٢)</sup> في النظم والنثر، مع البلاغة والإحسان في الفئين.

وُلِّي قضاء مالقة نائبًا عن القاضي<sup>(١٣)</sup> أبي عبد الله بن الحسن مدة، ثم وُلِّي<sup>(١٤)</sup> مستبدًا بتقديم الأمير أبي عبد الله بن نصر<sup>(١٥)</sup>، يوم السبت لليلتين بقيتا من رمضان عام<sup>(١٦)</sup> خمسة وثلاثين<sup>(١٧)</sup>. وأشفق<sup>(١٨)</sup> من ذلك وامتنع منه وخاطبه مُسْتَعْفِيًا، وذكر أنه لا يصلح للقيام بما قلده من تلك الخُطَّة تورُّعًا منه، فلم يُسْعِفْه.

(١) في الأصل: «السَّن» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصدرين.

(٢) ترجمة ابن عسكر في التكملة (ج ٢ ص ١٣٩) والذيل والتكملة (السفر السادس ص ٤٤٩)

وبغية الوعاة (ص ٧٦) وتاريخ قضاة الأندلس (ص ١٥٨) واختصار البَدر المعلى (ص ١٣٠)

والمغرب (ج ١ ص ٤٣١) ونفع الطيب (ج ٣ ص ١١١) و(ج ٤ ص ٤٧٨) و(ج ٦ ص ٨٤).

(٣) الذيل والتكملة (السفر السادس ص ٤٥٠).

(٤) في الأصل: «مُغَرَّبًا» والتصويب من الذيل والتكملة.

(٥) في الذيل: «نحويًا ماهرًا». (٦) في الذيل: «فقيها».

(٧) في الذيل: «دربًا بالفتوى». (٨) في الذيل: «متين الدين».

(٩) في الذيل: «رحب». (١٠) في الذيل: «حوائج الناس».

(١١) في الذيل: «الاحتمال».

(١٢) في الذيل: «سريع القلم والبديهة في إغشاء نظم الكلام ونثره».

(١٣) كلمة «القاضي» ساقطة في الذيل. (١٤) في الذيل: «وليه».

(١٥) هو الغالب بالله أبو عبد الله محمد بن يوسف بن نصر، أول سلاطين بني نصر بغرناطة، وقد

حكم من سنة ٦٣٥ هـ إلى سنة ٦٧١ هـ. اللوحة البدرية (ص ٤٢).

(١٦) كلمة «عام» ساقطة في الذيل.

(١٧) في الأصل: «خمس وثلاثين» وهو خطأ نحوي. وفي الذيل: «خمس وثلاثين وستمائة».

(١٨) في الذيل: «فأشفق».

فتقلدها، وسار فيها أحسن سيرة، وأظهر الحقوق التي كان الباطل قد غمرها، ونفذ الأحكام.

وكان ماضي العزيمة، مقدّامًا، مهيبًا، جَزَلًا في قضائه، لا تأخذه في الله لومة لائم، واستمرّ على ذلك بقية عمره.

مشيخته: روى<sup>(١)</sup> عن أبي إسحق الزوالى، وأبي بكر بن<sup>(٢)</sup> عتيق بن منزل<sup>(٣)</sup>، وأبي جعفر الجيان<sup>(٤)</sup>، وأبي حسن الشقّوري، وأبي الحجاج بن الشيخ، وأبي الخطاب بن واجب، وأبي زكريا الأضبهاني مُقيم غرناطة.

مَنْ روى عنه: روى<sup>(٥)</sup> عنه أبو بكر بن خميس ابن أخته، وأبو العون<sup>(٦)</sup>، وأبو عبد الله بن بكر الإلبيري<sup>(٧)</sup>. وحَدَّث عنه بالإجازة، أبو عبد الله الأتبار<sup>(٨)</sup>، وأبو القاسم بن عُمران، وكتب بالإجازة للعراقيين من<sup>(٩)</sup> أهل بغداد الذين استدعوها من أهل الأندلس، حسبما تقدم<sup>(١٠)</sup> في رسم أبي بكر بن هشام، وضمنها نظمًا ونثرًا اعترف له بالإجادة فيهما.

تصانيفه: صَنَّف<sup>(١١)</sup> كتبًا كثيرة، أجاد فيها وأفاد، منها «المَشْرَعُ الرَّوي في الزيادة على المَرْوِي»<sup>(١٢)</sup>. ومنها «أربعون حديثًا» التزم فيها موافقة اسم شيخه، اسم الصابي<sup>(١٣)</sup>، وما أراه سبق إلى ذلك، وهو شاهدٌ بكثرة شيوخه، وسعة روايته. ومنها «نُزْهة الناظر في مناقب عمّار بن ياسر». ومنها «الخبر»<sup>(١٤)</sup> المختصر، في السُّلُوى<sup>(١٥)</sup> عن ذهاب البَصَر، ألّفه لأبي محمد بن أبي الأحوص<sup>(١٦)</sup> الضرير الواعظ. ومنها

(١) النص في الذيل: (السفر السادس ص ٤٤٩).

(٢) كلمة «بن» غير واردة في الذيل. (٣) في الذيل: «قتترال».

(٤) في الذيل: «الجيار».

(٥) ما يزال النقل عن الذيل والتكملة (السفر السادس ص ٤٤٩).

(٦) في الذيل: «وابن أبي العيون».

(٧) في الذيل: «وأبو عبد الله بن أبي بكر البُري».

(٨) في الذيل: «ابن الأتبار». (٩) كلمة «من» غير واردة في الذيل.

(١٠) في الذيل: «تقدم ذكره».

(١١) ما يزال النقل مستمرًا عن الذيل (ج ٦ ص ٤٥٠).

(١٢) في الذيل: «على غريبي الهروي». (١٣) في الذيل: «الصحابي».

(١٤) في الذيل: «الجزء».

(١٥) في الذيل والتكملة وتاريخ قضاة الأندلس: «السُّلُوى».

(١٦) في الذيل: «خُرص».

«رسالة في ادخار الصبر، وافتخار القصر والفقر». ومنها «الإكمال والإتمام في صلة الإعلام بمجالس»<sup>(١)</sup> الإعلام من أهل مالقة الكرام. وله اسم آخر، وهو «مطلع الأنوار ونزهة الأبصار»<sup>(٢)</sup>، فيما احتوت عليه مالقة من الرؤساء والأعلام والأخيار، وتقيد من المناقب والآثار». واختارته المنيّة عن إتمامه فتولّى إتمامه ابن أخته أبو بكر محمد بن خميس المذكور، وقد نقلت منه في هذا الكتاب.

شعره: ومن شعره، وقد نُعيت إليه نفسه قبل أن تغرب من سماء معارفه شمس<sup>(٣)</sup>: [الطويل]

ولما انقضى<sup>(٤)</sup> إحدى وخمسون حجةً      كأتى منها بعد كَرْب<sup>(٥)</sup> أخلُمُ  
ترقيت أعلاها لأنظر فوقها      مدى<sup>(٦)</sup> الحُتف مَنّي علني<sup>(٧)</sup> منه<sup>(٨)</sup> أسلُمُ  
إذا هو قد أدنث إليه كأنما      ترقيت فيه نخوة وهو سُلُمُ<sup>(٩)</sup>

وقال في أحذب: [السريع]

وأحذب تحسب في ظهره      جاء<sup>(١٠)</sup> به في نَهَرٍ عائمه  
مُئَلَّت الخِلقة لكنه      في ظهره زاوية قائمه

ومن أمثال نظمه قوله، وقد استُدعيت منه إجازة<sup>(١١)</sup>: [الطويل]

أجبتك لا أني<sup>(١٢)</sup> لِمَا رُمْتُهُ أَهْلٌ      ولكنّ ما أجبت<sup>(١٣)</sup> مُحْتَمَلٌ سَهْلٌ  
وما العلم إلّا البحر طاب مذاقه      وما لي علّ في الورود ولا نَهْلٌ<sup>(١٤)</sup>

(١) في الذيل: «بمحاسن». (٢) في الذيل: «ونزهة البصائر والأبصار».

(٣) الأبيات في تاريخ قضاة الأندلس (ص ١٥٨).

(٤) في تاريخ قضاة الأندلس: «ولمّا انقضت».

(٥) في المصدر نفسه: «... منها ما تذكّرت أحلُمُ».

(٦) في تاريخ قضاة الأندلس: «إلى».

(٧) في الأصل: «عليّ» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من تاريخ قضاة الأندلس.

(٨) في تاريخ: «منها».

(٩) رواية البيت في تاريخ قضاة الأندلس هي:

إذا هي قد أدنثه مني كأنما      ترقيت فيها نحوه وهو سُلُمُ

(١٠) في الأصل: «جابه» وهكذا ينكسر الوزن.

(١١) الأبيات في الذيل والتكملة (ج ٦ ص ٤٥١).

(١٢) في الأصل: «لأنّي» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الذيل.

(١٣) في الذيل: «أحببت».

(١٤) رواية البيت في الأصل مضطرب ومنكسر الوزن هكذا:

فكيف<sup>(١)</sup> أراني أهل ذاك وقد أتى علي المميتان<sup>(٢)</sup> البطالة والجهل  
وأسال<sup>(٣)</sup> ربي العفو عني فإنه لما يرتجيه العبد من فضله<sup>(٤)</sup> أهل  
مولده: تخمينًا في نحو أربع وثمانين وخمسمائة.

وفاته: ظهر يوم الأربعاء لأربع خلون من جمادى الآخرة، عام ستة وثلاثين  
وستمئة<sup>(٥)</sup>.

محمد بن يحيى بن محمد بن يحيى بن أحمد بن محمد  
ابن أبي بكر بن سعد الأشعري المالقي<sup>(٦)</sup>

يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن بكر، من ذرية<sup>(٧)</sup> بلج بن يحيى بن خالد بن  
عبد الرحمن بن يزيد<sup>(٨)</sup> بن أبي بردة. واسمه عامر بن أبي عامر بن أبي موسى.  
واسمه عبد الله بن قيس، صاحب رسول الله ﷺ. ذكره ابن حزم<sup>(٩)</sup> في جملة من  
دخل الأندلس من العرب<sup>(١٠)</sup>.

حاله: من «عائد الصلة»: كان<sup>(١١)</sup> من صدور العلماء، وأعلام الفضلاء، سذاجة  
ونزاهة ومعرفة وتفنتًا. فسبح الدرس، أصيل النظر، واضح المذهب، مؤثرًا

= وما العلم إلا بحر طال مدانه وما لي محم في الورود ولا نهل  
والتصويب من الذيل والتكملة.

- (١) في الذيل: «وكيف».
- (٢) في الأصل: «المحتيان» والتصويب من الذيل.
- (٣) في الذيل: «فنسال».
- (٤) في الأصل: «فضل» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الذيل.
- (٥) كذا في التكملة (ج ٢ ص ١٤٠) والذيل والتكملة (ج ٦ ص ٤٥٢) وبغية الوعاة (ص ٧٦)  
وتاريخ قضاة الأندلس (ص ١٥٩). وفي اختصار القدر المعلى: «ومات بمالقة سنة ثمان  
وثلاثين وستمئة».
- (٦) ترجمة محمد بن يحيى الأشعري في تاريخ قضاة الأندلس (ص ١٧٧) واللمحة البدرية (ص  
٩٥، ١٠٤) ونفح الطيب (ج ٧ ص ٣٥٩) ونيل الابتهاج (ص ٢٣٤) والدرر الكامنة (ج ٤ ص  
٢٨٤).

- (٧) في نفح الطيب: «من ذرية أبي موسى الأشعري».
- (٨) في تاريخ قضاة الأندلس (ص ٣٧٨): «زيد».
- (٩) هاء الضمير في كلمة «ذكره» يعود إلى عبد الله بن قيس الأشعري، وقد ذكره ابن حزم في  
جمهرة أنساب العرب (ص ٣٩٧).
- (١٠) في تاريخ قضاة الأندلس: «المغرب».
- (١١) النص في نفح الطيب (ج ٧ ص ٣٥٩ - ٣٦٠).

للإنصاف، عارفاً بالأحكام والقراءات<sup>(١)</sup>، مبرزاً في الحديث تاريخاً وإسناداً وتعديلاً وتجريحاً<sup>(٢)</sup>، حافظاً للأنساب والأسماء والكنى، قائماً على العربية، مشاركاً في الأصول والفروع، واللغة والعروض والفرائض والحساب، مخفوض الجناح، حسن التخلق<sup>(٣)</sup>، عطوفاً على الطلبة، مُحِبّاً في العلم والعلماء، مجللاً لأهله<sup>(٤)</sup>، مطروح<sup>(٥)</sup> التصنع، عديم المُبالاة بالملبس، بادي الظاهر، عزيز النفس، نافذ الحكم، صوّالة، معروف بنُصرة من أَرَزَ إليه. تقدّم للشيخة<sup>(٦)</sup> ببلده مالقة، ناظرًا في أمور العَقْد والحل، ومصالح الكافة. ثم وُلِّي القضاء بها، فأعزَّ الحُطّة، وترك الهوادة وإنفاذ الحق<sup>(٧)</sup> ملازمًا للقراءة والإقراء، محافظًا للأوقات، حريصًا على الإفادة.

ثم وُلِّي القضاء<sup>(٨)</sup> والخُطابة بغرناطة في العشر الأول لمحرم سبعة وثلاثين وسبعمائة، فقام بالوظائف، وصدع<sup>(٩)</sup> بالحق، وجَرَح<sup>(١٠)</sup> الشهود فزَيَّف منهم ما ينيف على السبعين<sup>(١١)</sup> عددًا، واستهدف بذلك إلى مُعاداةٍ ومناضلة خاض ثَبَجها، وصادم تيّارها، غيرَ مبالٍ بالمغنة، ولا حافل بالثبّة، فناله لذلك من المشقة، والكيد العظيم ما نال مثله، حتى كان<sup>(١٢)</sup> يمشي إلى الصلاة ليلاً في مِسْلة، لا يطمئن على حاله. جرت في هذا الباب حكايات إلى أن استمرت الحال على ما أَراده الله، وعزم عليه الأمير في بعض من الحُطّة، ليردّه إلى العدالة، فلم يجد في قناته مَغْمَزًا، ولا في عوده مَغْجَمًا، وتصدّر لبث العلم بالحضرة، يقرئ فنونًا منه جمّة، فنفع وخرّج، ودَرَس العربية والفقه والأصول، وأقرأ القرآن، وعلم الفرائض والحساب، وعقد مجالس الحديث شرحًا وسماعًا، على سبيل من انشراح الصدر، وحُسن التجمل، وخَفَض الجناح<sup>(١٣)</sup>.

(١) في النفع: «والقراءة».

(٢) في النفع: «وجرحا».

(٣) في النفع: «الخلق».

(٤) قوله: «مجللاً لأهله» غير وارد في النفع.

(٥) في النفع: «مطروحاً للتصنع».

(٦) هذه الكلمة غير واردة في النفع.

(٧) في النفع: «وترك الشوائب، وأنفذ الحق».

(٨) في تاريخ قضاة الأندلس (ص ١٧٩): «ثم وُلِّي قضاء الجماعة، فقام بالوظائف...». وفي نفع

الطيب (ج ٨ ص ٣٦٠): «ثم وُلِّي القضاء بغرناطة المحروسة، سنة ٧٣٧».

(٩) صدع بالحق: جهر به. لسان العرب (صدع).

(١٠) في النفع: «وبهرج».

(١١) في تاريخ قضاة الأندلس (ص ١٧٩): «على الثلاثين عددًا». وفي نفع الطيب: «على سبعين،

واستهدف...».

(١٢) في النفع: «حتى كان لا يمشي إلى الصلاة ليلاً، ولا يطمئن...».

(١٣) في النفع: «جناح».

وذكره القاضي المؤرخ أبو الحسن بن الحسن، فقال<sup>(١)</sup>: وأما شيخنا، وقرينا مصاهرة، أبو عبد الله بن أبي بكر، فصاحب عزم ومضاء، وحكم صانع وقضاء. كان له، رحمه الله، مع كل قولة صولة، وعلى كل رابع لا يعرف ذرة، فأحرق قلوب الحسدة والصُّب، وأعزَّ الخطة بما أزال عنها من الشوائب، وذَهَبَ وفَضَّض<sup>(٢)</sup> كواكب الحق بمعارفه، ونَفَذَ في المشكلات، وثَبَّتَ في المذهلات<sup>(٣)</sup>، واحتج وبكَّت، وتفقه ونكَّت.

توقيعه: قال: وحَدَّثنا صاحبنا أبو جعفر الشَّقُورِي قال<sup>(٤)</sup>: كنت قاعدًا في مجلس حُكْمِهِ فَرَفَعَتْ إِلَيْهِ امرأة رُقعة، مضمونها أنها مُحَبَّة في مُطْلَقِهَا، وتبتغي من يَسْتَشْفَع لها في رَدِّهَا، فتناول الرُقعة، ووقع في ظهرها للحين من غير مُهْلَة: الحمد لله، من وقف على ما بالمقلوب<sup>(٥)</sup>، فليصغ لسماعه إصاعة مُغِيث، وليشفع للمرأة عند زوجها، تأسياً بشفاعة رسول الله ﷺ لَبْرَبْرَة في مُغِيث. والله يُسَلِّم لنا العقل والدين، ويسلِّك بنا مسالك المُهْتَدِينَ. والسلام يعتمد على مَنْ وقف على هذه الأحرف من كاتبها، ورحمة الله. قال صاحبنا: فقال لي بعض الأصحاب: هَلَّا كان هو الشفيع لها؟ فقلت: الصحيح أنَّ الحاكم لا ينبغي أن يباشر ذلك بنفسه على النصوص<sup>(٦)</sup>.

شعره: ولم يُسَمِع له شعر إلا بيتين في وصف قوس عربي التَّسَبُّب في شعر من لا شعر له، وهما: [البسيط]

هام الفؤاد بينت<sup>(٧)</sup> النَّبْع والنَّشْم      زوراء<sup>(٨)</sup> تُزْرِي بعطف البان والصَّئِم  
قَوامُ قامتها تمامُ معطفها      من يلق مقتلها تُصميه أو تُصم

مشيخته: قرأ على الأستاذ المُتَفَنِّن الخطيب أبي محمد بن أبي السَّداد الباهلي<sup>(٩)</sup> القرآن العظيم جَمْعًا وإفرادًا، وأخذ عنه العربية والفقه والحديث، ولازمه،

(١) النص في نفع الطيب (ج ٧ ص ٣٦٠). وهو لم يرد حرفيًا في تاريخ قضاة الأندلس، وجاء فيه ما في معناه.

(٢) دَهَبَهَا وفَضَّضَهَا: جعلها ناصعة كالذهب والفضة.

(٣) في النفع: «المعضلات».

(٤) النص في تاريخ قضاة الأندلس (ص ١٨٢) ونفع الطيب (ج ٧ ص ٣٦١) ببعض اختلاف عما هنا.

(٥) في المصدرين السابقين: «القلوب، فَلْيُصِغْ لسماعه». والمراد هنا بالمقلوب: ظهر الرُقعة.

(٦) في النفع: «المنصوص».

(٧) في الأصل: «في بنت»، وهكذا ينكسر الوزن.

(٨) في الأصل: «زوراء» وهكذا ينكسر الوزن.

(٩) هو عبد الواحد بن محمد بن علي بن أبي السَّداد الأموي المالقي، الشهير بالباهلي، وسيترجم =



وتأدب به. وعلى الشيخ الراوية الصالح أبي عبد الله محمد بن عيَّاش الحَزْرَجِي القرطبي، قرأ عليه كثيرًا من كُتُب الحديث، منها كتاب صحيح مُسلم، وسمع عليه جميعه إلّا دولة واحدة. ومن أشياخه القاضي أبو القاسم قاسم بن أحمد بن حسن بن السَّكُوت، والفقيه المُشاور الصُّدر الكبير أبو عبد الله بن ربيع، والخطيب القُدوة الولي أبو عبد الله بن أحمد الطَّنْجَالِي، والشيخ القاضي أبو الحسن ابن الأستاذ العلامة أبي الحجاج بن مصامد، والأستاذ خاتمة المُقرئين أبو جعفر بن الزُّبَيْر، والخطيب المحدث أبو عبد الله بن رُشيد، والخطيب الولي الصالح أبو الحسن<sup>(١)</sup> بن فضيلة، والأستاذ أبو الحسن بن اللَّباد المشرفي، والشيخ الأستاذ أبو عبد الله بن الكماد السُّطِّي اللَّبْلِيسِي. وأجازه من أهل سبته شيخ الشَّرَفَاء أبو علي بن أبي التَّقى طاهر بن ربيع، والعدل الراوية أبو فارس عبد العزيز بن الهواري، وأبو إسحق التلمساني، والحاج العدل الراوية أبو عبد الله بن الحَضَار، والأستاذ المقرئ ابن أبي القاسم بن عبد الرحيم القيسي، والأستاذ أبو بكر بن عُبيدة، والشيخ المعمر أبو عبد الله بن أبي القاسم بن عبيد الله الأنصاري. ومن أهل إفريقية الأديب المعمر أبو عبد الله محمد بن هارون، وأبو العباس أحمد بن محمد الأشعري المالقي نزيل تونس، ومحمد بن محمد بن سيّد الناس اليغمُري، وعثمان بن عبد القوي البَلَوِي. ومن أهل مصر النّسابة شرف الدين عبد المؤمن بن خلف الدُمياطي، والمحدث الراوية أبو المعالي أحمد بن إسحق، وجماعة غيرهم من المصريين والشاميين والحجازيين.

مولده: في أواخر ذي حجة من عام أربعة<sup>(٢)</sup> وسبعين وستمائة.

وفاته: فُقِدَ في مصاب<sup>(٣)</sup> المسلمين يوم المناجزة بطريف<sup>(٤)</sup> شهيدًا مُحَرَّضًا، زعموا أن بَغْلَةً كان عليها كَبَتْ به، وأفاق رابط الجأش، مجتمع القوى. وأشار عليه بعض المنهزمين بالركوب فلم يكن عنده قوة عليه. وقال: انصرف، هذا يوم الفرج<sup>(٥)</sup>،

= له ابن الخطيب في الجزء الثالث من الإحاطة.

(١) في نفح الطيب (ج ٧ ص ٣٦١): «أبو الحسين».

(٢) في تاريخ قضاة الأندلس (ص ١٨٤): «ومولده في أواخر شهر ذي الحجة من عام ٦٧٣».

(٣) في تاريخ قضاة الأندلس (ص ١٨٣): «مصاف».

(٤) موقعه طريف: هي الموقعة الشهيرة التي كانت بين الإشبان وبني مرين، وكان مع بني مرين قوات الأندلس بقيادة السلطان أبي الحجاج يوسف بن إسماعيل النصري، سنة ٧٤١ هـ، وكانت الهزيمة فيها للمسلمين. اللوحة البدرية (ص ١٠٥).

(٥) في تاريخ قضاة الأندلس (ص ١٨٤) ونفح الطيب (ج ٧ ص ٣٦٢): «الفرج».

إشارة إلى قوله تعالى في الشهداء: ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾<sup>(١)</sup>، وذلك ضحى يوم الاثنين السابع من جمادى الأولى عام أحد وأربعين وسبعمئة.

محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد  
ابن محمد بن محمد بن علي بن موسى بن إبراهيم بن محمد  
ابن ناصر بن حيّون بن القاسم بن الحسن بن محمد  
ابن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه<sup>(٢)</sup>

حسبما نقل من خطه:

أُولَيْتَهُ: معروفة، كان وليته مثله.

حاله: هذا<sup>(٣)</sup> الفاضل جُملة من جُمَل الكمال، غريب في الوقار والحصافة، وبلوغ المدى، واستولى على الأمم جُلماً وأناة، وبُعْداً عن الريب، وتمسكاً بعُرى النزاهة، واستمسكاً مع الاسترسال، وانقباضاً مع المُداخلة، معتدلاً الطريقة، حسن الإدارة، مالِكاً أزمّة الهوى، شديد الشفقة، كثير المواساة، مَعَارَ حَبْلِ الصبر، جميل العشرة، كثيف سِثَر الحياء، قوي النفس، رابط الجأش، رقيق الحاشية، مُمتع المجالسة، متوقد الذهن، أصيل الإدراك، بارعاً بأعمال المشيخة، إلى جلال المُتَمَتّي، وكرم المُنْصِب ونزاهة النفس، وملاحة الشَّيْبَةِ، وحمل راية البلاغة، والإعلام في ميادين البيان، رُحْلة الوقت في التبريز بعلوم اللسان، حائز الخُصْل<sup>(٤)</sup> والفضل في ميدانها، غريبة<sup>(٥)</sup> غَزيرة الحِفْظ، مُقْنِعة الشَّاهِد<sup>(٦)</sup>، مُسْتَبْحِرَة النظر، أصيلة التوجيه، بريّة عن التَّوَكُّ والغفلة، مرهفةً باللغة والغريب والخبر والتاريخ والبيان، وصناعة البديع، وميزان العَرُوض، وعلم القافية، وتقدُّماً في الفقه، ودرساً له، وبراعة في الأحكام، وإتقان التدريس، والصبر، والدُّؤُوب عليه، بارعُ التصنيف، حاضر الذهن، فصيحُ اللسان، مَفْخَرَة من مفاخر أهل بيته.

(١) سورة آل عمران ٣، الآية ١٧٠.

(٢) ترجمة محمد بن أحمد الحسيني في تاريخ قضاة الأندلس (ص ٢١٠) ونثير فرائد الجمان (ص ٢٣١) وجاء فيه أنه يكنى أبا القاسم، ونفع الطيب (ج ٧ ص ١٨٢) وبغية الوعاة (ص ١٦) والدرر الكامنة (ج ٣ ص ٣٥٢) واللمحة البدرية (ص ١٠٥، ١١٦) وكشف الظنون (ص ١٨٠٧).

(٣) النص في بغية الوعاة (ص ١٦) نقلاً عن الإحاطة، والسيوطي ينقل بتصريف.

(٤) كلمة «الخصل» غير واردة في بغية الوعاة. (٥) في بغية الوعاة: «عربية».

(٦) في بغية الوعاة: «الشماثل».

ولايته: قَدِمَ على الحَضْرَةِ في دولة الخامس من ملوك بني نصر<sup>(١)</sup>، كما استجمع شبابه، يَفْهَقُ عِلْمًا باللسان، ومعرفةً بمواقع البيان، وينطق بالعَذْب الزُّلال من الشعر، فَسَهَّلَ له كَنْفَ البر، ونُظِمَ في قلادة كتاب الإنشاء، وهو إذ ذاك ثَمِينَةُ الحَزْرَات، محكمة الرُّصَف، فشاع فضله، وذاع رجله. ثم تقدم، فنقل من طور الحكم، إلى أن قُلِدَ الكتابة والقضاء والخطابة بالحاضرة، بعد ولاية غيرها التي أعقبها ولاية مالقة في الرابع من شهر ربيع الآخر عام سبعة وثلاثين وسبعمائة. فاضطلع بالأحكام، وطَبَّقَ مِفْصَلَ الفضل، ماضي الصَّريمة، وَجِيَّ الإجهار، نافذ الأمر، عظيم الهيبة، قليل الثَّاقِد، مُطْعَم التوفيق، يَصُدِّعُ في مواقف الخُطْب، بكل بليغ من القول، مما يُرِيْقُ ديباجته، ويشِفُ صِقَاله، وتبرأ من كلال الخُطباء جوانبه وأطرافه. واستعمل في السَّفارة للعدوِّ ناجح المسعى، ميمون الثَّقِيبة، جزيل الحياء والكرامة، إلى أن عُزِلَ عن القضاء في شعبان من عام سبعة وأربعين وسبعمائة، من غير زَلَّةٍ تَخْفُضُ، ولا هِتَّةٍ تُؤَثِّرُ، فتَحِيَّزٌ إلى التَّحْلِيْق لتدريس العلم، وتَفَرُّغٌ لإقراء العربية والفقه، ولم يَنْشُبْ أميرُه المنطوي على الهاجس، المُعْغِي بِمِثْلِه، أن قَدَّمَه قاضيًا بوادي آش، بِنَتْ حضرته، معزَّزةً بسندها الكبير الخُطَّة، فانتقل إليه بجملته. وكانت بينه وبين شيخنا أبي الحسن بن الجِيَّاب، صداقةً صادقة، ومودةً مستحكمة، فجرت بينهما أثناء هذه الثَّقلة، بدائع، منها قوله، يَرْقُبُ<sup>(٢)</sup> خُطَّة القضاء التي اخترعها، ويوليها خطة الملامة<sup>(٣)</sup>: [السريع]

لا مَرْحَبًا بالناشز الفارك	إِنْ جُهِلَتْ رَفْعَةُ مَقْدَارِكْ
لو أَنَّهَا قَدْ أُوتِيَتْ رُشْدَهَا	مَا بَرِحَتْ تَغْشُو إِلَى نَارِكْ
أَفْسَمْتُ بِالثُّورِ الْمُبِينِ الَّذِي	مِنْهُ بَدَتْ مِشْكَاةُ أَنْوَارِكْ
وَمَظْهَرِ الْحُكْمِ الْحَكِيمِ الَّذِي	يَتْلُو عَلَيْهِ <sup>(٤)</sup> طِيبَ أَخْبَارِكْ
مَا لَقِيتَ مِثْلَكَ كُفْرًا لَهَا	وَلَا أَوْثَ أَكْرَمَ مِنْ دَارِكْ <sup>(٥)</sup>

(١) الخامس من سلاطين بني نصر هو أبو الوليد إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف، وقد حكم من سنة ٧١٣ إلى سنة ٧٢٥ هـ. راجع لللمحة البدرية (ص ٧٨).

(٢) في الأصل: «يوس عنه خطه»، وهو كلام لا معنى له، وصوبناه من تاريخ قضاة الأندلس (ص ٢١٢).

(٣) الأبيات في تاريخ قضاة الأندلس (ص ٢١٢ - ٢١٣).

(٤) في تاريخ قضاة الأندلس: «علينا».

(٥) رواية البيت في المصدر السابق هي:

ما أَلِفْتُ مِثْلَكَ كُفْرًا وَلَا أَوْثَ إِلَى أَكْرَمَ مِنْ دَارِكْ

ثم أُعيد إلى القضاء بالحضرة، فوليها، واستمرت حاله وولايته على متقدم سيمته من الفضل والنزاهة والمراجعة فيما يأنف فيه من الخروج عن الجادة، إلى أن هلك السلطان<sup>(١)</sup> مُستَفضيه، مأمومًا به، مُقتديًا بسجده، يوم عيد الفطر، خمسة وخمسين وسبعمائة. وولي الأمر ولده<sup>(٢)</sup> الأسعد، فجدد ولايته، وأكد تجلته، ورفع رتبته، واستدعى مجالسته.

مشيخته: قرأ<sup>(٣)</sup> ببلده سبنة على أبيه الشريف الطاهر، نسيج وحده في القيام، وعلى أبي عبد الله بن هاني وبه جل انتفاعه، وعليه جل استفادته. وأخذ عن الإمام شيخ المشيخة أبي إسحق الغافقي. وروى عن الخطيب أبي عبد الله الغماري، والخطيب المحدث أبي عبد الله بن رُشيد، والقاضي أبي عبد الله القرطبي، والفقيه الصالح أبي عبد الله بن حريث. وأخذ عن الأستاذ النظار أبي القاسم بن الشاط وغيره.

محنته: دارت عليه يوم مهلك السلطان المذكور رَحَى الوقيعة، فَعَرَكته بالثقال، وتخلص من شرارها هولًا، لتطارح الأمير المتوَّب أمام المَريَّة عليه، خاتمًا في السجدة، وذرس الحُمة إياه عند الدُجلة، من غير التفات لمحل الوطأة، ولا افتقاد لمحل صلاة تلك الأمة، فغشيه من الأزجل، رَجُلُ الرُبى كثيرة، والتفَّ عليه مُرسل طيلسانه، سادًا مجرى النَّفس إلى قلبه، فعالج الحِمام وقتًا، إلى أن نَفَس الله عنه، فاستقلَّ من الرَّذى، وانتبذ من مُطرح ذلك الوَعى، وبُودِر بالفَقْصَاد، وقد أَشْفَى، فكانت عثرة لقيت لُما ومتاعًا، فسمح له المدى آخر من يوثق به، من محل البَث، ومودعات السُّر من حظيَّات المَلِك، أن السلطان عرض عليه قبل وفاته في عالم الحلم، كونه في محراب مسجده، مع قاضيه المُترجم به، وقد أقدم عليه كَلْب، أصابه بثوبه، ولَطَخ ثوبه بدمه، فأهَمَّتْه رؤياه، وطَرَقَتْ به الظنون مطارقها، وهمَّ بعزل القاضي، انقيادًا لبواعث الفكر، وسدًا لأبواب التوقيعات، وقد تأذن الله بإرجاء العزم، وتصديق الحلم، وإمضاء الحكم، جلَّ وجهه، وعزَّت قدرته، فكان من الأمر ما تقرر في محله.

(١) هو السلطان أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل بن فرج، سابع سلاطين بني نصر بغرناطة. راجع للمحة البدرية (ص ١٠٢).

(٢) هو الغني بالله محمد بن يوسف بن إسماعيل بن فرج، ثامن سلاطين بني نصر بغرناطة، والمتوفى سنة ٧٩٣ هـ. ترجمته في اللوحة البدرية (ص ١١٣، ١٢٩) وتاريخ قضاة الأندلس (ص ٢١٣) والدرر الكامنة (ج ٤ ص ٢٩١) وأزهار الرياض (ج ١ ص ٣٧، ٥٨، ١٩٤).

(٣) قارن بتاريخ قضاة الأندلس (ص ٢١٧).

تصانيفه: وتصانيفه بارعة، منها، «رَفْعُ الحُجُبِ المستورة في»<sup>(١)</sup> محاسن المَقْصُورَة<sup>(٢)</sup>»، شرح فيها مقصورة الأديب أبي الحسن حازم بما تنقطع الأطماع فيه. ومنها «رياضة الأبي»<sup>(٣)</sup> في قصيدة الخَزْرَجِي، أبدع في ذلك بما يدل على الاطلاع وسداد الفهم، وقيد على «كتاب التسهيل» لأبي عبد الله بن مالك تقييداً جليلاً، وشرحاً بديعاً، قارب التمام. وشرع في تقييد على الخبر المسمى بـ«دُرَر السَّمْط في خبر السَّمْط». ومحاسنه جمة، وأغراضه بديعة.

شعره: وأما الشعر، فله فيه القَدَحُ المَعْلَى، والحظُّ الأوفى، والدَّرَجَةُ العليا، طبقة وقته، ودرجة عصره، وحجة زمانه، كلامه متكافئ في اللفظ والمعنى، صريح الدلالة، كريم الخيم، متحصّد الحبل، خالص السبك، وأنا أثبت منه جزءاً خصني به، سَمَاهُ جهد المقل، اشتمل من حرّ الكلام، على ما لا كفاء له.

الحمد لله تردّدَه أخرى الليالي، فهو المسؤول أن يعصمنا من الزلّل، زلل القول، وزلل الأعمال. والصلاة على سيدنا محمد خاتم الإرسال. هذه أوراق ضممتها جملة من بنات فكري، وقطعاً مما يُحِشُّ به في بعض الأحيان صدري، ولو خَزَمْتُ لأضربت عن كَتَبِهَا كل الإضراب، ولَزِمْتُ في دَفْنِهَا وإخفائها دين الأعراب، لكنني أثرت على المحو الإثبات، وتمثلت بقولهم إن خير ما أوتيته العربُ الأبيات. وإذا هي عُرضت على ذلك المجد، وسألها كيف نجت من الوأد، فقد أوتيتها من حَرَمِكُم إلى ظلٍّ ظليل، وأحللتها من بنائكم مُعَرَّسًا ومقيل، وأهديتها علماً بأن كرمكم بالإغضاء عن عيوبها جَدُّ كفيل، فاعتنم قلة التهذئة مني، إن جَهِدَ المقلّ غير قليل، فحسبها شرفاً أن تبوّأت في جَنَابِك كَتَفًا، وكفاها مجداً وفخراً أن عَقَدْتُ بينها وبين فكرك عَقْدًا وجوّارًا ومما قلت في حرف الهمزة.

مولده: بسبّته في السادس لشهر ربيع الأول<sup>(٤)</sup> من عام سبعة وتسعين وستمائة.

وفاته: توفي قاضيًا بقرنطة في أوائل شعبان<sup>(٥)</sup> من عام ستين وسبعمائة.

(١) في تاريخ قضاة الأندلس (ص ٢١٧): «عن».

(٢) هي مقصورة أديب المغرب أبي الحسن حازم بن محمد القرطاجي الأندلسي، التي مدح بها أمير المؤمنين المستنصر بالله أبا عبد الله محمدًا الحفصي. راجع نفح الطيب (ج ٧ ص ١٨٢).

(٣) في تاريخ قضاة الأندلس: «الآن في شرح قصيدة...».

(٤) هكذا في تاريخ قضاة الأندلس (ص ٢١٧). وفي بغية الوعاة: «ربيع الآخر».

(٥) في تاريخ قضاة الأندلس (ص ٢١٧): «وفاته بقرنطة ضحى يوم الخميس الحادي والعشرين لشهر شعبان من عام ٧٦٠». وفي نفح الطيب (ج ٧ ص ١٩٠): «وكانت وفاة الشريف المذكور سنة إحدى وستين وسبعمائة».

## محمد بن أحمد بن عبد الملك الفشتالي<sup>(١)</sup>

قاضي الجماعة ببيضة الإسلام فاس، يكنى أبا عبد الله.

**حاله:** هذا الرجل له أبوة صالحة، وأصالة زاكية، قديم الطلب، ظاهر التخصص، مفرط في الوقار، نابه البرة والركبة، كثير التهمة، يؤهم به الفار، وصدر الصدور في الوثيقة والأدب، فاضل النفس، منحوض النصح، جميل العشرة لإخوانه، مجري الصداقة نصحا ومشاركة وتنفيقا على سجية الأشراف وسُنن الحُساء، مديد الباع في فن الأدب، شاعر مجيد، كاتب بليغ، عارف بالتحسين والتقييح، من أدركه، أدرك علما من أعلام المشيخة. قدمه السلطان الكبير العالم أبو عنان فارس، قاضيا بحضرته، واختصه، واشتمل عليه، فاتصل بعده سغده، وعرف حقه. وتردد إلى الأندلس في سبيل الرسالة عنه، فذاع فضله، وعلم قذره. ولما كان الإزعاج من الأندلس نحو النبوة التي أصابت الدولة، بلوث من فضله ونصحه وتأييسه، ما أكد الغبطة، وأوجب الشناء، وخاطبته بما نصه: [الكامل]

من ذا يعد فضائل الفشتالي	والدهر كاتب أيها والتالي
علم إذا التمسوا الفنون بعلمه	مرعى المشيح ونجعة المكتال
نال الذي لا فوقها من رفعة	ما أمثلها حيلة المحتال
وقضى قياس ترائه عن جدّه	إن المقدّم فيه عين التالي

قاضي الجماعة، بماذا أثنى على خلائك المرتضاة؟ أبقيديك الموجب لتقديمك؟ أم بحديثك الداعي لتحمل حديثك؟ وكلاهما غاية بعد مرماها، وتحامي المتصور حماها، والضالع لا يسام سبقا، والمثبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى. وما الظن بأصالة تعترف بها الآثار وتشهد، وأبوة صالحة كانت في غير ذات الحق تزهد، وفي نيل الاتصال به تجهد، ومعارف تقرر قواعد الحق وتمهد، وتهزم الشبه إذا تشهد. وقد علم الله أن جوارك لم يبق للدهر علي جوارا<sup>(٢)</sup>، ولا حث من غصني ورقا ولا نوازا. هذا وقد زار على أسد وحمل ثورا، فقد أصبح في ظل الدولة التي وقف على سيدي اختيارها، وأظهر خلوص إبريزه مغيارها، تحت كنف وعز مؤتلف، وجوار أبي دلف، وعلى ثقة من الله بحسن خلف. وما منع من انتساب ما لديه من

(١) نسبة إلى فشتاله وهي إحدى القبائل الجبلية التي تقطن في شمال مدينة فاس. الإحاطة (ج ٢

ص ١٨٧) حاشية رقم ١.

(٢) في الأصل: «جوار»

الفضائل إلا رحلة لم يَبْرُكْ بعد جِملها، ولا قرّ عملها، وأوحال حال بيني وبين مُسَوِّر  
البلد القديم<sup>(١)</sup> مَهْلها. ولولا ذلك لا غتبطت الرّائد، واقتنيت الفوائد، والله يطيل بقاءه،  
حتى تتأكد القرية، التي تُنسى بها الغُربة، وتعظم الوسيلة، التي لا تُذكر معها الفضيلة.  
وأما ما أشار به من تقييد القصيدة التي نَفَق سوقها استحسانه، وأنس باستظرافها  
إحسانه، فقد أعمل وما أمهل، والقصور بادٍ إذا تأمل، والإغضاء أولى ما أمل، فإنما  
هي فكرة قد أخدمت نارها الأيام، وغيّرت آثارها اللّثام. وقد كان الحق إجلال مطالعة  
سيدي من حَلَلها، وتنزيه رجله عن تقبيل مُرتجلها. لكنّ أمره مُمثّل، وأتى من المجد  
أمرًا لا مردّ له مثّل. والسلام على سيدي من مُعظم قدره، ومُلتزم برّه، ابن الخطيب،  
ورحمة الله.

فكتب إليّ مراجعًا، وهو المليء بالإحسان: [الكامل]

وافث يجرّ الزّهو فضلة بُزدها      حَسَناء قد أضحّت نسيجةً وخديها  
لله أي قصيدة أهديت لو      يهتدي المعارض نحو غاية قَصْدِها  
لابن الخطيب بها محاسنُ جمّة      قارعت عنه الخطوب ففلّت من حدّها<sup>(٢)</sup>  
سرّ البلاغة عنه أودع حافظًا      قد صانه حتى فشا من عندها  
في غير عقْد نفثنه بسحرها<sup>(٣)</sup>      فلذا أتى سَلِسًا مُنْظَمَ عِقْدِها  
لم أذر ما فيها وقمت معاونا      من طرسها أو مُغلّما من بُزدها  
حتى دَفَعْتُ بها لِأَبْعَد غايةٍ      باعًا تُقْصِرُ في البلوغ بحدّها  
حدّان من نظم ونثر إن من      يلقاهما منها بذلةً عبدها  
أولى يدًا بيضاء موليها فما      لي مِزِيَّةٌ مِنْ<sup>(٤)</sup> أَنْ أقوم بِحَمْدِها  
ورفضت تكذيب المني متشيّعًا      لَعَلِي مَرَأها يُصادق وَغْدِها  
فبذلّت شعري رافعًا من برّها      وهزّزت عَظْفي رافعًا من بُزدها

حُذّها، أعزّ الله جنابك، وأدال للأُنس على الوُحشة اغترابك، كغبة<sup>(٥)</sup> الطائر  
المتجدد، ونُهبه الثائر المُستَوْفز، ومِقة اللَّحظ، قليلة اللَّفظ، قد جَمَعَت من سُوامها  
وانقحامها، بين نَظْم قيد، وصُلود زُنْد، ونَوَعَت، فعلى إقدامها وانحجامها إلى قاصر

(١) البلد القديم هو مدينة فاس القديمة، والبلد الجديد هو ضاحية فاس الملوكية. الإحاطة (ج ٢ ص ١٨٩) حاشية رقم ١.

(٢) عجز هذا البيت منكسر الوزن. (٣) صدر هذا البيت منكسر الوزن.

(٤) كلمة «مِنْ» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها ليستقيم الوزن.

(٥) الغُبة: الجُلغة من العيش. محيط المحيط (غيب).

ومُعْتَد، وليتني إذا جادت سحابة ذلك الخاطر الماطر الودق، وانجاب العاني عن مُزَنَّة فكرتي، بتقاضي الجواب، انجياب الطوق، وأيقنْتُ أني قد سُدَّ عليَّ باب القول وأُزْتحج، وقلت: هذه السَّالفة الكلية فَسَدَتْ لها الدَّاعة من تكَلُّم الإمرة ولم أنه إذ أعوزت المُرَّة بالحُلوة، لكني قلت: وَجَدَ المُكثَر كُجْهَد المُقِلِّ، والواجب قد يقلُّ الامتثال فيه بالأقلِّ. فبعثت بها على علاتها، وأبلغتها عذرها، في أن كَتَبْتُ عن شوقها بلغاتها، وهي لا تَعْدَم من سيدي في إغضاء كريم، وإرضاء سليم. والله، عزَّ وجلَّ، يَصِلُ بالتأنيس الحَبْل، ويجمع الشَّمْل.

والسلام الكريم يخصُّ تلك السيادة، ورحمة الله وبركاته. من محمد بن أحمد الفشتالي.

وهو الآن قاض بفاس المذكورة، محمود السيرة، أبقاه، وأمتَّع به.

محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن يحيى  
ابن عبد الرحمن بن أبي بكر بن علي بن داود القرشي المقرئ<sup>(١)</sup>

يكنى أبا عبد الله، قاضي الجماعة بفاس وتلمسان.

**أُولَيْتُهُ:** نُقِلْتُ من خطِّه، قال<sup>(٢)</sup>: وكان الذي اتخذها من سَلَفنا قرارًا بعد أن كانت لمن قبله مرارًا<sup>(٣)</sup>، عبد الرحمن بن أبي بكر بن علي المقرئ، صاحب أبي مَدِين<sup>(٤)</sup>، الذي دعا له ولذريته، بما ظهر فيهم من قَبُول<sup>(٥)</sup> وتَبَيُّن. وهو أبي الخامس؛ فأنا محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن يحيى بن عبد الرحمن، وكان هذا الشيخ عُزوي<sup>(٦)</sup> الصلاة، حتى أنه ربما امْتَحَن بغير شيء فلم يُؤنس منه التفات، ولا اسْتَشعر منه شعور، ويقال: إن هذا الحضور، ممَّا أدركه من مقامات شيخه أبي مدين. ثم<sup>(٧)</sup> اشتهرت ذريته على ما ذُكِر من طبقاتهم بالتجارة، فمهَّدوا طريق الصحراء

(١) محمد بن محمد المقرئ، جدَّ المقرئ صاحب كتاب نفح الطيب، وترجمته في تاريخ قضاة الأندلس (ص ٢٠٩) والتعريف بابن خلدون (ص ٥٩) ونيل الابتهاج (ص ٢٤٩) ونفح الطيب (ج ٧ ص ١٩٥) وأزهار الرياض (ج ١ ص ٥) و(ج ٤ ص ٢٠٤).

(٢) النص في نفح الطيب (ج ٧ ص ١٩٥). (٣) في النفح: «مزارًا».

(٤) أبو مَدِين: هو شعيب بن الحسين الأندلسي التلمساني، المتوفى سنة ٥٩٤ هـ، وقد تقدم ذكره في الجزء الأول من الإحاطة في ترجمة جعفر بن عبد الله بن محمد بن سيد بونة الخزاعي.

(٥) في النفح: «قبوله».

(٦) أغلب الظن أنه ينسب إلى عروة بن الزبير، الذي كان يطيل الصلاة ويكثر من الدعاء.

(٧) النص في نفح الطيب (ج ٧ ص ١٩٦ - ١٩٨).



بحفر الآبار، وتأمين الثُّجَّار، واتخذوا طَبْلَ الرُّحِيل<sup>(١)</sup>، وراية التَّقْدَم<sup>(٢)</sup> عند المسير. وكان ولدٌ يحيى، الذي<sup>(٣)</sup> كان أحدهم أبو بكر، خمسة رجال، ففقدوا الشُّرْكة بينهم فيما مَلَكُوهُ<sup>(٤)</sup> وفيما يملكونه على السواء بينهم والاعتدال، وكان<sup>(٥)</sup> أبو بكر ومحمد، وهما أرومًا نسبي من جميع جهات الأم والأب<sup>(٦)</sup> يتلمسان، وعبد الرحمن وهو شقيقهما الأكبر بسِجْلَمَاسَة، وعبد الواحد وعلي، وهما شقيقاهما الصغيران، بأي والأثن<sup>(٧)</sup> فاتخذوا هذه<sup>(٨)</sup> الأقطار والحوايط والديار، فتزوجوا<sup>(٩)</sup> النساء، واستولدوا الإماء. وكان التلمساني يبعث إلى الصُّحراوي بما يُرسم له من السلع. ويبعث إليه الصُّحراوي بالجِلْد والعاج والجُوز والتَّبَر، والسِّجْلَمَاسِي كِلْسَان الميزان يعرفهما بقدر الرُّجْحَان والخُسْرَان<sup>(١٠)</sup>، ويكاتبهما بأحوال الثُّجَّار، وأخبار البُلْدَان، حتى اتسعت أموالهم، وارتفعت في الفخامة<sup>(١١)</sup> أحوالهم. ولما افتتح التَّكْرُور كوزة أي والأثن وأعمالها، أُصِيبَت أموالهم فيما أُصِيبَ من أموالها، بعد أن جَمَعَ من كان بها<sup>(١٢)</sup> منهم إلى نفسه الرُّجَال، ونَصَبَ دون<sup>(١٣)</sup> ماله القتال. ثم اتصل بملكهم فأكرم مَثْواه، ومكَّنه من التجارة بجميع بلاده، وخاطبه بالصدِّيق الأحبَّ، والخلاصة الأقرب. ثم صار ي كاتب مَن يتلمسان، يَسْتَقْضي منهم مآربه، فيخاطبه بمثل تلك المخاطبة، وعندى من كُتِبَ وكُتِبَ الملوك بالمغرب، ما ينبىء عن ذلك، فلما استوثقوا من الملوك، تذلت لهم الأرض للسلوك، فخرجت أموالهم عن الحد، وكادت تفوق<sup>(١٤)</sup> الحصر والعَدَّ؛ لأن بلاد الصحراء، قبل أن يدخلها أهل مصر، كانت<sup>(١٥)</sup> تجلب لها من المغرب ما لا بال له<sup>(١٦)</sup> من السِّلَع، فَيُعَاوِضُ<sup>(١٧)</sup> عنه بماله بال من الثمن<sup>(١٨)</sup>. ثم قال أبو مدين: الدنيا ضُمَّ جنب أبي حمو<sup>(١٩)</sup>، وشمل ثوباه. كان يقول: لولا الشناعة لم أزل في بلادى تاجرًا من غير تجار الصحراء الذين يذهبون بخبيث السِّلَع، ويأتون بالتَّبَر الذي

(١) في النفع: «طبلًا للرحيل». (٢) في النفع: «تقدم».

(٣) في النفع: «الذين أحدهم».

(٤) في النفع: «بينهم في جميع ما ملكوه أو يملكونه...».

(٥) في النفع: «مكان». (٦) في النفع: «أمي وأبي».

(٧) هو موضع بالصحراء. (٨) في النفع: «بهذه الأقطار الحوائط».

(٩) في النفع: «وتزوجوا». (١٠) في النفع: «بقدر الخسران والرجحان».

(١١) في النفع: «الضخامة». (١٢) في النفع: «فيها».

(١٣) في النفع: «دونها ودون ما لهم القتال». (١٤) في النفع: «تفوت».

(١٥) في النفع: «كان يجلب إليها من...». (١٦) ما لا بال له: أي ما ليس بذي شأن.

(١٧) في النفع: «فتعاض».

(١٨) في النفع: «الثمن. أي مدبر دنيا ضُمَّ جنباً أبي حمو...».

(١٩) أبو حمو: هو موسى بن عثمان بن يغمراسن بن زيان، كما سيرد بعد قليل في عنوان: مولده.

كلُّ أمرٍ الدنيا له تَبَعٌ، وَمَنْ سِوَاهُمْ يَحْمِلُ مِنْهَا الذَّهَبَ، وَيَأْتِي إِلَيْهَا بِمَا يَضْمَحَلُّ عَنْ قَرِيبٍ وَيَذْهَبُ، إِلَى مَا يُغَيِّرُ مِنَ الْعَوَائِدِ، وَيَجْرُ السَّفَهَاءُ إِلَى الْمَفَاسِدِ.

ولما هلك<sup>(١)</sup> هؤلاء الأسيخ، جعل أبناؤهم ينفقون مما تركوا لهم ولم يقوموا بأمر التثمير قيامهم، وصادفوا توالي الفتن، ولم يَسْلَمُوا مِنْ جَوْرِ السُّلْطَانِ<sup>(٢)</sup>، فلم تَزَلْ<sup>(٣)</sup> حالهم في نقصان إلى هذا الزمان<sup>(٤)</sup>، فها أنا ذا لم أَذْرِكُ<sup>(٥)</sup> في ذلك إلا أثر نعمة اتخذنا فصوله عَيْشًا، وأصوله حُرْمَةً. ومن جملة ذلك خزانة كبيرة من الكتب، وأسباب كثيرة تعين على الطلب، ففترغْتُ بحول الله، عَزَّ وَجَلَّ، للقراءة، فاستوعبْتُ أهل البلد لقاءً، وأخذت عن بعضهم عَرْضًا وإلقاءً، سواء المقيم القاطن، والوارد والظاعن.

حاله: هذا<sup>(٦)</sup> الرجل مشارٌ إليه بالعُدوة المغربية اجتهدًا، ودُؤوبًا، وحفظًا وعناية، وإطلاعًا، ونَقْلًا ونزاهة، سليمُ الصدر، قريبُ العُور، صادق القول، مسلوب التَّصْنُوع، كثيرُ الهَشَّة، مفرطُ الخَفَّة، ظاهر السداجة، ذاهبُ أقصى مذاهب التخلُّق، محافظٌ على العمل، مثابر على الانقطاع، حريص على العبادة، مضايق في العَقْد والتوجُّه، يكابد من تحصيل النِّيَّة بالوجه واليدين مشقَّة، ثم يُغَافِضُ<sup>(٧)</sup> الوقت فيها، ويوقعها دُفْعَةً مَتَّبِعًا إياها زَعَقَةً التكبير، برَجْفَةٍ يَنْبُو عنها سَمْعٌ من لم يكن<sup>(٨)</sup> تَأَنُّسٌ بها عادة، بما هو دليل على حُسْنِ المعاملة، وإرسال السَّجِيَّة، قديمُ النُّعْمَةِ، مُتَّصِلُ الْخَيْرِيَّة، مُكَبِّ على النظر والدرس والقراءة، معلوم الصِّيَانَةِ والعدالة، منصفٌ في المذاكرة، حاسرُ الذراع<sup>(٩)</sup> عند المباحثة، راحِبٌ عن الصُّدْر في وَطِيس المناقشة، غيرُ مختار للقرْن، ولا ضَانٌ<sup>(١٠)</sup> بالفائدة، كثير الالتفاف، متقلِّبُ الحديقة، جهيرٌ بالحُجَّة، بعيد عن المراء والمُبَاهَاة، قائل بفضل أولي الفضل من الطلبة، يقوم أتمَّ القيام على الْعَرَبِيَّة والفقه والتفسير، ويحفظ الحديث، ويتَّهَجَّرُ بحفظ الأخبار<sup>(١١)</sup> والتاريخ والآداب، ويشارك مشاركة فاضلة في الأصلين والجدل والمنطق، ويكتب ويُشعر

(١) في النسخ: «ولما درج».

(٢) في النسخ: «يزل».

(٣) في النسخ: «من».

(٤) النص في نسخ الطيب (ج ٧ ص ١٩٩ - ٢٠٠).

(٥) في النسخ: «يغافض».

(٦) في النسخ: «للذراع».

(٧) ضَانٌ: اسم فاعل ضُنَّ أي بخل. لسان العرب (ضنن).

(٨) في النسخ: «بحفظ التاريخ والأخبار».

(٩) في النسخ: «السلطين».

(١٠) في النسخ: «الزمن».

(١١) في النسخ: «من لم تؤنسه بها العادة».

مصيبًا في ذلك<sup>(١)</sup> غرض الإجابة، ويتكلم في طريقة الصّوفية كلام أرباب المقال، ويعتني بالتّدوين فيها. شَرَق وحجّ، ولقي جِلَّة، واضطبن<sup>(٢)</sup> رحلة مفيدة، ثمّ آب إلى بلده، فأقرأ به، وانقطع إلى خدمة العلم. فلما ولي ملك المغرب السلطان، محالف الصّنع ونشيدُ الملك، وأثير الله من بين القرابة والإخوة أميرُ المسلمين<sup>(٣)</sup> أبو عنان فارس<sup>(٤)</sup>، اجتذبه وخَلطه بنفسه، واشتمل عليه، وولاه قضاء الجماعة بمدينة فاس، فاستقلَّ بذلك أعظم الاستقلال، وأنفَذ الحكم<sup>(٥)</sup>، وألان الكلمة، وأثر التّشديد، وحَمَلَ الكَلَّ<sup>(٦)</sup>، وخفض الجناح، فحسُنَتْ عنه القالة<sup>(٧)</sup>، وأحْيَتْه الخاصّة والعامة. حضرتُ بعض مجالسه للحكم، فرأيت من صبره على اللّد<sup>(٨)</sup>، وتأتّيه<sup>(٩)</sup> للحجج ورفقه بالخصوم، ما قضيتُ منه العجب.

دخوله غرناطة: ثمّ<sup>(١٠)</sup> لَمَّا أُخِر عن القضاء، استعمل بعد لأي في الرّسالة، فوصل الأندلس، أوائل جمادى الثانية من عام ستة<sup>(١١)</sup> وخمسين وسبعمئة. فلما قَضَى غرض الرّسالة<sup>(١٢)</sup>، وأبْرَم عَقْد وجهته، واحتلَّ مالقة في مُنْصَرَفه، بدَأ له في نَبَذ الكُلفة، وأطراح<sup>(١٣)</sup> وظيفة الخدمة، وحلَّ التّقيد، إلى ملازمة الإمرة، فتقاعد، وشهر غرضه، وبثَّ في الانتقال، طَمَع من كان صحبته، وأقبل على شأنه، فخلّي بينه وبين همّه. وتُرك وما انتحله من الانقطاع إلى ربّه. وطار الخبر إلى مُرْسله، فأنف من تخصيص إيالته بالهجرة، والعدول عنها، بقصد التّخلّي والعبادة، وأنكر ما نَحَله<sup>(١٤)</sup> غاية الإنكار، من إبطال عمل الرّسالة، والانقباض قبل الخروج عن العُهد، فوَعَر صَدْرُه على صاحب الأمر، ولم يُبعد حَمْلُه على الطّئنة والمواطأة على النّفرة، وتجهّزت جملة من الخدّام المُجَلّين في مَازِق<sup>(١٥)</sup> الشّبهة، المضطّلعين بإقامة الحجة، مؤلين خِطّة الملام، مُخَيّرِينَ بين سحائب عادٍ من الإسلام، مظنّة إغلاق النعمة<sup>(١٦)</sup>،

(١) قوله: «في ذلك» غير وارد في النسخ. (٢) اضطبن الرحلة: اعتزمها.

(٣) في النسخ: «المؤمنين». (٤) هذه الكلمة غير واردة في النسخ.

(٥) في النسخ: «الحق». (٦) الكَلَّ: التّعب. محيط المحيط (كلل).

(٧) حسنت عنه القالة: حسن قول الناس فيه.

(٨) اللّد: الخصومة الشديدة. لسان العرب (لد).

(٩) في النسخ: «وتأتّيه».

(١٠) النص في نسخ الطيب (ج ٧ ص ٢٠٠ - ٢٠٢).

(١١) في الأصل: «ست» وهو خطأ نحوي. وفي نسخ الطيب: «سبعة».

(١٢) في النسخ: «رسالته».

(١٣) في الأصل: «واضطراح» والتصويب من النسخ.

(١٤) في النسخ: «ما حقه الإنكار». (١٥) في النسخ: «مَازِق».

(١٦) في النسخ: «النقمة».

ولإيقاع المُثْلَة<sup>(١)</sup>، والإساءة<sup>(٢)</sup> بسبب القطيعة والمُنابذة. وقد كان المترجمُ به لحق بغرناطة فتذمَّم بمسجدها، وجأر<sup>(٣)</sup> بالانقطاع إلى الله، وتوَعَّد من يُجِيرُه<sup>(٤)</sup> بنكير من يُجير ولا يُجار عليه سبحانه، فأهَمَّ أمره، وشغلت القلوبُ أبدته، وأمسك الرسل بخلال ما صدرت شفاعَةٌ اقتضت<sup>(٥)</sup> له رفع الثَّبْعَة، وتَزَكَّه إلى تلك الوجهة.

ولمَّا تحصَّل ما تيسَّر من ذلك، انصرف محفُوفًا بعالي القطر، قاضي الجماعة أبي القاسم الحَسَنِي المترجمُ<sup>(٦)</sup> به قَبْلَه، والشيخ الخطيب أبي البركات بن الحاج، مُستهلين<sup>(٧)</sup> لوروده، مُشافهين للشفاعة<sup>(٨)</sup> في غرضه، فأقشعت<sup>(٩)</sup> الغُمَّة، وتنَفَّست الكُرْبَة. وجرى أثناء هذا من المراسلة والمراجعة، ما تضمَّنَه الكتاب المسمَّى بـ«كُناسة الدُّكان بعد انتقال السُّكان» المجموع بسلا ما صورته:

«المقامُ الذي يحبُّ الشَّفاعة، ويَزْعَى الوسيلة، ويُنْجز العُدَّة، ويتمُّ الفضيلة، ويُضفي مجْدَه المننَ الجزيلة، ويُعَيِّ حَمْدَه الممدوح العريضة الطويلة، مقام محلِّ والدنا الذي كَرَّمَ مجْدَه، ووضَّح سعْدَه، وصَحَّ في الله تعالى عقْدَه، وخلَّص في الأعمال الصالحة قُضْدَه، وأعجز الألسنة حَمْدَه، السلطان الكذا<sup>(١٠)</sup> ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا، أبْقاء الله سبحانه لوسيلةٍ يرعاها، وشفاعةٍ يُكْرَمُ مَسْعَاهَا، وأخلاق جميلة تجيب دَعْوَةَ الطَّبْع الكريم إذا دعاها، مُعْظَمُ سلطانه الكبير، ومُمَجَّد مقامه الشهير، المُتَشَبِّع لأبْوَتِه الرفيعة قولًا باللسان واعتقادًا بالضمير، المعتمدُ منه بعد الله على الملجأ الأخمى والوليُّ النَّصير. فلان<sup>(١١)</sup>. سلام كريم، طيب بَرٌّ عَمِيم، يخص مقامكم الأعلى، وأبُوَّتكم الفضلى، ورحمة الله وبركاته.

أما بعد<sup>(١٢)</sup> حمد الله، الذي جعل الخُلُق الحميدة دليلًا على عنايته بمن حلَّاه خلَّاهَا، وميَّزَ بها النفوس النفيسة، التي اختصَّها بكرامته وتولَّاهَا، حمدًا يكون كُفْوًا

(١) في النفع: «العقوبة».

(٢) في النفع: «أو الإشادة بسبب إجارتِه بالقطيعة...».

(٣) في الأصل: «جار» بدون همزة، والتصويب من النفع. وجأر إلى الله: رفع صوته بالدعاء.

(٤) في النفع: «يجبره». (٥) في النفع: «اقتضى له فيها رفع...».

(٦) في النفع: «المذكور قبله». (٧) في النفع: «مسلمين».

(٨) في النفع: «بالشفاعة». (٩) في النفع: «فانقشعت».

(١٠) أغلب الظن أنه أبو عنان فارس ابن أبي الحسن المريني، سلطان المغرب، المتوفى سنة ٧٥٩ هـ. راجع حاشية عنان.

(١١) هو ثامن سلاطين بني نصر محمد بن أبي الحجاج يوسف بن إسماعيل، وقد حكم غرناطة من عام ٧٥٥ إلى عام ٧٩٣ هـ. راجع اللوحة البدرية (ص ١١٣، ١٢٩).

(١٢) النص في نفع الطيب (ج ٧ ص ٢٠٢ - ٢٠٤).

للنعم التي أولاهها، وأعادها ووالاهها، والصلاة والسلام<sup>(١)</sup> على سيدنا ومولانا محمد عبده ورسوله، المترقي من درجات الاختصاص أرفعها وأعلاها، الممتاز من أنوار الهداية بأوضحها وأجلها، مطلع آيات السعادة يزوق مجتلاها، والرضا عن آله وصحبه الذين خبز صدق ضمائرهم لما ابتلاها، وعسل ذكرهم<sup>(٢)</sup> في الأفواه فما أغدب أوصافهم على الألسن وأحلاها، والدعاء لمقام أبوتكم حرس الله تعالى علها، بالسعادة التي يقول الفتخ: أنا طلاع الثنايا وابن جلاها<sup>(٣)</sup>، والصنائع التي تخرق المفاوز بركائبها المبشرات فتقلي فلاها. فإننا كتبنا إليكم، كتب الله تعالى لكم عزة مشيدة البناء، وحشد على أعلام صنائعكم الكرام جيوش الثناء، ولقدكم قلائد<sup>(٤)</sup> مكارم الأخلاق، ما يشهد لذاتكم منه بسابقة الاعتناء. من حمراء غرناطة حرسها الله، والود باهر السناء<sup>(٥)</sup>، مجد على الأناء، والتشيع رخب الدسيعة<sup>(٦)</sup> والفناء.

وإلى هذا، وصل الله تعالى سعذكم، وحرس مجدكم! فإننا خاطبنا مقامكم الكريم، في شأن الشيخ الفقيه الحافظ الصالح أبي عبد الله المقرئ، خار الله تعالى لنا وله، وبلغ الجميع من فضله العميم أمله، جواباً عما صدر من مثابكم<sup>(٧)</sup> فيه من الإشارة المتمثلة<sup>(٨)</sup>، والمآرب المغملة، والقضايا غير المهملة، تُصادركم بالشفاعة التي مثّلها بأبوابكم لا يُرد، وظمّأها عن منهل قبولكم لا تجلى<sup>(٩)</sup> ولا تُصد، حسبما سئله الأب الكريم والجّد، والقبيل الذي وضح منه في المكارم الرسم والحد. ولم تُصدّر الخطاب حتى ظهر لنا من أحواله صدق المخيلة، وتبلّج صبح الزهادة والفضيلة، وجود النفس الشحيحة بالعرض الأدنى البخيلة، وظهر تخليه عن هذه الدار، واختلاطه باللفيف والعُمار، وإقباله على ما يعني مثله من صلة الأوراد، ومداومة الاستغفار. وكُنّا لما تعرّفنا إقامته بمالقة لهذا الغرض الذي شهّره، والفضل الذي أبرزّه للعِيان

(١) كلمة «والسلام» غير واردة في النسخ.

(٢) عسل ذكرهم في الأفواه: أصبح حلوا كالعسل، وهو كناية عن استعذاب الحديث عنهم. لسان العرب (عسل).

(٣) أخذه من قول سحيم بن وثيل الرياحي: [الوافر]

أنا ابن جلا وطلاغ الثنايا متى أضع العِمامة تعرفوني الشعر والشعراء (ص ٥٣٨).

(٤) في النسخ: «من قلائد».

(٥) في النسخ: «السناء، ظاهر السناء، مجدّد على...».

(٦) الدسيعة: الخُلُق؛ ورحب الدسيعة: طيب الخُلُق والطباع. محيط المحيط (دسج).

(٧) في النسخ: «مثابكم».

(٨) في النسخ: «المتمثلة».

(٩) في النسخ: «لا تحلا».

وأظهره، أمزنا أن يُغتنى بأحواله، ويُعان على فراغ باله، ويُجرى عليه سبب من ديوان الأعشار الشرعية وصريح ماله، وقلنا: أما أذاك من غير مسألة مستند صحيح لاستدلاله، ففر من مالقة على ما تعرفنا لهذا السبب، وقعد بحضرتنا مستور المُنتمى والمُنْتسب، وسكن بالمدرسة بعض الأماكن المعدة لسكنى المُتَسِمين بالخير، والمحترفين ببضاعة الطلب، بحيث لم يُتَعَرَف وروده ووصوله إلا ممن لا يؤبه بتعريفه، ولم تتحقق زوائده وأصوله لقلّة تضرّيفه. ثم تلاحق إرسالككم الجَلّة. فوجبت حينئذٍ الشفاعة، وعُرضت على سوق الحلم والفضل من الاستلطاف والاستغطف البضاعة، وقررنا ما تحققناه من أمره، وانقباضه عن زَيْد الخلق وعَمْرُه، واستقباله الوجهة التي من ولّى وجهه شَطْرَهَا فقد أثر أثيرًا، ومَن ابتاعها بمتاع الدنيا فقد نال فضلًا كبيرًا وخيرًا كثيرًا، وسألنا منكم أن تبيحوه ذلك الغرض الذي رماه بعزمه، وقَصَرَ عليه أقصى همّه. فما أخلّق مقامكم أن يفوز منه طالب الدنيا بسَهْمِه، ويحصل منه طالب الآخرة على حظه الباقي وقَسْمِه، ويتوسل الزاهد بزهده والعالم بعلمه، ويعول البريء على فضله، ويثق المذنب بحلّمه. فوصل الجواب الكريم بمجرد الأمان، وهو أَرْب من آراب<sup>(١)</sup>، وفائدة من جراب، ووجه من وجوه إعراب، فرأينا أن المَطل بعد جفاء، والإعادة ليس يثقلها خفاء، ولمجدكم بما ضمنا عنه وفاء، وبادرنا الآن إلى العزم عليه في ارتحاله، وأن يكون الانتقال عن رضا منه من صفة حاله، وأن يقتضي له ثمرة المَقْصِد، وبلغ طيّة الإسعاف في الطريق إن قصد، إذ كان الأمان لمثله ممن تعلّق بجناب الله من مثلكم حاصلًا، والذين المتين بين نفسه وبين المخافة فاصلًا، وطالب<sup>(٢)</sup> كيمياء السعادة بإعانتكم واصلًا. ولما مُدَّت اليَدُ في تسويغ حالة هذْيُكُمْ عليها أبدًا يُحَرِّضُ، وعَلْمُكُمْ يُصَرِّحُ بمزيتها ولا يُعَرِّضُ، فكملوا أبقاكم الله ما لم تَسْغُنَا فيه مشاحة الكتاب، وألحقوا بالأصل حديث هذه الإباحة فهو أصحُّ حديث في الباب، ووفوا غرضنا من مجدكم، وخلّوا بينه وبين مراده من تَرَكَ الأسباب، وقَصَدَ غافر الذنب وقابل الثوب بإخلاص المتاب، والتشميم ليوم العَرَض وموقف الحساب، وأظهروا عليه عناية الجناب، الذي تَعَلَّقَ به، أعلق الله به يدكم من جَنَاب، ومَعَاذَ الله أن تعود شفاعتنا من لَدُنْكُمْ غير مُكَمَّلَة الآراب. وقد بعثنا مَن ينوب عنا في مشافهتكم بها أحمد المناب، ويقتضي خلاصها بالرغبة لا بالغلاب، وهما فلان وفلان. ولولا الأعذار لكان في هذا الغرض إعمال الرُكَّاب، بِسَبْقِ<sup>(٣)</sup> أعلام الكتاب، وأنتم تُؤلّون هذا القَصْد من مكارمكم ما يوقر الشناء الجميل، ويُزبي على التأميل، ويكتُث على الودّ الصريح العقد وثيقة

(١) الآراب: جمع أرب وهو البغية والمطلب. لسان العرب (أرب).

(٢) في الأصل: «وطالبنا» والتصويب من النفع. (٣) في النفع: «يسبق».

التَّسْجِيل. وهو سبحانه يُبْقِيكُمْ لتأييد المجد الأثيل، وإنالة الرِّفْدِ الجزيل. والسلام الكريم يَخْصُ مقامكم الأعلى، ومُتَابَتِكُمُ الْفُضْلَى، ورحمة الله تعالى وبركاته. في الحادي والعشرين لجمادى الآخرة من عام سبعة وخمسين وسبعمائة، والله ينفع بَقْضِهِ، ويسر علينا الرجعة إلى وَجْهِه وفضله<sup>(١)</sup>.

مُشِيخْتِهِ: قال<sup>(٢)</sup>: فَمِمَّنْ أَخَذْتُ عَنْهُ، وَاسْتَفَدْتُ مِنْهُ عِلْمَاهَا، يَعْنِي تَلْمَسَان، الشَّامَخَان، وَعَالِمَاهَا الرَّاسَخَان: أَبُو زَيْد عَبْد الرَّحْمَنِ، وَأَبُو مُوسَى عَيْسَى، ابْنَا مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْإِمَامِ<sup>(٣)</sup>، وَحَافِظُهَا وَمُدْرُسُهَا وَمُفْتِيهَا أَبُو مُوسَى عِمْرَانُ بْنُ مُوسَى بْنِ يَوْسُفَ الْمَشْدَالِيِّ<sup>(٤)</sup>، صَهِرَ شَيْخَ الْمُتَأَخِّرِينَ<sup>(٥)</sup> أَبِي عَلِيٍّ نَاصِرَ الدِّينِ<sup>(٦)</sup> عَلَى ابْنَتِهِ، وَمَشْكَاءُ الْأَنْوَارِ الَّتِي يَكَادُ زَيْتُهَا يَضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسُسْهُ نَارٌ، الْأَسَازُ أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ حَكِيمِ الْكِنَانِيِّ<sup>(٧)</sup> السَّلَوِيُّ، رَحِمَهُ اللَّهُ. وَمِنْهُمْ الْقَاضِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ النَّوْرِ<sup>(٨)</sup>، وَالشَّيْخُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ<sup>(٩)</sup> الْبَرْوَنِيُّ، وَأَبُو عِمْرَانَ مُوسَى بَوْمِنْ<sup>(١٠)</sup> الْمَضْمُودِي الشَّهِيرَ بِالْبُخَارِيِّ. قَالَ: سَمِعْتُ الْبَرْوَنِي يَقُولُ: كَانَ الشَّيْخُ أَبُو عِمْرَانَ يُدْرِّسُ الْبُخَارِيَّ<sup>(١١)</sup>، وَرَفِيقٌ لَهُ يَدْرُسُ صَحِيحَ مُسْلِمٍ، وَكَانَا يُعْرِفَانِ بِالْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ، فَشَهِدَا عِنْدَ قَاضٍ، فَطَلَبَ الْمَشْهُودُ عَلَيْهِ بِالْإِعْذَارِ فِيهِمَا، فَقَالَ لَهُ أَبُو عِمْرَانَ: أَتَمَكَّنُهُ مِنَ الْإِعْذَارِ فِي الصَّحِيحَيْنِ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ؟ فَضَحِكَ الْقَاضِي، وَأَصْلَحَ بَيْنَ الْخَصْمَيْنِ. ثُمَّ قَالَ: وَمِنْ شُيُوخِي الصُّلَحَاءِ الَّذِينَ لَقِيتُ بِهَا، خَطِيبُهَا الشَّيْخُ أَبُو عَثْمَانَ سَعِيدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَلِيٍّ الْخِيَاطِ، أَدْرَكَ أَبَا

(١) قوله: «والله ينفع حتى: وفضله» غير وارد في النسخ.

(٢) تحدث المقرئ عن مشيخة ابن الخطيب في نفح الطيب (ج ٧ ص ٢٠٦، ٢١٣، ٢١٤، ٢٢٣ - ٢٢٤، ٢٢٨).

(٣) ترجمة ابني محمد بن عبد الله بن الإمام في التعريف بابن خلدون (ص ٢٨) والديباج المذهب (ص ١٥٢) ونيل الابتهاج (ص ١٣٩).

(٤) في نفح الطيب (ج ٧ ص ٢١٣): «المشدالي». و ترجمة المشدالي في نيل الابتهاج (ص ٣٧٧).

(٥) في النفح: «المدرسين».

(٦) هو منصور بن أحمد بن عبد الحق، المتوفى سنة ٧٣١ هـ. ترجمته في نيل الابتهاج (ص ٣٧٧) وعنوان الدراية (ص ١٣٤).

(٧) كلمة «الكناني» غير واردة في نفح الطيب (ج ٧ ص ٢١٤).

(٨) ترجمة أبي عبد الله بن عبد النور في التعريف بابن خلدون (ص ٤٦) وجذوة الاقتباس (ص ١٩٠) ونيل الابتهاج (ص ٢٤٠).

(٩) في النفح (ج ٧ ص ٢١٤): «الحسين». وترجمته البروني في نيل الابتهاج (ص ٢٢٨).

(١٠) هذه الكلمة غير واردة في النفح. (١١) في النفح: «يدرس صحيح البخاري».

إسحق الطيَّار. ومنهم أبو عبد الله بن محمد الكرموني، وكان بصيراً بتفسير الرؤيا، فمن عجائب شأنه، أنه كان في سجن أبي يعقوب يوسف بن عبد الحق مع مَنْ كان فيه، من أهل تلمسان أيام محاصرته لها، فرأى أبا جمعة علي التَّلَاسي الجراحي منهم، كأنه قائم على ساقية دائرة، وجميع أقداحها وأقواسها تصب في نقيير في وسطها، فجاء ليشرب، فاغترف الماء، فإذا فيه فَرْثٌ ودم، فأرسله، واغترف فإذا هو كذلك، ثلاثاً أو أكثر، ثم عدل إلى خاصّة ماء، فجاءها وشرب منها. ثم استيقظ، وهو النهار، فأخبره، فقال: إن صدقت الرؤيا، فنحن عن قليل خارجون من هذا السجن. قال: كيف؟ قال: الساقية الزمان، والثَّقير السلطان، وأنت جراحي، تدخل يدك في جوفه فينالها الفَرْث والدم، وهذا ما لا يحتاج معه إلى دليل، فأخرج، فوجد السلطان مطعوناً بخنجر، فأدخل يده في جوفه، فناله الفَرْث والدم، فخاط جراحته وخرج، فرأى خاصّة ماء، فغسل يده وشرب. ولم يلبث السلطان أن توفي، وسرحوا من كان في سجنه. ومن أشياخه الإمام نسيجٌ وحده، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن أحمد الآبلي التلمساني، وهو رُحْلة الوقت في القيام على الفنون العقلية، وإدراكه وصحة نظره.

حدّث قال: قدِم على مدينة فاس، شيخُنا أبو عبد الله محمد بن يحيى الباهلي، عُرف بابن المُسَفَّر، رسولاً من صاحب بجاية. وزاره الطلبة، فكان مما حدّثهم أنهم كانوا على زمان ناصر الدين، يَسْتَشْكِلُونَ كلاماً وقع في تفسير سورة الفاتحة من كتب فخر الدين، واستشكله الشيخ معهم. وهذا نصه: ثَبَّت في بعض العلوم العقلية، أن المُركَّب مِثْل البسيط في الجنس، والبسيط مِثْل المُركَّب في الفصل، وأن الجنس أقوى من الفصل، فأخبروا بذلك الشيخ الآبلي لما رجعوا إليه، فتأمل له ثم قال: هذا كلام مُصَحَّف، وأصله أن المُركَّب قَبْل البسيط في الجِسِّ، والبسيط قَبْل المُركَّب في العَقْل، وأن الجِسَّ أقوى من العَقْل، فأخبروا ابن المُسَفَّر، فليج، فقال لهم الشيخ: التمسوا النسخ، فوجدوا في لَفْظ بعضها كما قال الشيخ.

رحلته: رحل<sup>(١)</sup> إلى بجاية مُسَرِّقاً، فلقي بها جلّة، منهم الفقيه أبو عبد الله محمد بن يحيى الباهلي، ابن المُسَفَّر<sup>(٢)</sup>. ومنهم قاضياها أبو عبد الله محمد ابن الشيخ

(١) راجع نفع الطيب (ج ٧ ص ٢٣٦ - ٢٣٧، ٢٣٩).

(٢) توفي ابن المسفر في عام ٧٤٣ هـ، وترجمته في نيل الابتهاج (ص ٢٣٧) والديباج المذهب (ص ٣٣٢).



أبي يوسف يعقوب الزَّوَاوي، فقيه ابن فقيه. ومنهم أبو علي<sup>(١)</sup> حسن بن حسن إمام المَعْقُولَات بعد ناصر الدين. وبتونس قاضي الجماعة وفقهها أبو عبد الله بن عبد السلام<sup>(٢)</sup>، وحضر دروسه، وقاضي المَنَاكِح أبو محمد اللخمي<sup>(٣)</sup>، وهو حافظ فقهاؤها في وقته، والفقيه أبو عبد الله بن هارون شارح ابن الحاجب في الفقه والأصول. ثم حجَّ فلقي بمكة إمام الوقت أبا عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن التَّوَزَّرِي، المعروف بخليل، وإمام المقام أبا العباس رضي<sup>(٤)</sup> الدين الشافعي، وغير واحد من الزَّائرين والمجاورين وأهل البلد. ثم دخل الشام، فلقي بدمشق شمس الدين بن قَيْم الجَوَزِيَّة، صاحب ابن تَيْمِيَّة، وصدر الدين الغماري المالكي، وأبا القاسم بن محمد اليماني الشافعي وغيرهم. وبيت القدس أبا عبد الله بن مُثَبَّت، والقاضي شمس الدين بن سالم، والفقيه أبا عبد الله بن عثمان، وغيرهم.

**تصانيفه:** ألف<sup>(٥)</sup> كتابًا يشتمل على أزيد من مائة مسألة فقهية، ضمَّنْها كل أصيل<sup>(٦)</sup> من الرأي والمباحثة. ودَوَّن في التَّصَوِّف إقامة المُريد، ورحلة المُتَبَيِّل، وكتاب الحقائق والرَّقَائِق، وغير ذلك.

**شعره:** نقلت<sup>(٧)</sup> من ذلك قوله: هذه لمحَّة العارض لتكملة أُلْفِيَّة ابن الفارض، سَلَب الدهر من فرائدها مائة وسبعة وسبعين، فاستعنت على ردِّها بحول الله المعين.

### من فصل الإقبال<sup>(٨)</sup>: [الطويل]

رَفَضْتُ السَّوَى وَهُوَ الطَّهَّارَةُ عِنْدَمَا	تَلَفَعْتُ فِي مِزْطِ الْهَوَى وَهُوَ زَيْنَتِي
وَجِئْتُ الْحِمَى وَهُوَ الْمُصَلَّى مُيَمَّمًا	بُوجْهَةَ قَلْبِي وَجْهَهَا وَهُوَ قِبْلَتِي
وَقَمْتُ وَمَا اسْتَفْتَحْتُ إِلَّا بِذِكْرهَا	وَأَحْرَمْتُ إِحْرَامًا لَغَيْرِ تَجَلٍّ <sup>(٩)</sup>
فَدِينِي إِنْ لَاحَتْ رَكُوعٌ وَإِنْ دَنَتْ	سُجُودٌ وَإِنْ لَاحَتْ <sup>(١٠)</sup> قِيَامٌ بِحَسْرَةٍ

(١) في النفع: «أبو علي حسين بن حسين».

(٢) هو محمد بن عبد السلام المُسْتَشِيرِي، المتوفى سنة ٧٥٠ هـ. وترجمته في تاريخ قضاة الأندلس (ص ١٩٩) والتعريف بابن خلدون (ص ١٩) والديباج المذهب (ص ٣٣٦) ونيل الابتهاج (ص ٢٤٠).

(٣) في النفع: «الأجمي».

(٤) في النفع: «ابن رضي».

(٥) النص في نفع الطيب (ج ٧ ص ٢٦٦).

(٦) في النفع: «أصل».

(٧) النص في نفع الطيب (ج ٧ ص ٣٠٦).

(٨) القصيدة في نفع الطيب (ج ٧ ص ٣٠٦ - ٣٠٨).

(٩) في النفع: «تحلة» بالحاء غير المعجمة. (١٠) لاهت: تسترت. محيط المحيط (لا).

تؤلفنا<sup>(١)</sup> بالوصل عين التثنت  
إليها وذي جور طويت برحلة<sup>(٢)</sup>  
بزرقه<sup>(٣)</sup> أسنان الرماح وحدة  
تسسيك أيام الفجار ومؤتة  
فجار بلا أجر وحامل برة  
فعاد ختام الأمر أضل القضية  
دليل على أن الهوى من سجيّتي  
ولا توضع الأوزار إلا لمحنة  
لما ظلّ إلا منهلاً ذا شريعة  
لعين إذا نار الغرام استحرّت<sup>(٤)</sup>  
ولا هدم إلا منك<sup>(٥)</sup> شيد بقوة  
علام مزاج ركبت أو طبيعة  
وإلا فأنت الدهر صاحب قعدة  
أم النار أم دساس عزق الأمومة؟  
وحالي أقوى القائمين بحجة  
وما شاكّه مغشّار بعض شكيّتي  
ولم أنسها إلا احترقت بلوعة  
جواي وأخفى الوجد صبر المودة  
أحبّ أقلّي<sup>(٦)</sup> ذكرها وفضيحتي  
بالأمس وسلّ حرّ الجفون الغزيرة  
كما شاءت الحسناء يوم الهزيمة

على أننا في القرب والبعد واحد  
وكم من هجير خضت ظمآن طاوياً  
وفيهما لقيت الموت أحمّر والعدا  
وبيني وبين العذل فيها منازل  
ولما اقتسننا خطّينا فحامل  
خلا مسمعي من ذكرها فاستعدته  
وكم لي على حكم الهوى من تجلّد  
يقول سميري والأسا سالم الأسى  
لو أنّ مجوساً بتّ موقد نارها  
ولو كنت بخراً لم يكن فيه نضحة  
فلا رذم من نقب<sup>(٥)</sup> المعاول آمن  
فمم تقول الأسطقات<sup>(٧)</sup> منك أو  
فإن قام لم يثبت له منك قاعد  
فما أنت يا هذا الهوى؟ ماء أو هوا  
واني على صبري كما أنت<sup>(٨)</sup> واصف  
أقلّ الضنى أن عجّ من جسمي الضنى  
وأيسر شوقي أنني ما ذكرتها  
وأخفي الجوى قزع الصواعق منك في  
وأسهل ما ألقى من العذل أنني  
وأوج حظوظي اليوم حضيضها  
وأوجز أمري أن دهري كله

(١) في الأصل: «تألفنا» والتصويب من النفع.

(٢) طاوياً: أي طاوياً بطني من الجوع. طويت: قطعت واجتزت. لسان العرب (طوى).

(٣) في الأصل: «مُزَرَّقَةٌ» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفع.

(٤) استحرّت: اشتدت. محيط المحيط (حرر).

(٥) في الأصل: «نقيب» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفع.

(٦) في الأصل: «إلّاك شيد» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفع.

(٧) في الأصل: «الأسطقات» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفع.

(٨) في النفع: «أنا».

(٩) في الأصل: «أفلي» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفع.

وأغدو ما يعدو التفجع خطتي  
مساءئها في طي طيب المصرة  
وحسبك أن لم يُخبر الحب رؤيتي  
أوام بلا ري، دم لا بقيمة  
وإن ترض منها الصبر فهو نعتي<sup>(١)</sup>  
ركاب ملامي فهو أول محنتي  
وخلوا سبيلي ما استطعتم ولوعتي  
ولكن رأيت ذاك الجمال فجئت  
ورشدي غاير والعميات عمت  
وراجعت إبصاري<sup>(٢)</sup> له وبصيرتي

أروح وما يلقي التأسف راحتي  
وكالبيض يبيض الدهر والسمر سوده  
وشأن الهوى ما قد عرفت ولا تسأل  
سقام بلا برء، ضلال بلا هدى  
ولا عتب فالأيام ليس لها رضا  
ألا أيها اللوام عني قوضوا  
ولا تغذوني في البكاء ولا البكى  
فما سلسلت بالدمع عيني إن جئت  
تجلى وأرجاء الرجاء حوالك  
فلم يستب حتى كاني كاسف

### ومن فصل الاتصال<sup>(٣)</sup>: [الطويل]

عباب الردى بين الظبا والأسنة  
مشاهدتي لما سمّت بي همتي  
سوى صورة التنزيه في كل صورة  
فلم أنتبه حتى امتحى اسمي وكنيتي  
وعدت إلى اللاهوت بالمطمئنة  
ولم يبق دوني حاجب غير هيبتي  
ومن كل أحوالي مقامات رفعة  
مع المحو والإثبات عند تثبتي  
لبسطي وقبضي بسط وجه البسيطة  
وفي ملكوت النفس أكبر عبرة  
مع الشكر إذ لم يحظ فيه مثوبتي  
وأكني إذا هم صرحوا بالخبيثة  
كنوع، ففضل النوع علة حصتي

وكم موقف لي في الهوى خضت دونه  
فجاوزت في حدي مجاهدتي له  
وحل جمالي في الجلال فلا أرى  
وغبت عن الأغيار في تيه حالتي  
وكاتبنت ناسوتي بأماره الهوى  
وعلم يقيني صار عيناً حقيقة  
وبدلت بالتلوين تمكين عزّة  
وقد غبت بعد الفرق والجمع موقفي  
وكم جلت في سم الخياط<sup>(٤)</sup> وضاق بي  
وما اخترت إلا دن بقرط زاهداً  
وفقري مع الصبر اصطفي على الغنى  
وأكتم حبي ما كنى عنه أهله  
وإني في جنسي ومنه لواجد

(١) في الأصل: «بغيتي» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفع.

(٢) في الأصل: «إبصاري»، والتصويب من النفع.

(٣) القصيدة في نفع الطيب (ج ٧ ص ٣٠٨ - ٣٠٩) وجاء فيه: «وفي» بدل «ومن».

(٤) سم الخياط: ثقب الإبرة. محيط المحيط (سم) و(خيط).

إلى أن أجدى حيلتي ترك حيلتي  
مريدا وحزف في مقام العبادة  
فبت بجمع سد خرق التشتت  
وأقضي على قلبي برعي الرعية  
وبالقلب منه منزلا فيه حلت  
وأوجب الاسترقاق تسليم شفعة  
ويا قلب لا تجزع ظفرت بوخذة

تسببت في دعوى التوكل ذاهبا  
وأخر حزف صار مني أولا  
تعرفت يوم الوقف منزل قومها  
فأصبحت أقضي النفس منها منى الهوى  
فبايغتها بالنفس دارا سكنتها  
فخلص الاستحقاق نفسي من الهوى  
فيا نفس لا ترجع تقطع بيننا

### ومن فصل الإدلال<sup>(١)</sup>: [الطويل]

أبادت فؤداي من سناها بلفحة<sup>(٣)</sup>  
تبدت لها فيك القِران وقرت  
سماعي أعز، حالي أبين، قائلتي أضمت  
وتلوين أحوالي وتمكين رتبتي  
مراقبي نهايات، مراسي تثبت  
تقرب أشواقي تبعد حسرتي  
مباني بدايات، مثاني تلقت  
وردد سلام والرقيب بغفلة  
فويق محل عاطل دون دجية  
حوت أضلعي فعل القنا الساهرة  
على سوسن غص بجنة وجنة  
تعل بصرف الراح في كل سخرة  
ونكته يخبرك عن علم خبرة  
من الند<sup>(٦)</sup> لم تحمل به بنت مزنة  
ورقة ماء في قوارير فضة  
سراقة لحظ منك للمتلقت

تبدت<sup>(٢)</sup> لعيني من جمالك لمحة  
ومرت بسمعي من حديثك ملحمة  
ملامي أبين، عذري استبن، وجدي استعن  
فمن شاهدي سخط ومن قاتلي<sup>(٤)</sup> رضا  
مرامي إشارات، مراعي تفكير<sup>(٥)</sup>  
وفي موقفى والدار أقوت رسومها  
معاني أمارات، مغاني تذكر  
وبت غرام، والحبیب بحضرة  
ومطلع بذر في قضيب على نقا  
ومكن سخر بابلي له بما  
ومنبت مسك من شقيق ابن منذر  
ورصف اللاكي في اليواقيت كلما  
سلي السلسيل العذب عن طعم ريقه  
ورزمان كافور عليه طوبع  
ولطف هواء بين خفتي وبائة  
لقد عز الصبر حتى كانه

(١) القصيدة في نفح الطيب (ج ٧ ص ٣٠٩ - ٣١١).

(٢) في الأصل: «تبوت»، والتصويب من النفح. (٣) في الأصل: «بلفعة» والتصويب من النفح.

(٤) في النفح: «قائلي». (٥) في الأصل: «تكرر» والتصويب من النفح.

(٦) الند: عود يتبخر به. لسان العرب (ندد).

وأنت وإن لم تُبْقِ مني صِباةً  
وكلُّ فصيح منك يُسري لمسمعي  
تهوُّنُ عليَّ النَّفْسُ فيك وإنها  
فلإن تنظريني بالرُّضا تُشَفِّعْني  
وإن تذكريني والحياة بَقَيْنِدها  
وإن تذكريني بعدما أَسْكَنُ الثرى  
صَلِينِي وإلَّا جَدُّدِي الوعدُ تُذركي  
فما أُمُّ بَوِّ هَالِكٍ بِتَنُوفَةٍ<sup>(١)</sup>  
فلَمَّا رَأَتْهُ لَا يَنَازِعُ خَلْفَهَا  
بَكَتْ كُلَّمَا رَاحَتْ عَلَيْهِ وَإِنِهَا  
بِأَكْثَرِ مَنِّي لَوَعَةٌ غَيْرَ أَنِّي  
فَرَحْتُ كَمَا أَغْدُو إِذَا مَا ذَكَرْتُهَا  
أَهْوَنُ مَا أَلْقَاهُ إِلَّا مِنَ الْقَلَى  
أَخَوْضُ الصَّلَى أَطْفِي الْعُلَا وَالْعُلُو لَا  
إِلَّا قَاتَلَ اللَّهُ الْحَمَامَةَ غُدُوَّةً  
وَقَاتَلَ مَغْنَاهَا وَمَوْقِفَ شَجْوِهَا  
فَعَنَّتْ غِنَاءً أَعْجَمِيًّا فَهَيَّجَتْ  
فَأَرْسَلَتْ الْأَجْفَانُ سُخْبًا وَأَوْقَدَتْ  
نَظْرَتْ بِصَحْرَاءِ الْبَرِيقَيْنِ نَظْرَةً  
فِيَا لِهَمَّا قَلْبًا شَجِيًّا وَنَظْرَةً  
وَوَاعَجَبًا لِلْقَلْبِ كَيْفَ اعْتَرَفَهُ  
وَلِلْعَيْنِ لَمَّا سُوِّلَتْ كَيْفَ أَخْبَرَتْ  
وَكُنَّا سَلَكْنَا فِي صَعُودٍ مِنَ الْهَوَى  
إِلَى مَسْتَوَى مَا فَوْقَهُ فِيهِ<sup>(٢)</sup> مَسْتَوَى

مُنَى النَّفْسِ لَمْ تَقْصُدْ سِوَاكَ بِوُجْهَةٍ  
وَكُلُّ مَلِيحٍ مِنْكَ يَبْدُو لِمُقْلَتِي  
لِتَكْرُمَ أَنْ تَغْشَى سِوَاكَ بِنَظْرَةٍ  
وَإِنْ تُظْفِرِنِي بِاللِّقَا تُطْفِئَ غُلَّتِي  
عَدَلْتُ لِأُمَّتِي مُنِيَّتِي بِمُنِيَّتِي  
تَجَلَّتْ دُجَاهُ عِنْدَ ذَاكَ وَوَلَّتْ  
صِباةُ نَفْسٍ أَيْقَنْتُ بِتَفَلَّتْ  
أَقِيمَ لَهَا خَلْفَ الْجِلَابِ فَذَرَّتْ  
إِذَا هِيَ لَمْ تَزِيلَنَّ عَلَيْهِ وَضَّئَتْ  
إِذَا ذَكَرْتَهُ آخِرَ اللَّيْلِ حَنَّتْ  
رَأَيْتُ وَقَارَ الصَّبْرِ أَحْسَنَ جِلِيَّةٍ  
أَطَامَنُ أَحْشَائِي عَلَى مَا أَجَنَّتْ  
هَوَى وَنَوَى نَيْلُ الرُّضَا مِنْكَ بِغِيَّتِي  
أَصْلَ السَّلَا أَرعى الْخَلَى بَيْنَ عِبْرَتِي  
لَقَدْ أَضَلَّتِ الْأَحْشَاءُ نِيرَانًا لَوَعَةٍ  
عَلَى الْعُصْنِ مَاذَا هَيَّجَتْ حِينَ غَنَّتْ  
غَرَامِي مِنْ ذِكْرِي عَهْدِي تَوَلَّتْ  
جَوَايَ الَّذِي كَانَتْ ضُلُوعِي أَكُنْتُ<sup>(٣)</sup>  
وَصَلْتُ بِهَا قَلْبِي فَصَلَّى وَصَلَّتْ  
حِجَازِيَّةً لَوْ جُنَّ طَرَفٌ لَجُنَّتْ  
وَكَيْفَ بَدَتْ أَسْرَارُهُ خَلْفَ سِتْرَةٍ  
وَلِلنَّفْسِ لَمَّا وَطُنْتُ كَيْفَ دَلَّتْ  
يُسَامِي بِأَعْلَامِ الْعُلَا كُلَّ زُنْبَةٍ  
فَلَمَّا تَوَاقَيْنَا ثَبْتُ وَزَلَّتْ

(١) البؤ: ولد الناقة. التنوفة: الأرض الواسعة التي لا ماء فيها ولا إنسان. محيط المحيط (بو) و(تلف).

(٢) أكنْتُ: سترت. محيط المحيط (كنن).

(٣) كلمة «فيه» ساقطة من الإحاطة، وقد أضفناها من النفع.

وَكُنَّا عَقْدُنَا عُقْدَةَ الْوَصْلِ بَيْنَنَا  
مُؤَكَّدَةً بِالْئَذْرِ أَيَّامَ عَهْدِهِ  
عَلَى نَخْرِ قُرْبَانٍ لَدَى قَبْرِ شَيْبَةٍ  
فَلَمَّا تَوَأَّنَفْنَا اشْتَدَذْتُ وَحَلَّتْ

### ومن فصل الاحتفال<sup>(١)</sup>: [الطويل]

أَزُورُ اعْتِمَارًا أَزْضَهَا بَتْنَسُكُ  
وَفِي نَشَاتِي الْأُخْرَى ظَهَرْتُ بِمَا عَلْتُ  
وَلَوْلَا خَفَاءُ الرُّمُزِ لَا وَلَنْ وَلَمْ  
وَلَوْ لَمْ يُجَدِّدْ عَهْدُنَا عَقْدُ خِلَّةٍ  
بَعَثْتُ إِلَى قَلْبِي بِشِيرًا بِمَا رَأْتُ  
فَلَمْ يَغْدُ أَنْ شَامَ الْبَشَارَةَ شَامٌ مَا  
فِيَالِكَ مِنْ نُورٍ لَوْ أَنَّ التَّفَاتَةَ  
تَحَدَّثُ أَنْفَاسُ الصُّبَا أَنْ طَيَّبَهَا  
وَتَنْبِئُ آصَالُ الرَّبِيعِ عَنِ الرُّبَا  
وَتَخْبِرُ أَصَوَاتُ الْبَلَابِلِ أَنَّهَا  
فَهَذَا جَمَالِي مِنْكَ فِي بُغْدِ حَسْرَتِي  
تَبَدَّى وَمَا زَالَ الْحِجَابُ وَلَا دَنَا  
لَهُ كُلُّ غَيْرٍ فِي تَجَلِّيهِ مَظْهَرُ  
تَجَلِّي دَلِيلٍ وَاحْتِجَابُ تَنْزِهِ  
فَمَا شِئْتُ مِنْ شَيْءٍ وَأَكَيْتُ أَنَّهُ  
وَفِي كُلِّ خَلْقٍ مِنْهُ كُلُّ عَجِيبَةٍ  
وَفِي كُلِّ خَافٍ مِنْهُ مَكْمَنُ حِكْمَةٍ  
أَرَاهُ بِقَلْبٍ<sup>(٢)</sup> الْقَلْبِ وَاللُّغْزِ كَامِنًا  
وَفِي طَيِّ أَوْفَاقِ الْحِسَابِ وَسَرٍّ مَا  
وَفِي نَفْثَاتِ السُّحْرِ فِي الْعُقْدِ الَّتِي  
يَصُورُ شَكْلًا مِثْلَ شَكْلِ وَيَغْتَلِي

وَأَقْصَدُ حَجًّا بَيْتَهَا بِتَحَلَّةٍ  
لَهُ نَشَاتِي الْأُولَى عَلَى كُلِّ فِطْرَةٍ  
تَجْذُهَا لَشْمَلِي مَسْلَكًا بِتَشْتِثٍ  
قَضِيْتُ وَلَمْ يَقْضِ الْمُنَى صِدْقُ تَوْبَةٍ  
عَلَى قَدَمِ عَيْنَايَ مِنْهُ فَكَفَّتِ  
جَفَا الشَّامِ مِنْ نُورِ الصِّفَاتِ الْكَرِيمَةِ  
تُعَارِضُ مِنْهُ بِالنَّفُوسِ التَّفَافَةِ  
بِمَا حَمَلْتَهُ مِنْ حَرَاقَةِ حُرْقَةٍ  
وَأَشْجَارِهِ إِنْ قَدْ تَجَلَّتْ فَجَلَّتْ  
تَغْنَّتْ بِتَرْجِيْعِي<sup>(٣)</sup> عَلَى كُلِّ أَيْكَةٍ  
فَكَيْفَ بِهِ إِنْ قَرَّبْتَنِي بِخِلَّةٍ  
وَغَابَ وَلَمْ يُفَقِّدْهُ شَاهِدُ حَضْرَتِي  
وَلَا غَيْرٍ إِلَّا مَا مَحَتْ كَفُّ غَيْرَةٍ  
وَإِثْبَاتُ عِرْفَانٍ وَمَحْوُ تَثْبُتٍ  
هُوَ الشَّيْءُ لَمْ تَحْمَدُ فَجَارَ أَلْيَتِي  
وَفِي كُلِّ خُلُقٍ مِنْهُ كُلُّ لَطِيفَةٍ  
وَفِي كُلِّ بَادٍ مِنْهُ مَظْهَرُ جَلْوَةٍ  
وَفِي الزُّجَرِ وَالْقَالَ الصَّحِيحِ الْأَدْلَةُ  
يَتَمُّ مِنَ الْأَعْدَادِ فَابِدًا بِسُتَّةٍ  
تَطْوَعُ<sup>(٤)</sup> لَهَا كُلُّ الطَّبَاعِ الْأَبْيَةِ  
عَلَيْهِ بِأَوْهَامِ النَّفُوسِ الْخَبِيثَةِ

(١) القصيدة في نفح الطيب (ج ٧ ص ٣١١ - ٣١٣).

(٢) الترجيع: ترديد الصوت، وأراد هنا الغناء. لسان العرب (رجع).

(٣) في الأصل: «يقلب» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفع.

(٤) في الأصل: «تطوع» وهكذا ينكسر الوزن.

اختلاج وفي التّفويم مَجلى لرؤية  
مواعيدُ عَزَقوبٍ على إثر صُفرة  
فبان بها حَمَلٌ لأقربِ مدّة  
أتى فيه عن غير البريّة واسكت  
يُبَيّنُ منها النّظّم كلّ خِفية  
كُنوز وتغوير المياه المَعينة  
وحزبٍ أصيلٍ الشّاذليّ وبكرة  
من سَبعينَ إذ يُعزى إلى شرٍّ بدعة  
بها أوهموا لَمّا تساموا بسنة  
حَوَى الكونُ إلّا ناطقًا بعجوبة  
ولا جَهَرَ إلّا وهو فيه كحليّة  
عليه الكلامُ من حُرُوف سليمة  
أتت فيه أمضى عَدها وتثبّت  
ولا ظَلَمَ إلّا ظَلَمَ صاحبِ حِكْمَة  
لعاجل مَسُّ البردِ خوفي لميئتي  
دَرَجَتْ رجائي أنْ نَعَثني خِبتِي  
قضى العَثْبُ مَنّي بُغيةً بَغْدَ وخشتي  
كما هوئْتُ بالصبر كلّ بَلِيّة

وفي كلّ تَضحيفٍ وعضوٍ بذاته  
وفي حُضرة الكَمونِ تُزجى شِرابه  
وفي شَجَرٍ قد حُوِّقَتْ قُطْع أصلها  
وفي النّخل في تَلقيحه واعتبر بما  
وفي الطابع السّبتي في الأحرف التي  
وفي صَنعة الطّلسم والكيمياء والـ  
وفي جِرز أقسام المؤدّبِ مُخرِزٍ  
وفي سيمياء الحاتميّ ومذهب ابـ  
وفي المثل الأولى وفي النّحل الألى  
وفي كل ما في الكون من عجبٍ وما  
فلا سرٌّ إلّا وهو فيه سريرة  
سلّ الذّكر عن أنصاف أصناف ما ابتنى  
وعن وَضعها في بعضها وبلوغ ما  
فلا بدّ من رَمز الكنوز لذي الحِجا  
ولولا سلامٌ ساقٍ للأمن خِيفتي  
ولو لم تداركني ولكن بعطفها  
ولو لم تُؤانسني عَنّا قبل لم ولم  
ونعم أقامت أمرَ ملكي بشكرها

### ومن فصل الاعتقال<sup>(١)</sup>: [الطويل]

وسارث ولم تُثْنِ العِنانَ بعطفة  
مُحيًا ابنة الحَيّين في خَير ليلة  
لما أبصرت عيناك حيّا كميّت  
لكلّ نجاشيّ بها حِضنَ ذمّة  
سوى وقفة التّوديع حتى استقلّت

سَرَتْ بفؤادي إذ سَرَتْ فيه نظرتي  
وذلك لما أطلّع الشمسَ في الدّجى  
يمانيّة لو أنجَدْتُ حين أنجَدْتُ<sup>(٢)</sup>  
لأضْحَمَة<sup>(٣)</sup> في نُضحها قدّم بنى  
ألَمْتُ فَحَطَّت رَحْلها ثم لم يكن

(١) القصيدة في نفح الطيب (ج ٧ ص ٣١٣ - ٣١٥).

(٢) أنجَدْتُ الأولى: من النجدة. وأنجَدْتُ الثانية: دخلت نجداً. لسان العرب (نجد).

(٣) أضحمة: هو نجاشي الحبشة، الذي استقبل بالحبشة مهاجري المسلمين وأحسن معاملاتهم، ولما توفي صلى عليه النبي ﷺ صلاة الغائب.

فلو سَمَحَتْ لي بِالتَّيْفَاتِ وَحُلٍّ مِنْ  
 وَلَكِنهَا هَمَّتْ بِنَا فَتَذَكَّرْتُ  
 أَجَلْتُ خَيْالًا إِنْنِي لَا أَجِلُّهُ  
 عَلَى أَنَّنِي كُلِّي وَبَعْضِي حَقِيقَةٌ  
 وَجِنْسِي وَقَضَلِي وَالْعَوَارِضُ كُلُّهَا  
 وَجِسْمِي وَنَفْسِي وَالْحَشَا وَغَرَامُهُ  
 وَفِي كُلِّ لَفْظٍ عَنْهُ مِثْلٌ لِمَسْمَعِي  
 وَدَهْرِي بِهِ عَيْدٌ لِيَوْمِ غُرُوبِهِ  
 وَوَقْتِي شَهْوَةٌ فِي فَنَاءِ شَهِيدَتِهِ  
 أَرَاهُ مَعِيَ جِسًّا وَوَهْمًا وَإِنِّهِ  
 وَأَسْمَعُهُ مِنْ غَيْرِ نُطْقٍ كَأَنَّهُ  
 مَلَأَتْ بِأَنْوَارِ الْمَحَبَّةِ بَاطِنِي  
 وَجَلَّيْتُ بِالْإِجْلَالِ أَرْجَاءَ ظَاهِرِي  
 فَأَنْتَ الَّذِي أَخْفَيْهِ عِنْدَ تَسْتُرِي  
 فَتَهُ أَحْتَمِلُ، وَأَقْطَعُ أَصْلَ وَأَعْلَى اسْتَفْلَنْ  
 فَقَلْبِي إِنْ عَاتَبْتَهُ فَيْكَ لَمْ أَجْذُ  
 وَنَفْسِي تَنْبُو عَنْ سَوَاكَ نَفَاسَةً  
 تَعَلَّقَتْ الْأَمَالُ مِنْكَ بِفَوْقَ مَا  
 وَحَامَتْ حَوَالِيهَا وَمَا وَافَقَتْ جَمِّي  
 فَلَوْ فَاتَنِي مِنْكَ الرِّضَى وَلِحِقْتَنِي  
 وَلَوْ كُنْتُ فِي أَهْلِ الْيَمِينِ مُنْعَمًا  
 وَكَمْ مِنْ مَقَامٍ قَمْتُ عَنْكَ مَسَائِلًا  
 أَتَيْتُ بِفَارَابِ أَبَا نَضْرَهَا فَلَمْ  
 وَلَمْ يَذِرْ قَوْلِي ابْنُ سَيْنَاءَ سَائِلًا  
 فَهَلْ فِي ابْنِ رُشْدٍ بَعْدَ هَذَيْنِ مُرْتَجَى  
 لَقَدْ ضَاعَ لَوْلَا أَنْ تَدَارَكْنِي جَمِّي  
 فَقَيِّضْ لِي نَهْجًا إِلَى الْحَقِّ سَالِكًا

مهاوي الهوى والهون جدَّ تَفَلَّتِي  
 قَضَاءُ قُضَاةِ الْحُسْنِ قَدْ مَأْ فَصَدَّتْ  
 وَلَمْ أَنْتَسِبْ مِنْهُ لَغَيْرِ تَعِلَّةٍ  
 وَبَاطِلُ أَوْصَافِي وَحَقُّ حَقِيقَتِي  
 وَنَوْعِي وَشَخْصِي وَالْهَوَاءُ وَصُورَتِي<sup>(١)</sup>  
 وَعَقْلِي وَرُوحَانِيَّتِي الْقُدْسِيَّةُ  
 وَفِي كُلِّ مَعْنَى مِنْهُ مَعْنَى لِلْوَعْتِي  
 وَأَمْرِي أَمْرِي وَالْوَرَى تَحْتَ قَبْضَتِي  
 وَلَا وَقْتُ لِي إِلَّا مَشَاهِدُ غَيْبَةٍ  
 مَنَاطُ الثَّرِيَّا مِنْ مَدَارِكِ رُؤْيَتِي  
 يُلَقِّنُ سَمْعِي مَا تُوسَّوْسُ مُهْجَتِي  
 كَأَنَّكَ نَوْرٌ فِي سِرَارِ سَرِيرَتِي  
 كَأَنَّكَ فِي أَقْفِي كَوَاكِبُ زِينَةٍ  
 وَأَنْتَ الَّذِي أَبْدِيهِ فِي حِينِ شُهُرَتِي  
 وَمُزْ أَمْتِثِلُ وَأَمْلِلُ أَمِلْ، وَازِمُ أَثْبِتْ  
 لَعَثْبِي فِيهِ الدَّهْرَ مَوْقِعَ نُكْنَةٍ  
 فَلَا تَنْتَمِي إِلَّا إِلَيْكَ بِمِئْنَةٍ  
 أَرَى دُونَهُ مَا لَا يُنَالُ بِحِيلَةٍ  
 سَحَابُ يَأْسٍ أَمْطَرَتْ مَاءَ غَبْرَتِي  
 بَعْفُو بِكَيْتِ الدَّهْرِ فَوْتُ فَضِيلَةٍ  
 بِكَيْتِ عَلَى مَا كَانَ مِنْ سَبْقِيَّةٍ  
 أَرَى كُلَّ حَيٍّ كُلَّ حَيٍّ وَمَيِّتٍ  
 أَجْذُ عِنْدَهُ عِلْمًا يُبَرِّدُ غُلَّتِي  
 فَقُلْ كَيْفَ أَرْجُو عِنْدَهُ بُرْءَ عِلَّتِي  
 وَفِي ابْنِ طُفَيْلٍ لَاحِثَاتِ مَطِيَّتِي؟  
 مِنْ اللَّهِ سَعْيٍ بَيْنَهُمْ طَوْلُ مُدَّتِي  
 وَأَيْقُظْنِي مِنْ نَوْمٍ جَهْلِي وَعَفَلْتِي

(١) يستعمل الشاعر في هذا البيت اصطلاحات علم المنطق.



فَحَصَّنْتُ أَنْظَارَ الْجُنَيْدِ<sup>(١)</sup> جُنَيْدِهَا  
وَكَسَّرْتُ عَنْ رَجُلِ ابْنِ أَدَهَمٍ أَذْهَمَا  
وَعُدْتُ عَلَى خَلَاجِ شُكْرِي<sup>(٢)</sup> بَصْلِبِهِ  
فَقَوْلِي مَشْكُورٌ وَرَأْيِي نَاجِحٌ  
رَضِيْتُ بِعِزِّفَانِي فَأَغْلَيْتُ لِلْعَلَا  
فَعَشْتُ وَلَا ضَيْرًا أَخَافُ وَلَا قِلَى  
فَهَا أَنَا ذَا أُمْسِي وَأُضْبَحَ بَيْنَهُم

وَأُنَشِدُنِي قَوْلَهُ فِي حَالِ قَبْضٍ وَقَيْدَتِهَا عَنْهُ<sup>(٤)</sup>: [الطويل]

إِلَيْكَ بِسَطْتُ الْكَفَّ أَسْتَنْزِلُ الْفَضْلَا  
وَهَا أَنَا ذَا قَدِ قَمْتُ<sup>(٥)</sup> يُقَدِّمُنِي الرَّجَا  
أَقْدَمُ رَجُلًا إِنْ يَضِيءُ بَرْقُ مَطْمَعٍ  
وَلِي عَثْرَاتٌ لَسْتُ أَمَلُ أَنْ هَوَتْ  
فَإِنْ تُدْرِكْنِي رَحْمَةٌ أَنْتَعَشْ بِهَا

قال، ومما نظمته من الشعر<sup>(٧)</sup>: [مجزوء الكامل]

وَجَدْتُ تُسَعِّرُهُ الضَّلُو  
هَمُّ تَحَرُّكِهِ الصُّبَا  
أَمَلِي<sup>(٨)</sup> إِذَا وَصَلَ الرَّجَا  
بِاللَّهِ يَا هَذَا الْهَوَى  
عُ مَا تُبَرِّدُهُ الْمَدَامِغُ  
بُهُ وَالْمَهَابَةُ لَا تُطَاوِغُ  
أَسْبَابُهُ فَالْمَوْتُ قَاطِعُ  
مَا أَنْتَ بِالْعُشَّاقِ صَانِعُ؟

قال: ومما كتبت به لمن بلغني عنه بعض الشيء<sup>(٩)</sup>: [الرمل]

نَحْنُ، إِنْ تَسْأَلُ بَنَاسٍ، مَعَشَرٌ  
عَرَبٌ مِنْ بِيضِهِمْ أَرْزَاقُهُمْ  
أَهْلُ مَاءٍ فَجَرَّتُهُ الْهِمَمُ  
وَمِنْ السُّمْرِ الطُّوَالِ الْخَيْمُ

(١) في الأصل: «الجند» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفع.

(٢) في الأصل: «سكري» والتصويب من النفع. (٣) في الأصل: «التفاني» والتصويب من النفع.

(٤) الأبيات في نفع الطيب (ج ٧ ص ٣١٥).

(٥) في الأصل: «قدمت» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفع.

(٦) في النفع: «ويحجم بي». (٧) الأبيات في نفع الطيب (ج ٧ ص ٣١٥).

(٨) في النفع: «أمل».

(٩) الأبيات في نفع الطيب (ج ٧ ص ٣١٥ - ٣١٦).

عَرَضْتُ أَحْسَابَهُمْ أُرْوَاهُمْ      دُونَ نَيْلِ الْعِرْضِ وَهِيَ الْكَرَمُ  
أُورِثُونَا الْمَجْدَ حَتَّى إِنَّا      نَزَرْتُضِي الْمَوْتَ وَلَا نَزْدَحِمُ  
مَا لَنَا فِي النَّاسِ مِنْ ذَنْبٍ سِوَى      أَنَّنَا نَلْوِي إِذَا مَا اقْتَحَمُوا  
قال: ومما قلته مذيلاً به قول القاضي أبي بكر بن العربي<sup>(١)</sup>: [مجزوء الوافر]

أَمَّا وَالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى      وَمَا يُتْلَى بِهِ نَصًّا  
لَقَدْ رَقَصَتْ بَنَاتُ الشَّوْ      قِ بَيْنَ جَوَانِحِي رَقْصَا  
قولي: [مجزوء الوافر]

فَأَقْلَعَ بِي إِلَيْهِ هَوَى      جَنَاحَا عَزَمُهُ قُصَا<sup>(٢)</sup>  
أَقْلَأَ الْقَلْبَ وَاسْتَعْدَى      عَلَى الْجُثْمَانِ فَاسْتَغْصَى  
فَقَمْتُ أَجُولَ بَيْنَهُمَا      فَلَا أَدْنَى وَلَا أَقْصَى

قال: ومما قلته في التورية بشأن راوي المدونة<sup>(٣)</sup>: [البسيط]

لَا تَغْجَبَنَّ لَطْبِي قَدْ دَهَا أَسَدًا      فَقَدْ دَهَا أَسَدًا مِنْ قَبْلُ سُحْنُونُ  
قال: ومما قلته من الشعر<sup>(٤)</sup>: [البسيط]

أَنْبَتَ عَوْدًا بِنِعْمَاءٍ<sup>(٥)</sup> بَدَأَتْ بِهَا      فَضْلًا وَأَلْبَسَتْهَا بَعْدَ اللَّحَى الْوَرَقَا  
فَظُلٌّ مُسْتَشْعِرًا مُسْتَدَثِّرًا أَرْجَا<sup>(٦)</sup>      رِيَّانَ ذَا بَهْجَةٍ يَسْتَوْقِفُ الْحَدَقَا  
فَلَا تَشْنُهُ بِمَكْرُوهِ الْجَنَى فَلَكُمْ      عَوْدَتَهُ مِنْ جَمِيلٍ مِنْ لَدُنْ خُلُقَا  
وَأَنْفِ الْقَدَى عَنْهُ وَأَثَرِ الدَّهْرِ مِنْبَتِهِ      وَعَدُوَّ بَرَجَاءٍ وَاسْقِهِ غَدَقَا<sup>(٧)</sup>  
وَاحْفَظْهُ مِنْ حَادِثَاتِ الدَّهْرِ أَجْمَعَا      مَا جَاءَ مِنْهَا عَلَى ضَوْءٍ وَمَا طَرَقَا

ومما قيِّدْتُ عنه أيام مجالسته ومقامه بغرناطة، وقد أجرى ذكر أبي زيد ابن الإمام، أنه<sup>(٨)</sup> شهد مجلساً بين يدي السلطان أبي تاشفين عبد الرحمن بن أبي حمو،

(١) الأبيات في نفع الطيب (ج ٧ ص ٣١٦).

(٢) أفلح: نشر شراع السفينة، وهنا يشبه الهوى بالملاح.

(٣) البيت في نفع الطيب (ج ٧ ص ٣١٦). (٤) الأبيات في نفع الطيب (ج ٧ ص ٣١٧).

(٥) في النفع: «لنعماء».

(٦) مستشعراً: لابساً الشعار، وهو اللباس الذي يلامس البدن. مستدثراً: لابساً الدثار. لسان العرب (شعر) و(دثر).

(٧) الغدق: بالفتح: الماء الكثير. لسان العرب (غدق).

(٨) النص في نفع الطيب (ج ٧ ص ٢٠٨ - ٢١١).

ذكر فيه أبو زيد المذكور، أن ابن القاسم مُقَيَّد بالنظر بأصول مالك، ونازعه أبو موسى عُمران بن موسى المِشْدَالِي<sup>(١)</sup>، وادَّعى أنه مُطلق الاجتهاد، واحتج له بمخالفته لبعض ما يرويه أو<sup>(٢)</sup> يبلغه عنه لما ليس من قوله، وأتى من ذلك بنظائر كثيرة. قال: فلو تَقَيَّد بمذهبه لم يخالفه لغيره، فاستظهر أبو زيد بنصَّ لشرف الدين بن<sup>(٣)</sup> التلمساني، ومثل فيه الاجتهاد المخصوص باجتهاد ابن القاسم بالنظر إلى مذهب مالك، والمزني إلى الشافعي. فقال أبو موسى عُمران<sup>(٤)</sup>: هذا مثال، والمثال لا يلزم<sup>(٥)</sup> صحته، فصاح به أبو زيد<sup>(٦)</sup> ابن الإمام وقال لأبي عبد الله بن أبي عمر<sup>(٧)</sup>: تكلّم، فقال: لا أعرف ما قال هذا الفقيه، والذي أذكره من كلام أهل العلم أنه لا يلزم من فساد المثال فساد المُمَثِّل به، فقال أبو موسى للسلطان: هذا كلام أصولي مُحَقَّق، فقلت لهما<sup>(٨)</sup> يومئذ، وأنا حديث السن: ما أنصفهما<sup>(٩)</sup> الرَّجُل، فإن المثل<sup>(١٠)</sup> كما يؤخذ على جهة التحقيق، كذلك يؤخذ على جهة التقريب، ومن ثمَّ جاء ما قال<sup>(١١)</sup> هذا الشيخ، أعني ابن أبي عمران<sup>(١٢)</sup>، وكيف لا وهذا سبويه يقول: وهذا مثال ولا يُتكلّم به، فإذا صحَّ أن المثال قد يكون تقريبًا، فلا يلزم صحة المثال، ولا فساد المُمَثِّل لفساده، فهذان القولان من أصل واحد.

وقال: شهدت مجلسًا آخر عند هذا السلطان، فُرى فيه على أبي زيد ابن الإمام حديث: «لَقِنُوا مَوْتَائِكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، من<sup>(١٣)</sup> صحيح مُسْلَم، فقال له الأستاذ أبو إسحاق بن حكم السُّلُوي: هذا المُلَقَّن مُخْتَصِر حَقِيقَةٌ، مَيِّتٌ مَجَازًا، فما وجه ترك مُخْتَصِرِكُمْ إلى مَوْتَائِكُمْ، والأصل الحَقِيقَةُ؟ فأجابه أبو زيد بجواب لم يُفْنعه. وكنت قد قرأت على الأستاذ بعض «التنقيح»، فقلت: زعم القرافي أن المُشْتَقَّ إنما يكون حَقِيقَةً في الحال، مجازًا في الاستقبال، مختلفًا فيه في الماضي، إذا كان محكومًا به. وأما<sup>(١٤)</sup> إذا كان متعلقًا بالحكم كما هنا، فهو حَقِيقَةٌ مُطْلَقًا إجماعًا، وعلى هذا التقرير لا مجاز ولا سؤال. ولا يقال: إنه احتجَّ على ذلك بما فيه نظر؛ لأننا نقول: إنه نقل الإجماع، وهو أحد الأربعة التي لا يُطالب عنها<sup>(١٥)</sup> بالدليل، كما ذكر أيضًا. بل

(١) في النفع: «المشْدَالِي».

(٣) كلمة «بن» غير واردة في نفع الطيب.

(٢) في النفع: «ويلبغه».

(٤) في النفع: «فقال عمران».

(٦) في النفع: «أبو موسى».

(٨) في النفع: «لهما وأنا يومئذ حديث...».

(١٠) في النفع: «المُثَلَّ كما تؤخذ».

(١٢) في النفع: «عمرو».

(١٤) في النفع: «أما».

(٥) في النفع: «تلزّم».

(٧) في النفع: «عمرو».

(٩) في النفع: «أنصفتهما».

(١١) في النفع: «قاله».

(١٣) في النفع: «في».

(١٥) في النفع: «مدعيها».

نقول: إنه أساء حيث احتج في موضع الوفاق، كما أساء اللخمي وغيره في الاحتجاج على وجوب الطهارة ونحوها. بل هذا أشنع، لكونه مما علم كونه من الدين ضرورة<sup>(١)</sup>. ثم إننا لو سلمنا نفي الإجماع، فلنا أن نقول: إن ذلك إشارة إلى ظهور العلامات التي يعقبها الموت عادة؛ لأن تلقيه قبل ذلك، إن لم يدهش، فقد يوحش، فهو تنبيه على وقت التلقين: أي لقنوا من تحكمون بأنه ميت. أو يقال<sup>(٢)</sup>: إنما عدل عن الاحتضار لما فيه من الإبهام، ألا ترى اختلافهم فيه: هل هو<sup>(٣)</sup> أخذ من حضور الملائكة أو حضور الأجل، أو حضور الجلاس؟ ولا شك أن هذه حالة خفية يحتاج في نصها<sup>(٤)</sup> إلى دليل الحكمة أو إلى وصف ظاهر يضبطها، وهو ما ذكرناه، أو من حضور الموت، وهو أيضاً مما لا يعرف بنفسه، بل بالعلامات. فلما وجب اعتبارها، وجب كون تلك التسمية إشارة إليها، والله أعلم.

وقال: وكان أبو زيد يقول، فيما جاء من الأحاديث: ما<sup>(٥)</sup> معنى قول ابن أبي زيد: «وإذا سلم الإمام، فلا يلبث<sup>(٦)</sup> بعد سلامه ولينصرف»، وذلك بعد أن ينتظر<sup>(٧)</sup> من يسلم من خلفه لثلا يمر بين يدي أحد، وقد ارتفع عنه حكمه، فيكون كالدخل مع المسبوق جمعاً بين الأدلة.

وقلت<sup>(٨)</sup>: وهذا من ملح الفقيه. وقال: كان أبو زيد يعني الإمام، يصحف قول الخونجي في الجمل والمقارنات التي يمكن اجتماعه معها، فيقول: «المفارقات»، ولعله في هذا كما قال أبو عمرو بن العلاء للأصمعي لما قرأ عليه: [مجزوء الكامل]

وَعَزَزْتَنِي وَزَعَمْتَ أَنْكَ لَا بِنَ فِي الضَّيْفِ<sup>(٩)</sup> تَامَزْ

فقال: [مجزوء الكامل]

وَعَزَزْتَنِي وَزَعَمْتَ أَنْكَ لَا تَنِي<sup>(١٠)</sup> بِالضَّيْفِ تَامَزْ

فقال: أنت في تصحيفك أشهر من الحطيفة، أو كما يحكى<sup>(١١)</sup> عن الشافعي أنه لما صلى في رمضان بالخليفة، لم يكن يومئذ يحفظ القرآن، فكان ينظر في

(١) في النفع: «بالضرورة».

(٢) كلمة «هو» غير واردة في النفع.

(٣) في النفع: «في نصيها دليلاً على الحكم إلى وصف».

(٤) في النفع: «من».

(٥) في النفع: «يتنظر بقدر ما يسلم...».

(٦) في النفع: «قلت».

(٧) في النفع: «بالضيف».

(٨) في النفع: «كما حكى عن صلي بالخليفة في رمضان، ولم...».

المصحف، وقرأ الآية «صنعة الله أصيب بها من أساء. إنما المشركون نحس. وعدها إياه»<sup>(١)</sup>، تقية لكم خير لكم. هذا أن دعوا للرحمن ولذا، لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه»<sup>(٢)</sup>.

وقال<sup>(٣)</sup>: وذكر أبو زيد ابن الإمام في مجلسه يوماً أنه سُئل بالمشرق عن هاتين الشريطتين<sup>(٤)</sup>: «وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ»<sup>(٥)</sup>، فإنهما يستلزمان<sup>(٦)</sup> بحكم الإنتاج «ولو علم الله فيهم خيراً لتولوا وهم معرضون» وهو محال. ثم أراد أن يرى ما عند الحاضرين، فقال ابن حكم: قال الخونجي: والإهمال بإطلاق لفظه، لو وأن في المتصلة، فهاتان القضيتان على هذا مُهملتان، والمهملة في قوة الجزئية، ولا قياس على<sup>(٧)</sup> جزئيتين. فلما اجتمعت ببجاية بأبي علي حسين بن حسين، أخبرته بهذا، وبما أجاب به الزمخشري وغيره، مما يرجع إلى انتفاء أمر<sup>(٨)</sup> تكرار الوسط. فقال لي: الجوابان في المعنى سواء؛ لأن القياس على الجزئيتين إنما امتنع لانتفاء أمر تكرار<sup>(٩)</sup> الوسط. وأخبرت بذلك شيخنا أبا عبد الله الآبلي، فقال: إنما يقوم القياس على الوسط، ثم يشترط فيه بعد ذلك أن لا يكون من جزئيتين ولا سالتين، إلى سائر ما يُشترط، فقلت: ما المانع من كون هذه الشروط تفصيلاً لمُجمل ما ينبني عليه الوسط<sup>(١٠)</sup> وغيره، وإلا فلا مانع لما قاله ابن حسين. قال الآبلي: وأجبتُ بجواب السُّلوي، ثم رجعت إلى ما قاله الناس، لوجوب كون مُهملات القرآن كلية؛ لأن الشرطية لا تنتج جزئية. فقلت: هذا فيما يُساق منها للحجة مثل «لَوْ كَانَ فِيهِمَا ءَالِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا»<sup>(١١)</sup>. أما في مثل هذا فلا قلت<sup>(١٢)</sup>. وكان يلزم السؤال الأول لو لم يكن للمتولي سبب تأخر، حسبما تبين في مسألة، لو لم يطع الله، فلينظر ذلك في اسم شيخنا أبي بكر يحيى بن هذيل رحمه الله.

وقال<sup>(١٣)</sup>: لما ورد تلمسان الشيخ الأديب أبو الحسن بن قزحون، نزيل طيبة، على تربتها السلام، سأل ابن حكم عن معنى هذين البيتين: [الوافر]

- 
- (١) في النسخ: «أباه».
- (٢) في النسخ: «أباه».
- (٣) النص في نفع الطيب (ج ٧ ص ٢١٥).
- (٤) في النسخ: «الشرطيتين».
- (٥) سورة الأنفال ٨، الآية ٢٣.
- (٦) في النسخ: «تستلزمان».
- (٧) في النسخ: «عن».
- (٨) في النسخ: «انتفاء تكرار الوسط».
- (٩) في النسخ: «تكرر».
- (١٠) في النسخ: «من الوسط».
- (١١) سورة الأنبياء ٢١، الآية ٢٢.
- (١٢) كلمة «قلت» غير واردة في النسخ.
- (١٣) النص في نفع الطيب (ج ٧ ص ٢١٥ - ٢١٨).

رَأَتْ قَمَرَ السَّمَاءِ فَأَذْكَرْتَنِي      لِيَالِي وَضِلْنِي<sup>(١)</sup> بِالرُّقْمَتَيْنِ  
كَلَانَا نَاطِرُ قَمَرًا وَلَكِنْ      رَأَيْتُ بَعِينَهَا وَرَأْتُ بَعِينِي

ففكر ثم قال: لعل هذا الرجل كان ينظر إليها، وهي تنظر إلى قمر السماء، فهي تنظر إلى القمر حقيقة، وهو لَقْرَطُ<sup>(٢)</sup> الاستحسان يرى أنها الحقيقة. فقد رأى بعينها لأنها ناظرة الحقيقة. وأيضًا وهو ينظر إلى قمر مجازًا، وهو لإفراطه استحسانها<sup>(٣)</sup> يرى أن قمر السماء هو المجاز، فقد رأت بعينه؛ لأنها ناظرة المجاز. قلت: ومن هذا يُعلم وجه الفاء في قوله تعالى: ﴿فَأَذْكَرْتَنِي﴾ والفاء فأذكرتني بمثابة قولك أذكرتني، فتأمل، فإن بعض مَنْ لا يفهم كلام الأستاذ كل<sup>(٤)</sup> الفهم، ينشده: «وأذكرتني». فالفاء في البيت الأول، مُنبِّهة على الثاني، وهذا النحو يسمى «الإيذان في علم البيان».

وقال: سألتني ابنُ حكيم عن نسب هذا<sup>(٥)</sup> المُجِيب في هذا البيت: [الكامل]

وْمُهَفِّهَفِ الْأَعْطَافِ قُلْتُ لَهُ انْتَسِبْ      فَأَجَابَ مَا قَتْلُ الْمُحِبِّ حَرَامٌ

ففكرت ثم قلت له<sup>(٦)</sup>: أراه تميميًا؛ لإلغائه «ما» النافية. فاستحسنه مني لصغر سني يومئذ. وسأل ابنُ فرحون ابنَ حكيم يومًا<sup>(٧)</sup>: هل تجد في التَّنْزِيلِ سِتَّ فَاءَاتٍ مُرْتَبَةً تَرْتِيبَهَا فِي هَذَا الْبَيْتِ: [البسيط]

رَأَى فَحَبَّ فَرَامَ الْوَضِلِ فَاْمْتَنَعْتُ      فَسَامَ صَبْرًا فَأَغْيَا نَيْلَهُ فَقَضَى

ففكر ابن<sup>(٨)</sup> حكيم، ثم قال: نعم قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَطَافَ عَلَيَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُوَ تَائِبُونَ﴾<sup>(٩)</sup> فَاتَّبَعَتْ كَالْمَرْبِمْ ﴿فَنَادَا﴾<sup>(١٠)</sup> إِلَى آخِرِهَا، فَمَنْعَتْ لَهُ الْبِنَاءَ فِي ﴿فَنَادَا﴾. فقال لابن فرحون: فهل عندك غيره؟ فقال: نعم، قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾<sup>(١١)</sup> إِلَى آخِرِهَا، فَمَنْعَ لَهُمْ بِنَاءَ الْآخِرَةِ لِقِرَاءَةِ الْوَاوِ. فقلت له: امنع ولا تُسند، فيقال<sup>(١٢)</sup>: إن المعاني قد تختلف باختلاف الحروف، وإن كان السُّنْدُ لَا يَسْمَعُ الْكَلَامَ عَلَيْهِ. وأكثر ما وجدت الفاء تنتهي في كلامهم إلى هذا العدد، سواء بهذا الشرط وبدونه، كقول نوح عليه السلام: ﴿فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجِئُوا أُنْرَكُمْ

(١) في النسخ: «وصلها».

(٢) في النسخ: «الاستحسان لها يرى...».

(٣) كلمة «هذا» غير واردة في النسخ.

(٤) كلمة «له» غير واردة في النسخ.

(٥) كلمة «يومًا» غير واردة في النسخ.

(٦) في النسخ: «فذكر ثم قال».

(٧) سورة القلم ٦٨، الآيات ١٩ - ٢١.

(٨) سورة الشمس ٩١، الآية ١٣.

(٩) في النسخ: «فيقال لك».

وَشَرَّكَاءُكُمْ<sup>(١)</sup>. وكقول امرئ القيس: «غشيت ديار الحيّ بالبكرات، البيتين<sup>(٢)</sup>». لا يقال قوله: فالحب<sup>(٣)</sup> سابع؛ لأننا نقول إنه عطف على «عاقل» المجرد منها، ولعلّ حكمة الستة أنها أول الأعداد التامة، كما قيل في حكمة خلق السموات والأرض فيها، وشأن اللسان عجيب.

وقال<sup>(٤)</sup>: سمعت ابن حكم يقول: كتب<sup>(٥)</sup> بعض أدباء فاس إلى صاحب له: [المجتث]

ابْعَثْ إِلَيَّ بِشَيْءٍ      مَدَارُ فَاسٍ عَلَيْهِ  
وليس عندك شيء      مِمَّا أَشِيرُ إِلَيْهِ  
فبعث إليه ببطّة من مزي<sup>(٦)</sup> شرب، يشير بذلك إلى الرّياء.

وحدّث أن قاضيها أبا محمد عبد الله بن أحمد بن المَلْجُوم دعي<sup>(٧)</sup> إلى وليمة، وكان كثير البَلْغَم، فوضع بين يديه صِهره أبو العباس بن الأشقر غُضَارًا من اللُّوز المطبوخ بالمزّي، لمناسبته لمزاجه، فخاف أن يكون قد عَرَّضَ له بالرياء. وكان ابن الأشقر يُذكر بالوقوع في الناس، فقدّم<sup>(٨)</sup> له القاضي غُضَارَ المَقْرُوض، فاستحسن الحاضرون فطنته.

وقال عند ذكر شيخه أبي محمد عبد الله بن عبد الواحد المجاصي: دخلت عليه بالفقيه أبي عبد الله السّطي في أيام عيد، فقدّم لنا طعامًا، فقلت: لو أكلت معنا، فرجونا بذلك ما يُرفع من حديث «مَن أكل مع مغفور له، غُفِرَ له» فتبسّم، وقال لي: دخلت على سيدي أبي عبد الله الفاسي بالإسكندرية، فقدّم

(١) سورة يونس ١٠، الآية ٧١.

(٢) بيتا امرئ القيس هما [الطويل]:

غَشِيتُ دِيَارَ الْحَيِّ بِالْبَكْرَاتِ      فَعَارِمَةٌ فُبُرْقَةٌ الْعِيرَاتِ  
فَقَوْلُ فَحْلِيَّتٍ فَمَنْعِجٍ      إِلَى عَاقِلٍ فَالْحُبُّ ذِي الْأَمْرَاتِ  
ديوان امرئ القيس (ص ٧٨).

(٣) في النفع: «فالحب».

(٤) النص في نفع الطيب (ج ٧ ص ٢١٨ - ٢٢١).

(٥) في النفع: «بعث».

(٦) البطّة: إناء كالقارورة. محيط المحيط (بطط). والمزّي، بتشديد الراء: نوع من مستحضرات تتخذ في صنع الأطعمة، ويقال إنه مركب يصنع من الدقيق والملح والعسل والتمر وأشياء أخرى. ويقال هو نوع يعمل من السمك المالح واللحوم المالحه. ملحق معجم المعاجم العربية لدوزي (مادة مزي) وكتاب الطبخ في المغرب والأندلس في عصر الموحدين (ص ٨٢).

(٧) في النفع: «حضر وليمة».

(٨) في النفع: «فناوله القاضي».

لنا<sup>(١)</sup> طعامًا، فسألته عن هذا الحديث فقال: وقع في نفسي<sup>(٢)</sup> شيء، فرأيت النبي ﷺ في المنام، فسألته عنه، فقال<sup>(٣)</sup>: لم أقله، وأرجو أن يكون كذلك. وصافحته بمصافحته الشيخ أبا عبد الله زيان، بمصافحته أبا سعيد عثمان بن عطية الصعيدي، بمصافحته أبا العباس أحمد الملقم، بمصافحته المعمر، بمصافحته رسول الله ﷺ.

وحدث عن شيخه أبي محمد الدلاصي، أنه كان للملك العادل مملوك اسمه محمد، فكان يخصه لدينه وعقله، بالنداء باسمه، وإنما كان يتعق<sup>(٤)</sup> بمماليكه: يا ساقى، يا طبّاخ، يا مُزّين. فناده<sup>(٥)</sup> ذات يوم: يا فراش، فظنّ أن<sup>(٦)</sup> ذلك لموجدة<sup>(٧)</sup> عليه. فلم ير أثر ذلك، وتصورت له به خلوة، فسأله عن مخالفته لعادته<sup>(٨)</sup>، فقال له: لا عليك، كنت يومئذ جُنبًا، فكرهت أن أذكر<sup>(٩)</sup> اسم رسول الله ﷺ، على تلك الحالة. وقال: أنشدني المجاصي، قال: أنشدني الإمام<sup>(١٠)</sup> نجم الدين الواسطي، قال: أنشدني شرف الدين الديماطي، قال: أنشدني تاج الدين الأمدى<sup>(١١)</sup>، مؤلف «الحاصل»، قال: أنشدني الإمام فخر الدين<sup>(١٢)</sup> لنفسه: [الطويل]

نهاية إقدام العقول عقلاً      وأكثر سعي العالمين ضلالاً  
وأرواحنا في وخشة<sup>(١٣)</sup> من جسمنا      وحاصل دنيانا أذى<sup>(١٤)</sup> ووبال<sup>(١٥)</sup>

(١) كلمة «لنا» غير واردة في النسخ.

(٢) في النسخ: «نفسى منه شيء».

(٣) في النسخ: «فقال لي».

(٤) يقال: نعى الغراب إذا صوّت، ونعى الراعي الغنم: صاح بها، وينعى بمماليكه: يتنادى. لسان العرب (نعى).

(٥) في النسخ: «فنادى به ذات...».

(٦) كلمة «أن» غير واردة في النسخ.

(٧) الموجدة: الغضب. لسان العرب (وجد).

(٨) في النسخ: «لعادته معه فقال».

(٩) في النسخ: «فكرهت ذكر رسول...».

(١٠) كلمة «الإمام» غير واردة في النسخ.

(١١) في النسخ: «الأرموي».

(١٢) هو فخر الدين محمد بن عمر بن الحسن البكري الطبرستاني الأصل، الرازي المولد، إمام مفسر وطبيب وأديب وشاعر. توفي سنة ٦٠٦ هـ. ترجمته في وفيات الأعيان (ج ٤ ص ٨٢) وعيون الأنباء في طبقات الأطباء (ص ٤٦٢) والبداية والنهاية (ج ١٣ ص ٥٥). وأبياته هذه في وفيات الأعيان (ج ٤ ص ٨٤) وعيون الأنباء (ص ٤٦٨) والوافي بالوفيات (ج ٤ ص ٢٥٧ - ٢٥٨) ونفح الطيب (ج ٧ ص ٢٢٠ - ٢٢١). وفي البداية والنهاية (ص ٥٦) فقط البيتان الثاني والثالث.

(١٣) في عيون الأنباء: «في عقلة».

(١٤) في الوافي بالوفيات: «ردى».

(١٥) في الأصل: «ودبال»، والتصويب من المصادر المذكورة.



ولم نستفد من بحثنا طولَ عمرنا      سوى أن جَمَعْنَا فِيهِ قِيلٌ وَقَالَ<sup>(١)</sup>  
وكم مِن رجال قد رأينا ودولة<sup>(٢)</sup>      فبادوا جميعًا مُسرعين وزالوا  
وكم مِن جبال قد عُلَّتْ شُرُفَاتُهَا      رجالٌ فماتوا والجبال جبال<sup>(٣)</sup>

وقال<sup>(٤)</sup>: وقد مرَّ من ذكر الشريف القاضي أبي علي حسين بن يوسف بن يحيى الحسيني في عِدَاد شيوخه وقال: حَدَّثَنِي أَبُو الْعَبَّاس الرُّنْدِي عن القاضي أبي العباس بن الغَمَّاز<sup>(٥)</sup>، قال: لَمَّا قَدِمَ الْقَاضِي أَبُو الْعَبَّاسِ بْنِ الْغَمَّازِ مِنْ بَلَنْسِيَّةَ، نَزَلَ بِجَايَةٍ؛ فَجَلَسَ بِهَا فِي الشُّهُودِ مَعَ عَبْدِ الْحَقِّ بْنِ رِبِيعٍ<sup>(٦)</sup>، فَجَاءَ عَبْدُ الْحَقِّ يَوْمًا، وَعَلَيْهِ بُزْنُسٌ أَبْيَضٌ، وَقَدْ حَسُنَتْ شَارَتُهُ، وَكُمِلَتْ هَيْئَتُهُ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ ابْنُ الْغَمَّازِ أَشْجَاهُ: [الخفيف]

لَيْسَ الْبُزْنُسُ الْفَقِيهُ فَبَاهَى      وَرَأَى أَنَّهُ الْمَلِيحُ فَتَّاهَا<sup>(٧)</sup>  
لَوْ زَلَّيْخَا رَأَتْهُ حِينَ تَبَدَّى      لَتَمَنَّتْهُ أَنْ يَكُونَ فَتَاهَا

وقال أيضًا: إن ابن الغمَّاز جلس لارتقاب الهلال بجامع الزُّيْتُونَةِ، فنزل الشهود من المئذنة وأخبروا أنهم لم يَهْلُوه<sup>(٨)</sup>. وجاء حفيد له صغير، فأخبره أنه أهله، فردَّهم معه، فأراهم إياه، فقال: ما أشبه الليلة بالبارحة. وقد<sup>(٩)</sup> وقع لنا مثل هذا مع أبي الربيع بن سالم<sup>(١٠)</sup>، فأنشدنا فيه: [الطويل]

تَوَارَى هَلَالُ الْأَفْقِ عَنْ أَعْيُنِ الْوَرَى      وَأَزْحَى حِجَابُ الْغَيْمِ دُونَ مُحَيَّاهُ  
فَلَمَّا تَصَدَّى لَارْتِقَابِ شَقِيقِهِ      تَبَدَّى لَهُ دُونَ الْأَنَامِ فَحَيَّاهُ

- 
- (١) في الوافي بالوفيات: «... طول دهرنا سوى... فيه قلت وقالوا».  
(٢) في وفیات الأعيان وعيون الأنبياء: «وكم قد رأينا من رجال ودولة».  
(٣) في المصدرين السابقين: «فزالوا» بدل «فماتوا». ورواية عجز البيت في الوافي بالوفيات هي: ومال فزالت والجبال جبال  
(٤) النص في نفع الطيب (ج ٧ ص ٢٢٢).  
(٥) هو أحمد بن محمد بن الحسن بن الغمَّاز الأنصاري؛ ولي قضاء بجاية، وتوفي بتونس سنة ٦٩٣ هـ. عنوان الدراية (ص ٧٠).  
(٦) لعبد الحق بن ربيع ترجمة ضافية في عنوان الدراية (ص ٣٢).  
(٧) تاهَا: فعل ماضٍ من التَّهَى، والألف للإطلاق، وأصل القول: تاه.  
(٨) لم يَهْلُوه: لم يَرَوْه. لسان العرب (هلل). (٩) كلمة «وقد» غير واردة في النفع.  
(١٠) هو سليمان بن موسى بن سالم الحميري الكلاعي، المتوفى سنة ٦٣٤ هـ. وسير ترجم له ابن الخطيب في الجزء الرابع من الإحاطة.

وجرى في ذكر أبي عبد الله بن النجار<sup>(١)</sup>، الشيخ التعالمي من أهل تلمسان، فقال<sup>(٢)</sup>: ذكرتُ يوماً قول ابن الحاجب فيما يُحرّم من النساء بالقرابة، وهي «أصول وفصول، أول أصوله، وأول فصل من كل أصل وإن علا»، فقال: إن تَرَكَّبَ لفظُ التَّسمية العُرفية من الطَّرْفَيْن حُلَّتْ، وإلا حَرُمَتْ، فتأملته، فوجدته كما قال: لأن أقسام هذا الضابط أربعة: التركيب من الطرفين، كابن العم وابنة العم مقابلته كالأب والبنت، والتركيب<sup>(٣)</sup> من قِبَل الرجل كابنة الأخ والعم مقابلته كابن الأخت والخالة.

وذكر الشيخ الرئيس أبا محمد عبد المهيمن بن محمد الحَضْرَمي. وقال<sup>(٤)</sup>: كان يُنكر إضافة الحَوْل إلى الله عزَّ وجلَّ، فلا يجوز أن يقال: «بِحَوْلِ الله وَقُوَّتِهِ»، قال: لأنه لم يُرِدْ إطلاقه<sup>(٥)</sup>، والمعنى يقتضي امتناعه؛ لأنَّ الحَوْلَ كالحيلة، أو قريبٌ منها.

وحكى<sup>(٦)</sup> عن شيخه أبي زيد عبد الرحمن الصَّنْهَاجي<sup>(٧)</sup>، عن القاضي أبي زيد عبد الرحمن بن علي الذُّكالي، أنه اختصم عنده رَجُلَان في شاة، ادَّعى أحدهما أنه أودعها الآخر، وادَّعى الآخر أنها ضاعت منه، فأوجِبَ اليمين على المودع<sup>(٨)</sup> أنها ضاعت من غير تضييع، فقال: كيف أَضْيَع، وقد شغلتنى حراستها عن الصلاة، حتى خرج وقتها؟ فحكم عليه بالغرم، فقبل له في ذلك، فقال: تأوَّلْتُ قولَ عمر: «من ضَيَّعها فهو لما سواها أَضْيَع».

وحكى عن الشيخ الفقيه رُخلة الوقت أبي عبد الله الآبلي، حكاية في باب الضَّرْب، وقوة الإدراك، قال<sup>(٩)</sup>: كنت يوماً مع القاسم بن محمد الصَّنْهَاجي، فوردت عليه طُومارةٌ مِنْ قِبَلِ القاضي أبي الحجاج الطرطوشي فيها: [السريع

خَيْرَاتُ ما تحويه مبدولةٌ وَمَظْلَبِي تَضْحيفُ مَقْلُوبِهَا

(١) هو أبو عبد الله محمد بن يحيى بن علي بن النجار، وترجمته في التعريف بابن خلدون (ص ٤٧) ونيل الابتهاج (ص ٢٣٩) وجذوة الاقتباس (ص ١٩٠) ونفح الطيب (ج ٧ ص ٢٢٤).

(٢) النص في نفح الطيب (ج ٧ ص ٢٢٥). (٣) في النفح: «التركيب».

(٤) النص في نفح الطيب (ج ٧ ص ٢٢٧ - ٢٢٨).

(٥) إطلاق الأسماء على الله سبحانه وتعالى مختلف فيه بين العلماء.

(٦) النص في نفح الطيب (ج ٧ ص ٢٢٩).

(٧) في النفح: هو أبو زيد عبد الرحمن بن يعقوب بن علي الصنهاجي المكنى.

(٨) في النفح: «المودع عنده أنها».

(٩) النص في نفح الطيب (ج ٧ ص ٢٣١ - ٢٣٢).

فقال لي: ما مطلبه؟ فقلت: «نارنج». ودخل<sup>(١)</sup> عليه وأنا عنده بتلمسان الشيخ الطيب<sup>(٢)</sup> أبو عبد الله الدبّاغ المالقي<sup>(٣)</sup>، فأخبرنا أن أديباً استجدى وزيراً بهذا الشطر: «ثم حبيبٌ قلما ينصف» فأخذته وكتبته، ثم قلبته وصحّفته، فإذا به<sup>(٤)</sup>: قَصَبَتَا مِلْفٌ شحمي.

وقال: قال<sup>(٥)</sup> شيخنا الآبلي: لما نزلتُ تازة مع أبي الحسن بن برّي، وأبي عبد الله التّرجالي، فاحتجت إلى النوم، وكهرت قطعهما إلى<sup>(٦)</sup> الكلام، فاستكشفتُ منهما عن معنى هذا البيت للمعري: [الطويل]

أقول لعبد الله لَمَّا سقاؤنا ونحن بوادي عبد شمس وهاشم

فجعلنا يفكران فيه، فنمّت حتى أصبحنا، ولم يجداه، وسألوني عنه، فقلت: معناه «أقول لعبد الله لَمَّا وهي سقاؤنا، ونحن بوادي عبد شمس: شِمْنَا لَنَا بَرَقًا».

قلت: وفيه نظر<sup>(٧)</sup>. وإن استقصينا مثل هذا، خرجنا عن الغرض.

مولده: نقلت من خطه: كان<sup>(٨)</sup> مولدي بتلمسان أيام أبي حمّو موسى بن عثمان بن يغمّراسين بن زيان. وقد وقفتُ على تاريخ ذلك، ورأيت<sup>(٩)</sup> الصّفح عنه؛ لأن أبا الحسن بن موسى<sup>(١٠)</sup> سأل أبا الطاهر السّلّفي عن سنّته، فقال: أقبل على شأنك، فإني سألتُ أبا الفتح بن زيان بن مسعدة<sup>(١١)</sup> عن سنّته، فقال: أقبل على شأنك، فإني سألتُ محمد بن علي بن محمد اللّبان عن سنّته فقال: أقبل على شأنك، فإني سألتُ أبا بكر محمد بن علي النفزي<sup>(١٢)</sup> عن سنّته، فقال: أقبل على شأنك، فإني سألتُ بعض أصحاب الشافعي عن سنّته، فقال: أقبل على شأنك، فإني سألتُ بعض الثرمذي عن سنّته، فقال: أقبل على شأنك، فإني سألتُ الشافعي<sup>(١٤)</sup> عن

(١) في النفع: «دخل عليه الآبلي وأنا...». (٢) كلمة «الطيب» غير واردة في النفع.

(٣) في النفع: «المالقي المتطب». (٤) في النفع: «إذا هو».

(٥) النص في نفع الطيب (ج ٧ ص ٢٣٣). (٦) في النفع: «عن الكلام، فاستكشفتها».

(٧) في النفع: «قلت: وفي جواز مثل هذا نظر».

(٨) النص في نفع الطيب (ج ٧ ص ١٩٨ - ١٩٩).

(٩) في النفع: «ولكنني رأيت». (١٠) في النفع: «مؤمن».

(١١) قوله: «بن مسعدة» غير وارد في النفع. (١٢) في النفع: «سألت علي بن محمد اللّبان».

(١٣) في النفع: «محمد بن عدي المنقري».

(١٤) في النفع: «سألت بعض أصحاب الشافعي عن سنّته فقال: أقبل على شأنك، فإني سألت الشافعي...».

سنه، فقال: أقبل على شأنك، فإني سألت مالك بن أنس عن سنه، فقال: أقبل على شأنك، ليس من المروءة إخبار الرجل عن سنه<sup>(١)</sup>.

**وفاته:** توفي بمدينة فاس في أخريات محرم من عام تسعة وخمسين وسبعمائة، وأراه توفي في ذي حجة من العام قبله. ونقل إلى تربة سلفه بمدينة تلمسان حرسها الله.

### محمد بن عياض بن محمد بن عياض بن موسى اليحصبي

من أهل سبتة، حفيد القاضي الإمام أبي الفضل عياض، يكنى أبا عبد الله.

**حاله:** قال الأستاذ أبو جعفر بن الزبير: كان من عُدُول القضاة، وجلّة سراتهم، وأهل النزاهة فيهم، شديد التحري في الأحكام والاحتياط، صابراً على الضعيف فيهم والمهلوف، شديد الوطأة على أهل الجاه ودّوي السطوة، فاضلاً، وقوراً، حسن السمت، يُعرفه كلامه أبداً، ويزينه ذلك لكثرة وقاره، محباً في العلم وأهله، مُقرباً لأصاغر الطلبة، ومكرمًا لهم، ومُعتنياً بهم، مُعَمِّلاً جَهده في الدّفع عنهم، لما عسى أن يسوءهم؛ لِحُبِّب إليهم العِلْم وأهله، ما رأينا بعده في هذا مثله. سكن مالقة مع أبيه عند انتقال أبيه إليها، إلى أن مات أبوه سنة خمس وخمسين وستمائة.

حدّثني شيخنا أبو الحسن بن الجيّاب، وجرى ذكر إعرابه لفظ من حديثه عن شيوخه، قال: دخلت على القاضي المذكور، فسأل أحدنا عن أبيه، فقال: ابن فلان. وذكر معرفةً مشتركة بين تجار فاس، فقال: أيهما الذي ينحت في الخشب، والذي يعمل في السلاح؟ فما فطن لقصده لسذاجته. وحدّثني عن ذكر جَزَالته أنها كانت تقع له مع السلطان مُسْتَقْضيه، مع كونه مرهوباً، شديد السطوة، وقائع تُنبئ عن تصميمه، وبُعْده عن الهوادة؛ منها أن السلطان أمر بإطلاق محبوس كان قد سجنه، فأئقذ بين يدي السلطان الأمر للسّجّان بحبسه، وتوعّده إن أطلقه. ومنها إذاعة ثبوت العيد في أخريات يوم كان قد أمل السلطان البروز إلى العيد في صباحه، فنزل عن القلعة ينادي: عبد الله، يا ميمون، أخبر الناس عن عيدهم اليوم، وأمثال ذلك.

**مشيخته:** قرأ بسبته، وأسند بها، فأخذ عن أبي الصبر أيوب بن عبد الله الفهري وغيره، ورحل إلى الجزيرة الخضراء، فأخذ بها كتاب سيبويه وغيره تفقيهاً على النحوّيّ الجليل أبي القاسم عبد الرحمن بن القاسم القاضي المُتَفَنّن. وأخذ بها أيضاً كتاب «إيضاح الفارسي» عن الأستاذ أبي الحجاج بن مغرور، وأخذ بإشبيلية وغيرها

(١) في النفع: «المروءة للرجل أن يخبر بسنّه».

عن آخرين. وقرأ على القاضي أبي القاسم بن بَقِيَّ بن نافحة، وأجاز له. وكتب له من أهل المشرق جماعة كثيرة، منهم أبو جعفر محمد بن أحمد بن نصر بن أبي الفتح الصَّيْدَلَانِي، وأجاز له بإصْبَهَانَ، وهو سَبَطُ حسن بن مَنْدَةَ، أجاز له في شوال سنة ثمانٍ وتسعين وخمسمائة. وتحمل عن أبي علي الحداد، شيخ السَّلَفِي الحافظ عن محمود الصيرفي ونظائرهما، وجماعة من إصْبَهَانَ كثيرة كتبوا له بالإجازة. وكتب له من غيرها من البلاد نَيْفٌ وثمانون رجلاً، منهم أحد وستون رجلاً كتبوا له مع الشيخ المحدث أبي العباس المغربي، والقاضي أبي عبد الله الأَزْدِي، وقد نصح على جميعهم في برنامجيهما، واستوفى أبو العباس الغربي نصوص الإِسْتِرْعَات، وفيها اسم القاضي أبو عبد الله بن عِيَاض.

مَنْ رَوَى عَنْهُ: قال الأستاذ أبو جعفر، رحمه الله: أجاز لي مرتين اثنتين<sup>(١)</sup>. وقال: حَدَّثَنِي أبو عبد الله مشافهة بالإذن، أنبأنا أبو الطاهر بركات بن إبراهيم الخُشُوعِي كتابَةً من دمشق، أنبأنا أبو عبد الله محمد بن أحمد الرَّازِي، المعروف بابن الحَطَّاب، بالحاء المهملة، أخبرنا محمد بن أحمد بن عبد الوهاب البغدادي بالفسطاط، أخبرنا موسى بن محمد بن عَرَفَةَ السَّمْسَار ببغداد، قال أبو عمرو بن أحمد بن الفضل النَّقَازِي: أخبرنا إسماعيل بن موسى، أخبرنا عمر بن شاعر عن أَنَس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، الصَّابِرُ مِنْهُمْ عَلَى دِينِهِ، كَالْقَابِضِ عَلَى الْجَمْرِ».

هذا الإسناد قريب يعزُّ مثله في القرب لأمثالنا، ممن مولده بعد الستمائة، وإسماعيل بن موسى من شيوخ التُّرْمِذِي، قد خَرَّجَ عنه الحديث المذكور، لم يقع له في مُصَنَّفِهِ ثلاثي غيره.

مولده: بسبته سنة أربع وثمانين وخمسمائة.

وفاته: توفي بغرناطة يوم الخميس الثامن والعشرين لجمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستمائة.

**محمد بن عِيَاض بن موسى بن عِيَاض بن عمر بن موسى  
ابن عِيَاض اليحصبي**

من أهل سَبْتَةَ، ولد الإمام أبي الفضل، يكنى أبا عبد الله.

(١) في الأصل: «اثنين» وهو خطأ نحوي.

**حاله:** كان فقيهاً جليلاً، أديباً، كاملاً. دخل الأندلس، وقرأ على ابن بشكوال كتاب الصلة، وولي قضاء غرناطة. قال ابن الزبير: وقفت على جزء ألفه في شيء من أخبار أبيه، وحاله في أخذه وعلمه، وما يرجع إلى هذا، أوقفني عليه حفدته بمالقة.

**وفاته:** توفي سنة خمس وسبعين وخمسمائة.

**محمد بن أحمد بن جبير بن سعيد بن جبير بن محمد بن سعيد**

**ابن جبير بن محمد بن مروان بن عبد السلام بن مروان**

**ابن عبد السلام بن جبير الكِنَاني<sup>(١)</sup>**

الواصل إلى الأندلس.

**أُولِيَّتُهُ:** دخل جدّه عبد السلام بن جُبَيْر في طالعة بَلَج بن بِشْر بن عِيَاض القُشَيْرِي في محرم ثلاث وعشرين ومائة. وكان نزوله بكورة شدونة. وهو من ولد ضَمْرَة بن كِنانة بن بكر بن عبد مناف بن كنانة بن خُزَيْمة بن مُدْرِكَة بن إِيَّاس بن مِزَر بن نَزَار بن معد بن عدنان. بَلَنَسِي الأصل، ثم غَرْنَاطِي الاستيطان. شَرَق، وَغَرَب، وعاد إلى غرناطة.

**حاله:** كان<sup>(٢)</sup> أديباً بارعاً، شاعراً مجيداً، سَنِيّاً فاضلاً، نزيه المُهْمة، سَرِي النفس، كريم الأخلاق، أنيق الطريقة في الخط. كَتَب بِسَبْتَة<sup>(٣)</sup> عن أبي سعيد عثمان بن عبد المؤمن، وبغرناطة عن غيره من ذوي قرابته، وله فيهم أمداح كثيرة. ثم نزع عن ذلك، وتوجّه إلى المشرق. وجرت بينه وبين طائفة من أدباء عصره، مخاطبات ظهرت فيها براعته وإجادته. ونَظَمه فائق، ونثره بديع. وكلامه المُرْسَل، سهل حسن، وأغراضه جلييلة، ومحاسنه ضخمة، وذُكِرَ شهره، ورحلته نسيجةً وخديها، طارت كل مطار، رحمه الله.

**رحلته:** قال مَن عُنِي بخبره<sup>(٤)</sup>: رحل ثلاثاً من الأندلس إلى المشرق، وحبّ في كل واحدة منها. فَصَلَ عن غرناطة أول ساعة من يوم الخميس لثمان خلون من شوال، ثمان وسبعين وخمسمائة، صحبة أبي جعفر بن حسان، ثم عاد إلى وطنه

(١) ترجمة ابن جبير في الذيل والتكملة (ج ٥ ص ٥٩٥) والتكملة (ج ٢ ص ١٠٩) وزاد المسافر (ص ٧٢) والنجوم الزاهرة (ج ٦ ص ٢٢١) وشذرات الذهب (ج ٥ ص ٦٠) والمغرب (ج ٢ ص ٣٨٤) ونفح الطيب (ج ٣ ص ١٣٨) ومقدمة كتابه «رحلة ابن جبير».

(٢) النص في الذيل والتكملة (ج ٥ ص ٦٠٧ - ٦٠٨).

(٣) في الذيل: «في شبّيته». (٤) راجع الذيل والتكملة (ج ٥ ص ٥٩٦).

غَرْنَاطَة لثمان بقين من محرم واحد وثمانين، ولقي بها أعلامًا يأتي التعريف بهم في مشيخته، وصتف الرحلة المشهورة، وذكر مناقله فيها وما شاهده من عجائب البلدان، وغرايب المشاهد، وبدايع الصنائع، وهو كتاب مؤنس ممتع، مُثير سَوَاكِن النفوس إلى الرُّفَادَة على تلك المعالم المكرومة والمشاهد العظيمة.

ولما<sup>(١)</sup> شاع الخبرُ المُبْهَج بفتح بيت المقدس على يد السلطان الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شادي<sup>(٢)</sup>، قَوِي عزمُه على عمل الرحلة الثانية، فتحرك إليها من غرناطة، يوم الخميس لتسع خلون من ربيع الأول من سنة خمس وثمانين وخمسمائة، ثم آبَ إلى غرناطة يوم الخميس لثلاث عشرة<sup>(٣)</sup> خلت من شعبان سبع وثمانين. وسكن غرناطة، ثم مالقة، ثم سبتة، ثم فاس<sup>(٤)</sup>، منقطعًا إلى إسماع الحديث والتصوف، وتزوية ما عنده. وفضله بديع، وورعه يتحقق، وأعماله الصالحة تزكو. ثم رحل الثالثة من سبتة، بعد موت زوجته عاتكة أم المجد بنت الوزير أبي جعفر الوقيشي<sup>(٥)</sup>، وكان كليفًا بها، فعظم وجدُه عليها. فوصل مكة، وجاور بها طويلاً، ثم بيت المقدس، ثم تجول بمصر والإسكندرية، فأقام<sup>(٦)</sup> يُحدث، ويُؤخذ عنه إلى أن لحق بربه.

مشيخته: روى بالأندلس عن أبيه، وأبي الحسن بن محمد بن أبي العيش، وأبي عبد الله بن أحمد بن عروس، وابن الأصيلي. وأخذ العربية عن أبي الحجاج بن يسعون. وبسبته عن أبي عبد الله بن عيسى التميمي السبتي. وأجاز له أبو الوليد بن سبكة، وإبراهيم بن إسحاق بن عبد الله الغساني التونسي، وأبو حفص عمر بن عبد المجيد بن عمر القرشي الميانيجي، نزىلا مكة، وأبو جعفر أحمد بن علي القرطبي الفُنكي، وأبو الحجاج يوسف بن أحمد بن علي بن إبراهيم بن محمد البغدادي، وصدر الدين أبو محمد عبد اللطيف الحَجري رئيس الشافعية بإصبهان. وبيغداد العالم الحافظ المُتبحر نادرة الفلك أبو الفرج، وكناه أبو الفضل ابن الجوزي. وحضر بعض مجالسه الوُعظية وقال فيه: «فشاهدنا رجلاً ليس بعمر ولا زيد، وفي جوف الفِرا كلُّ الصَّيد»، وبدمشق أبو الحسن أحمد بن حمزة بن علي بن عبد الله بن عباس السلمي الجَواري، وأبو سعيد عبد الله بن محمد بن أبي عُضرون، وأبو الطاهر

(١) انظر: الذيل والتكملة (ج ٥ ص ٦٠٥ - ٦٠٦).

(٢) في الذيل: «بوري». (٣) في الأصل: «عشر» والتصويب من الذيل.

(٤) في الذيل: «ثم فاس ثم سبتة».

(٥) في الذيل: «أبي جعفر أحمد بن عبد الرحمن الوقيشي».

(٦) في الذيل: «فأقام بها».

بركات الخُشوعي، وسمع عليه، وعماد الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن حامد الإصبهاني من أئمة الكتاب، وأخذ عنه بعض كلامه، وغيره، وأبو القاسم عبد الرحمن بن الحسين بن الأخضر بن علي بن عساكر، وسمع عليه، وأبو الوليد إسماعيل بن علي بن إبراهيم والحسين بن هبة الله بن محفوظ بن نصر الرُّنعي، وعبد الرحمن بن إسماعيل بن أبي سعيد الصوفي، وأجازوا له، وبخراًن الصوفي العارف أبو البركات حيّان بن عبد العزيز، وابنه الحاذي حذوه.

مَنْ أَخَذَ عَنْهُ: قال ابن عبد الملك<sup>(١)</sup>: أَخَذَ<sup>(٢)</sup> عَنْهُ أَبُو إِسْحَاقَ بْنِ مُهَيْبٍ، وَابْنُ الْوَاعِظِ، وَأَبُو تَمَامٍ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، وَأَبُو الْحَسَنِ بْنُ<sup>(٣)</sup> نَصْرِ بْنِ فَاتِحٍ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبُجَائِي، وَأَبُو الْحَسَنِ بْنُ عَلِيِّ الشَّادِي<sup>(٤)</sup>، وَأَبُو سَلِيمَانَ بْنِ حَوْطِ اللَّهِ، وَأَبُو زَكْرِيَا، وَأَبُو بَكْرٍ يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ أَبِي الْغَضَنِ<sup>(٥)</sup>، وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ بْنِ مُجَبَّرٍ<sup>(٦)</sup>، وَأَبُو الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ الْبُتَّانِي<sup>(٧)</sup>، وَأَبُو<sup>(٨)</sup> مُحَمَّدٍ بْنِ حَسَنِ اللَّوَاتِي، وَابْنُ<sup>(٩)</sup> تَامِتِيَّتٍ، وَابْنُ مُحَمَّدٍ الْمُؤَزُّورِيِّ، وَأَبُو عَمْرِو بْنِ سَالِمٍ، وَعَثْمَانُ بْنُ سَفْيَانَ بْنِ أَشْقَرِ التَّمِيمِيِّ التُّونِسِيِّ.

وَمَنْ أَخَذَ عَنْهُ<sup>(١٠)</sup> بِالْإِسْكَانِيَّةِ، رَشِيدُ الدِّينِ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ الْكَرِيمِ بْنُ عَطَاءِ اللَّهِ، وَبِمِصْرَ رَشِيدُ الدِّينِ بْنِ الْعَطَّارِ، وَفَخْرُ الْقِضَاةِ ابْنُ الْجِيَّابِ، وَابْنُهُ جَمَالُ الْقِضَاةِ.

تَصَانِيفُهُ: مِنْهَا نَظْمُهُ. قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ<sup>(١١)</sup>: «وَقَفْتُ مِنْهُ عَلَى مَجْلَدٍ مَتَوَسِّطٍ يَكُونُ عَلَى<sup>(١٢)</sup> قَدْرِ دِيْوَانِ أَبِي تَمَامٍ حَبِيبِ بْنِ أَوْسٍ. وَمِنْهُ جُزْءٌ سَمَاهُ «نَتِيجَةُ وَجْدِ الْجَوَانِحِ فِي تَأْيِينَ الْقَرِينِ الصَّالِحِ» فِي مِرَاثِي زَوْجِهِ أُمِّ الْمَجْدِ. وَمِنْهُ جُزْءٌ سَمَاهُ «نَظْمُ الْجُمَانِ فِي التَّشْكِي مِنْ إِخْوَانِ الزَّمَانِ». «وَلَهُ تَرْسِيلٌ بِدِيعٍ، وَجِكَمٌ مُسْتَجَادَةٌ»، وَكِتَابُ رَحْلَتِهِ. «وَكَانَ أَبُو الْحَسَنِ الشَّادِي يَقُولُ: إِنَّهَا لَيْسَتْ مِنْ تَصَانِيفِهِ، وَإِنَّمَا قَيَّدَ مَعَانِي مَا

(١) الذيل والتكملة (ج ٥ ص ٦٠٦ - ٦٠٧). (٢) في الذيل: «رُوي عنه».

(٣) في الذيل: «وأبو الحسن ابن أبي نصر فاتح بن...».

(٤) في الذيل: «وابن محمد الشاري».

(٥) في الذيل: «أبو بكر يحيى بن عبد الملك بن أبي الغصن».

(٦) في الأصل: «مجير» والتصويب من الذيل.

(٧) في الذيل: «وأبى العباس: ابن عبد المؤمن والنباتي».

(٨) في الذيل: «وابن محمد».

(٩) في الذيل: «ابن».

(١٠) في الذيل: «وممن رُوي عنه».

(١١) الذيل والتكملة (ج ٥ ص ٦٠٨).

(١٢) كلمة «على» ساقطة من الذيل والتكملة.



تضمنته، فتولى ترتيبها، وتنضيد معانيها بعض الآخذين عنه، على ما تلقاه منه». والله أعلم.

شعره: من ذلك القصيدة الشهيرة التي نظمها، وقد شارف المدينة المكرمة طيبة، على ساكنها من الله أفضل الصلوات، وأزكى التسليم<sup>(١)</sup>: [المقارب]

أقول وآنسْتُ بالليل نارا      لعلَّ سِرَاجَ الْهُدَى قد أَنَارَا  
وإِلَّا فما بِالْأَفْقِ الدُّجَى      كَأَنَّ سَنَا الْبَرْقِ فِيهِ اسْتَطَارَا  
ونحن من الليل في جُنْدِسٍ      فما بِالْهُدَى قد تَجَلَّى نَهَارَا؟  
وهذا التَّسِيمُ شَذَا الْمِسْكِ قد      أُعِيرَ أَمِ الْمِسْكِ مِنْهُ اسْتَعَارَا؟  
وكانت رَوَاجِلُنَا تَشْتَكِي      وَجَاهَا فَقَدْ سَابَقَتْنا ابْتِدَارَا  
وكنَّا شَكُونَا عَنَاءَ الشُّرَى      فَعُدْنَا نُبَارِي سِرَاعَ الْمَهَارَا  
أَظُنُّ النُّفُوسَ قد اسْتَشْعَرَتْ      بِلَوْعِ هَوَى تَخَذَّتْهُ شِعَارَا  
بِشَائِرِ صُبْحِ الشُّرَى أَذْنَتْ      بَأَنَّ الْحَبِيبَ تَدَانِي مَزَارَا  
جَرَى ذِكْرُ طَيْبَةٍ ما بَيْنَنَا      فَلَ قَلْبٍ فِي الرِّكْبِ إِلَّا وَطَارَا  
حَنِيتًا إِلَى أَحْمَدَ الْمُصْطَفَى      وَشَوْقًا يَهِيْجُ الضُّلُوعَ اسْتَعَارَا  
وَلَا حَ لَنَا أَحَدٌ مُشْرِقًا      بِنُورٍ مِنَ الشُّهَدَاءِ اسْتَنَارَا<sup>(٢)</sup>  
فَمَنْ أَجَلِ ذَلِكَ ظِلُّ الدُّجَى      يَحِلُّ عَقُودَ النُّجُومِ انْتِثَارَا  
وَمِنْ طَرَبِ الرُّكْبِ حَثَّ الْخَطَا      إِلَيْهَا وَنَادَى الْبِدَارَ الْبِدَارَا  
وَلَمَّا حَلَلْنَا فَنَاءَ الرِّسُولِ      نَزَلْنَا بِأَكْرَمِ مَجْدٍ<sup>(٣)</sup> جَوَارَا  
وَحِينَ دَنَوْنَا لِفَرْضِ السَّلَامِ      قَصَرْنَا الْخُطَا وَلَزِمْنَا الْوَقَارَا  
فَمَا نَزَلَ اللَّحْظُ إِلَّا اخْتِلَاسًا      وَلَا نُرْجِعُ<sup>(٤)</sup> الطَّرْفَ إِلَّا انْكِسَارَا  
وَلَا نُظْهِرُ الْوَجْدَ إِلَّا اكْتِنَامًا      وَلَا نَلْفُظُ الْقَوْلَ إِلَّا سِرَارَا  
سِوَى أَنَا لَمْ نُطِقْ أَغْيُنًا      بِأَدْمَعِهَا غَلَبَتْنا انْفِجَارَا  
وَقَفْنَا بِرَوْضَةِ دَارِ السَّلَامِ<sup>(٥)</sup>      نُعِيدُ السَّلَامَ عَلَيْهَا مَرَارَا

(١) القصيدة في الذيل والتكملة (ج ٥ ص ٦٠٢ - ٦٠٣). وورد منها الأبيات الثلاثة الأولى في نفع الطيب (ج ٣ ص ٢٣٥).

(٢) في الأصل: «استعارا»، والتصويب من الذيل والتكملة.

(٣) في الذيل والتكملة: «خلق». (٤) في الذيل والتكملة: «نرفع».

(٥) رواية صدر البيت في الذيل والتكملة هي: وقفنا بروضته للسَّلام.

ولولا مهابتُهُ في النفوس      لثمنا الثرى والتزمنا الجدارا  
 قضينا بزورته<sup>(١)</sup> حَجْنَا      وبالعُمَرتين<sup>(٢)</sup> خَتَمْنَا اعْتِمَارَا  
 إِلَيْكَ إِلَيْكَ نَبِيَّ الْهُدَى      رَكِبْتُ الْبَحَارَ وَجُبْتُ الْقِفَارَا  
 وفارقتُ أهلي ولا مِئْتَةً      ورُبَّ كَلَامٍ يَجْرُ اعْتِذَارَا  
 وكيف نمْنُ على مَنْ به      نُؤْمَلُ لِلْسَيِّئَاتِ اغْتِفَارَا  
 دعاني إِلَيْكَ هَوَى كَامِنٌ      أَثَارَ مَنْ الشَّوْقِ مَا قَدْ أَثَارَا  
 فنَادَيْتُ<sup>(٣)</sup> لُبِّيكَ دَاعِي الْهَوَى      وما كنتُ عَنْكَ أَطِيقُ اضْطِبَارَا  
 ووطَّنتُ نفسي بحكم<sup>(٤)</sup> الْهَوَى      عليّ وقلْتُ رَضِيْتُ اخْتِيَارَا  
 أخوضُ الدُّجَى وأروضُ الشُّرَى      ولا أَطْعَمُ النَّوْمَ إِلَّا غِرَارَا  
 ولو كنتُ لا أَسْتَطِيعُ السَّبِيلَ      لَطَرْتُ ولو لم أَصَادِفْ مَطَارَا<sup>(٥)</sup>  
 وأجْدُرُ مَنْ نال منك الرضى      محبُّ ثَرَاكَ<sup>(٦)</sup> على البُعد زَارَا  
 عسى لحظةً منك لي في غدٍ      تُمَهِّدُ لي في الْجِنَانِ الْقَرَارَا  
 فما ضلَّ مَنْ بِمَسْرَاكَ<sup>(٧)</sup> اهتدى      ولا ذُلٌّ مَنْ بِذَرَاكَ اسْتَجَارَا

وفي غبطةٍ مِنْ مَنْ الله عليه لحجَّ بيته، وزيارة قبره ﷺ يقول<sup>(٨)</sup>: [المتقارب]  
 هنيئًا لمن حَجَّ بَيْتَ الْهُدَى      وَحَطَّ عَنِ النَّفْسِ أَوْزَارَهَا  
 وإنَّ السَّعَادَةَ مَضمونَةٌ      لمن حَجَّ<sup>(٩)</sup> طَيْبَةً أَوْزَارَهَا

وفي مثل ذلك يقول<sup>(١٠)</sup>: [المتقارب]  
 إذا بلغ المرء<sup>(١١)</sup> أرضَ الْحِجَازِ      فَقَدْ نَالَ أَفْضَلَ مَا أَمَّ لَهُ<sup>(١٢)</sup>

(١) في الذيل: «بزورتنا».

(٢) في الذيل: «وبالعمرين».

(٣) في الأصل: «فناديتك» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الذيل والتكملة.

(٤) في الذيل: «لحكم».

(٥) أخذه من قول الأعمى التطيلي من موشحة تامة:

امتنع النومُ وشطَّ المزاز ولا قراز      طرُثُ ولكن لم أَصَادِفْ مَطَارَا

ديوان الأعمى التطيلي (ص ٢٦١) وجيش التوشيح (ص ٢٤) وتوشيح التوشيح (ص ١٠٦).

(٦) في الذيل: «ذراك».

(٧) في الذيل: «بهذاك».

(٨) البيتان في الذيل والتكملة (ج ٥ ص ٦٠٤) ونفع الطيب (ج ٣ ص ٢٤١).

(٩) في الذيل: «حل».

(١٠) البيتان في الذيل والتكملة (ج ٥ ص ٦٠٤) ونفع الطيب (ج ٣ ص ٢٣٦).

(١١) في النفع: «العبد».

(١٢) في الأصل والذيل والتكملة: «أمله»، والتصويب من النفع.

- وإن<sup>(١)</sup> زار قَبْرَ نَبِيِّ الْهُدَى      فَقَدْ أَكْمَلَ اللهُ مَا أُمِّلَتْ<sup>(٢)</sup>
- وفي تفضيل المشرق<sup>(٣)</sup>: [الكامل]
- لا يستوى شَرْقُ البلادِ وَغَرْبُهَا      الشَّرْقُ حَازَ الْفَضْلِ بِاسْتِحْقَاقِ<sup>(٤)</sup>
- انظر<sup>(٥)</sup> جمال<sup>(٦)</sup> الشمس عند طلوعها      زَهْرَاءُ تُعْجِبُ<sup>(٧)</sup> بِهِجَةَ الْإِشْرَاقِ
- وانظر إليها عند الغروبِ كَثِيبَةً      صَفْرَاءُ تُغْفِبُ ظُلْمَةَ الْآفَاقِ
- وكفى بيومِ طلوعها من غَرْبِهَا      أَنْ تَوْذَنَ الدُّنْيَا بِعِزِّهِ<sup>(٨)</sup> فِرَاقِ
- وقال في الوصايا<sup>(٩)</sup>: [الطويل]
- عليكَ بِكُتْمَانِ الْمَصَائِبِ وَاضْطَبْرِزْ      عَلَيْهَا فَمَا أَبْقَى الزَّمَانُ شَفِيقًا
- كفَّاكَ مِنَ الشَّكْوَى<sup>(١٠)</sup> إِلَى النَّاسِ أَنَّهَا<sup>(١١)</sup>      تَسُرُّ عَدُوًّا أَوْ تُسِيءُ<sup>(١٢)</sup> صَدِيقًا
- وقال<sup>(١٣)</sup>:
- لصانع<sup>(١٤)</sup> المعروف فَلْتَنَّةٌ عَاقِلٍ      إِنْ لَمْ تَضَعْهَا فِي مَحَلٍّ عَاقِلٍ<sup>(١٥)</sup>
- كالنفس في شهواتها إِنْ لَمْ تَكُنْ      وَفَقًا<sup>(١٦)</sup> لَهَا عَادَتْ بِضُرٍّ عَاجِلٍ
- نثره: من حكمه قوله<sup>(١٧)</sup>: إِنْ شَرَّفَ الْإِنْسَانُ فَشَرَّفَ<sup>(١٨)</sup> وَإِحْسَانٌ، وَإِنْ فَاقَ
- فَتَفَضَّلَ وَإِرْفَاقُ<sup>(١٩)</sup>، يَنْبَغِي أَنْ يَحْفَظَ الْإِنْسَانُ لِسَانَهُ، كَمَا يَحْفَظُ الْجَفْنُ إِنْسَانَهُ. فَرُبَّ
- كَلِمَةٍ تَقَالُ، تُحَدِّثُ عَثْرَةً لَا تُقَالُ. كَمْ كَسَتْ فَلَتَاتُ الْأَلْسِنَةِ الْجِدَادَ، مِنْ وَرَائِهَا مَلَابِسُ
- 
- (١) في النفع: «فإن».
- (٢) في الذيل: «أم له».
- (٣) الأبيات في الذيل والتكملة (ج ٥ ص ٦١٠ - ٦١١).
- (٤) في الذيل والتكملة: «باسترقاق».
- (٥) في الأصل: «انظر إلى جمال» وكذا ينكسر الوزن.
- (٦) في الذيل والتكملة: «لحال».
- (٧) في المصدر نفسه: «تصحب».
- (٨) في المصدر نفسه: «بوشك».
- (٩) البيتان في الذيل والتكملة (ج ٥ ص ٦١٢ - ٦١٣).
- (١٠) في الأصل: «بالشكوى»، وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الذيل والتكملة.
- (١١) في الذيل والتكملة: «أنه».
- (١٢) في الذيل والتكملة: «تسوء».
- (١٣) البيتان في الذيل والتكملة (ج ٥ ص ٦٠٩ - ٦١٠).
- (١٤) في الأصل: «وصانع» والتصويب من الذيل والتكملة.
- (١٥) في الذيل والتكملة: «قابل».
- (١٦) في الذيل: «وفقًا».
- (١٧) قابل بالذيل والتكملة (ج ٥ ص ٦٠٨ - ٦٠٩).
- (١٨) في الذيل والتكملة: «فيفضل».
- (١٩) في الذيل والتكملة: «وإنفاق»، ينبغي للإنسان أن يحفظ لسانه.

جداد<sup>(١)</sup>. نحن في زمن لا يَخْطَى فيه بنفاق، إلّا مَنْ عامل بنفاق. شُغِلَ الناس عن طريق الآخرة بزخارف الأغراض، فُلجُوا في الصُدود عنها والإعراض، آثروا دنيا هي أضغاث أحلام، وكم هَفَّت في حبها من أحلام، أطالوا فيها آمالهم، وقَصَّروا أعمالهم، ما بالهم، لم يتفرغ لغيرها بالهم، ما لهم في غير ميدانها اشتياق<sup>(٢)</sup>، ولا بِسوى هواها اشتياق<sup>(٣)</sup>. تالله لو كُشِفَت الأسرار، لما كان هذا الإضرار، ولَسَهَت العيون، وتَفَجَّرت من شؤونها الجُفون<sup>(٤)</sup>. فلو أن عينَ البصيرة من سنتها هَابَتْ، لرَأَتْ جميع ما في الدنيا رِيحاً<sup>(٥)</sup> هَابَةً، ولكن استولى العَمَى على البَصائر، ولا يعلم الإنسان<sup>(٥)</sup> ما إليه صائر. أسأل الله هدايةً سبيله، ورحمةً تورِد نسيم الفردوس وسَلْسِيله، إنه الحثان المئان لا ربَّ سواه.

ومنها<sup>(٦)</sup>: قَلَّت الهبات، أَشْبَهَ شيء بفلتاتِ الشَّهوات. منها نافع لا يُغْفَبُ ندماً، ومنها ضارٌّ يُبْقِي في النفس أَلَمًا. فَضَرَّ الهبة وقوعُها عند مَنْ لا يعتدُّ لحَقِّها أداءً، وربما أثمرت<sup>(٧)</sup> عنده اعتداء. وَضَرَّ الشهوة أن لا توافق ابتداءً، فَتَصِيرَ لمتَّبِعِها<sup>(٨)</sup> داءً، مثلُها كمثل السكر يلتذُّ صاحبه بحلاوة<sup>(٩)</sup> جنّاه، فإذا صحا يعرف<sup>(١٠)</sup> قَدْرَ ما جَنّاه. عكسُ هذه القضية هي الحالة المرضية.

مولده: بيلنسية سنة تسع وثلاثين وخمسمائة، وقيل: بشاطبة سنة أربعين وخمسمائة.

وفاته: توفي بالإسكندرية ليلة الأربعاء التاسع والعشرين لشعبان أربع عشرة وستمائة.

محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن  
محمد بن عبد الرحمن بن علي بن شبرين<sup>(١١)</sup>

يكنى أبا بكر، شيخنا الفقيه القاضي المؤرخ الكاتب البار، رحمة الله عليه.

(١) في الذيل والتكملة: «من ملابس الحداد». (٢) في الذيل والتكملة: «استنان».

(٣) في الذيل: «العيون». (٤) في الذيل: «ريخ».

(٥) في الذيل: «المرء». (٦) في الذيل والتكملة (ج ٥ ص ٦٠٩).

(٧) في الأصل: «أثرت»، والتصويب من الذيل والتكملة.

(٨) في الذيل: «فتعود لمستعملها». (٩) في الذيل: «بحلو».

(١٠) في الذيل: «تعرف».

(١١) ترجمة ابن شبرين في الكتيبة الكامنة (ص ١٦٦) وتاريخ قضاة الأندلس (ص ١٩٠) واللمحة البدرية (ص ٦٤، ٩٠، ٩٨) ونفع الطيب (ج ٨ ص ٨٥).

**أُولَيْتِهِ:** أصله<sup>(١)</sup> من إشبيلية، من حصن شُلب من كورة باجة، من غربي صُقعها، يعرفون فيها ببني شُبرين معرفة قديمة. وُلِّي جُدُه القضاء بإشبيلية، وكان من كبار أهل العلم، تشهد بذلك الصلاة. وانتقل أبوه منها عند تغلب العدو عليها عام ستة وأربعين وستمائة، فاحتل رُنْدَة ثم غرناطة، ثم انتقل إلى سُكنى سَبْتَة، وبها وُلد شيخنا أبو بكر، وانتقل عند الحادثة إلى غرناطة<sup>(٢)</sup>، فارتَسَم بالكتابة السلطانية، وولِّي القضاء بعدة جهات، وتأثَّل مَالاً وشهرة، حتى جَرَى مجرى الأعيان من أهلها.

**حاله:** كان<sup>(٣)</sup> فريد دهره، ونسيج وحده في حُسن السُّنَمَت والرُّوَاء<sup>(٤)</sup>، وكمال الظُّرف وجمال الشَّارة، وبراعة الخطِّ، وطيب المجالسة، خاصِّياً، وقوراً، تام الخُلُق، عظيم الأبهة، عذب التَّلَاوة لكتاب الله، من أهل الدين والفضل والعدالة، تاريخياً، مقبِداً، طُلَّعة اختيار أصحابه، محققاً لما ينقله، فكَّها مع وقاره، غَزِلاً، لَوْدَعِياً، علي شأن الكتابة، جميل العشرة، أشدَّ الناس على الشُّعر، ثم على المحافظة، ما يحفظه من الأبيات من غير اعتياف ولا تنقيح، يُناغي الملكين في إثباتها، مقرِّرة التواريخ، حتى عظم حجم ديوانه، تفرَّدت أشعاره بما أبرَّ على المكثرين، مليح الكتابة، سهلها، صانعاً، سابقاً في ميدانها، راجحاً كُفَّة المنثور. وكانت له رحلة إلى تونس، اتَّسع بها نطاق روايته. وتقلَّب بين الكتابة والقضاء، منحوس الحظ في الاستعمال، مُضَيِّقاً فيه، وإن كان وافر الجَدِّ، مُوسَّعاً عليه.

وجرى ذكره في كتاب «التاج المحلى» بما نصُّه:

خاتمة المحسنين، وبقية الفُصحاء اللِّسنيين، ملأ العيون هَدياً وسَمَتاً، وسلك من الوقار طريقة لا تَرى فيها عِوَجاً ولا أَمْتاً، ما شئت من فضل ذاتٍ، وبراعة أدوات. إن خطُّ، نزل ابن مُقلَّة عن دَرَجته وإن خطُّ. وإن نظم أو نثر، تَبِعَت البلغاء ذلك الأثر. وإن تكلم أنصَتَ الحفلُ لاستماعه، وشرع لُدْرره التَّفيسَة صِدْق أسماعه. وفد على الأندلس عند كائنة سَبْتَة، وقد طرحت الثَّوى برحاله، وظَعَنَ عن رُبْعِه بتوالي إِمحاله، ومُصَرَّفِ بلادِه، والمستولي على طارِفِها وتالِدِها، أبو عبد الله بن الحكيم، قدس الله صِداه، وسقى مُثْنَداه، فاهتَزَّ لِقْدومه اهتزاز الصَّارم، وتلقاه تلقى الأكارم، وأنْهَضَ إلى لقائه آماله، وألقى له قبل الوسادة ماله، ونَظَّمه في سَمَط الكُتَّاب، وأَسْلَاهُ عن أعمال

(١) قارن بتاريخ قضاة الأندلس (ص ١٩٠).

(٢) في تاريخ قضاة الأندلس: «ثم عاد عند الحادثة التي كانت بها في أواخر عام ٧٠٥ إلى غرناطة».

(٣) قارن بتاريخ قضاة الأندلس (ص ١٩٠). (٤) في المصدر السابق: «وجمال الرواء».

الأقتاد، ونزل ذمامه تأكداً في هذه الدول، وقوفي له الآتية منها على الأول، فتصرف في القضاء بجهاتها، ونادته السيادة هاك وهاتها، فجدد عهد حكامه العدول من سلفه وقضاتها. وله الأدب الذي تحلت بقلائده اللبات والتُحور، وقصرت عن جواهره البحور. وسيمر من ذلك في تضاعيف هذا المجموع ما يشهد بسعة دزعه، ويخبر بكرم عنصره، وطيب نبعه.

مشيخته: قرأ<sup>(١)</sup> على جدّه لأمه الأستاذ الإمام<sup>(٢)</sup> أبي بكر بن عبّدة الإشبيلي، وسمع على الرئيس أبي حاتم، وعلى أخيه أبي عبد الله الحسين، وعلى الأستاذ أبي إسحق الغافقي، وعلى الشريف أبي علي بن أبي الشرف، وعلى الإمام أبي عبد الله بن خريث. وسمع على العدل أبي فارس عبد العزيز الجزيري. وسمع بحضرة غرناطة على الأستاذ أبي جعفر بن الزبير، وعلى العدل أبي الحسن بن مستقور، وعلى الوزير أبي محمد بن المؤذن، وعلى الخطيب أبي عبد الله بن رُشيد. وبالمالقة على الخطيب ولي الله تعالى، أبي عبد الله الطنجالي، وعلى الوزير الصّدر أبي عبد الله بن ربيع، وعلى القاضي العدل أبي عبد الله بن بُرطال. وببجاية على الإمام أبي علي ناصر الدين المَشْدالي، وعلى أبي العباس الغُبْريني. وبتونس على أبي علي بن غُلوان، وعلى قاضي الجماعة أبي إسحق<sup>(٣)</sup> بن عبد الرّفيع، وسمع على الخطيب الصّوفي وليّ الله تعالى، أبي جعفر الزيات، والصّوفي أبي عبد الله بن بُرطال، وعلى الصّدر أبي القاسم محمد بن قائد الكّلاعي. وأجازه عالم كثير من أهل المشرق والمغرب.

شعره: وشعره متعدّد الأسفار، كثير الأغراض. وفي الإكثار مُجَلَّل الاختيار، فمنه قوله<sup>(٤)</sup>: [الطويل]

أَخَذْتُ بِكَظْمِ الرُّوحِ يَا <sup>(٥)</sup> سَاعَةَ النُّوَى	وَأَضْرَمْتُ فِي طَيِّ الْحِشَا لَاعَجَ الْجَوَى
فَمَنْ مُخْبِرِي يَا لَيْتَ شِعْرِي مَتَى اللَّقَا	وَهَلْ تَخْسُنُ الدُّنْيَا وَهَلْ يَرْجِعُ الْهُوَى؟
سَلَا كُلُّ مُشْتَاقٍ وَأَكْثَرُ <sup>(٦)</sup> وَجْدُهُ	وَعِنْدَ النَّوَى <sup>(٧)</sup> وَجْدِي وَفِي سَاكِنِ الْهُوَى
وَلِي نِيَّةٌ مَا عَشْتُ فِي حِفْظِ عَهْدِهِمْ	إِلَى يَوْمِ أَلْقَاهُمْ وَلِلْمَرْءِ مَا نَوَى

(١) قارن بتاريخ قضاة الأندلس (ص ١٩٠).

(٢) كلمة «الإمام» ساقطة في تاريخ قضاة الأندلس.

(٣) اسمه في المصدر السابق: إبراهيم بن عبد الرّفيع.

(٤) الأبيات في الكتيبة الكامنة (ص ١٧٠ - ١٧١).

(٥) في الكتيبة الكامنة: «في ساعة». (٦) في الكتيبة الكامنة: «وأقصر».

(٧) في الكتيبة الكامنة: «اللوى».

وقال: [المنسرح]

بأثوا فمن كان باكيًا يَبْكُ هذي ركابُ الشرى بلا شَكٍّ  
فمن ظهور الركاب معملة إلى بطون الرُبى إلى الفلَكِ  
تصدع الشَّمْلُ مثلما انحدرت إلى صبوبِ جواهرِ السُّلَكِ  
كُنْ بالذي حدَّثوا على ثقةٍ ما في حديثِ الفراق من إفكٍ  
من التوى قَبْلُ لم أزلْ حَذِرًا هذا التوى جَلَّ<sup>(١)</sup> مالك المُلْك

وقال: [السريع]

يا أيها المُعرَضُ الالهي يسوؤني هَجْرُكَ والله  
يا<sup>(٢)</sup> ليت شعري كم أرى فيك لا أقفك عن ويّه وعزاه<sup>(٣)</sup>  
ويحي مغيري إلى باخل واه مَن ذا السذي رآه<sup>(٤)</sup>  
من يُردِ الله فيه فتنةً يُشغله في الدنيا بتيّاه  
يا غُصْنُ البانِ ألا عطفةً على مُعئى جِسْمه واه؟  
أوسعني بعدك دُلًّا وقَدْ رَا يُثْنِيَا<sup>(٥)</sup> عندك ذا جاهٍ  
ذكرك لا ينفك عن خاطري وأنت عني غافل ساهٍ  
يكفيك يا عثمان من جفوني لو كان دَنَّبِي ذنب جهجاهٍ  
هيهات لا مُعترض لي على حُكْمك أنت الأمر التاهي<sup>(٦)</sup>

قلت: جهجاه المشار إليه رجل من عُقَار، قيل: إنه تناول عصا الخُطبة من يد عثمان، رضي الله عنه، فكسرها على ركبته، ف وقعت فيها الأكلة فهلك.

وقال: [البسيط]

يا من أعاد صباحي فقد حَلَكَا قَتَلْتُ عبدك لكن لم تَخَفْ دركا  
مصيبتني ليست كالمصائب لا ولا بُكائي عليها مثل كل بُكا  
فمن أطالب في شَرع الهوى بدمي لَحْظِي ولَحْظُكَ في قَتْلِي قد اشتركا

(١) في الأصل: «جَلَّ مني مالك...» وهكذا ينكسر الوزن.

(٢) في الأصل: «فيا» وهكذا ينكسر الوزن.

(٣) عجز هذا البيت مضطرب، لم أهتمد إلى تقويمه.

(٤) البيت مضطرب في الوزن والمعنى معًا. (٥) في الأصل: «يُثْنِي» وهكذا ينكسر الوزن.

(٦) في الأصل: «التاه».

وقال، وقد سبقه إليه الرُّصافي؛ وهو ظريف: [المنسرح]

أشكو إلى الله فَرَطَ بَلْبَالِي<sup>(١)</sup>      ولَوْعَةً لا تَزَالُ تُذَكِّي لي  
بمهجتي حائِكُ شُغِلْتُ به      حُلُوُ المعاني طِرَازُهُ عالي  
سألته لَثَمَ خَالِهِ فَأَبَى      وَمَنْ ذَا نَخْوَةٍ وَإِذْلال  
وقال حالي يَصُونُ خالي      يُدْنِي فَوَيْحِي بالحال والخال<sup>(٢)</sup>  
يُقَرِّبُنِي الْآلَ مِنْ مواعده      وَأَتَقِي مِنْهُ سَطْوَةَ الْآلِ  
لكن على ظُلْمِهِ وقسوته      فَلَسْتُ عَنْهُ الزَّمَانَ بالسالي  
وقال أيضًا مضمناً<sup>(٣)</sup>: [البسيط]

لي هِمَّةٌ كَلَّمَا حَاوَلْتُ أَمْسِكُهَا      على المَدَلَّةِ في أرجاء<sup>(٤)</sup> أرضيها  
قالت: أَلَمْ تَكْ<sup>(٥)</sup> أَرْضُ الله واسعةً      حتَّى يُهَاجِرَ عَبْدٌ مُؤْمِنٌ فيها  
وقال مُسْتَرْجِعًا مِنْ ذَنْبِهِ، وَمُسْتَوْحِشًا مِنْ شَيْئِهِ: [السريع]

قد كان عيبي قبل<sup>(٦)</sup> في غَيْبٍ      فمذ بدا شَيْبِي بدا عَيْبِي  
لا عُذْرُ الْيَوْمَ وَلَا حُجَّةٌ      فَضَخَّخْتَنِي وَالله يا شَيْبِي  
وقال<sup>(٧)</sup>: [الخفيف]

أثْقَلْتَنِي الذُّنُوبُ وَيَحِي وَوَيْسِي      لَيْتَنِي كُنْتُ زَاهِدًا كَأُويْسٍ<sup>(٨)</sup>

وَجَرَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ السُّلْطَانِ ثَالِثُ الْأَمْرَاءِ مِنْ بَنِي نَصْرٍ<sup>(٩)</sup>، بعد خلعه من مُلْكِهِ،  
وَانْتِثَارِ سِلْكِهِ، واستقراره بقصبة المُنْكَب، غريبًا من قومه، مُعَوِّضًا بالسهاد من نومه،

(١) البَلْبَالُ: شدة الهمّ والوساوس. محيط المحيط (ببل).

(٢) في الأصل: «والحال» بالحاء المهملة.

(٣) البيتان في تاريخ قضاة الأندلس (ص ١٩٠) والكتيبة الكامنة (ص ١٧٢).

(٤) في تاريخ قضاة الأندلس: «أرجأ أراضيها».

(٥) في الأصل: «تكن» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصدرين.

(٦) في الأصل: «من قبل في...» وهكذا ينكسر الوزن.

(٧) البيت في الكتيبة الكامنة (ص ١٧٢).

(٨) هو أويس القرني أحد زهاد القرن الأول الهجري. وجاء في الكتيبة الكامنة بعد هذا البيت التالي:

إنما أصل محنتي حبٌ دنيا      هي ليلى ولي بها وَجْدُ قَيْسٍ

(٩) هو محمد بن محمد بن يوسف بن نصر، الملقب بالمخلوع، وقد حكم غرناطة من سنة ٧٠١ هـ إلى سنة ٧٠٨ هـ. اللوحة البدرية (ص ٦٠).



قد فلّ الدهر سباته، وتركه يندب ما فاته، والقاضي المترجم به يومئذ مُدَبِّرُ أحكامها، وعَلِمَ أعلامها، ومتولّي نَقْضِها وإبرامها، فارتاح يوماً إلى إيناسه، واجتلاب أدبه والتماسه، وطلب منه أن يعبر عن حاله ببيان، وينوب في بثّه عن لسانه، فكتب إليه:

[الطويل]

قفا نَفَسًا فالخَطْبُ فيها يهون	ولا تَعْجَلَا إِنَّ الحديث شجون
عَلِمْنَا الذي قد كان من صَرَفِ دهرنا	ولسنا على علم بما سيكون
ذكرنا نعيمًا قد تقضى نعيمه	فأقلَقْنَا شوقَ له وحنين
وبالأمس كُنَّا كيف شِئْنَا وللدُّنا	جِرَاك على أحكامنا وسكون
وإذا بآبُنَا مَثْوَى الفؤاد ونحونا	تُمَدُّ رِقَابٌ أو تُشير عيون
فَنَعَصَّ من ذاك السرور مَهْنًا	وكَدَرُ من ذاك التَّعِيمِ مَعِينُ
ونبا عن الأوطان بين ضرورة	وقد يَقْرُبُ الإنسان ثم يَبِين
أيا معهد الإسعاد حُيِّيت معهدًا	وجادَكَ من سَكَبِ الغمام هُتُون
تريد الليالي أن تُهين مكاننا	رُويدَكَ إِنَّ الخير ليس يَهُون
فإن تكن الأيام قد لَعِبَتْ بنا	ودارت علينا لِلْخَطُوبِ فنون
فمن عادة الأيام ذلَّ كرامها	ولكنَّ سَبِيلَ الصَّابِرِينَ مُبِين
لئن خانا الدهر الذي كان عَبدنا	فلا عجب إنَّ العَبِيدَ تخون
وما غَضُّ منّا مَخْبَرِي غير أنه	تضاعف إيمانٌ وزاد يقين

وكتب إلى الحكم بن مسعود، وهو شاهد المواريث بهذه الدُّعابة التي تستخفُّ الوقور، وتُلجِّج السَّمْعَ الموقور:

أطال الله بقاء أخي وسيدي، لأهل الفرائض يُحسِن الاحتياال في مُداراتهم، وللمنتقلين إلى الدار الآخرة يأمر بالاحتياط في أمواتهم، ودامت أقلامه مُشرعة لَصَرْمِ الأجلِ المُنْشَأ، مُعدَّة لتحليل هذا الصَّنْفِ المُنْشَأ من الصُّلصال والحمأ. فمن مَيِّت يُغسل وآخر يُقبر، ومن أَجَلٍ يُطوى وَكَفِّن يُنشر، ومن رَمْسٍ يُفتح وباب يُغلق، ومن عاصِبٍ يُخس ونَعَشٍ يُطلق، فكلما خُرِبَت ساحة، نشأت في الحانوت راحة، وكلما قامت في شَعْبٍ مناحة، اتسعت للرزق مِساحة، فبإكر سيدي الحانوت وقد اختسى مَرَقته، وسَهَّل عَقْفَته، فيرى الصُّعْبَةَ بالمناصب شَطْرًا، فيلحظ هذا برفق وينظر إلى هذا شَزْرًا، ويأمر بشقّ الجيوب تارة والبحث عن الأوساط أخرى. ثم يأخذ القَلَم أخذًا رَفِيقًا، ويقول وقد خامَرَه السرور: رَجِمَ الله فلائًا لقد كان لنا صديقًا، وربما أذْبَرَه بالانزعاج الحثيث، وقال مستريحٌ منه كما جاء في الحديث. وتختلف عند ذلك

المراتب، وتَتَبَّين الأصدقاء والأجانب، فيَنصُرف هذا، وحظّه التهريب، والنظر الحديد، وينفَصِل هذا وبين يديه المُنذر الصَّيت والنعش الجديد. ثم يَغشى دار الميت ويسألُ عن الكَيْت والكيت، ويقول: عليّ بما في البَيْت. أين دعاء الثَّاغية والرَّاغية؟ أين عَقُود الأملاد بالبادية؟ وقد كانت لهذا الرجل حالاً في حال. وقد ذُكر في الأسماء الخمسة فقيل: ذو مال. وعيون الأعوام تَزنو من عَلٍ، وأعناقهم تَشْرُبُ إلى خلف الكِلل، وأزْجَلهم تدبُّ إلى الأسفاط ذبيب الصُّقور إلى الحَجَل. والموتى قد وجبت منهم الجنوب، وحضر المَوروث والمَكسُوب، وقُيِّد المَطْعوم والمشروب. وعُدَّت الصحاح، ووُزِنَت الأزطال وكيلت الأقداح. والشُّهود يُغلظون على الورثة في الآليّة، ويصونهم بالبتات في النشأة الأولى. والروائح حين تُفعم الأرض طيباً، وتُهدي الأرواح شذاً يفعل في إزعاجها على الأبدان فعلاً عجيّباً. والدلالُ يقول: هذا مفتاح الباب، والسُّمسار يصيح: قام النُّدا فما تنتظرون بالثبات؟ والشاهد يصيح فَتَغْلُو صيحته، والمُشرف يَشرب فتسقط سِنحته. والمحتضر يَهسُّ ألا حيّ فلا تسمعون، ويباهي لون العباء عليه الجواب رب أزعجون. ما هذا التَّشيج والضَّجيج؟ مُتٌ كلا لم أُمْتُ. ومَنْ حَجَّ له الحجيج، فترتفع له الأصوات، كي لا يُفصح فيه الممات. ويُبقر بطنه برغمه، ويُحفر له بجانب أبيه وبهذا أمّه. ثم يشرع في نفسه القَرَض، ولو أكفئت السموات على الأرض. ويقال لأهل السُّهام: أَحْسِنُوا، فالإحسان ثالث مراتب الإسلام، وقد نصَّ ابن القاسم على أجرة القَسَام. وسَوْغُه أَصْبَغ وسُحْنون، ولم يختلف فيه مطَّرف وابن الماجشون. إن قيل إيصال الحقائق إلى أَرْجائها، حَسَن فجزاء الإحسان إحسان، وقيل إخراج التَّسَبُّب والكسور كِفَايَه، فللكاهنين حُلُوان. اللهم غَفِّرا، ونَسْتَقِيل الله من انبساط يجرُّ غَدْرًا، ونسألُ الله حَمْدًا يوجب المزيد من نَعَمائه وشكرًا. ولولا أن أغفل عن الخَضَم، وأثقل رَخل الفقيه أبي النجم، لَأَسْتَغْلَن المجلس شَرَحًا، ولكان لنا في بَخر المُباسطة سنج، ولأَقْضينا في ذكر الوارث والوَرَاث، وبيئنا العِلَّة في أقسام الشهود مع المُشتغل بنسبة الذكور مع الأنثى. والله يَصِل عَزَّ أخِي ومجده، ويَهَب له قوة تخصُّه بالفائدة وجده، ويَزِيده بصيرة يتَّبِع بها الحقوق إلى أقصاها، وبَصَرًا لا يُغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، ودام يُحصي الخَرارِب والفُلوس والأطمار، ويملاً الطَّوامر بأقلامه البديعة الصَّنعة، ويصل الطَّومار بالطَّومار والسلام.

والشيء بالشيء يذكر، قلتُ: ومن أظرف ما وقعتُ عليه في هذا المعنى، قال بعض كتاب الدولة الحَكَمِيَّة<sup>(١)</sup> بمنورقة، وقد ولَّاه حُطَّة المواريث، وكتب إليه راغبًا

(١) هي دولة أبي عثمان سعيد بن حكم بن عمر بن حكم القرشي الذي ضبط منورقة وأقام عليها=

في الإعفاء: [الطويل]

وما نلتُ من شغل الموارث رُقعة      سوى شرح نغشٍ كلما مات مَيّت  
وأكثب للأموات صكًا كأنهم      يُخاف عليهم في الجباب التَّقَلُّتُ  
كأنى لعزرائيل صرّت مُناقضًا      بما هو يمنحو كلَّ يوم وأُثبِتُ  
وقال: فاستظرفها الرئيس أبو عثمان بن حكم وأعفاه.

مولده: في أواخر أربعة وسبعين وستمائة.

وفاته: قال في العائد: ومضى لسبيله، شهابًا من شُهَب هذا الأفق، وبقية من بقايا حَلَبَة السُّنُق، رحمه الله، في ليلة السبت الثاني من شهر شعبان المكرم عام سبعة وأربعين وسبعمائة، وتخلّف وقَرًا لم يشتمل على شيء من الكُتُب، لإيثاره اقتناء التّقدين، وعيّن جراية لمن يتلو كتاب الله على قبره على حدّ من التّعزرة والمحافظة على الإتقان. ودفن بباب البيرة في دار اتخذها لذلك.

### محمد بن أحمد بن قُطبة الدّوسي<sup>(١)</sup>

من أهل غرناطة، يكنى أبا القاسم.

حاله: مجموع خلال بارعة، وأوصاف كاملة، حسن الخطّ، ذاكرٌ للتاريخ والأخبار، مُستَوِلٍ على خصال حميدة من حُسن رواء وسلامة صدر، إلى نزاهة الهمة، وإرسال السّجّية، والبُعد عن المصانعة، والتحليّ بالوقار والجشمة، شاعر، كاتب. ومناقِبُه يَقْصُر عنها الكثير من أبناء جنسه، كالفروسيّة، والتجند، والبسالة، والرّماية، والسّباحة، والشطرنج، متحمّد بحمل القنا، مع البراعة، مديم على المروءة، مُواسٍ للمحاورج من معارفه. ارتسم في الديوان فظهر غناؤه، وانتقل إلى الكتابة، معزّزة بالخطط النّبِيهة العِلْمِيّة، وحاله الموصوفة متّصلة إلى هذا العهد، وهو معدود من حَسَنات قطره.

= أحسن قيام، وهادن الأعداء، وطالت مدته في ذلك، وحسنت سيرته إلى أن مات سنة ٦٨٠ هـ. ترجمته في بغية الوعاة (ص ٢٥٥) واختصار القدر المعلى (ص ٢٨) والمغرب (ج ٢ ص ٤٦٩) والحلة السّيراء (ج ٢ ص ٣١٨) وأعمال الأعلام (القسم الثاني ص ٢٧٤) والذيل والتكملة (ج ٤ ص ٢٨) والروض المعطار (ص ٥٤٩، مادة: منورقة).

(١) ترجم ابن الخطيب في الكتيبة الكامنة (ص ٢٨٩) لرجل قد يكون هو نفسه المترجم له، تحت عنوان: «الكاتب أبو القاسم محمد بن أبي بكر بن محمد بن أحمد بن قُطبة الهرميسي» وقال إن ابن قُطبة كتب له قصيدتين، الأولى لامية ساكنة والثانية يائية، وهذا ما ينطبق على المترجم له هنا في الإحاطة.

وثبت في «التاج المحلى» بما نصّه: «سابقُ رَكُضِ المُحَلَّى، أتى من أدواته بالعجائب، وأصبح صدرًا في الكتاب وشَهْمًا في الكتائب. وكان أبوه، رحمه الله، بهذه البلدة، قُطِبَ أَفلاكها، وواسطَةُ أسلاكها، ومُؤْتَمَن رؤسائها وأملاكها، وصَدَرَ رجالها، وولِيَ أرباب مجالها، فقد نثَلَ ابنه سهامها، فخبِر عدالَةً وبراعَةً وفهمًا، وألقاه بينهم قاضيًا شهمًا، فظهر منه نجيبًا، ودعاه إلى الجهاد سميعًا مجيبًا، فصَحِب السرايا الغُريّة المُغيرة، وحضر على هذا العهد من الوقائع الصغيرة والكبيرة، وعلى مُصاحبة البعوث، وجَوِب السُّهول والوعوث، فما رفض اليراعة للباتر<sup>(١)</sup>، ولا ترك الدفاتر للزمان الفاتر.

شعره: وله أدب بارع المقاصد، قاعدٌ للإجادة بالمراصد. وقال من الرُوضيات وما في معناها: [الطويل]

أنادم في بَطْحائها الآسَ والوَزدا	دعيني ومَطلول الرِّياض فلأنني
وأُخْكي بهذا في تورُّده الخدَا	أعلَل هذا بخُضرة شارب
ذكرتُ به لينَ المعاطف والقَدَا	وأزهرُ غَضُ البان رائدُ نسمة

وقال: [الطويل]

على كَفِّ ساقِها تَضَرُّمُ نارٍ <sup>(٢)</sup>	وليل أذناها سُلَاقًا كأنها
بِخَدِّ مَدير لا بكأسِ عَقارٍ	غُنينا عن المصباح في جُنْح ليلها

وقال: [الرمل]

تَضَدَعُ الهَمُّ بكاساتِ المُدامِ	يومنا يوم سرور فَلَنتُقم
مغرماً فيها بأحلى المنامِ	إنما الدُّنيا منامٌ فلتكن

وقال: [الطويل]

وبالهِيم ما روّث صداها المناهلُ	وبي منك ما لو كان للشرب ما صحا
وما اهتزَّ غصنٌ في الحديقة مائل	أحبك ما هبَّت من الروض نَسمة
فلئنِّي لِمَا حَمَلْتَنِي اليوم حامل	فإن شئت أن تهجر وإن شئت فلتُقبل

وقال: [الكامل]

هيئات وجهُ فلانة تحكي لنا	كم قلتُ للبدر المنير إذا بدا
---------------------------	------------------------------

(١) في الأصل: «الباتر». والباتر: السيف القاطع. لسان العرب (بتر).

(٢) في الأصل: «نارًا».

فأجابني بلسان حال واعتنى  
وصرفت وجهي نحو غُضن أُمْلَدَ  
لا الشمس تحكيها فأحكيها أنا  
قد رام يُشبه قَدْها لَمَّا انثنى  
فضحكت هُزءاً عند هُزْ قوامها  
إذا رام أن يُحكى قواماً كالقنا  
وكتبت إليه في غرض يظهر من الأبيات: [الطويل]

جوانحُنَا نحو اللقاء جوانحُ  
وتمضي الليالي والتزاورُ مُغَوْرُ  
ومقدارُ ما بين الديار قريبُ  
على الرغم مَثًا إنَّ<sup>(١)</sup> ذا لغريبُ  
فديتك عَجَلُها لعيني زيارة  
ولو مثل ما ردَّ اللَّحَاط مريب  
وإنَّ لقائي جَلَّ عن ضرب موعد  
لأكرمَ ما يُهدى الأريب أريب  
فراجعني بقوله، والتجني شيمَةً: [الطويل]

لعمرك ما يومي إذا كنت حاضراً  
أزور فلا أُلْفِي لديك بشاشةً  
سوى يوم صبَّ من عداه يغيبُ  
فيبعد مَنِّي الخطوُ وهو قريبُ  
فلا ذنب للأيام في البعد بيننا  
فإني لداعي القُرب منك مجيبُ  
وإنَّ لقاء جاء من غير موعد  
ليحسنَ لكن مرةً وَيَطِيبُ  
وإحسانه كثير، وفيما ثبت كفاية لثلاً نخرج عن غرض الاختصار.

### محمد بن محمد بن أحمد بن قُطبة الدُّوسي<sup>(٢)</sup>

يكنى محمد أبا بكر، أخو الذي قبله.

حاله: تَلَوُّه في الفضل والسراوة، وحُسن الصورة، ونصاعة الطرف، مُزِبٌ عليه بمزيد من البشاشة والتنزُّل، وبَذَل التودُّد، والتبريز في ميدان الانقطاع، متأخر عنه في بعض خلال غير هذا. ذكيُّ الذهن، مليح الكتابة، سهلها، جيّد العبارة، متأثي اليراع، مطلق اليد، حسن الخط، سريع بديهة المنثور، معمٌ، مخول في التخصُّص والعدالة. كتب الشُّروط بين يدي أبيه، ونسخ كثيراً من أمّهات الفقه، واستظهر كتباً، من ذلك «المقامات الحريية». وكتب بالدار السلطانية، واختصَّ بالمراجعة عمَّن بها، والمفاتحة أيام حركات السلطان عنها إلى غيرها. حميد السيرة، حسن الوساطة، نجديُّ الجاه،

(١) في الأصل: «وإنَّ» وهكذا ينكسر الوزن.

(٢) ترجمة أبي بكر محمد بن محمد ابن قطبة الدوسي في نثير فرائد الجمان (ص ٣١٨) والدرر الكامنة (ج ٤ ص ١٦٧).

مشكور التصرف، خفيف الوطأة. ووُلِّي الخطابة العلية، مع الاستمساك بالكتابة. ولم يؤثر عنه الشعر<sup>(١)</sup>، ولا عول عليه.

### محمد بن محمد بن محمد بن قطبة الدوسي

يكنى أبا بكر، وقد ذكرنا أباه وعمه، ويأتي ذكر جدّه.

حاله: نبيل المقاصد في الفن الأدبي، مشغول به، مفتوح من الله عليه فيه، شاعر مطبوع، مكثّر، انقاد له مَرَكِب النظم، في سنّ المراهقة، واشتهر بالإجادة، وأنشد السلطان، وأخذ الصُّلة، وارتسم لهذا العهد في الكتابة. وشرع في تأليف يشتمل على أدباء عصره.

شعره: ومما خاطب به أحد أصحابه: [الطويل]

إذا شمتُ من نحو الحمى في الدجا بَرَقَا      أبى الدَّمْعُ إلّا أن يسيل ولا يَزْقَى  
ومهما تذكّرتُ الزمان الذي مضى      تقطّعت الأخشاء من حرٍّ ما ألقى  
خليليّ، لا تجزع لمخل فأدمعي      تبادر سَقِيًّا في الهوى لمن استسقى  
وما ضرُّ من أصبحتُ ملك يمينه      إذا رقّ لي يومًا وقد حازني رِقًا  
فنيثُ به عشقًا وإن قال حاسدٌ      أضلّ الورى من مات في هاجر شقًّا  
تلهّب قلبي من تلهّب خدّه      فيا نعم ذاك الخدُّ فاض بأنْ أشقى  
ومنها:

وكم من صديق كنت أحسبُ أنه      إذا كذبت أوهامنا رفع الصّدقا

### محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن قطبة الدوسي<sup>(٢)</sup>

ابن عمّ المذكورين قبله، يكنى أبا القاسم.

حاله: حسن<sup>(٣)</sup> الصورة، لازم القراءة على شيوخ بلده، ونظم الشعر على الحدائث، وترشح للكتّيب بالدار السلطانية مع الجماعة، ممن هو في نظمه.

(١) قال عنه ابن الأحمر إنّ الشعر فتح له بابه وهو صغير، وأتى منه بما ملأ الأقطار بالكثرة، وأورد له بعض في «نثر فرائد الجمان» (ص ٣١٩ - ٣٢٠).

(٢) ترجمة أبي القاسم محمد بن محمد ابن قطبة الدوسي في الكتيبة الكامنة (ص ٢٧٢).

(٣) يبدو أن نظرة ابن الخطيب لأبي القاسم تغيرت عند تأليف الكتيبة الكامنة، فهو هناك يذمه وينعته بأقبح النعوت، على خلاف ما ورد هنا.

ومن شعره، كتب إلي بما نصّه: [الكامل]

اخسب وحده يوم رأسك ربما      تُعطي السّلامة في الصراع سلّما

محمد بن محمد بن أحمد بن قطبة الدّوسي

أخو الفقيه أبي بكر بن القاسم بن محمد المذكور.

حاله: شاب حسن فاضل، دميث، متخلّق، جميل الصورة، حسن الشكل، أحمر الوجنتين. حَفِظَ كُتُبًا من المبادئ النحوية، وكتب خطًا حسنًا، وارتسم في ديوان الجُند مثل والده، وهو الآن بحاله الموصوفة.

شعره: قيّد أخوه لي من الشعر الذي زعم أنه من نظمه، قوله: [المتقارب]

حلفتُ بمن ذاد عني الكرى      وأسهرَ جفني ليلاً طويلاً  
وألبس جسمي ثياب الثحول      وعذّب بالهجر قلبي العليلاً  
ما حُلْتُ عن ودّه ساعةً      ولا اغتَضْتُ منه سواءً بديلاً

محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى

ابن عبد الرحمن بن يوسف بن جُزَي الكَلبي<sup>(١)</sup>

من أهل غرناطة وأعيانها، يكنى أبا عبد الله.

أولّيته: تُنظر في اسم أبيه في ترجمة المُقرئين والعلماء.

حاله: من أعلام الشهرة على الفتاوة، وانتشار الذكر على الحداثة، تبرزاً في الأدب، واضطلاعاً بمعاناة الشعر، وإتقان الخط، وإيضاحاً للأحاجي والمُلغزات. نشأ بغرناطة في كنف والده، رحمه الله، مقصّور التدريب عليه، مشاراً إليه في ثُقوب الذهن، وسعة الحفظ، ينطوي على بُبل لا يظهر أثره على التفاتة، وإدراك، تُعْطِي شُغلته مخيلة غير صادقة، من تغافله. ثم جاش طبعه، وفُهِق حوضه، وتفجّرت ينابيعه، وتوقّد إحسانه.

ولمّا فقد والده، رحمه الله، ارتسم في الكتابة، فبذّ جَلّة الشعراء، إكثاراً واقتداراً، ووفور مادة، مجيداً في الأمّداد، عجيّباً في الأوضّاع، صديقاً في النسيب، مطبوعاً في المقطوعات، معتدلاً في الكتابة، نشيط البنّان، جليلاً على العمل، سيّال

(١) ترجمة محمد بن جزي في الكتيبة الكامنة (ص ٢٢٣) ونشير فرائد الجمان (ص ٢٩٢) وأزهار

الرياض (ج ٣ ص ١٨٩) ونفع الطيب (ج ٨ ص ٧٠).

المجاز، جُمُوحِ عِنانِ الدُّعابة، غَزَلًا، مُؤَثِّرًا للفكاهة. انتقل إلى المغرب لَشُفُوف خَصْلَه، على ما قد قَسَمَ الحظوظ. سبحانه من رَزَقَه بهذه البلاد، فاستقرَّ بباب مَلِكِه، مَزْعِيَّ الجناح، أثيرَ الرتبة، مطلقَ الجِراية، مقرَّر السَّهام، مُعْتَبَا وطنه، راضيًا عن جيرته، دَيْدَن من يستند إلى قديم، ويتحيزُ إلى أصالة.

**تواليفه:** أخبرني عند لقائه إياي بمدينة فاس في غرض الرسالة؛ عام خمسة<sup>(١)</sup> وخمسين وسبعمائة، أنه شرع في تأليف تاريخ غرناطة، ذاهبًا هذا المذهب الذي انتدبتُ إليه، ووقفت على أجزاء منه تشهد باضطلاعِه، وقَيَّد بخطه من الأجزاء الحديثة والفوائد والأشعار ما يفوت الوُصف، ويفوق الحدَّ. وجرى ذكره في «التاج» بما نصه<sup>(٢)</sup>:

«شمسٌ في سماءٍ<sup>(٣)</sup> البلاغة بازغة، وحجَّة على بقاءِ الفِطرة الغريزية<sup>(٤)</sup> في هذه البلاد المغربية بالغة، وفريدةٌ وقت أصاب من فيها نادرة أو نابغة، من جَذَع<sup>(٥)</sup> بن علي القادح، وجَرَى<sup>(٦)</sup> من المعرفة كل بارح، لو تعلَّقت الغوامض بالثرَيَّا لنالها، وقال أنا لها. وربما غَلَبَت الغَفْلَةُ على ظاهره، وتنطَبَّق<sup>(٧)</sup> أكامُها على أزاهره، حتى إذا قدح في الأدب رَنَدَه، تقدَّم المواكب بَنَدَه، إلى خطِّ بارع، يعثو طَوال الطويل منه إلى سرِّ وبراعة، كما ترضى المسك والكافور عن طِرس وجبر.

**شعره:** فمن غرامياته وما في معناها قوله<sup>(٨)</sup>: [الطويل]

متى يتلاقى شائقٌ ومَشْشوقٌ      ويُصبحُ عاني<sup>(٩)</sup> الحُبِّ وهو طليقُ  
أما أنها أمنيَّة عَزَّ نيلُها      ومَرَمَى لعمري في الرِّجاءِ<sup>(١٠)</sup> سحيقُ  
ولكنني<sup>(١١)</sup> خدعتُ<sup>(١٢)</sup> قلبي تَعِلَّةً      أخافُ انصداعَ القلبِ فهو رقيقُ  
وقد يُرزقُ الإنسانُ من بعد يأسه      وروضُ الرُّبى بعد الذبولِ يروقُ

(١) في الأصل: «خمس» وهو خطأ نحوي. (٢) قارن بالكتيبة الكامنة (ص ٢٢٣ - ٢٢٤).

(٣) كلمة «سماء» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من الكتيبة الكامنة.

(٤) في الكتيبة: «العربية هي بالمغربية بالغة». (٥) في الكتيبة: «من جَذَع أَبْرَ على القارح».

(٦) في الكتيبة: «ورَجَر... كل سانح، لا بارح».

(٧) في الأصل: «وتنطق» ولا معنى له. وفي الكتيبة الكامنة: «وانطبق كمامه».

(٨) القصيدة في الكتيبة الكامنة (ص ٢٢٥ - ٢٢٦).

(٩) في الأصل: «عير» وقد اخترنا هذه الكلمة من الكتيبة؛ لأنها أكثر ملاءمة للمعنى.

(١٠) في الأصل: «الرجا» وهكذا ينكسر الوزن.

(١١) في الأصل: «ولكني» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة الكامنة.

(١٢) في الكتيبة: «خادعت».



تباعذت لما زادني القربُ لوعةً  
ورمئتُ شفاءَ الداءِ بالداءِ مثله  
وتالله ما للصبِّ في الحبِّ راحةً  
ويا<sup>(٢)</sup> ربُّ قد ضاقت عليّ مسالكي<sup>(٣)</sup>  
ولا سلوةٌ ترجى ولا صبرٌ<sup>(٤)</sup> ممكنٌ  
ولا الحبُّ عن تعذيب قلبي يثنني  
شجونٌ يضيقُ الصَّدْرُ عن زَفَرَاتِهَا  
نشزتُ عقودَ الدمعِ ثم نَظَمْتُهَا  
بكيثُ أسَى حتى بكى حاسدي معي  
ولو أن عند الناس بعضَ محبّتي  
أيا عينٍ كفيّ الدمعَ ما بقي الكرى  
ويا نائمًا<sup>(٨)</sup> عن ناظريّ أما ترى<sup>(٩)</sup>  
رويدك رفقًا بالفؤاد فإنه  
نقضتْ عهدِي ظالمًا بعد عَقْدِهَا  
كتمتُك حُبِّي<sup>(١١)</sup> يعلمُ الله مُدَّةَ  
فما زلتُ بي حتى فُضِخْتُ<sup>(١٢)</sup> فإن أكن  
وقال<sup>(١٥)</sup>: [الكامل]

ومورّد الوجناتِ معسولِ اللَّمَى      فتأكّ لحظٍ<sup>(١٦)</sup> العينِ في عشاقِهِ

- (١) في الكتيبة: «فإني».  
(٢) في الكتيبة: «أيا».  
(٣) في الكتيبة: «مذهبي».  
(٤) في الكتيبة: «ولا الصبر».  
(٥) في الكتيبة الكامنة: «... حتى بكث لي حُسدي كأنّ عدوي صار وهو...».  
(٦) في الأصل: «يلقى» والتصويب من الكتيبة.  
(٧) في الكتيبة: «اليوم».  
(٨) المصدر نفسه: «غائبًا».  
(٩) المصدر نفسه: «يرى».  
(١٠) المصدر نفسه: «عذبته».  
(١١) المصدر نفسه: «حُبًا».  
(١٢) المصدر نفسه: «صوت».  
(١٣) المصدر نفسه: «صوت».  
(١٤) في الأصل: «بعد» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة.  
(١٥) القصيدة في الكتيبة الكامنة (ص ٢٢٤).  
(١٦) في الأصل: «فتأكّ بلحظ»، وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة.

الخمُرُ بين لِثَاتِهِ والزَّهْرُ في  
مِيَادُ<sup>(١)</sup> غُضَنِ البان في أثوابه  
مَنْ للهِلال<sup>(٢)</sup> بَثْغَره أو خَدَه<sup>(٣)</sup>  
ولقد تَشَبَّهَتِ الطُّبَاءُ<sup>(٤)</sup> بِشُبُهَةِ  
نادمته وَسِنًا مُحَيًّا الشمس قد  
في روضة ضحكت تُغورُ أَقَاجِها  
أَسْقِيه كَأْسَ سُلَافَةٍ كَالْمِسْكِ في  
صفراء لم يُدِرِ الفتى أَكْوَاسها  
ولقد تَلَيَّنُ الصَّخْرُ<sup>(٥)</sup> من سَطَوَاتِه  
وأَظْلُ أَرشَفُ من سُلَافَةٍ<sup>(٦)</sup> ثَغْره  
ولربما عَطَفَتْهُ عِنْدِي<sup>(٧)</sup> نَشْوَةٌ  
أَرْجُو نِدَاهُ<sup>(٨)</sup> إِذَا تَبَسَّمَ ضَاحِكًا  
أَشْكُو القساوَةَ من هَوَايَ<sup>(٩)</sup> وَقَلْبِي  
يا هل لَعَهْدٍ قد مَضَى من عودَةٍ  
يا ليت<sup>(١٠)</sup> لو كانت لذلك حيلةٌ  
فلقد يرووقُ الغُصْنُ بعد دُبُوله

وَجَنَاتِه والسُّخْرُ في أَحْدَاقِه  
ويلوحُ بَذْرُ التَّمِّ في أَطْوَاقِه  
هَبْ أَنه يحكيه في إِشْرَاقِه  
من خَلْقِه وَعَجَزَنَ عن أَخْلَاقِه  
أَلْقَى على الآفاقِ فَضْلَ رِواقِه  
وَأَسَالَ<sup>(١١)</sup> فِيها المُرْنُ من أَمَاقِه  
نَفَحَاتِه والشَّهْدِ عند مَذَاقِه  
إِلَّا تَدَاعَى هَمُّهُ لِفِرَاقِه  
فيعودُ للمعهود من إِشْفَاقِه  
خَمْرًا تُدَاوِي القلبَ من إِحْراقِه  
تَشْفِي<sup>(١٢)</sup> الخَبَالَ بِضَمِّهِ وَعِناقِه  
وأَخَافُ مِنْهُ العَثْبَ في إِطْراقِه  
والضَّغْفَ من جَلْدِي ومن مِثْاقِه  
أَمْ لا سَبِيلَ بِحَالَةٍ لِلاحَاقِه  
أو كان يُغْطِي المرءُ بِاسْتِحْفاقِه  
وَيَتِمُّ<sup>(١٣)</sup> بَذْرُ التَّمِّ بَعْدَ مُحَاقِه

(١) في الأصل: «ينادى غصن...» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة.

(٢) في الأصل: «للهلك» والتصويب من الكتيبة.

(٣) في الكتيبة: «بخذه أو ثغره».

(٤) في الأصل: «الطبأ» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة.

(٥) في الأصل: «وأمال»، وقد اخترنا هذه الكلمة من الكتيبة لأنها أكثر ملاءمة للمعنى.

(٦) في الكتيبة: «الصم».

(٧) في الكتيبة: «نحوي».

(٨) في الأصل: «فشفى الخيال» والتصويب من الكتيبة.

(٩) في الكتيبة: «رضاه».

(١٠) في الأصل: «يا ليت شعري لو...» وهكذا ينكسر الوزن، ولذلك حذفنا كلمة «شعري» ليستقيم

الوزن، كما في الكتيبة الكامنة.

(١١) في الكتيبة: «ويرووق».

ومما اشتهر عنه في هذا الغرض<sup>(١)</sup>: [الكامل]

دَهَبَتْ حَشَاشَةُ قَلْبِي المصدوع<sup>(٢)</sup> ما أنصف الأحباب يوم وداعهم  
أَنْجَذَ بَغْيَشْكَ<sup>(٤)</sup> يا غَمَامَ فَإِنِّي من كان يبكي الظاعنين بأدمع  
إِيهِ وَبَيْنَ الصُّدْرِ مِنِّي والحشا هَاتِ الحَدِيثَ عن<sup>(٧)</sup> الذين تحمّلوا  
عندي شجون في التي جَنَّتِ النَّوَى<sup>(٩)</sup> من وَضَلِي الموقوف أو من سُهْدِي<sup>(١٢)</sup> الـ  
ليت الذي بيني وبين صَبَابَتِي يا قلب<sup>(١٥)</sup> لا تجزع لما فَعَلَ النَّوَى<sup>(١٦)</sup>  
أَقْبَعْدَ<sup>(١٧)</sup> ما غَوِذْتَ في أشراكه ومهفهفٍ مهما هبت ريح الصَّبَا  
جمع المحاسن وهو منفرد بها والشمس لولا إذنه ما أَدْنَتْ

بين السَّلام ووقفه التوديع صَبَا<sup>(٣)</sup> يحدّث نفسه برجوع  
لم أَرْضَ يوم البَيْنِ فَعَلَ<sup>(٥)</sup> دموع فأنا الذي أبكيهم بنجيع  
شَجَنَ طَوَيْتَ على شَجاها ضلوعي<sup>(٦)</sup> واقدح<sup>(٨)</sup> بزئد الذُّكر نار ولوعي  
أشكو العَدَاة<sup>(١٠)</sup> وهنّ في توديع<sup>(١١)</sup> موصولٍ أو من نومي المقطوع<sup>(١٣)</sup>  
بعد<sup>(١٤)</sup> الذي بيني وبين هُجوعي فالحرُّ ليس لحادثٍ بِجَزُوعٍ  
تَبْغِي التُّزُوعَ؟ ولات حين تُزوع أبث له عِظْفاه عطف مُطيع  
فاعْجَبْ لِحُسْنِ مُفْرَدٍ مجموع خجلًا وإجلالًا له بطلوع<sup>(١٨)</sup>

- (١) القصيدة في نثير فرائد الجمان (ص ٢٩٦ - ٢٩٨)، وبعضها في نفح الطيب (ج ٨ ص ٧٧ - ٧٨) وأزهار الرياض (ج ٣ ص ١٩٧).
- (٢) في الأصل: «الصدوع» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من نثير فرائد الجمان.
- (٣) في النثير: «صَبَّ».
- (٤) في النثير: «بدمعك».
- (٥) في الأصل: «قَلَّ» والتصويب من نثير فرائد الجمان.
- (٦) في الأصل: «ضلوع» والتصويب من النثير. (٧) في النثير: «على».
- (٨) في النثير: «تَقْدَحُ».
- (٩) في النثير وأزهار الرياض: «من أي أشجاني التي جَنَّتِ الهوى». وفي النفح: «من أي أشجاني التي جَنَّتِ النَّوَى».
- (١٠) في النفح وأزهار الرياض: «العذاب».
- (١١) في المصادر الثلاثة: «تنويع».
- (١٢) في المصادر الثلاثة: «هَجَرِي».
- (١٣) في هذا البيت والبيتين التاليين مصطلحات الحديث وهي: الموقوف، والموصول، والمقطوع، والصحيح، والموضوع، والمسند.
- (١٤) في النثير: «مثل».
- (١٥) في النثير: «يا قلبي».
- (١٦) في النثير: «الهوى».
- (١٧) في الأصل: «أَبْعَدَ» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من نثير فرائد الجمان.
- (١٨) في الأصل: «مطلوع»، والتصويب من النثير.

حتى تفتّح عن رياض ربيع  
فلربّ ضرغام بهنّ صريع  
حُسْنًا كحسن الشعر بالتصريع  
فشقيت<sup>(١)</sup> باليمنوع والممنوع  
أتراه يَغْطِفه عليّ خضوعي؟  
حُبِّي ولا بِعذارِي المخلوع  
ليحوز أجزر مُنْعَم وشفيع  
لولا الهوى ما كنتُ بالمخدوع  
وأثبّنتني سوءًا لحسنِ صنيعي  
بطويل هُجران إليّ سريع<sup>(٢)</sup>  
فمنعت من<sup>(٣)</sup> ماء الرضاب شروعي  
خبرًا صحيحًا ليس بالمصنوع<sup>(٤)</sup>  
عن مُقلتي عن قلبي المصدوع<sup>(٥)</sup>  
وأنا<sup>(٦)</sup> لذكراهنّ في تَقْطِيع  
ويعزّ سلوان<sup>(٧)</sup> الهوى المطبوع  
بمُذيع سرّ للعهود مُضِيع  
إن كان قلبي منك غير جميع

ما زلتُ أسقي خدّه من أدمعي  
إن كان يرئو عن نواظر شادين  
عجبًا لذاك الشعر زاد بقرقه  
منع الكرى ظلمًا وقد منع الضنا  
جرذث ثوب العزّ عني طائعا  
لم أنتفع<sup>(٨)</sup> لئسا من الملبوس في  
بجماله استشفغت في إجماله  
يا خادعي عن سلوتي وتصبري<sup>(٩)</sup>  
أوسعتني بعد<sup>(١٠)</sup> الوصال تفرقا  
أسرغت فيما ترتضي فجزيتني<sup>(١١)</sup>  
أشرغت زُمحًا من قوامك ذابلًا<sup>(١٢)</sup>  
خُذ من حديث تولّعي وتولّهي  
يزويه خديّ مُسنِدًا عن أدمعي  
كم من ليالٍ في هواك قطعُها  
لا والذي طبع الكرام على الهوى  
ما غيرتني الحادثات ولم أكن  
لا خَير في الدنيا وساكنها<sup>(١٣)</sup> معًا

وقال في غير ذلك في غرض يظهر من الأبيات: [الطويل]

وقالوا عداك البخت والحزم عندما غدوت غريب الدار منزلك الفنث

(١) في النثر: «فُشِقْتُ».

(٢) في النثر: «لم أفتنع بسقامي الملبوس في...».

(٣) في النثر: «ويا خادعي... ومصبري».

(٤) في النثر: «بعدًا بفضل تقرّبي وجزيتني سوءًا...».

(٥) في النثر: «فأثبّنتني».

(٦) في النثر: «صريع».

(٧) في الأصل: «دايلاً» والتصويب من النثر. (٨) في النثر: «في».

(٩) في النثر: «... تولّعي وصبايتي... ليس بالموضوع». وفي النفع: «أو من حديث تولّهي

وتولّعي... ليس بالموضوع».

(١٠) في النفع: «المفجوع».

(١١) في النثر: «قلبي».

(١٢) في الأصل: «وبزّ سوا أن»، والتصويب من نثر فرائد الجمان.

(١٣) في النثر: «الدنيا وفي لذاتها إن كان جمعي منك...».

ألم يعلموا أنّ اغترابي حُرّامة  
نعم لست أرضى عن زماني أو أرى  
لقد سئمت نفسي المقام ببلدة  
يُذَلّ بها الحرّ الشريف لَعَبْدَه  
إذا اصطافها المرء اشتكى من سُومِها  
ولست كقوم في تعصّبهم عثوا  
رغبتُ بنفسي أن أساكن مَغْشَرًا  
يدسّون في لين الكلام دَوَاهِيَا  
فلا درّ دُرّ القوم إلّا عَصِيبَة  
وأترت أقوامًا حمذت جوارهم  
لهم عن عيان الفاحشات إذا بدت  
فما أَلِفُوا لَهْوًا ولا عَرَفُوا حَنًى  
به كل مُرتاح إلى الضيف والوَغى  
وأشعثُ ذي طُمْرَيْن أغناه زُفْده  
صبورٌ على الإيذاء بغيضٌ على العدا  
ولي صاحبٌ مثلي يمانٍ جعلته  
وأجرّد جرّار الأعنة فارح  
تسامت به الأعراق في آل أعوج  
وحسبي لعضّات النواذب مُنْجدا  
قطعتُ زماني خبرةً وبلوثة  
ومارستُ أبناء الزمان مُباحثًا  
وذي صَلَفٍ يمشي الهوينا ترفقًا  
إذا غبتُ فهو المَزْوَة القوم عندهم  
وإن ضمّني يومًا وإياه مَشْهد  
فحسبي عُداتي أن طويْتُ مآربي  
وقلْتُ لندياهم إذا شئت فاغربي  
وأغضيتُ عن زلّاتهم غير عاجز

وأن ارتحالي عن دارهم هو البَحْثُ؟  
تَهادي السفنِ المَواخيرِ والبَحْثُ  
بها العيشةُ التَّكرّاء والمكسب السُّخْثُ  
ويجفوه بين السّمت من سنةٍ سِثُ  
أدّى ويرى فيه أذا يَبِثُ  
يقولون بغدادُ لغرناطة أختُ  
مقالهم زورٌ ووُدْهم مَقْثُ  
هي السُّمُّ بالآل المشود لها لُثُ  
إليّ بإخلاص المودة قد مَثُوا  
مقالهم صدقٌ ووُدْهم بَخْثُ  
تعام وعن ما ليس يعيئهم صَمْتُ  
ولا علموا أنّ الكُروم لها بِنْتُ  
إذا ما أتاه منها النبأ البَغْثُ  
فلم يتشوّف للذي ضَمّه التَّخْثُ  
معينٌ على ما يتقي جأشه الشَّتُ<sup>(١)</sup>  
جليسي نهارًا أو ضجيعي إذا بَثُ  
كُمَيْتٌ وخيرُ الخيل قَدَاخُها الكَمْتُ  
ولا عِوَجٌ في الخلق منه ولا أُمْتُ  
عليها الكُمَيْت الهند والصّارم الصَّلْتُ  
فبالعُدر والتّخفيف عندي له نَعْتُ  
فأصبح حَبلي منهم وهو مُنْبَثُ  
على نفسه كيلا يزايلها السّمت  
له الصّدر من ناديهم وله الدّست  
هو المُعْجَم السُّكَيْت والعمة السُّخْثُ  
على عزمهم حتى صفا لهم الوقت  
وكنت متى أعزم فقلبي هو البَثُ  
فماذا الذي يبغونه لهم الكِبْتُ؟

(١) الشَّت: المتفرق. محيط المحيط (شتت).

وقال<sup>(١)</sup>: [الكامل]

لا تعدّ ضيفك إن ذهبت لصاحب  
أو ما ترى الأشجار مهما رُكبت  
تَعْتَدُهُ لَكِنْ تَخَيَّرَ وَأَنْتَقِ  
إِنْ حُولِفَتْ أَصْنَافُهَا لَمْ تَغْلُقْ<sup>(٢)</sup>

ومنه في المقطوعات: [السريع]

وشادن تَيَمَّنِي حُبُّهُ  
مورّد الخدين حُلُو اللَّمَى  
لم تنظو الأغصان في الروض بل  
يا أيها الطّبي الذي قلبه  
هل عطفة ترجى لصبّ شبح  
يود أن لو زرتّه في الكرى  
قد رام أن يكتسب ما نابّه  
فأفضيت أسراؤه واستوى  
خَطِّي مِنْهُ الدَّهْرَ هِنَجْرَانُهُ  
أحمر مُضْنِي الطَّرْفِ وَسَنَانُهُ  
ضَلَّتْ لَهُ تَسْجِدَ أَغْصَانُهُ  
تُضْرِمُ فِي الْقَلْبِ نِيرَانُهُ  
ليس يرجى عنك سلوانه؟  
لو متعت بالنوم أجفانه  
والحب لا يمكن كتمانهُ  
إسراؤه الآن وإعلانهُ

وقال<sup>(٣)</sup>: [مخلع البسيط]

نهارٌ وَجْهٍ وَلَيْلٌ شَعْرِ  
قد طلبا بالهوى فؤادي  
وكيف ينبغي النجاة شيء  
وقال في الدوبيت:

زارت ليلاً وأطلعت فجرها  
لما بصرت بالشمس قالت يا فتى  
صُبْحًا فَجَمَعْتَ بَيْنَ صَبْحٍ وَظِلَامٍ  
جَمَعَ الْإِنْسَانُ بَيْنَ الْأَخْتَيْنِ حَرَامٍ

وقال في غرض التورية<sup>(٥)</sup>: [الطويل]

أبغ لي يا روض<sup>(٦)</sup> المحاسن نظرة  
وبالله لا تبخل علي بعطفة<sup>(٨)</sup>  
إِلَى وَرَدَ ذَاكَ الْخَدُّ أَرْوِي بِهِ الصَّدَى<sup>(٧)</sup>  
فإني رأيت<sup>(٩)</sup> الرّوض يوصف بالثدى

(١) البيتان في نفع الطيب (ج ٨ ص ٨٣). (٢) في النفع: «تعلق» بالعين غير المعجمة.

(٣) الأبيات في نثر فرائد الجمان (ص ٣٠٢). (٤) في النثر: «وأين».

(٥) البيتان في الكتيبة الكامنة (ص ٢٢٧) ونثر فرائد الجمان (ص ٣٠٠).

(٦) في الأصل: «... لي في رياض المحاسن» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصدرين.

(٧) في المصدرين: «... الخد كنت لك الفدا».

(٨) في الكتيبة: «بقطفة». (٩) في المصدرين: «عهدت».

وقال<sup>(١)</sup>: [السريع]

وعاشقٍ صُلِّيَ ومُخْرَابُهُ      وَجْهُ غَزَالٍ ظَلَّ يَهْوَاهُ  
قالوا تَعَبَدْتُ<sup>(٢)</sup>؟ فقلتُ نعم      تَعَبُدًا يُفْهَمُ مَغْنَاهُ  
وقال وهو مليح جدًا<sup>(٣)</sup>: [الخفيف]

وصديقٍ شكَا بما<sup>(٤)</sup> حَمَلُوهُ      من قضاءٍ يَقْضِي بَطُولَ<sup>(٥)</sup> الْعَنَاءِ  
قلتُ فاردُّ ما حَمَلوكَ عليهم      قال مَنْ يَسْتَطِيعُ<sup>(٦)</sup> رَدَّ الْقَضَاءِ؟  
وقال<sup>(٧)</sup>: [المتقارب]

لسانانِ هاجَا<sup>(٨)</sup> مَنْ خَاصَمَاهُ      لسانَ الْفَتَى وَلِسَانَ الْقَضَا  
إذا لم تَحْزُ واحدًا مِنْهُمَا      فلست أرى لك أن تنطقا  
وقال<sup>(٩)</sup>: [الكامل]

تلك الذُّوَابَةُ<sup>(١٠)</sup> ذُبَّتْ من شوقي لها      وَاللَّحْظُ يَحْمِيهَا بِأَيِّ سِلَاحٍ  
يا قَلْبُ فأنْجِحْ<sup>(١١)</sup> لا إخالكَ ناجيًا      من فِتْنَةِ الْجَعْدِيِّ وَالسَّفَاحِ<sup>(١٢)</sup>  
وإحسانه كثير. ويدل بعض الشيء على كَلِّهِ، ويخْجُر طُلُّ الْغَيْثِ على  
وَبَلِّهِ.

وفاته: اتصل بنا خبر وفاته بفاس مَبْطُونًا في أوائل ثمانية وخمسين وسبعمئة. ثم تحققت أن ذلك في آخر شوال من العام قبله<sup>(١٣)</sup>.

(١) البيتان في نفح الطيب (ج ٨ ص ٨٣).

(٢) في الأصل: «تعبد» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة.

(٣) البيتان في الكتيبة الكامنة (ص ٢٨) ونثير فرائد الجمان (ص ٣٠١).

(٤) في الكتيبة: «لما». (٥) في المصدرين: «بفرط».

(٦) في الأصل: «يستطع» وهو خطأ نحوي لأنه ليس مجزومًا، وكذا أيضًا ينكسر الوزن، والتصويب من المصدرين.

(٧) كلمة «وقال» ساقطة في الأصل. (٨) في الأصل: «هَجَا» وهكذا ينكسر الوزن.

(٩) البيتان في نفح الطيب (ج ٨ ص ٨٣). (١٠) في النفح: «الذوائب».

(١١) في الكتيبة: «فأنجج وما إخالك».

(١٢) أراد بالجعدي الشجر الذي عبر عنه بالذوابة، وأراد بالسفاح اللحظ، وفي الكلمتين تورية.

(١٣) كذا جاء في نفح الطيب (ج ٨ ص ٧٠ - ٧١).

محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم  
ابن يحيى بن محمد بن الحكيم اللخمي<sup>(١)</sup>

يكنى أبا القاسم.

حاله: من كتاب «عائد الصلة»: فرغ دوحة الأصاله والخصوصية، والعلم والدين، والمكانة والجلالة، مُجلى بيته، ومجدد مآثره برأ، ومجاملة، وخيرية. نشأ بأطراف جُمَلته من الفنون؛ من حساب وفريضة وأدب وقراءة ووثيقة، إلى خط حسن، وأدب تكفُّله، حتى انقاد له أو كاد. أُعْطِي في وقعة الطاعون قاضيًا ببعض الجهات، وكاتبًا للدار السلطانية، فكانت فيه الفجعية عظيمة.

وجرى ذكره في «التاج المحلى» بما نصّه<sup>(٢)</sup>: «من فروع<sup>(٣)</sup> مجدٍ وجلالة، ورث الفضل لا عن كلاله. أشرف، مجيدٌ، معظَّم، مُخَوِّل في العشيرة، وصل لباب المجد بفرائد الخلال الأثيرة، وأصبح طِرْفًا في الخير والعفاف، واتَّصف من العدالة بأحسن اتِّصاف، وسلك<sup>(٤)</sup> من سَنَن سَلَفه، أثَرَ هادٍ<sup>(٥)</sup> لا يزال يُرشدُه ويدلُّه، ويسدُّه فيما يعقده أو يُحلِّه، وأتَّسم بميسم الحياء، والحياء خيرُ كله، إلى نزاهة لا ترضى بالدُّون، ونجابه تنهالك في صون الفنون، وطمح في هذا العهد إلى نَمَط في البلاغة رفيع، وجَنَح إلى مساجلة ما يستحسنه من مُخْتَرع وبديع، وصدرت منه طُرْف تُستَمَلح، وتُسْتَحلى إذا استحلّى. ونحن نورد ما أمكن من آياته، ونجلي بعض غُرِّه وشيَّاته.

شعره: ومن مقطوعات آياته: [الطويل]

وَهَبْتُ فَهَزْتُ عندما أن<sup>(٦)</sup> رَأْتُ به  
ورروض<sup>(٧)</sup> حَبَاهُ الْمُزْنُ خَلْعَةً بَرَقَةً  
يَحْدِثُنَا عَنْ كَرَمِهَا ماءً<sup>(٨)</sup> مُزْنَهَا  
عَجِبْنَا لِمَا رَأَيْنَا مِنْ بَرِّهَا<sup>(٩)</sup>  
الطَّلَا مِثْلَ الطِّفْلِ يَرْضَعُ فِي الْمَهْدِ  
وَبَاتَتْ رُبَاهُ مِنْ حِبَاهُ عَلَى وَغْدِ  
فَتُبْدِي ابْتِسَامَ الزُّهْرِ فِي لُثْمَةِ الْخَدِّ  
بُدُورِ حِبَابِ الْكَأْسِ تَلْعَبُ بِالنُّزْدِ

(١) ترجمة محمد بن محمد ابن الحكيم اللخمي في الكتيبة الكامنة (ص ١٩٦).

(٢) قارن بالكتيبة الكامنة (ص ١٩٦). (٣) في الكتيبة: «فرع محمداً وجلالة».

(٤) في المصدر نفسه: «واقفى». (٥) في الأصل: «هذا» والتصويب من الكتيبة.

(٦) كلمة «أن» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها ليستقيم المعنى والوزن معاً.

(٧) في الأصل: «والروض حياه» وهكذا ينكسر الوزن.

(٨) في الأصل: «ما من» وهكذا ينكسر الوزن، ولا معنى له.

(٩) صدر هذا البيت مضطرب، ومنكسر الوزن.



وقال: [الطويل]

شَرِبْنَا وَزَنْجِي الدَّيَاجِي مُوقِدٌ  
عَقَارًا رَأَتْهُ حِينَ أَقْبَلَ حَالِكًا  
عَجِبْتُ لَهَا تَرْتَاعَ مِنْهُ وَإِنِّهَا  
لَفِي الْفَرْقَدِ قَرَّتْ لِدَمِ الْمَدَامِعِ<sup>(١)</sup>

وقال: [الخفيف]

لَا حَ فِي الدُّرِّ وَالْعَقِيقِ<sup>(٢)</sup> فَحَيًّا  
مِنْ بَنَاتِ الْكُرُومِ وَالرُّومِ بِكْرًا  
خِلْتُهَا وَالْحَبَابُ يَطْفِرُ عَلَيْهَا  
قَهْوَةٌ كَالْعُرُوسِ فِي الْكَاسِ تُجْلَى  
أَمْ مَزَاجٌ أَذَاهُ صَرَفُ الْمُحَيَّا؟  
أَقْبَلْتُ تَرْتَدِي حَيَاءً<sup>(٣)</sup> يُهَيَّا  
شَفَقًا فَوْقَهُ نَجُومُ الثُّرَيَّا  
صَاغَ مِنْ لَوْلَتْهَا<sup>(٤)</sup> الْمَرْجُ حَلْيَا

وقال: [البسيط]

وَيَوْمٍ أَنَسِ صَقِيلِ الْجَوِّ ذِي نَظَرٍ  
مَا زِلْتُ فِيهِ لَشَمْسٍ طُسْتُ مُضْطَحِبًا  
صَفَرَاءَ كَالْعَسْجَدِ الْمَسْبُوكِ إِنْ شَرِبْتَ  
كَذَلِكَ الشَّمْسِ فِي أُخْرَى عَشِيَّتِهَا  
كَأَنَّهُ مِنْ وَمِيزُ الْبَرْقِ قَدْ خُلِقَا  
وَبِالنَّجُومِ وَبِالْأَكْوَاسِ مُعْتَبِقَا  
تُبْنَدِي أَحْمَرَارًا عَلَى الْخَدَّيْنِ مُوتَلِقَا  
إِذَا تَوَارَتْ أَثَارَتْ بَعْدَهَا شَفَقَا

وقال<sup>(٥)</sup>: [الطويل]

بَنَفْسِي حَبِيبُ صَالٍ<sup>(٦)</sup> عَامِلُ قَدِّهِ  
وَيَا عَجَبًا مِنْهُ مَتَى صَارَ ذَابِلًا  
وَأَعْجَبُ مِنْ ذَا أَنْ سَيَفُ لِحَاضِهِ  
عَلَيَّ وَلَمَّا يَنْعَطِفُ وَهُوَ كَالْغُضَنِ  
وَنُضْرَتُهُ لَمْ تَنْأَ عَنْ حَوَاطِهِ اللَّذَنِ<sup>(٧)</sup>  
يَمْرُقُ أَفْلَاحُ الْحَشَا وَهُوَ فِي الْجَفَنِ

وقال<sup>(٨)</sup>: [الكامل]

بِأَبِي وَغَيْرِ أَبِي غَزَالٍ نَافِرٍ  
قَمَرٌ تَلَالُأً وَاسْتِنَارَ جَبِيئُهُ<sup>(٩)</sup>  
بَيْنَ الْجَوَانِحِ يَغْتَدِي وَيَرُوحُ  
عَارَتْ بِهِ بَيْنَ الْكَوَاكِبِ يُوحُ

(١) عجز البيت منكسر الوزن. (٢) في الأصل: «العقيق» وهكذا ينكسر الوزن.

(٣) في الأصل: «حَيًّا» وهكذا ينكسر الوزن. (٤) في الأصل: «لَوْلَهَا» وهكذا ينكسر الوزن.

(٥) الأبيات في الكتيبة الكامنة (ص ١٩٧). (٦) في الكتيبة: «مال».

(٧) في الأصل: «ونضرتة تُنَارُ عَنْ حَوَاطِهِ اللَّذَنِ» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة الكامنة.

(٨) الأبيات في الكتيبة الكامنة (ص ١٩٧). (٩) في الأصل: «حبيبه» والتصويب من الكتيبة.

لم يَرِضْ غَيْرَ الْقَلْبِ مَنْزِلَةً فَهَلْ      يَا لَيْتَ شِغْرِي بِالذَّرَاعِ يَلُوحُ  
ومما نسب لنفسه وأنشدنيه: [الكامل]

لَيْلُ الشُّبَابِ انْجَابَ أَوَّلَ وَهْلَةٍ      عَنْ صُبْحِ شَيْبٍ لَسْتُ عَنْهُ بَرَاضٍ  
إِنْ سَرَّنِي يَوْمًا سَوَادُ خِضَابِهِ      فَنُصُولُهُ عَنْ سَاقِيٍّ<sup>(١)</sup> بَبِيَاضٍ  
هَلَّا اخْتَفَى فَهَرُ الَّذِي سَرَقَ الصُّبَا      وَالْقَطْعَ فِي السَّرَقَاتِ أَمْرٌ مَاضٍ  
فَعَلِيهِ مَا اسْطَاعَ<sup>(٢)</sup> الظُّهُورَ بَلَمَّتِي      وَعَلَيَّ أَنْ أَلْقَاهُ بِالْمِغْرَاضِ

وفاته: توفي، رحمه الله، بغرناطة في السابع عشر شهر ربيع الآخر عام خمسين وسبعمائة، في وقعة الطاعون، ودفن بباب البيرة رحمة الله عليه.

محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن محمد بن علي  
ابن محمد اللوشي اليحصبي<sup>(٣)</sup>

يكنى أبا عبد الله، ويعرف باللوشي.

أُولِيَّتُهُ: من لَوْشَةٍ، وقرأ العلم بها، وتعرّف بالسلطان الغالب بالله محمد قبل تَصْيِيرِ الْمَلِكِ لَهُ، وتقدم عنده. تَضَمَّنَ ذَكَرَهُ الْكِتَابُ الْمُسَمَّى بِـ«طُرْفَةِ الْعَصْرِ فِي أَخْبَارِ بَنِي نَصْرٍ»، وتقرر ذلك في حرف الحاء في اسم أبي عمر اللوشي، كاتب الدولة النُصْرِيَّة، رحمه الله.

حَالُهُ: من كتاب «عائد الصلة»: كان، رحمه الله، من أهل الحسب والأصالة، شاعراً، مَذَاحاً. نشأ مُدَلِّلاً فِي حُجُورِ الدَّوْلَةِ النُّصْرِيَّة، خَفِيفاً عَلَى أَبْوَابِهَا، مُفَضَّلًا عَلَى مُذَاحِهَا. ثُمَّ تَجَنَّى بِآخِرَةٍ، وَلَزِمَ طَوْرًا مِنَ الْخُمُولِ فِي غَيْرِ تَشَكُّ، أَعْرَضَ بِهِ عَنْ أَرْبَابِ الدُّنْيَا، وَأَعْرَضَ عَنْهُ، وَاقْتَصَرَ عَلَى تَبْلُغٍ مِنْ عُلَالَةٍ مُؤَمِّلٍ كَانَ لَهُ خَارِجٌ غَرْنَاطَةَ، غَيْرُ مُسَادٍ مِنْ ثَلَمِهِ، وَلَا مُضْلِحٍ فِي خَلْلِهِ، أَخَذَ نَفْسَهُ بِالتَّقَشُّفِ، وَسُوءِ الْمَسْكَنِ، وَالتَّهَاقُوتِ بِالْمَلْبَسِ، حَمَلًا عَلَيْهَا فِي غَيْرِ أَبْوَابِ الرِّيَاضَةِ، مَجَانِبًا أَرْبَابَ الْخُطْطِ، وَفِيَّاءَ لِمَنْ لِحَقَّتْهُ مِنَ السُّلْطَانِ مَوْجِدَةٌ، تَخْتَلِفُ مَعَامِلَتُهُ لِمَنْ يَعْرِفُهُ فِي الْيَوْمِ مَرَّاتٍ، مِنْ إِعْرَاضٍ عَنْهُ، وَقَبُولٍ عَلَيْهِ، وَلِصُوقٍ بِهِ، كُلِّ ذَلِكَ عَنْ سَلَامَةٍ، وَتَهْيُّبٍ نَفْسٍ. مَلِيحُ الدُّعَابَةِ، ذَاكِرًا لِقُنُونٍ مِنَ الْأَنَاشِيدِ، حَسَنُ الْجَدِّ، مُتَجَافِيًا عَنِ الْأَعْرَاضِ.

(١) في الأصل: «ساق» وهكذا ينكسر الوزن.

(٢) في الأصل: «ما استطاع» وهكذا ينكسر الوزن.

(٣) ترجمة محمد بن محمد اللوشي اليحصبي في الكتيبة الكامنة (ص ١٧٥) ونثير فرائد الجمان (ص ٣٢٩).

وجرى ذكره في «التاج» بما نصّه<sup>(١)</sup>: شاعر مُفلق، وشهابٌ في أفق<sup>(٢)</sup> البلاغة متألق، طبّق مفاسل الكلام بحُسام لسانه، وقلّد نحوَرَ الكلام<sup>(٣)</sup> ما يُزري بجواهر الملوك<sup>(٤)</sup> من إحسانه. ونشأ في حُجور الدولة النصرية مُدَلِّلاً بمئاته، متقلِّباً في العزِّ في أفانيه وأشتاته، إذ لسلَفه الدُّمام الذي صَفَّت منه الحياض والحمام، والوداد الذي قَصُرَتْ عنه الأنداد، والسابقة التي أزرى بخبرها العيان، وشهدت بها أَرْجُونة وجيَّان، محيِّز ثمرة الطيب. وله همّة عالية، بعيدة المرمى، كريمة المسمى، حَمَلته بأخرة على الانقباض والازدراء والزهد في الازدياد والاستكثار، والاقتصاد والاقتصار، فعَطَف على انتجاع غلّته، والتزام محلّته، ومُباشرة فلاحه صان بها وجهه؛ ووفّاه الدهر حقّه ونجمه، واحتجبت عقائلُ بيانه لهذا العهد وتقنّعت، وراودتها النُّفس فتمنّعت، وله فكاهة وأنس الزمان مناجاة القينات، عند البَيَات، وأعذبُ من معاطاة الرّاح في الأقداح.

شعره: قال: وله أدبٌ بلغ في الإجادة الغاية، ورفع للجبين من السُّنن الرّاية. ومن مقطوعاته يودع شيخنا الفقيه القاضي أبا البركات بن الحجّاج: [الطويل]

وأحرقْتُ في نارِي لَدَى زَفَرَاتِي	رَأُونِي وَقَدْ أَغْرَقْتُ فِي عَبْرَاتِي
فَقُلْتُ سَلُّوا عَنِي أَبَا الْبَرَكَاتِ	فَقَالُوا سَلُّوهُ تَعْلَمُوا كُنْهُ حَالِهِ
رَوَتْ عَنْهُ أَجْفَانِي غَرِيبَ ثَبَاتِ	فَمَنْ قَالَ إِنِّي بِالرَّحِيلِ مُحَدِّثُ
تَرَحَّلُ وَكُنْ فِي الْقَوْمِ بَعْضُ عُدَاتِ	وَنَادَى فُوَادِي رَكْبَهُ فَأَجَابَهُ

ومن مقطوعاته البديعة من قصيدة مجازية: [الطويل]

وَهَلْ فِي الدُّنَا يَوْمَ الْمَسِيرِ أَطِيقُ؟	سَيُخْطَبُ قَسُ الْعِزْمِ فِي مَنِيرِ السُّرَى
فَمَا زَالِ طِيبُ الْعَمْرِ عَنِّي يَرِيقُ <sup>(٥)</sup>	وَأَقْطَعُ زَنْدَ الْهَجْرِ وَالْقَطْعُ حَقُّهُ

مولده: في حدود ثمانية وسبعين وستمائة.

وفاته: في الموقى عشرين من شهر ربيع الثاني من عام اثنين وخمسين وسبعمائة.

(١) قارن بتاريخ قضاة الأندلس (ص ١٧٥). (٢) كلمة «أفق» ساقطة من الكتيبة الكامنة.

(٣) في الكتيبة: «الملوك». (٤) في المصدر نفسه: «السلوك».

(٥) في الأصل: «يُسْتَرَقُّ» وهكذا ينكسر الوزن، وفيه عيب القافية.

## محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن يحيى ابن الحكيم اللخمي<sup>(١)</sup>

يكنى أبا بكر.

أولَّيته: مرّت في اسم ذي الوزارتين.

حاله: من كتاب «عائد الصلة»: «كان صَدْرُ أبناء أصحاب النعم، وبقية أعلام البيوت، تَرَفُّ نشأة، وعزُّ تربية، وكرم نفس، وطيب مجالسة، وإمتاع محاضرة، وصحة وفاء، وشياع مشاركة في جملة فاضلة، محدثًا تاريخيًا، كاتبًا بليغًا، حسن الخط، مليح الدُّعابة، ظريف التوقيع، متقدم الحيلة في باب التحسين والتنقيح، يقرض الشعر، ويفكُّ المعنى، ويقوم على جُمْل الكتاب العزيز، حفظًا وتجويدًا، وإتقانًا، ويسرُد نِتف التاريخ، وعيون الأخبار، إلى حُسْن الخلق، وكمال الأبهة، وحلاوة البساطة، واحتمال المُناشئة، والمثابرة على حفظ المودة، والاستقالة من الهفوة، والتمسُّك بالاستِغْتَاب والمَغْذِرة. كتب بالدار السلطانية أكثر عُمره، وتصدَّر بعد في قيادة المواضع النُّبِيهة، محاربًا ذا قدرة في ذلك، ومع ذلك فشائغُ المعروف، ذائع المشاركة. قيّد الكثير، ودوّن وصنّف، وحمل عن الجَلَّة ممن يَشُقُّ إحصاؤهم، وكان غرّة من غرر هذا القطر، وموكبًا من مواكب هذا الأفق، لم يتخلف بعده مثله.

وجرى ذكره في «التاج المحلى» بما نصّه<sup>(٢)</sup>: «ماجدٌ أقام رسم<sup>(٣)</sup> المجد بعد عفاؤه، فوقى الفضل حقّ وفائه. بيّنه في رُندة أشهر في الأصالة من بيت امرئ القيس، وأزسى في بُخْبُوحة الفخر من قواعد الرضوى وأبي قيس. استولى على الجود البديع البعيد المدى، وحجّت إليه من كل فج طُلاب الندى، وعشّت إلى ضوء ناره فوجدت على النار التقي والهدى. وُلّي الوزارة النُصْرية التي اعتصر منها طريقًا بتالد، فأحيت مآثرها الخالدة مآثر يحيى بن خالد<sup>(٤)</sup>. ولما أدار عليها الدهر كأس النوائب، وخَلَص إليها سهمه الصائب، بين صحائف الكُتُب وصفائح الكتائب، تطلّعت من خلالها الرائقة لُباب الوجود، وبكّتها بسيل أجفانها عينُ الباس والجود، وطلّعت على

(١) ترجمة محمد بن محمد بن الحكيم في الكتيبة الكامنة (ص ١٩٥) ونفح الطيب (ج ٨ ص ٤٢).

(٢) قارن بالكتيبة الكامنة (ص ١٩٥). (٣) في الكتيبة: «ربع».

(٤) هو يحيى بن خالد البرمكي، وزير الخليفة هارون الرشيد.

أعقاب هذه الفضائل مُحَلَّى من صفحاتها، وأعاد لو ساعده الدهر من لَمَحَاتِهَا، وارتقى من الكتابة إلى المحلِّ الثَّيِّب، واستحقَّها من بعض ميراث أبيه، وبَنَى وشيَّد، ودَوَّن فيها وقيد، وشَهِر في كُتُب الحديث وروايته، وجَنَى<sup>(١)</sup> ثمرة رِحلة أبيه، وهو في جِجَر دُؤَابَتِهِ<sup>(٢)</sup>، وأنشأ الفهارس، وأحيا الأثر الدَّارِس، وألَّف كتابه المسمى بـ«الموارد المُستَعْدبة والمقاصد المُنتخبة» فَسَرَح الطَّرْف، وروَّضهُ طَيِّب الجنى والعزف. وله شعْرُ أُنِيق الحِلْيَة، حاز في نمط العِلْيَة. وبينى وبين هذا الفاضل وداد صافي الحِياض، وفكاهة كَقَطْع الرِّياض، ودُعابة سَحَبَت الدَّالَة أذْيالها، وأدارت الثَّقة والمقة جريالها. وسيمرّ في هذا الديوان كل رائق المُحَيَّا، عاطر الرِّيا.

مشيخته: قرأ على الأستاذ أبي جعفر الحريري، والأستاذ أبي الحسن القَيْجاطي، والأستاذ إسْحَق بن أبي العاصي. وأخذ عن الطَّم والزَّم، من مشايخ المشرق والمغرب، فمنهم الولي الصالح فضل بن فضيلة المعافري، إلى العدد الكثير من أهل الأندلس، كالخُطباء الصلحاء أبي عبد الله الطَّنْجالي، وأبي جعفر الزِّيَّات، وأبي عبد الله بن الكَمَاد، وغيرهم من الرُّنْدِين والمالْقِين والغَرْنَاطِين، حسبما تضمنه برنامجه.

توالياً: ألَّف الكتاب المسمى، «الفوائد المُنتخبة والموارد المُستَعْدبة». وكَمَّل التاريخ المسمى بـ«بميزان العمل» لابن رَشِيق. ودَوَّن كتاباً في عبارة الرُّوْيا سَمَّاه «بشارة القلوب بما تخبره الرُّوْيا من الغُيوب» و«الأخبار المَذْهَبَة» و«الإشارة الصُّوفِيَّة، والثُّكَّت الأدبية». والهَوْدُج في الكتب. والإشارة في ألف إنشاده.

شعره وكتابه: قال في التاريخ ما نصُّه: «وتهادته إلى هذا العهد رُتِب السَّيَادَة، واستَعْمَل في نيهات القيادة؛ فَوَجَّه إلى معقل قرطمة من كورة رُيُّه وهو واليه، وبطاحه في مجرى جِيادِه وصَحْر عواليه. وقد حللت مألقة صُحْبَة الرُّكْب السلطاني في بعض التَّوَجُّهات، إلى تلك الجهات، في بعض ما أتحف من مقعده، المتصل المستمر، بهديَّة مشتملة على ضروب من البَرِّ فخاطبته مقيماً لسوق الانبساط، وغير حائِد على الوداد والاعتباط، على ما عَوَّل عليه من حمل الإفراط، والانتظام في هذا المعنى والانخراط: [الطويل]

أُلام على أخذ القليل وإنما      أَعامِل أقواماً أقلَّ من الذَّرِّ  
فإن أنا لم أخذه منهم فقدته      ولا بُدُّ من شيء يُعين على الدَّهْرِ

(١) في الكتيبة: «واجتنى ثمره رحلة إليه؛ وهو...».

(٢) في المصدر نفسه: «دايته، ودَوَّن الفهارس...».

سيدي، أطلق الله يدك بما تَمَلِّك، وفَتَّر عن منحك البُخل لئلا تهلك. كنت قد هَوِّمت، وحذَرني القلق فتلوِّمت. ولؤمي كما علمت سيء الخصال، عزيز الوصال. يَمْطُل دَنِيي، ويعاف طيره ورذ عيني. فإذا الباب يدقُّ بحجر، فأنبأني عن ضَجَر، وجارُ الجنب يُؤخذ بالذَّنْب، فقمّت مُبادراً وجَزِعت، وإن كان الجَزَع مني نادراً. واستفهمتُ من وراء العَلَق، عن سبب هذا القَلَق. فقالت امرأة من سكان البوادي: رابطةُ الفؤاد يا قوم، رسول خَيْر، وناعق طَيْر، وقرعُ إِذلال، لا فرغُ إِذلال. حُطُّوا شعار الحَرْب والحَرْب، فقد ظفرتُم ببلوغ الأَرَب، فتأخزْتُ عن الإقدام، وأنهدتُ إليه، فحَنَّ عمر بن أبي ربيعة عمن كان بالدار من الخُدام، فأسفرت الوقية عن سلام وسُلم، ولم يَزِن أحد منا بكليم. ونظرْتُ إلى رجل قرطبي الطَّلعة والأخلاق، خاوَ على الإطلاق، تنهَّد قبل أن يُسَلِّم، وارتمض لما ذهب من الشَّبيهة وتألَّم. شَنَشَنَة معروفة، وعينُ تلك الجهات معاذ الله مضرووفة. وقد حَمَلته سيادتكم من المبرَّة ضرورياً شَتَّى، وتجاوزتُ في المسرات غاية حتى. ولم تُضع عضواً من جَسَدِه، فضلاً عن مَنكبه ويده، إلّا عُلَّقته وعاء ثَقِيلاً، وناطَتْ به زَنْبِيلاً. واستلقى كالمَنِيّ إذا ترك المُعْتَرَك، وعَلَّتْ حوله تلك الأثقال، وتعاورها الانتقال، وكثُر بالزُّقاق القيلُ والقال. فلما تَخَلَّصْتُ إلى الدار، وسترْتُ معرفتها بالجدار، وتناولها الاختبار الفاضح، وبان قصورها الواضح، فتلاشت، بعد ما جاشت، ونظرت إلى قَعْب من اللَّبن الممزوق، الذي لا يُستعمل في البيوت ولا يباع في السُّوق، فأذكرتني قول الشاعر: [البسيط]

تلك<sup>(١)</sup> المكارم لا قُعْبَانٌ مِنْ لَبِنٍ      شَيَّبَتْ بِمَاءِ فَعَادَتْ بَعْدُ أَبْوَالاً

أما زُبْدُه فزُفِع، وأما جُبْنُه فاقْتَبِيت به وانتفع، وأما من بعثه من فضلاء الخُدام فدُفِع، وكأنني به قد ألحَّ وُضِع، والتفت إلى قُفَّةٍ قد خِيطت، وبعثت ذاك البائس قد نِيطت، رَمَسَ فيها أفرّاح الحمام، وقُلِّدت بجيده كما يُتقلد بالتمائم، وشُدَّ حَبْلُهَا بمخنقه، وألْزِمَ منها في العاجل طائرُه في عنقه، هذا بعد ما دُبِحت، وأما حشوها فزُبِحت. ولو سلكتُم الطريقة المُثَلِّى، لحفِظْتُم جِثَّتْها من العَفْن كما تُحفظ جُثَّة القتلى، وأظنكم لم تُغفلوا هذا الغرض الأدنى، ولا أهملتُم هذه الهمم التي غريزة في المَنَبِي. فإني رميتُ منها اللُّهُو رمي المُخْتَبِر، فكُلِّح من مرارة الصبر، ولما أخرجْتُها من كَفْنِ القَفَّة، واستدعيت لمواراتها أهل الصُّفَّة، تمثَّلت تمثَّل اللبيب،

(١) في الأصل: «في تلك...» وهكذا ينكسر الوزن.

بقول أبي تمام حبيب<sup>(١)</sup>: [الكامل]

هُنَّ الْحَمَامُ فَإِنْ كَسَرْتَ عِيَاةَ<sup>(٢)</sup> مِنْ حَائِثِهِنَّ فَإِنَّهِنَّ حِمَامٌ<sup>(٣)</sup>

ولو أن إحدى الدجاجتين لاحت عليها مُخَيِّلَةٌ سِرٌّ، لكانت من بقايا مواطني ديوك بني مُرٍّ، وبعث بها حلالك حلاله، وأهدى منها اجتهاد مَنْ أَحْسَنَ. ولم يكن بالهدية ما يُذكر، ولا كانت مما يُنكر، أَسْتَغْفِرُ الله، فلو لم تكن التُّحفة، إِلَّا تلك الفكاهة العاطرة والغمامة الماطرة، التي أَحْسَبُهَا الأمل الأقصى، وتجاوزت إِلَّا مِنَ التي لا تُعَدُّ ولا تُحصى، للزم الشكر ووجب، وبرز من حُرِّ المدح ما تيسَّر واحتجب. فالمكارم وإن تَغَيَّرَتْ أنسابُها، وَجُهِلَ انتسابُها، وأدعي إرثُها واكتسابُها، إليكم تُنشر يدها، وتَسْعَى لأقدامها، وَلَبَّيْتُكُمْ تميل بهواديبها، وبساحتكم يسيل واديبها، وعلى أرضكم تُسْحُ غواديبها. ومثلي أعزكم الله، لا يُغْضِي من قدر تُحْفِكُمُ الحافلة، ولا يَقْدِر من شكرها على فريضة ولا نافلة، ولكنها دُعابة معتادة، وفكاهة أصدرتها ودادة. ولا شك أنكم بما جُيِلْتُمْ عليه قديمًا وحديثًا، تغتفرون جفائي، الذي سيَرْتَمُوهُ سَمَرًا وحديثًا في جنب وفائي، وتُغْضُونَ وتتحملون، ويقول الشاعر تتمثلون، وأسمع من الألفاظ اللغوية التي يُسَرُّ بها سَمْعِي، وإن ضمنت شَتْمِي ووصفي: [الطويل]

بعثت بشيء كالجفاء وإنما	بعثت بعُذْرِي كالمُدْلٍ إلى عَذْرِ
وقلت لنفسِي لا تَزْدَعِي فإنه	كما قيل شيء قد يُعِين على الدهر
وما كان قدر الوُدِّ والمجد مثله	فخذَه على قدر الحوادث أو قُدْرِي
وإن كنت لم أحسن صنيعي فأُتْنِي	سأحسن في حُسن القبول له شكْرِي
وقُدْرُكَ قدر النيل عندي وإنني	لدى قدرك العالي أدقُّ من الدُرِّ
فَنَعْتُ وحظِّي من زمانِي ووُدِّكم	هباءً ومثلي ليس يقنع بالنُّزْرِ
أتاني كتاب منك باؤ مبارك	لقيتُ به الآمال باهتة الثُّغْرِ
جلا من بنات الفِكر بكَرًا وزَقْها	إلى ناظري تختال في حَبَرِ الحَبْرِ
فألفاظها كالزَّهر والزهر يانع	وقدُرُ المعاني في الأصالة كالزهر
نجوم معانٍ في سماء صحيفة	ولكنها تُسْري النجوم ولا تسْري
تضمَّن من نوع الدُعابة ما به	رجوتُ الذي قد قيل في نَشْوة الخمر

(١) البيت في ديوان أبي تمام (ص ٢٤٧) من قصيدة من ٥٦ بيتًا.

(٢) العيافة: زجر الطير. (٣) الحمام، بكسر الحاء: الموت.

رعى الله مَسْرَها الكريم فجَلَّ ما  
 لعمرى لقد أذْكَرْتَنِي دولة الصُّبا  
 ولما أَتَتْ تلك الفكاهة غَدْوَةً  
 ولا سيما إن كان مُلْحَم بُزْدها  
 نشرَتْ بها ما قد طويَتْ بِساطَه  
 ونعم خليل الخير أنت محافظًا  
 ودونَكها تلهو بها وتُدِيرها  
 جَلَّتْهُ من البُشْرى وأبْدَتْ من البِشْرِ  
 وأهْدَيْتَ لي نَوْعَ الجلال من السُّخر  
 وجدْتُ نشاطًا سائر اليوم في بِشري  
 عميدُ أولي الألباب نادرة العصر  
 زمانًا وبِبي طيُّ الأمور مع النُشر  
 على سُنَنِ الإخلاص في السِّرِّ والجهر  
 سُحَيْرِيَّة الأنفاس طيِّبة النُّشْرِ

فراجعني بقوله:

وقد مَنَّ سيدي الجواب، محتويًا على العجب العُجاب، فيالكِ من فكاها كَوْرِيَّة  
 المناهل، غُثْبَرِيَّة المسائل، ولو لم يكن إلَّا وَضْفُ القرطبي المستوى الطَّلعة، الشَّرْطي  
 الصُّنعة. وأما وصف اللين وفراخ الحمام، فقد بَسَطْتُمْ في المزاح القول. وامتنعتم في  
 الكلام الفُضْل. وذلك شيء يعجز عن مُساجلتكم فيه أربابُ البلاغة والبيان، فكيف  
 بمثلي ممن له القول المُهْلَهْل التَّسْيِج الواهي البيان. ولا بدَّ من عَرَض ذلك على  
 سيدي القُطْب الكبير الإمام، وأستاذنا عَلم الأعلام، وكبير أئمة الإسلام، فيحكم بيننا  
 بحكم الفُضْل، ويُنصف بما لديه من الحق والعدل. وقد كنت أحميد عن مراجعتكم  
 جَيِّدَة الجبان، وأميل عن ذلك ميلاً الكَوْدُن<sup>(١)</sup> عن مجارة السُّمْرِ الهجان، وأعدل عن  
 مساجلة أدبكم الهَتَّان، عدول الأغْزَل عن مبارزة جَيِّد السَّنَان. إلى أن وثقت بالصفح،  
 وعوَلت على ما لديكم من الإغضاء والسَّمْع، ووجهْتُ حاملة السِّرِّ والظروف، كي  
 تتصل الهدايا ولا ينقطع المعروف. وأسْتَقِيل من انبساط يجرُّ غُذْرًا، وأسأله سبحانه  
 وتعالى حمدًا يوجب المزيد من إنعامه وشكرًا. دام سيدي وآماله مساعدة، والكلمة  
 على فضله واحد.

ومن شعره في التُّسْك واللَّجْلإ إلى الله تعالى<sup>(٢)</sup>:

أيا مَنْ له الحُكْمُ في خَلْقِه      ويا مَنْ<sup>(٣)</sup> بِكَرْبِي له أَشْتَكِي  
 تَوَلَّ أُمُورِي ولا تُسْلِمْنِي      وإن أنت أَسْلَمْتَنِي أَهْلِكِ  
 تعاليتَ من مُفْضَل<sup>(٤)</sup> منعِم      ونُزْهَتَ من طالبٍ مُذْرِكِ

(١) الكَوْدُن: الفيل، والمراد هنا البطيء في مشيه. محيط المحيط (كود).

(٢) الأبيات في الكتيبة الكامنة (ص ١٩٦).

(٣) في الأصل: «ومن» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة الكامنة.

(٤) في الكتيبة: «من مُنْعَمٍ مفضل».



ومن ذلك ونقلته من خطه<sup>(١)</sup>: [الطويل]

تَصَبَّرْ إِذَا مَا أَدْرَكَكَ مُلِمَّةٌ      فَصُنْعُ إِلَهٍ الْعَالَمِينَ عَجِيبُ  
وما يذكرك<sup>(٢)</sup> الإنسانَ عَارَ بَنَكَبَةٍ      يُنَكَّبُ<sup>(٣)</sup> فِيهَا صَاحِبٌ وَحَبِيبُ  
فَفِي مَنْ مَضَى لِلْمَرْءِ ذِي الْعَقْلِ أَسْوَةٌ<sup>(٤)</sup>      وَعَيْشُ كَرَامِ النَّاسِ لَيْسَ يَطِيبُ  
وَيَوْشِكُ أَنْ تَهْمِي سَحَابُ نَعْمَةٍ      فَيُخَصِّبُ رَنْعَ لِلْسُرُورِ<sup>(٥)</sup> جَدِيبُ  
إِلَهْكَ يَا هَذَا مَجِيبُ<sup>(٦)</sup> لِمَنْ دَعَا      وَكُلُّ الَّذِي عِنْدَ الْقَرِيبِ قَرِيبُ

مولده: عام خمسة وستين وستمائة.

وفاته: من «عائد الصلاة»، قال: وختم الله عمره بخير العمل من الإنابة والتهدُّج، والتزام الورد، وإن كان مُستصحِب الخيرية. وحلَّ ببلد ولايتهم رُندة، فكانت بها تُرَبِّته في الثالث والعشرين لربيع الآخر عام خمسين وسبعمئة.

### محمد بن محمد بن علي بن العابد الأنصاري

وُلِدَ المذكور بعد، الكاتب بالدار السلطانية.

حاله: من كتاب طُرْفَةِ العصر وغيره، قال: كان كاتبًا مشهورًا، بليغًا، ذا معرفة، بارع الخط، أوْحَدَ زمانه في ذلك، وقورًا، مُعَدَّبُ اللفظ، منحطًا في هوى نفسه، مُحَارِقًا<sup>(٧)</sup> بحرفة الأدب على جلالة قدره. وكتابه نقيّة، جانحة إلى الاختصار.

شعره: وثيق، ثقلُ فيه أرواح المعاني كشر أبيه، وتوشيحُه فائق. تولى كتابة الإنشاء لثاني الملوك النصريين<sup>(٨)</sup>، واستمرَّ قيامه بها على حَجَرٍ شديد من السلطان ومَحْمَل؛ لِمَلازمته المُعَاقرَة وانهماكه في البطالة، واستعمال الخمر، حتى زعموا أنه قاء يومًا بين يديه، فأخَّره عنها، وقَدَّم الوزير أبا عبد الله بن الحكيم. وفي ذلك

(١) الأبيات في الكتيبة الكامنة (ص ١٩٥) ونفع الطيب (ج ٨ ص ٤٢).

(٢) في النفع: «وما يلحق». (٣) في الكتيبة: «فينكب».

(٤) الأسوة: بضم الهمزة وكسرهما؛ هو ما يأتي به الحزين يتعزى به. مختار الصحاح (أسا).

(٥) في الأصل: «من ريع السرور» والتصويب من المصدرين.

(٦) في النفع: «قريب».

(٧) المحارقة: الاحتيال، والمراد هنا الاحتراف. محيط المحيط (حرف).

(٨) هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن يوسف بن نصر، وقد حكم غرناطة من سنة ٦٧١ هـ حتى

سنة ٧٠١ هـ. ترجمته في اللوحة البدرية (ص ٥٠)، وتقدمت ترجمته في الجزء الأول من

الإحاطة.

يقول: [الطويل]

أمن عادة الإنصاف والعدل أن أُجفا لأن زعموا أنني تحسّيتها صرّفا؟  
وأقام بقيّة عمره تحت رِفْدٍ وبرّ.

وفاته: توفي في حدود التسعين وستمائة. وكان شيخنا ابن الجيّاب قد أثره  
بكتّبه، وكانت نفيسة أعلاها بخط أبيه، رحمه الله.

### محمد بن مالك المُرّي الطُغْنري<sup>(١)</sup>

من أهل غرناطة، من ذوي البيّية والحسب فيها. ذكره الأستاذ<sup>(٢)</sup> في الكتاب  
المسمّى بالصلة، والغافقي<sup>(٣)</sup>، وغيرهما.

حاله: أديب نبيل، شاعر؛ على عهد الأمير عبد الله بن بلقين بن باديس،  
صاحب غرناطة. قال: وكان أولاً يميل إلى البطالة والراحة. ثم إنه استيقظ من غفلته،  
وأقلع عن راحته، وأجّب في توبّته. وكان من أهل الفضل والخير والعلم.

من تواليفه: كتابه الشهير في الفلاحة، وهو بديع، سمّاه «زهرة البستان، ونُزهة  
الأذهان»، عبرة في الطُرف. قال: وجرى له مع سَماجة<sup>(٤)</sup> خليفة عبد الله بن بلقين  
قصة. إذ فاجأه سماجة مع إخوان له، ولم يشعروا به، فأنشده ابن مالك ارتجالاً، وقد  
أخذ بلبجام دابته: [الخفيف]

بينما نحن في المُصلّى نُساقُ وجناح العَشيّ فيه جُنوحُ  
إذ<sup>(٥)</sup> أتانا سماجةٌ يتلألاً فردى<sup>(٦)</sup> الشمس من تجليّه<sup>(٧)</sup> يوحُ  
فطفقنا يقول بعض لبعض أغبوقُ شراينا أم صَبُوحُ؟

(١) ترجمة محمد بن مالك في الذخيرة (ق ١ ص ٨٠٥)، والطُغْنري، نسبة إلى طُغْنر Tignar،  
إحدى قرى غرناطة. وكنيته كما جاء في الذخيرة، أبو عبد الله.

(٢) المقصود هنا الأستاذ ابن الزبير صاحب كتاب «صلة الصلة».

(٣) هو محمد بن عبد الواحد الغافقي، المعروف بالملاحى.

(٤) سماجة الصنهاجى من وزراء باديس بن حبوس، صاحب غرناطة، وكان حازماً شديد السطوة،  
مرهوب الجانب، شجاعاً، جواداً، فاضلاً. ثم لزم أمير غرناطة عبد الله بن بلقين بن باديس مدة  
كوزير، ثم أبعد عبد الله عن غرناطة، فلجأ إلى ألمرية وعاش في كنف صاحبها المعتمد بن  
صمداح. راجع مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر (ص ١٦١).

(٥) في الأصل: «إذا» وهكذا ينكسر الوزن. (٦) في الأصل: «ردى» وهكذا ينكسر الوزن.

(٧) في الأصل: «تجليه» وهكذا ينكسر الوزن ولا معنى له.

قال: فتكلم الوزير سماجة باللسان البربري مع عبيده، فرجعوا مسرعين، ووقف سماجة مع الوزير ابن مالك، إلى أن أتاه عبيده، بوعاء فيه جملة كبيرة من الدراهم، تنيف على الثلاثمائة دينار. فقال: ادفعوها إليه، وانصرف. وأتاهم العبيد مع الدراهم، بطعام وشراب. قال ابن مالك: وذلك أول مال تأثلته.

شعره: ومنه<sup>(١)</sup> [السريع]

وَدَبَّ فِي جِسْمِي ضَنْئِي دَارِجٌ	صُبَّ عَلَى قَلْبِي هَوًى لَاعِجٌ
لِسَانٌ تَذْكَارِي بِهِ لَاهِجٌ	فِي شَادِنٍ أَحْمَرَ <sup>(٢)</sup> مُسْتَأْنِسٍ
وَمَا عَسَى يَفْعَلُهُ <sup>(٤)</sup> عَالِجٌ؟	مَا <sup>(٣)</sup> قَدَّرَ نَعْمَانٌ إِذَا مَا مَشَى
وَرِذْقُهُ مِنْ ثِقْلِهِ <sup>(٥)</sup> مَائِجٌ	فَقَدَّهْ مِنْ رَقَّةٍ مَائِسٍ
تَشَابَهَ الدَّخْلُ وَالْخَارِجُ	عَنَوَانٌ مَا فِي ثَوْبِهِ وَجْهُهُ
ذَا مُغْلَمٌ الْوَجْهِ وَذَا سَادِجٌ	فَلَا تَقْيِسُوهُ بِبَذْرِ الدُّجَى

وقد نسبها بعض الناس لغيره.

وفاته: قال الأستاذ: كان حياً سنة ثمانين وأربعمائة. وأمر أن يكتب على قبره:

[الخفيف]

أَكَلَهُ <sup>(٦)</sup> الثُّرْبُ بَيْنَ جَنْبَيَّ ضَرِيحٍ	يَا خَلِيلِي، عَرَّجْ عَلَى قَبْرِي تَجِدْ
أَيُّ نُطْقِي إِنْ اعْتَبَرْتَ فَصِيحٌ؟	خَافَتْ الصَّوْتِ إِنْ نَطَقْتُ وَلَكِنْ
فَرَّقَ <sup>(٧)</sup> الْمَوْتَ بَيْنَ جِسْمِي وَرُوحِي <sup>(٨)</sup>	أَبْصَرْتَ عَيْنِي الْعَجَائِبُ لَكِنْ

محمد بن علي بن محمد بن عبد الله بن عبد الملك الأوسي

المدعو بالعقرب، من إقليم الآش<sup>(٩)</sup>.

حاله: كان حسن النظم والنثر، ذكياً من أهل المعرفة بالعربية والأدب، موصوفاً بجودة القريحة، والنبيل والفطنة.

(١) الأبيات في الذخيرة (ق ١ ص ٨٠٨). (٢) في الذخيرة: «أحور».

(٣) كلمة «ما» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من الذخيرة.

(٤) في الذخيرة: «يلغنه». (٥) في الذخيرة: «ثقل».

(٦) في الأصل: «من أكلة» وهكذا ينكسر الوزن.

(٧) في الأصل: «لما فرَّق...» وهكذا ينكسر الوزن.

(٨) في الأصل: «وروح» بدون ياء. (٩) أي من إقليم وادي آش Guadix.

أدبه وشعره: ذكره الملاحى وقال: حدّثني قاضي الأحكام بغرناطة، أبو القاسم الحسن بن قاسم، الهلالي صاحبنا، قال: كان الأستاذ أبو عبد الله العقرب جازنا، قد وقع بينه وبين زوجه زهرة بنت صاحب الأحكام، أبي الحسن علي بن محمد تنازُع، فرفعته إلى القاضي بغرناطة، أبي عبد الله بن السّمك العاملي، وكنت يومئذ كاتبًا له، فرأى القاضي قوّته وقدرته على الكلام وضعفها، وإخفاق نظمها، وشفق لحالها. وكان يرى أن النساء ضعاف، وأن الأغلب من الرجال يكون ظالمهن. وكان كثيرًا ما يقول في مجلسه: رُويدك، رفقًا بالقوارير، وحين رأى ما صدر عن القاضي من الجمل، فقلت له: وأين حلاوة شعرك والقاضي أديب يهتزّ إليه ويرتاح؟ فطلب مني قرطاسًا، وجلس غير بعيد، ثم كتب على البديهة بما نصّه: [الكامل]

لله حيّ، يا أميم، حواك	وَحَمَائِمٌ فوق الغصون حواك
عَثْنِيْنٌ حتى خِلْتُهُنَّ عَنَيْنِي	بَغَنَائِهِنَّ فَنُحْتُ فِي مَغْنَاكِ
ذَكَّرْنِي <sup>(١)</sup> ما كنت قد أنْسَيْتُهُ	بَخُطُوبِ هَذَا الدَّهْرِ مِنْ ذَكَرَاكِ
أَشْكُو الزَّمَانَ إِلَى الزَّمَانِ وَمِنْ شَكَايَ	صَرَفَ الزَّمَانَ إِلَى الزَّمَانِ فَشَاكِ
يَا ابْنَ السَّمَاكِ <sup>(٢)</sup> الْمُسْتَظْلُ بِرَمَحِهِ	وَالْعُزْلُ <sup>(٣)</sup> تَرَهَّبَ ذَا السِّلَاحِ الشَّاكِ
رَاعَ الْجَوَارُ فَبَيْنَنَا فِي جَوْنَا	حَقَّ السُّرَى وَالسَّيْرِ فِي الْأَفْلَاكِ
وَابْسَطَ إِلَى الْخَلْقِ الْمَوْبِ بِبَسْطِهِ	ظَلَزَفَ الْكِرَامَ بِعَقَّةِ الثُّسَاكِ
وَأَنَا ذَاكَرٌ إِنْ لَمْ يَفُتْ مِنْ لَمْ يَمُتْ	فَدَارُكَ ثُمَّ دَارُكَ ثُمَّ ذَاكَ <sup>(٤)</sup>

ثم دفعها إلى القاضي، فكتب القاضي بخطه في ظهر الرقعة: لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ. ثم أرسلني أصلح بين العُقرَب وزوجه، فإن وصل صلحهما إلى خمسين دينارًا، فأنا أوذيها عنه من مالي، فجمعت بينهما، وأصلحت بينهما عن تراض منهما، رحمهما الله تعالى.

محمد بن علي بن عبد الله بن علي القيسي العرادي

من أهل غرناطة.

(١) في الأصل: «ذَكَّرْتِي» وكذا لا يستقيم الوزن والمعنى معًا.

(٢) السّمك: كوكب نير صغير في جهة الشمال، يقال له السماح الرامح. محيط المحيط (سمك).

(٣) في الأصل: «والعزل» بتشديد الزاي، وهكذا ينكسر الوزن. والعزل: جمع أعزل وهو أحد

الساكنين لأنه لا سلاح معه. محيط المحيط (عزل).

(٤) هذا البيت منكسر الوزن.

حاله: كان فتى حسن السّمت، ظاهر السكون، بادي التّصوّن والعفّة، دمث الأخلاق، قليل الكلام، كثير الحياء، مليح الخط، ظريفه، بادي النّجابة. أبوه وجده من تجار سوق العِطر، نُبهاء السوق. نظم الشعر، فجاء منه بعجب، استرسالاً وسهولة، واقتداراً، ونفوداً في المَطوّلات، فأنفث له من الإغفال، وجذبته إلى الدار السلطانية، واشتدّت براعته، فكاد يستولي على الأمر لولا أن المنيّة اخترمته شاباً، فنكّل منه الشعر، قريع إجادة، وبارع ثنيّة شهرة، لو انفسح له الأمد.

مولده: في ذي الحجة عام أحد وثلاثين وسبعمائة.

وفاته: توفي مبطوناً على أيام قريبة من إسرائه بغرناطة، عن سنّ قريبة من العشرين، في عام خمسة وخمسين وسبعمائة. وأبوه أمين العطارين.

### محمد بن علي بن العابد الأنصاري

يكنى أبا عبد الله، أصله من مدينة فاس.

حاله: من خطّ القاضي أبي جعفر بن مسعدة، علّم كتاب دار الإمارة النّصرية الغالبية، الذي بثّوره يستنّصيحون، وسراجهم الذي بإشراقه وبهجته ونهج مَحْدِته يهتدون. رفع لواء الحمد، وارتنى بالفهم والعلم والحلم. كان، رحمه الله، إماماً في الكتابة، والأدب، واللغة، والإعراب، والتاريخ والفرائض والحساب، والبرهان عليه، عارفاً بالسّجلات والتّوثيق، أزيى على المؤثّقين من الفحول المبرّزين في حفظ الشعر ونظمه، ونسبته إلى قائله حافظاً مبرّزاً. درس الحديث، وحفظ الأحكام لعبد الحق الإشبيلي، ونسخ الدواوين الكبار، وضبط كتب اللغة، وقَيّد على كتب الحديث، واختصر التفسير للزمخشري، وأزال عنه الاعتزال، لم يفتّر قطّ من قراءة أو درس أو نسخ أو مطالعة، ليله ونهاره. لم يكن في وقته مثله.

مشيخته: أخذ بفاس عن أبي العباس أحمد بن قاسم بن البقال الأصولي، وأبي عبد الله بن البيوت المقرّي، وعن الزاهد أبي الحسن بن أبي الموالي، وغيرهم.

شعره: ومنه قوله: [الكامل]

طَرَقَتْ تَتِيهَ عَلَى الصُّبَاحِ الْأَبْلَجِ      حَسَنَاءُ تَخْتَالُ اخْتِيَالَ تَبْرِجِ  
فِي لَيْلَةٍ قَدْ أُلْبِسَتْ بِظِلَامِهَا      فَضْفَاضَ بُزْدٍ بِالنَّجْمِ مُدَبَّجِ

وشعره مُدَوّن كثير.

وفاته: توفي بحضرة غرناطة عام اثنين وستين وسبعمائة في ذي القعدة منه.

## محمد بن هاني بن محمد بن سعدون الأزدي الإلبيري الغرناطي<sup>(١)</sup>

من أهل قرية سُكون، يكنى أبا القاسم، ويعرف بالأندلسي، وكأنها تفرقة بينه وبين الحكمي أبي نواس.

**أُولَيْتُهُ:** قال غير واحد من المؤرخين<sup>(٢)</sup>: هو من ذرية يزيد بن حاتم بن قَيْصَةَ بن المُهَلَّب بن أبي صُفْرة، وقيل: من ولد أخيه رَوْح بن حاتم.

**حاله:** كان من فحول الشعراء، وأمثال النظم، وبرهان البلاغة، لا يُدرك شأوه، ولا يُشَقُّ غُباره، مع المشاركة في العلوم، والنفوذ في فكِّ المعنى. خرج من الأندلس ابن سبع وعشرين سنة، فلقي جوهرًا المعروف بالكاتب مولى المعز بن المنصور العبيدي، صاحب المغرب، وامتدحه، وكان لثيماً، فأعطاه مائتي درهم، فوجد لذلك، وقال: أهلنا كريمٌ يُقصد؟ فقل: بلى، جعفر بن يحيى بن علي بن فلاح بن أبي مروان، وأبو علي بن حمدون، فامتدحهما، ثم اختصَّ بجعفر بن يحيى وأبي علي، فبالغا في إكرامه، وأفاضاً عليه من النعم والإحسان ما لم يمرَّ بباله، وسارت أشعاره فيهما، حتى أنشدت للمعز العبيدي، فوجهه جعفر بن علي إليه في جُملة طُرف وتُحف بعث بها إليه، كان أبو القاسم أفضلها عنده، فامتدح المعز لدين الله، وبلغ المعز من إكرامه الغاية. ثم عاد إلى إفريقية، ثم توجه إلى مصر، فتوفي ببرقة.

وجرى ذكره في «تخليص الذهب» من تأليفنا بما نصّه: «العُقاب الكاسرة، والصَّمصامة الباترة، والشُّوارد التي تهداتها الآفاق، والغايات التي أعجز عنها السُّباق».

**وَصُمَّتُهُ:** وذكره ابن شَرَف في مقاماته، قال: وأما ابن هاني محمد، فهو نَجْدِي الكلام، سَرْدِي النظام، إلّا أنه إذا ظهرت معانيه، في جزالة مبانيه، رَمَى عن منجنيق،

(١) ترجمة ابن هاني الأندلسي في التكملة (ج ١ ص ٢٩٥، رقم ١٠٢١) ومطمح الأنفس (ص ٣٢٢) والمطرب (ص ١٩٢) وجذوة المقتبس (ص ٩٦) وبغية الملتبس (ص ١٤٠) ووفيات الأعيان (ج ٤ ص ٢١٥) ومعجم الأدباء (ج ٥ ص ٤٦٨) وعبر الذهبي (ج ٢ ص ٣٢٨) وشذرات الذهب (ج ٣ ص ٤١) والفلاحة والمفلوكون (ص ١٠٢) والمغرب (ج ٢ ص ٩٧) والنجوم الزاهرة (ج ٤ ص ٦٧) ورايات المبرزين (ص ١٥٠) ومرآة الجنان (ص ٣٧٥) والأعلام (ج ٧ ص ١٣٠) ونفع الطيب (ج ١ ص ٢٨٢) و(ج ٤ ص ١٨٣) و(ج ٥ ص ١٨٧).

(٢) قارن بالتكملة (ج ١ ص ٢٩٥ - ٢٩٦).

لا يؤثر في التَّفِيْق. وله غَزَل مَعَرِّي، لا غُذْرِي، لا يقنع بالطِّيف، ولا يُصْفَع بغير السيف، وقد قَدَّه به الذات، وعَظُم شأنه فاحتمل الثواب، وكان يَقِف دولته في أعلى منزلته، ناهيك من رجل يستعين على صلاح دنياه، بفساد أخراه، لرداءة دينه، ووضَعف يقينه. ولو عَقِل ما ضاقت عليه معاني الشَّعر، حتى يستعين عليه بالكفر.

شعره: كان أول ما مدح به جعفر بن علي قوله<sup>(١)</sup>: [الكامل]

أَخِيْبَ بَتِيَاكَ الْقِيَابِ قِيَابَا      لا بِالْحُدَاةِ وَلَا الرُّكَابِ رَكَابَا<sup>(٢)</sup>  
فِيهَا قُلُوبُ الْعَاشِقِينَ تَخَالُهَا      عَنَّمَا بِأَيْدِي الْبَيْضِ وَالْعُنَابَا<sup>(٣)</sup>

وقال يمدح جعفر بن علي من القصيدة الشهيرة<sup>(٤)</sup>: [الطويل]

أَلَيْلَتُنَا إِذَا أَرْسَلَتْ وَارِدًا وَخَفَا<sup>(٥)</sup>      وَبَأَتْ<sup>(٦)</sup> لَنَا الْجِوَاءَ فِي أَذْنِهَا شَنْفَا<sup>(٧)</sup>  
وَبَاتَ لَنَا سَاقٍ يَقُومُ<sup>(٨)</sup> عَلَى الدُّجَى      بِشَمْعَةٍ صُنِجٍ<sup>(٩)</sup> لَا تُقَطُّ<sup>(١٠)</sup> وَلَا تُطْفَا  
أَعْنُ غَضِيضٌ خَفَفَ<sup>(١١)</sup> اللَّيْنُ قَدَّهُ      وَأَثَقَلَتْ<sup>(١٢)</sup> الصُّهْبَاءُ أَجْفَانَهُ الْوُطْفَا<sup>(١٣)</sup>  
وَلَمْ يُبْقِ إِرْعَاشُ الْمُدَامِ لَهُ يَدًا      وَلَمْ يُبْقِ إِعْنَاتُ<sup>(١٤)</sup> التَّثْنِي لَهُ عِطْفَا  
نَزِيفٌ قِضَاهُ السُّكْرُ إِلَّا ارْتِجَاجَةً      إِذَا كُلٌّ عَنْهَا<sup>(١٥)</sup> الْخَصْرُ حَمَلَهَا الرَّدْفَا

(١) ديوان ابن هانيء الأندلسي (ص ٤٩).

(٢) الحُدَاة: الذين يسوقون الإبل؛ أراد أنه يحب القباب لأنها تخص الحبيب، ولا يحب الحُدَاة ولا الإبل لأنها سبب بعد الحبيب عنه.

(٣) العنم: شجرة حجازية لها ثمر أحمر يشبه به البنان المخضب. يقول: إن تلك القباب حمر، كأنها عنم أو عناب بأيدي النساء البيض.

(٤) ديوان ابن هانيء الأندلسي (ص ٢٠٧ - ٢١٠) ورايات المبرزين (ص ١٥١ - ١٥٤). وورد منها في المغرب (ج ٢ ص ٩٧ - ٩٨) فقط سبعة أبيات.

(٥) في الأصل: «وجفا» والتصويب من الديوان والمغرب. والوارد: الشعر الطويل المسترسل. والوحف: الكثيف المسود.

(٦) في الديوان والمغرب: «وبئنا نرى الجوزاء».

(٧) الشَّنْف: ما يعلّق في أعلى الأذن، وهو القرط.

(٨) في المغرب: «يصول». (٩) في الديوان: «نجم».

(١٠) لا تُقَطُّ: لا يُقَطَّعُ رَأْسُهَا.

(١١) في الأصل: «جفف» والتصويب من الديوان والمغرب.

(١٢) في الديوان: «وثقلت».

(١٣) الأغن: الذي في صوته غِنَّة. والغضيض: الفاتر الطَّرْف المسترخي الأجفان. والوطف: جمع أوطف وهو الذي كثر شَغَرُ حاجبيه وعينه.

(١٤) الإعنات: من أعنته: أي أدخل عليه مشقة شديدة.

(١٥) في الديوان: «عنه الخصر حمله...».

يقولون حَقَّفَ فوقه<sup>(١)</sup> خَيْرَ رَأْنَةٍ  
 جعلنا حشايانا<sup>(٢)</sup> ثيابَ مُدامِنا  
 فمن كَبِدٍ تُدني إلى كَبِدِ هَوَى  
 بِعَيْشِكَ نَبْهَ كَأْسِهِ وجَفْوَنَهُ  
 وقد فَكَّتِ الظلماءَ بعضَ قيودنا  
 وولَّتْ نجومٌ لِلثُرَيَّا كأنها  
 ومَرٌّ على آثارها دَبْرَانُها  
 وأقبلتِ الشُّعْرَى العَبُورُ مِلْمَةً<sup>(٥)</sup>  
 وقد قبَلَتْها<sup>(٧)</sup> أختها من ورائها  
 تخافُ زئيرَ الليثِ قَدَمٌ<sup>(٩)</sup> نَثْرَةً  
 كأنَّ مُعلَى قُطْبِها<sup>(١١)</sup> فارسٌ له  
 كأن السُّماكينَ اللذين تَظاهرا  
 فذا رامِحٌ يُهوي إليه سِنانُهُ  
 كأنَّ قُدَامَى النُّسرِ والنُّسرُ واقعٌ  
 كأن أخاه حينَ دَوَمَ طائِراً  
 كأن رقيبَ الليلِ<sup>(١٥)</sup> أَجْدَلُ مَرْقَبٍ

أما يَعْرِفُونَ الْخَيْرُ رَأْنَةً وَالْحَقْفَا؟  
 وَقَدَّتْ لَنَا الظُّلْمَاءُ مِنْ جِلْدِهَا لُحْفَا  
 وَمِنْ شَفَةِ تُوحِي إِلَى شَفَةِ رَشْفَا  
 فَقَدْ نُبَّهَ الْإِبْرِيْقُ مِنْ بَعْدِ مَا أَغْفَا  
 وَقَدْ قَامَ جَيْشُ اللَّيْلِ لِلصَّبْحِ فَاضْطَقَّا<sup>(٣)</sup>  
 خَوَاتِيمُ تَبْدُو فِي بَنَانٍ يَدٍ تَخْفَى  
 كصاحبِ رِدْءٍ<sup>(٤)</sup> كُمُنْتُ خَيْلَهُ خَلْفَا  
 بِمِرْزَمِها الْيَغُوبُ تَجَنُّبُهُ طَرْفَا<sup>(٦)</sup>  
 لَتَخْرُقَ مِنْ ثُنْيِي مَجْرَّتِها سِجْفَا<sup>(٨)</sup>  
 وَبَزْبَرَ فِي الظُّلْمَاءِ يَنْسِفُها نَسْفَا<sup>(١٠)</sup>  
 لَوَاءِ إِنْ مَرْكُوزَانِ قَدْ كَرِهَ الرُّخْفَا  
 عَلَى لُبَّتَيْهِ<sup>(١٢)</sup> ضَامِنَانِ لَهُ الْحَتْفَا<sup>(١٣)</sup>  
 وَذَا أَعْرَلَ قَدْ عَضَّ أَثْمَلُهُ لَهْفَا  
 قُصِصُنْ فَلَمْ تَسْمُ الْخَوَافِي لَهُ ضَعْفَا<sup>(١٤)</sup>  
 أَتَى دُونَ نِصْفِ الْبَدْرِ فَاخْتَطَفَ النُّصْفَا  
 يُقَلِّبُ تَحْتَ اللَّيْلِ فِي رِيَشِهِ طَرْفَا

(١) في الأصل: «فوقي» والتصويب من الديوان والمغرب...

(٢) الحشايا: جمع حشية وهي الفراش المحشو.

(٣) في الديوان: «وقد ولت الظلماء تقفو نجومها... جيش الفجر لليل واصطفا».

(٤) في الأصل: «ردىء» والتصويب من الديوان. (٥) في الديوان: «مكبة».

(٦) المرمزم: نجم من الشعري اليمانية. اليعبوب: الفرس السريع الطويل. تجنبه: تقوده إلى جانبها. الطُزُف: المهر.

(٧) في الديوان: «وقد بادرتُها».

(٨) أختها: الشعري الشامية. الثُّني: الطي، الطاقة. السُّجْفُ: السُّتْر.

(٩) في الديوان: «يَقْدُم».

(١٠) النثرة: أنف الأسد، وكوكبان بينهما قدر شبر. بربر: غضب وصاح.

(١١) معلى القطب: نجم في القطب. (١٢) في الديوان: «على لُبَّتَيْهِ».

(١٣) في الديوان: «حَتْفَا». والسماكان: كوكبان، يقال لأحدهما السماك الرامح وللآخر السماك الأعزل.

(١٤) في الديوان: «به ضَعْفَا». والقدامى: الريشات الكبار في مقدم الجناح. النسر: كوكب، وهما كوكبان؛ النسر الطائر، والنسر الواقع. الخوافي: الريشات الصغار في مؤخر الجناح.

(١٥) في الديوان: «النجم». ورقيب النجم: هو النجم الذي يغيب بطلوع النجم الذي يراقبه. =



كَأَنَّ بَنِي نَعَشٍ وَنَعَشٍ<sup>(١)</sup> مَطَافِلُ  
كَأَنَّ سُهَاهَا<sup>(٢)</sup> عَاشِقٌ بَيْنَ عُوْدٍ  
كَأَنَّ سُهَيْلًا<sup>(٣)</sup> فِي مَطَالِعِ أَفْقِهِ  
كَأَنَّ الْهَزِيعَ الْآبَنُوسِيَّ مُوهِنًا<sup>(٤)</sup>  
كَأَنَّ ظِلَامَ اللَّيْلِ إِذْ مَالَ مَيْلَةً  
كَأَنَّ نَجُومَ الصُّبْحِ خَاقَانُ مَغْشَرٍ<sup>(٥)</sup>  
كَأَنَّ لَوَاءَ الشَّمْسِ غُرَّةُ جَعْفَرٍ  
وَقَدْ جَاشَتْ الظُّلُمَاءُ<sup>(٦)</sup> بِيَضًا صَوَارِمًا  
وَجَاءَتْ عِتَاقُ الْخَيْلِ تَزْدِي كَانِهَا  
هَنَالِكَ تَلْقَى جَعْفَرًا خَيْرَ<sup>(٧)</sup> جَعْفَرٍ  
وَكَاثِنُ<sup>(٨)</sup> تَرَاهُ فِي الْكَرْيَةِ جَاعِلًا<sup>(٩)</sup>  
بَوَجْرَةٍ قَدْ أَضْلَلْنَ فِي مَهْمِهِ خِشْفًا<sup>(١٠)</sup>  
فَأَوْنَةً يَبْدُو وَأَوْنَةً يَخْفَى  
مُفَارِقُ إِلْفٍ لَمْ يَجْذُ بَعْدَهُ إِلْفًا  
سَرَى بِالنَّسِيجِ الْخُسْرَوَانِيَّ مُلْتَفًا<sup>(١١)</sup>  
صَرِيْعُ مُدَامٍ بَاتَ يَشْرِبُهَا صِرْفًا  
مَنْ التَّرْكُ نَادَى بِالنَّجَاشِيِّ فَاسْتَخْفَى<sup>(١٢)</sup>  
رَأَى الْقِرْنَ فَازدَادَتْ طَلَاقَتُهُ ضِعْفًا<sup>(١٣)</sup>  
وَمَرْكُوزَةٌ<sup>(١٤)</sup> سُمِرَا وَقَضْفَا ضِعْفًا<sup>(١٥)</sup>  
تَخْطُ لَنَا أَقْلَامُ آذَانِهَا صُخْفًا  
وَقَدْ بُدِّلَتْ يُمْنَاهُ مِنْ لَيْنِهَا<sup>(١٦)</sup> عُنْفًا  
عَزِيْمَتُهُ بَزَقًا وَصَوْلَتُهُ خَطْفًا

وشعره كثير مدون، ومقامه شهير. وفيما أوردناه كفاية. وهو من إلبيرة الأصيلة.

وفاته: قالوا: لما توجه إلى مصر، شرب بيرة وسكر ونام غريانا، وكان  
البرد شديدا فأفلح، وتوفي في سنة إحدى وستين وثلاثمائة<sup>(١٧)</sup>، وهو ابن

= والأجدل: الصُّر.

(١) في الديوان: «وَنَعَشًا».

(٢) في الأصل: «نَعَشًا» والتصويب من الديوان. وبنات نعش: سبعة كواكب. والمطافل: ذوات  
الأطفال من الإنس والوحش، وأراد هنا بها الطُّبَاءَ، واحدها: مَطْفَل. وجرة: موضع بين مكة  
والبصرة. الخشف: الظبي.

(٣) السُّهَى: كوكب خفي.

(٤) في الديوان: «لَوْنُهُ».

(٥) الهزيع: قطعة من الليل. الآبنوسي: نسبة إلى الآبنوس وهو شجر لون عوده أسود، صلب.  
الخُسْرَوَانِي: حرير رقيق أبيض منسوب إلى خسرو أحد ملوك الفرس.

(٦) في الديوان: «كَأَنَّ عُمُودَ الْفَجْرِ خَاقَانُ عَسْكَرٍ».

(٧) شبه عمود الفجر بملك الترك، وهو الخاقان، في بياضه، وشبه الليل بالنجاشي ملك الحبشة في  
سواده.

(٨) القِرْن: الخصم. طلاقته: بشاشته.

(٩) في الديوان: «وَمَارَنَةً».

(١٠) في الديوان: «غَيْرٍ».

(١١) في الأصل: «وَكَايْنٌ» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الديوان.

(١٢) في الأصل: «عَاجِلًا» والتصويب من الديوان.

(١٣) جاء في التكملة (ج ١ ص ٢٩٦) أنه توفي سنة ٣٦١ هـ، وقيل: سنة ٣٦٢ هـ. وفي وفيات =

اثنتين<sup>(١)</sup> وأربعين سنة. ولما بلغت المعز وفاته، تأسف عليه وقال: هذا رجل كنا نطمح أن نفاخر به أهل المشرق.

محمد بن يحيى بن محمد بن يحيى بن علي بن إبراهيم  
ابن علي الغساني البرجي الغرناطي<sup>(٢)</sup>

يكنى أبا القاسم، من أهل غرناطة.

حاله: فاضل<sup>(٣)</sup> مُجمع على فضله، صالح الأبوة، طاهر النشأة، بادي الصيانة والعفة، طُرف في الخير والحشمة، صذر في الأدب، جُم المشاركة، ثاقب الذهن<sup>(٤)</sup>، جميل العشرة، مُمتع المجالسة، حسن الخط<sup>(٥)</sup> والشعر والكتابة، فذ في الانطباع، صنيع<sup>(٦)</sup> اليمين، يحكم على<sup>(٧)</sup> الكثير من الآلات العلمية، ويجيد تفسير الكتاب<sup>(٨)</sup>. رَحَلَ إلى العُدوة<sup>(٩)</sup>، وتوسل إلى ملكها، مُجدد الرسم، ومقام<sup>(١٠)</sup> الجلة، وعلم دُست الشعر والكتابة، أمير المسلمين أبي عنان فارس<sup>(١١)</sup>، فاشتمل عليه، ونوّه به، وملاً بالخير يده، فاقنتى جدة وحظوة وشهرة وذكرًا<sup>(١٢)</sup>، وانقبض مع استرسال الملك<sup>(١٣)</sup>، وآثر الراحة، وجهد في التماس الرحلة الحجازية، ونبذ الكلّ، وسلا الخطّة، فأسعفه سلطانه بغرضه، وجعل حبله<sup>(١٤)</sup> على غاربه، وأصبحه رسالة إلى النبي الكريم من إنشائه، متصلة بقصيدة من نظمه، وكلاهما تُعلن<sup>(١٥)</sup> في الخلفاء بُعد شأوه، ورسوخ قديم علمه، وعراقة البلاغة، في نَسب خضله، حسبما تضمّنه الكتاب

= الأعيان: توفي سنة ٣٦٢ هـ.

(١) في الأصل: «اثنتين» وهو خطأ نحوي.

(٢) ترجمة محمد بن يحيى الغساني البرجي في الكتيبة الكامنة (ص ٢٥٠) ونيل الابتهاج طبعة فاس (ص ١٧٢) والتعريف بابن خلدون (ص ٦٤) وجذوة الاقتباس (ص ١٩٧) ونفح الطيب (ج ٧ ص ٢٤١) وأزهار الرياض (ج ٥ ص ٧٧).

(٣) النص في نفح الطيب (ج ٨ ص ٢٠٣). (٤) في النفح: «الفهم».

(٥) في النفح: «حسن الشعر والخط». (٦) في النفح: «صناع».

(٧) في النفح: «محكم لعمل الكثير». (٨) في النفح: «الكتب».

(٩) في النفح: «العدوة ولقي جلة وتوسل».

(١٠) في النفح: «ومقام أولي الشهرة وعامر دست».

(١١) كلمة «فارس» غير واردة في النفح. (١٢) كلمة «وذكرًا» غير واردة في النفح.

(١٣) في النفح: «الملك لفضل عقله، حتى تشكى إليّ سلطانه بئ ذلك عند قدومي عليه، وآثر الراحة...».

(١٤) في النفح: «حبل همّه». والمعنى أنه تركه وشأنه.

(١٥) في النفح: «يعلن».

المسمى بـ«مُساجلة البيان». ولما هلك ووُلِّي ابنه، قدّمه قاضيًا بمدينة مُلْكِهِ، وضاعف التَّنويه به، فأجرى الخُطّة، على سبيل من السَّداد والنزاهة. ثم لَمّا وُلِّي السلطان أبو سالم عمّه، أجراه على الرسم المذكور، وهو الآن بحاله الموصوفة، مَفْخر من مفاخر ذلك الباب السلطاني على تعدّد مفاخره، يحظى بكل اعتبار.

شعره: ثبت<sup>(١)</sup> في كتاب «نفاضة الجراب» من تأليفنا، عند ذكر المُدعى الكبير بيباب ملك المغرب، ليلة ميلاد رسول الله ﷺ، وذُكر مَنْ أنشد ليلتئذ من الشُعراء ما نصّه:

وتلاه الفقيه الكاتب الحاج القاضي، جُملة<sup>(٢)</sup> السّداجة، وكرم الخلق، وطيب النفس، وخذن العافية، وابن الصّلاح والعبادة، ونشأة القرآن، المُتَحَيِّز إلى حزب السلامة، المنقبض عن الغُمار، العزوف عن فضول القول والعمل، جامع المحاسن، من عقل رصين، وطَلَب ممتع، وأدب نقّادة<sup>(٣)</sup>، ويَدِ صناع، أبو القاسم بن أبي زكريا البَرْجي، فأنشدت له على الرسم المذكور هذه القصيدة الفريدة<sup>(٤)</sup>: [البسيط]

أصغى إلى الوجود لَمّا جدّ عاتِبُهُ	صَبَّ له شُغْلٌ عَمَّنْ يُعَاتِبُهُ
لم يُغَطِّ للصبرِ مِنْ بعد الفراق يَدًا	فَضَلَ مَنْ ظَلَّ إرشادًا يَخاطِبُهُ
لولا التَّوى لم يَبِثْ حرّان <sup>(٥)</sup> مكتئبًا	يُغَالِبُ الوجودَ كَثَمًا وهو غالبه
يستودع <sup>(٦)</sup> الليلَ أسرارَ الغرام وما	تُمليه أشجائه فالدمعُ كاتبه
الله عصرٌ بشَرْقيّ الجَمي سَمَحَتْ	بالوصل أوقائه لو عادَ ذاهِبُهُ
يا جيرة أودعوا إذ ودّعوا حُرَقًا	يَضلّى بها مِنْ صَميم القلب ذائِبُهُ <sup>(٧)</sup>
يا هل تُرى تَجْمَعُ <sup>(٨)</sup> الأيَّامُ فُرْقَتَنَا	كَعَهدِنَا أو يردُّ القلب ساكِبُهُ؟
ويا أهيلَ ودادي، والتَّوى قَذَفَ	والقُرْبُ قد أبْهَمَتْ دوني مَذهِبُهُ
هل ناقضَ العهدِ بَعْدَ البُعْدِ حافِظُهُ	وصادعُ الشَّمْلِ يومَ الشَّعب شاعِبُهُ؟

(١) النص في نفاضة الجراب (ص ٣٨٢) ونفع الطيب (ج ٨ ص ٢٠٤).

(٢) في نفاضة الجراب: «حملة».

(٣) في نفاضة الجراب: «نقاوة». وفي نفع الطيب: «وأدب ونقاوة».

(٤) القصيدة في نفاضة الجراب (ص ٣٨٢ - ٣٨٦) والكتيبة الكامنة (ص ٢٥٢ - ٢٥٤) ونفع الطيب

(ج ٨ ص ٢٠٤ - ٢٠٨)، وجاء في الكتيبة الكامنة أنه قال هذه القصيدة عام ٧٠١ هـ.

(٥) في الأصل: «حيران» والتصويب من المصادر الثلاثة.

(٦) في الكتيبة: «يودع». (٧) في الكتيبة: «نائبه».

(٨) في الكتيبة: «ترجع الأيام ألفتنا... ويردّ... سألُهُ».

ويا ربوعَ الجِمَى لا زَلَّتِ ناعمةٌ  
يا مَنْ لقلبٍ مَعَ الأهواءِ مُنْعَطَفٌ  
يسمو إلى طَلَبِ الباقي بهِمَّتِه  
وفتنَةُ المرءِ بالمألوفِ مُغْضِلَةٌ  
أبكي لعهدِ الصُّبا والشَّيْبِ يضحك بي<sup>(١)</sup>  
ولن ترى كالهوى أشجاءَ سالفه  
وهمةُ المرءِ تُغْلِيهِ وتُزْخِصُهُ  
ما هان كسبُ المعالي أو تناوُلُها  
لولا سُرَى الفَلَكِ السَّامي لما ظهرت  
في ذمَّةِ الله رَكْبٌ للعللِ رَكِبُوا  
يرمون عَرَضَ الفلا بالسَّيرِ عن عُرْضِ<sup>(٢)</sup>  
كأنهم في فؤاد<sup>(٣)</sup> الليلِ سِرٌّ هوى  
شَدُّوا على لَهَبِ الرَّمضاءِ وطَأَتْهُمْ  
وَكَلَّفُوا الليلَ من طولِ السُّرى شَطَطًا  
حتى إذا أَبْصَرُوا الأعلامَ ماثلةً<sup>(٤)</sup>  
بحيث يَأْمَنُ مَنْ مَوْلَاهُ خَائِفُهُ  
فيها وفي طيبةِ الغراءِ لي أَمَلٌ  
لم<sup>(٥)</sup> أنس لا أنس أيا ما بظْلُهُما  
شوقي إليها وإن شَطَّ المزارُ بها  
إن رَدَّها الدهرُ يومًا بعد ما عَيْثَتْ  
مَعَاهِدُ شَرَفَتْ بالمصطفى فَلَهَا  
محمدُ الْمُجْتَبَى الهادي الشَّفيعُ إلى  
أوفى الورى ذمًّا، أسماهُمُ هِمًّا  
هو المُكَمَّلُ في خَلْقٍ وفي خُلُقٍ

يبكي عهدَكَ مُضْنَى الجسمِ شاحبه  
في كل أَوْبٍ له شوقٌ يُجاذبه  
والنفسُ بالمَيْلِ للْفاني تُطالبُه  
والأُنْسُ بالإنفِ نحو الإنفِ جاذبه  
يا للرجالِ سَبَبَتْ جَدْيِ ملاعبُه  
ولا كوعِدِ المُنَى أحلاه كاذبه  
مَنْ عَزَّ نَفْسًا لقد عَزَّتْ مطالبُه  
بل هان في ذاك ما يَلْقاه طالبُه  
آثارُه ولما لاحتِ كواكبُه  
ظَهَرَ السُّرى فأجابَتْهُمْ نجائبُه  
طيَّ السَّجَلُ إذا ما جَدَّ كاتبُه  
لولا الضُّرامُ لما خَفَّتْ جوانبُه  
فغاصَ في لُجَّةِ الظُّلُماءِ راسبُه  
فخَلَّفُوهُ وقد شَابَتْ ذوائبُه  
بجانبِ الحَرَمِ المَحْمِيّ جانبُه  
من ذَنْبِهِ وينالُ القُضدَ راغبُه  
يُصاحبُ القلبَ منه ما يُصاحبه  
سَقَى ثراهُ عَمِيمُ الغَيْثِ ساكبُه  
شوقُ المقيمِ وقد سارَتْ حبايبُه  
في الشَّمْلِ مَنّا يدها لا نُعَاتِبُهُ<sup>(٦)</sup>  
مِنْ فَضْلِهِ<sup>(٧)</sup> شَرَفٌ تَغْلُو مراتبُه  
رَبُّ العبادِ أَمِينُ الوحي عاقبُه  
أعلاهُمُ كرمًا، جَلَّتْ مناقبُه  
زَكَتْ خِلاهُ<sup>(٨)</sup> كما طابَتْ مناسبه

(١) في الكتيبة: «لي».

(٢) في الأصل: «غرض» والتصويب من المصادر الثلاثة.

(٣) في الكتيبة: «سواد».

(٤) في الكتيبة: «ما أنس».

(٥) في الكتيبة: «من أجله».

(٦) في نفاضة الجراب: «ماثلة».

(٧) في نفاضة الجراب: «تعاتبه».

(٨) في الكتيبة: «علاه».

مِنْ أَجْلِهَا<sup>(١)</sup> كَانَ آتِيَهُ وَذَاهِبُهُ  
كَالصُّبْحِ تَبْدُو تَبَاشِيرًا كَوَاكِبُهُ<sup>(٢)</sup>  
بِذْنِ تَنِيمَاءٍ مَا أَبْدَاهُ رَاهِبُهُ  
وَطَبَّقَ الْأَرْضَ أَعْلَامًا تُجَاوِبُهُ  
وَالْجَنُّ تَقْذِفُ إِحْرَاقًا ثَوَاقِبُهُ  
حَتَّى انْجَلَى الْحَقُّ وَانْزَاحَتْ شَوَائِبُهُ  
وَالنَّجْمُ لَا يَهْتَدِي فِي الْأَفْقِ سَارِبُهُ  
عَنِ الْأَنَامِ وَجَبْرَائِيلُ صَاحِبُهُ  
وَأَمْتَازَ قُرْبًا فَلَا خَلْقُ يُقَارِبُهُ  
نَفْسٌ بِمَقْدَارِ مَا أَوْلَاهُ وَاهِبُهُ  
فِي الْخَلْقِ وَالْأَمْرِ بَادِيهِ وَغَائِبُهُ  
وَالصُّبْحُ لَمَّا يَوْثُ لِلشَّرْقِ آيِبُهُ  
سُبُلُ النِّجَاةِ بِمَا أُبْدَتْ مَذَاهِبُهُ  
وَأَذْبَرَ الْعَيَّ فَاَنْجَابَتْ<sup>(٤)</sup> غِيَاهِبُهُ  
يُهْدَى بِهَا مِنْ صِرَاطِ اللَّهِ لِأَجِبُهُ  
بَخْرٌ مِنَ الْعِلْمِ لَا تَفْنَى عَجَائِبُهُ  
فِي مَوْقِفِ الْحَشْرِ إِذْ نَابَتْ نَوَائِبُهُ  
مُحَمَّدٌ أَحْمَدُ السَّامِيِّ مَرَاتِبُهُ  
إِذَا دَهَى الْأَمْرُ وَاشْتَدَّتْ مَصَاعِبُهُ  
لَا يَشْتَكِي غُلَّةَ الظَّمَانِ شَارِبُهُ  
تَعْدَادُهَا، هَلْ يَعْدُ الْقَطْرَ حَاسِبُهُ؟  
نُغْمَى وَرُخْمَى فَلَا فَضْلُ يُنَاسِبُهُ  
بِهِ الْقَوَافِي وَجَلَّتْهَا غَرَائِبُهُ  
تُخْدَى إِلَى قَبْرِهِ الزَّائِكِي نَجَائِبُهُ

عَنَايَةً قَبْلَ بَدْءِ الْخَلْقِ سَابِقَةً  
جَاءَتْ تُبَشِّرُنَا الرُّسُلُ الْكَرَامُ بِهِ  
أَخْبَارُهُ سِرٌّ عِلْمِ الْأَوَّلِينَ وَسَلَّ  
تَطَابَقَ الْكُونُ فِي الْبُشْرَى بِمَوْلَدِهِ  
فَالْجَنُّ تَهْتَفُ إِعْلَانًا هَوَاتِفُهُ  
وَلَمْ تَزَلْ عَصْمَةُ التَّأْيِيدِ تَكْنُفُهُ  
سَرَى وَجَنَحُ ظِلَامِ اللَّيْلِ مُنْسَدِلُ  
يَسْمُو لِكُلِّ سَمَاءٍ مِنْهُ مَنْفَرْدُ  
لَمُنْتَهَى وَقَفَ الرُّوحُ الْأَمِينُ بِهِ  
لِقَابِ<sup>(٣)</sup> قَوْسِينَ أَوْ أَدْنَى فَمَا عَلِمَتْ  
أَرَاهُ أَسْرَارَ مَا قَدْ كَانَ أَوْدَعَهُ  
وَأَبَّ وَالْبَذْرُ فِي بَحْرِ الدُّجَى غَرِقُ  
فَأَشْرَقَتْ بِسْنَاهِ الْأَرْضُ وَأَتْبَعَتْ  
وَأَقْبَلَ الرُّشْدُ وَالتَّاحَتْ زَوَاهِرُهُ  
وَجَاءَ بِالذِّكْرِ آيَاتٍ مُفْضَلَةٌ  
نُورٌ مِنَ الْحَكَمِ لَا تَخْبُو سَوَاطِعُهُ  
لَهُ مَقَامُ الرِّضَا الْمَحْمُودِ شَاهِدُهُ  
وَالرُّسُلُ تَحْتَ لَوَاءِ الْحَمْدِ يَقْدُمُهَا  
لَهُ الشِّفَاعَاتُ مَقْبُولًا وَسَائِلُهَا  
وَالْحَوْضُ يَرُوي الصَّدَى مِنْ عَذْبٍ مُورَدِهِ  
مُحَمَّدُ الْمُصْطَفَى لَا يَنْتَهِي أَبَدًا  
فَضْلُ تَكْفُلٍ بِالذَّارِينَ يُوسِعُهَا  
حَسْبِي التَّوَسُّلُ مِنْهَا بِالَّذِي سَمَحَتْ  
حَيَّاهُ مِنْ صَلَوَاتِ اللَّهِ صَوْبُ حَيَا

(١) في الكتيبة: «من أجله».

(٢) هذا البيت والأبيات التالية غير واردة في الكتيبة الكامنة.

(٣) القاب: المقدار، وما بين المقبض والسية من القوس. وفي القرآن الكريم: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ [النجم: ٩]، ومحيط المحيط (قوب).

(٤) انجابت: انجلت وانكشفت. محيط المحيط (جيب).

وَحَلَّدَ اللَّهُ مُلْكَ الْمُسْتَعِينِ بِهِ  
 إِمَامٍ عَدِلَ بِتَقْوَى اللَّهِ مُشْتَمِلٌ  
 مُسَدِّدُ الْحُكْمِ مِمُونٌ نَقِيبُهُ  
 مُشْمَرٌ لِلثَّقَى أَذِيَالٌ مَجْتَهِدٌ  
 قَدْ أَوْسَعَتْ أَمَلُ الرَّاجِي مَكَارِمُهُ  
 وَفَازَ بِالْأَمْنِ مَحْبُورًا مُسَالِمُهُ<sup>(١)</sup>  
 كَمْ وَافِدٍ آمَلٍ مَغْهُودٌ نَائِلُهُ  
 وَمُسْتَجِيرٌ بَعِزٌّ مِنْ مَثَابَتِهِ  
 وَجَاءَ الدَّهْرُ يَسْتَرْضِيهِ مُعْتَذِرًا  
 لَوْلَا الْخَلِيفَةُ إِبْرَاهِيمُ لَانْبَهَمَتْ  
 سَمَتْ لَنِيلٍ تَرَاثَ الْمَجْدِ هِمَّتُهُ  
 يُنْمِيهِ لِلْعَزِّ وَالْعَلْيَا أَبُو حَسَنِ  
 مِنْ آلِ يَعْقُوبَ حَسْبُ الْمَلِكِ مَفْتَخِرًا  
 أَطْوَادُ حِلْمٍ رَسَا بِالْأَرْضِ مَحْتِدُهُ  
 تَحْقُفُهَا مِنْ مَرِينٍ أَبْحَرُ زَخَرَتْ  
 بِكُلِّ نَجْمٍ لَدَى الْهَيْجَاءِ مُلْتَهَبٌ  
 أَكْفُهُمْ فِي دِيَاغِيهَا مَطَالَعُهُ  
 يَا خَيْرَ مَنْ خَلَصَتْ لَهُ نَيْتُهُ  
 جَرَّدَتْ وَالْفِتْنَةُ الشُّعْوَاءُ مُلْبِسَةٌ  
 وَخُضَّتْهَا غَيْرَ هَيَابٍ وَلَا وَكِلٍ  
 صَبَرَتْ نَفْسًا لِعُقْبَى الصَّبْرِ حَامِدَةٌ  
 فُلِيهِنِ دِينُ الْهُدَى إِذْ كُنْتَ نَاصِرَهُ  
 لَا زَالَ مُلْكُكَ وَالتَّأْيِيدُ يَخْدُمُهُ

مُؤَيَّدَ الْأَمْرِ مَنْصُورًا كِتَابُهُ  
 فِي الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ يُرْضِيهِ يُرَاقِبُهُ  
 مُظَفَّرُ الْعِزِّ صَدَقَ الرَّأْيُ صَائِبُهُ  
 جَرَّارُ أَذْيَالٍ سُخْبِ الْجُودِ سَاحِبُهُ  
 وَأَخْسَبَتْ<sup>(٢)</sup> رَغْبَةُ الْعَافِي رَغَائِبُهُ  
 وَبَاءَ بِالْخِزْيِ مَقْهُورًا مُحَارِبُهُ  
 أَثْنَى وَأَثْنَتْ بِمَا أَوْلَى حَقَائِبُهُ  
 عَزَّتْ مَرَامِيهِ وَانْقَادَتْ مَآرِبُهُ  
 مُسْتَغْفِرًا مِنْ وَقُوعِ الذَّنْبِ تَائِبُهُ  
 طُرُقُ الْمَعَالِي وَنَالَ الْمُلْكَ غَاصِبُهُ  
 وَالْمُلْكُ مِيرَاثٌ مَجْدٍ وَهُوَ عَاصِبُهُ<sup>(٣)</sup>  
 سَمَحُ الْخِلَائِقِ مُحَمَّدٌ ضَرَائِبُهُ  
 بِبَابِ عِزِّهِمُ السَّامِي تَعَاقِبُهُ  
 وَزَاحَمَتْ<sup>(٤)</sup> مَنَكِبَ الْجُوزَا مَنَاكِبُهُ  
 أَمْوَاجُهَا وَغَمَامٌ ثَارَ صَائِبُهُ  
 يَنْقَضُ وَسَطُ سَمَاءِ الثُّغَى ثَاقِبُهُ  
 وَفِي نُحُورِ أَعَادِيهِمْ مَغَارِبُهُ  
 فِي الْمُلْكِ أَوْ حَظَبِ الْعِلْيَاءِ خَاطِبُهُ  
 سَيْفًا مِنَ الْعِزِّ لَا تَنْبُو مَضَارِبُهُ  
 وَقَلَمًا أَدْرَكَ الْمَطْلُوبَ هَائِبُهُ  
 وَالصَّبْرُ مَذْ<sup>(٥)</sup> كَانَ مُحَمَّدٌ عَوَاقِبُهُ  
 أَمْنٌ يُوَالِيهِ أَوْ خَوْفٌ يَجَانِبُهُ  
 تَقْضِي بِخَفْضِ مُنَاوِيهِ قَوَاضِبُهُ<sup>(٦)</sup>

(١) أحسبت: أكثرت وأجزلت. لسان العرب (حسب).

(٢) في نفاضة الجراب: «مسالمة».

(٣) في النفاضة والنفع: «غاصبه» بالغين المعجمة.

(٤) في الأصل: «وزاحمت» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفاضة والنفع.

(٥) في نفاضة الجراب: «مذ» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصادر الأخرى.

(٦) القواضب: جمع قاضب وهو السيف القطاع. محيط المحيط (قضب).

وَدُمْتَ فِي نَعَمٍ تَصْفُو<sup>(١)</sup> مَلَابِسُهَا      فِي ظِلِّ عَزٍّ عُلَا تَصْفُو مَشَارِبُهُ  
ثُمَّ الصَّلَاةَ عَلَى خَيْرِ الْبَرِيَّةِ مَا      سَارَتْ إِلَيْهِ بِمَشْتَاقٍ رِكَائِبِهِ  
وَمِنْ شَعْرِهِ مَا قَيْدَهُ لِي بِخَطِّهِ صَاحِبُ قَلَمِ الْإِنْشَاءِ بِالْحَضْرَةِ<sup>(٢)</sup> الْمَرِينِيَّةِ، الْفَقِيهِ  
الرَّئِيسِ الصَّدْرِ الْمُتَفَنِّنِ أَبُو زَيْدِ بْنِ خُلْدُونَ<sup>(٣)</sup>: [الطويل]

صَحَا الْقَلْبُ عَمَّا تَعْلَمِينَ فَأَقْلَعَا      وَعَظَلَّ مِنْ تِلْكَ الْمَعَاهِدِ أَرْبُعَا<sup>(٤)</sup>  
وَأَصْبَحَ لَا يُلْوِي عَلَى حَدِّ مَنْزِلٍ      وَلَا يَتَّبِعُ الطَّرْفَ الْخَلِّيَّ الْمُودَعَا  
وَأَضْحَى مِنَ السُّلْوَانِ فِي جِرْزٍ مَغْقِلٍ      بَعِيدٍ عَلَى الْأَيَّامِ أَنْ يَتَضَعُضَعَا  
يَرِدُ الْجَفَانَ الثُّجْلَ عَنْ شُرُفَاتِهِ      وَإِنْ لَحِظْتَ عَنْ كُلِّ أَجِيدٍ أَتْلَعَا  
عَزِيزٌ عَلَى دَاعِي الْغَرَامِ انْقِيَادُهُ      وَكَانَ إِذَا نَادَاهُ لِلْوَجْدِ أَهْطَعَا<sup>(٥)</sup>  
أَهَابَ بِهِ لِلشَّيْبِ أَنْصَحَ وَاعْظَ      أَصَاخَ لَهُ قَلْبًا مُنِيبًا وَمَسْمَعَا  
وَسَافِرٍ فِي أَفْقِ التَّفَكَّرِ وَالْحِجَا      زَوَاهِرُهُ لَا تَبْرُحُ الدَّهْرَ طُلَعَا  
لِعَمْرِي لَقَدْ أَنْصَيْتَ عَزْمِي تَطْلُبَا      وَقَضَيْتَ عُمْرِي رُفِيَّةً<sup>(٦)</sup> وَتَطْلُعَا  
وَحُضْتُ عُبابَ الْبَحْرِ أَخْضَرَ مُزِيدَا      وَدُسْتُ أَدِيمَ الْأَرْضِ أَغْبَرَ أَسْفَعَا<sup>(٧)</sup>  
وَمِنْ شَعْرِهِ حَسْبَمَا قَيْدَهُ الْمَذْكُورُ<sup>(٨)</sup>: [المتقارب]

نَهَاهُ النَّهْيَ بَعْدَ طَوْلِ التَّجَارِبِ      وَلَاخَ لَهُ مِنْهُجُ الرُّشْدِ لِاجِبٍ<sup>(٩)</sup>  
وَخَاطِبِهِ دَهْرُهُ نَاصِحَا      بِالسَّنَةِ الْوَعْظِ مِنْ كُلِّ جَانِبِ  
فَأَضْحَى إِلَى نُضْحِهِ وَاعِيَا      وَأَلْعَى حَدِيثَ الْأَمَانِيِّ الْكُوَاذِبِ  
وَأَصْبَحَ لَا تَسْتَبِيهِ<sup>(١٠)</sup> الْغَوَانِي

(١) في الأصل: «تصفوا». وفي نفاضة الجراب: «تصفو».

(٢) الحضرة المرينية: هي عاصمة بني مرين بالمغرب.

(٣) القصيدة في نفح الطيب (ج ٨ ص ٢٠٨).

(٤) الأَرْبُعُ: جمع ربع وهو الدار. لسان العرب (ربع).

(٥) أَهْطَعَ: أسرع. لسان العرب (هطع). (٦) في النفح: «رُفِيَّة».

(٧) الأسفع: الأسود المائل إلى الحمرة. لسان العرب (سفع).

(٨) الأبيات في الكتيبة الكامنة (ص ٢٥١) ونفح الطيب (ج ٨ ص ٢٠٨).

(٩) اللاحب: الطريق الواضح. محيط المحيط (لحب).

(١٠) في الكتيبة: «لا تستهيه».

وإحسانه<sup>(١)</sup> كثير في النظم والنثر، والقصار والمطولات. واستعمل في السِّفارة إلى ملك مصر وملك قشتالة، وهو الآن قاضي<sup>(٢)</sup> مدينة فاس، نسيجٌ وخِدِه في السلامة والتَّخصيص<sup>(٣)</sup>، واجتناب فضول القول والعمل، كان الله له.

### محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن يوسف ابن محمد الصَّرِيحي<sup>(٤)</sup>

يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن زَمْرَك. أصله من شرق الأندلس، وسكن سلفه رِبَضَ البَيَّازين من غرناطة، وبه وُلِدَ ونشأ، وهو من مفاخره.

حاله: هذا<sup>(٥)</sup> الفاضل صَدَّرَ من صدور طلبة الأندلس وأفراد نُجَبَائِها، مختصَّ<sup>(٦)</sup>، مقبول، هَشٌّ، خَلُوب، عَذْبُ الفكاهة، حلو المجالسة، حَسَنُ التوقيع، خفيف الروح، عظيم الانطباع، شَرِهَ المذاكرة، قَطِنَ بالمعارض<sup>(٧)</sup>، حاضر الجواب، شُعْلَةٌ من شعل الذكاء، تكاد تَحْتَدِمُ جوانبه، كثير الرقة، فكِه، غَزَلَ مع حياء وحشمة، جواد بما في يده، مشارك لإخوانه. نشأ عَقًّا، طاهرًا، كَلِفًا بالقراءة، عظيم الدُّؤوب، ثاقب الذهن، أصيل الحفظ، ظاهر الثُّبُل، بعيد مدى الإدراك، جيّد الفهم، فاشتهر فضله، وذاع أَرْجُه، وفشا خبره، واضطلع بكثير من الأغراض، وشارك في جُمْلَةٍ<sup>(٨)</sup> من الفنون، وأصبح مُتَلَقِّفَ كُرَّةِ البحث، وصارخ الحَلَقَةِ، وسابق الحَلَبَةِ، ومُظَنَّةُ الكمال. ثم ترقى في دَرَجِ المعرفة والاضطلاع، وخاض لُجَّةَ الحفظ، وركض قلم التَّقْيِيد والتَّسْوِيد والتعليق، ونصب نفسه للناس، متكلمًا فوق الكرسي المنصوب، وبين<sup>(٩)</sup> الحَفْلَ المجموع، مُسْتَظْهِرًا بالفنون<sup>(١٠)</sup> التي بَعَدَ فيها شأؤه، من العربية والبيان واللغة، وما يقذف به في لُجِ النقل، من الأخبار والتفسير. متشوقًا مع ذلك إلى السُّلُوك، مصاحبًا للصُّوفية، آخذًا نفسه بارتياض ومجاهدة، ثم عانى الأدب، فكان

(١) النص في نفح الطيب (ج ٨ ص ٢٠٩). (٢) في النفح: «قاضي حضرة الملك».

(٣) في النفح: «والتخصّص».

(٤) ترجمة ابن زمرك في الكتيبة الكامنة (ص ٢٨٢) ونثر فرائد الجمان (ص ٣٢٧) ونيل الابتهاج

طبعة فاس (ص ٢٨٢) وأزهار الرياض (ج ٢ ص ٧) ونفح الطيب (ج ١٠ ص ٣) واسمه في

الأزهار والنفح: «محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن يوسف الصريحي».

(٥) النص في نفح الطيب (ج ١٠ ص ٤ - ٥) وأزهار الرياض (ج ٢ ص ٨ - ٩).

(٦) في النفح: «مختصر».

(٧) أي المعارض من الكلام، وهو ما عرض به ولم يُصَرَّح.

(٨) في النفح: «كثير». (٩) في النفح: «وفوق المحفل».

(١٠) مستظهرًا بالفنون: متقوياً بها.



أَمَلَكَ بِهِ، وَأَعْمَلَ الرُّحْلَةَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ وَالْإِزْدِيَادِ، وَتَرْقَى<sup>(١)</sup> إِلَى الْكِتَابَةِ عَنْ وَلَدِ السُّلْطَانِ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ بِالْمَغْرِبِ أَبِي سَالِمٍ إِبْرَاهِيمَ ابْنَ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ عَثْمَانَ بْنِ يَعْقُوبَ، ثُمَّ عَنْ السُّلْطَانِ، وَعُرفَ فِي بَابِ<sup>(٢)</sup> الْإِجَادَةِ. وَلَمَّا جَرَتْ الْحَادِثَةُ عَلَى السُّلْطَانِ صَاحِبِ الْأَمْرِ بِالْأَنْدَلُسِ، وَاسْتَقَرَّ بِالْمَغْرِبِ، أُتِسَ بِهِ، وَانْقَطَعَ إِلَيْهِ، وَكُرِّ صَحْبَةً<sup>(٣)</sup> رِكَابَهُ إِلَى اسْتِرْجَاعِ حَقِّهِ، فَلُطِفَ مِنْهُ مَحَلُّهُ، وَخَصَّهُ بِكِتَابَةِ سِرِّهِ. وَثَابَتَ الْحَالُ، وَدَالَتِ الدُّوْلَةُ، وَكَانَتْ لَهُ الطَّائِلَةُ، فَأَقْرَهَ عَلَى رَسْمِهِ مَعْرُوفَ الْإِنْقِطَاعِ وَالصَّاعِيَةِ، كَثِيرَ الدَّالَّةِ، مَضْطَلَعًا بِالْخُطَّةِ خَطًّا وَإِنْشَاءً وَلِسْنَا وَنَقْدًا، فَحَسُنَ مَنَابُهُ، وَاشْتَهَرَ فَضْلُهُ، وَظَهَرَتْ مِشَارِكَتُهُ، وَحَسُنَتْ وَسَاطَتُهُ، وَوَسِعَ النَّاسُ تَخَلُّقَهُ، وَأَرْضَى لِلْسُّلْطَانِ حَمْلَهُ، وَامْتَدَّ فِي مِيدَانِ النُّشْرِ<sup>(٤)</sup> وَالنَّظْمِ بَاعُهُ، فَصَدَرَ عَنْهُ مِنَ الْمَنْظُومِ فِي أَمْدَاحِهِ قِصَائِدٌ بَعِيدَةُ الشَّأْوِ فِي مَدَى الْإِجَادَةِ، [حَسْبَمَا يَشْهَدُ بِذَلِكَ، مَا تَضَمَّنَهُ اسْمُ السُّلْطَانِ، أَيَّدَهُ اللَّهُ، فِي أَوَّلِ حَرْفِ الْمِيمِ، فِي الْأَغْرَاضِ الْمُتَعَدِّدَةِ مِنَ الْقِصَائِدِ وَالْمِيلَادِيَّاتِ، وَغَيْرِهَا<sup>(٥)</sup>]. وَهُوَ بِحَالِهِ الْمَوْصُوفَةُ إِلَى الْآنَ<sup>(٦)</sup>، أَعَانَهُ اللَّهُ تَعَالَى<sup>(٧)</sup> وَسَدَّدَهُ.

شَيْخُوهُ: قَرَأَ<sup>(٨)</sup> الْعَرَبِيَّةَ عَلَى الْأَسْتَاذِ رُحْلَةَ الْوَقْتِ<sup>(٩)</sup> فِي فَئْهَا أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْفَخَّارِ ثُمَّ عَلَى إِمَامِهَا<sup>(١٠)</sup> الْقَاضِي الشَّرِيفِ، إِمَامِ الْفُنُونِ اللَّسَانِيَةِ، أَبِي الْقَاسِمِ مُحَمَّدَ بْنَ أَحْمَدَ الْحَسَنِيِّ، وَالفقه والعربية على الأستاذ المفتي أبي سعيد بن لب، واختصَّ بالفقيه الخطيب الصَّدْرُ الْمُحَدَّثُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَرْزُوقٍ فَأَخَذَ عَنْهُ كَثِيرًا مِنَ الرِّوَايَةِ، وَلَقِيَ الْقَاضِي الْحَافِظَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ الْمُقَرِّيَّ عِنْدَمَا قَدِمَ<sup>(١١)</sup> رَسُولًا إِلَى الْأَنْدَلُسِ، وَذَاكَرَهُ، وَقَرَأَ الْأَصُولَ الْفَقْهِيَّةَ عَلَى أَبِي عَلِيٍّ مَنْصُورِ الزَّوَاوِيِّ، وَرَوَى<sup>(١٢)</sup> عَنْ جُمْلَةٍ مِنْهُمْ الْقَاضِي أَبُو الْبَرَكَاتِ ابْنَ الْحَاجِّ، وَالْمُحَدَّثُ أَبُو الْحَسَنِ<sup>(١٣)</sup> ابْنَ التَّلْمَسَانِيِّ، وَالْخَطِيبُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ابْنَ اللُّوشِيِّ، وَالْمُقَرِّيُّ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ابْنَ بَيْبِشٍ. وَقَرَأَ بَعْضَ الْفُنُونِ الْعَقْلِيَّةِ بِمَدِينَةِ فَاسَ عَلَى الشَّرِيفِ الرَّحْلَةَ الشَّهِيرِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْعَلَوِيِّ التَّلْمَسَانِيِّ، وَاخْتَصَّ بِهِ اخْتِصَاصًا لَمْ يَخْلُ فِيهِ مِنْ إِفَادَةٍ<sup>(١٤)</sup> مَرَانٍ وَخُنْكَةٍ فِي الصَّنَاعَةِ<sup>(١٥)</sup>.

- 
- (١) فِي النَّفْحِ: «فَتَرْقَى».
- (٢) فِي النَّفْحِ: «فِي بَابِهِ بِالْإِجَادَةِ».
- (٣) فِي النَّفْحِ: «فِي صَحْبَةٍ».
- (٤) فِي النَّفْحِ: «النَّظْمُ وَالنُّشْرُ».
- (٥) مَا بَيْنَ قَوْسَيْنِ سَاقِطٌ فِي النَّفْحِ.
- (٦) فِي النَّفْحِ: «إِلَى هَذَا الْعَهْدِ».
- (٧) كَلِمَةُ «تَعَالَى» سَاقِطَةٌ فِي الْإِحَاطَةِ، وَقَدْ أَضْفَنَاهَا مِنَ النَّفْحِ.
- (٨) النَّصُّ فِي نَفْحِ الطَّيِّبِ (ج ١٠ ص ٥).
- (٩) فِي النَّفْحِ: «رَحْلَةُ إِلَى الْمَغْرِبِ فِي...».
- (١٠) كَلِمَةُ «إِمَامِهَا» سَاقِطَةٌ فِي النَّفْحِ.
- (١١) فِي النَّفْحِ: «قَدِمَ مِنَ الْأَنْدَلُسِ».
- (١٢) فِي النَّفْحِ: «وَبُرُوِي عَنْ جَمَاعَةٍ».
- (١٣) فِي النَّفْحِ: «أَبُو الْحَسَنِ».
- (١٤) فِي النَّفْحِ: «اسْتِفَادَةٌ».
- (١٥) فِي النَّفْحِ: «فِي الصَّنْعَةِ».

شعره: وشعره<sup>(١)</sup> مترام إلى نمط<sup>(٢)</sup> الإجادة، خفاجي<sup>(٣)</sup> الثزعة، كلف بالمعاني البديعة، والألفاظ الصقيلة، غزير المادة. فمنه في غرض التسيب<sup>(٤)</sup>:

رضيتُ بما تُفضي عليّ وتحكمُ      أهان فأقصى أم أصافي فأكرمُ  
إذا كان قلبي في يديك قياده      فمالي عليك في الهوى أتحكمُ  
على أن رُوحِي في يديك بقاءه      بوضلك يحيى أو بهجرك يُغدمُ  
وأنت إلى المُشتاق نارٌ وجئة      ببعذك يشقى أو بقربك ينعمُ  
ولي كيدٌ تَندى إذا ما ذُكرتم      وقلبٌ بنيران الشوق يتَضَرَّمُ  
ولو كان ما بي منك بالبرق ما سرى      ولا استصحب الأنواء تبكي وتبسمُ  
أراعي نجوم الأفق في الليل ما دجى      وأقرب من عيني للنوم أنجمُ  
وما زلت أخفي الحب عن كل عادل      وتُشفي دموع الصب ما هو يَكتُمُ  
كساني الهوى ثوب السقام وإنه      متى صحَّ حبُّ المرء لا شيء يُسقمُ  
فيا مَنْ له العقل الجميل سجيَّة      ومن جُود يمناه الحيا يُتعلَّمُ  
وعنه يُروى الناس كلُّ غريبة      تُخطُّ على صفح الزمان وتُرسَمُ  
إذا أنت لم ترحم خضوعي في الهوى      فمن ذا الذي يُحني عليّ ويرحمُ  
وحلمك حلُمٌ لا يليق بمذنب      فما بال ذنبي عند حلمك يعظمُ؟  
ووالله ما في الحيِّ حيٍّ ولم ينل      رضاك وعمته أباد وأنعم  
ومن قبل ما طوّقتني كل نعمة      كأني وإياها سوار ومغصمُ  
وفتحت لي باب القبول مع الرضى      يغضُّ الحيُّ طرفي كأني مُجرمُ  
ولو كان لي نفس تخونك في الهوى      لفارقتها طوعاً وما كنت أندمُ  
وأترك أهلي في رضاك إلى الأسى      وأسلم نفسي في يديك وأسلمُ  
أما والذي أشقى فؤادي في الهوى      وإن كان في تلك الشقاوة ينعمُ  
لأنت من قلبي ونزهة خاطري      ومورد آمالي وإن كنتُ أُخرمُ

(١) النص في نفح الطيب (ج ٨ ص ٢٠٩) و(ج ١٠ ص ٥).

(٢) في النفح: «هدف».

(٣) نسبة إلى ابن خفاجة، شاعر الطبيعة في الأندلس.

(٤) لم ترد هذه الأبيات في نفح الطيب.

ومن ذلك ما خاطبني به، وهي<sup>(١)</sup> من أول نظمه، قصيدة مطلعها: [الطويل]

«أما وانصداع الثور في<sup>(٢)</sup> مطلع الفجر»

وهي طويلة<sup>(٣)</sup>. ومن بدائعه التي عَقَمَ عن مثلها قياسُ قيس، واشتهرت بالإحسان اشتهاه الزهد بأويس<sup>(٤)</sup>، ولم يحل مُجاره ومُباريه إلا بويح ووَيس، قوله في إغذار الأمير ولدِ سلطانه، المنوّه بمكانه، وهي من الكلام الذي عُتيت الإجابة بتذهيبه وتهذيبه، وناسب الحسن بين مديحه ونسيبه<sup>(٥)</sup>: [الطويل]

مَعَاذَ الْهَوَى أَنْ أَضْحَبَ الْقَلْبَ سَالِيَا	وَأَنْ يُشْغَلَ اللَّوْأَمُ بِالْعَذْلِ بِأَلِيَا
دَعَانِي أَعْطِ الْحَبَّ فَضْلَ مَقَادَتِي	وَيَقْضِي عَلَيَّ الْوَجْدُ مَا كَانَ قَاضِيَا
وَدُونَ الَّذِي رَامَ الْعَوَاذِلُ صَبُوءَ	رَمَتْ بِي فِي شُغْبِ الْغَرَامِ الْمَرَامِيَا
وَقَلْبُ إِذَا مَا الْبَرْقُ أَوْمَضَ مَوْهِنَا <sup>(٦)</sup>	قَدَحْتُ بِهِ زَنْدًا مِنَ الشُّوقِ وَارِيَا
خَلِيلِي إِنِّي يَوْمَ طَارِقَةِ النَّوَى	شَقِيتُ بِمَنْ لَوْ شَاءَ أَنْعَمَ بِأَلِيَا
وَبِالْخَنِيفِ يَوْمَ الثُّفْرِ يَا أُمَّ مَالِك	تَخَلَّفْتُ <sup>(٧)</sup> قَلْبِي فِي حِبَالِكَ عَانِيَا <sup>(٨)</sup>
وَذِي أَشْرٍ عَذِبِ الثُّنَايَا مُحْضَرٍ	يُسْقِي بِهِ مَاءَ النِّعَمِ الْأَقَاخِيَا
أَحُومٌ عَلَيْهِ مَا دَجَا اللَّيْلُ سَاهِرَا	وَأُضْبِحُ دُونَ الْوِزْدِ ظِمَآنَ صَادِيَا <sup>(٩)</sup>
يُضِيءُ ظِلَامَ اللَّيْلِ مَا بَيْنَ أَضْلَعِي	إِذَا الْبَارِقُ التُّجْدِي وَهَنَا بَدَا لِيَا
أَجِيرَتْنَا بِالرَّمْلِ وَالرَّمْلُ مَنْزَلُ	مَضَى الْعَيْشُ فِيهِ بِالشُّبْبَةِ حَالِيَا
وَلَمْ أَرْ زَنْعًا مِنْهُ أَقْضَى لُبَانَةً	وَأَشْجَى حَمَامَاتٍ وَأَخْلَى مَجَانِيَا
سَقَتْ طَلَّهُ <sup>(١٠)</sup> الْعُرَّ الْغَوَادِي وَنَظَّمَتْ	مِنْ الْقَطْرِ فِي جِيدِ الْغَصُونِ لَالِيَا

(١) في نفح الطيب (ج ١٠ ص ٥): «وهو». (٢) في النفح: «من».

(٣) وردت في الكتبية الكامنة (ص ٢٨٤ - ٢٨٨) وأزهار الرياض (ج ٢ ص ١٦٤ - ١٦٦)، وعدد أبياتها ٥٩ بيتًا، ومطلعها:

لَكَ اللَّهُ مِنْ فَذِّ الْجَلَالَةِ أَوْخِدِ      تطاوَّعُه الْأَمَالُ فِي النَّهْيِ وَالْأَمْرِ  
(٤) هو أويس القرني أحد أعلام الزهد في العصر الأموي، قُتل في وقعة صفين عام ٢٧ هـ. الأعلام (ج ٢ ص ٣٢) ومصادر حاشيته.

(٥) القصيدة في نفح الطيب (ج ١٠ ص ٦) وأزهار الرياض (ج ٢ ص ٥٦).

(٦) الْمَوْهِنُ مِنَ اللَّيْلِ: نصفه أو بعد ساعة منه. لسان العرب (وهن).

(٧) تَخَلَّفْتُ: تَرَكْتُهُ خَلْفِي. لسان العرب (خلف).

(٨) العاني: الأسير. لسان العرب (عنا).

(٩) في الأصل: «ضاريًا» والتصويب من المصدرين.

(١٠) في الأزهار: «ظَلَّهُ».

أَبْثُكُم أَنِّي عَلَى النَّأْيِ حَافِظٌ      ذِمَامَ الْهَوَى لَوْ تَحْفَظُونَ ذِمَامِيَا  
أَنَاشِدُكُمْ وَالْحُرُّ أَوْفَى بِعَهْدِهِ      وَلَنْ يَغْدَمَ الْأَحْسَانُ وَالْخَيْرُ<sup>(١)</sup> جَازِيَا

وورد<sup>(٢)</sup> على السلطان أبي سالم ملك المغرب، رحمة الله تعالى عليه، وقد الأحابيش بهديّة من ملك السودان، ومن جملتها الحيوان الغريب المسمّى بالزّرافة<sup>(٣)</sup>، فأمر من يُعاني الشعر من الكتاب بالنظم في ذلك الغرض، فقال وهي من بدائع: [الكامل]

لَوْلَا تَأَلَّقُ بَارِقِ التُّذْكَارِ      مَا صَابَ وَاكْفُ دَمْعِي الْمِذْرَارِ  
لَكِنَّهُ مَهْمَا تَعَرَّضَ خَافِقًا      قَدَحَتْ يَدُ الْأَشْوَاقِ زَنْدُ أَوَارِي<sup>(٤)</sup>  
وَعَلَى<sup>(٥)</sup> الْمَشُوقِ إِذَا تَذَكَّرَ مَعَهْدَا      أَنْ يُغْرِى الْأَجْفَانَ بِاسْتِغْبَارِ  
أَمُذَكَّرِي غِرْنَاطَةً حَلَّتْ بِهَا      أَيْدِي السَّحَابِ أَزْرَّةُ الثُّوَارِ؟  
كَيْفَ التَّخْلُصُ لِلْحَدِيثِ وَبَيْنَنَا<sup>(٦)</sup>      عَرَضُ الْفَلَاةِ وَطَافِحُ زَخَارِ<sup>(٧)</sup>؟  
وْغَرِيبَةٍ قَطَعَتْ إِلَيْكَ عَلَى الْوَنَى      بَيْدًا تَبِيدُ بِهَا هُمُومُ السَّارِي  
تُنْسِيهِ طَيْتَهُ<sup>(٨)</sup> الَّتِي قَدْ أُمِّهَا      وَالرُّكْبُ فِيهَا مَيِّتُ الْأَخْبَارِ  
يَفْتَادُهَا مِنْ كُلِّ مُشْتَمِلِ الدُّجَى      وَكَأَنَّمَا عَيْنَاهُ جَذْوَةُ نَارِ  
خَاضُوا بِهَا لُجَجَ الْفَلَا فَتَخَلَّصَتْ      مِنْهَا خُلُوصَ الْبَذْرِ بَعْدَ سِرَارِ  
سَلِمَتْ بِسَعْدِكَ مِنْ غَوَائِلِ مِثْلِهَا      وَكَفَى بِسَعْدِكَ حَامِيَا لِذِمَارِ  
وَأَتَشْكُ يَا مَلِكَ الزَّمَانِ غَرِيبَةً      قَيْدُ النَّوَظِرِ نُزْهَةُ الْأَبْصَارِ  
مَوْشِيَةُ الْأَعْطَافِ رَائِقَةٌ<sup>(٩)</sup> الْحَلَى      رَقَمَتْ بِدَائِعِهَا يَدُ الْأَقْدَارِ  
رَاقِ الْعَيُونَ أَدِيمُهَا فَكَأَنَّهُ      رَوْضٌ تَفْتَحُ عَنْ شَقِيقِ بَهَارِ  
مَا بَيْنَ مُبْيَضٍّ وَأَصْفَرٍّ فَاقِعٍ      سَالَ اللَّجَيْنُ بِهِ خِلَالِ نُضَارِ  
يَخْكِي حَدَائِقَ نَرْجِسٍ فِي شَاهِقٍ      تَنْسَابُ فِيهِ أَرَاقُمُ الْأَنْهَارِ

(١) في الأصل: «الخير والإحسان» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصدرين.

(٢) النص والقصيدة في نفح الطيب (ج ١٠ ص ١٠ - ١١) وأزهار الرياض (ج ٢ ص ١٧٠ - ١٧٢).

(٣) في النفح: «الزرافة».

(٤) الأوار: حرّ النار، واللّهَب: محيط المحيط (أور).

(٥) في أزهار الرياض: «عَلَّ المشوق...».

(٦) في أزهار الرياض: «ودونها».

(٧) في نفح الطيب: «وطافح الزّخار».

(٨) الطّيّة: التّيّة والوجهة. لسان العرب (طوى).

(٩) في أزهار الرياض: «رائقة».

وأنشد<sup>(١)</sup> السلطان في ليلة ميلاد رسول الله ﷺ، عَقِبَ ما فرغ من البنية الشهيرة ببابه، رحمه الله تعالى: [الطويل]

تأملَ أطلالَ الهوى فتألما      وسيما الجوى والسقم منها تعلما  
أخو زفرة هاجت له منه<sup>(٢)</sup> ذكره      فأنجد في شغب الغرام وأثهما  
وأنشد<sup>(٣)</sup> السلطان في وجهة للصيد أعملها، وأطلق أعنة الجياد في ميادين ذلك الطراد وأرسلها قوله: [الكامل]

حَيَاكِ يا دارَ الهوى من دارِ      نوء السِّماك بِدِيَمَةِ مَذْرَارِ  
وأعادَ وَجَهَ رُبَاكِ طَلْقًا مُشْرِقًا      مُتَضَاجِكًا بِمَبَاسِمِ الثَّوَارِ  
أَمَذْكَرِي دارَ الصَّبَابَةِ والهوى      حيثُ الشَّبَابُ يرفُ<sup>(٤)</sup> غُضُنْ نُضَارِ  
عاطيتني عنها الحديث كأنما      عاطيتني عنها كؤوس عِقَارِ  
إيه وإن أذْكَيتَ نارَ صَبَابَتِي      وَقَدَحْتَ زَنْدَ الشُّوقِ بالتَّذْكَارِ  
يا زاجِرَ الأظْعانِ وَهْيَ مَشْوَقَةٌ      أَشْبَهَتْهَا في زُفْرَةٍ وَأَوَارِ  
حَثْتُ إلى نَجْدٍ وليست دارها      وَصَبْتُ إلى هِنْدِيَّةٍ والقَارِ<sup>(٥)</sup>  
شاقَتْ به بَرْقَ الحِمْيِ واعتادها      طيفُ الكَرَى بمزارها المِزْوَارِ<sup>(٦)</sup>  
ومن شعره في غير المطولات<sup>(٧)</sup>: [الطويل]

لقد زادني وَجْدًا وأغرى بي الجوى      دُبَالٌ<sup>(٨)</sup> بأذيالِ الظَّلَامِ قد التَّفَا  
تُشِيرُ وراءَ الليلِ منه بَنَانَةٌ      مُحَضَّبَةٌ والليلُ قد حَجَبَ الكَفَا  
تَلُوحُ سِنَانًا حين لا تَنْفُحُ الصُّبَا      وتبدو<sup>(٩)</sup> سِوَارًا حين تُثْنِي له العُظَا  
قَطَعْتُ به ليلًا يُطَارِحُنِي الجوى      فَأَوْنَةٌ يَبْدُو وَأَوْنَةٌ يَخْفَى

(١) النص مع بيتي الشعر في نفح الطيب (ج ١٠ ص ١٢).

(٢) في النفح: «له نارَ ذُكْرَةٍ».

(٣) النص والقصيدة في نفح الطيب (ج ١٠ ص ١٢ - ١٣) وأزهار الرياض (ج ٢ ص ١٠٣).

(٤) في أزهار الرياض: «يروق حُسْنُ نُضَارٍ». (٥) في النفح: «هِنْدِيَّةٌ والغار».

(٦) رواية البيت في أزهار الرياض هي:

لكنها شامت به بَرْقَ الحِمْيِ واعتادها طَيْفُ الكَرَى بمِزَارِ

(٧) الأبيات في نفح الطيب (ج ١٠ ص ١٦) وأزهار الرياض (ج ٢ ص ١٦٩).

(٨) الدُّبَالُ: جمع دُبَالَةٍ وهي الفتيلة، وأراد المصباح الذي يصفه ابن زمرك في هذه الأبيات.

(٩) في النفح: «وتُبدِي».

إذا قلتُ لا يبدو أشالَ لسانه      وإن قلتُ لا يخبو الصُّبابة إذ لَفًا<sup>(١)</sup>  
إلى أن أفاق الصُّبُح من غَمَرَةِ الدُّجى      وأهدى نسيمُ الروض من طيبه عَزَا  
لك الله يا مضباحَ أشبَهتْ مُهْجَتِي      وقد شَفَّها من لوعةِ الحُبِّ ما شَفَا  
ومما ثبت له في صدر رسالة<sup>(٢)</sup>: [الطويل]

أزورُ بقلبي مَغْهَدَ الأُنسِ والهوى      وأنهبُ من أيدي النسيم رسائلًا  
ومهما سألتُ البرقَ يَهْفُو من الحِمَى      يُبادره<sup>(٣)</sup> دَمْعِي مجيبًا وسائلًا  
فياليتَ شِغْري والأمانِي تَعْلَلُ      أَيْزَعِي لِي الحَيَّ الكِرَامَ الوسائلًا؟  
وهل جِيرَتِي الأولى كما قد عَهِدْتُهُمْ      يُوالُون بالإحسانِ مَنْ جاء سائلاً؟  
ومن أبياته الغراميات<sup>(٤)</sup>: [الوافر]

قيادي قد تَمَلَّكَه الغَرامُ      وَوَجَدِي لا يُطَاقُ ولا يُرامُ<sup>(٥)</sup>  
ودمعي دُونَهُ صَوْبُ العَوادي      وَشَجْوِي<sup>(٦)</sup> فوق ما يَشْدُو<sup>(٧)</sup> الحَمَامُ  
إذا ما الوَجْدُ لم يَبْرُخْ فَوادي      على الدنيا وساكنيها السَّلامُ  
وفي غرض يظهر من الأبيات<sup>(٨)</sup>: [الطويل]

ومُشْتَمِلٍ بالحسنِ أخوى مُهْفَهِفٍ      قضى رَجْعُ طَرْفِي من محاسنه الوَطَرُ<sup>(٩)</sup>  
فأبصرْتُ أشباهَ الرياضِ محاسنًا      وفي خَدِّه جُرْحٌ بدا منه لي أَثَرُ  
فقلتُ لجلّاسي خذوا الحَذَرَ إنما      به وَصَبْتُ من أسهمِ الغُنْجِ والحَوَزِ  
ويا وجنةً قد جاورَتْ سيفَ لَحْظِهِ      ومن شأنها تَذْمِي من اللَّمَحِ بالبَصَرِ  
تَحَبَّلَ للعِينينِ جُرْحًا وإنما      بدا كَلَفٌ منه على صفحةِ القمَرِ

(١) في النسخ: «لا يخفى الضياء به كَفًا» وفي أزهار الرياض: «لا يخبو الضياء به كَفًا».

(٢) نفع الطيب (ج ١٠ ص ١٦) وأزهار الرياض (ج ٢ ص ١٧٠).

(٣) في أزهار الرياض: «يبادر به».

(٤) الأبيات في الكتيبة الكامنة (ص ٢٨٨) ونفع الطيب (ج ١٠ ص ١٦ - ١٧).

(٥) يُرام: يطلب. لسان العرب (روم). (٦) في الكتيبة: «وشوقي».

(٧) في الكتيبة: «يُشْكِي». وفي النسخ: «يشكو».

(٨) الأبيات في نفع الطيب (ج ١٠ ص ١٧).

(٩) الأحوى: الأسمر، ومن كان لونه لون صدف الحديد. الوطر: الحاجة. لسان العرب (هوى) (وطر).

ومما يرجع إلى باب الفخر، ولعمري لقد صدق في ذلك<sup>(١)</sup>: [الطويل]

الأئمة<sup>(٢)</sup> في الجود والجودُ شيمتي<sup>(٣)</sup>      جُبِلْتُ على آثارها<sup>(٤)</sup> يوم مولدي  
دَرِينِي فلو أَنِي أَخْلَدُ بالغنى      لَكُنْتُ ضنينا بالذي مَلَكَتْ يدي  
ومن مقطوعاته<sup>(٥)</sup>: [المقارب]

لقد علمَ الله أَنِي امرؤ      أَجَرُّ ثوبَ العَفَافِ القَشِيبِ  
فكم غَمَضَ الدهرُ أَجفَانَهُ      وفازتْ قِدَاحِي بوصلِ الحبيبِ  
وقيلَ رَقِيبُكَ فِي غَفْلَةٍ      فقلتُ أَخَافُ الإِلَهَ الرَّقِيبِ

وفي مدح كتاب «الشفا»<sup>(٦)</sup> طلبه الفقيه أبو عبد الله بن مرزوق عندما شرع في شرحه<sup>(٧)</sup>: [الطويل]

وَمَسَرَى رِكَابٍ لِلصَّبَا قَدِ وَنَتْ بِهِ      نَجَائِبُ سُخْبٍ لِلتَّرَابِ نُزُوعُهَا  
تَسْلُ سَيُوفُ الْبَرَقِ أَيْدِي خُدَاتِهَا      فَتَنهْلُ خَوْفًا مِنْ سَطَاها دُمُوعُهَا  
ومنها:

ولا مِثْلَ تَعْرِيفِ الشُّفَاءِ حَقُوقُهُ      فَقَدْ بَانَ فِيهِ لِلْعُقُولِ جَمِيعُهَا  
بِمِرَاقَةِ حُسْنٍ قَدْ جَلَّتْهَا يَدُ الثُّهَى      فَأَوْصَافُهُ يَلْتَأُحُ فِيهِ بَدِيعُهَا  
نَجُومُ اهْتِدَاءٍ، وَالْمَدَادُ يُجَنُّهَا      وَأَسْرَارُ غَيْبٍ وَالْيَرَاغُ تُذِيعُهَا  
لَقَدْ حُزَّتْ فَضْلًا يَا أَبَا الْفَضْلِ شَامِلًا      فَيُجْزِيكَ عَنْ نَصْحِ الْبَرَايَا شَفِيعُهَا  
وَاللهُ مَمَّنْ قَدْ تَصَدَّى لَشَرْحِهِ      فَلَبَّاهُ مِنْ غُرِّ الْمَعَانِي مُطِيعُهَا  
فكم مُجْمَلٍ فَصَّلْتَ مِنْهُ وَحِكْمَةٍ      إِذَا كَتَمَ الْإِدْمَاجُ مِنْهُ تُشِيعُهَا  
مَحَاسِنُ وَالْإِحْسَانُ يَبْدُو خِلَالِهَا      كَمَا افْتَرَّ<sup>(٨)</sup> عَنْ زَهْرِ الْبَطَاحِ رِبِيعُهَا

(١) البيتان في نفع الطيب (ج ١٠ ص ١٧) وأزهار الرياض (ج ٢ ص ١٠).

(٢) في الأصل: «يا لائمي» والتصويب من نفع الطيب. وفي أزهار الرياض: «ولائمي».

(٣) في النفع: «شيمة». (٤) في المصدرين: «إيثارها».

(٥) الأبيات في أزهار الرياض (ج ٢ ص ١٠) ونفع الطيب (ج ١٠ ص ١٧).

(٦) كتاب «الشفا» للقاضي عياض بن موسى اليحصبي، واسمه كاملاً: «الشفا، بالتعريف بحقوق المصطفى».

(٧) البيتان في نفع الطيب (ج ١٠ ص ١٧ - ١٨).

(٨) افتَرَّ: ابتسم. مختار الصحاح (فرر).

إِذَا مَا أَصُولُ الْمَرْءِ طَابَتْ أَرْوَمَةٌ<sup>(١)</sup>      فَلَ عَجَبٌ أَنْ أَشْبَهَتْهَا فِرْعَوْنُهَا  
بَقِيَتْ لِأَعْلَامِ الزَّمَانِ تُنِيلُهَا      هُدًى وَلِأَحْدَاثِ الْخُطُوبِ تَرْوَعُهَا

ومما امتزج فيه نثره ونظمه، وظهر فيه أدبه وعلمه، قوله يخاطبني جواباً عن رسالة خاطبت بها الأولاد، وهم مع مولانا أيده الله بالمتكّب<sup>(٢)</sup>: [مخلع البسيط]

مَا لِي بِحَمَلِ الْهَوَى يَدَانِ      مِنْ بَعْدِ مَا أَعَوَزَ التَّدَانِي  
أَصْبَحْتُ أَشْكُو إِلَى<sup>(٣)</sup> زَمَانِ      مَا بَثُّ مِنْهُ عَلَى أَمَانِ  
مَا بَالُ عَيْنِكَ تَسْجُمَانِ      وَالذَّمْعُ يَرْفُضُ كَالْجُمَانِ؟  
نَادَاكَ وَالْإِلْفُ عَنْكَ وَإِنْ      وَالْبَعْدُ مِنْ بَعْدِهِ كَوَانِي؟<sup>(٤)</sup>  
يَا شَقَّةَ<sup>(٥)</sup> النَّفْسِ، مِنْ هَوَانِ      لُجَجُ<sup>(٦)</sup> فِي أَبْحَرِ الْهَوَانِ  
لَمْ يَثْنِنِي<sup>(٧)</sup> عَنْ هَوَاكَ ثَانِ      يَا بُغِيَّةَ الْقَلْبِ<sup>(٨)</sup> قَدْ كَفَانِي<sup>(٩)</sup>

يا جانحة الأصيل، أين يذهب قرصك المذهب، وقد ضاق بالشوق المذهب.  
أفست شمس الأنس محجوبة عن عيني، وقد ضرب البعد الحجاب بينها وبينني.  
وعلى كل حال، من إقامة وارتحال. فما مَحَلِّكَ من قلبي محلاً بينها. وما كنت لأفنع  
من وجهك تخيلاً وشبيهاً. ومن أين انتظمت لك عقول التشبيه وأتسقت، ومن بعض  
المواقع والشمس لو قطعت. صادق منذور، وأنت تتجمل بتؤبّي زور، وجيب الظلام  
على دينارك حتى الصباح مزور، ووراءك من الغروب غريم لا يرحم، ومطالب  
تقلب منه في كفه المطالب. ويا بَرَقَ الغمام من أي حجاب تبتسم، وبأي صبح  
ترتسم، وأي غفل من السحاب تسم. أليست مباسم الثغور، لا تُنجد بأفقي ولا تغور؟  
هذا وإن كانت مباسمك مُساعدة، والجو مُلبس لها من الوجوم شعاراً، فلطالما  
ضجحت فأبكت الغواصي، وعقت الرائح والغادي. أعوذ بواشم البروق، بنواسم الطفل  
والشروق، ذوات الزائرات المتعددة الطروق، فهي التي قطعت وهاداً ونجاداً، واهتدت  
بسياف الصباح من السحاب قُراباً ومن البروق نجاداً، واهتدت خبر الذين أحبهم

(١) الأرومة: الأصل. لسان العرب (أرم).

(٢) الأبيات في أزهار الرياض (ج ٢ ص ١٠ - ١١).

(٣) في الأصل: «من» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من أزهار الرياض.

(٤) في الأصل: «كوان» والتصويب من أزهار الرياض.

(٥) في الأزهار: «يا شقوة». (٦) في الأزهار: «لَجَجْتُ».

(٧) في الأصل: «لم يثن» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من أزهار الرياض.

(٨) في الأصل: «القلوب» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من أزهار الرياض.

(٩) في الأصل: «كفاني» والتصويب من أزهار الرياض.



مُسْتَظَرَفًا مُسْتَجَادًا، فعالها ولعلها، والله يَصِلُ في أرض الوجود نَهْلَهَا وَعَلَهَا، وأن يُبِلَ ظَلْعَيْنِ الشوق بنسيمها البليل، وأن نعوضه من نار الغليل، بنار الخليل، وخير طبيب يداوي الناس وهو عليل. فشكواي إلى الله لا أشكو إلى أحد. هل هو إلّا فرد تَسْطُو رياح الأشواق على ذُبَالته، وعُمر الشوق قد شَبَّ على الطُوق، وهب الجمع للفرق ولم يقنع بالمشاهدة بالوصف دون الذوق. وقلب تُقسم أحشاؤه الوجد، وقَسَمَ بالله الغُور والتَّجْد. وهموم متى وردت قَلِيب القلب، لم تَبْرَح ولم تُعَد، فلهذا الأمر من قَبْلُ ومن بعد.

أستغفر الله يا سيدي الذي يوقد أفكاره حلول لقائه، وأتَنَسَّم أرواح القبول من تلقائه، وأسأل الله أن يُديم لي آمالي بدوام بقاءه. إن بَعُدَ مداه، قربت مئًا يَداه، وإن أخطأنا رِفْدَهُ أَصَبْنَا نَدَاه. فثمرات آدابه الزُّهر تجيء إلينا، وسحائب بَنَانِه العُزُّ تُصَوِّب دوالينا أو علينا، على شَحَطِ هواه، وبعُدَ منتواه. ولا كرسالة سيدي الذي عَمَّت فضائله وخَصَّتْ، وتلت على أولياء نعمته أنباء الكمال وقَصَّتْ، وآي قضى كل منها عَجَبًا، ونال من التِمَاح غُرَّتْها واجْتَلَاء صفحتها أَرْبًا. فلقد كُرِّمَتْ عنه بالاشتراك في بُنُوته الكريمة نَسَبًا، ووصلتُ لي بالعناية منه سببًا. تولّى سيدي خيرك من يتولّى خير المحسنين، ويُجْزِلُ شكر المُنْعِمِينَ. أما ما تحدّث به من الأغراض البعيدة العذِيبَة، وأخبر عنه من المعاني الفريدة العجيبة، والأساليب المُطِيلَة، فيعجز عن وصفه، وإحكام رَصْفِهِ، القلم واللسان، ويعترف لها بالإبداع المستولي على أمد الإحسان البديع وحسّان. ولقد أجهدت جِيَاد الارتجال، في مجال الاستعجال، فما سمحت القريحة إلّا بتوقُّع الآجال، وعادت من الإقدام إلى الكلال. فعلمت أن تلك الرسالة الكريمة، من الحق الواجب على مَنْ قرأها وتأمَّلها، أن لا يجري في لُجَّة من ميادينها، ويديم يراع سيدي الإحسان كرينها، لكن على أن يفسح الرياض للقِصِي مدى، ويقتي بأخلاق سيدي التي هي نُور وهُدَى، فإنه والله يقيه، ويقه ممّا يَتَّقِيه، بعد ما أعاد في شكوى البين وأبدي، وتظلم من البعد واستغدى، ورفع حكم العتاب عن ذرات التَّسِيم والاعتِباب، ورعى وسيلة ذكرها في مُحْكَم الكتاب. وولّى فضله ما تولّى، وصرف هواه إلى هوى المولى أن صُور السعادة على رأيه، أيده الله تُجَلَّى، وثمره فكره المقدس، أيده الله تَتَحَلَّى. شكر الله له عن جميع نعمه التي أولى، وحفظ عليه مراتب الكمال التي هو الأحقُّ بها والأولى. وقد طال الكلام، وَجَمَحَتْ الأقلاَح. ولسيدي وبركتي الفضل، أبقى الله بركته، وأعلى في الدارين درجته، والسلام الكريم يخضِّكم، من مملوككم ابن زَمْرَك، ورحمة الله وبركاته، في الخامس عشر لجمادى الأولى عام تسعة وستين.

وخاطبني كذلك، وهو من الكلام المرسل: أبو معارفي، وولي نعمتي، ومعيد جاهي، ومقوم كمال، ومورد آمالي، ممن توالى نعمه عليّ، ويتوقّر قسمه لديّ؛ وأبوء له بالعجز، عن شكر أياديهِ التي أحيت الأمل، وملأت أكنف الرغبة، وأنطقت الحداثق، فضلاً عن اللسان، وأياديهِ البيض وإن تعددت، ومنّهُ العميمة وإن تجددت، تقصر عن إقطاع أسمى شرف المجلس في الروض الممطور بيانه. فماذا أقول، فيمن صار مؤثراً إليّ بالتقديم، جالياً صورة تشريفي، بالانتساب إليه في أحسن التقويم...<sup>(١)</sup> وإني ثالث اثنين أتشرف بخدمتها، وأسحب في أذيال نعمتها: [الطويل]

خليلي، هل أبصرتُما أو سمعتُما بأكرم من تمشي إليه عبيدٌ؟

اللهم، أوزعني شكر هذا المُنعم، الذي أثقلت نعمه ظهر الشكر، وأنهضت كمال الحمد، اللهم أدم بجميع حياته، وأمتع بدوام بقائه الإسلام والعباد، وأمسك بيمن آرائه رَمَق ثغر الجهاد. يا أكرم مسؤول، وأعز ناصر. تفضل سيدي، والفضل عادته، بالتعريف بما يقر عين التطلع ويقنع غلة التشوّف. ولقد كان الممالك لما مثلاً بين يدي مولانا، أيده الله، لم يقدم عملاً عن السؤال ولا عن الحال، إقامة لرسم الزيارة، وعملاً بالواجب، فإنني أرى الديار بطرفي، فعلى أن أرى الديار بعيني، وعلى ذلك يكون العمل إن شاء الله. وإن سألت سيدي شكر الله احتفاءه، وأبقى اهتمامه، عن حال الممالك، من تعب السفر، وكد الطريق، فهي بحمد الله دون ما يظن. فقد وصلنا المُنكب تحت الحفظ والكلاءة، مُخرزين شرف المساواة، لمواكب المولى، يَمَن الله وُجْهته، وكتب عِصْمته، واستقرّ جميعنا بمحلّ القَصبة، وتاج أهبتها، ومهبّ رياح أجرائها، تحت النعم الثرة، والأُنس الكامل الشامل. قَرَب الله أمد لقائكم، وطلع على ما يسر من تلقائكم. ولما بلغنا هذه الطّية، وأنخنا المطيّة، قمنا بواجب تعريفكم على الفور بالأدوار، ورفعنا مخاطبة المالك على الابتدا. والسلام.

مولده: في الرابع عشر من شوال ثلاثة وثلاثين وسبعمائة.

انتهى السفر السادس هنا، والحمد لله رب العالمين

\*\*\*

(١) بياض في الأصل.

## ومن السفر السابع المُفْتَتَح بقوله ومن الطَّارئين منهم في هذا الباب محمد بن أحمد بن محمد بن أبي خيثمة الجبَّائي

سكن غرناطة، يكنى أبا الحسن.

حاله: كان مبرِّزًا في علوم اللسان نحوًا ولغةً وأدبًا، متقدمًا في الكتابة والفصاحة، جامعًا فنون الفضائل، على غفلة كانت فيه.

مشيخته: روى عن أبي الحسن بن سهل، وأبي بكر بن سابق، وأبي الحسن بن الباذش، وأبي علي الغساني وغيرهم. وصحب أبا الحسن بن سراج صحبة مؤاخاة.

تواليفه: صَنَّف في شرح غريب البخاري مصنَّفًا مفيدًا.

وفاته: توفي ليلة الثامن والعشرين من جمادى الأولى سنة أربعين وخمسمائة.

## محمد بن أحمد بن عبد الله بن أحمد الإستجِّي الحميري

من أهل مالقة، وأصله من إِسْتِجَّة، انتقل سلفه إلى مالقة، يكنى أبا عبد الله.

حاله: كان من جملة حَمَلَة العلم، والغالب عليه الأدب، وكان من أهل الجلالة، ومن بيت علم ودين. أقرأ ببلده، وقَعَد بالجامع الكبير منه، يتكَلَّم على صحيح البخاري، وانتقل في آخر عمره إلى غرناطة.

وقال الأستاذ<sup>(١)</sup>: كان من أبرع أهل زمانه في الأدب نظمًا ونثرًا.

شعره: منقولًا من خط الوزير الرَّاوية أبي محمد عبد المنعم بن سيماك، وقد ذكر أشياخه فقال: الشيخ المتفنن الأديب، البارع، الشاعر المُفْلِق، قرأ على أشياخها، وأقرأ وهو دون العشرين سنة. وكانت بينه وبين الأستاذ المقرئ الشهير أبي العباس، الملقب بالوَزْعِي، قرابة، وله قصيدة أولها: [الكامل]

ما للنسيم لدى الأصيل عليلًا

ومنها:

حتى النسيم إذا أَلَم بأرضهم      خلعوا عليه رُقَّةً ونُحوًا

(١) هو ابن الزبير، صاحب كتاب «صلة الصلة».

وكان يقول: كان الأستاذ أبو العباس يستعيدني هذا البيت ويقول: نعم أنت قريبي. وقَدِم على غرناطة، أَظَنَ سنة تسع وثلاثين وستمائة.

محبته: قال الأستاذ: جرى له قصة، نُقِلَ بعض كلامه فيها، على بعض أحاديث الكُتَّاب من جهة استشهاد أدبي عليه فيها، غالب أدبه، فأطلق عِنان الكلام، وما أكثر مما يطاق فيما يَأْتِيهِ إدراكات تلك الأفهام، ولكل مقام مقال، ومن الذي يَسْلَم من قيل وقال. وكان ذلك سبب الانقطاع، ولم يُؤت من قصر باع، وانتقل إلى غرناطة، فتوفي في أثر انقطاعه وانتقاله.

شعره: من ذلك قوله في غرض يظهر من الأبيات: [الطويل]

قضوا في رُبى نَجْد ففي القلب مرساه	وَعَثُوا إِنْ أَبْصَرْتُمْ <sup>(١)</sup> ثُمَّ مَغْنَاه
أما هذه نجد أما ذلك الحِمَى؟	فهل عَمِيت عيناه أم صُمَّ <sup>(٢)</sup> أُذْنَاه؟
دعوه يُؤَفِّي ذِكْره بآتِشامه	ديون هواه قبل أن يتوقَّاه
ولا تسألوه سَلْوَةً فَمِن العَنَا	رياضة من قد شاب في الحب فَوْداه <sup>(٣)</sup>
أَيَحْسَب من أَضَلَّى فَوَادِي بحبِّه	بأنِّي <sup>(٤)</sup> سَأَسْلُو عنه، حاشاه حاشاه؟
متى غَدَرَ الصَّبُّ الكريم وفي <sup>(٥)</sup> له	وإن أَتلف القلبَ الحزين تلافاه
وإن حَجَرُوا معناه وصرَّحوا به	فإن معناه أحقُّ بمعنائه
ويا سابقًا عيس الغرام سيوفه	وكلُّ إذا يخشاه في الحب يخشاه
أَرخها فقد ذابت من الوجد والسرى	ولم يبق إِلَّا عَظْمُهَا أو بقاياها
ويا صاحبي عُجْ بي على الخَيْفِ <sup>(٦)</sup> من منى	وما للتعنِّي <sup>(٧)</sup> لي بآئي ألقاه
وعرَّج على وادي العقيق لعَلَّني	أَسْأَل عَمَّن كان بالأمس مأواه
وقل لليالي قد سَلَفْنَ بَعِيشه	وَعُمِّرَ على رغم العذول قَطْعُناه
هل العود أرجوه أم العُمر ينقضي	فأقضي ولا يُقْضَى الذي أتمَّناه؟

(١) في الأصل: «إِنْ أَبْصَرْتُمْ» وهكذا ينكسر الوزن، لذلك جعلنا همزة القطع همزة وصل.

(٢) في الأصل: «صُمَّتْ» وكذا ينكسر الوزن.

(٣) الفؤد: معظم شعر الرأس مما يلي الأذن. محيط المحيط (فود).

(٤) في الأصل: «أني أسلو...» وكذا ينكسر الوزن.

(٥) في الأصل: «وفي» بتشديد الفاء، وكذا ينكسر الوزن.

(٦) الخَيْف: ما انحدر عن غلط الجبل. محيط المحيط (خيف).

(٧) في الأصل: «وما التعني لي من بآئي ألقاه» وكذا لا يستقر الوزن والمعنى معًا.

ومن شعره أيضًا، قوله، رحمه الله: [الطويل]

سَرَت من رُبى نَجْدٍ مُعْطَرَةِ الرِّيَا      يموت لها قلبي وآونة يَخْيَا  
تَمَسَّحُ أعطاف الأراك ليلة      وتنثر كافورًا على التربة اللُّمَيَا  
وتَرْتَدُّ<sup>(١)</sup> في حِجَرِ الرياض مريضة      فتُحْيِي بطيب العُزْف من لم يكن يَخْيَا  
وبُشْرَى<sup>(٢)</sup> بأنفاس الأَجْبَةِ سُخْرَةٌ      فيسرع دمغ العين في إثرها جَزِيَا  
سقى<sup>(٣)</sup> الله دَهْرًا ذَكَرَهُ بنعيمه      فكم لجفوني عند ذِكْرَاه من سُقْيَا  
نَأْنِي<sup>(٤)</sup> مُحْيَاه الأنيق وحُسْنُهُ      ومن خُلُقِي قد كنت لا أحمل النَّأْيَا  
وبي رَشَأ من أهل غرناطة غدا      وجود بتعذبي وببخل باللُّقْيَا  
رمانِي فصابني<sup>(٥)</sup> بأول نظرة      فيا عجبًا من عِلْم الرِّشَأ الرَّمْيَا  
وبدَّد جسمي نوره وكأنه      أشعَّة شمسٍ قابلت جسدي ملْيَا  
تصوِّر لي من عالم الحُسن خالصًا      فمن عجب أن كان من عالم الدنيا  
وهمَّ بأن يَرْقى إلى الحور جسمه      فنَقَّلْتُهُ كُتْبًا وَحَمَلْتُهُ حَلْيَا  
إذا ما انثنى أو لاح أو جاح أو رنا      سبَا الْقُضْب والأقمار والمِسْك والضْيَا  
رعى الله دَهْرًا كان ينشر وصله      برود طواها البين في صدره طَيَا

مشيخته: ومما يشتمل على أسماء شيوخه، ويدلّ على تبخّره في الأدب وورسوخه، إجازته أبا الوليد إسماعيل بن تبر الأيادي، وعندها يقال: أتى الوادي: [الخفيف]

إنّ لي عند كلِّ نفحةٍ بستا      ن من الورد أو من الياسمينا  
نظرةً والتفاتةً أتمئى      أن تكوني حللت فيما تلينا

ما هذه الأنوار اللائحة، والثوار الفائحة، إنني لأجد ريح الحكمة، ولا مُقَنَّد، وأرد مورد النعمة، ولا مُنْكَد، أمْسُك دارين يُنْهب، أم المَنْدل الرطب في الغرام المُلهب، أم نَفَّحت أبواب الجنة ففاح نسيمها، وتوضحت أسباب المِئَةِ فلاح

(١) في الأصل: «ومرتد». (٢) في الأصل: «وبشرت».

(٣) في الأصل: «سقتي» وهكذا ينكسر الوزن.

(٤) في الأصل: «ملني». ونأني محيّا: بعد عني.

(٥) في الأصل: «فأصابني» وهكذا ينكسر الوزن.

وسيمُّها: [الطويل]

مُحِيَّاك أُم نور الصِّباح تَبَسُّما      وريَّاك أُم نور الأَقاحي<sup>(١)</sup> تَنسُّما  
فَمَن شَمَّ مَن ذا نَفْحَةً رَقَّ شِيَمَةً      وَمَن شامَ مَن ذا لَمْحَةً راقَ مَبَسِّمًا؟

أَجَل خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ. قال رسول الله ﷺ: لتفهِّموا أسرار الحِكم وتعووا، وإذا رأيتم رياض الجنَّة فارْتَعُوا، يعني مجالس الذِّكر، ومَأْنَسِ النظر والفكر، ومطالع المناظرة، ومواضع المحاضرة، فهذه بتلك، وقد انتظمت الجواهر النبوية في سِلْكٍ، ولهان جَمَى للعطارة وطيس، بين مِسْك المداد وكافور القراطيس. فيا أيها المعلم الأوحد، والعالم الذي لا تنكر أمامته ولا تُجحد، حوِّمت على علم الملوك، ولزمت بحلم طريق الحكم المسلولك، فلم تعد أَمَلَ الحكماء، ولم تُعَدْ إِلَّا بعمل العلماء، وقد قال حكيمهم الفاضل، وعظيمهم الذي لا مُناظر له ولا مُفاضل: إذا خدَمَتِ الأمراء فكن بين استلطاف واستعطاف، تَجُنِّ المَعَارِفِ والعوارف دانية القُطاف، فتَعَلَّمْهُمْ وكأنَّكَ تتعلَّمُ منهم، وترويهِم وكأنَّكَ تروي عنهم، فأجريت الباب، وامْتَرَيْتِ من العلم اللَّباب، ثم لم تُبْعِدْ، فقد فعل النحويون ذلك في يَكْرُم، ويَعِدْ، ويَعِزْ، ولا غرو أن تقرأ على مَنْ هو دونك، وتَسْتَجِيزَ الإجازة عن القوم العظام يقصدونك. فهذا رسول الله ﷺ، قد أمره الله بأن يقرأ على أَبِي بن كعب، فهل في حيِّ الخواطر الذكية من حيٍّ؟ فقال له، رضي الله عنه: الله أمرك أن تقرأ عليّ، والعناية الرِّبانية تُنادي إليّ إليّ، وإذا قال لي: من أحبُّ مولاي، واستعار لزيَّنته خلَّاي:

فما على الحبيب من اعتراض      وللطَّبيب تصرفٌ في المِراضِ<sup>(٢)</sup>  
قد يَزْحَلُ المرءَ لمطلوبه      والسبب المطلوب في الرَّاحِلِ<sup>(٣)</sup>

عَجَّتْ متواضعًا، فما أبرمتَ في معاجك، ولا ظلمت في السؤال نَعِجَّتْه إلى نَعاجك، فإنه سرُّ الله، لا يحلُّ فيه الإفشاء، وحكمةُ الله البالغة، والله يؤتي الحكمة من يشاء، وإن لَيسْتَ من التواضع شعارًا، ولبست عن الترفع تنبيهاً على السَّرِّ المكتوم وإشعارًا، فهذه الثريا من العجائب إذا ارتفعت في أعلى صعودها، وأسمى راياتها الخافقة وبنودها، نهايةُ وجودها الحسِّي عدم، وغاية وضيئها الشُّبهي أن تُشَبَّهَ بقدَم، فإذا هَمَّتْ بالركوع، وشَمَّتْ في المغرب ريح الوقوع، كان لها من السُّمو القُدْحُ

(١) في الأصل: «الأقاح».

(٢) المِراض: جمع مَرَضٍ وهو ذو المَرَض. محيط المحيط (مرض).

(٣) هذا البيت على البحر السريع.

المُعَلَّى، وعادت قرطاً تتزيّن به الآذان وتحلّى:

وفي الشرق كأسٌ وفي مغاربها قِرْطٌ وفي وسط السماء قَدَمٌ

هذه آثار التواضع مَثْلُوَّة السُّور، مجلُوَّة الصُّور، وكان بعضهم إذا أعطى الصدقة، يعطيها ويده تحت يد السائل، وهكذا تُفهم المسائل. فإنه لما سَمِع النبوة تقول: اليد العليا خير من اليد السفلى، أراد أن يؤثر المقام الأعلى. ولما أعطى أبو بكر، رضي الله عنه، ماله كله، أعطى عُمر، رضي الله عنه، النصف من المال، لا احتياطاً على ماله، ولكن ليقف لأبي بكر في مقام القصور عن كماله، تَفْوِيضاً وتسليماً، وتنبهاً لمن كان له قَلْب وتعلّماً. ورؤي الدُّرَاقُطُني، رحمه الله عليه، يحبس أباه بركابه، فلا يُنكر عليه، ف قيل له في ذلك، فقال: رأيته يبادر إلى فضيلة، فكرهت مخالفتة: [البسيط]

فوق السماء وفوق الزُّهر ما طلبوا وهُم إذا<sup>(١)</sup> ما أرادوا غايةً نزلوا

وإلى هذا وصل الله حِفْظُكَ، وأجزك من الخيرات حَظُّكَ، فإنه وصلتني الكُرَاسَة المباركة، الدَّالَّة على التفنن في العلوم والمشاركة، فبينما أنا أتلو الإجازة، وأرى صدور البيان وإعجازه، أُلقي إليّ كتاب كريم، إنه من أبي الوليد، وإنه بسم الله الرحمن الرحيم، فجرت، ووقفت كأنني سُجِرت، وقلت: ساحران تظاهرا معاً، وأحدهما قاتلي، فكيف إذا اجتماعا: [الطويل]

فلو كان رُمَحاً واحداً لَأَتَقَيْتَهُ ولكنّه رَمَحٌ وثان وثالثٌ

ومن لَعِبْتُ بشيمته المِثاني فأخَرَى أن تطير به المِثالثُ<sup>(٢)</sup>

وطار بي الشوق كلّ مطار، وقرأت سماء فكرتي سورة الانفطار، وكذت أصعد إلى السماء توقُّداً، واختلط بالهواء تودُّداً: [الكامل]

كانت جواهرنا أوائل قبل ذان فالآن صارت بالتحول ثوانٌ

وُجِدت وراء الحسن وهي كثيفة فوجودهن الآن في الأذهان

ولم يكف أن بُهرت بالحُسن الخُلوب، حتى أمرت أن أنظم على ذاك الأسلوب، وبالحرّيّ لذلك النثر البديع، الحريريّ أو البديع، ولذلك النظم العجيب، المُتنبّي أو حبيب، ولذلك التصوف الرقيق، الحارث بن أسد ذي التحقيق. وأما الحديث، فما لك تقطع تلك المسالك، إلّا أن العربية ليس لأحد معه فيها دليل،

(١) في الأصل: «وإذا» وكذا ينكسر الوزن. (٢) هذا البيت على البحر الوافر.

أستغفر الله إلا للخليل، لكن أصول الدين مجريّة، تركت تلك الميادين. هناك الله جَمَعَ كل مُنْقَبَة جليّة، فترى الفضيلة لا تردّ فضيلة، فمر الرديف وقد رَكِبَ غضنفرًا، أو المُدْعَى صفة فضل، وكلّ الصّيد في جوف الفَرَا<sup>(١)</sup>. من يُزحم البحر يغرق، ومن يُطعم الشجر يَشْرُق. وهل يُبارى التوحيد بعمل، أو يُجارى البراق بجمل؟ ذلك انتهى إلى سِدْرَة المنتهى، وهل انبرى ليلطم خدّه في الثرى؟ لا تقاس الملائكة بالحدّادين، ولا حُكماء يونان بالفدّادين. أفنى طريق الكواكب يُسلك، وعلى الفلّك الأثير يُستملك؟ أين الغدّ من الأمس، وظلمة العَسَق من وضح الشمس؟ ولولا ثقتي بغمام فضلك الصّيب، لتمثلت لنفسي بقول أبي الطيب<sup>(٢)</sup>: [الطويل]

إذا شاء أن يَلْهُو بِلِخِيَةِ أَحْمَقٍ      أراه عُباري ثم قال له أَلْحَقِ<sup>(٣)</sup>

فإن رضيت أيها العلم، فما لجرح إذا أرضاكم. ألم تر كيف أجازي أغوج بمغرب أهوج وأجازي ذا العقال بجحش في عقال؟ ظهر بهذه الظلمة، ذلك الضياء، وبضدّها تتبين الأشياء. وما يزكو بياض العاج حتى يُضاف إلى سواد الأبنوس. ألفاظ تذوب رقة، وأغراض تملك حبّ الكريم ورقّة الزّهر، والزّهر بين بنان وبيان، والدرّ طُوع لسان وإحسان: [الوافر]

وقالوا ذاك سحرٌ بَاهِلِي<sup>(٤)</sup>      فَقُلْتُ وفي مكان الهاء باء

وأما محاسن أبي الوليد، فيقصر عنها أبو تمام وابن الوليد: [المتقارب]

معان لِسْن ثياب الجمال      وهزّت لها الغانيات القُدُودا  
كَسُونُ عَبِيدًا ثياب عبيد      وأضحى لبيدٌ لديها بليدا

وكيف أعجب من إجرائك لهذه الجياد، وأياديك من إياد؟ أوريث هذه البراعة المساعدة، عن قِسْ بن ساعدة؟ أجذك أنت الذي وصف رسول الله ﷺ، فقال: كاني أنظر إليه في سوق عكاظ على جَمَلٍ أَوْزَق، وهو يقول أيها الناس: مطرٌ ونبات، وآباء وأمّهات، إلى قوله: [مجزوء الكامل]

في الذاهبين الأولي —      نَ مِنَ القرونِ لنا بصائر

(١) قوله: «كلّ الصّيد في جوف الفَرَا» مثلّ يضرب لمن يُفَضَّل على أقرانه. والفَرَا: الحمار الوحشي، وجمعه فراء. مجمع الأمثال (ج ٢ ص ١٣٦).

(٢) هو بيت من قصيدة مؤلفة من ٤٣ بيتًا، وهو في ديوان المتنبي (ص ٣٦٢).

(٣) يقول: إذا أراد سيف الدولة أن يسخر بأحق من الشعراء أراه أثر المتنبي، ثم أمره أن يلحق به، لأنه لا يقدر على ذلك. والغبار واللاحق استعارة من سباق الخيل.

(٤) في الأصل: «بَاهلي».



لَمَّا رَأَيْتُ مَوَارِدَ      لَلْمَوْتِ لَيْسَ لَهَا مَصَادِرُ  
أَيَقَنْتُ أَنِّي لَا مَحَا      لَةَ حَيْثُ صَارَ الْقَوْمُ صَائِرُ

إيه بغير تمويه. رَجَعَ الحديث الأول إلى ما عليه الْمُعُول. سألتني، أيها السيد الذي يجب إسعافه، أن أرغم أَنفَ القلم حتى يجري رُعافه، وأن أَكْثُلَ جُفون الأوراق بمداد الأَقلام، وأن أجمع الطُروس والأَمِدَّة<sup>(١)</sup>، بين إصباح وإظلام، وأطرز بياض الشُّوسن بخضرة الآس، وأبرز العلم الأبيض تحت راية بني العباس، فقلت مبادرًا مُتَمَثِّلًا، وَجُلْتُ في ميدان الموافقة مَتَمَثِّلًا: [البسيط]

لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ أَضْعَافًا مَضَاعِفَةً      إِنِّي أَجَبْتُ وَلَكِنْ دَاعِيَ الْكَرَمِ  
أَتَى مِنَ الْمَجْدِ أَمْرٌ لَا مَرَدَّ لَهُ      أَمْشِي عَلَى الرَّأْسِ فِيهِ لَا عَلَى الْقَدَمِ

دعاء والله مُجَاب؛ ونداء ليس دونه حِجَاب: [المتقارب]

كَتَبْتُ وَلَوْ أَنِّي أَسْتَطِيع      لِإِجْلَالِ قَدْرِكَ بَيْنَ الْبَشَرِ  
قَدَذْتُ الْبَرَاعَةَ مِنْ أَنْمَلِي      كَأَنَّ<sup>(٢)</sup> الْمِدَادَ سَوَادَ الْبَصَرِ

نعم أَجَزْتُ، سيدي الفقيه الأجل، الخطيب الأكرم، العالم العَلَم، الأوحد الأكمل، الحسيب الأخفل الأطول، أبا الوليد بن الفقيه الأجل، المعظم الموقر، المكرم المبارك الأظهر، المرحوم أبي زكريا يحيى بن سعيد بن قنبر الأيادي القَزْمُونِي، ونبه السَّادات النجباء المباركين، أبا القاسم أحمد، وأبا إسحاق إبراهيم، وأبا الحسين بتزيا. ونعمت الأغصان والشجرة، والأقنان والثمرة، أَقَرَّ اللهُ بهم أَغْنَى المجد، ولا زالوا بدورًا في مطالع السُّعد، ولا برحوا في مكارم يعنون نُوارها، وَيَجْتَلُونَ أنوارها، وتفيض عليهم يد العناية الإلهية، نهرا الكَوْنِي ونهارها، جميع ما رويته قراءة وسماعًا، وإجازة ومناولة، من العلوم على اختلافها، وتباين أصنافها، بأي وجه رويته، وعلى أي وصف تقلدته ودريته، وكذلك أَجَزْتهم جميع ما قلته وأقوله، من مَسْطُور ومَرْسُوم، ومنثور ومنظوم، وتصرَّفت فيه من منقول ومفهوم، وقصائدي المسماة بالروحانيات، ومُعْشَرَاتِي الحبيبات، وما نظمته من الوَرَثِيَّات، وشرحي لشعر أبي الطيب المسمى بـ«ظهور الإعجاز بين الصدور والأعجاز»، وكتابي المسمى «شمس البيان في لَمْسِ البَنَان»، والزهرة الفائحة في الزُّهرة اللائحة، ونَفَح

(١) الطروس: جمع طَرْس وهو الصحيفة. والأَمِدَّة: سَدَى العَزَل والمِسَاك في جانبي الثوب إذا ابتدئ به، والمراد هنا: الحبر، مفردًا: مِدَاد. لسان العرب (طرس) و(مدد).

(٢) في الأصل: «وكان» وكذا ينكسر الوزن، لذا حذف الواو.

الكلمات في شرح المقامات، واقتراح المتعلمين في اصطلاح المتكلمين، وكتاب التَّصَوُّر والتصديق، في التوطية لعلم التحقيق، ورَقْم الحُلل، في نظم الجمل، ومفتاح الإحسان، في إصلاح اللسان. وما أنشأته من السلطانيات نظمًا ونثرًا، وخطابة وشعرًا. والله تعالى يجعل أعمالنا خالصة لوجهه بمئه وكرمه، فليقل الفقيه الأجل، وبنوه الأكرمون، رضي الله عنهم، أنبأنا وأخبرنا وحدثنا، أو ما شاءوا من ألفاظ الرواية، بعد تحري الشروط المرعية، في الإجازات الشرعية، وإن ذهبوا حفظ الله كمالهم، وأراهم في الدارين آمالهم، إلى تسمية من لي من المشايخ، قدس الله أرواحهم، وزحزح عن النار أشباحهم:

فمنهم الأستاذ الخطيب الكبير، العالم الفاضل الجليل، البقية الصالحة، آخر الأدياء، وخاتمة الفضلاء، أبو جعفر أحمد بن يحيى بن إبراهيم الحميري القرطبي الدار، رضي الله عنه. قرأت عليه بقرطبة شعر أبي الطيب قراءة فهم لمعانيه، وإعراب لألفاظه؛ وتحقيق للغة، وتنقيح عن بديعه. وكذلك قرأت عليه أكثر شعر أبي تمام. وسمعت عليه كتاب الكامل لأبي العباس المبرد، ومقامات التميمي، كان يرويها عن مُثَنِّهَا، وكانت عنده بخط أبي الطاهر. وتفقهت عليه «تبصرة الضمري». وكان على شياخته، رحمه الله، ثابت الذهن، مُقبل الخاطر، حافظ المُعَيَّا: [الوافر]

يروع رَكَانَةً ويذوب ظَرْفًا      فما تدري أشيخ أم غلامٌ

نأتيه بمقاطيع الشعر فيصلحها لنا. ويقف على ما نستحسنه منها، فنجده أثبت منّا، ولقد أنشدته يومًا، في فتى مفقود العين اليسرى: [الكامل]

لم تزو إحدى زهرتيه ولا انثنت      عن نورها وبديع ما تحويه  
لكنه قد رام يُغلق جَفْنَه      ليصيب بالسُّهم الذي يرميه

فاستفادهما وحفظهما، ولم يزل، رحمه الله، يعيدهما مستحسنًا لهما، متى وقع ذكرى. وكان يروي عن الإمام المازري بالإجازة، وعن القاضي أبي مروان بن مسرة، وعن الأستاذ عباس، وعن أبي عبد الله بن أبي الخصال.

ومنهم الفقيه الأجل العالم العَدْل، المحدث الأكمل، المتفنن، الخطيب، القاضي أبو محمد بن حَظُّو الله. سمعت عليه كتبًا كثيرة بمالقة، بقراءة الفقيه الأستاذ أبي العباس بن غالب، ولقيته بقرطبة أيضًا، وهو قاضيهَا. وحدثني عن جَدِّي، وعن جملة شيوخ، وله برنامج كبير، وأخوه القاضي الفاضل أبو سليمان أيضًا منهم.

ومنهم الفقيه الأجل، العالم العَلَم، الأوحد، النحوي، الأديب المتفنن، أبو علي عمر بن عبد المجيد الأزدي، قرأت عليه القرآن العزيز مفردات، وكتاب الجمل، والإيضاح، وسيبويه تفقها، وكذلك الأشعار الستة تفقها، وما زلت مواظبا له إلى أن توفي رحمه الله. وكان فريد عصره في الذكاء والزكا. ولم يكن في حلبة الأستاذ أبي زيد السهيلي أنجب منه على كثرتهم. وقد قال الأستاذ أبو القاسم السهيلي للإمام المنصور، رضي الله: هو أفعَدُ لكتاب سيبويه منا. وقال لي يوما، وقد نظر إلى طالب يُصغى بكليته إلى ثان، فقلت: ماذا؟ فقال: إنَّ حُبَّ الشيء يعمي ويصم، فقلت له: ويعيد الصبح ليلاً مُذلهم، فاستحسنه.

ومنهم الفقيه الأجل، الأديب الأريب الكامل، اللغوي الشهير، أبو علي ابن كسرى المَورِي، قريبي ومُعَلِّمي. وكان من طلبة أبي القاسم السهيلي، وممن نبغ صغيراً. وهو الذي أنشد في طفولته السيد أبا إسحاق الكبير بإشيلية: [الكامل]

قسما بحُصَص<sup>(١)</sup> وإنه لعظيمُ      فَنَهيَ المقامُ وأنتَ إبراهيمُ

وكان بالحضرة الأستاذ أبو القاسم السهيلي، فقام عند إتمامه القصيدة، فقال: لمثل هذا كنت أحسبك الحسا، ولمثل هذا كنت أواصل في تعليمك الإصباح والإمسا. وقد أنشد هذا لأمير المؤمنين أبي يعقوب<sup>(٢)</sup>، رضي الله عنه: [الطويل]

أمعشَرِ أهلِ الأرضِ بالطُولِ والعَرَضِ      بهذا أنادي في القيامة والعرضِ  
فقد قال الله فيك ما أنتَ أهلُهُ      فيقضى بحكم الله فيك بلا نُقْصِ  
فإياكَ يُعْنَى ذو الجلال بقوله      كذلك مَكْنًا ليوسف في الأرضِ

ومنهم الفقيه الأجل، العالم المحدث، الحافظ الفاضل المؤثر، السيد أبو محمد القرطبي، قرأت عليه القرآن بالروايات مفردات، وتفقهت في الجمل والأشعار، وأجازني جميع ما رواه. وكذلك فعل كل واحد ممن تقدّم ذكره. وكان، رحمه الله، آخر الناس علماً ونزاهة وحسن خلق، وجمال سَمَت وأبهة ووقار، وإتقان وضبط، وجودة وحفظ.

(١) حصص هنا هي إشيلية، وقد سميت إشيلية بحمص لشبهها بها.

(٢) هو أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن الموحدي، وقد حكم المغرب والأندلس من سنة ٥٥٨ هـ إلى سنة ٥٨٠ هـ. ترجمته في البيان المغرب - قسم الموحدين (ص ٨٣، ١٣٠) والحلل الموشية (ص ١١٩).

ومنهم الفقيه الأجل، الحاج الفاضل، الشهيد في كائنة العقاب<sup>(١)</sup>، المحدث الورع، الزاهد الطاهر، أبو عبد الله بن حسين بن صاحب الصلاة الأنصاري، وعليه كان ابتدائي للقراءة، وكان مبارك التعليم، حسن التفهيم، شديد التواضع.

ومنهم الفقيه الأجل الفاضل الورع، المحدث، الحاج المُلهم، المجاب الدعوة، الميمون التقيبة، الأواب، أبو الحجاج بن الشيخ، رضي الله عنه. وهذا الكتاب على الإطالة مني، ولكن القرطاس فتي، والسلام الأتم عليكم، ورحمة الله وبركاته. قال ذلك، وكتبه العبد المعترف بذنبه، الراجي رحمة ربه، محمد بن عبد الله الحميري ثم الإستجي، في أواسط شعبان المكرم من عام أحد وأربعين وستمائة.

**وفاته:** من خط الوزير أبي محمد عبد المنعم بن سماك، قال: قَدِمَ غرناطة، أظن سنة تسع وثلاثين وستمائة، وشكى علة البطن مدة ثمانية أشهر بدار أبي، رحمه الله، مرضناه الثلاثة الأخوة، إلى أن توفي، رحمه الله، ودفن بمدفنه، مَغْنَى الأدب، بروضة الفقيه أبي الحسن سهل بن مالك.

### محمد بن أحمد بن علي الهواري<sup>(٢)</sup>

يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن جابر، من أهل المرية.

**حاله:** رجل<sup>(٣)</sup> كفيف البصر، مدلٌ على الشعر، عظيم الكفاية والمنة على زَمَانَتِهِ<sup>(٤)</sup>. رحل إلى المشرق، وتظافر<sup>(٥)</sup> برجل من أصحابنا يعرف بأبي جعفر الإلبيري، صاراً زَوْحِينَ في جسد، ووقع الشعر منهما بين لَخْيَيْ أسد، وشَمْرًا<sup>(٦)</sup> للكُذْيَةِ، فكان وظيف الكفيف التَّظْم، ووظيف<sup>(٧)</sup> البصير الكُثْب، وانقطع الآن

(١) كانت وقعة العقاب في منتصف شهر صفر سنة ٦٠٩ هـ، بين الناصر أبي عبد الله محمد بن يعقوب بن يوسف الموحيدي وجيوش قشتالة بقيادة ألفونسو الثامن، وكانت الهزيمة فيها للمسلمين، فكانت السبب في هلاك الأندلس. البيان المغرب - قسم الموحدين (ص ٢٦٣) وتاريخ قضاة الأندلس (ص ١٤٩).

(٢) ترجمة ابن جابر الهواري في نفح الطيب (ج ١٠ ص ١٥٥).

(٣) النص في نفح الطيب (ج ١٠ ص ١٥٥).

(٤) الزمانة: العاهة الدائمة. لسان العرب (زمن).

(٥) في النفح: «وتظاهر».

(٦) في النفح: «وشمر للعلم وطلبه، فكان وظيفة الكفيف...».

(٧) في النفح: «وظيفة».

خبرهما. وجرى ذكره في الإكليل بما نصّه<sup>(١)</sup>: محسوبٌ من طلبتها الجِلَّة، ومعدود فيمن طلع بأفقهها من الأهلَّة، رحل إلى المشرق، وقد أصيب ببصره، واستهان في جنب الاستفادة<sup>(٢)</sup> بمشقة سفره، على بيان عذره، ووضوح ضره.

شعره: وشعره كثير، فمنه قوله<sup>(٣)</sup>: [الطويل]

سلو مسرَّ<sup>(٤)</sup> ذاك الخال في صفحة الخد  
ومن هز<sup>(٥)</sup> غُضَنَ القَدِّ منها لِفَتْنَتِي  
ومن متع<sup>(٦)</sup> القُضْبَ اللَّدَانِ بوصلها<sup>(٧)</sup>  
فتاة تَفَّتُ القلبَ مني بِمُقْلَةٍ  
تمنيتُ أن تُهدي إليَّ نهودها  
فقلت وللرَّمان<sup>(٨)</sup> بُدٌّ من الجنى  
فقلت أليس القلبُ عندك حاصلًا<sup>(٩)</sup>؟  
وقلت<sup>(١٠)</sup> اجعليني من عبيدك في الهوى  
إذا شئتُ أن أرضاك عبداً فمَتَّ جَوَى<sup>(١١)</sup>  
ألم ترَّ النُّخلَ يُخْمَلُ ضُرُّها  
كذلك بذلُّ النَّفيسِ سَهْلٌ لذى النُّهى  
ألسْتَ ترى كَفَّ ابنِ جَانَةِ طالما<sup>(١٢)</sup>

متى رَقُمُوا بِالْمِسْكِ في ناعمِ الوِردِ  
وأودَعَهُ رُمَائَتِي ذلك التَّهْدِ  
إلى أن أعزَّن<sup>(١٣)</sup> الحسنَ من ذلك القَدِّ  
له رِقَّةُ العُزْلانِ في سَطْوَةِ الأسدِ  
فقالَت رأيتَ البَذَرَ يُهْداه أو يُهْدِي  
فتاهتُ وقالَت باللَّواحِظ لا الأيْدِي  
فقالَت<sup>(١٤)</sup> قلوبُ الناسِ كُلُّهُمُ عندي  
فقالَت كفاني كم لحُسْنِي من عَبدِ  
ولا تَشْتَكِي<sup>(١٥)</sup> واضِرِّ على أَلَمِ الصَّدِّ  
لأجل الذي تَجْنِيهِ من خالِصِ الشَّهْدِ؟  
لما يَكْسِبُ الإنسانُ من شرفِ الحمدِ  
أضاعَ كَرِيمَ المالِ في طلبِ المَجْدِ

(١) النص في نفح الطيب (ج ١٠ ص ١٥٦).

(٢) في النفح: «الإفادة».

(٣) القصيدة في نفح الطيب (ج ١٠ ص ١٥٦ - ١٥٧).

(٤) في النفح: «حُسن».

(٥) في الأصل: «ومز متي» ولا معنى له، وقد صوبناه من النفح.

(٦) في النفح: «بوصفها».

(٧) في الأصل: «أعزَّن» ولا معنى له، والتصويب من النفح.

(٨) في النفح: «الرَّمان».

(٩) في الأصل: «فقلت ليس للقلب عندك حاصل» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.

(١٠) في الأصل: «وقالت» والتصويب من النفح. (١٢) في النفح: «فقلت».

(١٣) في الأصل: «هوى» والتصويب من النفح.

(١٤) في الأصل: «ولا تشكي» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.

(١٥) في الأصل: «... ترى أزجاته طالما» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.

ومن شعره أيضًا قوله<sup>(١)</sup>: [الكامل]

عَرَّجَ عَلَى بَانَ الْعُذَيْبِ وَنَادِ  
وَإِذَا مَرَزَتْ عَلَى الْمَنَازِلِ بِالْحِمَى  
إِيهِ فِدَيْتُكَ يَا تُسْنِمَةَ خَبْرِي  
يَا سَعْدُ، قَدْ بَانَ الْعُذَيْبُ وَبِائُهُ  
خُذْ فِي الْبِشَارَةِ مُهْجَتِي يَوْمًا إِذَا  
قَدْ صَحَّ عَيْدِي يَوْمَ أُبْصِرُ حُسْنَهَا

وَأَتَشْدُ فَدَيْتُكَ أَيْنَ<sup>(٢)</sup> حَلَّ فَوَادِي  
فَاشْرَحْ هُنَالِكَ لَوَعْتِي وَسُهَادِي  
أَرْبَ<sup>(٣)</sup> الْأَحْبَةِ وَالْحِمَى وَالْوَادِي  
فَانزِلْ فِدَيْتُكَ قَدْ بَدَأَ إِسْعَادِي  
بَانَ الْعُذَيْبُ وَتَوَرَّ حُسْنِ سَعَادِ<sup>(٤)</sup>  
وَكَذَا الْهَلَالُ عِلَامَةُ الْأَعْيَادِ

ومما نقلناه من خبر قيده لصاحبنا الفقيه الأستاذ أبي علي منصور الزواوي، ومما أدعاه لنفسه<sup>(٥)</sup>: [الوافر]

عَلَيَّ لِكُلِّ ذِي كَرَمٍ ذِمَامٌ  
وَأَحْسَنُ مَا لَدَيَّ لِقَاءُ حُرٍّ  
وَإِنِّي حِينَ أَنْسَبُ مِنْ أَنْاسٍ  
يَمِيلُ بِهِمْ إِلَى الْمَجْدِ ارْتِيَاخٌ  
هُمْ لَبَسُوا أَدِيمَ اللَّيْلِ<sup>(١٠)</sup> بُزْدًا  
هُمْ جَعَلُوا مُتَوْنَ الْعَيْسِ<sup>(١٢)</sup> أَرْضًا  
فَمَنْ كُلُّ الْبِلَادِ لَنَا ارْتِحَالٌ  
وَحَوَّلَ مَوَارِدِ الْعِلْيَاءِ مِنْهَا<sup>(١٤)</sup>  
تَصِيبُ سَهَامُنَا غَرَضُ الْمَعَالِي

وَلِي بِمِدَارِكِ الْمَجْدِ اهْتِمَامٌ  
وَصَحْبَةُ<sup>(٦)</sup> مَغَشَّرٍ بِالمَجْدِ هَامُوا<sup>(٧)</sup>  
عَلَى قِمَمِ النُّجُومِ لَهَا<sup>(٨)</sup> مَقَامٌ  
كَمَا مَالَتْ بِشَارِبِهَا الْمُدَامِ<sup>(٩)</sup>  
لِيُسْفَرَ مِنْ مَرَادُهُمْ<sup>(١١)</sup> الظَّلَامُ  
فَمَذَّ عَزَمُوا الرَّحِيلَ فَقَدْ أَقَامُوا<sup>(١٣)</sup>  
وَفِي كُلِّ الْبِلَادِ لَنَا مُقَامٌ  
لَنَا مَعَ كُلِّ ذِي شَرَفٍ زِحَامٌ  
إِذَا ضَلَّتْ عَنِ الْغَوْصِ<sup>(١٥)</sup> السَّهَامُ

- (١) الأبيات في نفح الطيب (ج ١٠ ص ١٥٧).  
(٢) في الأصل: «إِنْ» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.  
(٣) في النفح: «كيف».  
(٤) في الأصل: «وَتَوَرَّ حُسْنُهُ سَعَادِي»، وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.  
(٥) القصيدة في نفح الطيب (ج ١٠ ص ١٥٧ - ١٥٨).  
(٦) في الأصل: «وَصَحْبَةُ مَغَشَّرٍ» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.  
(٧) في الأصل: «هَامُ» والتصويب من النفح. (٨) في النفح: «لَهُمْ».  
(٩) في الأصل: «بِشَارَتُهَا الْمَرَامُ»، والتصويب من النفح.  
(١٠) في الأصل: «الْقِيلُ» والتصويب من النفح. (١١) في النفح: «عَنْ أَدِيمِهِمْ».  
(١٢) في الأصل: «الْعَيْشُ» والتصويب من النفح. (١٣) في الأصل: «أَقَامُ» والتصويب من النفح.  
(١٤) في النفح: «مَتَا».  
(١٥) في النفح: «الْعَرَضُ».

وليس لنا من المجد اقتناع  
 نُنزّه عرضنا عن كل لؤم  
 ونبذل لا نقول العام ماذا  
 إذا ما المَحْلُ عَمَّ بلاد قوم  
 وإن حضر الكرام ففي يدينا  
 وفينا المُستشار بكل عِلْم  
 فميدان الكلام لنا مداه  
 كلا الأمرين ليس له بِقُوم  
 يُريق دم المداد بكل طُرس  
 وكتب بالمتقفة العوالي  
 إذا عَبَسَتْ وجوه الدهر مِنّا  
 لقد عَلِمْتَ قلوب الرُّوم أنّا  
 وليس يُضيرنا أنا قليل  
 إذا ما الرّاية الحمراء هُزّت  
 وما أَحمرّت سدى بل من دِماءٍ  
 تُظَلِّل من بني نصر مُلوكا  
 فكم قطعوا الدُّجى في وصل مجد  
 أبا الحجاج لم تأت الليالي  
 ولا حَمَلَتْ ظهور الخيل أمضى  
 وآتَى جئت من شرقٍ لغربٍ  
 وجُرِّيت الملوكة وكل شخص  
 فلم أر مثلكم يا آل نصر  
 ومنها:

لأندلس بكم شرفٌ وذكرٌ  
 سعى صوبُ الغمام بلاد قوم  
 توذُّ بلوغ أدناه الشَّامُ  
 هم في كل مَجْدبة غمام

(١) في الأصل: «قيام» والتصويب من النسخ. (٢) في الأصل: «نام».

إليك بها مهذبُ المعاني يُرينها ابتسام وانتظام  
لها لجناب مجدكم انتظام طواف وفي أركان إسلام  
نجزت وما كادت، وقد وطى الإيطاء صروحكم، وأعيا الإكثار حارثها  
وسروجها، والله وليُّ التَّجاوز بفضلِهِ.

### محمد بن أحمد بن الحدّاد الوادي أشي<sup>(١)</sup>

يكنى أبا عبد الله.

حاله: شاعر<sup>(٢)</sup> مُفَلِّق، وأديب شهير، مُشار إليه في التعاليم، منقطع القرن منها في الموسيقى، مضطلع بِقَكْ الْمُعَمَّى. سكن ألمرية، واشتهر بمدح رؤسائها من بني صُمَاح. وقال ابن بسّام: كان<sup>(٣)</sup> أبو عبد الله هذا شمسَ ظهيرة، وبَخَرَ خَبِرَ وسيرة، وديوان تعاليم مشهورة، وَضَحَ في طريق المعارف وَضُوح الصُّبْح المُتَهَلِّل، وَضَرَبَ فيها بقدح ابن مُقْبَل<sup>(٤)</sup>، إلى جلاله مُقَطَّع، وأصاله مَنَزَع، ترى العلمَ ينمُّ على أشعاره، وَيَتَبَيَّن في منازعه وآثاره.

تواليفه: ديوان<sup>(٥)</sup> شعر<sup>(٦)</sup> كبير معروف. وله في العَروض تصنيف<sup>(٧)</sup>، مزج فيه بين الأنحاء الموسيقية، والآراء الجليلة.

بعض أخباره: حَدَّث<sup>(٨)</sup> بعض المؤرخين ممَّا يدلّ على ظَرْفه أنه فقد سَكَنًا<sup>(٩)</sup> عزيزًا عليه، وأحوجت الحال<sup>(١٠)</sup> إلى تكلُّف سَلْوة، فلمَّا حضر الندماء، وكان قد رَصَد الخسوف بالقمر<sup>(١١)</sup>، فلمَّا حَقَّق أنه قد<sup>(١٢)</sup> ابتدأ، أخذ العود

(١) ترجمة ابن الحداد في مقدمة ديوان ابن الحداد الأندلسي، بقلمناء، وفيها ثبت بأسماء المصادر والمراجع التي ترجمت له.

(٢) النص في نفح الطيب (ج ٩ ص ٢٥٢).

(٣) النص في الذخيرة (ق ١ ص ٦٩١ - ٦٩٢) ومسالك الأبصار (ج ١١، الورقة ٤٠١).

(٤) هو أبو كعب تميم بن أبيّ بن مُقْبَل؛ شاعر خنديد، كان من أوصف العرب لِقْدَح، ولذلك يقال: قدح ابن مُقْبَل. توفي بعد ٣٧ هـ. الشعر والشعراء (ص ٣٦٦) وطبقات الشعراء (ص ٦١ والأعلام (ج ٢ ص ٨٧).

(٥) النص في نفح الطيب (ج ٩ ص ٢٥٢). (٦) في النفح: «شعره».

(٧) في النفح: «تصنيف مشهور مزج فيه من الألحان الموسيقية والآراء الخليلية».

(٨) النص في نفح الطيب (ج ٩ ص ٢٥٣).

(٩) السُّكُن: المرأة لأنها يُسْكَنُ إليها، والسكن. لسان العرب (سكن).

(١٠) في النفح: «الحاجة». (١١) في النفح: «القمر».

(١٢) كلمة «قد» ساقطة في النفح.



وغنى<sup>(١)</sup>: [المتقارب]

شقيقتك غيب في لَحْدِهِ      وتُشْرِقُ يا بَذْرُ مِنْ بَغْدِهِ  
فَهَلَّا خُسِفَتْ وَكَانَ الْخُسُوفُ<sup>(٢)</sup>      حَدَاذَا لَبَسْتَ عَلَى فَقْدِهِ؟

وجعل يردُّدها، ويخاطب البذر، فلم يتم ذلك إلا واعترضه الخسوف، وعظم من الحاضرين التعجب. قال<sup>(٣)</sup>: وكان مُني في صباه بصبية من الرُّوم، نصرانية، ذهبت بلبُّه وهواه، تسمى نُؤيرة، افتضح بها، وكثر نسيُّه.

شعره: قال في الغرض المذكور<sup>(٤)</sup>: [الطويل]

حَدِيثُكَ مَا أَخْلَى! فَرِيدِي وَحَدَّثِي      عَنِ الرَّشْلِ الْفَرْدِ الْجَمَالِ الْمُثَلِّثِ  
وَلَا تَسْأَمِي ذِكْرَاهُ فَالذِّكْرُ مُؤَنَسِي      وَإِنْ بَعَثَ الْأَشْوَاقَ مِنْ كُلِّ مَبْعَثِ  
وَبِاللَّهِ فَأَزْقِي خَبَلَ نَفْسِي بِقَوْلِهِ      وَفِي عَقْدٍ وَجْدِي بِالْإِعَادَةِ فَاثْقَلِي<sup>(٥)</sup>  
أَحَقًّا وَقَدْ صَرَّخْتُ مَا بَيَّ أَنَّهُ      تَبَسَّمَ كَاللَّاهِي، بِنَا، الْمُتَعَبِّثِ  
وَأَقَسَمَ بِالْإِنْجِيلِ إِنِّي شَابِقُ<sup>(٦)</sup>      وَنَاهِيكَ دَمْعِي مِنْ مُحِجِّ مُحَنَّتِ  
وَلَا بُدَّ مِنْ قَصِي عَلَى الْقَسْرِ قِصَّتِي      عَسَاهُ مُعَيْثُ الْمُذْنَفِ الْمُتَعَوِّثِ  
وَلَمْ<sup>(٧)</sup> يَأْتَهُمْ عَيْسَى بِدِينِ قِسَاوَةٍ      فَيَقْسُو عَلَى بَثِّي<sup>(٨)</sup> وَيَلْهُو بِمُكَرَّتِ  
وَقَلْبِي مِنْ حَلِي التَّجَلُّدِ عَاطِلٌ      هَوَى فِي غَزَالِ الْوَادِيَيْنِ الْمَرْعَثِ<sup>(٩)</sup>  
سَيُضْبِحُ سِرِّي كَالصَّبَاحِ<sup>(١٠)</sup> مُشْهَرًا      وَيُمْنِي حَدِيثِي غُرُضَةُ الْمُتَحَدِّثِ  
وَيَغْرَى بِذِكْرِي بَيْنَ كَأْسٍ وَرَوْضَةٍ      وَيَشْدُو<sup>(١١)</sup> بِشَعْرِي فَوْقَ مَثْنَى وَمِثْلِثِ

(١) البيتان في ديوان ابن الحداد الأندلسي (ص ٢٠٧).

(٢) رواية صدر البيت في الديوان هي: فَهَلَّا خَسَفَتْ وَكَانَ الْخُسُوفُ.

(٣) القول لابن بسام وهو في الذخيرة (ق ١ ص ٦٩٣) ولكن ببعض اختلاف عما هنا. كذلك ورد النص في مسالك الأَبصار، (ج ١١، الورقة ٤٠١).

(٤) القصيدة في ديوان ابن الحداد الأندلسي (ص ١٦٩ - ١٧٢).

(٥) في الأصل: «فَابْعَثْ» والتصويب من الديوان.

(٦) في الديوان: «لَمَاتْنُ». (٧) في الديوان: «فَلَمْ».

(٨) في الديوان: «مُضْنَى». (٩) في الديوان: «غَزَالِ ذِي يَغَارِ مُرْعَثِ».

(١٠) في الأصل: «كَالصَّبْحِ» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الديوان.

(١١) في الديوان: «وَيُنْشِدُ شِعْرِي بَيْنَ مَثْنَى...».

ومن شعره في الأمداح الصُمَادِيَّة<sup>(١)</sup>: [الطويل]

لعلَّكَ بالوادي المُقَدَّس شاطيءُ      وكالعنبر الهندي ما أنت واطيءُ<sup>(٢)</sup>  
 وإني في ربّك واجدٌ رِيحهم<sup>(٣)</sup>      فَرَوْحُ الجَوَى بين الجوانح ناشيءُ  
 ولي في السرى من نارهم ومَنارهم      هُدَاةٌ حُدَاةٌ والنجوم طوافيءُ  
 لذلك ما حَثَّ رِكايبِي<sup>(٤)</sup> وَحَمَمَتْ      عِرَابِي وأوحى سَيْرُهَا المتباطيءُ  
 فهل هاجها ما هاجني؟ أو لعلَّها      إلى الوَخذ من نيران وَجدي لواجيءُ  
 رُويدًا فذا وادي لُبَيْنِي وإنه      لَوِزْدُ لُبَانَاتِي وإني لَظَامِيءُ  
 ميادينُ تَهْيَامِي وَمَسْرَحُ ناظري      فللشوق غاياتُ لها<sup>(٥)</sup> ومبادئُ  
 ولا تَحْسِبُوا غِيْدًا حَمَتَهَا مَقَاصِرُ      فتلك قلوبُ ضَمَنَتَهَا جَآجِيءُ  
 ومنها:

محا مِلَّةَ السُّلُوَانِ مَبْعَثُ حُسْنِهِ      فكلُّ إلى دينِ الصَّبَابَةِ صابِيءُ  
 فكيف أَرْفِي كَلَمَ طَرْفِكَ في الحشا      وليس لتمزيق المُهَنَّدِ رافِيءُ؟  
 وما لي لا أَسْمُو مُرَادًا وَهَمَّةً      وقد كَرُمْتَ نَفْسَ وطابت ضَاضِيءُ؟  
 وما أَخَرْتَنِي عن تَنَاهِ مَبَادِيءُ      ولا قَصَّرْتَ بِي عن تَبَاهِ مَنَاشِيءُ  
 ولكنَّه الدَّهْرُ المُنَاقِضُ فِغْلُهُ      فذو الفضلِ مُنْحَطٌّ وذو النقصِ نامِيءُ  
 كأنَّ زَمَانِي إِذْ رَأَيْتُ جُذَيْلَهُ      يَلَابِسُنِي مِنْهُ<sup>(٦)</sup> عَدُوٌّ مُمَالِيءُ  
 فِدَاؤِيْتُ إِغْتَابًا وَدَارَأْتُ عَاتِبًا      ولم يُغْنِنِي أَنِي مُدَارٍ مُدَارِيءُ  
 فَأَلْقَيْتُ أَعْبَاءَ الزَّمَانِ وَأَهْلَهُ      فما أَنَا إِلَّا بِالْحَقَائِقِ عَابِيءُ  
 وَلَا زَمْتُ سَمْتَ الصُّمْتِ لَا عَنْ فِدَامَةٍ<sup>(٧)</sup>      فلي منطِقٌ لِلسَّمْعِ وَالْقَلْبِ صَابِيءُ<sup>(٨)</sup>  
 وَلَوْلَا عَلَا المَلِكِ ابْنِ مَعْنٍ مُحَمَّدٍ      لما بَرَحْتُ أَصْدَاقَهُنَّ اللَّالِيءُ  
 لَالِيءُ إِلَّا أَنَّ فِكْرِي غَائِصٌ      وَعِلْمِي ذُو مَاءٍ<sup>(٩)</sup> وَتُطْقِي شَاطِيءُ

(١) القصيدة في ديوان ابن الحداد الأندلسي (ص ١٤٠ - ١٤٩).

(٢) في الديوان: «فكالعنبر الهندي ما أنا واطيء».

(٣) في الأصل: «... واجد عزف ريحهم»، وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الديوان.

(٤) في الأصل: «ركايبي» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الديوان.

(٥) في الديوان: «به». (٦) في الديوان: «قلاني فلي منه».

(٧) في الأصل: «مذامة» والتصويب من الديوان. والفدامة: قلة الفهم والفطنة.

(٨) في الديوان: «ماليء». (٩) في الديوان: «دأماء».

تجاوزَ حَدَّ الوَهْمِ واللَّخِظِ والمُنَى  
فتنعكس الأبصار<sup>(١)</sup> وهي خَوَاسِرُ  
وأغشى الحِجَا لألأوه المتلاليء  
وتنقلب الأفكارُ وهي خَوَاسِىءُ  
وقال من أخرى<sup>(٢)</sup>: [الكامل]

أَقْبَلَنَ فِي الحَبَرَاتِ يَفْصِرَنَّ الحُطَا  
سِرْبُ الجَوَى لَا الجَوَّ عُوْدَ حُسْنُهُ  
مَالَتْ معَاطِفُهُنَّ مِنْ سُكْرِ الصَّبَا  
وَبِمَسْقَطِ العَلَمِينَ أَوْضَحَ مَغْلَمِ  
مَا أَخْجَلَ البَذَرِ المَنِيرِ إِذَا مَشَى  
وَمِنْهَا فِي المَدْحِ:  
وَيُرِينَ فِي<sup>(٣)</sup> حَلَلِ الوَرَاثِينَ<sup>(٤)</sup> القَطَا  
أَنْ يَزْتَعِي حَبَّ القُلُوبِ وَيَلْقَطَا  
مَيْلًا يُخِيفُ قُدُودَهَا أَنْ تَسْقُطَا  
لِمُهْفَهْفِ سَكَنِ الحَسَا<sup>(٥)</sup> والمَسْقُطَا  
يَخْتَالُ والخُوطُ النَضِيرِ إِذَا خَطَا

يَا وَافِدِي شَرْقِ البِلَادِ وَغَرْبِهَا  
وَرَأَيْتُمَا مَلِكَ البَرِيَّةِ فَاهِنَا  
يُذْمِي نُحُورَ الدَّارِعِينَ إِذَا ارْتَأَى  
وَأَحْسَانَهُ كَثِيرِ. دَخَلَ غِرْنَاةَ، وَمِنْ بَنَاتِ عَمَلِهَا وَطْنَهُ، رَحِمَهُ اللهُ.

### محمد بن إبراهيم بن خيرة<sup>(٦)</sup>

يكنى أبا القاسم. ويعرف بابن الموعائني<sup>(٧)</sup>، حرفة أبيه، من أهل قرطبة. واستدعاه السيد أبو سعيد الوالي بغرناطة إليه، فأقام عنده مدة من عامين في جملة من الفضلاء مثله.

حاله: قال ابن عبد الملك<sup>(٨)</sup>: كان كاتبًا بليغًا، شاعرًا مجيدًا، استكتبه أبو حفص بن عبد المؤمن، وحظي عنده حُظوة عظيمة، لصهر كان بينهما بوجه ما،

(١) في الديوان: «الأنصار وهي خواسِرُ وتنقلب الأبصار...».

(٢) القصيدة في ديوان ابن الحداد الأندلسي (ص ٢٣٢ - ٢٣٣).

(٣) كلمة «في» ساقطة في الإحاطة، وقد أضفناها من الديوان.

(٤) في الأصل: «الوارثين» والتصريب من الديوان. والوراثين: طيور تشبه الحمام، واحدها وَرْثَان. لسان العرب (ورش).

(٥) في الأصل: «الحسا» بالسين المهملة، والتصريب من الديوان.

(٦) ترجمة ابن الموعائني في التكملة (ج ٢ ص ٤٣) واسمه فيه: «محمد بن إبراهيم بن خير».

والذيل والتكملة (ج ٦ ص ٩١) والمغرب (ج ١ ص ٢٤٧) وتاريخ المن بالإمامة (ص ٣١١).

(٧) في التكملة: «يعرف بالموعائني». (٨) الذيل والتكملة (ج ٦ ص ٩١).

ونال<sup>(١)</sup> فيه جاهًا عظيمًا، وثروة واسعة. وكان حسن الخط رائقه، سلك فيه<sup>(٢)</sup> في ابتدائه مسلك المتقن أبي بكر بن خيرة<sup>(٣)</sup>.

مشيخته: روى<sup>(٤)</sup> عن أبي بكر بن عبد العزيز، وابن العربي، وأبي الحسن شريح، ويونس بن مغيث، وأبي عبد الله حفيد مكّي، وابن أبي الخصال، وابن بقي<sup>(٥)</sup>.

توآلفه: له<sup>(٦)</sup> تصانيف تاريخية وأدبية منها «ريحان الآداب»<sup>(٧)</sup>، و«ريحان الشباب» لا نظير له. و«الوشاح المفضل»<sup>(٨)</sup>. وكتاب في الأمثال السائرة. وكتاب في الأدب<sup>(٩)</sup> نحا فيه<sup>(١٠)</sup> منحى أبي عمر بن عبد البرّ في «بهجة المجالس». وفاته: توفي بمراكش سنة أربع وستين وخمسمائة<sup>(١١)</sup>.

### محمد بن إبراهيم بن علي بن باق الأموي<sup>(١٢)</sup>

مُزسي الأصل، غرناطي النشأة، مالقي الإسكان، يكنى أبا عبد الله.

حاله: من عائد الصلة<sup>(١٣)</sup>: كان، رحمه الله تعالى<sup>(١٤)</sup>، كاتبًا أديبًا ذكيًا، لودعيًا، يجيد الخط، ويرسل النادرة، ويقوم<sup>(١٥)</sup> على العمل، ويشارك في الفريضة. وبذّ السبّاق في الأدب الهزلي المستعمل بالأندلس. عمّر<sup>(١٦)</sup> زمانًا من عُمره، محارفًا للفاقة، يعالج بالأدب الكذبة، ثم استقام له المنيسم، وأمكنه البخت من امتطاء غاربه، فأنشبت الحظوة فيه أناملها بين كاتب وشاهد ومحاسب ومدير تجرّ، فأثرى ونما ماله، وعظمت حاله، وعهد<sup>(١٧)</sup> عندما شارف الرحيل بجملة تناهز الألف من العين، لتُصرف في وجوه من البرّ، فتوهم أنها كانت زكاة امتسك<sup>(١٨)</sup> بها.

(١) في الذيل والتكملة: «ونال باختصاص أبي حفص إياه جاهًا عريضًا وغزوة واسعة».

(٢) في المصدر نفسه: «به».

(٣) في المصدر نفسه: «خير».

(٤) في المصدر نفسه: «به».

(٥) في المصدر نفسه: «به».

(٦) في المصدر نفسه: «به».

(٧) في المصدر نفسه: «به».

(٨) في المصدر نفسه: «به».

(٩) في المصدر نفسه: «به».

(١٠) في المصدر نفسه: «به».

(١١) في المصدر نفسه: «به».

(١٢) في المصدر نفسه: «به».

(١٣) في المصدر نفسه: «به».

(١٤) في المصدر نفسه: «به».

(١٥) في المصدر نفسه: «به».

(١٦) في المصدر نفسه: «به».

(١٧) في المصدر نفسه: «به».

(١٨) في المصدر نفسه: «به».

وجرى ذكره في التاج بما نصه<sup>(١)</sup>: مدير أكواس<sup>(٢)</sup> البيان المعتق، ولعوب  
بأطراف الكلام المُشَقَّق، انتحل لأول أمره الهزل من أصنافه، فأبرز دُرَّ معانيه من  
أصدافه، وجنى ثمرة الإبداع لحين قطافه. ثم تجاوزه إلى المُعَرَّب<sup>(٣)</sup> وتخطاه،  
فأدار كأسه المُتَرَعَّ وعاطاه، فأصبح لِقْئِهِ<sup>(٤)</sup> جامعاً، وفي فلكيه شهاباً لامعاً، وله  
ذكاء يطير شَرَرُهُ، وإدراك تتبَلُّجُ غَرَزُهُ، وذهن يكشف الغوامض، ويسبق البارق  
الوايض<sup>(٥)</sup>، وعلى ذلاقة لسانه، وانفساح أمد إحسانه، فشديد الصبابة بشعره<sup>(٦)</sup>،  
مُغْلٍ لِسِغْرِهِ.

شعره: أخبرني الكاتب أبو عبد الله بن سلمة، أنه خاطبه بشعر أجابه عنه  
بقوله، في رَوِيهِ<sup>(٧)</sup>: [الخفيف]

أخَرَزَ الْخَضَلَ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ	كَاتَبَ تَخْدُمُ الطُّبَا قَلَمَهُ
يَحْمِلُ الطُّرْسُ عَنْ <sup>(٨)</sup> أَنْامِلِهِ	أَثَرَ الطُّرْسِ <sup>(٩)</sup> كَلَمًا رَقَمَهُ <sup>(١٠)</sup>
وَتَمَدُّ الْبَيَانُ فِكْرَتَهُ <sup>(١١)</sup>	مُرْسَلًا حَيْثُ يَمُمْتُ دِيَمَهُ
خَصَّنِي مُتَحَفًا بِخَمْسٍ إِذَا	بَسَمَ الرُّوضُ فُقْنٌ مُبْتَسِمَةً
قَلْتُ أَهْدَى زَهْرَ الرُّبَا خَضِيلاً	فَإِذَا كُلُّ زَهْرَةٍ كَلِمَةً
أَقْسَمَ الْحُسْنُ لَا يُفَارِقُهَا	فَأَبْرُ انْتِقَاوَهَا قَسَمَةً
خَطَّ أَسْطَارَهَا وَنَمَّقَهَا	فَأَتَتْ كَالْقَعُودِ مُنْتَظِمَةً
كَاسِيًا مِنْ حِلَاهِ لِي حُلَلًا	رَسَمُهَا مِنْ بَدِيعِ مَا رَسَمَهُ
طَالِبًا عِنْدَ عَاطِشٍ نَهَلًا	وَلَدِيهِ الْغُيُوثُ مُنْسَجِمَةً
يَبْتَغِي الشُّعْرَ مِنْ أَخِي بَلَهٍ	أَخْرَسَ الْعِيَّ وَالْقُصُورَ قَمَةً
أَيُّهَا الْفَاضِلُ الَّذِي حَمَدَتْ <sup>(١٢)</sup>	أَلْسُنُ الْمَدْحِ وَالثَّنَا شِيَمَةً
لَا تُكَلِّفُ أَخَاكَ مَقْتَرِحًا	نَشَرَ عَارٍ لَدِيهِ قَدْ كَتَمَهُ

(١) النص في نفح الطيب (ج ٨ ص ٤٠٠ - ٤٠١).

(٢) في النفح: «أكوس».

(٣) في النفح: «المغرب».

(٤) أي قُتِيَ النظم والنثر.

(٥) في الأصل: «الضئانة يشعره» والتصويب من النفح.

(٦) الأبيات في نفح الطيب (ج ٨ ص ٤٠١ - ٤٠٢).

(٧) في النفح: «من».

(٨) في الأصل: «رقه» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.

(٩) في الأصل: «ويعمد البيان بفكرته» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.

(١٠) في النفح: «حفظت».

وإِنِّقَ فِي عَزَّةٍ وَفِي دَعَّةٍ صَافِي<sup>(١)</sup> الْعَيْشِ وَارِدًا شَبِمَةً<sup>(٢)</sup>  
 مَا نُنَى الْغَصْنَ عِطْفُهُ طَرَبًا وَشَدَا الطَّيْرُ قَوْقُهُ<sup>(٣)</sup> نَعْمَةً  
 مَشِيخْتَهُ: قرأ<sup>(٤)</sup> على الأستاذ أبي جعفر بن<sup>(٥)</sup> الزُّبَيْر، والخطيب أبي عثمان بن  
 عيسى.

وفاته: توفي<sup>(٦)</sup> بمالقة في اليوم الثامن والعشرين لمحرّم<sup>(٧)</sup> عام اثنين وخمسين  
 وستمائة<sup>(٨)</sup>، وأوصى بعد أن خُفِرَ قبره بين شيخيه الخطيبين أبي عبد الله الطنجالي  
 وأبي عثمان بن عيسى، أن يدفن به<sup>(٩)</sup>، وأن يُكْتَبَ على قبره هذه الأبيات:  
 [الطويل]

تَرَحَّمْ عَلَى قَبْرِ ابْنِ بَاقٍ وَحَيِّهِ فَمَنْ حَقَّ مَنِيَتِ الْحَيِّ تَسْلِيمُ حَيِّهِ  
 وَقُلْ آمَنْ الرَّحْمَنُ رَوْعَةً خَائِفٍ لَتَفْرِيطِهِ فِي الْوَاجِبَاتِ وَغِيهِ  
 قَدْ اخْتَارَ هَذَا الْقَبْرَ فِي الْأَرْضِ رَاجِيًا مِنْ اللَّهِ تَخْفِيفًا بِقَرَبٍ<sup>(١٠)</sup> وَلِيهِ  
 فَقَدْ يَشْفَعُ الْجَارُ الْكَرِيمُ لَجَارِهِ وَيَشْمَلُ بِالْمَعْرُوفِ أَهْلَ نَدِيهِ  
 وَإِنِّي بِفَضْلِ اللَّهِ أَوْثَقُ وَاثِقٍ وَحَسْبِي وَإِنْ أَذْنَبْتُ حُبَّ نَبِيِّهِ

محمد بن إبراهيم بن سالم بن فضيلة المعافري<sup>(١١)</sup>

من أهل ألمرية، يدعى بالبيو<sup>(١٢)</sup>، ويكنى أبا عبد الله.

حاله: من الإكليل الزاهر: شيخ<sup>(١٣)</sup> أخلاقه ليّنة، ونفسه كما قيل هَيَّئَة، ينظم  
 الشعر سهلاً مَسَاقُهُ، مُحَكَّمًا أَتْسَاقُهُ، على فاقة ما لها من إفاقة. أنشد السلطان<sup>(١٤)</sup>

(١) في النفع: «صافي». (٢) الشَّيْمُ: البازد. لسان العرب (شيم).

(٣) في الأصل: «فوق» وهكذا يتكرر الوزن، والتصويب من النفع.

(٤) النص مع الشعر في نفع الطيب (ج ٨ ص ٤٠٢ - ٤٠٣).

(٥) كلمة «بن» ساقطة في الإحاطة، وقد أضفناها من النفع.

(٦) في النفع: «وتوفي». (٧) في النفع: «لمحرّم فاتح عام...».

(٨) في النفع: «وسبعماية».

(٩) كلمة «به» ساقطة في الإحاطة، وقد أضفناها من النفع.

(١٠) في النفع: «بِقَدَرٍ».

(١١) ترجمة ابن فضيلة المعافري في الدرر الكامنة (ج ٣ ص ٣٦٧) ونفع الطيب (ج ٨ ص ٤٠٣).

(١٢) في النفع: «المدعو بالتوء».

(١٣) النص مع بعض أبيات القصيدة في نفع الطيب (ج ٨ ص ٤٠٣ - ٤٠٤).

(١٤) في النفع: «أنشد المقام السلطاني».

بظاهر بلده قوله: [الطويل]

سَرَتْ رِيحٌ نَجِدٌ مِنْ رُبَى أَرْضِ بَابِلٍ      فَهَاجَتْ إِلَى مَسْرِى سُرَاهَا بِلَابِلِي<sup>(١)</sup>  
وَذَكَّرْنِي عَزْفُ النَّسِيمِ الَّذِي سَرَى      معاها أَحْبَابِ سُرَاةٍ أَفَاضِلِ  
فَأَصْبَحْتُ مَشْغُوفًا بِذِكْرِ مَنَازِلِ      أَلَفْتُ، فَوَا شَوْقِي لَتِلْكَ الْمَنَازِلِ  
فِيَا رِيحُ هُبِّي بِالْبَطَاحِ وَبِالرُّبَا      وَمُرِّي عَلَى أَغْصَانِ زَهْرِ الْخُمَائِلِ  
وَسِيرِي بِجِسْمِي لِلَّتِي الرُّوحُ عِنْدَهَا      فَرُوحِي لَدَيْهَا مِنْ أَجْلِ الْوَسَائِلِ  
وَقُولِي لَهَا عَنِّي مُعَنَّاءَ الْهَوَى<sup>(٢)</sup>      لَهُ شَوْقٌ مَعْمُودٌ وَعَبْرَةٌ تَاكِلِ<sup>(٣)</sup>  
فِيَا أَبَايَ هَيْفَاءَ كَالْغَصَنِ تَنْتَنِي<sup>(٤)</sup>      بَقْدٌ يَقْدُ<sup>(٥)</sup> كَادَ يَنْقُدُ مَائِلِ  
فَتَاةَ بَرَاهَا اللَّهُ مِنْ فِتْنَةٍ فَمَنْ      رَأَاهَا وَلَمْ يُفْتَنَ فَلَيْسَ بِعَاقِلِ  
لَهَا مَنَظَرٌ كَالشَّمْسِ فِي رَوْقِ الضُّحَا      وَلَخُظُّ كَحِيلٍ سَاحِرُ الطَّرْفِ بَابِلِي<sup>(٦)</sup>  
بَطِيبِ شَذَاهَا عَطَّرَتْ كُلَّ عَاطِرِ      كَمَا بِحُلَاهَا زَيَّنَتْ كُلَّ عَاطِلِ  
رَمَتْنِي بِسَهْمٍ مِنْ سَهَامِ جُفُونِهَا      فَصَادَفَ ذَاكَ السَّهْمُ مِنِّي مِقَاتِلِي<sup>(٧)</sup>  
فَظَلْتُ غَرِيقًا فِي بَحَارٍ مِنَ الْهَوَى      وَمَا الْحَبِّ إِلَّا لُجَّةٌ دُونَ سَاحِلِ  
فِيَا مَنْ سَبَتْ عَقْلِي وَأَفْنَتْ تَجَلُّدِي      صِلِينِي فَإِنَّ الْبُعْدَ لَا شَكَّ قَاتِلِي<sup>(٨)</sup>  
فَلِي كَبْدٌ شَوْقِي إِلَيْكَ تَفْطَرْتُ      وَقَلْبٌ بَنِيرَانِ الْجَوَى فِي مِشَاعِلِي<sup>(٩)</sup>  
وَلِي أَدَمْعٌ تَحْكِي نَدَا كَفَّ يَوْسُفَ      أَمِيرَ الْعَلَى الْأَرْضِي الْجَمِيلِ الْفَضَائِلِ  
إِذَا مَدَّ بِالْجُودِ الْأَنَامِلَ لَمْ تَزَلْ      بِحُورِ النَّدَى تَهْمِي بِتِلْكَ الْأَنَامِلِ

ومن شعره قوله من قصيدة<sup>(١٠)</sup>: [الكامل]

بَهَرَتْ كَشْمَسٍ فِي غَلَالَةِ عَسْجِدٍ      وَكَبَدَرِ تِمٍّ فِي قَضِيبِ زَبَرْجَدٍ  
ثُمَّ انْتَنَتْ كَالْغَصَنِ هَزَّتُهُ الصَّبَا      طَرِبًا فَتَزْرِي بِالْغَصُونِ الْمُيِّدِ

- (١) في الأصل: «بلابل» والتصويب من النفع. (٢) في النفع: «بالنوى».  
(٣) المعمود: اسم مفعول من قولهم: عمده الحب إذا أحزنه. والثاكل: الفاقد. والعبرة: الدمعة.  
لسان العرب (عمد) و(ثكل) و(عبر).  
(٤) في الأصل: «تنتنى» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفع.  
(٥) في النفع: «تقد بقد». (٦) في الأصل: «بابل».  
(٧) في الأصل: «مقاتل». (٨) في الأصل: «قاتل».  
(٩) في الأصل: «مشاعل».  
(١٠) الأبيات في نفع الطيب (ج ٨ ص ٤٠٣ - ٤٠٤).

حوراء بارعة الجمال غريرة<sup>(١)</sup> تزهى فتزري بالقضيب الأملد  
 إن أذبرت لم تُبق عقل مُدبّر أو أقبلت قتلث ولكن لا تدي<sup>(٢)</sup>  
 تواليفه: قال شيخنا أبو البركات: وإبتلي<sup>(٣)</sup> باختصار كُتب الناس، فمن ذلك  
 مختصره المسمى بـ«الدُرر المنظومة الموسومة، في اشتقاق حروف الهجا  
 المرسومة»<sup>(٤)</sup>، وكتاب في حكايات تسمى «روضة الجنان»<sup>(٥)</sup>، وغير ذلك.  
 وفاته: توفي في أواخر رمضان من عام تسعة وأربعين وسبعمائة، ودخل غرناطة  
 غير مرة.

### محمد بن إدريس بن علي بن إبراهيم بن القاسم

من أهل جزيرة شقر<sup>(٦)</sup>، يكنى أبا عبد الله، ويُعرف بابن مزج الكُخل<sup>(٧)</sup>.

حاله: كان شاعرًا مُفلقًا<sup>(٨)</sup> غزلًا، بارع التوليد، رقيق الغزل. وقال الأستاذ أبو  
 جعفر: كان<sup>(٩)</sup> شاعرًا مطبوعًا، حسن الكفاية، ذاكرًا للأدب، متصرفًا فيه. قال ابن  
 عبد الملك: وكانت بينه وبين طائفة من أدباء عصره مخاطبات، ظهرت فيها إجادته.  
 وكان مُبتذل اللباس، على هيئة أهل البادية، ويقال إنه كان أميًا.

- 
- (١) في الأصل: «غريدة» والتصويب من النفع.  
 (٢) في الأصل: «تد» والتصويب من النفع. وتدي: تدفع الدية. لسان العرب (ودي).  
 (٣) النص في نفع الطيب (ج ٨ ص ٤٠٤).  
 (٤) في النفع: «الدُرر الموسومة، في اشتقاق الحروف المرسومة».  
 (٥) في النفع: «وكتاب حكايات يسمى دوحة الجنان وراحة الجنان...».  
 (٦) شُقر، بالإسبانية Jucar: جزيرة بالأندلس، قريبة من شاطبة؛ كثيرة الأشجار والأنهار. الروض  
 المعطار (ص ٣٤٩).  
 (٧) ترجمة ابن مرج الكحل في المغرب (ج ٢ ص ٣٧٣) واسمه فيه: محمد بن الدمن، المعروف  
 بمرج الكحل. وزاد المسافر (ص ٢٧) والوافي بالوفيات (ج ٢ ص ١٨١) وأعمال الأعلام  
 (القسم الثاني ص ٢٧٨) في ترجمة محمد بن يوسف بن هود الجذامي، وبرنامج شيوخ  
 الرعيني (ص ٢٠٨) ورايات المبرزين (ص ٢٢٠) والمقتضب من كتاب تحفة القادم (ص  
 ١١٤، ١٥٢) والتكملة (ج ٢ ص ١٣٦) وجاء فيه أنه يعرف بمرج الكحل. والذيل  
 والتكملة (السفر السادس ص ١١٠) ونفع الطيب (ج ٧ ص ٤٧). والترجمة هنا مع الشعر  
 في نفع الطيب (ج ٧ ص ٤٧ - ٥١) ووفيات الأعيان (ج ٢ ص ٣٣١) في ترجمة سكية  
 بنت الحسين.  
 (٨) في التكملة «كان شاعرًا مغلقًا بديع التوليد والتجويد...».  
 (٩) في النفع: «شاعر مطبوع، حسن الكتابة ذاكر للأدب متصرف فيه».



مَنْ أَخَذَ عَنْهُ: روى عنه أبو جعفر بن عثمان الوراد، وأبو الربيع بن سالم، وأبو عبد الله بن الأبار، وابن عسكر، وابن أبي البقاء، وأبو محمد بن عبد الرحمن بن بزطة، وأبو الحسن الرعيني.

### شعره ودخوله غرناطة

قال في عُشِيَّةٍ بنهر الغنداق، خارج<sup>(١)</sup> بلدنا لَوْشَة بنت الحَضْرَة، والمحسوب مَنْ دخلها فقد دخل إلبيرة، وقد قيل: إن<sup>(٢)</sup> هذا النهر من أحواز بَرْجَة، وهذا الخلاف داع إلى ذكره<sup>(٣)</sup>: [الكامل]

عَرَجَ بِمُنْعَرَجِ الْكَثِيبِ الْأَغْفَرِ  
وَلْتَعْتَبِقْهَا<sup>(٤)</sup> قَهْوَةٌ ذَهَبِيَّةٌ  
وَعَشِيَّةٌ قَدْ<sup>(٥)</sup> كُنْتُ أَزُقُّبُ وَقْتَهَا  
نَلْنَا بِهَا آمَالَنَا<sup>(٦)</sup> فِي رَوْضَةٍ  
وَالدَّهْرُ مِنْ نَدَمٍ<sup>(٧)</sup> يُسْفُهُ رَأْيَهُ  
وَالْوُزُقُ تَشْدُو وَالْأَرَاكَةُ تَنْثَنِي  
وَالرَّوْضُ بَيْنَ مُفَضِّضٍ وَمَذْهَبٍ<sup>(٨)</sup>  
وَالنَّهْرُ مَرْقُومُ الْأَبَاطِحِ وَالرُّبَى<sup>(٩)</sup>  
وَكَأَنَّهُ وَكَأَنَّ خُضْرَةَ شَطِّهِ  
وَكَأَنَّمَا ذَاكَ الْحَبَابُ فِرْنَدُهُ  
وَكَأَنَّهُ، وَجِهَاتُهُ مَحْفُوفَةٌ

بَيْنَ الْفُرَاتِ وَبَيْنَ شَطِّ الْكَوْثَرِ  
مِنْ رَاخَتِي أَخْوَى الْمَرَاشِفِ<sup>(١٠)</sup> أَخْوَرِ  
سَمَحَتْ بِهَا الْأَيَّامُ بَعْدَ تَعَذُّرِ  
تُهْدِي لِنَاشِقِهَا<sup>(١١)</sup> شَمِيمَ الْعَنْبَرِ  
فِيمَا مَضَى مِنْهُ بِغَيْرِ تَكْدُرِ  
وَالشَّمْسُ تَرْفُلُ فِي قَمِيصِ أَضْفَرِ  
وَالزَّهْرُ بَيْنَ مُدْزَهَمٍ وَمُدْئَرِ  
بِمُصْنَدَلٍ مِنْ زَهْرِهِ وَمُعْضَفَرِ  
سَيْفٌ يُسَلُّ عَلَى بِسَاطٍ أَخْضَرِ  
مَهْمَا طَفَا فِي صَفْحَةٍ كَالْجَوْهَرِ  
بِالْأَسِّ وَالنُّعْمَانِ، خَدُّ مُعَذَّرِ

(١) في النفح: «من خارج».

(٢) في النفح: «الذكره». والشعر في الذيل والتكملة (السفر السادس ص ١١١ - ١١٢) ورايات المبرزين (ص ٢٢١) وأزهار الرياض (ج ٢ ص ٣١٥ - ٣١٦)، ونفح الطيب (ج ٧ ص ٤٦ - ٤٩) والمغرب (ج ٢ ص ٣٧٣ - ٣٧٤) والمقتضب من كتاب تحفة القادم (ص ١١٤ - ١١٥).

(٣) في النفح والمغرب والمقتضب والذيل والتكملة: «وَلْتَعْتَبِقْهَا».

(٤) في المغرب والمقتضب والذيل والتكملة: «المدامع».

(٥) في الذيل والنفح: «كم كنت».

(٦) في النفح: «فلنا بهذا ما لنا في...». وفي المغرب ورايات المبرزين: «في جنة أهدت...».

(٧) في الأصل: «لنا بشقها» وهكذا ينكسر الوزن. والتصويب من النفح. وفي المقتضب: «شَفَهَا نسيم العنبر».

(٨) في أزهار الرياض: «قَدَم».

(٩) في أزهار الرياض: «ومُعَسَّجِد».

(١٠) رواية صدر البيت في رايات المبرزين هي: والنهر فيها والنبات يحفه.

نَهَرَ يَهِيمُ بِحُسْنِهِ مَنْ لَمْ يَهَيْمَ      وَجُجِدَ فِيهِ الشَّعْرَ مَنْ لَمْ يَشْغُرِ  
ما اضْفَرَّ وَجْهَ الشَّمْسِ عِنْدَ غُرُوبِهَا      إِلَّا لَفُرْقَةٍ حُسْنِ ذَاكَ الْمَنْظَرِ  
ولا خفاء ببراعة هذا النظم<sup>(١)</sup>. وقال منها<sup>(٢)</sup>:

أَرَأَيْتَ جَفُونُكَ مِثْلَهُ مِنْ مَنَظَرٍ      ظِلٌّ وَشَمْسٌ مِثْلُ خَدِّ مُعَذَّرٍ<sup>(٣)</sup>  
وهذا تميم عجيب لم يُسبق إليه. ثم قال منها:

وَقَرَارَةٌ كَالْعَشْرِ بَيْنَ خَمِيلَةٍ      سَالَتْ مَذَانِبُهَا بِهَا كَالْأَسْطُرِ  
فَكَأَنَّهَا مَشْكُوكَةٌ بِمُصْنَدِلٍ      مِنْ يَانِعِ الْأَزْهَارِ أَوْ بِمُعَضْفَرٍ  
أَمَلٌ بَلَّغْنَاهُ بِهَضْبٍ حَدِيقَةٍ      قَدْ طَرَزَتْهُ يَدُ الْعَمَامِ الْمُظْطَرِ  
فَكَأَنَّهُ وَالزَّهْرُ تَاجٌ فَوْقَهُ      مَلَكٌ تَجَلَّى فِي بِسَاطٍ أَخْضَرَ  
رَاقٍ التَّوَاطَرُ مِنْهُ رَائِقٌ مَنَظَرٍ      يَصِفُ التَّنْصَارَةَ عَنْ جِنَانِ الْكُوْثَرِ  
كَمْ قَادَ خَاطِرَ خَاطِرٍ مُسْتَوْفِرٍ      وَكَمْ اسْتَفَرَّ جَمَالُهُ مِنْ مُبْصَرٍ  
لَوْ لَاحَ لِي فِيمَا تَقَدَّمَ<sup>(٤)</sup> لَمْ أَقْلُ      (عَرَّجَ بِمُنْعَرَجِ الْكُثِيبِ الْأَغْفَرِ)  
قال أبو الحسن الرُّعَيْنِي، وأنشدني لنفسه<sup>(٥)</sup>: [الكامل]

وَعَشِيَّةٌ كَانَتْ قَنِيصَةً فِثْيَةً      أَلْفُوا مِنَ الْأَدَبِ الصَّرِيحِ شِيوخَا  
فَكَأَنَّمَا الْعَنْقَاءُ قَدْ نَصَبُوا لَهَا      مِنَ الْإِنْحِنَاءِ إِلَى الْوُقُوعِ فُخُوخَا  
شَمَلَتْهُمْ آدَابُهُمْ فَتَجَادَبُوا      سَرَّ السُّرُورِ مُحَدَّثَا وَمُصِيخَا  
وَالْوُزُقُ تَقْرَأُ سِيرَةَ<sup>(٦)</sup> الطَّرِبِ الَّتِي      يُنْسِيكَ مِنْهَا نَاسِخًا<sup>(٧)</sup> مَنَسُوخَا  
وَالنَّهْرُ قَدْ صَفَحَتْ بِهِ نَارَنْجَةً      فَتَيَمَّمْتُ مَنْ كَانَ فِيهِ مُنِيخَا  
فَتَخَالَهُمْ حُلُلُ<sup>(٨)</sup> السَّمَاءِ كَوَاكِبَا      قَدْ قَارَنْتَ بِسَعُودِهَا الْمَرِيخَا  
خَرَقَ الْعَوَائِدَ فِي السُّرُورِ نَهَاؤُهُمْ      فَجَعَلْتُ أَبْيَاتِي لَهُمْ<sup>(٩)</sup> تَارِيخَا

(١) في النفع: «هذا الشعر». (٢) في الأصل: «أيضاً» والتصويب من النفع.  
(٣) المعذَّر: الذي نبت عذاره وهو شعر الخد. لسان العرب (عذر). وجاء في النفع بيت آخر لم يرد في الإحاطة وهو:

وجدوا لى كآراقم حصباوها      كبطونها وحبابها كالأظهر  
(٤) في النفع: «تقادم». (٥) الأبيات في نفع الطيب (ج ٧ ص ٤٩).  
(٦) في النفع والذيل: «سورة». (٧) في الذيل والنفع: «ناسخ».  
(٨) في الذيل والنفع: «حلل»، بالخاء المعجمة. (٩) في النفع والذيل والتكملة: «له».

ومن أبياته في البديهة<sup>(١)</sup>: [الوافر]

وعندي من مَراشِفها<sup>(٢)</sup> حديثٌ  
وفي أجفانها<sup>(٣)</sup> السُّكْرَى دليلٌ  
تعالى الله ما أجرى دموعي  
وأشجاني إذا لاحثُ بُروقٌ  
ومن قصيدة<sup>(٧)</sup>: [الطويل]

عذيري من الآمال خابثُ قُصودها  
وقالوا: دُكِرنا بالغنى، فأجَبْتُهُمْ  
يهوُن علينا أن يبيدَ أثائنا  
وما ضَرَّ أصلاً طَبِيباً عدمُ الغنى  
وله يشوق إلى أبي<sup>(٩)</sup> عمرو بن أبي غياث: [الوافر]

أبا<sup>(١٠)</sup> عمرو متى تُفْضى الليالي  
أبث نفسي هوَى إلا شريشاً  
بلقيائكم وهُنَّ قَصَصْنَ ريشي  
وما<sup>(١١)</sup> بَعْدَ الجَزيرة مِنْ شَرِيش  
وله من قصيدة<sup>(١٢)</sup>: [الكامل]

طَفَلَ المساء وللنسيم تَضَوُّعُ  
والزُّهْرُ يضحكُ من بكاءِ غمامةٍ  
والنَّهْرُ من طَرَبٍ يُصَفِّقُ مَوْجُهُ  
فانعم أبا عمران وأله بروضةٍ  
والأُنْسُ يَنْظِمُ<sup>(١٣)</sup> شَمْلَنَا وَيُجَمِّعُ  
ريعتُ لِشَيمِ سيوفٍ برقي تلمعُ  
والغصنُ يرقصُ والحمامةُ تَسْجَعُ  
حَسَنَ المصيفُ بها وطابَ المَرْبَعُ

(١) الأبيات في نفح الطيب (ج ٧ ص ٤٩) وأزهار الرياض (ج ٢ ص ٣١٦). وورد البيتان الأول والثاني في المغرب (ج ٢ ص ٣٧٤).

(٢) في المغرب: «معاطفها».

(٣) في المغرب: «الحاظها».

(٤) في المغرب: «ولا».

(٥) في أزهار الرياض: «عَرَضَتْ».

(٦) في أزهار الرياض: «إذا غَتَّى الحمام».

(٧) في الأصل: «الأثابت»، والتصويب من نفح الطيب.

(٨) في النفح (ج ٧ ص ٤٩) «إلى عمرو بن أبي غياث». والبيتان في المصدر المذكور.

(٩) في النفح: «أيا».

(١٠) في المصدر نفسه: «ويا».

(١١) في النفح: «يجمع».

(١٢) القصيدة في نفح الطيب (ج ٧ ص ٥٠).

(١٣) في النفح: «يجمع».

يا شادَنَ البانِ الذي دون النقا  
 حيث التقى وادي الحمى والأَجْرُعُ  
 الشمسُ يغربُ نورُها ولربما  
 كُسِفَتْ ونورُك كلَّ حين يَسْطَعُ  
 إن غابَ نورُ الشمسِ بَتنا<sup>(١)</sup> نتقي  
 بِسَنَّاكَ ليلَ تفرِّقِ يتطلَّعُ  
 أَفَلَتَ فَنابَ سَنَّاكَ عن إشراقها  
 وَجَلًّا من الظلماء ما يتوقَّعُ  
 فأمثتُ يا موسى الغروبَ ولم أَقلْ  
 «قَوِّدْثُ يا موسى لَو أَنَّكَ يوشعُ»<sup>(٢)</sup>  
 وقال<sup>(٣)</sup>: [الطويل]

ألا بَشَرُوا بالصبح مَنْ كان باكيًا  
 أَضُرَّ به الليلُ الطويلُ مع البكا  
 ففي الصبح للصبِّ المُتَيِّمِ راحةٌ  
 إذا الليل أجْرَى دَمْعَهُ وإذا شكا  
 ولا عَجَبَ أن يُمسك الصبحُ عَبرتي  
 فلم يزلِ الكافورُ للدم مُمَسِّكًا  
 ومن بديع مقطوعاته قوله<sup>(٤)</sup>: [الرمل]

مَثَلُ الرِّزْقِ الذي تَطْلُبُهُ  
 مَثَلُ الظِّلِّ الذي يمشي مَعَكَ  
 أنت لا تُذَرِكُهُ مُتَّبِعًا  
 فإذا وَلَّيْتَ عنه اتَّبَعَكَ<sup>(٥)</sup>  
 وقال<sup>(٦)</sup>: [الطويل]

دخلتم فأفسدتم قلوبًا بملُككم<sup>(٧)</sup>  
 فأنتم على ما جاء في سورة النمل<sup>(٨)</sup>  
 وبالعَدل<sup>(٩)</sup> والإحسان لم تَتَخَلَّقُوا  
 فأنتم على ما جاء في سورة النحل<sup>(١٠)</sup>

(١) في النفع: «لسنا».

(٢) عجز هذا البيت للرصافي البنسي، والبيت بتمامه هو:

سَقَطْتُ ولم تَمْلِكْ يَمِينُكَ رَدَّها قَوِّدْثُ يا موسى لَو أَنَّكَ يوشعُ  
 ديوان الرصافي البنسي (ص ١٠٥).

(٣) الأبيات في نفع الطيب (ج ٧ ص ٥٠).

(٤) الببتان في نفع الطيب (ج ٧ ص ٥٠) ووفيات الأعيان (ج ٢ ص ٣٣١) والتكملة (ج ٢ ص ١٣٦).

(٥) في النفع والوفيات: «تَبَعَكَ».

(٦) الببتان في نفع الطيب (ج ٧ ص ٥٠ - ٥١).

(٧) في النفع: «بملكها».

(٨) يشير هنا إلى قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا﴾ [النمل: ٣٤].

(٩) في النفع: «وبالجود».

(١٠) يشير هنا إلى ما جاء في سورة النحل ١٦، الآية ٧٦: ﴿أَيْنَمَا يُوْجِهَهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ».

وقال أبو بكر محمد بن محمد بن جهور: رأيت لابن مرج الكحل مَرَجًا أحمر  
قد أجهد نفسه في خدمته فلم يُتَجَب، فقلت<sup>(١)</sup>: [البسيط]

يا مَرَجٌ كُحِلَ وَمَنْ هَـذِي المَروِجِ له      ما كان أَخَوَجَ هَـذَا المَرَجِ لِلكَحَلِ  
يا حمرة<sup>(٢)</sup> الأَرْضِ مِنْ طَيِّبٍ وَمِنْ كَرَمٍ      فلا تَكُنْ طَمِعًا فِي رِزْقِهَا العَجَلِ  
فإنَّ مِنْ شَأْنِهَا إِخْلَافَ أَمَلِهَا      فما تُفَارِقُهَا كِيفِيَّةُ الخَجَلِ  
فقال مجيبًا بما نصّه<sup>(٣)</sup>: [البسيط]

يا قائلًا إذ رأى مَرَجِي وَحُمَرَتَهُ      ما كان أَخَوَجَ هَـذَا المَرَجِ لِلكَحَلِ  
هو احمرارُ دماءِ الرُّومِ سَيَّلَهَا      بالبَيْضِ مَنْ مَرٌّ مِنْ آبَائِي الأولِ  
أَخْبَنُهُ أَنْ حَكَى<sup>(٤)</sup> مَنْ قُتِنْتُ بِهِ      فِي حُمْرَةِ الخَدِّ أَوْ إِخْلَافِهِ أَمَلِي

وفاته: توفي ببلده يوم الاثنين لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول سنة<sup>(٥)</sup> أربع  
وثلاثين وستمائة، ودفن في اليوم بعده.

### محمد بن محمد بن أحمد الأنصاري

من أهل مرسية، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن الجنان<sup>(٦)</sup>.

حاله: كان<sup>(٧)</sup> محدثًا راوية، ضابطًا، كاتبًا بليغًا، شاعرًا بارعًا، رائق الخط، دينًا  
فاضلًا، خيرًا، زكيًا<sup>(٨)</sup>. اسْتُكْتَبَ بعض أمراء الأندلس، فكان يتبرم من ذلك، ويَقْلُقُ  
منه. ثم خلّصه الله تعالى<sup>(٩)</sup> منه. وكان من أعاجيب الزمان في إفراط القماءة<sup>(١٠)</sup>،  
حتى يَظُنُّ رائيه إذا<sup>(١١)</sup> استذبره أنه طفل ابن ثمانية أعوام أو نحوها، متناسب الخلقة،  
لطيف السمائل، وقورًا. خرج من بلده حين تمكّن العدو من بَيِّضَتِهِ<sup>(١٢)</sup> عام أربعين

(١) الأبيات في نفح الطيب (ج ٧ ص ٥١). (٢) في النفح: «ما حمرة».

(٣) قوله: «بما نصّه» ساقط من النفح (ج ٧ ص ٥١).

(٤) في الأصل: «أحبته إن من فتنت به» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.

(٥) في النفح: «عام أربعة...».

(٦) ترجمة ابن الجنان في عنوان الدراية (ص ٢١٣) ونفح الطيب (ج ١٠ ص ٢٥٩).

(٧) النص في نفح الطيب (ج ١٠ ص ٢٦٠ - ٢٦١).

(٨) في النفح: «ذكيًا».

(٩) كلمة «تعالى» ساقطة في الإحاطة، وأضفناها من النفح.

(١٠) القماءة: القصر. لسان العرب (قما). (١١) في النفح: «الذي».

(١٢) في النفح: «قبضته سنة ٦٤٠».

وستمائه، فاستقر بأوزيولة<sup>(١)</sup>، إلى أن استدعاه<sup>(٢)</sup> إلى سبّنة الرئيس بها<sup>(٣)</sup>، أبو علي بن خلاص<sup>(٤)</sup>، فوفد عليه، فأجل وفادته، وأجزل إفادته، وحظي عنده حُظوة تامة. ثم توجه إلى إفريقية، فاستقر ببجاية. وكانت بينه وبين كُتاب عصره مكاتبات ظهرت فيها براعته.

مشيخته: روى<sup>(٥)</sup> ببلده وغيرها<sup>(٦)</sup> عن أبي بكر عزيز بن خطاب، وأبي الحسن<sup>(٧)</sup> سهل بن مالك، وابن قَطْرال، وأبي الرّبيع بن سالم، وأبي عيسى بن أبي السّداد، وأبي علي الشّلوين، وغيرهم.

مَنْ روى عنه: روى عنه صهره أبو القاسم بن نبيل، وأبو الحسن محمد بن رَزِيق.

شعره: قال القاضي أبو عبد الله بن عبد الملك: وكان له في الرّهد، ومدح النبي ﷺ، بدائع، ونظم في المواعظ للمذكّرين كثيرًا. فمن ذلك قوله في توديع رمضان وليلة القدر: [الطويل]

مضى رمضان كأن <sup>(٨)</sup> بك قد مضى	وغاب سناه بعد ما كان أوْمُضَا
فيا عَهْدَه ما كان أكرم مَعْهَدا	ويا عَضْرَه أغرَز عليّ أن انْقَضَا
ألَمْ بنا كالطيف في الصيف زائرا	فخيّم فينا ساعة ثم قَوَّضَا
فيا ليت شعري إذ نوى غُرْبَة الثّوى	أبالسُّخْط عثا قد تولّى أم الرّضَا؟
قضى الحقّ فينا بالفضيلة جاهداً	فأي فتى فينا له الحق قد قضا؟
وكم من يد بيضاء أسدى لذي ثَقَى	بتّوْيته فيه الصّحائف بيّضَا
وكم حَسَنٍ قد زاده حُسْنًا وسَنًا	محاه وبالإحسان والحُسْن عَوْضَا
فللّه من شهرٍ كريم تعرّضت	مكارمه إلّا لمن كان أعرضَا

(١) في النفع: «بأريولة». وهي بالإسبانية Orihuela، من بلاد شرقي الأندلس، تقع على نهر شقوره. الروض المعطار (ص ٦٧).

(٢) في النفع: «دعاه».

(٣) كلمة «بها» ساقطة في النفع.

(٤) هو أبو علي الحسن بن خلاص البلنسي، تولّى سبّنة سنة ٦٣٧ هـ، ثم ثار فيها على عهد السعيد أبي الحسن علي بن إدريس بن المنصور الموحد سنة ٦٤١ هـ، وبإيع الأمير أبا زكريا الحفصي، صاحب تونس. توفي سنة ٦٤٦ هـ. البيان المغرب - قسم الموحدين (ص ٣٥٩ - ٣٦٠).

(٥) النص في نفع الطيب (ج ١٠ ص ٢٦١). (٦) في النفع: «وغيره».

(٧) في الأصل: «وأبي الحسن بن سهل...» والتصويب من النفع.

(٨) في الأصل: «وكان» وكذا ينكسر الوزن، لذا حذفنا حرف الواو.

نفى بينه وبين شَجْوَك<sup>(١)</sup> مَغْلَمًا  
وَقِفْ بِشُنِّيَّاتِ الوداع فإنها  
وإن قُضِيَتْ قبل التفرُّق وَفَقَّةً  
فيا حُسْنَهَا من لَيْلَةٍ جَلَّ قَدْرُهَا  
لعلَّ بقايا الشهر وهي كريمةٌ  
وقد كان أَضْفَى وَزَدَهُ كي يفيضه  
وقال أَطْلُبُوهَا تَسْعَدُوا بِطَلابِهَا  
جزى الله عنا أحمدًا للجزاء<sup>(٢)</sup>  
وصلَّى عليه من نبيِّ مباركٍ  
له عِزَّةٌ أعلى من الشمس منزلاً  
له الذِّكر يهمي فَضٌّ مِنْكَ ختامه  
عليه سلام الله ما انهلَّ ساكِبٌ

ومن ذلك قصيدة في الحج: [الطويل]

مَذَاكِرُهُ الذِّكْرَى تَهِيْجُ اللِّوَاعِجَا<sup>(٣)</sup>  
رِكَابًا سَرَتْ بَيْنَ الْعُذَيْبِ وَبَارِقِ  
تَيْمَّنْ مِنْ وادي الأراك منازلًا  
لَهْزَ مِنْ الْأَشْوَاقِ حَادٍ فَإِنْ وَتَتْ  
أَلَا بِأَيْبِي تِلْكَ الرِّكَابِ إِذَا سَرَتْ  
فَعَالَجَنَ أَشْجَانًا يُكَاثِرْنَ عَالِجَا<sup>(٤)</sup>  
نَوَافِيجَ<sup>(٥)</sup> فِي تِلْكَ الشُّعَابِ نَوَاعِجَا<sup>(٦)</sup>  
يُطَرِّبُنَهَا فِي الْأَرَاكِ سَجَاسِجَا<sup>(٧)</sup>  
حُدَاهُ يُرْجِعُنَ الْحَنِينَ أَهَازِجَا  
هَوَادِي يَمْلَأَنَّ الْفَلَائِدَ هَوَادِجَا

(١) في الأصل: «شجونك» وكذا ينكسر الوزن.

(٢) في الأصل: «أحمد الجزا» وكذا ينكسر الوزن.

(٣) في الأصل: «تذاكر الذكر وتهيج اللواعجا» وكذا ينكسر الوزن.

(٤) عالج: رمال بالبادية، سمي بذلك تشبيهاً له بالبعير العالج وهو الذي يأكل العَلْجَان. معجم البلدان (ج ٤ ص ٦٩).

(٥) في الأصل: «نوافيج».

(٦) الرُّكَاب: الإبل، واحدها راحلة. الشُّعَاب: جمع شُعْب وهو الطريق في الجبل. النَوَاعِج: جمع ناعجة وهي الناقة البيضاء والسريعة والتي يُصَاد عليها. محيط المحيط (ركب) و(شعب) و(نعج). والعُذَيْب: ماء بين القادسية والمغيشة. معجم البلدان (ج ٤ ص ٩٢). وبارق: ماء بالعراق وهو الحد بين القادسية والبصرة. معجم البلدان (ج ١ ص ٣١٩).

(٧) في الأصل: «يطربنها إلا في الأراك سجاسجا» وكذا ينكسر الوزن. والأراك: شجر يُسْتَاك به وترعاه الإبل.

بَراهم سَوامح أو سُراهم فأصبحوا  
لهم في مَنى أَسنى المَنا ولدى الصَفا  
سما بهم طَوفَ ببيتِ طامح  
فأبدوا من اللُوعات ما كان كامنا  
ولمّا دنوا نودوا هُنَيّا وأقبلوا  
وقَضُوا بتقبيل الجدار ولثمه  
إذا اعتنقوا تلك المعالم خِلَتْهُم  
فلله ركبٌ يَمُموا نحو مكة  
أناخوا بأرجاء الرّجاء وعرّسوا  
فبشرى<sup>(٣)</sup> لهم كم خُولوا من كرامة  
بفتحهم بابَ القبول وللرّضا<sup>(٤)</sup>  
تميّزَ أهلُ السَّبَق لكَزَّ غيرهم  
أيلحق جِلْسُ<sup>(٥)</sup> للبيوت مَداهم  
ألا ليت شعري للضرورة هل أرى  
له الله من ذي كُزبة ليس يُزْتَجى  
قد أَسْهَمَتْ شَتى المسالك دونه  
يخوض بحار الذَّنْب ليس يَهَابُها  
جبانٌ إذا عَنّ الهُدَى وإذا الهوى  
يتيه ضلالا في غِيابة هُمّه  
فواخربا لاح الصبح لمُبْضِرٍ  
لعلَّ شَفِيعي أن يكون معاجلا  
فِيُنْشِقْنِي بيتُ الإله نوافحا

رسوماً على تلك الرسوم عَوالجا  
يُرْجُونَ من أهل الصِّفاء<sup>(١)</sup> المناهجا  
أراهم قباباً للعلَى ومعارجا  
وأذروا دموعاً بل قلوباً مناضجا  
إلى الرُّكن من كل الفجاج أدارجا  
حقوقاً تُقَضِّي للنفوس حوائجا  
أساور في إيمانها وجهالجا  
لقد كَرُموا قَضداً وحلّوا مناسجا  
فأصبح كلُّ مايز<sup>(٢)</sup> القِدْح فالجا  
فكانت لِمَا قَدَّموه نتائجا  
ووفدُهُم أضحى على الباب والجا  
غدا هَمَجاً بين الخليقة هامجا  
ولم يَلْه<sup>(٦)</sup> في تلك المدارج دارجا؟  
إلى الله والبيت المحجَّب خارجا؟  
لِمُرْتَجِّها<sup>(٧)</sup> يوماً سوى الله فارجا  
فلا نَهَج يَلْقَى فيه لله ناهجا  
ويُضَعِّق دُعْراً إن يرى البحر هائجا  
يَعْنُ له كان الجريء المُهارجا  
فلا حَجَرَ تهديه لرُشدٍ ولا حِججا  
وقلبي لم يُبْصِر سوى الليل إذ سجا  
لداء ذنوب بالشِّفاء مُعالجا  
ويُعبق لي قَبْرُ النَّبِيِّ نوافجا

(١) في الأصل: «الصفاء» وكذا ينكسر الوزن.

(٢) في الأصل: «ما بَزَّ» وكذا يختل الوزن والمعنى معاً.

(٣) في الأصل: «فبشروا» وكذا ينكسر الوزن.

(٤) في الأصل: «بفتح بابٍ للقبول وللرضا» وكذا ينكسر الوزن.

(٥) الجِلْس: المجلس. محيط المحيط (جلس).

(٦) في الأصل: «ولم يَلْعَبْ» وكذا ينكسر الوزن ولا يستقيم المعنى.

(٧) في الأصل: «المرتجّها» وكذا ينكسر الوزن ولا يستقيم المعنى.



فما لي لإمالي<sup>(١)</sup> سوى حُبِّ أحمد      وَصَلْتُ له من قُرْبِ قلبي وشائجا  
عليه سلام الله من ذي صَبَابَةٍ      حَلِيفَ شَجَا يَكْتَى من البعد ناشجا  
ولو أَنْصَفْتُ أَجْفَاءَهُ حَقًّا وَجِدِهِ      سَفَكْتُ دَمًا للدموع موازجا

كتابته: وكتابته شهيرة، تُضرب بذكره فيها الأمثال، وتطوى عليه الخناصر. قالوا: لما عقد أمير المسلمين أبو عبد الله محمد بن يوسف بن هود النِّبِعة لابنه الواصل بالإمارة من بعده، تولى إنشاءها، وجعل الحاء المهملة سَجْعًا مُزْدَقًا إياها بالألف، نحو «صَبَاخًا» و«صَلَاخًا»، وما أشبه ذلك، طال مجموعها فناهزت الأربعين، وطاب مَسْمَعُهَا، فأحرزت بُغْيَةَ المُسْتَمْعِينَ، فكتب إليه أبو المُطَرِّف ابن عَمِيرَةَ، رسالته الشهيرة، يداعبه في ذلك، وهي التي أولها:

«تحبيك الأقلام تحية كِسْرَى، وتقف دون مداك حَسْرَى». ومنها في الغرض: «وما لك أمنت تغير الحالات، فشئت غارتك على الحاءات، ونَقَضْتَ عنها المهارق، وبعثت في طلبها السوابق، ولَقِظْتَهَا من الأفواه، وطلبتَها بين الشِّفاه، حتى شهد أهل اللسان بتزحزحها عن ذلك المكان، وتَوَارَتْ بالحُلُوق، ولو تَغَلَّغْتَ إلى العُرُوق، لآثَرَتْها جِيادُك، واقتنصها قلمُك ومِدادُك». وهي طويلة.

فراجع بقوله: «ما<sup>(٢)</sup> هذه التحية الكِسْرَوِيَّة؟ وما هذا الرأي وما<sup>(٣)</sup> هذه الروية؟ أتتَكَيَّت من الأقلام؟ أم<sup>(٤)</sup> تَبَكَّيت من الأعلام؟ أم<sup>(٥)</sup> كلا الأمرين تَوَجَّه القصدُ إليه، وهو الحق مُصَدِّقًا لما بين يديه؟ وإلا فعهدي بالقلم يتسامى عن عكسه<sup>(٦)</sup>، ويترامى إلى الغاية البعيدة بنفسه، فمتى لآث أنابيه للعاجم، ودانت أعاربه<sup>(٧)</sup> بدين الأعاجم؟ وا عَجَبًا لقد اسْتَنَوَقَ الْجَمَلُ<sup>(٨)</sup>، واختلف القول والعمل، لأمرٍ ما جَدَعَ أَنْفَهُ قَصِيرُ<sup>(٩)</sup>، وارتدَّ على عَقِبِهِ الأعمى أبو بصير. أَمْسِ اسْتَسْقِي مِنْ سَحَابِهِ فلا يسقيني، وأَسْتَشْفِي بِأَسْمَائِهِ فلا يشفيني. واليوم يحلني محلُّ أنو شروان، ويشكو مني شكوى اليزيدية<sup>(٩)</sup>

(١) في الأصل: «لإمالي» وكذا ينكسر الوزن. والائلة: الأمل. محيط المحيط (أمل).

(٢) النص في نفع الطيب (ج ١٠ ص ٢٦١ - ٢٦٧).

(٣) في النفع: «وهذه».

(٤) في النفع: «أو».

(٥) عكس القلم هو: المَلَقُ.

(٦) في النفع: «أعاربه للأعاجم».

(٧) أخذه من المثل: «قد استنوق الجمال» أي صار ناقه، يضرب هذا المثل في التخليط، والمراد:

تغيَّرت الطباع. مجمع الأمثال (ج ٢ ص ٩٣) ومحيط المحيط (نوق).

(٨) هو مثل آخر، قيل في قصة احتيال قصير بن سعد القضاعي على الزبَاء ملكة تدمر حتى أخذ

منها بالثأر. محيط المحيط (زبأ).

(٩) في النفع: «اليزيدية».

من بني مروان، ويزعم أنني أبطلتُ سحره<sup>(١)</sup> كما أبطل سحرُ بردوران، ويخفي في نفسه ما الله مُبديهِ<sup>(٢)</sup>، ويستجدي بالأثر ما عند مُسْتَجْدِيهِ. فمن أين جاءت هذه الطريقة المُتَّبعة، والطُريقة<sup>(٣)</sup> المُبْتَدِعة، أَيْظَنَ أَنْ مُعَمَّاهُ لَا يُفَكُّ<sup>(٤)</sup>، وأنه لَا يتجلى<sup>(٥)</sup> هذا الشُّك؟ هل هذا<sup>(٦)</sup> منه إِلَّا إِمَحَاضُ التَّيِّه، وإِحْمَاضُ تَفْتِيهِ، وَنَشْوَءٌ مِنْ خُمْرَةٍ<sup>(٧)</sup> الهُزْلِ، وَنَخْوَةٌ مِنْ ذِي وَلايَةِ آمِنِ الْعَزْلِ؟ تَالله لَوْلَا مُحَلُّهُ مِنَ الْقَسَمِ، وَفَضْلُهُ فِي تَعْلِيمِ النَّسَمِ، لِأَسْمَعْتَهُ<sup>(٨)</sup> مَا يَنْقَطِعُ بِهِ صَلْفُهُ، وَأَوْدَعْتَهُ مَا يَنْصَدِعُ بِهِ صَدْفُهُ، وَأَشْدَّتْ<sup>(٩)</sup> بِشَرَفِ الْمَشْرِقِي وَمَجْدِهِ<sup>(١٠)</sup>، وَأَشْرَتْ إِلَى تَعَالِيهِ عَنِ اللَّعْبِ بِجَدِّهِ. وَلَكِنْ هُوَ الْقَلَمُ الْأَوَّلُ، فَقَوْلُهُ عَلَى أَحْسَنِ الْوَجْهِ يُتَأَوَّلُ، وَمَعْدُودٌ فِي تَهْذِيهِ، كُلُّ مَا لِسَانُهُ يَهْذِي بِهِ. وَمَا أَنْسَانِيهِ<sup>(١١)</sup>، إِلَّا الشَّيْطَانُ أَيَادِيهِ، أَنْ أَذْكَرَهَا<sup>(١٢)</sup>، وَأَنَا أَقُولُ: [البسيط]

لَيْتَ التَّحِيَّةَ كَانَتْ لِي فَأَشْكُرَهَا<sup>(١٣)</sup>

وَلَا عَثَبٌ إِلَّا عَلَى الْحَاءِ<sup>(١٤)</sup>، الْمُبَرَّحَةُ بِالْبُرْحَاءِ، فَهِيَ الَّتِي قَيِّمَتْ<sup>(١٥)</sup> قِيَامَتِي فِي الْأَنْدِيَةِ، وَقَامَتْ عَلَيَّ قِيَامُ الْمُعْتَدِيَةِ<sup>(١٦)</sup>، يَتَظَلَّمُ وَهُوَ عَيْنُ الظَّالِمِ، وَيُلِينُ الْقَوْلَ وَتَحْتَهُ سُمُّ الْأَرَاقِمِ<sup>(١٧)</sup>، وَلَعَمْرُ الْبِرَاعَةِ وَمَا نَصَعَتْ<sup>(١٨)</sup>، وَالْبِرَاعَةُ وَمَا صَنَعَتْ، مَا خَامَرَنِي هَوَاهَا<sup>(١٩)</sup>، وَلَا كَلِفْتُ بِهَا دُونَ سِوَاهَا. وَلَقَدْ عَرَضْتُ نَفْسَهَا عَلَيَّ مَرَارًا، فَأَعْرَضْتُ عَنْهَا أَزْوَارًا، وَدَفَعْتُهَا عَنِّي بِكُلِّ وَجْهِ، تَارَةً بِلُطْفٍ وَأُخْرَى بِنَجْهِ<sup>(٢٠)</sup>،

(١) في النفح: «سحره يبتر دزوان».

(٢) أخذه من قوله تعالى: «وَتَخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ» [الأحزاب: ٣٧].

(٣) في النفح: «والشريعة».

(٤) في النفح: «لا ينفك».

(٥) في النفح: «لا ينجلي».

(٦) في النفح: «ذلك».

(٧) في النفح: «خمر».

(٨) في النفح: «وأشرت».

(٩) في النفح: «وما أنساني».

(١٠) أخذه من قوله تعالى: «وَمَا أَنْسَيْنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ» [الكهف: ٦٣].

(١١) هو صدر بيت لكثير عزة، والبيت بتمامه هو: [البسيط]

لَيْتَ التَّحِيَّةَ كَانَتْ لِي فَأَشْكُرَهَا مَكَانَ يَا جَمَلٌ حُيِّيتَ يَا رَجُلُ

الأغاني (ج ٩ ص ٤٣) والشعر والشعراء (ص ٤١٨).

(١٢) قد تكون قصيدة حائية، أو رسالة بُنيت على تكرير حرف الحاء في كل كلمة.

(١٣) في النفح: «أقامت».

(١٤) في النفح: «ولعمر البراعة وما رضعت».

(١٥) في النفح: «المتعدية».

(١٦) في النفح: «ولعمر البراعة وما رضعت».

(١٧) في النفح: «الرد القبيح».

(١٨) في النفح: «الرد القبيح».

(١٩) في النفح: «الرد القبيح».

(٢٠) في النفح: «الرد القبيح».

وخفت منها السامة، وقلت انكحي أسامة. فرضيت منها<sup>(١)</sup> بأبي جهم<sup>(٢)</sup> وسوء سلكته<sup>(٣)</sup>، وابن أبي سفيان وصغلكته، وكانت أسرع من أم خارجة للخطبة، وأسمح من سجاح<sup>(٤)</sup> في استنجاح تلك الخطبة. ولقد كنت أخاف من انتقال الطباع في عثرتها<sup>(٥)</sup>، واستثقال الاجتماع من عثرتها<sup>(٦)</sup>، وأرى من الغبن والشفا، أخذها وترك بنات الأفواه والشفا<sup>(٧)</sup>، إذ هي أيسر مؤونة، وأكثر<sup>(٨)</sup> معونة، فغلطي<sup>(٩)</sup> فيها أن كانت بمنزل تتوارى صونًا عن الشمس، ومن نسوة خفرات لا ينطقن إلا بالهمس، ووجدتها أطوع من البنات للكف، والعنان للوكف<sup>(١٠)</sup>، والمعنى للاسم، والمغنى للرسم، والظل للشخص، والمستبدل<sup>(١١)</sup> للنص. فما عرفت منها إلا خيرًا<sup>(١٢)</sup> أرضاه، حتى حسبتها من الحافظات للغيب بما حفظ الله، فعجبت لها الآن كيف زلت نعلها، ونشزت فنشرت ما استكتها بغلها، واضطربت في رأيها اضطراب المختار بن<sup>(١٣)</sup> أبي عبيد، وضربت في الأرض تسعى علي بكل مكر وكيد، وزعمت أن حرف<sup>(١٤)</sup> الجيم خدعها، والآن<sup>(١٥)</sup> أخذعها، وأخبرها أن سيبلغ بخبرها الخابور<sup>(١٦)</sup>، وأحضرها لصاحبها كما أحضر بين يدي قيصر سابور<sup>(١٧)</sup>، فقد جاءت إفكًا وزورًا، وكثرت من أمرها شزورًا<sup>(١٨)</sup>، وكانت كالقوس أرزئت وقد أضمت القنيص، والمراودة قالت ﴿مَا جَزَاءُ﴾<sup>(١٩)</sup> وهي التي قدت

(١) في النفح: «مني».

(٢) يشير هنا إلى قصة فاطمة بنت قيس، أخت الضحاك، حين خطبها معاوية بن أبي سفيان وأبو جهم، فتزوجت أسامة بن زيد؛ لأن معاوية وصف بأنه صعلوك لا مال له، وأبو جهم كان لا يضع عصاه عن عاتقه، أي أنه كان يضرب النساء.

(٣) في النفح: «ملكته».

(٤) في النفح: «وأسمح من سجاح». وأخبار سجاح مع مسيلمة الكذاب معروفة، وقد ضرب بها المثل في الإسماع.

(٥) في النفح: «عثرتها».

(٦) في النفح: «عثرتها».

(٧) بنات الأفواه والشفا: الحروف مثل الباء والميم وغيرهما.

(٨) في النفح: «وأكبر».

(٩) في النفح: «فغلطني».

(١٠) في النفح: «للكف».

(١١) في النفح: «والمستدل».

(١٢) في النفح: «خيرًا أرضاه، وحسبتها».

(١٣) كلمة «بن» ساقطة من الإحاطة. وهو المختار بن أبي عبيد الثقفي، الذي ثار عام ٦٥ هـ، مطالبًا بدم الحسين بن علي، عليهما الصلاة والسلام.

(١٤) في النفح: «أن الجيم».

(١٥) في الأصل: «والآن» والتصويب من النفح.

(١٦) الخابور: من روافد نهر الفرات؛ يريد أن يقول: إنه سيبلغ خبرها إلى مكان ناء.

(١٧) هو سابور ذو الأكتاف، يقال إنه تنكر ودخل بلاد الروم فوقع في يدي قيصر.

(١٨) في النفح: «منزورًا».

(١٩) سورة يوسف ١٢: الآية ٢٥.

القميص<sup>(١)</sup>، وربما يُظنُّ بها الصدق، وظنُّ الغيب ترْجيم، ويقال: لقد خُفِضَتِ الحاء بالمجاورة لهذا الأمر الجسيم<sup>(٢)</sup>، وتنتصر لها أختها<sup>(٣)</sup> التي خيَّمت بين النرجسة والرَّيحانة، وختمت السورة باسم جعلت ثانيه أكرم نبيِّ على الله سبحانه، فإن امتعَّضَتْ لهذه المتظلمة<sup>(٤)</sup>، تلك التي سبقت بكلمتها بشارة المتكلمة<sup>(٥)</sup>، فأنا ألوذ بعدلها، وأعوذ بفضلها، وأسألها أن تقضي قضاء مثلها، وتعمل بمقتضى: ﴿فَابْتَغُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا﴾<sup>(٦)</sup> على أنَّ هذه التي قد أُبْدَتْ مَينها<sup>(٧)</sup>، ونسيت الفضل بيني وبينها، أن قال الحكَّمان: منها كان النشوز، عادت حرورية<sup>(٨)</sup> العجوز، وقالت: التَّحْكُمُ<sup>(٩)</sup> في دين الله لا يجوز، فعند ذلك يُحْضِصُ<sup>(١٠)</sup> الحقَّ، ويعلم من الأولى بالحُكم والأحقَّ، ويصيبها ما أصاب أروى، من دعوة سعيدة<sup>(١١)</sup> حين الدَّعوى، ويا وَيَحِها أن<sup>(١٢)</sup> أرادت أن تجني عليَّ فجنت لي، وأناخْتُ لي مَرْكَبَ السَّعادة وما ابْتَعَثَ إِلَّا خَثْلِي، فأتى شرُّها بالخير، وجاء الثَّفْعُ من طريق ذلك الضَّير. أتراها علمت بما يشيِّره اعوجاجُها، وينجلي عنه عَجَاجُها؟ فقد أفادت عظيم الفوائد، ونظَّيم الفرائد، ونَفَسَ الفُخْر، ونَفِيسَ الذُّخْر<sup>(١٣)</sup>، وهي لا تنكر<sup>(١٤)</sup> أن كانت من الأسباب، ولا تذكر إلا يوم المُلَاحاة والسَّبَاب. وإنما يستوجب الشكر جسيماً، والثناء الذي يتضوُّع نسيماً، الذي شَرَّفَ إذ أهدى أشرف السَّحَاءات، وعَرَّفَ بما كان من انتحاء تلك الحاء المذمومة في الحاءات، فإنه وإن أَلَمَّ بالفكاهة، فما أُمْلَى<sup>(١٥)</sup> من البداهة، وسَمَّى باسم السابق السُّكَيْت، وكان من أمر مداعبته كَيْت وكَيْت، وتلاعب بالصفات<sup>(١٦)</sup>، تلاعب السَّيْل بالصفة، والضُّبَا بالبانة، والضُّبَا بالعاشق ذي اللُّبانة، فقد أغْرَبَ بفنونه، وأغرى

(١) إشارة إلى قصة امرأة العزيز في قوله تعالى: ﴿وَوَدَّعْتُهُ أَلْتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ﴾ [يوسف: ٢٣]. وعندما انفضح أمرها قالت: ﴿مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسَاجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ الآية.

(٢) في النفع: «لهذا الجسيم».

(٣) في النفع: «الكلمة».

(٤) في النفع: «الكلمة».

(٥) سورة النساء ٤، الآية ٣٥.

(٦) حرورية: أي ترفض التحكيم وتقول: لا حكم إلا لله.

(٧) في النفع: «التحكيم».

(٨) يُحْضِصُ الحقَّ: يظهر ويبين. لسان العرب (حصحص).

(٩) في النفع: «سعيدة».

(١٠) في النفع: «الدر».

(١١) في النفع: «بما أُمْلَى».

(١٢) في النفع: «في الصفات تلاعب الصفاح والضُّبَا بالبانة».

(٣) كلمة «أختها» ساقطة في النفع.

(٥) في النفع: «الكلمة».

(٧) المَين: الكذب. لسان العرب (مين).

(٩) كلمة «أن» ساقطة في النفع.

(١٤) في النفع: «لا تشكر».

القلوب بثُتُونه، ونفث بَجَفَنه<sup>(١)</sup> الأطراف، وَعَبَث من الكلام المُسَقِّق الأطراف<sup>(٢)</sup>، وعلم كيف يُلَخِّص<sup>(٣)</sup> البيان، وَيُخْلَص العَفِيان. فمن الحق أن أشكره على أيديه البيض، وأن آخذ لفظه<sup>(٤)</sup> من معناه في طَرَف النقيض. تالله أيها الإمام الأكبر، والغمام المُسْتَمَطَر، والخبر<sup>(٥)</sup> الذي يُشْفِي سائله، والبحر الذي لا يُرى ساحله، ما أنا المراد بهذا المسلك، ومن أين حَصَلَ<sup>(٦)</sup> النور لهذا الحَلَك؟ وصحَّ أن يُقاس بين الحداد والملك؟ إنه لتواضع الأعزَّة، وما يكون للأكارم<sup>(٧)</sup> عند المكارم من العزَّة، وتحريض الشيخ للتلميذ، في<sup>(٨)</sup> إجازة الوضوء بالتَّيِيد. ولو حضر الذي قُضِيَ له بجانب الغربي أمرُ البلاغة، وارتضى ما له في هذه الصناعة، من حُسْن السَّبِك لِحِلَّتِها<sup>(٩)</sup> والصَّياغة، وأطاعته فيما أطلعت طاعة القوافي الحسان، وأتبعته فيما جمعته لكن بغير إحسان، لأذعن كما أذعنت، وظَعَن عن محلِّ دعوى<sup>(١٠)</sup> الإجازة كما ظَعَنْتُ، وأتى يَضَاهِي الفُرات المَعِين<sup>(١١)</sup> بالثُّغْبَة<sup>(١٢)</sup>، ويُبَاهِي بالفُلوس مَنْ أوتي من الكنوز ما أنَّ مفاتحه لتنوء بالعُصْبَة، وأي حَظٌّ للكلالة في النَّشَب<sup>(١٣)</sup>، وقد اتصل للورثة عمود النَّسَب. هيهات والله بُعْدُ<sup>(١٤)</sup> المَطْلَب، وشَتَّان الدَّرُّ والخَشْلَب<sup>(١٥)</sup>، وقد سيم الغَلَب، ورجع إلى قيادة السَّلَب، وإن كنا مَمَّنْ تَقَدَّمَ لشدة الظمِّ إلى المَنهل، وكمن أقَدَم إلى عين تَبُوك بعد التَّهْي للعل والتَّهَل. فقد ظهرت بذلك<sup>(١٦)</sup> المعجزة عِيَانًا، وملء ما هناك<sup>(١٧)</sup> جِنَانًا، وما تَعَرَّضْنَا بإساءة الأدب واللُّوم، ولكن علمنا أن آخر الشَّرْب<sup>(١٨)</sup> ساقى القوم، وإن أسَهَبْنَا فما نِلْنَا رتبة ذلك الإيجاز، وإن أغرَقْنَا فهوَانَا في الحجاز، فلکم قَصِيرَات الحِجَال، ولنا قَصِيرَات الخطا في هذا المجال، وإكثَارْنَا في قِلَّة، وجارْنَا من الفَقْر في فقر وذَلَّة. وَمَنْ لَنَا بواحدة يُشْرِق ضياؤها، ويُخْفِي النجوم خجلها منها وحيائها؟ إن لم تُطل فلأنها للفروع كالأصل، وفي المجموع<sup>(١٩)</sup> كليلَة الوَضْل. فلو سطع نورها الزاهر، ونورها الذي تطيب منه

(١) في النفع: «بخفية».

(٢) في النفع: «بمحض».

(٣) في النفع: «بمحض».

(٤) في النفع: «بمحض».

(٥) في النفع: «بمحض».

(٦) في النفع: «بمحض».

(٧) في النفع: «بمحض».

(٨) في النفع: «بمحض».

(٩) في النفع: «بمحض».

(١٠) في النفع: «بمحض».

(١١) في النفع: «بمحض».

(١٢) في النفع: «بمحض».

(١٣) في النفع: «بمحض».

(١٤) في النفع: «بمحض».

(١٥) في النفع: «بمحض».

(١٦) في النفع: «بمحض».

(١٧) في النفع: «بمحض».

(١٨) في النفع: «بمحض».

(١٩) في النفع: «بمحض».

(٢) في النفع: «بالأطراف».

(٤) في النفع: «وإن آخذ لفظه...».

(٦) في النفع: «حصل ذلك النور».

(٨) في النفع: «وترخيص في...».

(١٠) كلمة «دعوى» ساقطة في النفع.

(١١) كلمة «المعين» ساقطة في النفع.

(١٢) الثُّغْبَة: الجرعة من الماء. لسان العرب (نغب).

(١٣) في النفع: «بالنشَب».

(١٥) في النفع: «والمَخْشَلَب».

(١٧) في النفع: «وملا ما هنالك».

(١٨) في الأصل: «الشَّرَاب» والتصويب من النفع.

(١٩) في النفع: «المجموع».

الأنوار الأزاهر، لَسَجَدَتِ الثَّيْرَانُ لِيُوسُفَ ذَلِكَ الْجَمَالَ، وَوَجَدَتْ نَفَحَاتَ رِيَّاهَا فِي  
أَعْطَافِ الْجَنُوبِ وَالشَّمَالِ، وَأَسْرَعَتْ نَحْوَهَا النُّفُوسُ إِسْرَاعَ الْحَجِيجِ يَوْمَ الثُّقْرِ، وَسَارَ  
خَبْرُهَا وَسَرَى فَصَارَ حَدِيثَ الْمُقِيمِينَ وَالسُّفَرِ. وَمَا أَظُنُّ<sup>(١)</sup> تِلْكَ السَّاحِرَةَ فِي  
تَدْلِيلِهَا<sup>(٢)</sup>، إِلَّا السَّاحِرَةَ بَتَجْنِيْهَا، إِذْ كَانَتْ رِبِيَّتِهَا، بَلْ رِبِيَّتِهَا، هَذِهِ الَّتِي سَبَقْتَنِي لَمَّا  
سَقَتْنِي بِسِينِهَا<sup>(٣)</sup>، وَوَجَدْتُ رِيحَهَا، لَمَّا فَصَلْتُ مِنْ مِصْرَها غَيْرِهَا<sup>(٤)</sup> وَحِينَ وَصَلْتُ  
لَمْ يَدْلَنِي عَلَى سَابِقِهَا<sup>(٥)</sup> إِلَّا عَبِيرُهَا، وَكَمْ رَامَتْ أَنْ تَسْتَرَّ عَنِّي بَلِيلُ خَبَرِهَا فِي هَذِهِ  
الْمِغَانِي، فَأَغْرَانِي بِهَاوْها وَكُلَّ مُغْرَمٍ مُغْرَى بِبَيَاضِ صُبْحِ الْأَلْفَافِ وَالْمَعَانِي. وَهَلْ كَانَ  
يَنْفَعُهَا تَلْفُحُهَا بِمِزْطِهَا وَتَلْفُجُهَا؟ إِذْ نَادَتْهَا الْمَوَدَّةُ، فَقَدْ عَرَفْنَاكَ يَا سَوْدَةَ. فَأَقْبَلْتُ عَلَى  
شَمِّ نَشْرِهَا وَعَزَفِهَا، وَلَثَمَ سَطْرُهَا وَخَزَفِهَا، وَقَرَّيْتُهَا الثَّنَاءَ الْحَافِلَ، وَقَرَأْتُهَا فَرَزَيْنَتْ بِهَا  
الْمَحَاضِرُ وَالْمَحَافِلُ<sup>(٦)</sup>. وَزُنْتُ أَمْرَ الْجَوَابِ، فَعَزَّنِي<sup>(٧)</sup> فِي الْخَطَابِ، لَكِنْ رَسَمْتُ  
هَذِهِ الرُّقْعَةَ الَّتِي هِيَ لَدَيْكُمْ بَعَجَزِي وَاشِيَّةً، وَإِلَيْكُمْ مَنِيَّ عَلَى اسْتِحْيَاءٍ مَاشِيَّةً، وَإِنْ  
رَقَّ وَجْهُهَا فَمَا رَقَّتْ لَهَا حَاشِيَّةً، فَمُنُوا بِقَبُولِهَا عَلَى عِلَّاتِهَا<sup>(٨)</sup>، وَانْقَعُوا بِمَاءِ  
سَمَاحَتِكُمْ حَرَّ غَلْلِهَا، فَإِنَّهَا وَافِدَةٌ مَنِ اسْتَقَرَّ قَلْبُهُ عِنْدَكُمْ وَتَوَى، وَأَقْرَبُ بَأَنَّهُ يَلْقُطُ فِي  
هَذِهِ الصَّنَاعَةِ مَا يُلْقَى لِلْمَسَاكِينِ مِنَ التَّوَى. بِقِيَّتُمْ، سَيَدِي الْأَعْلَى<sup>(٩)</sup> لِلْفَضْلِ  
وَالْإِغْضَاءِ، وَدَمْتُمْ غَرَّةً فِي جَبِينِ السَّمْحَةِ الْبِيضَاءِ، وَاقْتَضَيْتُمْ السَّعَادَةَ الْمُتَّصِلَةَ مَدَّةَ  
الْإِقْتِضَاءِ، يُمْنُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ. انْتَهَى.

ومحاسنه عديدة، وآماده بعيدة.

دخوله غرناطة: دخلها مع المتوكل مخدومه، أو وجده بها.

من روى عنه: زوي عن أبي الحسن سهل بن مالك.

وفاته: قال الأستاذ في الصلة<sup>(١٠)</sup>: انتقل إلى بجاية فتوفي بها في عشر الخميس  
وستمائة<sup>(١١)</sup>.

(١) في النفح: «وما ضرَّ تلك».

(٢) في النفح: «في تجليها، الساحرة بتجنيها، أن كانت بمنزلة ربيبتها بل تزبها،  
هذه...».

(٣) في النفح: «بسيها».

(٤) في النفح: «من مصر غيرها».

(٥) في النفح: «ساريها».

(٦) في النفح: «فزينت بها المحافل».

(٧) في النفح: «فعزني».

(٨) في النفح: «عللها».

(٩) كلمة «الأعلى» ساقطة في النفح.

(١٠) المراد «صلة الصلة» لابن الزبير.

(١١) كذا ورد في نفح الطيب (ج ١٠ ص ٢٧٦).

## محمد بن محمد بن أحمد بن شلبطور الهاشمي<sup>(١)</sup>

من أهل<sup>(٢)</sup> المريّة، يكنى أبا عبد الله، من وجوه بلده وأعيانه، نشأ نبية البيت، ساحباً بنفسه وبماله ذَيْلَ الحُطوة، متحلّياً بخُضُل من خُطٍّ وأدب، وزيراً، متجنّداً، ظَريفًا، ذَرِبًا على ركوب البحر وقيادة الأساطيل. ثم انحطّ في هواه انحطاطاً أضاع مروءته، واستهلك عقاره، وهَدَّ بَيْتَهُ، وألجأ أخيراً إلى اللُّحاق بالعدوة فهلك بها.

وجرى ذكره في الإكليل بما نصّه<sup>(٣)</sup>: مجموع شعر وخطٍّ، وذكاء عن درجة الظُرفاء غير مُنحطٍّ، إلى مجادة أثيلة البيت، شهيرة الحيِّ والمَيت. نشأ في جِبر الثَّرَف والنعمة، محفوقاً بالمالية الجمّة، فلما عَقِل<sup>(٤)</sup> عن ذاته، وترعرع بين لذاته، أجرى خيول لذاته، فلم يَدَغْ منها ربُعاً إلّا أَقْفَره، ولا عَقَارًا إلّا عَقَره، حتى حطَّ بساحلها، واستولى بسِغَر<sup>(٥)</sup> الإنفاق على جميع مراحلها، إلّا أنه خَلَصَ بِنَفْسٍ طَيِّبة، وسَرَاوة سماؤها صَيِّبة، وتمتّع ما شاء من زِيرٍ وبَمٍّ<sup>(٦)</sup>، وتأنّس لا يعطي<sup>(٧)</sup> القيادَ لهم. وفي عفو الله سَعَةً، وليس مع التوكل على الله ضَعَةٌ.

شعره: من شعره<sup>(٨)</sup> قوله يمدح السلطان، وأنشدها إياه بالمضارب من وادي الغَيْران عند قدومه من المريّة<sup>(٩)</sup>: [الطويل]

أَنْغَرُكَ أَمْ سَمَطٌ مِنَ الدَّرِّ يُنْظَمُ؟	وريقُك أم مِسْكٌ به الرّاحُ تُخْتَمُ؟
ووجهُك أم بادٍ من الصُّبحِ نَيْرٌ؟	وَقَرْعُك أم داج من الليل مُظْلِمٌ؟
أَعْلَلْ مِنْكَ النَفْسَ والوَجْدُ مُثْلِفِي	وهل يَنْفَعُ التَّعْلِيلُ والخَطْبُ أعْظَمُ <sup>(١٠)</sup> ؟
وأقْنَعُ مِنْ طَيِّفِ الخيالِ يزورني <sup>(١١)</sup>	لَوْ أَنَّ جُفْونِي بالمنام تَنْعَمُ
حَمَلْتُ الهوى حيناً فلَمّا علمته	سلوْتُ لأنّي بالمكّارم مُغْرَمُ

(١) ترجمة ابن شلبطور في نفح الطيب (ج ٨ ص ٢١٥) وجاء فيه «ابن شلبطور» بالسين المهملة. وشلبطور: بالإسبانية Salvador، ما يدل على أنه من أصل مولدي.

(٢) النص في نفح الطيب (ج ٨ ص ٣١٧). (٣) النص في نفح الطيب (ج ٨ ص ٣١٧).

(٤) في النفح: «عقل». (٥) في النفح: «بِسْفَر».

(٦) الزَّيْرُ والبَمُّ: من أوتار العود. لسان العرب (زير) و(بم).

(٧) في النفح: «لم يُعْطَ». (٨) النص في نفح الطيب (ج ٨ ص ٢١٨).

(٩) ورد من هذه القصيدة في نفح الطيب (ج ٨ ص ٢١٨) فقط الأبيات الأربعة الأولى، وجاء هناك: «عند قدومه المريّة».

(١٠) في النفح: «... منك الوَجْدُ والليلُ مظلم وهل... والخَطْبُ مؤلِّمٌ».

(١١) في النفح: «بِزورَةٍ».

ولي في أمير المسلمين محبة  
بلغت المني لما لثمت يمينه  
يصوغ قومي الشعر في طيب ذكره  
فاستفسك الدين الحنيف زمانه  
له نظر في المشكلات مؤيد  
ويستغرق طارحا فيه وابل جوده  
فلو أن أملاك البسيطة أنصفوا  
وفي الدين والدنيا وفي البأس والتدى  
ومنها:

إليك أمير المسلمين اقتضيتها  
تثم بعزف المسك أنفاسها  
فباسمك سيرت في المسامع ذكرها  
ولو أنني في المدح سخبان وائل  
لما كنت إلا عن غلاك مقصّر  
بقيت ملاذا للأنام ورحمة

ومن شعره مذيلا على البيت الأخير حسبما نسب إليه<sup>(١)</sup>: [البسيط]

نامت جفونك يا سؤلي ولم أنم  
أشكو إلى الله ما بي من محبتكم  
«إن كان سفك دمي أقصى مرادكم  
ومما نسب إليه كذلك<sup>(٢)</sup>: [السريع]

قف بي وناد بين تلك الطلون  
أين ليالينا بهم والمنى  
لا حملوا بعض الذي حملوا  
إن غبتكم يا أهل نجد ففي

فؤادي مشغوف بها ومثيم  
فها أنذا في جنة الخلد أنعم  
ويخين فيه التظم من ليس ينظم  
وقام منار الحق والشرك مغرم  
والله مهدي إلى الرشيد ملهم  
فمن فعله في جوده يتعلم  
لألقوا إليه الأمر طوعا وسلموا  
لكم يا بني نصر مقام معظم

(١) الأبيات في نفع الطيب (ج ٨ ص ٢١٨).  
(٢) في النفع: «... بما ألقى من الألم».  
(٣) في النفع: «... في النفع: «والسقم».  
(٤) الأبيات في نفع الطيب (ج ٨ ص ٢١٨).



ومما خاطبني<sup>(١)</sup> به: [الرجز]

تالله ما أوزى زناد القَلَقِ  
أَيَقْنْتُ بِالْحَيْنِ<sup>(٤)</sup> فلولاً نَفْحَةً  
لكنْتُ أقضي بتلظي زفرة  
فأه مِنْ هَوْلِ الثوى وما جئى  
يا حاكمي الغُضن اثْنَى مُتَوَجِّجا  
الله في نَفْسٍ مُعْنَى أَقْصَدْتُ  
أتى على أكثرها بَرْحُ<sup>(٦)</sup> الأسى  
ولو بلإمام خيالٍ في الكرى  
قَرَّبَ زُورٍ مِنْ خِيَالٍ زائِرٍ  
شَفِيتُ<sup>(٧)</sup> من بَرْحِ الأسى لو أَنَّ مَنْ  
ففي مُعاناة الليالي عائقُ  
وفي ضمان ما يُعاني المرء من  
هذا لَعْمَرِي مَعَ أَنِي لم أبت  
فقد أخذتُ من خُطوبِ عَذْرَها  
فخرُ الوزارة الذي ما مثله  
ومذ أرائيه زماني لم أُبَلِّ<sup>(١٠)</sup>  
لا سيما منذ<sup>(١٢)</sup> حَطَطْتُ في جَمِي  
أَيَقْنْتُ أَنِي في رجائي لم أَخْبِ  
نَدَبٌ له في كلِّ حُسْنِ آيَةٍ

سوى رِيحٍ<sup>(٢)</sup> لآخ لي بالأَبْرِقِ<sup>(٣)</sup>  
نَجْدِيَّةٌ مِنْكُمْ تَلَاثَتْ رَمَقِي  
وحسرة بين الدموع<sup>(٥)</sup> تَلْتَقِي  
على القلوب موقفُ التَّفْرِقِ  
بالبدْرِ تحت لَمَّةٍ من عَسَقِ  
من لاعجِ الشَّوْقِ بما لم تُطِقِ  
دَغَ ما مضى منها وأدرك ما بقي  
إن سَاعَدَ الجَفْنَ رَقِيبُ الأَرَقِ  
أَقَرَّ عَيْنِي وَإِنْ لم يَصْدُقِ  
أصبحَ رَقِي في يديه مُغْتَقِي  
عن التَّصَابِي وفنونِ القَلَقِ  
نَوَائِبِ الدهرِ مَشِيبُ المَفْرِقِ  
منها بشكوى رُوعَةٍ أو فَرَقِ<sup>(٨)</sup>  
بابن الخطيب الأَمْنِ مِمَّا أَتَقِي<sup>(٩)</sup>  
بدرٌ عَلَا في مغربٍ أو مشرقِ  
مِنْ صَرْفِهِ مِنْ مُزْعِدِ<sup>(١١)</sup> أو مُبْرِقِ  
جواره<sup>(١٣)</sup> الأَمْنِ رَحَلَ أَيَقْنِي  
وَأَنْ مَسْعَى بُغْيَتِي لم يُخَفِّقِ  
تَنَاسَبَتْ فِي الخَلْقِ أو فِي<sup>(١٤)</sup> الخُلُقِ

(١) القصيدة في نفع الطبيب (ج ٨ ص ٢١٥ - ٢١٧).

(٢) في النفع: «بريق». (٣) الأبرق: اسم مكان.

(٤) الحَيْنُ: الهلاك. لسان العرب (حين).

(٥) في النفع: «الضلوع». (٦) البَرْح: الشدة. لسان العرب (برح).

(٧) شَفِيتُ: بالخوف. لسان العرب (فرق).

(٨) الفَرَق، بالفتح: الخوف. لسان العرب (فرق).

(٩) في الأصل: «إلا من ممَّا أتى». والتصويب من النفع.

(١٠) لم أُبَلِّ: أصله: لم أبال، أي لم أكثر. (١١) في النفع: «بِمُزْعِدِ».

(١٢) في الأصل: «مذ» وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفع.

(١٣) في النفع: «مقامه».

(١٤) كلمة «في» ساقطة في الإحاطة، وقد أضفناها من النفع.

في وجهه مَسْحَةٌ بِشَرِّ إِنْ بَدَتْ      تَبْهَرَجَتْ أَنْوَارُ شَمْسِ الْأَفَقِ  
 تُغْتَبَرُ الْأَبْصَارُ فِي لَأْلِئِهَا<sup>(١)</sup>      عليه من نور السَّمَاحِ المَشْرِقِ  
 كَالدَّهْرِ فِي اسْتِيْنَائِهِ وَبَطْشِهِ      كالسيف في حَدِّ الطُّبَا والروْنِقِ  
 إِنْ بَخُلَ الْغَيْثُ اسْتَهْلَتْ يَدُهُ<sup>(٢)</sup>      بوابِلٍ من غَيْثِ جُودٍ غَدِقِ  
 وَإِنْ وَشَتْ صَفْحَةُ طِرْزِ انْجَلَى      لَيْلُ دُجَاهَا عَنْ سَنَى مُوتَلَقِ  
 بِمِثْلِهَا مِنْ حَبَرَاتٍ أَخْجَلَتْ      حَوَاشِي الرُّوضِ خُدُودَ الْمَهْرَقِ  
 مَا رَاقَ فِي الْأَذَانِ أَشْنَافُ سَوَى      مَلَقَطَاتٍ لَفْظِهِ الْمُفْتَرَقِ  
 تَوَدُّ أَجْيَادُ الْغَوَانِي أَنْ يُرَى      حُلِيِّهَا مِنْ دَرِّ ذَاكَ الْمَنْطَقِ  
 فَسَلْ بِهِ هَلْ آدَهُ<sup>(٣)</sup> الْأَمْرُ الَّذِي      حُمِلَ فِي شَرْخِ الشَّبَابِ الْمَوْتَقِ؟  
 إِذَا رَأَى الرَّأْيَ فَلَا يُخْطِئُهُ      يُمْنُ اخْتِيَارِ لِلطَّرِيقِ الْأَوْفَقِ  
 أَيُّهُ أَبَا عَبْدِ الْإِلَهِ هَاكُهَا      عِذْرَاءُ تَخْثُو فِي وَجْهِهِ السُّبْقِ  
 خُذْهَا إِلَيْكَ بِكَرٍّ فِكْرٍ يَزْدَرِي      لَدَيْكَ بِالْأَعْشَى لَدَى الْمُحَلَّقِ<sup>(٤)</sup>  
 لَا زَلْتَ مَرْهُوبَ الْجَنَابِ مُرْتَجَى      مَوْضُوعَ عَزٍّ فِي سُعُودٍ تَرْتَقِي  
 مُبْلَغَ الْأَمَالِ فِيمَا تَبْتَغِي      مُؤَمَّنَ الْأَغْرَاضِ فِيمَا<sup>(٥)</sup> تَتَّقِي

ناب<sup>(٦)</sup> في القيادة البحرية عن خاله القائد أبي علي الرُّنداحي، ووَلِّي أسطول  
 المُتَكَبِّ برهة. توفي<sup>(٧)</sup> بمراكش في<sup>(٨)</sup> عام خمسة وخمسين وسبعمئة رحمه الله.

### محمد بن محمد بن جعفر بن مُشْتَمَلِ الْأَسْلَمِي

من أهل ألمرية، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بالبلباني.

- (١) في الأصل: «لَأْلِئِهَا» وكذا ينكسر الوزن. وفي النسخ: «في اللألا ما».  
 (٢) استهلت يده: كثر إغداقها، وهنا يشبه اليد بالديمة التي اشتد انصبابها على سبيل الاستعارة.  
 (٣) آدَهُ: ثقل عليه. لسان العرب (أدي).  
 (٤) الأعشى: هو الأعشى ميمون بن قيس. والمحلَّق: رجل فقير استضاف الأعشى ونحر له وسقاه،  
 ثم شكاه أن له بنات لم يتزوجن، فأنشد الأعشى في عكاظ قصيدته الكافية بمدح المحلَّق  
 ومنها [الطويل]:  
 تُشَبُّ لِمَقْرُورَيْنِ يَضْطَلِيَانَهَا      وِبَاتَ عَلَى النَّارِ الْبُتْدَى وَالْمُحَلَّقُ  
 فَلَمْ يَحِلَّ الْحَوْلَ حَتَّى تَزَوَّجَتْ بَنَاتُ الْمُحَلَّقِ كُلَّهُنَّ. لسان العرب (حلق).  
 (٥) في النسخ: «مَيَّا».  
 (٦) النص في نفح الطيب (ج ٨ ص ٢١٩).  
 (٧) في النسخ: «وتوفي».  
 (٨) كلمة «في» غير واردة في النسخ.

حاله: قال شيخنا أبو البركات: ناب عني في بعض الأعمال بالمرية، وخطب بنحانس من غريبها، ثم خطب بحمة مُرْشَانة، وهو الآن بها، وعقد الشروط قَبْلُ بالمرية. عفيف طاهر الذيل، نبيل الأغراض، مهذب الأخلاق، قيّم على القراءات والنحو والأدب، جيّد الشعر والكتابة.....<sup>(١)</sup> من الضبط، وإجادة العبارة عن المعنى المراد.

توالبفه: قال: له رَجَز في علم الكلام جيد، ورجز آخر في ألفاظ فصيح ثعلب، عريّ عن الحشو، على تَقْعِير فيه يُغْتَفَر لما جمع من اقتصاره، وله تأليف في الوباء<sup>(٢)</sup> سماه بإصلاح النّية في المسألة<sup>(٣)</sup> الطاعونية.

مشيخته: قال: أخذ عني وعن أبيه جملة من الدواوين، وعن غيري من أهل بلده.

شعره: قال: ومما أنشدني من شعره قوله: [الطويل]

هفا بي من بين المغاني عقيقتها	ومن بينه انقضت لعيني عقيقتها
ومالت من البداء عنها قبائمه <sup>(٤)</sup>	وأشرقني بالدمع منها شروقها
يُهَيِّجُ أنفاسي غراماً نسيها	وتقدح ناز الشوق عندي بروقها
ومن دون واديها ظباء <sup>(٥)</sup> خوادل <sup>(٦)</sup>	حكى لحظها ماضي الشفار رقيقها
فلو برزت للشمس <sup>(٧)</sup> منهن في الضحى	مخدرة أضحت كمالاً تفوقها
نسيم الصبا، إن سيرت نحو الحمى	تحتي <sup>(٨)</sup> الديار التازحات تشوقها
غريب كئيب مستهام متيّم	جريح الجفون الساهرات عريقها
فهل عطفة تزجى وهل أمل يرى	بعودة أيام تقضى أنيقها؟
سقتنا ومن أدمع الصب جودها <sup>(٩)</sup>	ومن <sup>(١٠)</sup> ديم الغيث المليات ريقها

(٢) في الأصل: «الوباء».

(١) بياض في الأصل.

(٣) في الأصل: «المسلة».

(٤) قوله: «من البداء عنها» ساقط في الأصل، وقد أضفناه ليستقيم الوزن والمعنى معاً.

(٥) في الأصل: «ظباء» وكذا ينكسر الوزن.

(٦) الخوادل: جمع خذلاء وهي المرأة الممتلئة الأعضاء لحماً في دقة عظام. محيط المحيط (خذل).

(٧) في الأصل: «الشمس» وكذا ينكسر الوزن.

(٨) في الأصل: «فقل تحي الديار...» وكذا ينكسر الوزن.

(٩) في الأصل: «سقى وتعلم من أدمع الصب جودها» وكذا ينكسر الوزن.

(١٠) في الأصل: «من».

قال: وأنشدني أيضًا، وقال: كَلِفْتَ إجازة هذا البيت الأول من هذه القصيدة،  
إذ ليس لي: [الكامل]

مَنْ عادلي؟ مَنْ ناصري أو مُنصفي<sup>(١)</sup>؟      هذا دمي<sup>(٢)</sup> سَفَكَته بنتُ المُنصفِ  
أو مَنْ يُخَلِّصني وقد أوهى صحبي      حُجَّ الجسم مِثِّي لَحْظُ طَرْفٍ مُدْنِفِ  
جَفَنُ تحيّر والهوى يُهْديهِ      لفؤادِ كُلِّ من الهوى لم يَأْلَفِ  
مُتَناعَسٌ يُهْدي السُّهاد ويصرع الـ      بَطَلَ الكَمِّي بلحظه المُتَضَعَفِ  
تبدو وتشدو للعيون وللنساء      مع فَهْيٍ بين مُكْحَلٍ ومُشَنَّفِ  
مَلَكْتُ بصنعتها عِنانَ عِنانها      وَعَدْتُ عليها كَأَنها<sup>(٣)</sup> لم تُعرفِ  
تُغني إذا غَنَّت بطيب صوتها      عن أن يُزَوِّد لَحْنُها بالمِغْزَفِ  
أما تَغَنَّتْ أو تَنَنَّتْ تهتف      قُمْرِي نَغْمَتها وغمضَ المِغْطَفِ  
يأتي على تَكَرَّارٍ<sup>(٤)</sup> ما غَنَّتْ به      صدَقًا بكلِّ غريب مُسْتَطَرَفِ<sup>(٥)</sup>  
تُهْدي النفوسَ<sup>(٦)</sup> على اختلاف طباعها      من نُبلها ما تشتهي بتلَطَّفِ  
كُنَّا وجَفَنُ الدهر عِنا ناعِسٌ      مِنْ<sup>(٧)</sup> خَلْفِ سِتْرِ للأمانِ مُسَجِّفِ  
حتى وشى بالسُّرِّ دهرٌ حاسد      كَلِفْتُ بتَنْغِيصِ الكريم الأشْرَفِ  
واخْجَلنا إن لم أُمُتْ يوم النُّوى      لهفًا وما إن كنتُ بَعْدُ بمنْصِفِ  
لكنني مما نَحَلْتُ وذُبْتُ لم      يَرِنِي الجِمام فكنْتُ عنه أَخْتَفِي<sup>(٨)</sup>  
كم ذا أبيتُ وليس لي من مُسعد      في حالتي غير الدموع الذُّرْفِ  
يا هل ترى هذا الزمانُ وصرْفُه      هل يَسْمَحان بعودةٍ وتَأْلَفِ؟  
صبرًا أبا يعقوبهم فهي النُّوى      لولا هَمَّتْ شوقًا للقياء يوسفِ

قال: وأنشدني أيضًا لنفسه، والبيت الأخير لغيره: [البسيط]

ما للأجبة في أحكامهم جاروا؟      نأوا جميعًا فلا خِلْ ولا جَارُ

- (١) في الأصل: «من عادى ومن ناصري ومنصفي» وكذا يخلت الوزن والمعنى معًا.  
(٢) في الأصل: «دمعي» وكذا ينكسر الوزن. (٣) في الأصل: «كأن» وكذا ينكسر الوزن.  
(٤) في الأصل: «تكرّر» وكذا ينكسر الوزن.  
(٥) في الأصل: «أو مستطرف» وكذا ينكسر الوزن.  
(٦) في الأصل: «للفنوس» وهكذا يخلت الوزن والمعنى معًا.  
(٧) كلمة «من» ساقطة في الأصل.  
(٨) في الأصل: «أخفت» بدون ياء.

كيف البقاء<sup>(١)</sup> وقد بانث قبايهمُ      وقد خَلَّتْ منهمُ وأسفي الدار؟  
 حُداة تمسهم بالقلب قد رحلوا      يا ليتهم حملوا الجُثمان إذ ساروا<sup>(٢)</sup>  
 جار الزمان علينا في فراقهمُ      من قبل أن تنقضي للصبِّ أوطار  
 ساروا فخيَّمت الأشواق بَعْدَهُمْ      ما لي عليها سوى الآماقِ أنصار  
 تراك يا رَبِّعَهُمْ ترجو رجوعهمُ؟      يا ليت لو ساعدت في ذاك أقدارُ  
 ودَّعْتُ منهم شمسًا ما مطالغها      إلّا من الوُشي أطواق وأزار  
 أستودع الله مَنْ فازَ الفراقُ بهم      وخلفونا<sup>(٣)</sup> ودَمَعُ العين مِذار

قلت: ولا خفاء بتخلف هذا النمط عن الإجادة، والله يقبض ويَبْسُط، وشافئنا عرضُ الإكثار.

وفاته: توفي في آخر أربعة وستين وسبعمائة.

### محمد بن محمد بن حزب الله<sup>(٤)</sup>

من أهل وادي آش، يكنى أبا عبد الله، ويعرف باسم جدّه.

حاله: دَمَتْ، متخلق، سهل الجانب، كثير الدُعابة، خفيف الروح، له خطٌ حسن، ووراقة بديعة، وإحكام لبعض العملية، واقتدار على النظم. اتصل بباب السلطان ملك المغرب، وازتسم كاتبًا مع الجُملة، فازتاش، وحسنت حاله.

وجرى ذكره في الإكليل الزاهر بما نصّه: راقم<sup>(٥)</sup> واشي، رقيق الجوانب والحواشي، تزهى بخطه المهّارق والطروس، وتتجلّى في حُلل بدائعها كما تتجلّى العُرُوس، إلى خُلُق كثير التجميل، ونفس عظيمة التحمّل. ودود سهل الجانب، عذب المذانب. لَمَّا قُضِيَت الوقِعة بطريف<sup>(٦)</sup>، أقال الله عثاها، وعجّل ثارها، قذف به موج ذلك البحر، وتفلّت إفلات الهذّي المقرب إلى النحر، ورمى به إلى رُندة القرار، وقد عرى من أثوابه كما عرى الغرار، فتعرّف للحين بأديبها المُفلق، وبارقها المتألق

(١) في الأصل: «البقا» وكذا ينكسر الوزن. (٢) في الأصل: «سار».

(٣) في الأصل: «وخلفوا» وكذا ينكسر الوزن.

(٤) ترجمة ابن حزب الله في الكتيبة الكامنة (ص ٢٧٤).

(٥) قارن بالكتيبة الكامنة (ص ٢٧٤).

(٦) كانت موقعة طريف الشهيرة بين الإسمان وبني مرين، وكان مع بني مرين قوات الأندلس بقيادة سلطان غرناطة أبي الحجاج يوسف بن إسماعيل النصري، سنة ٧٤١ هـ، وكانت الهزيمة فيها للمسلمين. اللوحة البدرية (ص ١٠٥).

أبي الحجاج المُنْتَشَا فري، فراقه بيشر لقاته، ونَهَل على الظمأ في سِقائه، وكانت بينهما مخاطبات، أنشدنيها بعد إيباه، وأخبرني بما كان من ذهاب زاده وسَلَب ثيابه.

وخاطبني من شرح حاله في ارتحاله بما نصّه: ولما دخلتُ رُنْدَةَ الأنيقة البطاح، المحتوية على الأدب والسّماح، والعلم والصلاح، أبرز القدر أن لقيت بها شيخنا المَعْمَر رئيس الأدباء، وقُدوة الفقهاء، أبا الحجاج المُنْتَشَا فري، وكنت لم أشاهده قبل هذا العيان، ولا سَمَح لي بلاقائه صرفُ الزمان، ولم أزل أكلّف بمقطوعاته العجيبة، وأولع بضرائبه الغريبة، وتأتي منه مخاطبات تُزْري بالعقود بهجة، وتطير لها العقود لهجة. نَظْمٌ كما تنفّس الصبح عن تَسْنيمه، ونثر كما تأسس الدرّ بتنظيمه، فأحلّني منه محلّ الروح من الجسد، وشهد لي أنني أعزُّ مَنْ عليه وَرَد، ورأيت قد ظهرت على مَضَاضَةِ الاكْتِثَاب، لكوني قريبَ عهدٍ بالإياب، مهزومًا انهزام الأخزاب، خالي الوطاب<sup>(١)</sup>، تَزُر الثياب، فقال: فيم الجزع، ذهب بحول الله الخوف وأَمِنَ الفزع، فأجبتُه عَجَلًا، وقلت أخاطبه مرتجلاً: [الكامل]

لا تجزعي، نفسي، لِفَقْد معاشري	وذهب مالي في سبيل القادر
يا رُنْدَةُ <sup>(٢)</sup> ، ها أنتِ خَيْرُ بلاده	وبها أبو حجاج المُنْتَشَا فري
سِيرِيكَ حُسْنُ فرائدٍ من نظمه	فَتَزِيلُ كل كآبة في الخاطر

فأجابني مرتجلاً: [الكامل]

سُرّاي، يا قلبي المشوق، وناظري،	بمزارٍ ذي الشُّرف السَّنِّي الطاهر
روضُ المعارف زَهْرُها الزّاهي	أوصافه <sup>(٣)</sup> أَعْيَتْ ثناء <sup>(٤)</sup> الشاكر
ولوَادِ آشٍ مِنْ <sup>(٥)</sup> فخارٍ لم يزل	من كابن حزبٍ الله نور الناظر
وافى يُشْرِفُ رُنْدَةَ بقدمه	فَعَدَّتْ به أفقا لبدرٍ زاهر
من روضة الأدباء أبدى زهرة	قد أينعت عن فِكْرٍ خَبِرٍ ماهر
جمع المآثر بالسَّنَاء <sup>(٦)</sup> وبالسَّنا	أَغْظَمَ به من صانعٍ لمآثر
ما زلت أسمع من ثناء مآثرًا	كانت لسامعها معًا والذاكر

(١) الوطاب: جمع وَطَب وهو سقاء اللبن وهو جلد الجَدَجَ فما فوقه. وقوله: خالي الوطاب: أي انهزم أو قتل. محيط المحيط (وطب).

(٢) في الأصل: «ورندة» وكذا ينكسر الوزن.

(٣) في الأصل: «ومن أوصافه» وكذا ينكسر الوزن.

(٤) في الأصل: «ثنا» وكذا ينكسر الوزن. (٥) كلمة «من» ساقطة في الأصل.

(٦) في الأصل: السناة.

حتى رأى بصري حقائق وصفه      فتَنَعَّمْتُ كالأقمار نواظري<sup>(١)</sup>  
لا زال مَحْبُوءًا بكل مَسَرَّة      تُجْري له بالحظِّ حكم مُغادر

ثم خاطبه القاضي المُتَشَاقِرِي بعد انصرافه إلى وطنه بقوله: [المتقارب]

أبى الدَّمْعُ بَغْدَكَ إِلَّا انفجارا      لدهرٍ بِبُعدِكَ في الحُكْمِ جارا  
أذاق اللقاء الحُلُو لو لم يصل<sup>(٢)</sup>      به لِلتَّوَى جَرَعَاتٍ مُراراً  
رعى الله لَمَحَ ذاك اللقاء      وإن يَكُ أشواقنا قد أثارا  
قصارايَّ شكوأيَّ طول النوى      وفَقْدِي أناة وصلِ قِصارا  
سَقَتْنِي القِداح ومن بعده      فَوَادِي<sup>(٣)</sup> القريح قَدْ أَذَكَّتْ أوارا  
ألا يا صَبَا، هُبْ من أَرْبُعي      إلى وادي آشِي<sup>(٤)</sup> تُخِي الدُّيارا  
ألا خُصَّ من رَنعها منزلا      بأربابه الأَكْرَمِينَ استنارا  
وهم إلى حِزْبِ الإله الألى<sup>(٥)</sup>      تساموا فَخَارًا وطابوا نِجارا  
فأجابه بأبيات منها<sup>(٦)</sup>:

تَأَلَّقَ بَرَقُ العُلا واستنارا      فأجَجَ إذ لاح في القلب نارا  
وذُكِّرني وقت<sup>(٧)</sup> أنسٍ مضى      برندةً حيثُ الجلالُ استشارا<sup>(٨)</sup>  
وكانت لنفسي سَنًا<sup>(٩)</sup> في حماها      طوالاً فأضَبَحْتُ<sup>(١٠)</sup> لديها قِصارا  
فأجَرِيتُ دَمْعَ العُيون اشتياقاً      ففَاضَتْ لأجل فراقِي بحارا  
وقالت لي النَّفْسُ مَنْ لَمْ يَجِدْ      نصيراً سوى الدَّمْعِ قَلَّ انتصارا  
قَطَعْتُ المُنَى عندها لمحَةً      وودَّعْتُها وامتطيتُ القِفارا  
وضيَّعْتُ تلك المُنَى غفلةً      ووافيتُ أبغي المُنَى<sup>(١١)</sup> ديارا<sup>(١٢)</sup>  
ومنها:

أرِفْتُ لَذاكَ السَّنَا ليلَةً      وما نوْمُها دُقْتُ إِلَّا غِراراً

(١) عجز هذا البيت منكسر الوزن. (٢) صدر هذا البيت منكسر الوزن.

(٣) في الأصل: «فوَادي القريح قد أذكت...» وكذا ينكسر الوزن.

(٤) في الأصل: «وادي آش» وكذا ينكسر الوزن. (٥) صدر هذا البيت منكسر الوزن.

(٦) القصيدة في الكتيبة الكامنة (ص ٢٧٥). (٧) في الكتيبة الكامنة: «أنس وقت».

(٨) في الكتيبة: «استنارا». (٩) في الكتيبة: «منى».

(١٠) في المصدر نفسه: «فأضَحْتُ». (١١) في الأصل: «نابس». ولا معنى لها.

(١٢) هذا البيت ساقط في الكتيبة الكامنة.

وجسمي أجلّ الجسومِ التهابًا      وقلبي أشدُّ القلوبِ انكسارا  
إلى أن تجرَّعْتُ كأسَ النوى      وقلْتُ زماني على الشُّملِ جارا  
وصبَّزْتُ نفسي لفُقدانها      هنالك بالرَّغمِ ليس اختيارا  
وقال من قصيدة<sup>(١)</sup>: [الطويل]

حَنَنْتُ<sup>(٢)</sup> لبرقٍ لاحٍ من سَرَخَتِي نَجِدِ      حنينِ تِهامي<sup>(٣)</sup> يَحِنُّ<sup>(٤)</sup> إلى نَجِدِ  
وقلت لعلَّ القلبَ تَبْرأ كلومُهُ      ومن ذا يصدُّ النارَ عن شِيمةِ الوَقْدِ؟  
لكن<sup>(٥)</sup> شاركتني في المحبَّةِ فُرقة      فها أنا في وَجدي وفي كَلْفِي وحدي<sup>(٦)</sup>  
وهو إلى هذا العهد بالحال الموصوفة.

### محمد بن إبراهيم بن عيسى بن داود الحميري<sup>(٧)</sup>

من أهل مالقة، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن عيسى.

حاله: كان أديبًا، حسن الخط، جيّد النظم، متظرفًا، لودعيًا، مطبوعًا، مُنحطًا في هواه، جامحًا في ميدان بطالته، معاقراً للتبذ، على حِفْظ للرسم، واضطلاع بالخدمة، وإيثار للمروءة، ومعرفة بمقادير الأمور، وتشبُّث بأذيال الحُطوة. كتب للرئاسة السعيدية بمالقة، ونظر على ألقاب جبايتها، وانتفع الناس بجاهه وماله، ووقع الشناء على حسن وساطته. ثم سافر عنها، وقد سَمَتْ مَجادة السلطان في غرض انتقالها إلى العُدوة، مُعَوَّضة بمدينة سلا من مالقة. وكان ما كان من معالجة الأمر، والقبض على الرئس، وقيام ولده بالأمر، فانبَتَّ المذكور بالعدوة، وكانت بها وفاته. وجرى ذكره في الإكليل الزاهر بما نصه<sup>(٨)</sup>: عَلَّمَ من أعلام هذا الفن،

(١) الأبيات في الكتيبة الكامنة (ص ٢٧٥ - ٢٧٦).

(٢) في الأصل: «حلت» والتصويب من الكتيبة.

(٣) التهامي: نسبة إلى تهامة وهي من اليمن. معجم البلدان (ج ٢ ص ٦٣).

(٤) في الأصل: «تحن» والتصويب من الكتيبة.

(٥) في الأصل: «إن» وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة الكامنة.

(٦) في الأصل: «وجد» بالجيم، والتصويب من الكتيبة الكامنة.

(٧) ترجمة محمد الحميري في الكتيبة الكامنة (ص ١٥٨) وجاء فيه أنه أبو عبد الله محمد بن محمد بن عيسى الحميري، ونفع الطيب (ج ٨ ص ٣٦٥) وجاء فيه أنه: أبو عبد الله محمد بن محمد بن إبراهيم بن عيسى بن داود الحميري.

(٨) النص في نفع الطيب (ج ٨ ص ٣٦٥ - ٣٦٦) والكتيبة الكامنة (ص ١٥٨ - ١٥٩) والدرر الكامنة (ج ٤ ص ٢٧١).



وَمُسْغِشَعِي<sup>(١)</sup> راح هذا الدن، بمجموع<sup>(٢)</sup> أدوات، وفارس يَرَاة ودواة<sup>(٣)</sup>، ظريف المنزَع، أنيق المرأى والمَسْمَع، اختَصَّ بالرئاسة وأدار<sup>(٤)</sup> فَلَك إمارتها، واتَّسم باسم كتابتها ووزارتها، ناهضًا بالأعباء، راقياً<sup>(٥)</sup> في دَرَج<sup>(٦)</sup> التقريب والاجتباء، مُصانَعًا دهره في راح وراحة، آوياً إلى فضل وسماحة، وِخْضَب ساحة، كلما فرغ من شأن خدمته، وانصرف عن رب نعمته، عقد شِزْبًا، وأطفأ من الاهتمام بغير الأيام حَزْبًا، وعكف على صوت يستعيده، وظَرْفٌ يُبْديهِ ويعيده. فلما تَقَلَّبَتْ<sup>(٧)</sup> بالرياسة الحال، وقَوَّضَتْ منها الرحال، استقرَّ بالمغرب غربياً، يَقلِّب طَرْفًا مُسْتَرِيًّا، ويلحظ الدنيا تَبِعَةً عليه وتثريباً<sup>(٨)</sup>، وإن كان لم يُعْدم من أمرائها<sup>(٩)</sup> حُظْوَةً وتقريباً، وما برح يبوح بِشَجْنِهِ، ويرتاح إلى عهود وطنه.

شعره وكتابه: ممَّا كتبه، ويَبين فيه أدبه قوله<sup>(١٠)</sup>: [الكامل]

يا نازحينَ ولم أفارقِ منهمُ	شوقاً تأجَّجَ في الضُّلوع <sup>(١١)</sup> ضرامُهُ
غُيِّبْتُمُ عن ناظري وشَخْصُكُمْ	حيث استقرَّ من الضُّلوع مقامُهُ
رَمَتِ النَّوى شملي فَشَتَّتْ نظمه	والبَيْنُ رامٍ لا تطيشُ سهامُهُ
وقد اعتدى فينا وجدَّ مُبالِغاً	وجَرَّتْ بمحكم جوره أحكامُهُ
أترى الزمانَ مُؤَخَّرًا في مدَّتِي	حتى أراه قد انقضَّتْ أيامُهُ

تحملها<sup>(١٢)</sup> يا نسيم تَجْدِيَّةِ النَّفْحَاتِ، وَجَدِيَّةِ اللَّفْحَاتِ، يؤدي<sup>(١٣)</sup> عني نَعْمُها إلى الأَجَبَةِ سلامًا، ويورد<sup>(١٤)</sup> عليهم لَفْحُها بَرْدًا وسلامًا، ولا تقل كيف تُحْمَلُنِي نازًا، وتُرْسِلُ على الأَجَبَةِ مني إغصارًا، كَلَّا إذا أهديتهم تحية إيناسي، وأنسا من جانب هُبُوبِك نار ضرام أنفاسي، وارتاحوا إلى هُبُوبِك، واهتزوا في كَفِّ مَسْرَى جَنُوبِك،

(١) في النفع: «ومسغشع».

(٢) في النفع والكثبية: «مجموع».

(٣) كلمة «ودواة» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من المصادر الثلاثة.

(٤) في النفع: «فأدار».

(٥) في الكثبية: «درجات».

(٦) في الأصل: «تقلبت» والتصويب من المصادر.

(٧) التثريب: اللوم. لسان العرب (ثرب). (٨) في النفع: «أمرائه».

(٩) في النفع: «أمرائه».

(١٠) الأبيات في الكثبية (ص ١٦١) ونفع الطيب (ج ٨ ص ٣٦٦). والبيتان الأول والثاني في الدرر

الكامنة (ج ٤ ص ٢٧٢).

(١١) في الكثبية: «في الفؤاد».

(١٢) النص مع الشعر في نفع الطيب (ج ٨ ص ٣٦٦ - ٣٦٧).

(١٣) في النفع: «تؤدي إلى الأَجَبَةِ نفحها سلامًا». (١٤) في النفع: «وتورد».

وتعلّلوا بها تعليلًا، وأوسعوا آثار مَهَبِكَ تقبيلًا، أرسلها عليهم بليلاً، وخاطبهم بلطافة  
تَلَطَّفُكَ تعليلًا. ألم تروني كيف جئتكم بما حَمَلَنِي عليلاً<sup>(١)</sup>: [الوافر]

كذاك<sup>(٢)</sup> تَرَكْتُهُ مُلْقَى بأرض له فيها التعلُّلُ بالرياح  
إذا هَبَّتْ إليه صَبَا إليها وإن جاءته مِنْ كُلِّ النواحي  
تساعده الحَمائمُ حين يَبْكِي فما ينفكُ موصولُ النباح<sup>(٣)</sup>  
يُخاطِبُهُنَّ مهما طُرُنَ شوقًا أما فيكنَّ واهبةً<sup>(٤)</sup> الجناح؟

ولولا<sup>(٥)</sup> تعلُّله بالأُماني، وتحدُّث نفسه بزمان التَّداني، لكان قد قضى نَحْبَهُ،  
ولم أَبْلُغْكم إِلَّا نَعْيَهُ أو نَذْبَهُ، لكنه يتعلَّل من الآمال بالوعد المَمْطول، ويتطَّرح  
باقتراحاته على الزمن المجهول، ويحدِّث نفسه وقد قَنَعَتْ من بُروق الآمال  
بالخَلْب<sup>(٦)</sup>، ووثقت بمواعيد الدهر القَلْب<sup>(٧)</sup>، فيناجيهها بوحي ضميره، وإيماء  
تصويره: كيف أجِدُّك يوم الالتقاء بالأحباب، والتخلُّص من رِبْقَةِ الاغتراب؟ أبائنة  
الحضور أم بادية الاضطراب؟ كأني بك وقد استَفَزَكَ وَلَهُ السرور، فصرفك عن  
مشاهدة الحضور، وعاقبتك غشاوة الاستِغفار للاستِبشار، عن اجْتِلاء مُحْيَا ذلك  
النهار<sup>(٨)</sup>: [البسيط]

يوم يُداوي زَمَانَتِي مِنْ أُمَانِي أزال<sup>(٩)</sup> تَنْغِيصَ أَخْيَانِي فَأَخْيَانِي  
جَعَلْتُ لهُ نَذْرًا صَوْمَهُ أَبَدًا أفي به وأُوقِي شَرْطَ إِيْمَانِي  
إذا ارتفعنا وزال البُعْدُ وانقطعت أشطانُ دهرٍ قد التَفَّتْ بأشْطَانِي<sup>(١٠)</sup>  
أعدّه<sup>(١١)</sup> خَيْرَ أعيَادِ الزمانِ إذا أوطَانِي السَّغْدُ فيه تُرَبُّ أوطَانِي

أرأيت<sup>(١٢)</sup> كيف ارتياحي إلى التَّذكار، وانقيادي إلى مُعَلَّلَات توهُمات الأفكار؟  
كأنَّ البُعْدَ باستغراقها قد طُوِيَتْ شَقَّتُهُ، وذهبت عني مشقَّتُهُ، وكأني بالتَّخْيُلِ بين تلك

(١) الأبيات أيضًا في الكتيبة الكامنة (ص ١٦٢). (٢) في الكتيبة: «غريبٌ بعدكم مُلْقَى...».

(٣) في الكتيبة: «التياح». وفي النسخ: «الثواح».

(٤) في الأصل: «واهية» والتصويب من النسخ والكتيبة.

(٥) النص في نفع الطيب (ج ٨ ص ٣٦٧).

(٦) البرق الخَلْب: البرق الذي يظنُّ فيه سحابة المطر وليس فيه مطر. لسان العرب (خلب).

(٧) الدهر القَلْب: الكثير القَلْب. لسان العرب (قلب).

(٨) الأبيات في نفع الطيب (ج ٨ ص ٣٦٧). (٩) في الأصل: «أزير» والتصويب من النسخ.

(١٠) الأشطان: جمع شطن وهو الحبل. لسان العرب (شطن).

(١١) في الأصل: «أعدّه» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النسخ.

(١٢) النص في نفع الطيب (ج ٨ ص ٣٦٧ - ٣٧١).

الخمائل أتَنَسَّم صَبَاهَا، وَأَتَسَّيْمُ رُبَاهَا<sup>(١)</sup>، وَأَجْتَنِي أَزْهَارَهَا، وَأَجْتَلِي أَنْوَارَهَا، وَأَجُولُ فِي خَمَائِلِهَا، وَأَتَنَعَّمُ بِبُكْرَهَا وَأَصَائِلِهَا، وَأَطُوفُ بِمَعَالِمِهَا، وَأَتَنَشَّقُ أَزْهَارَ كَمَائِمِهَا، وَأَصْبِيحُ بِأَذْنِ الشُّوقِ<sup>(٢)</sup> إِلَى سَجْعِ حَمَائِمِهَا، وَقَدْ دَاخَلْتَنِي الْأَفْرَاحُ، وَنَالَتْ مِنِّي نَشْوَةُ الْارْتِيَاحِ، وَدَنَا السُّرُورُ لَتَوْسُمِ<sup>(٣)</sup> ذَهَابِ الْأَتْرَاحِ. فَلَمَّا أَفَقْتُ مِنْ غَمَرَاتِ سُكْرِي، وَوُثِبَتْ مِنْ هَفَوَاتِ فِكْرِي، وَجَذَتْ<sup>(٤)</sup> مَرَارَةً مَا شَابَهُ لُبِّي<sup>(٥)</sup> فِي اسْتِغْرَاقِ دَهْرِي، وَكَأَنِّي مِنْ حَيْثُذُ عَالَجَتْ وَفَقَّةُ الْفِرَاقِ، وَابْتَدَأَتْ مَنَازَعَةُ الْأَشْوَاقِ، وَكَأَنَّمَا أَعْمَضْتَنِي<sup>(٦)</sup> لِلنُّومِ، وَسَمَحَ لِي بِتِلْكَ الْفِكْرَةِ الْجَلْمِ<sup>(٧)</sup>: [الكامل]

ذَكَرَ الدِّيَارَ فَهَاجَهُ تَذْكَارُهُ      وَسَرَتْ بِهِ مِنْ حَيْنِهِ أَفْكَارُهُ  
فَاخْتَلَّ مِنْهَا حَيْثُ كَانَ حُلُولُهُ      بِالْوَهْمِ فِيهَا وَاسْتَقَرَّ قَرَارُهُ  
مَا أَقْرَبَ الْأَمَالَ مِنْ غَبَوَاتِهِ      لَوْ أَنَّهُ قَضِيَتْ بِهَا أَوْطَارُهُ<sup>(٨)</sup>

فَإِذَا جِئْتَهَا أَيُّهَا الْقَادِمُ، وَالْأَصِيلُ قَدْ خَلَعَ عَلَيْهَا بُرْدًا مُورَسًا، وَالرَّبِيعُ قَدْ مَدَّ عَلَى الْقِيَعَانِ مِنْهَا سُنْدُسًا، اتَّخَذَهَا<sup>(٩)</sup> قَدَيْتُكَ مُعَرَّسًا<sup>(١٠)</sup>، وَاجْرُزُ ذِيُولِكَ فِيهَا مُتَبَخِّرًا<sup>(١١)</sup>، وَبُتُّ فِيهَا مِنْ طِيبِ نَفَحَاتِكَ عُنْبَرًا، وَافْتَقْتُ عَلَيْهَا مِنْ نَوَافِحِ<sup>(١٢)</sup> أَنْفَاسِكَ مِسْكًَا أَذْفَرًا، وَاعْطَفَ مِعَاطِفُ<sup>(١٣)</sup> بَانِيهَا، وَأَزْقَضَ قُضْبَ رِيحَانِهَا، وَصَافَخَ صَفْحَاتِ نَهْرِهَا، وَنَافِخَ<sup>(١٤)</sup> نَفَحَاتِ زَهْرِهَا. هَذِهِ كُلُّهَا أُمَارَاتُ، وَعَنْ أَسْرَارِ مَقَاصِدِي عِبَارَاتُ، هُنَالِكَ تَتَنَعَّشُ بِهَا صُبَابَاتُ، تَعَالِجُ صَبَابَاتُ، تَتَعَلَّلُ بِإِقْبَالِكَ، وَتَتَعَكِّفُ عَلَى لَثَمِ أَذْيَالِكَ، وَتَبْدُو لَكَ فِي صِفَةِ الْفَانِي الْمُتَهَالِكِ، لَا طِفْهَا بِلَطَافَةِ

(١) أَتَسَّيْمُ رِبَاهَا: أَعْلَمُهَا وَأَرْتَفِعُ إِلَيْهَا. لِسَانُ الْعَرَبِ (سَنَم).

(٢) فِي الْأَصْلِ: «الشُّون» وَالتَّصْوِيبُ مِنَ النَّفْحِ. (٣) فِي النَّفْحِ: «لَتَوْهَم».

(٤) فِي الْأَصْلِ: «وَجَذَذْتُ» وَالتَّصْوِيبُ مِنَ النَّفْحِ. (٥) فِي النَّفْحِ: «لِي».

(٦) فِي النَّفْحِ: «أَعْمَضْتَنِي النَّوْمَ».

(٧) الْآيَاتُ فِي نَفْحِ الطَّيِّبِ (ج ٨ ص ٣٦٨ - ٣٦٩).

(٨) رَوَايَةُ الْبَيْتِ فِي أَوَّلِ الْإِحَاطَةِ هِيَ:

يَا لِقُرْبِ الْأَمَالَ مِنْ هَفَوَاتِهِ      لَوْ أَنَّهُ قَضَتْ بِهَا أَوْطَارُهُ  
وَهَكَذَا يَنْكَسِرُ الْوِزْنُ، وَالتَّصْوِيبُ مِنَ النَّفْحِ.

(٩) فِي النَّفْحِ: «فَاتَّخَذَهَا».

(١٠) الْمُعَرَّسُ: مَكَانُ النَّزُولِ لَيْلًا. لِسَانُ الْعَرَبِ (عَرَسَ).

(١١) فِي الْأَصْلِ: «تَبَخَّرَ» وَالتَّصْوِيبُ مِنَ النَّفْحِ.

(١٢) فِي الْأَصْلِ: «نَوَافِحُ» بِالْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ، وَالتَّصْوِيبُ مِنَ النَّفْحِ. وَالنَّوَافِحُ: جَمْعُ نَافِجَةٍ وَهِيَ وَعَاءُ الْمَسْكِ. لِسَانُ الْعَرَبِ (نَفَجَ).

(١٣) فِي الْأَصْلِ: «بِعَاطِفُ» وَالتَّصْوِيبُ مِنَ النَّفْحِ.

(١٤) الْمُرَادُ بِ«نَافِخِ» الْمَغَالِبَةُ فِي إِظْهَارِ الرِّيحِ لِيُظْهَرَ أَيُّهُمَا أَظْهَرَ أَرِيحًا. لِسَانُ الْعَرَبِ (نَفَجَ).

اعتلالك، وترَفَّقَ بها تَرَفَّقَ أمثالك، فإذا مالت<sup>(١)</sup> بهم إلى هواك الأشواق، وَلَوُوا إليك  
الأزُّوس والأعناق، وسألوك عن اضطرابي في الآفاق، وتقلَّبي بين الإشام والإعراق،  
فقل لهم: عَرَضَ له في أسفاره، ما يعرض للبذر في سَرَّارِه، من سِرِّ<sup>(٢)</sup> السَّرارِ،  
وطاق<sup>(٣)</sup> المَحاق، وقد تَرَكْتَهُ وهو يُسامر الفَرَقْدِين، ويُساير الثَّيْرِين، وينشد إذا راعه  
البَّيْن<sup>(٤)</sup>: [البسيط]

وقد نكوْنُ وما يُخشى تَفَرُّقُنَا واليوم<sup>(٥)</sup> نحنُ وما يُزجى تلاقينَا  
لم يفارق وَغْشاء<sup>(٦)</sup> الأسفار، ولا ألقى من يده عصا التَّسيار، يتهداه العُور<sup>(٧)</sup>  
والنَّجد، ويتداوله الإزقال<sup>(٨)</sup> والوخذ، وقد لَفَحَتْهُ الرَّمضاء، وسَمَمَ<sup>(٩)</sup> الإنضاء.  
فالجَهاَت تَلْفُظُه، والآكام تَنْهَظُه، تحمل<sup>(١٠)</sup> همومَه الرُّواسم، وتَخْفَى<sup>(١١)</sup> به التَّواسم:  
[البسيط]

لا يستقرُّ بأرضٍ حين يَبْلُغُها ولا له غير حَدْوِ العيس إيناسُ  
ثم إذا استَوَفَوْا سؤالك عن حالي، وتقلَّبي بين<sup>(١٢)</sup> جَلَى وتَرْحالي، وبلغت  
القلوب منهم الحناجر، وملأت الدموعُ المحاجر، وابتَلَّتْ ذبولك بمائها، لا بل  
تَصَرَّجَتْ بدمائها، فَحَيَّهم عَنِّي تحيةً مُنفصل، وودَّعهم<sup>(١٣)</sup> وداعَ مُرتحل. ثم اعطف  
عليهم رِكابك، ومَهَّدْ لهم جَنابك، وقُلْ لهم إذا سألني عن المنازل بغد سَكانها،  
والرُّبوع بعد ظَننٍ أظعانها، بماذا أجيبُه، وبماذا يسكن وَجيبُه<sup>(١٤)</sup>. فسيقولون لك هي  
البلاقيع<sup>(١٥)</sup> المُقْفَرَات، والمعارف<sup>(١٦)</sup> التي أصبحت نَكِرَات: [السريع]

صَمَّ صداها وعفا<sup>(١٧)</sup> رَسْمُها واستَعْجَمَتْ عن منطقِ السائلِ

- 
- (١) في الأصل: «أمالَتْ» والتصويب من النفح. (٢) في النفح: «من سرار».  
(٣) في النفح: «ولحاق».  
(٤) البيت لابن زيدون وهو في ديوانه (ص ٩).  
(٥) في النفح: «فاليوم».  
(٦) الوغشاء: المشقة والتعب. محيط المحيط (وعث).  
(٧) في الأصل: «للغور» والتصويب من النفح.  
(٨) الإزقال والوخذ: ضربان من السير السريع. لسان العرب (رقل) و(وخذ).  
(٩) في الأصل: «وسيمه» والتصويب من النفح. (١٠) في النفح: «يحمل».  
(١١) في النفح: «وتحياته».  
(١٢) في الأصل: «بين حالي حَلَى...»، والتصويب من النفح.  
(١٣) كلمة «وودَّعهم» غير واردة في النفح. (١٤) الوجيب: الخفقان. لسان العرب (وجب).  
(١٥) البلاقيع: جمع بلقع وهو الأرض الخالية. لسان العرب (بلقع).  
(١٦) كلمة «المعارف» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من النفح.  
(١٧) في الأصل: «وعَفَى» وهكذا يتكسر الوزن، والتصويب من النفح.

قُلْ لَهُمْ: كيف الرُّوض وأسْه؟ وعمّاذا<sup>(١)</sup> تتأرَّج أنفاسه؟ عَهْدِي بِهِ وَالْحَمَامُ يَرْدُدُ أَسْجَاعَهُ، وَالذُّبَابُ يَغْنِي بِهِ هَزْجًا فِيحُكُ بِذِرَاعِهِ ذِرَاعَهُ، وَغُصُونُهُ تَعْتَنُقُ، وَأَحْشَاءُ جَدَاوِلِهِ تَضْطَفِقُ، وَأَسْحَارُهُ تَنْتَسِمُ وَأَصَالُهُ تَغْتَبِقُ<sup>(٢)</sup>، كَمَا كَانَتْ بَقِيَّةُ نَضْرَتِهِ، وَكَمَا عَهْدَتِهَا أُنَيْقَةُ خُضْرَتِهِ، وَكَيْفَ التَّفَاثُ<sup>(٣)</sup> عَنْ أَرْزَقِ نَهْرِهِ، وَتَأْتِقُهُ فِي تَكْلِيلِ إِكْلِيلِهِ بِيَانِ زَهْرِهِ. وَهَلْ رَقَّ نَسِيمُ أَصَائِلِهِ<sup>(٤)</sup>، وَصَفَتْ مَوَارِدُ جَدَاوِلِهِ؟ وَكَيْفَ انْفِسَاحُ سَاحَاتِهِ، وَالتَّفَافُ دَوْحَاتِهِ؟ وَهَلْ تَمَتَّدَ كَمَا كَانَتْ مَعَ الْعَشِيِّ فَيَنَائُهُ سَرْحَاتِهِ؟ عَهْدِي بِهَا، الْمَدِيدَةُ الظَّلَالِ، الْمَرْغَفَةُ السَّرْبَالِ، لَمْ تُحَدِّقِ الْآنَ بِهِ عُيُونُ نَرْجَسِهِ، وَلَا صُدَّ<sup>(٥)</sup> بِسَاطِ سُنْدُسِهِ. وَأَيْنَ مِنْهُ مَجَالِسُ لَذَاتِي، وَمَعَاهِدُ غَدَوَاتِي وَرَوْحَاتِي؟ إِذْ أَبَارِي فِي الْمُجُونِ لِمَنْ أَبَارِي، وَأَسَابِقُ إِلَى اللَّذَاتِ كُلِّ مَنْ يُجَارِي<sup>(٦)</sup>. فَسَيَقُولُونَ لَكَ: دَوَتْ أَفْنَانُهُ، وَانْقَصَفَتْ أَغْصَانُهُ، وَتَكَدَّرَتْ غُذْرَانُهُ، وَتَغَيَّرَ رِيحُهُ<sup>(٧)</sup> وَرِيحَانُهُ، وَأَقْفَرَتْ مَعَالِمُهُ، وَأَخْرَسَتْ حَمَائِمُهُ، وَاسْتَحَالَتْ بِهِ<sup>(٨)</sup> حُلُلُ خَمَائِلِهِ، وَتَغَيَّرَتْ وَجُوهُ بُكْرِهِ وَأَصَائِلِهِ، فَإِنْ صَلَصلَ حَنِينُ رَغْدٍ فَعَنْ قَلْبِي لِفِرَاقِهِ خَفَقٌ، وَإِنْ تَلَالَا بَرْقُ فَعَنْ حَرِّ حَشَايِ اثْتَلَقَ، وَإِنْ سَحَّتِ الشُّحْبُ فَمُسَاعِدَةٌ لَجَفْنِي، وَإِنْ طَالَ بَكَوَاهَا فَعُنِّي، حَيَاتُهَا اللَّهُ تَعَالَى<sup>(٩)</sup> مَنَازِلَ، لَمْ تَزَلْ بِمَنْظُومِ الشَّمْلِ أَوَاهِلَ. وَحِينَ انْتَشَرَتْ<sup>(١٠)</sup> نُثِرَتْ أَزْهَارُهَا أَسْفًا، وَلَمْ تُثْنِ الرِّيحُ مِنْ أَغْصَانِهَا مِغْطَفًا، أَعَادَ اللَّهُ تَعَالَى<sup>(٩)</sup> الشَّمْلَ فِيهَا إِلَى مُحْكَمِ نِظَامِهِ، وَجَعَلَ الدَّهْرَ الَّذِي فَرَّقَهُ يَتَأْتَقُ فِي أَحْكَامِهِ. وَهُوَ سَبْحَانَهُ يَجْبُرُ الصَّدْعَ، وَيُعَجِّلُ الْجَمْعَ، إِنَّهُ بِالْإِجَابَةِ جَدِيرٌ، وَعَلَى مَا يَشَاءُ قَدِيرٌ. إِيَّاهُ بُنِّي، كَيْفَ حَالُ مَنْ اسْتَوْدَعَتْهُمْ أَمَانَتَكَ، وَأَلَزَمَتْهُمْ صَوْنَكَ وَصِيَانَتَكَ، وَأَلْبَسَتْهُمْ نَسَبَكَ، وَمَهَّدَتْ لَهُمْ حَسَبَكَ؟ اللَّهُ فِي حِفْظِهِمْ فَهُوَ اللَّائِقُ بِفِعَالِكَ، وَالْمُنَاسِبُ لَشَرَفِ خِلَالِكَ، اِزْعَ لَهُمُ الْإِغْتِرَابَ لَدَيْكَ، وَالْإِنْقِطَاعَ إِلَيْكَ، فَهَمُ أَمَانَةُ اللَّهِ تَعَالَى فِي يَدَيْكَ، وَهُوَ سَبْحَانَهُ يَحْفَظُكَ بِحِفْظِهِمْ، وَيُوَالِي بَلْخِطْلِكَ أَسْبَابَ لَخِطْلِهِمْ، وَإِنْ ذَهَبْتُمْ إِلَى مَعْرِفَةِ الْأَحْوَالِ، فَنِعْمَ اللَّهُ مُنْتَدَةُ الظَّلَالِ، وَخَيْرَاتُهُ ضَافِيَةٌ<sup>(١١)</sup> السَّرْبَالِ؛ لَوْلَا الشُّوقُ الْمُلَازِمُ، وَالْوَجْدُ الَّذِي سَكَنَ الْحَيَازِمَ.

(١) فِي النَّفْحِ: «وَعَمَّ».

(٢) فِي الْأَصْلِ: «التَّفَاثُ» وَالتَّصْوِيبُ مِنَ النَّفْحِ. (٤) فِي الْأَصْلِ: «أَصَالُهُ» وَالتَّصْوِيبُ مِنَ النَّفْحِ.

(٥) فِي النَّفْحِ: «وَيْمَدَ».

(٦) فِي النَّفْحِ: «أَجَارِي».

(٧) فِي النَّفْحِ: «رَوْحُهُ».

(٨) كَلِمَةُ «بِهِ» غَيْرُ وَارِدَةٍ فِي النَّفْحِ.

(٩) كَلِمَةُ «تَعَالَى» سَاقِطَةٌ فِي الْأَصْلِ، وَقَدْ أَضْفَيْنَاهَا مِنَ النَّفْحِ.

(١٠) فِي الْأَصْلِ: «انْتَشَرَتْ»، وَالتَّصْوِيبُ مِنَ النَّفْحِ. (١١) فِي النَّفْحِ: «وَارَفَةٌ».

ووقفت من شعره على قصيدة من جملة رسالة، أثبتها وهي<sup>(١)</sup>: [الطويل]

أَلْبَرْقُ يَبْدُو تَسْتَطِيرُ<sup>(٢)</sup> الْجَوَانِحُ      وَلِلوُزْقِ تَشْدُو تَسْتَهْلُ<sup>(٣)</sup> السَّوَاغُ<sup>(٤)</sup>  
وَقَلْبِي<sup>(٥)</sup> لِلْبَرْقِ الْخَفُوقِ مُسَاعِدٌ      وَوَجْدِي<sup>(٦)</sup> لِلوُزْقِ الشَّكَالِي مُطَارِحُ  
إِذَا الْبَرْقُ أَوْزَى فِي الظَّلَامِ زِنَادِي<sup>(٧)</sup>      فَلِلوُجْدِ فِي زَنْدِ الصَّبَابَةِ قَادِحُ  
وَكَمْ وَفَّةٌ لِي حَيْثُ مَالُ بَيْ الهَوَى      أَغَادِي<sup>(٨)</sup> بِهَا شَكْوَى الْجَوَى وَأَرَاوِحُ  
تَنَازَعُنِي مِنْهَا الشُّجُونُ<sup>(٩)</sup> فَأَشْتَكِي      وَيَكْثُرُ بَنِي عِنْدَهَا فَاسَامِحُ  
أُبْتُ شَجُونِي وَالْحَمَامُ يُصِيخُ لِي      وَيُسْعِدُنِي فِيمَا تُبِيحُ<sup>(١٠)</sup> الثَّبَارِحُ  
وَتَطْرَبُ أَغْصَانُ الْأَرَاكِ فَتَنْتَنِي      إِلَى صَفْحَةِ النَّهْرِ الصَّقِيلِ<sup>(١١)</sup> تُصَافِحُ  
فَتَبْتَسِمُ الْأَزْهَارُ مِنْهَا تَعَجُّبًا      فَتُهْدِي إِلَيْهَا عَرْفَهَا وَتُنَافِحُ  
كَذَلِكَ حَتَّى مَادَ عَطْفُ مَثْقَفِي<sup>(١٢)</sup>      وَطَرْفِي أَبْدَى هَزَّةً وَهُوَ مَارِحُ  
فَلَمَّا التَّطَيَّ وَجْدِي تَرْنَمُ صَاهِلًا      فَقُلْتُ: أَمِثْلِي يَشْتَكِي الْوَجْدُ نَابِحُ<sup>(١٣)</sup>؟  
صَرَفْتُ عَدُوَّ الْبَيْدِ أَرْخُو عِنَانَهُ<sup>(١٤)</sup>      وَقُلْتُ لَهُ: شَمَزُ فَإِنِّي<sup>(١٥)</sup> سَابِحُ<sup>(١٦)</sup>  
تَهْيَأْ لِقَطْعِ الْبَيْدِ وَاعْتَسِفِ السُّرَى      سِيلِقَاكَ غَيْظَانُ بِهَا وَمَمَائِحُ<sup>(١٧)</sup>  
فَحَمَحَمَ لَوْ يَسْطِيعُ<sup>(١٨)</sup> نُطْقًا لَقَالَ لَهُ<sup>(١٩)</sup>      بِمِثْلِي تَلْقَى هَذِهِ وَتُكَافِحُ  
وَحَمَلْتُهُ عَزْمًا تَعَوَّدَ مِثْلُهُ      فِقَامُ بِهِ مُسْتَقْبَلًا مِنْ يُنَاطِحُ

(١) القصيدة في الكتيبة الكامنة (ص ١٥٩ - ١٦١).

(٢) في الأصل: «تسطير» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة.

(٣) في الأصل: «وتستهل» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة.

(٤) في الأصل: «السوايح» والتصويب من الكتيبة.

(٥) في الكتيبة: «فقلبي».

(٦) في الكتيبة: «وجدتي».

(٧) في الكتيبة: «زناده».

(٨) في الأصل: «للشجون» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة.

(٩) في الأصل: «شغفي» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة.

(١٠) في الكتيبة: «تهيج».

(١١) في الأصل: «سابع».

(١٢) في الكتيبة: «سابع».

(١٣) في الأصل: «فإنني» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة.

(١٤) في الكتيبة: «سائح».

(١٥) في الكتيبة: «سائح».

(١٦) في الكتيبة: «سائح».

(١٧) في الكتيبة: «سائح».

(١٨) في الكتيبة: «سائح».

(١٩) في الكتيبة: «سائح».

سوى جَلَدٍ لا يُتَّقَى منه فاضح<sup>(٢)</sup>  
 إِذَا جُرَدْتُ يَوْمَ الْجِلَادِ الصَّفَائِحُ  
 عند كَرِّي في الحروب أفتاح  
 وقد شَرَدْتُ عَنِّي الطُّبَاءُ<sup>(٥)</sup> السَّوَانِحُ  
 هُنَالِكَ إِنْسِي<sup>(٧)</sup> ولا هُوَ لائِحُ  
 فقلت: تَعَاوَتْ إِنهَآ لَكُتَوَابِحُ  
 فلم أَضِغْ سَمْعًا نَحْوَهَا وهو صَائِحُ  
 شَنِيعًا له تَبْدُو عَلَيْهِ الْقَبَائِحُ  
 بَلْ أَيْقِظْ عَزْمِي فَانْتَنِي وَهُوَ كَالِحُ  
 ومالَتْ إِلَى أَفْقِ الْغُرُوبِ تُنَارِحُ<sup>(١٠)</sup>  
 فَهَآ<sup>(١١)</sup> أَنَذَا غَزِيْسِي إِلَى الْقَصْدِ جَانِحُ  
 إِلَيَّ بَلْخُظٍ<sup>(١٣)</sup> طَرَفُهُ لِي لَامِحُ  
 عَلَيَّ لَهُ حَقْدٌ بِهِ لَا يُسَامِحُ  
 خَلَا أَنُّ شَكْلِي<sup>(١٦)</sup> أَغْزَلُ وَهُوَ رَامِحُ  
 عَلَى صَفْحَةِ الظُّلْمَاءِ فَهِيَ لَوَائِحُ  
 أَكْلَفُ دَمْعِي نَحْوَهَا فَهُوَ طَامِحُ  
 إِلَى أَن بَدَا مِن نَاسِمِ الصُّبْحِ فَاتِحُ<sup>(١٩)</sup>

وَيَمْنْتُ بِيَدًا لَمْ أَصَاحِبْ لِحْوَهَا<sup>(١)</sup>  
 وَمَاضِي الْغَرَارِينَ<sup>(٣)</sup> اسْتَجَدْتُ مِضَاءَهُ<sup>(٤)</sup>  
 وَمُنْدَمِجٍ صَدَقِ الْأَنَابِيْبُ نَافِذٍ بِهِ  
 وَسِرْتُ فَلَا أَلْقَى سِوَى الْوَحْشِ نَافِرًا  
 تُحْدَقُ نَحْوِي<sup>(٦)</sup> أَغِيْنَا لَمْ يَلُحْ لَهَا  
 وَقَدْ زَارَتْ أَسَدٌ تَقَحَّحْتُ غِيْلَهَا  
 وَكَمْ طَافَ بِي لِلْخَبْرِ<sup>(٨)</sup> مِنْ طَائِفٍ بِهَا<sup>(٩)</sup>  
 وَيَغْرُضُ لِي وَجْهًا دَمِيمًا وَمَنْظَرًا  
 فَمَا رَاعَنِي مِنْهُ تَلَوْنُ حَالِهِ  
 فَلَمَّا اكْتَسَتْ شَمْسُ الْعَشِيِّ شُحُوبَهَا  
 تَسْرَبَلْتُ لِلْإِذْلَاجِ جُنْحُ دُجْنَةٍ  
 فَخَضْتُ<sup>(١٢)</sup> ظِلَامَ اللَّيْلِ وَالتَّجْمُ شَاخِصُ  
 يُرَدِّدُهُ<sup>(١٤)</sup> شَرَزَا إِلَيَّ كَأَنَّمَا  
 وَرَاقَبَ مِنْ شَكْلِ<sup>(١٥)</sup> السَّمَاءِ نَظِيرَهُ  
 يَخْطُ وَمِيضُ الْبَرْقِ لِي مِنْهُ أَسْطَرًا  
 إِذَا خَطَّهَا مَا بَيْنَ عَيْنَيَّ لَمْ أَزَلْ<sup>(١٧)</sup>  
 وَمَا زَلْتُ سِرًّا فِي حَشَا النَّبْلِ<sup>(١٨)</sup> كَأَمَّا

(١) في الكتيبة: «لجوبها».

(٣) الغرار: حدّ السيف.

(٤) في الأصل: «مضاء» والتصويب من الكتيبة.

(٥) في الأصل: «في الطُّبَا» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة الكامنة.

(٦) في الكتيبة: «عندي».

(٧) في الأصل: «سأ لك أسنى...» والتصويب من الكتيبة.

(٨) في الكتيبة: «للجن». والخبر: الناقة الغزيرة اللبن. محيط المحيط (غزر).

(٩) في الكتيبة: «لها».

(١٠) في الكتيبة: «تبارح».

(١١) في الكتيبة: «فما أبدأ عزمي إلى...».

(١٣) في الكتيبة: «بطرف لحظه لي...».

(١٤) في الأصل: «يرده» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة.

(١٥) في الأصل: «شكلي» والتصويب من الكتيبة.

(١٦) في الأصل: «الخلا لزمكلي» والتصويب من الكتيبة.

(١٧) في الكتيبة: «لم يزل».

(١٨) في الكتيبة: «الليل».

(١٩) في الكتيبة: «نافح».

وَهَبْ نَسِيمُ الصَّبْحِ فَاَنْعَطَفْتُ<sup>(١)</sup> لَهُ .  
تَجَاذَبْنِ<sup>(٣)</sup> مِنْ ذِكْرِي أَحَادِيثَ لَمْ تَزَلْ  
وَمِلْتُ إِلَى التَّغْرِيسِ لَمَّا انْقَضَى الشَّرَى  
وَمَالَ الْكَرَى بِي مَيْلَةً سَكَنَتْ لَهَا  
كَمْ<sup>(٦)</sup> أَخَذْتُ مِنْهُ الشُّمُولُ بِشَارِهَا  
وَقَرَّيْتُ الْأَحْلَامَ لِي كُلِّ مَأْمَلٍ<sup>(٨)</sup>  
أَرْتَنِي وَجُوهَهَا لَوْ بَذَلْتُ لِقُرْبِهَا  
لَقَلَّ لَهَا عُمْرِي وَمَا مَلَكَتْ يَدِي  
وَمَا زِلْتُ أَشْكُو بَيْنَنَا غُصَصُ<sup>(١١)</sup> النَّوَى  
فَمِنْهَا تُغَوِّرُ لِلشَّرُورِ بَوَائِمُ  
تُقَرِّبُهَا الْأَحْلَامُ مِنِّي وَدُونَهَا  
وَبِخْرٍ طَمَتْ أُمُوجُهُ وَشَابِيبُ<sup>(١٣)</sup>  
قَضَيْتُ حَقُوقَ الشُّوقِ فِي زُورَةِ الْكَرَى<sup>(١٥)</sup>  
يُقَرَّرُنِ<sup>(١٦)</sup> أَمَالًا تَبَاعَدَ بَيْنُهَا  
فَلَمَّا تَوَلَّى عَنِّي النَّوْمُ أَعْقَبَتْ<sup>(١٨)</sup>  
وَعُدْتُ إِلَى شَكْوَى الْبَلَاءِ<sup>(١٩)</sup> وَلَمْ أَزَلْ  
وَمَا بَلَغَتْ عَنِّي مِشَافَهُةُ الْكَرَى  
وَحَسْبُكَ قَلْبٌ فِي إِسَارِ اسْتِيَاقِهِ

قُدُودُ غُصُونٍ قَدْ رَقَّتْهَا صَوَادِحُ<sup>(٢)</sup>  
يُرَدِّدُهَا مِنْهَا<sup>(٤)</sup> مُجِدُّ وَمَازِح  
أَرُوضُ لَهُ نَفْسِي وَعَزْمِي جَامِح  
عَلَى نَصَبِ الْوُغْثَاءِ مِنِّي الْجَوَارِحُ<sup>(٥)</sup>  
فَبَاكَ يُسْقَى<sup>(٧)</sup> وَهُوَ رَيَانُ طَافِح  
فَأَذَنْتُهُ مِنِّي وَهُوَ فِي الْحَقِّ نَازِح  
حَيَاتِي لَمَنْ بِالْقُرْبِ مِنْهُ يُسَامَحُ  
وَحَدَّثْتُ<sup>(٩)</sup> نَفْسِي أَنَّ تَجْرِي<sup>(١٠)</sup> رَابِع  
وَمَا طَوَّحْتُ بِي فِي الزَّمَانِ الطَّوَائِحِ  
لِقُرْبِهِ<sup>(١٢)</sup> وَمِنْهَا لِلْفِرَاقِ نَوَائِحُ  
مَهَامٍ فِيهَا لِلْهَجِيرِ لَوَافِحُ  
وَقَفَّرَ بِهِ لِلسَّالِكِينَ جَوَامِحُ<sup>(١٤)</sup>  
فَلِإِنْ زِيَارَاتِ الْكَرَى لِمَوَانِحِ  
وَتَغَبَّتْ فِيهَا بِالنَّفُوسِ الطَّوَامِحُ<sup>(١٧)</sup>  
هَمُومٌ أَثَارَتُهَا الشُّجُونُ فَوَادِحُ  
أَرَدَّدُهَا وَالْعُذْرُ مِنِّي وَاضِحُ  
تُبَلِّغُهَا عَنِّي الرِّيحُ الْوَوَافِحُ<sup>(٢٠)</sup>  
وَقَدْ أَسْلَمَتْهُ فِي يَدَيْهِ الْجَوَانِحُ

(١) في الكتيبة: «فانقطعْتُ».

(٣) في الأصل: «تجاذب ذكري أحاديث لم أزل» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة.

(٤) في الأصل: «مني» والتصويب من الكتيبة. (٥) في الكتيبة: «الجوانح».

(٦) في الكتيبة: «وكم».

(٧) في الأصل: «يشقى» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة.

(٨) في الكتيبة: «الأحلام كل مؤمل».

(١٠) الشجر: من تَجَرَّ يَتَجَرَّ تَجَرًّا وتجارة أي باع وشرى. لسان العرب (تجر).

(١١) في الكتيبة: «مضض».

(١٣) في الكتيبة: «وسباب».

(١٥) في الأصل: «للكرى» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة.

(١٦) في الأصل: «يقرن» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة.

(١٧) في الأصل: «للنفوس الطوايح» والتصويب من الكتيبة.

(١٨) في الكتيبة: «أقبلت».

(١٩) في الكتيبة: «البعاد».

(٢٠) في الكتيبة: «النوافح».



وفاته: قال شيخنا أبو بكر بن شبرين: توفي بسجلماسة في صفر عام ستة عشر وسبعمائة.

### محمد بن محمد بن عبد الله بن مقاتل<sup>(١)</sup>

من أهل مالقة، يكنى أبا بكر.

حاله: من كتاب الإكليل: نابغة<sup>(٢)</sup> مالقية، وخلف وبقية، ومغربي الوطن، أخلاقه مشرقية. أزمع الرحيل إلى المشرق، مع اخضرار العود وسواد المفرق<sup>(٣)</sup>، فلما توسطت السفينة اللجج، وقارعت الثجج<sup>(٤)</sup>، مال<sup>(٥)</sup> عليها البحر فسقاها كأس الحمام، وأولدها قبل التمام، وكان فيمن اشتملت عليه أعوادها، وانضم على نوره سوادها، جملة<sup>(٦)</sup> من الطلبة والأدباء، وأبناء السراة الحسباء، أصبح كل منهم مطيعا، لداعي الردى وسميعا، وأحيا فرادى وماتوا جميعا، فأجروا الدموع حزنا، وأرسلوا العبرات عليهم مژنا. وكان<sup>(٧)</sup> البحر لما طمس سبل<sup>(٨)</sup> خلاصهم وسدّها، وأحال<sup>(٩)</sup> هضبة سفينتهم وهذها، غار على نفوسهم النفيسة واستردها<sup>(١٠)</sup>. والفقير أبو بكر مع إكثاره، وانقياد نظامه ونثاره، لم أظفر من أدبه إلا بالقليل النافه، بعد وداعه وانصرافه.

فمن ذلك قوله وقد أبصر فتى عائرا<sup>(١١)</sup>: [الكامل]

ومُهْفَهَفٍ هَافِيِ المَعَاظِ أَخَوْرُ      فَصَحَتْ أَشْعَةُ نَوْرِهِ الأَقْمَارِ  
زَلْتُ لَهُ قَدَمٌ فَأَصْبَحَ عَائِرًا      بَيْنَ الأَنَامِ لَعَا<sup>(١٢)</sup> لِذَاكَ عِشَارِ  
لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ مَا يَكُونُ فَرَشْتُ فِي      ذَاكَ المَكَانِ الخَدَّ والأَشْفَارِ<sup>(١٣)</sup>

(١) ترجمة ابن مقاتل في الدرر الكامنة (ج ٤ ص ٣١٣) ونفع الطيب (ج ٨ ص ٣٧١).

(٢) النص في نفع الطيب (ج ٨ ص ٣٧١).

(٣) اخضرار العود وسواد المفرق: كناية عن الشباب.

(٤) الثجج: الموج. لسان العرب (ثجج). (٥) في النفع: «هال».

(٦) في النفع: «من جملة». (٧) في الأصل: «وكان» والتصويب من النفع.

(٨) في النفع: «سبل». (٩) في النفع: «وأهال».

(١٠) في النفع: «فاستردها».

(١١) هذه المقطوعة في نفع الطيب (ج ٨ ص ٣٧١).

(١٢) لعا: كلمة دعاء لمن عثر، ومعناها: أنعشه الله.

(١٣) الأشفار: أهداب العيون. لسان العرب (شفر).

وقال متغزلًا<sup>(١)</sup>: [الطويل]

أيا لبني الرِّفَاءِ تنضي طبائهم      جُفَوْنَ ظُبَاهُم والفؤادُ<sup>(٢)</sup> كليم  
لقد قَطَعَ الأحشاءَ منهم مهفهفٌ      له التَّبَرُّ خَدُّ واللُّجَيْنُ أديم  
يُسَدُّ إذ يرمي قسيَّ حواجبٍ      وَأَسْهُمُهَا مِنْ مَقْلَتِيهِ تسومُ  
وتُسْقِمَنِي عيناه وهي سقيمةٌ      ومن عَجَبٍ سُقِّمَ جناه سقيمُ  
ويَذْبُلُ جسمي في هواه صَبَابَةٌ      وفي وَضْلِهِ للعاشقين نعيمُ

وفاته: توفي في حدود أخريات عام تسعة وثلاثين وسبعمائة غريقًا بأحواز الغبطة من ساحل ألمرية.

### محمد بن أحمد بن أحمد بن صفوان القيسي

ولد الشيخ أبي الطاهر، من أهل مالقة.

من كتاب الإكليل: نبيل فطن، متحرك ذهن، كان أبوه، رحمه الله، يتبرم بجдалه، ويخشى مواقع رَشَقِ نباله، ويُسَيِّمُ بَارِقُ الاعتراض في سؤاله، فيشفق من اختلال خلاله، إذ طريقه إنما هي أذواق لا تشرح، وأسرار لا تفضح. وكان ممن اخترم، وجُدَّ حَبْلُ أمله وضرم، فأقلَّ عقب أبيه، وكان له أدب يخوض فيه.

فمن ذلك، وقد أبصر فتى وسيما على ريحانه: [البسيط]

بدرٌ تجلَى على غصن من الآس      يُبْري وَيُسْقِمُ فهو المُمرِضُ الآسي  
عادى المنازل إلَّا القلب منزلة      فما له وجميع الناس من ناس

وقال:

يا عالمًا بالسُّرِّ والجَّهْرِ      وملجأى في العُسرِ واليُسْرِ  
جُدْ لي بما أَمْلَئْتَهُ منك      مولاي<sup>(٣)</sup> واجبِزْ بالرُّضا كَسْري

وفاته: في عام خمسة وسبعمائة.

### محمد بن محمد بن عبد الواحد بن محمد البلوي<sup>(٤)</sup>

من أهل ألمرية، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بنسبه، وقد مرَّ ذكر أبيه في العُمال.

(١) المقطوعة في نفح الطيب (ج ٨ ص ٣٧١ - ٣٧٢).

(٢) في النفح: «الفؤاد». (٣) في الأصل: «يا مولاي» وكذا ينكسر الوزن.

(٤) ترجمة البلوي في نفح الطيب (ج ٨ ص ١٩٧).

حاله: هذا<sup>(١)</sup> الرجل من أبناء النعم، وذوي البيوتات، كثير السكون والحياء، آل به ذلك أخيراً للوثة<sup>(٢)</sup> لم يستفق منها، لطف الله به. حسن الخط، مطبوع الأدب، سيال الطبع، معينه. وناب عن بعض القضاة، وهو الآن رهين ما ذكر، يتمنى أهله وفاته<sup>(٣)</sup>، والله ولي المعافاة بفضل<sup>(٤)</sup>.

وجرى ذكره في الإكليل بما نصه<sup>(٥)</sup>: من أولي الخلال<sup>(٦)</sup> البارة والخصال، خطأ رائقاً، ونظماً بمثله لائقاً، ودعابة يسترها تجهم<sup>(٧)</sup>، وسكوتاً<sup>(٨)</sup> في طيه إدراك وتفهم. غني بالرواية<sup>(٩)</sup> والتقيد، ومال في النظم إلى بعض التوليد، وله أصالة ثبتت<sup>(١٠)</sup> في السزو عروفتها، وتألفت في سماء المجادة بروفتها، وتصرف بين النيابة في الأحكام الشرعية، وبين الشهادات العملية<sup>(١١)</sup> المرعية.

شعره: ومن شعره فيما خاطبني به، مهنئاً في إعذار أولادي، أسعدهم الله، افتتح ذلك بأن قال:

قال يعتذر عن خدمة الإعذار، ويصل المدح والثناء على بُعد الدار، وذلك بتاريخ الوسط من شعبان في عام تسعة وأربعين وسبعمائة<sup>(١٢)</sup>: [الكامل]

لا عذر لي عن خدمة الإعذار<sup>(١٣)</sup> ولئن نأى وطني وشط مزار  
أو عاقني عنه الزمان وصرفه تقضي الأماني<sup>(١٤)</sup> عادة الأعصار  
قد كنت أربى أن أفوز<sup>(١٥)</sup> بخدمتي وأحط رخلي<sup>(١٦)</sup> عند باب الدار  
بادي<sup>(١٧)</sup> المسرة بالصنيع<sup>(١٨)</sup> وأهله متشمرًا فيه بفضل إزاري<sup>(١٩)</sup>

(١) النص في نفح الطيب (ج ٨ ص ١٩٧).

(٢) في النفح: «إلى لوثة». واللوث: اختلاط في العقل يشبه الجنون. لسان العرب (لوث).

(٣) في النفح: «موته».

(٤) كلمة «بفضله» غير واردة في النفح.

(٥) النص في نفح الطيب (ج ٨ ص ١٩٨).

(٦) في النفح: «الاتصال».

(٧) في النفح: «وسكوتاً».

(٨) في النفح: «بالدراية».

(٩) في النفح: «نبتت».

(١٠) القصيدة في نفح الطيب (ج ٨ ص ١٩٦ - ١٩٧).

(١١) الإعذار: طعام يتخذ لسرور حادث. لسان العرب (عذر).

(١٢) في الأصل: «وإن» والتصويب من النفح.

(١٣) في الأصل: «نقض الأمان» والتصويب من النفح.

(١٤) في الأصل: «أفوت».

(١٥) في الأصل: «باب» والتصويب من النفح.

(١٦) في الأصل: «بالضبع» وكذا لا يستقيم المعنى.

(١٧) في الأصل: «إزار» بدون ياء، والتصويب من النفح.

من شاء أن يلقى الزمانَ وأهله  
فليأتِ حَيَّ ابن الخطيب مُلَبِّيا  
كم ضَمَّ من صَيِّدٍ<sup>(٢)</sup> كرامَ فَضْلُهُمْ<sup>(٣)</sup>  
إنْ جثَّتْ نادِيَهُ قُتْبٌ<sup>(٤)</sup> عَنِّي وَقُلْنَ  
يا من له الشرفُ القديم ومن له الـ  
يُهنِيكَ ما قد نِلْتَ من أَمَلٍ به  
تَجْلَاكَ قُطْبًا كُلَّ تَجَرٍ<sup>(٦)</sup> باذخ  
عبد الإله وصنوه قمرُ العلا  
ناهيك من قمرين في أفق العلا  
زاكي الأرومة<sup>(٩)</sup> مُغَرِّقٌ<sup>(١٠)</sup> في مجده  
رَقَّتْ طبائعه وراق جماله  
وَحَلَّتْ<sup>(١١)</sup> شمائلُ حُسْنِهِ فكأنما  
فإذا تكلَّم قُلْتَ طَلَّ<sup>(١٢)</sup> ساقِطٌ  
أو قَتَّ مِنْكَ الحبر<sup>(١٣)</sup> في قرطاسه  
تتبسَّم<sup>(١٥)</sup> الأقلامُ بين بنانه  
فتخالُ من تلك البنان كمائما  
تلقاه فيأض الندى مُتهلِّلا

ويرى جلا الإشعاع في الأفكار<sup>(١)</sup>  
فيفوزُ بالإعظام والإكبار  
يسمو ويعلو في ذوي الأقدار  
نَلْتَ المنى بتلطّف ووقار  
حَسَبَ الصمِيمِ العِدُّ يومَ فخار  
في الفرقدَيْنِ الثَّيْرَيْنِ لساري<sup>(٥)</sup>  
أَمَلانِ مَرْجُوَانٍ في الإغسار<sup>(٧)</sup>  
فرعانٍ مِنْ أَصْلٍ زَكَا ونجار<sup>(٨)</sup>  
يُنْمِيهِما نورٌ من الأنوار  
جَمُّ الفضائل طَيِّبُ الأخبار  
فكأنما خُلِقا من الأزهار  
خلعت عليه رقة الأسحار  
أو وَقَعُ دُرٌّ مِنْ نُحُورِ جَواري  
بالروض<sup>(١٤)</sup> غَبَّ الواكف المِذار  
فتريكَ نظمَ الدرِّ في الأسطار<sup>(١٦)</sup>  
ظَلَّتْ<sup>(١٧)</sup> تُفَتِّحُ ناضِرَ الثَّوار  
يلقاك بالبشرى والاستبشار

- (١) في النفع: ويرى جلاّ شاع في الأفطار. (٢) في الأصل: «جيد» والتصويب من النفع.  
(٣) في النفع: «قَدَرُهُمْ».  
(٤) في الأصل: «إذ حيث ناديه فقف...» والتصويب من النفع.  
(٥) في الأصل: «يسار» والتصويب من النفع. (٦) في النفع: «مَجْدٍ».  
(٧) في الأصل: «الاعتبار» والتصويب من النفع.  
(٨) في الأصل: «وبحار» والتصويب من النفع. والنجار: الأصل. لسان العرب (نجر).  
(٩) الأرومة: أصل الشجرة ويستعار للحسب. محيط المحيط (أرم).  
(١٠) في الأصل: «مغرق» والتصويب من النفع.  
(١١) في الأصل: «وَحَلَّتْ»، وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفع.  
(١٢) في الأصل: «ظلّ» والتصويب من النفع. (١٣) في النفع: «حبر المسك».  
(١٤) في النفع: «فالروض».  
(١٥) في الأصل: «تَسَمُّ» والتصويب من النفع.  
(١٦) في النفع: «الأمطار».  
(١٧) في الأصل: «كأنما نهلت...» والتصويب من النفع.

بحرُ البلاغة قُسُها وأياؤها  
 إن ناظرَ العلماءَ فهو إمامُهم  
 أزيى على العلماء بالصيت الذي  
 ما ضره إن لم يجيء متقدماً  
 إن كان أخره الزمان لحكمة  
 الشمس تُخجِبُ وهي أعظمُ نير<sup>(٤)</sup>  
 يا ابن الخطيب خطبُها لعلاكم  
 جاءتك من خجل على قدم الحيا  
 وأنت<sup>(٥)</sup> تؤذي بعض حق واجب  
 مدّت يد التطفيل نحو علاكم  
 فابذل لها في التقد صفحك إنها  
 لا زلت في دعة وعز دائم  
 ومن السلطانيات قوله من قصيدة نسيها: [الطويل]

تَبَسَّمَ نَغَرَ الدهر في القُضْب المُلْد  
 ونَبِهَ وَقَعَ الطَّلَ الحَاظ نرجس  
 وثمَّ لَسِبِر<sup>(١٤)</sup> الروض في مسكة الدُجى  
 وغطى ظلام الليل حُمرَة أفقه  
 ويات قلوبُ الشُّهْب تخفق رقة  
 وأهمى عليه الغيم أجفان مُشفق  
 فأذكى الحياء<sup>(١٢)</sup> خَجَلَة وَجَنَة الوَزْد  
 فمال إلى الوَسْنان، عاد إلى الشَّهْد<sup>(١٣)</sup>  
 نسيم شذا الخير كالْمَسْك والْتَد  
 كما دار مُسَوْد العِذار على الحَد  
 لما حَلَّ بالمشتاق من لَوعة الوَجْد  
 يُذَكِّرُه<sup>(١٥)</sup> فاستمطرَ الدَّمْع للخذ

(١) في النفع: «خَبَّرَ من الأخبار».

(٢) في الأصل: «الْبَيْتُ» والتصويب من النفع.

(٣) في الأصل: «وَأَنْتَ» والتصويب من النفع.

(٤) في الأصل: «الإمكان والأفكار» والتصويب من النفع.

(٥) في الأصل: «فَتَوَشَّحْتَ» والتصويب من النفع.

(٦) في النفع: «حَلَيْكُم».

(٧) في الأصل: «شكوى التقصير..» وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفع.

(٨) تَتَرَى: متتابعة. محيط المحيط (تري).

(٩) في الأصل: «الأعصار» والتصويب من النفع. (١٢) في الأصل: «الحيا»، وكذا ينكسر الوزن.

(١٣) في الأصل: «فمال الوسنان وعاد إلى الشهد» وكذا ينكسر الوزن.

(١٤) في الأصل: «سبر» وكذا ينكسر الوزن. (١٥) في الأصل: «بذكره» وكذا يختل الوزن.

ومنها:

كَأَنَّ<sup>(١)</sup> لَمْ أَقِفْ فِي الْحَيِّ وَفَقَّةَ عَاشِقٍ  
وَنَادَيْتُ حَادِي الْعَيْسِ عَرَجٌ لِعَلَّنِي  
فَقَالَ أَتَشُدُّ يَا صَالِحَ مَا لَكَ مَلْجَأً  
وَمِمَّا خَاطَبَنِي بِهِ قَوْلُهُ: [الخفيف]

عَلَّلُونِي وَلَوْ بِوَعْدِ مُحَالٍ  
وَاعْلَمُوا أَنَّنِي أَسِيرُ هَوَاكُمُ  
فَدَمُوعِي مِنْ بَيْنِكُمْ فِي انْسِكَابٍ  
يَا أَهْيَلُ الْحِمَى كَفَانِي غَرَامِي  
مَنْ مُجِيرِي مَنْ لَخِظَ رِيْمُ ظُلُومٍ  
نَاعَسُ الطَّرْفُ أَسْمَرَ الْجَفْنَ مِنِّي  
بَابِلِي اللَّحَاطُ أَضْمَى فَوَّادِهِ  
وَكَسَا الْجِسْمُ مِنْ هَوَاهُ نُحُولًا  
مَا ابْتَدَأَ فِي الْوَصَالِ يَوْمًا بِعُطْفٍ  
لَيْسَ لِي مِنْهُ فِي الْهَوَى مِنْ مُخْبِرٍ  
عِلْمُ الدِّينِ عَزُّهُ وَسَنَاهُ  
هُوَ غَيْثُ النَّدَى وَبَخْرُ الْعَطَايَا  
إِنْ وَشَى فِي الرِّقَاعِ بِالنَّقْشِ قُلْنَا  
أَوْ دَجَا الْخُطْبَ فَهُوَ فِيهِ شِهَابُ  
أَوْ يَتْنِي الْعَضْبُ فَهُوَ فِي الْأَمْنِ مَاضٍ  
لَسْتُ تَلْقَى مِثَالَهُ فِي زَمَانٍ  
قَدْ نَأَى حَبِّي مَا<sup>(١٠)</sup> لَهُ عَنْ دِيَارِي

وَجَلُّونِي وَلَوْ بِطَيِّفِ خِيَالٍ  
لَسْتُ أَنْفَكُ إِنَّمَا<sup>(٣)</sup> عَنْ عِقَالٍ  
وَفَوَّادِي مِنْ سَحَرِكُمْ فِي اشْتِغَالٍ  
حَسْبِي<sup>(٤)</sup> مَا قَدْ جَزَّ...<sup>(٥)</sup> أَلِ  
حَلَّلَ الْهَجَرَ بَعْدَ طَيِّبِ الْوَصَالِ  
طَالَ مِنْهُ الْجَوَى بِطُولِ اللَّيَالِي<sup>(٦)</sup>  
وَرَمَاهُ مِنْ غُنْجِهِ بِنَبَالٍ  
قَضَدَهُ فِي الثَّوَى بِذَاكَ النِّحَالِ  
مُذْ رَوَى فِي الْغَرَامِ بَابَ اشْتِغَالٍ  
غَيْرُ تَاجِ الْعُلَا وَقُطْبِ الْكَمَالِ  
يَزْوَةَ الْمَجْدِ بَذُرَ أَفْقِ الْجَلَالِ  
هُوَ شَمْسُ الْهَدَى فَرِيدُ الْمَعَالِي<sup>(٧)</sup>  
صَفْحَةُ الطُّرُسِ حُلَيْتُ بِاللَّالِي<sup>(٨)</sup>  
رَايَةُ الصَّبْحِ فِي ظِلَالِ<sup>(٩)</sup> الضَّلَالِ  
صَادَقَ الْعِزْمَ ضَيْقُ الْمَجَالِ  
جَلَّ فِي الدُّهْرِ يَا أَخِي عَنْ مِثَالِ  
لَا لِيَجْذُوِي وَلَا لِنَيْلِ نَوَالِ

- (١) في الأصل: «كَأَنِّي» وكذا ينكسر الوزن.  
(٣) في الأصل: «إِلَّا» وكذا ينكسر الوزن.  
(٤) في الأصل: «حَسْبِي بِمَا» وكذا ينكسر الوزن.  
(٥) بياض في الأصل.  
(٦) في الأصل: «اللَّيَالِ» بدون ياء.  
(٧) في الأصل: «الْمَعَالِ» بدون ياء.  
(٨) في الأصل: «بِاللَّالِ» بدون ياء.  
(٩) في الأصل: «ظِلَالِ» وكذا ينكسر الوزن.  
(١٠) كلمة «مَا» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها ليستقيم المعنى والوزن معًا.

لكنِ اشْتَقْتُ أن أرى منه وجهًا      نُورُهُ فاضحٌ لنورِ الهلالِ  
وكما هَمْتُ فيه أَلِثْمَ كَفَا      قد أنثُ بالنُّوالِ قبل السؤالِ  
سألُ<sup>(١)</sup> ابنَ الخطيبِ عُدْرًا أجابت      تَلِيْمُ الثُّغَلِ قبل شِيسع<sup>(٢)</sup> النعالِ  
وَتَوْفِي حَقَّ الوزارةِ عمن      هو مِلْكٌ لها على كل حالِ

### محمد بن محمد بن الشَّدِيد<sup>(٣)</sup>

من أهل مالقة، يكنى أبا عبد الله.

حاله: ذكر في الإكليل بما نصه<sup>(٤)</sup>: شاعر مُجِيدٌ حَوْكُ الكلام، ولا يَقْصُرُ فيه عن درجة الأعلام. رحل إلى الحجاز لأوّل أمره فطال بالبلاد المشرقية ثَوَاؤه، وعُمِيَتْ أنبأؤه، وعلى هذا العهد وقفت له على قصيدة بخطه غرضها نبيل، ومرعاها غير وبيل، تدلّ على نَفْسٍ ونَفْسٍ، وإضاءة قَبَسٍ، وهي: [الوافر]

لنا في كلِّ مَكْرَمَةٍ مَقَامٌ      ومن فوقِ النجومِ لنا مَقَامٌ  
رَوِينَا من مياهِ المَجْدِ لَمَّا      وَرَدْنَاهَا وقد كَثُرَ الزحامُ  
ومنها:

فنحن هُمُ وَقُلْ لي مَنْ سوانا      لنا التَّقْدِيمُ قُدَمًا والكلامُ  
لنا الأيدي الطَّوَالُ بكلِّ ضرب<sup>(٥)</sup>      يُهَزُّ به لدى الروعِ الحُسامُ  
ونحن الألبسون لكلِّ دِزَعٍ      يصيبُ السُّمُرُ<sup>(٦)</sup> منهم انْثِلاَمُ  
بأنْدلسٍ لنا أيامُ حربٍ      مَوَاقِفُهُنَّ في الدنيا عظامُ  
ثَوَى<sup>(٧)</sup> منها قلوبُ الرُّومِ خوفًا<sup>(٨)</sup>      يُخَوِّفُ منه في المَهْدِ الغلامُ  
حَمِينَا جانبَ الدينِ احتسابًا      فها هو لا يُهانُ ولا يُضامُ  
وتحت الرايةِ الحمراء مئًا      كَتَائِبُ لا تُطَاق ولا تُرامُ  
بنو نُضْرٍ وما أدراك ما هم      أَسْوَدُ الحربِ والقومُ الكرامُ

(١) في الأصل: «سألها» وكذا ينكسر الوزن.

(٢) الشُّسْع: قِبال الثُّغَل. محيط المحيط (شسع).

(٣) ترجمة ابن الشدید في نفح الطيب (ج ٨ ص ٣٧٢).

(٤) النص مع القصيدة في نفح الطيب (ج ٨ ص ٣٧٢ - ٣٧٣).

(٥) في النسخ: «صَوْب».

(٦) في الأصل: «الشُّمُس» والتصويب من النفع؛ لأن كلمة «السُّمُر» أنسب للمعنى.

(٧) ثوى: أقام. لسان العرب (ثوى). (٨) في النسخ: «خوف».

لهم في حربهم فَتَكَاتُ عمرو  
 يقول: عُدَاتُهُمْ مَهْمَا أَلُمُوا  
 إذا شرعوا الْأَسِنَّةَ يَوْمَ حَرْبٍ  
 كأن رماحهم فيها نجومٌ  
 أناسٌ تُخْلِفُ الأيامُ مَينَتَا  
 رأينا من أبي الحجاج شخصًا  
 مَوْقَى العِزِّصِ محمودُ السجايا  
 يَجُولُ بذهنه في كلِّ شيءٍ  
 قَويمُ الرأي في ثَوْبِ الليالي  
 له في كلِّ معضلةٍ مَضَاءٌ  
 رؤوفٌ قَادِرٌ يُغْضِي ويعفو  
 تطوفُ ببيتِ سُؤْدُوهِ القوافي  
 وتسجدُ في مَقَامِ علاهُ شُكْرًا  
 أَفَارِسَهَا إذا ما الْحَرْبُ أَخْتَتْ<sup>(١)</sup>  
 وممطرها إذا ما السُّحْبُ كَفَّتْ  
 لك الذُكْرُ الجميلُ بكلِّ قطِرٍ  
 لقد جُبِنَا<sup>(٢)</sup> البلادَ فحيث سِرْنَا  
 فَضَلَّتْ ملوكها شرقًا وغربًا  
 فَأَنْتَ لكلِّ مَغْلُوءَةٍ مَدَارٌ  
 جَعَلْتَ بلادَ أندلس إذا ما  
 مكانٌ أَنْتَ فيه مكانٌ عَزٌّ  
 وَهَبْتُكَ مِنْ بَنَاتِ الفكرِ بِكْرًا  
 فَتَرَهُ طَرَفَ مجدك في حُلاها

فللأعمارِ عِنْدَهُمْ انصرامٌ  
 أتونا ما من الموت اعتصامٌ  
 فَحَقَّقْ أَنَّ ذاك هو الْجِمَامُ  
 إذا ما أَشْبَهَ الليلَ الغمامُ<sup>(١)</sup>  
 بحيٍّ مِنْهُمْ فلهم دَوامٌ  
 على تلك الصفات له قِيَامٌ  
 كَرِيمُ الْكَفِّ مِقْدَامٌ هَمَامٌ  
 فيدركه وإن عَزَّ الْمَرَامُ  
 إذا ما الرَّأْيُ فارقه القوامُ  
 مَضَاءُ الْكَفِّ ساعده<sup>(٢)</sup> الْحُسَامُ  
 وإن عَظُمَ اجْتِنَاءٌ واجترامُ  
 كما قد طاف بالبيت الأنامُ  
 ونعمَ الرُّكْنُ ذلك والمقامُ  
 على أبطالها ودنا الْجِمَامُ  
 وَكَفَّ أَخِي الندى أَبَدًا غَمَامُ  
 لك الشرفُ الأصيلُ المُسْتَدَامُ  
 رأينا أَنَّ مُلْكَكَ لَا يُرامُ  
 وبَتْ لملكها يَقْظًا ونامُوا<sup>(٥)</sup>  
 وَأَنْتَ لكلِّ مَكْرَمَةٍ إِمَامُ  
 دُكِرْتَ تغارُ مَضْرُ والشَّامُ  
 وأوطانٌ حَلَلَتْ بها كرامُ  
 لها من حُسْنِ لِقْيَاكَ ابتسامُ  
 فللمجدِ الأصيلِ بها اهتمامُ

(١) في النسخ: «القتام».

(٢) أَخْتَتْ على أبطالها: أتت عليهم وأهلكتهم. لسان العرب (خنا).

(٤) في الأصل: «جينا» والتصويب من النسخ. (٥) في الأصل: «ونام» والتصويب من النسخ.



## محمد بن مسعود بن خالصة بن فرج بن مجاهد ابن أبي الخصال الغافقي<sup>(١)</sup>

الإمام البليغ، المحدث الحجة، يكنى أبا عبد الله. أصله من فزغليط من شقورة، من كورة جيان، وسكن قرطبة وغرناطة.

حاله: قال ابن الزبير عند ذكره: ذو الوزارتين، أبو عبد الله بن أبي الخصال. كان من أهل المعارف الجمة، والإتقان لصناعة الحديث، والمعرفة برجاله، والتقيد لغريبه، وإتقان ضبطه، والمعرفة بالعربية واللغة والأدب، والنسب والتاريخ، متقدماً في ذلك كله. وأما الكتابة والنظم، فهو إمامهما المتفق عليه، والمتحاكم فيهما إليه.

ولما ذكره أبو القاسم الملاحى بنحو ذلك قال: لم يكن في عصره مثله، مع دين وفضل وورع.

قال أبو عمرو ابن الإمام الإسني في سبط الجمان، لما ذكره: البحر الذي لا يُمَاتح ولا يُشاطر، والغيث الذي لا يُساجل ولا يُقاطر، والروض الذي لا يُفاح ولا يُعاطر، والطود الذي لا يزاحم ولا يخاطر، الذي جمع أشتات المحاسن، على ماء غير ملح ولا آسن؛ وكثرت فواضله، فأمنت الممائل والمُحاسن، الذي قُصرت البلاغة على مَحْتده، وألقيت أزمة الفصاحة في يده، وتشرفت الخطابة والكتابة باعتزازهما إليه، فنثّل كِنانتها، وأرسل كمائنهما، وأوضح أسرارها ودفائنهما، فحسب الماهر التحرير، وأنجهذ العلامة البصير إذا أبدع في كلامه، وأبْنع في روض الإجابة نثاره ونظامه، وطالت قنَى الخطيئة الذبل أقلامه، أن يستنير بأنواره، ويقتضي بعض مناهجه وآثاره، وينثر على أثوابه مسك غباره، وليعلم كيف يتفاضل الخبر والإنشاء، ويتلو إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء.

وعضه العقور أبو نصر في قلائده، حيث قال<sup>(٢)</sup>: «هو وإن كان حامل المنشأ نازله، لم يُنزل المجد منازل، ولا فرّع للعلاء هضاباً، ولا ارتشف للسنا رضاباً، فقد تميّز بنفسه، وتحيّز من أبناء<sup>(٣)</sup> جنسه، وظهر بذاته، وفخر بأدواته».

(١) يكنى ابن أبي الخصال أبا عبد الله، وترجمته في المعجب (ص ٢٣٧، ٢٤٠) والذخيرة (ق ٣ ص ٧٨٦) وقلائد العقيان (ص ١٧٤) والمطرب (ص ١٨٧) وبغية الملتبس (ص ١٣١) والصلة (ص ٨٥٤) ورايات المبرزين (ص ١٨٨) والمعجم في أصحاب القاضي الصدفي (ص ١٥٢) والمغرب (ج ٢ ص ٦٦) والمقتطف من أزاهر الطرف (ص ٨٧، ٨٩) وبغية الوعاة (ص ١٠٤).

(٢) كلمة «أبناء» ساقطة في القلائد.

(٣) قلائد العقيان (ص ١٧٤).

مشيخته: قال الأستاذ أبو جعفر بن الزبير في الصلة<sup>(١)</sup>: روى عن الغساني، والصدفي، وأبي الحسن بن الباذش، وأبي عمران بن تلید، وأبي بحر الأسدي، وأبي عبد الله الثَّقَفي، وجماعة غيرهم.

توالياً: قال الأستاذ: وأما كتبه وشعره وتوالياً الأدبية، فكل ذلك مشهور، متداول بأيدي الناس، وقل من يعلم بعده، أن يجتمع له مثله، رحمه الله.

من روى عنه: روى عنه ابن بشكوال، وابن حبیش، وابن مضاء وغيرهم، وكل ذلك ذكره في رحاله، وهو أعرف بتقدمه في احتفاله.

شعره: وله شعر كثير، فمن إخوانياته ما خاطب به أبا إسحق بن خفاجة:

[الكامل]

يُذهبن الهوى بجناحه الخفاق	هَبَّ النسيم هبوب ذي إشفاق
باحث لها سرائر العشاق	وكانما صُبْحُ الغصونِ بَنَشْوَة
لعب الغرامُ بمهجة المشتاق	وإذا تلاعبت الرياحُ بباذه
لم يبق من تلك الصُّبابَة باق	مَهْ يا نسيمُ فقد كَبُرَتْ عن الصُّبا
أنا قد أَذْنُتُ <sup>(٢)</sup> مفارقي بفراق	إِنْ كُنْتُ ذاكَ فلست ذاكَ ولا
والموت في نظري وفي استنشاق	ولقد عَهِدْتُ سُرَّاءَ من عُدَدِ الهوى
قَرَّبْتُه هَذِيًّا <sup>(٣)</sup> إلى أشواق <sup>(٤)</sup>	أيام لو عَنَّ السُّلُوَ لخاطري
والأمنُ ظِلِّي والشبابُ رواق <sup>(٥)</sup>	الهوى إلْفِي والبطالة مَزَكْبِي
ضِيْزِي <sup>(٦)</sup> لأن السكر من أخلاق <sup>(٧)</sup>	في حيث قُسِمَتِ المُدَامَة قسمة
ولذاك قام السكر باستحقاق	لا ذنب للصُّهْبَاءِ أني غاصب
من بعدها انبَسَطَتْ يمينُ السَّاقِي	ولقد صَدَدْتُ الكأسَ فانقبضت بها
هامت بها الوُسْطَى من الأعلاق	وتركتُ في وسط التَّدَامِي خَلَّة
أنى أدين اللهو دين نفاق	فاستَسْرِفُونِي مُذْكَرِينَ وعندهم
سَدِكت يد الملسوع منه براق	وحَبَابُهَا ثَقَّتِ الحباب وربما

(١) المراد «صلة الصلة». (٢) في الأصل: «أذنتك» وهكذا ينكسر الوزن.

(٣) الهذِي: ما يُهْدَى إلى الحَرَمِ من التَّعَم. لسان العرب (هدى).

(٤) في الأصل: «أشواق». (٥) في الأصل: «رواق».

(٦) القسمة الضيْزِي: الناقصة الجائرة. محيط المحيط (ضاز).

(٧) في الأصل: «من أخلاق».

وكانه لما توقّر فوقها<sup>(١)</sup> نورٌ تجسّم من ندى الأحداق  
لو بارح نَفَح الثّوى في روضة فأنارها وسرى عن الأحداق  
ولقد جَلّوا والله يذراً كيدهم فثّانة الأوصاف والأعراق  
أغوى بها إبليس قذماً آدم<sup>(٢)</sup> والسّر يُزْمى في هواها الباقي<sup>(٣)</sup>  
تالله أصرف نحوها وجَدَ الرضا لو شغّشت برضا أبي إسحق  
ومن نسيه<sup>(٤)</sup>: [المنسرح]

وليلة عَنبريّة الأفق رَوَيْتُ فيها السرورَ من طُرق  
وكنّت حَرَآنَ فاقتدختُ بها نارًا من الرّاح برَدَتْ حُرقي<sup>(٥)</sup>  
وافت<sup>(٦)</sup> بها<sup>(٧)</sup> عاطلاً وقد لَبَسَتْ غلالةً فُصِّلَتْ من الحَدَقِ  
فاجأ<sup>(٨)</sup> بها الدهرُ من بنيه دُجى<sup>(٩)</sup> لقيته كالإصباح في نَسَقِ<sup>(١٠)</sup>  
قامتُ لنا في المقام أَوْجُهُهُم وراخُهُم بالنجوم والشَّفَقِ  
وأطلع<sup>(١١)</sup> البدر من ذُرَى غُصن تَهْفُو عليه القلوب كالوَرَقِ  
من عبدٍ شمسٍ بدّا سنّاه وهل ذا<sup>(١٢)</sup> النور<sup>(١٣)</sup> إلّا لذلك<sup>(١٤)</sup> الأفقِ  
مَدٌّ بحمراءٍ مِنْ مُدامته بيضاء كَفْ<sup>(١٥)</sup> مِسْكِيَّةَ العَبَقِ  
فخلتها وردة مُنْعَمَة تحمل من سُوسنٍ على طبق

(١) في الأصل: «من فوقها» وكذا ينكسر الوزن. (٢) في الأصل: «آدمًا».

(٣) في الأصل: «وهي السّر يرتمي في هواها الباقي».

(٤) القصيدة في المغرب (ج ٢ ص ٦٧) والذخيرة (ق ٣ ص ٧٩٣).

(٥) في الأصل: «حرق». (٦) في الذخيرة: «خلّت».

(٧) في المصدرين: «بنا».

(٨) في الأصل: «فاجأ» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المغرب. وفي الذخيرة: «فجاءها

الدهر...». وفاجأ: أي: فاجأ، وقد خففها لكي لا ينكسر الوزن.

(٩) في الذخيرة: «هوى».

(١٠) رواية عجز البيت في المصدرين هي: بفتية كالصباح في نسق.

(١١) في المغرب: «وأطلع».

(١٢) في الأصل: «ذاك» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصدرين.

(١٣) في المغرب: «البدر».

(١٤) في الأصل: «لذلك» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصدرين.

(١٥) في الذخيرة: «كفًا».

يَشْرَبُ فِي الرَّاحِ حِينَ يَشْرَبُهَا<sup>(١)</sup> مَا غَادَرْتُ مُقْلَتَاهُ مِنْ رَمَقٍ<sup>(٢)</sup>

وقال<sup>(٣)</sup>: [المنسرح]

يَا حَبِذَا لَيْلَةً لَنَا سَلَفَتْ أَغْرَتْ بِنَفْسِي الْهَوَى وَمَا<sup>(٤)</sup> عَرَفْتُ  
دَارَتْ بِظِلْمَائِهَا الْمُدَامُ فَكَمْ نَزَجِسَةٍ مِنْ بِنَفْسِجٍ قُطِفَتْ  
وقال فِي مُعَنَّ زَارٍ، بَعْدَهُ أَغْبَ وَشَطَّ الْمَزَارُ<sup>(٥)</sup>: [الكامل]

وَافَى وَقَدْ عَظُمَتْ عَلَيَّ ذُنُوبُهُ فِي غَيْبَةٍ قَبُحَتْ بِهَا آثَارُهُ  
فَمَحَا إِسَاءَتَهُ لَنَا<sup>(٦)</sup> إِحْسَانُهُ وَاسْتَغْفَرَتْ لَذُنُوبِهِ أَوْتَارُهُ  
وقال يَعْتَذِرُ عَنْ اسْتِبْطَاءِ مُكَاتَبَةٍ<sup>(٧)</sup>: [الطويل]

أَلَمْ تَعْلَمُوا<sup>(٨)</sup> وَالْقَلْبُ رَهْنٌ لَدَيْكُمْ يَخْبِرُكُمْ<sup>(٩)</sup> عَنِّي بِمُضْجِرِهِ<sup>(١٠)</sup> بَغْدِي؟  
فَلَوْ<sup>(١١)</sup> قَلْبُنِي<sup>(١٢)</sup> الْحَادِثَاتُ مَكَانَكُمْ لَأَنْهَبْتُهَا وَفَرِي وَأَوْطَأْتُهَا<sup>(١٣)</sup> خَدِّي  
أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنِّي وَأَهْلِي وَوَاحِدٌ<sup>(١٤)</sup> فِدَاءُ<sup>(١٥)</sup> وَلَا أَرْضِي بِتَقْدِيرِهِ<sup>(١٦)</sup> وَخَدِّي؟

ومن قوله فِي غَرَضِ الْمَدْحِ يَخَاطَبُ تَاشِفِينَ بَنَ عَلِيٍّ، وَيَذْكُرُ الْوَقْعَةَ بِكَرْكِي،  
يَقُولُ فِيهَا: [البسيط]

اللَّهُ أَعْطَاكَ فَتَحًا غَيْرَ مَشْتَرَكٍ وَرَدَّ عِزْمَكَ عَنْ قَوْتٍ إِلَى دَرَكٍ

(١) فِي الْأَصْلِ: «نَشَرْتُ... حِينَ نَشَرْتُهَا» وَهَكَذَا يَنْكَسِرُ الْوِزْنُ، وَالتَّصْوِيبُ مِنَ الْمَصْدَرَيْنِ، وَجَاءَ فِي الذَّخِيرَةِ: «بِالرَّاحِ» بَدَلُ: «فِي الرَّاحِ».

(٢) فِي الْمَغْرِبِ: «مِنْ رَمَقِي».

(٣) الْبَيْتَانِ فِي الذَّخِيرَةِ (ق ٣ ص ٧٩٣ - ٧٩٤). وَبَغْيَةُ الْوَعَاةِ (ص ١٠٥).

(٤) فِي الذَّخِيرَةِ: «وَقَدْ».

(٥) الْبَيْتَانِ فِي قَلَائِدِ الْعُقَيَّانِ (ص ١٧٥) وَبَغْيَةُ الْمَلْتَمَسِ (ص ١٣١) وَالْمَطَرِبِ (ص ١٨٧) وَالذَّخِيرَةِ (ق ٣ ص ٧٩٦).

(٦) فِي الذَّخِيرَةِ: «بَنَّا».

(٧) الْأَبْيَاتُ فِي قَلَائِدِ الْعُقَيَّانِ (ص ١٧٧) وَالْمَطَرِبِ (ص ١٨٨) وَالذَّخِيرَةِ (ق ٣ ص ٧٩٧).

(٨) فِي الذَّخِيرَةِ: «أَلَمْ تَسْأَلُوا».

(٩) فِي الذَّخِيرَةِ: «فِيخْبِرُكُمْ».

(١٠) فِي الْمَصَادِرِ: «بِمُضْمَرِهِ».

(١١) فِي الْمَطَرِبِ وَالذَّخِيرَةِ: «قَبْلَتُنِي».

(١٢) فِي الْأَصْلِ: «وَأَوْدَلَاتُهَا». وَالتَّصْوِيبُ مِنَ الْمَصَادِرِ الثَّلَاثَةِ.

(١٣) فِي الْمَصَادِرِ: «وَوَاحِدِي».

(١٤) فِي الْأَصْلِ: «فِدَاءُ» وَهَكَذَا يَنْكَسِرُ الْوِزْنُ، وَالتَّصْوِيبُ مِنَ الْمَصَادِرِ.

(١٥) فِي الْمَطَرِبِ: «بِتَقْدِيمَتِي».

أرسل عِنان جوادٍ أنْتَ راكِبُه  
حتى يصيرَ إلى الحسنَى على ثقة  
قد كان بُغْدُكَ للأعداء مَمْلُكَة  
سارَتْ بك الجُزْدُ<sup>(١)</sup> أو طَارَ الفُضَاءُ<sup>(٢)</sup> بها  
فما تَرَكْتَ كَمِيًّا غير مُنْعَفِر  
ناموا وما نام موتور على حَنَقٍ  
فَصَبَّحَتْهُمْ جنودُ الله باطِشَة  
من كل مُبتدر كالنَّجم مُنْكَدِر  
فطاعنوكم بأرماع وما طَعَنْت  
تَعَجَّلَ الثَّحَرُ فيهم قبل موسمِه  
فالطيرُ عاكفٌ والوحشُ واقِفٌ  
عَدَّتْ على كل عادٍ منهم أُسْرُ  
كلي هنيئًا مريئًا واشكري مَلِكًا  
فلو تَنَضَّدت الهامات إذ نشرت  
أبرح وطالب بباقي الدهر ماضيه  
وكم مضى لك من يومِ بَنَتْ له  
بالثُّغَمُ مُزْتَكَم بالموت مُلْتَمِ  
فحصُ القِباب إلى فحص الصعاب  
وكم على حَبْرٍ محمود وجارته  
وَقُنِيت للصفَر حتى قِيلَ قد غدروا  
فأسلَمْتهم إلى الإسلام عَدَوْتهم  
يا أيها الملك السامي بهِمَّتِه  
ما زلت تُسمعه بُشْرَى وتُطلعه  
بِيَضَتْ وجه أمير المؤمنين بها

واضْمُمْ يديك ودَّعْه في يد المَلِكِ  
يُهدي سبيلك هادٍ غير مُؤْتَعَك  
حتى اسْتَدْرَتْ عليهم كورةُ الفلك  
والحينُ قد قَيَّدَ الأعداء في شَرَكٍ  
ولا تَرُكْتَ نجيعًا غير مُنْسَفَكٍ  
أسدى إذا فرصة ليست<sup>(٣)</sup> من السلك  
والصبح من عَبَرَات الفجر في مُسْكٍ  
تفيض أنفُسهم غيظًا من المَسْكِ  
وضاربوكم بأسياف ولم تَحِكْ  
وقدَّمَ الهَدْيَ منهم كل ذي نُسْكٍ  
قد أثقلتْها لحومُ القوم عن حَرَكٍ  
بُعِثْنَ<sup>(٤)</sup> في حَنْجَرٍ<sup>(٥)</sup> رَحْبٍ وفي حَنَكٍ  
قَرَّتْكَ أسيافه في كل مُغْتَرَكٍ  
بالقاع للغيطان بالنُّبُكِ  
فيوم بَذَرَ أقامه الفَيء في قَدَكِ  
في ماقط برماح الحظِّ مُشْتَبِكِ  
بالبيض مشتمل بالشمر مُخْتَبِكِ  
إلى أزيولة مَداساتٍ إلى السُّككِ  
للرُّوم من مُزْتَكَل غير مُتَرَكِ  
سَمَوْتَ تطلب نصر الله بالدَّرَكِ  
وأذهب السيف ما بالدَّن من حُنَكِ  
إلى رضى الله لا تَعْدَم رضى المَلِكِ  
أخرى كدُر على الأجياد مُنْسَلَكِ  
والأرض من ظُلْمَة الإلحاد في حَلَكِ

(١) الجُزْدُ: جمع أجرد وهو الفرس السباق. محيط المحيط (جرد).

(٢) في الأصل: «الفضاء» وهكذا ينكسر الوزن.

(٣) كلمة «ليست» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها ليستقيم الوزن والمعنى مَعًا.

(٤) في الأصل: «بعثه» وهكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٥) المراد الحنجرة وهي الحلقوم.

فاستشعر الثَّـمِرَ واهتزَّتْ منابِرُهُ      بذكر أَرْوَعٍ للكَفَّارِ مُخْتَنِكَ  
 فأخْلَدَكَ ولَمَنْ والاك طاعته      خُلُودَ بِرٍّ بتَقْوَى الله مُمْتَسِكَ  
 وافيتَ والغَيْثُ زَاخِرٌ قد بكى طَرَبًا      لَمَّا ظفرت وكم بلَّله من الضَّحِكِ  
 وتَمَّ اللهُ ما أنشأت من حُسْنِ      بكل مُنْسَبِكِ منه ومُنْتَمِكِ  
 وعن قريب تُباهي الأرض من زهير      سماها بها غَضَّةُ الحَبِكِ  
 فعُدَّ وقُدَّ واعتمدَ وأحمدُ وسُدَّ وأبَدَ      وقُلْنَ وصِلْنَ واستَطِلْنَ واستولِ وأنتَهِكِ  
 وحسبُك اللهُ فردًا لا نظير له      تغنيك نُصْرته عن كل مُشْتَرِكِ

ومن قوله في غرض الرثاء، يرثي الفقيد أبا الحسن بن مغيث<sup>(١)</sup>: [البسيط]

الدَّهْرُ لَيْسَ عَلَى حُرٍّ بِمَوْثَمِنٍ  
 وَأَيُّ عِلْقٍ تَخْطُطُّهُ يَدُ الزَّمَنِ  
 يَأْتِي الْعَفَاءُ<sup>(٢)</sup> عَلَى الدُّنْيَا وَسَاكِنِهَا  
 كَأَنَّهُ<sup>(٣)</sup> أَذْبَرَ لَمْ يَسْكُنْ إِلَى سَكَنِ  
 يَا بَاكِيًا فُرْقَةً الْأَحْبَابِ عَنْ شَحْطِ<sup>(٤)</sup>  
 هَلَّا بِكَيْتٍ فَرَاقَ الرُّوحَ لِلْبَدَنِ؟  
 نَوْرٌ<sup>(٥)</sup> تَقَيَّدَ<sup>(٦)</sup> فِي طِينٍ<sup>(٧)</sup> إِلَى أَجَلٍ  
 وَانْحَازَ<sup>(٨)</sup> عُلُوءًا<sup>(٩)</sup> وَخَلَّى الطِّينَ فِي الْكَفَنِ<sup>(١٠)</sup>  
 كَالطَّيْرِ فِي شَرْكَ يَسْمُو إِلَى دَرَكٍ  
 حَتَّى تَخْلُصَ مِنْ سَقَمٍ وَمِنْ دَرَنِ  
 إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي رِضَى اللَّهِ اجْتِمَاعُهُمَا  
 فَيَا لَهَا صَفْقَةً تَمُتُّ عَلَى غَبَنِ<sup>(١١)</sup>

(١) وردت من هذه القصيدة فقط الأبيات الثالث والرابع والسادس والسابع في المعجب (ص ٣١٣ -

٣١٤) منسوبة إلى ابن طفيل، صاحب رسالة «حي بن يقظان».

(٢) في الأصل: «العفا» وكذا ينكسر الوزن. (٣) في الأصل: «كَانَ» وكذا ينكسر الوزن.

(٤) الشَّحْطُ: البعد. (٥) النور: كناية عن الروح.

(٦) في المعجب: «تَرَدَّدَ». (٧) الطين: كناية عن البدن.

(٨) في المعجب: «فَانْحَازَ».

(٩) في الأصل: «عَنْوًا»، والتصويب من المعجب.

(١٠) في المعجب: «الكفن».

(١١) في الأصل: «...» الله التقي وهما فيا لها صفقه بُثَّتْ على دَعْنٍ، والتصويب من المعجب.

والغبن: الخطأ.

يا شَدَّ ما افترقا من بعد ما اغتنقا<sup>(١)</sup>  
 أظنُّها محرقة<sup>(٢)</sup> كانت على دَخَن<sup>(٣)</sup>  
 وربَّ سارٍ إلى وجهه يُسَرُّ به  
 وافى وقد نبت المرعى على الدَّمَن  
 أتى إلى الله لا سمع ولا بصر  
 يدعو إلى الرُّشد أو يُهدي إلى السُّنن  
 في كل يوم فراق لا بقاء له  
 من صاحب كرم أو سيّد قِمن  
 أعيأ أبا حَسَن فَقَد الذين مضوا  
 فَمَنْ لنا بالذي أعيأ أبا حَسَن  
 كأنَّ البقية في قوم قد انقرضوا  
 فهاج ما شاء ذاك القرن من شَجَن  
 يُعدّ فِدَا وفي أثوابه رمز من  
 كل ذي خُلُق عمرو وذو فِطَن  
 وإنَّ من أوجَدتنا كلَّ مُفْتَقِد  
 حياته لعزیز الفَقْد والظَّلَن  
 من لِلملوك إذا خَفَّت حلومهم  
 بما يُقاوم ذاك الطيش من سَكَن  
 ومنها:

يا يونس لا تَسِرْ أصبحنا لوخِشتنا	نشكو اغترابًا وما بِنّا عن الوطن
ويا مُطاعًا مُطيعًا لا عناد له	في كل أمر على الإسلام مُؤتمن
كم خَطَّتْ كارتجاج البحر مُبْهَمة	فَرُجَّتْها بحُسام سُلٍّ من لَسَن
طود المهابة في الجلا وإن جَذَبَتْ	عِناهُ خَلوة هَزَتْ دُزَى وتَر
أَكْرِم به سببًا تلقى الرسول به	لخمسٍ واردة في الفَرَض والسُّنن
ناهيك من مَنهج سَمِّ القصور به	هوئى فَمِنْ قَدَر عالٍ إلى قَدَن
من كل وادي التُّقى يسقى الغمام به	فيستهل شروق الضُّرع باللبن
تجمَلَتْ بك في أحسابها مُضَر	وأضلُّ مجدك في جُزْئومة اليمن

(١) في المعجب: «اعتلقا». وألف الاثنين يعود إلى الروح والبدن.

(٢) في المعجب: «هدنة». (٣) الدَخَن: الفساد.

من دولة حولها الأنصار حاشدة  
 من الذين هُم رِووا وهُم نصروا  
 إن يَبْدُ مَطْلَعُ منهم ومُستمع  
 ما بَعْدَ منطقَه وشيِّ ولا زَهْرُ  
 أقول وفينا فضلٌ سُوْدَدَه  
 محمَّدٌ ومغيثٌ نِعمٌ ذا عَوْضَا  
 تقيُّلاً هَذِيه في كلِّ صالِحَة  
 ما حلَّ حَبَوْتَه إِلَّا وقد عقدا  
 غُرُّ الأَحِبَّةِ عند حسن عهدهما  
 علماً وحلمًا وترحيبًا وتَكْرِمَة  
 يا وafd الغيث أوسِغ قبره نَزْلا  
 وطبق الأرض وَبْلا في شفاعته  
 وَأَنْتِ يا أرض كوني مرَّةً بأبي  
 وإن تردَّتْ بِتَرْبٍ فيك أعْظَمَه

في طامح شامخ الأركان والثَّنَن  
 من عَيْسَة الدِّين لا من جَذْوَة الفتن  
 فارغِبْ بنفسك عن لَحْظٍ وعن أُذُن  
 ولا لأغْلاق ذاك الدَّرِّ من ثَمَن  
 أَسْتَغْفِر الله ملء السَّرِّ والعَلَن  
 هما سُلالة ذاك العارض الهَتِن  
 نصر السوابق عن طَبَعٍ وعن مَرِن  
 حُبًّا بما اختار من أَيْدٍ ومن منن  
 وإن يونسَ في الأثواب والجِنَن  
 للزائرين وإغضاء على زَكَن  
 ورَوْمًا حول ذاك الدِّيم من تُكَن  
 فنعم رائد ذاك الرِّيف واليَمَن  
 مثوى كريم ليوم البَغْث مُزْتَهَن  
 فكم لها في جِنان الخُلْد من رَدَن

ومن شعره قوله مخمَّسًا، كتب بها، وقد أقام بمراكش يتشوق إلى قرطبة:

[الطويل]

بَدَتْ لهم بالغُور والشَّمْلُ جامِعُ  
 فباحَت بأسرار الضمير المدامِعُ  
 بروقٌ بأعلام العُذَيْبِ لوامِعُ  
 ورُبُّ غرامٍ لم تنلُه المِسامِعُ  
 أذاع بها من فيضها لا يُصَوَّبُ<sup>(١)</sup>

ألا في سبيل الشُّوق قَلْبٌ مؤثِّلُ  
 هو الموت إِلَّا أنْسي أتحَمِّلُ  
 بركب إذا شاء والبروق تحمِّلُ  
 إذا قلت هذا مَنهْلٌ عَزَّ مَنهْلُ  
 ورأيةً برقٍ نحوها القلبُ يَجْنِبُ

أبى الله إِمَّا كلُّ بُغْدٍ فثابِتُ  
 ولا يلفت البين المَصَمَّمُ لافِتُ  
 وإما دُئُو الدار منهم ففائِتُ  
 ويا ربَّ حيِّ البارِقِ المتهافتُ  
 غرابٌ بتفريق الأحبَّةِ يَنْعَبُ

(١) في الأصل: «... فيضها التصويب» وهكذا ينكسر الوزن، ولا تتلاءم القافية مع التي تلتها.



خذوا بدمي ذاك الوَسِيقَ الْمُضَرَّجَا      وروضًا بَغِيضَ العاشقين تَأْرَجَا  
 عفى الله عنه قَاتِلًا ما تحرَّجَا      تمشَى الرَّدَى في نَشْرِهِ وتدرَّجَا  
 وفي كل شيءٍ لِلْمَنْزِيَّةِ مَذْهَبُ  
 سَقَى الله عهدًا قد تَقَلَّصَ ظِلُّهُ      حَيَا قَطْرِهِ يحْيِي الرُّبَا مستهْلُهُ  
 وعى به شخصًا كَرِيمًا أَجَلُهُ      يُصِخُّ فَوَادِي تَارَةً وَيُعِلُّهُ  
 وَيُلْمُهُ بالذكرَ طَوْرًا وَيُشْعِبُ  
 رمانِي على قُرْبٍ بِشَرْخِ ذِكَايِهِ      فَأَعْشَتْ جُفُونِي نَظْرَةً من ذِكَايِهِ  
 وَغُصَّتْ بِأَدْنَى شُعْبَةٍ من سَمَائِهِ      شِعَابِي وجاءَ<sup>(١)</sup> البحرُ في غُلُوَائِهِ  
 فَكُلُّ بِقَرَبٍ<sup>(٢)</sup> رَذَعُ خَدْيِهِ يَرْكَبُ  
 أَلَمْ يَأْتِهِ أَنَّى رَكْنْتُ قَعُودَا      وَأَجْمَعْتُ عَنْ وَفْرِ الْكَلَامِ قَعُودَا  
 وَلَمْ أَعْتَصِرَ لِلذِّكْرِ بَعْدَكَ عُودَا      وَأَزْهَقَنِي هَذَا الزَّمَانُ صُعُودَا  
 فَرَبَعَ الَّذِي بَيْنَ الْجَوَانِحِ سَبَسَبُ  
 عَلَى تِلْكَ مِنْ حَالٍ دَعَوْتُ سَمِيعَا      وَذَكَّرْتُ رَوْضًا بِالْعِقَابِ مَرِيعَا  
 وَتَمَلَّأَ الشَّعْبُ الْمَذْجَجِي جَمِيعَا      وَسَرَبًا بِأَكْنَافِ الرُّصَافَةِ رِيعَا  
 وَأَحْدَاقَ عَيْنٍ بِالْجِمَامِ ثَقَلَبُ  
 وَلَمْ أُنَسِّ مِمَّشَانَا إِلَى الْقَضَرِ ذِي الثُّخْلِ      بَحِثْ تَجَافَى الطُّودِ عَنْ دَمِثِ سَهْلٍ  
 وَأَشْرَفُ لَا عَنْ عَظَمِ قَدَرٍ وَلَا فَضْلٍ      وَلَكِنَّهُ لِلْمُلْكِ قَامَ عَلَى رِجْلٍ  
 يَفِيهِ تَبَارِيحَ الشِّمَالِ وَيَخْجُبُ  
 فَكَمْ وَجَعٍ<sup>(٣)</sup> يَنْتَابُهُ بِرَسِيْسِهِ      وَيَرْتَحِلُ الْفَتَى بِأَرْجَلِ عَيْسِهِ  
 أَبَقَ أَمْ عَمَرُو فِي بَقَايَا دَرِيسِهِ      كَسَحَقَ الْيَمَانِي مُغْتَلِيهِ نَفِيسِهِ  
 فَرُفِعَتِ تَنْسَبِي الْقُلُوبِ وَتُغْجِبُ  
 وَبِضَاءٍ لِلْبَيْضِ الْبِهَالِيلِ تَعْتَزِي<sup>(٤)</sup>      وَتَعْتَزُّ بِالْبَانَ جَلَالًا وَتَنْتَزِي  
 سَوَى أَنْهَا بَعْدَ الصَّنِيعِ الْمُطَرَّزِ      كَسَاهَا الْبَلَى وَالثُّكُلُ أَثَوَابَ مُغَوِّزِ  
 يَبْكِي وَتَبْكِي لِلزَّائِرِينَ وَتَنْدُبُ

(١) في الأصل: «وجا» وهكذا ينكسر الوزن. (٢) في الأصل: «قرب» وكذا ينكسر الوزن.

(٣) في الأصل: «توجع» وهكذا ينكسر الوزن. (٤) في الأصل: «تعترية».

وكم لك بالزُهرَاء من مُتَرَدِّدٍ      ووقفه مُتَسَقِ المَجَامِعِ مُقْصِدِ  
يسكن من خَفَقَ الجَوَانِحِ باليدِ      وَيَهْتِكُ حُجُبَ النَّاصِرِ بنِ مُحَمَّدِ  
ولا هيبَةٌ تُخْشَى هنالك وتُرْهَبُ

لنعم مقام الخاشع المُتَنَسِّكِ      وكانت في محلِّ العَبْشَمِينَ المُمْلَكِ  
متى يورد النَّفْسَ العَزِيزَةَ يَسْفِكِ      وإن يَسْمُ نحو الأبلق الفرد يملكِ  
وأي مرام رامه يتصعَّبُ

قصورٌ كان الماء يعشق مَبْنَاهَا      فطورًا يرى تاجًا بِمَفْرِقِ أعلاها  
وطورًا يرى خلخال أسوق سُفْلَاهَا      إذا زَلَّ وَهْنَا عن ذوائبِ يهواها  
يقول هَوَى بدرًا أو انقَضَ كوكبُ

أتاها على رَغَمِ الجبال الشَّوَاهِقِ      وكلُّ مُنِيفٍ للنجوم مُرَاهِقِ  
وكم دَفَعَتْ في الصُّدرِ منه بعانِقِ      فأودَعَ في أحشائها والمفارقِ  
حسابًا بأنفاس الرياح يَذْرُبُ

هي الخُود من قرن إلى قدم حُسْنًا      تناصف أقصاها جمالًا مع الأدنى  
ودَزَجَ كَافِلَاك<sup>(١)</sup> مبنى على مبنى      توافَقْنَ في الإِتْقَانِ واختلف المعنى  
وأسباب هذا الحُسْنِ قد تتشعَّبُ

فأين الشُّمُوس الكَالِيفَاتُ بها ليلًا      وأين العُصُون المَائِسَاتُ بها مَيَلًا  
وأين الظُّبَاء<sup>(٢)</sup> السَابِحَاتُ بها ذيلًا      وأين الثَّرَى رَجُلًا وأين الحِصَا خيلًا  
فوا عجبًا لو أن من يَتَعَجَّبُ

كم احتَضَنْتَ فيها القِيَانُ المَزهَرَ      وكم فَاوَحَتْ فيها الرِّيَاضُ المَجَامِرُ  
وكم سَاهَرَتْ فيها الكَوَاكِبُ سَامِرًا      وكم قد أَجَابَ الطَّيْرُ فيها المَزَامِرُ  
عظيم من الدنيا شعاع مُطْطَبُ

كَأَن لَمْ يَكُن يُقْضَى بها التَّهْيُ والأَمْرُ      وَيُجْبَى إلى خَزَائِنِهَا البُرِّ والبَحْرُ  
وَيُسْفَرُ مَخْفُورًا بِذِمَّتِهَا الفَخْرُ      وَيُصْبَحُ مَخْتَوْمًا بِطَيْئَتِهَا الدَّهْرُ  
وأيامه تُغْزَى إِلَيْهَا وتُنْسَبُ

(١) في الأصل: «كالأفلاك» وهكذا ينكسر الوزن.

(٢) في الأصل: «الظباء» وهكذا ينكسر الوزن.

ومالك عن ذات القِسيِّ التَّواضِحِ      وناصحة تُغزى قديمًا لِناصِحِ  
 وذِي أثرٍ على الدهرِ واضِحِ      يُخبر عن عهدٍ هنالك صالحِ  
 وَيَغمرُ ذكرِ الذاهِبِينِ ويخربُ  
 تلاقى عليه فيضُ نهرٍ وجدولِ      تَصْعَدُ من سِفْلٍ وأقبل من عَلِ  
 فهذا جنوبيّ وذلك شماليّ<sup>(١)</sup>      وما اتفقا إلّا على خير منزلِ  
 وإلّا فإن الفضل منه مُجَرَّبُ  
 كأنهما في الطَّيبِ كانا تنافرا      فسارا إلى وَضَلِ القضاء وسافرا  
 ولَمّا تلاقى السابقان تناظرا      فقال وليّ الحق مَهْلًا تظافرا  
 فكلُّكما عَذِبُ المجاجة طيِّبُ  
 ألم يعلما أن اللِّجاج هو المَقْتُ      وأن الذي لا يقبل التَّضَف مُثَبِّتُ  
 وما منكما إلّا له عندنا وقْتُ      فلما استبان الحق واتجه السُّنْتُ  
 تقشّع من نور المودة غَيْهَبُ  
 وإن لها بالعامرة لَمَظْهَرا      ومُسْتَشْرِقًا يُلْهي العيون ومَنْظَرا  
 ورَوْضُنا على شطّى خضارة أخضرا      وجَوْسِقِ مَلِكٍ قد عَلَا وتَجَبَّرا  
 له تَرَّةٌ عند الكواكب تُطْلَبُ  
 أُغْيَرُه<sup>(٢)</sup> في عُثْفوان الموارد      وأثبَّته في ملتقى كل واردِ  
 وأُبْرِزه لِلأزْيحى المجاهدِ      وكلُّ فَتَى عن حُرْمة الدين زايدِ  
 حفيظُته في صدره تَتَلَهَّبُ  
 تَقَدَّمَ عن قصر الخلافة فرسخا      وأضْحَرَ بالأرض الفضاء ليصرخا  
 فحالته أرض الشُّرك فيها مُتَوَخَا      كذلك من جاس الدِّيار ودَوَخَا  
 فردَعَتْه في القلب تَسْري وتُرْهبُ  
 أولئك قوم قد مضوا وتصدَّعوا      قضوا ما قضوا من أمرهم ثم ودَّعوا  
 فهل لهم رِكَزٌ يُحْسُ وَيُسْمَعُ؟      تأمل فهذا ظاهر الأرض بَلْقَعِ  
 إلّا أنهم في بطنها حيث غُيِّبوا<sup>(٣)</sup>

(١) في الأصل: «شمال».

(٢) في الأصل: «غيره» وهكذا ينكسر الوزن، ولا معنى له.

(٣) في الأصل: «غُيِّب».

أَلَسْتَ تَرَى أَنَّ الْمَقَامَ عَلَى شَفَا      وَأَنْ بِيَاضَ الصُّبْحِ لَيْسَ بِذِي خَفَا  
وَكَمْ رَسَمَ دَارٍ لِلْأَجْنَةِ قَدْ عَفَا      وَكَأَنَّ حَدِيثًا لِلْوَفودِ مُعْرِفَا  
فَأَصْبَحَ وَحْشَ الْمُتَنَدِي يُتَجَنَّبُ

وَلِلَّهِ فِي الدَّارَاتِ ذَاتِ الْمَصَانِعِ      أَخْلَاءَ صِدْقٍ كَالنَّجُومِ الطُّوَالِعِ  
أَشْيَعُ بَيْنَهُمْ كُلُّ أَبِيضٍ نَاصِعٍ      وَأُزْجَعُ حَتَّى لَسْتُ يَوْمًا بِرَاجِعِ  
فِيَالْيَتَنِي فِي قِسْمَتِي أَتَهَيَّبُ

أَقْرَبُ لَمْ يُثْنِنِي عَنْكَ سُلُوءًا      وَلَا بِمِثْلِ إِخْوَانِي بِمَعْنَاكَ إِخْوَانُ  
وَلَا نِي إِذَا لَمْ أَسْقُ مَاءَكَ ظِمَآنُ      وَلَكِنْ عَدَانِي عَنْكَ أَمْرٌ لَهُ شَأْنُ  
وَمَوْطَنِي أَنَا زُ تُعَدُّ وَتُكْتَبُ

لَكَ الْحَقُّ وَالْفَضْلُ الَّذِي لَيْسَ يُدْفَعُ      وَأَنْتَ لَشَمْسِ الدِّينِ وَالْعِلْمِ مَطْلَعُ  
وَلَوْلَاكَ كَانَ الْعِلْمُ يُطَوَّى وَيُرْفَعُ      وَكُلُّ التَّقَى وَالْهُدَى وَالْخَيْرِ أَجْمَعُ  
إِلَيْكَ تَنَاهَى وَالْحَسُودُ مُعَذَّبُ

أَلَمْ تَكُ خُصَّتْ بِاخْتِيَارِ الْخِلَافِ      وَدَانَتْ لَهُمْ فِيهَا مَلُوكُ الطُّوَائِفِ  
وَعَضَّ ثِقَافُ الْمُلْكِ كُلِّ مُخَالِفِ      بِكُلِّ حَسَامٍ مُزْهَفِ الْحَدِّ رَاعِفِ  
بِهِ تُحَقِّقَنَّ الْأَجَالَ طَوْرًا وَتُسَكَّبُ

إِلَى مُلْكِهَا انْقَادَ الْمُلُوكِ وَسَلَّمُوا      وَكَعَبَتْهَا نَدَا الْوَفُودِ وَيَمَّمُوا  
وَفِيهَا اسْتِفَادُوا شَرْحَهُمْ وَتَعَلَّمُوا      وَعَاذُوا بِهَا مِنْ دَهْرِهِمْ وَتَحَرَّمُوا  
فَنَكَّبَ عَنْهُمْ صَرْفَهُ الْمُتَسَحَّبُ

عُلُوبٍ فَمَا فِي الْحُسْنِ فَوْقَكَ مُرْتَقَى      هَوَاؤُكَ مَخْتَارٌ وَتُرْبُكُ مُنْتَقَى  
وَجَسْرُكَ لِلدُّنْيَا وَلِلدِّينِ مُلْتَقَى      وَبَيْتُكَ مَرْبُوعُ الْقَوَاعِدِ بِالثَّقَى  
إِلَى فَضْلِهِ لَأَكْبَابُ تُنْضَى وَتُضْرَبُ

تَوَلَّى خِيَارَ التَّابِعِينَ بِقَاءَهُ      وَخَطَّوْا بِأَطْرَافِ الْعَوَالِي فَنَاءَهُ  
وَمَدَّوْا طَوِيلًا صَيْتَهُ وَثَنَاءَهُ<sup>(١)</sup>      فَلَا زَالَ مَخْلُوعٌ عَلَيْهِ سَنَاءَهُ<sup>(٢)</sup>  
وَلَا زَالَ سَغْيُ الْكَائِدِينَ يُخَيَّبُ

(١) فِي الْأَصْلِ: «وَتَنَاءَهُ».

(٢) فِي الْأَصْلِ: «سَنَاءَهُ».

وبالغ فيه كلُّ أروع أضيّد      طويل المعالي والمكارم واليد  
وشادوا وجادوا سيّداً بعد سيّد      فبادوا جميعاً عن صنيع مُخلّد  
يقوم عليه الشناء ويخطبُ  
مصايبه مثلُ النجوم الشّوابِكِ      تمزّق أثواب النجوم الحوّالكِ  
وتحفظه من كل لاهٍ وسالكِ      أجادل تنقضّ انقضاض النّيازكِ  
فإبشارهم بالطّبِطَبِيّة تُنْهَبُ  
أجْدُك لم تشهد بها ليلة القَدْرِ      وقد جاش برُّ الناس منه إلى بحرِ  
وقد أُسْرِجَتْ فيه جبالٌ من الزُّهرِ      فلو أن ذلك الثّور يُقْبَسُ من فَجْرِ  
لأَوْشَكَ نور الفجر يَفْنَى وَيَنْضَبُ  
كأنَّ للثّريّاتِ<sup>(١)</sup> أطوادَ نرجسٍ<sup>(٢)</sup>      ذوائبه تَهْفُو بأدنى تنقُصِ  
وطيب دخان الثّدّ من كل مُعطس      وأنفاسه في كل جسم وملبسِ  
وأذياله فوق الكواكب تُسَحَبُ  
إلى أن تبدّت رايّة الفجر تزحفُ      وقد قَضَى منهما<sup>(٣)</sup> الذي لا يُسوَفُ  
تولّوا وأزهار المصايبِ تُقْطَفُ      وأبصارها صوّناً تُغضُّ وتُطْرِفُ  
كما تُنْصَل الأرماح ثم تُرْكَبُ  
سلامٌ على غيابها وحضورها      سلام على أوطانها وقصورها  
سلام على صخرائها وقبورها      ولا زال سورُ الله من دون سورها  
فحسن دفاع الله أحمى وأزهبُ  
وفي ظهرها المعشوق كل مرّفعٍ      وفي بطنها المَمشوق كل مُشْفِعِ  
متى تأته شكوى الظّلامة تُرْفِعِ      وكل بعيد المُستغاثِ مُدْفِعِ  
من الله في تلك المواطن يَفْرُبُ  
وكم كُزْبَة ملء الجوانح والقلبِ      طَرَقَتْ وقد نام المواسون من صَحْبِ  
برّوعتها قبر الوالي لي وهبُ      وناديت في الثّرب المُقدّس يا ربّ  
فأبث بما يهوى الفؤاد ويَزْعَبُ

(١) في الأصل: «للثريّات».

(٢) في الأصل: «من نرجس».

(٣) كلمة «منهما» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها ليستقيم الوزن والمعنى معاً.

فيا صَخبِي حان قَبْلَكَ مصرعي      وكنتَ على عهد الوفا والرِّضا معي  
 فحطُّ بضاحي ذلك الشُّرى مَضْجعي      ودَرنِي فجار القوم غير مُرَوِّعٍ  
 فعندهم للجار أَهْلٌ وَمَرْحَبُ        
 رعى الله مَنْ يرعى العهود على التَّوى      ويُظْهر بالقول المُحَبَّر ما نوى  
 وليئته من مُسْتَحْكَم الوُدِّ والهوى      يرى كلَّ وادٍ غير واديه مُجْتَوَى  
 وأهدى سبيله الذي يُتَجَنَّبُ

كتابه: وكتابه ذي الوزارتين، رحمه الله، كالشمس شهرة، والبحر والقَطَر كثرة؛ ونحن نثبت له شيئاً من ذلك لثلاً يخلو هذا الكتاب من شيء من بيانه. كتب مراجع الوزير أبا بكر بن عبد العزيز، من رسالة كتب بها إليه مع حاج يضرب القرعة:

أطال الله بقاء وليي وإمامي الذي له إكباري وإعظامي، وفي سلكه أئسمي وانتظامي، وإلى ملكه انتسابي واغترابي، وبوذه افتخاري وانترابي، للفضائل مجيباً ومبدياً، وللمحامد مشتملاً ومُرتدياً، وبالعرايب مُتَحَفاً ومُهندياً، ولا زال الرِّخاء وأزل، وجدَّ من المصافاة وهزل، وسَحَتْ من المراعاة وجَزُل. وصل كتابه صحبة عِزِّاف اليمامة، وفخر نُجْد وتهامة، يُقرِّظه ويزكِّيه، ويصفُّه بالخَبِّ يفسِّره ويُجليه، والخفي يظهره ويبديه. ولعله رائد، لابن أبي صائد، أو هاد للمسيح الدجال قائد. أشهد شهادة إنصاف، أن عنده لِعَضْباً صاف، ولو كان هناك ناظر صادق طاف، والله خفايا الألفاف، لقلتُ هو بادٍ غير خاف، من بين كل ناعل وحاف. وسأخبرك، أيُّدك الله، بما اتَّفَق، وكيف طار ونَعَق، وتوسَّد الكرامة وارتَفَق، طَرَّق له وصفك ونَعَتك، وثَقَّفه بَرِّيك ونحتك، ورفع له للعيون جَدُّك وبختك، وامتدت نحوه النواظر، واستشرفه الغائب والحاضر، وتسبق إليه النَّابه والخامل، وازدحم عليه العاقل والعامل. هذا يلتمس مزيداً، وذاك يَتَنَغِي حظاً جديداً، وهذا يطلب تَقْلِيداً، وذلك يَسْلُ إلى مغاليقه إقليداً. فكلما حَزَب، وغلَّ وجلب، حَلَب واستدَّر، وتلقاه وإن ساءه الغيب بما سرَّ. وكنت واتَّعْتُ جملة من الأعيان، ووافقت ثُلَّة من جِلَّة الإخوان، على تَمْشِيَةِ أمره، وتَوْشِيَةِ ذكره؛ فلما صَدَقَتْ تلك الفِرقة، واستوت بهم تلك الفُرقة، أحضرناه للسِّبار، وأعدناه للثَّقَد والاختيار، وأردنا أن نقف على جلایا تلك الأخبار، فأحضرنا طَخَنًا ونَطْعًا، وسَرِينا عنه من الوَخْشَةِ قَطْعًا، وقلنا له خذ عفوك، ولا تورِذنا إلا صَفُوك، ولا تصانِعنا في الكريهة التي نراها، والحادثة تُسْتَفْظَع ذكرها؛ فما عندنا جهل، وما منا إلا مُحْتَنِك كَهْل، لا يتكاده حَزَن ولا يستحقه سهل، فسكن جائشُ قُوْره، وضرب بلحيته على زَوْرِهِ، ثم صَعَدَ فينا النظر وصَوَّب، واستهلَّ صارخًا وثَوَّب، وتحرَّج من الكذب

وَتَحَوَّبَ، وقال: لست للعشرة خابطاً، ولا للطَّرف غامضاً، ولا عن الصدق إذا صدَّعَ حائذاً، ولا للعذر مَمَّن وقع منه ذائداً، ولا بمعجزات النبوة لاعباً، ولا لصريح الجذِّ مُداعباً، ولا تطيُّني مسألة ولا حُلوان، ولا تستفِّزني نضائد كثيرة ولا ألوان. إنما هو رَسْمٌ وَخَطٌّ، ورفع وَخَطٌّ، وَنَحْسٌ وسعدٌ، ونقد ووعد، ويوم وعَد. فقلنا له الآن صَحَّت الوفادة، وَأَيْتَعَت الإرادة. ثم نظر إلينا نظر المستَقِلِّ، واجتذب الطُّع اجتذاب المُدِلِّ، ونثَل الطُّحْن وهاله، وأداره حتى استدار هالهُ، ثم قال: يا أيها المَلأ هذا المبتدأ، فأيكُم يبدأ. فرمقني القوم بأبصارهم وفَعَرُوا وكَبَرُوا، وليتَهم عند ذلك صَفَرُوا، فقلت: يا قوم قد عَضَضْتُ على ناجِذي جِلْماً، وقتلت شأني كُلَّهُ عِلْماً، وعقدت بيني وبين غِدِّ سَلْماً، فكيف أَسْتَكْشِفُ عما أعرف، وأسبقهم عما لا يستبهم. على الرحمن توكلت، وعلى الشيطان تَرَكْتُ، ومن كَسْبِي أكلت، وفي مَبْرَك السَّلَامَةِ بَرَكْتُ، وجسيمات الأمور تَرَكْتُني وتَرَكْتُ، والنفس المطمئنة رجوت، ولعلني قد نجوت، وأصبت فيما نَحَوْتُ. فلحظتني عند هذه المقالة عينهُ، وطواني صدقهُ وَمِئَنهُ. ثم صار القوم دوني أنجية، وأعدَّ له كل تَوْرِيَّة وتَغْمِيَّة. فقال قائل منهم: تعالوا نشترك في ضمير، وَنَزِمِهِ بهذا الطاغية ابن رُذْمِير، ففي كل قلب منه نَدَب كبير، والسؤال عنه دين وأدب، فإن أصابه استرحنا من التَّصَبِّ والشُّخوص، وجِرنَا من العموم إلى الخصوص، وإن أخطأه فهو لما سواه أخطأ، ولما يدَّعيه ويريدُهُ منه أبطأ. فقالوا: نَعْم ما عرضت، وأخسِن بما رويت وفَرَضت. فلَمَّا رأيناه يُثْقَل التَّعْرِض، ويُحْكَم التقرير والتعويض، قلنا له: حَقِّق ضميرك كل التحقيق، وَضَعْ مِسْبَحَتِكَ في الدقيق. فابتدر ما أَمَر، وحَسَرَ عن ذراعه وشَمَّر، ومرت أصبعُهُ في خَطُّهُ مَرَّ الذَّرِّ المتهالك، ووقعت وَقَعَ القَطَرِ المُتَدَارِك، لا تمس الطُّحْن إلَّا تحليلاً، وَغَمَزَا كالوهم قليلاً، فطوراً يستقيم سيبلاً، وتارة يستدير إكليلاً، وآونة يأتي بالسما ونجومها قَبِيلاً. فكان هنالك لنعش من بنات، وللثَّريا من إخوات، وطير قابضات، وصافات وأسراب ناشراتٍ خافقات. فلَمَّا استوفى عُدَدَهُ، وبلغ أَمَدَهُ، وختم طرائقهُ وَقَدَدَهُ، وأعطى الأصول وفروعها، وتدبَّر تفاريقها وجموعها، فجمع وتَقَبَّض، وفَتَرَ ثم انتَقَض، وصعد ذهنه وتَسَافه، وأخذ الطُّحْن قَسَافَهُ؛ وزفر وشهق، وعشَّ ونهق، وألصق بظهره حشاه، وكتَم الرُّبُو ثم أفشاه، وقال: هذا الذي كنت أخشاه، عَمِيت الأثر، وكتمت حقيقة الخبر، وعَثَرْت خاطبي فما عَثَر، ونثرت نظام الحدس فما انتثر. سألتُم عن رُوح شارد، وشيطان مارد، وصادر مع اللَّحظَات وارد، لا يُوطِن داراً، ولا يأوي قراراً، ولا يُطعم الثُّوم إلَّا غَرَاراً<sup>(١)</sup>. نعم أمرُهُ عندي مستقر، هو زَنْدِيق مُسْتَر؛ وشهاب من شُهَب الكفر مستمر.

(١) الغرار: السهم. لسان العرب (غرر).

ثم رجع البصر واختصر، وعاد إلى الحساب يتقرّاه، والصواب يتحرّاه، وتتبع أديم الطّحن فقرّاه، وقال: أعوذ بالله من شرّ ما أراه. إلى كم أرى في غلاء وبلاء؟ كاني لست ذا أمرار وأخلاء، تالله لو كانت قرّعة رفعة وعلاء؛ ما غاب عني اللّحياني ذو السّبلّة، ولواجهنا البياض ذو العرّة المستقلّة مواجهة حسان لجبلة. النّحس على هذه الروح قد رُتّب؛ وكُتب عليه من الشّقاء ما كُتب، وأخرج النّصرة الداخلة من العتب. ثم أشار إلى الحُمرة، وكأنما وضع يده على جُمرة، وقال: كَوَسَجَ نَعِي، وسِنَاط الوجه شَقِيّ، وثِقَاف وطريق، وجماعة وتفريق، وقَبْضُ خارج، ومَنكوس مارج. ثم وضع عمامته، ولَوَلَبَ هامته، وأمال وجهه فجراً طلقاً، ثم عرضه مَجِئاً مُطَرّقاً، وعقد أنامله عضّاً، وأذمّى صدره دُعاً ورضّاً، وقطع بَصَره لمَحاً وعضّاً، وتكفّأ وتقلّع، وأذلّع لسانه فاندلّع. فقلنا: شرّ تأبطه، أو شيطان يتخبّطه، أو قَرِين يستنزله ويخُتله، أو روى في الذرة والغاب يَفْتِله. ثم تجاحظ وتحاذر، وتضائل وتنازر، وقال: والذي أحيا عازر، وأخرج إبراهيم من آزر، وملك عِنان الريح وأذعن له كل شيء بالسجود والتّسبيح، إنه لمن عُباد المسيح، هيهات هيهات، لا أَضْغِضُ بظَنٍّ، ولا يَقْفَعُ لي بِشَنٍّ، ولا أنازع من هذه الفنون في فَنٍّ. قد ركبت أثباج البحار، وقطعت نياط المفاوز والقفار. وشافهني الحرّم والبيت، وصافحني الحجر الكُميت، وأخرمْتُ ولَبَّيت، وطُفْتُ ووفيت، وزُرت المصطفى ﷺ، وتحفّيت. ثم ملّت على عَدَنٍّ، وانحدرت عن اليمن، واستسقيت كل راعدة، وأتيت كل قاعدة؛ ورأيت صاحب الجمل قُسَّ بن ساعدة، ووردت عُكاظ، وصدّقت الحفاظ، وقُدّت العصية بِنَسع، ومسخت الشامات بأخْمُس وتِسع، ووقفت حيث وقف الحَكَمَان، وشَهِدت زحف الثّرَكَمَان، وكيف تصاولت القُروم، وغُلِبَت الرُّوم، وهزم المدبر المقبل، واكتسحت الجحاش الإبل. فقلنا: الله أنت، لقد جَلَّيت عن نفسك، وأربى يومك على أمسك، ولقد صدق مُطَرِّيك، ووَفّت صحيفة تَرْكِيك، وما كانت فراستنا لتخبّيك فيك. فماذا تَسْتَقْري من اللوح، وترى في ذلك الروح؟ بَعِيشُك ألا ما أمتعتنا بالإفشاء والبُوح! فرجع في البحث أذراجَه، وطالع كواكبَه وأبراجَه، وظلّ على مادة الطّحن يرقم ويرمق، ويفتق ويرتق. ثم جعل يتسم، وقال: أحلف بالله وأقسم، لقد استقام التّسم، وإنه لكما أُرسم وأُسم، وإنني لا أجده إلّا لاغباً مَبهوراً، ومنكوداً مَقهوراً، ولن يلبث إلّا شهوراً. قد أَقَلّ طالع جَدّه، وفُلّ حَدّه، وأتي عليه نقي حَدّه، وصيّ لم يَمْلِك أبوه ومَلَك جَدّه، فقلنا: صرّحت وأوضحت، وشَهِرت هذا المَسْتُور وفضحت، وإن ساعدك قدر، وكان لك عن هذا الورود صَدْر، فحظك مُبتدر، وخطك صاف لا يشوبه كَدْر. فقال: هذا أمر قد آن أو كان، وسيأتيكم الخبر الآن، فانفصلنا وأضغينا الأذان، وجعلنا نلقَى الرُّكبان، فلم يَرُعْنَا إلّا التّعَمى الناجمة، والبُشرى الهاجمة، بما



بان، فادهنا في شانه، ولم يكن يعاوده خوف طغيانه، فإذا الخبر لم يَخْطُ صِماخه، وكأنما كان عودًا وافى مناخه، أو طائرًا أم أفراخه. فلم يَنْشِبْ أن أقبل يَصْمُدْ نحونا أي صَمَد، ويتعرضنا على عَمَد، تعرض الجوزاء للنجوم؛ وينقُضْ انقضا ض نيازك النجوم، وقال: ألم يَأْنُ أن تدينوا لي بالإكبار، وتعلموا أني من الجَهابذة الكبار؟ فقلنا: منك الإسجاح، فقد مَلَكْتَ ومنك ولك النجاح، أَيْة سَلَكْتَ. فأطْرَقَ زَهْوًا، وأعرض عنا لهوًا، وقال: اعلّموا أن القُرْعة لو طوت أسرارها، ومنعتني أخبارها، لمَزَقْتُ صِدَارها، وذَرَوْتُ غُبَارها، ولكان لي عنها أوسع مُتَدَح، وأنجد زناد يُفْدَح، أين أنتم عن رَضدي الأخلاك، وعِلْمي بالأفلاك؟ أنا في مَرَج الموج، وأوج الأوج، والمتفرد بعلم الفزد والزُوج، ومُسْتَرْط السَّرطان، ومُسْتَدِير الدَّبْران، وبائع المُشْتري بالميزان، والقابض بيوم الحساب والعمل، على روق الثور وذنب الحَمَل، أغقَد نَصل العقرب، وأقَيَد الأبعد والأقرب، لصَيْد أوابدها بالدقائق والدَّرَج، حتى اضطر سارحها إلى الحَرَج، وأصْبَحْها في أضيق مُنْعَرَج، أنا استذكرْتُ بالانْتِبار، فَرَحَة الإقبال وتَرَحَة الإدبار، وطالعت إقليدس فاستنبطْته، وصارغَتْ المَجْسطِي فَجَسْطَنته، وارْتَمَطَتْ إلى الأَرْتِمَاطِيقي، وأطَقْتُ الألُوطِيقي، ولحظْتُ التحليل بحلّ ما عقده، وائْتَضَيْتْهُ ما مَطَّل به الجهابذة فنَقْذه. وعايِنْتُ زُحل، حين استقلَّ على بعيره وَرَحَل، وضايقْتُهُ في ساحته، وحصرْتُهُ في مساحته، وحضرت قِرانه، وشَهِدت تقدُّمه ومُرانه، وشاهدته شَفْرًا بِشْفَر، وناجاني برقًا يُعَدُّ في الكُفَر، وتخريبه لُمْلُك الصُّفَر، وتفريقه لبلاد اللَّطِينَة، وإنجاز الوعد في فتح قُسْنُطِينَة. أنا عقدت رشا الدلو، وذَرَوْتُ غُبَار الحُوت للفلو. أنا اقتدَحْتُ سَفْط الجَوْزَهَر، فلاح بعد خفائه وظَهَر. أنا اسْتَزَرْتُ الهلال من مكان سَرَرِه، وأخذت عليه ثنایا سَفَرِه، وَقَدَدْتُ قُلامته من ظُفَرِه، ودللت طير الصَّائِر على شجره، فجنيْتُ المُرَّ من ثمره، أنا طرقت الزُّهرة في خَدْرها، وصافحتها من الفكرة بيد لم تَذَرها. أنا أذَكيت على ذكاء فظَلَّت تَلْتَهَب، وأخَرَزَتْها من الوهم شَطْنًا أجذبها به فتنجذب. أنا أنعى للمُعْتَبِرین حياتها، فيشبهون الحَسَنَة ويتحرون أوقاتها، حتى تَنْتَشِر بعد الطيِّ حياتُها، وتستقيل من العِثَار آياتها. أنا انتضيت للشباب شَرَحًا، وأضرمت للمِرْيَخ عقارًا ومَرَحًا، حتى أَتَغَانِي بملاحم حُرُوبه، وحوادث طلوعه وغُرُوبه، وتَلْمُظْه إلى التَّجِيع، ولولوغه في مُهْجَة البطل السَّجِيع. أنا أبرى من اللَّمَم، وأشفى من الصَّمَم، وأنقل العَطَس إلى الشَّمَم. فقلنا: أمّا الأولى، فقد سلّمنا لك جميعها، وأمّا هذه الثلاثة فلن تستطيعها. قال: فليَم تعجزون ولا تَسْتَحْزُون؟ فقلنا: مَنْ كان له علاج فَيَنْفُسِه يبدَأ، ونَعَبْ بغيره. ولسنا نريدك، ولكن تهتَزُّ يدُك. قال: أما من بينهم رَوِي، وألقى في رُوعه ما ألقى في رُوعي، فمَثَله كالضارم، حُسْنُه في فِرْنده، لا غِمْدُه، وجماله في حَدَه لا في حَدَه،

والمرء كما قيل بأصغريه، لا بمنخريه، والشأن في الحيزوم، لا في الخيشوم، وفي الذكرين، لا في الأنثيين، وبعد، فهو كلام ظاهره إجمال، وباطنه احتمال، وسأنبئكم بغزارة سَيْلِه، وفجر ليله. أما الأفطس فيدلي الضغنة، ويتزوج في آل جَفْنَة. فإن الله أتم، جاء الولد أتم، وإن نام عِرْقُ خاله، بَقِيَ الولد بحاله. وأما الأصم، فيخرج عن الغلام، وبلا فال، ويطلب في بني السَّمِيعَة بَرَكَة الاسميّة والفال، فإن الله أراد، ظَفِر بالمراد، وجاء ابنه أسمع من قُراد<sup>(١)</sup>. فأحس من بعض الحاضرين تمريضاً، وعاین طَرْفًا غَضِيضًا، فتعكر وتشذر، وطوف وحذر، وقال صاحب الشريعة، سَمَاهم بني السَّمِيعَة، قوموا يا بني اللكيعة، فقد قطعتم رزقي، وأديتم طرقي، وأذلتهم صُرْبِي وطَرْقِي، وسدذتم طَوْقِي، وأخذتم على أُنْقِي غَرْبِي وشرْقِي. ذُرُونِي للتي هي للبلية تَجْنِي، ثم الوجد يعني، لو شرب نواديهِ إثر تَجْنِي. ثم نجا بعزمته سَمِيلاً، وأرسل بنات نَعَش ذِيلاً، وقد أفاد بما استصحب من مِيَامِنِكَ لِيلاً، كَذَبَنِي أَيْدِكَ الله عند نواه، ولم يُطْلِعْنِي طَلْع ما نواه؛ وما ذاك إلا لمطمع لَوَاه، ومَغْنَم هَوَاه. قُرِفَت لي بعد وداعه نَجْوَة، ورَمَتْنِي بشخصه فَجْوَة، فقلت: ما أراك إلا غائل، أورت عَنكَ الحبائل. فسراك سُرَى قَيْن، وحديثك مَيْن، ألم تعبر دُجَيْلاً، ويُمَمَت سُهَيْلاً؟ فقال: طَرِبْتُ إلى الأصفية الصغار، وشاقتني الشوق بين الطواغيت والأصفار. فقلت له: هَلَمْ إلى خط نعيده، وحظ نستفيده. فقال: لولا أن تقولوا الساعة متى، وتطالبوني بإحياء الموتى، لما أجمعتُ إلى الغرب غروباً، ولأريْتُكم من الحذق ضروباً. ثم قال: إن لي بالحاضرة أفرأخاً، وأما استصرختُ عليها استصرأخاً، وانسلختُ منها انسلاخاً، وأعيا عليّ أمره فلم أعلم له ظَعْنًا ولا منأخاً. فلبثت كذلك أياماً، ثم اعتم عليّ أمره اعتيماً، ولم أعرف له إنجاذاً ولا اهتماماً، فإذا به وقد أضمزتُ عنه بأساً، ولم أطمع فيه رأساً، قد أشب لي شباباً، ولمعت صلعتُهُ شهاباً، تكتنفه صُرَّة، ويُمِنَاه قَوْصَرَة<sup>(٢)</sup>، وتؤود يسراه جرة. فقلت له: قاتلك الله، ما أشدَّ فُقدَاتك إلا فُقدتكَ، وما أذكر وجدَاتك إلا وجدتكَ، أين أفرأخك، والأُم التي جذبها استِضرأخك؟ فقال: الصعلوك، لو أعلم مذهبهِ، تُحرِّم مناهبه، وتُخدم مراهبه. ذُرْنِي وعلاجي، أحاجي وأداجي، وأعاین وأناجي، وأتقلب في بَرَكَة دُعَاء الباجي. فقلت له: مالك وللميت، ورحم الله من سَمِيت. قال: لما أذن الله فالتأمت الشيمة، وتمزقت عني المَشِيمة، هممتُ بالسُّرْق، ولففت في

(١) منه المثل: «أسمع من قُراد»، وذلك أنه يسمع صوت أخفاف الإبل من مسيرة يوم، فيتحرك لها. مجمع الأمثال (ج ١ ص ٣٤٩، رقم المثل ٨٧٨).

(٢) القوصرة: وعاء للتتمر. محيط المحيط (قوصر).

الخزق، وفارقت من الضيق مُنتداه، وأفلتتني يده؛ فحتكني السعد بتمر المدينة، وسقاني من ماء البلدة الأمانة، وعوذني بدعوات متينة. فها أنا كما ترى أتهادى وأجتذب، وأستخلي وأستغذب. فقلنا: لعمرك إنه لفضل عيم، لولا الصميم، وإنها لمُنْقَبَة، لولا العقبة، وأثرة مُلتَمسة، لولا العطسة، فقال: دعنا من زخاريفك، وأغضض من عنان تصاريفك. البازل<sup>(١)</sup> لا يكون إلا ذميماً، والليث لا يوجد إلا شميماً. ثم قام وحمل، وابتدر وارتجل: [مجزوء الخفيف]

عِشْنَا كُلَّهُ خُدْغَ	فائرك اللوم عنك ودغ
أنا كالليث والليو	ث بأرسلها ترغ
ولها الأوجه السي	مه من يلقها يرغ
أي حسن لـمازن	بيد الدل يخترع
أنا كالسيف حده	لا يبالي بما وقع
إنما الحُسن للمها	ة وللطبي يا لكغ

فقلت: تبا لك سائر اليوم، إنك لتريش وتبري، وتقد وتفري، وتحاسن وتقايع، وتهاش وتنايح، وتحب وتأمل، وتحسن وتغلغل، وتشاعر وتراجز، وتناطح وتناجز. وأنت على هذا كله مُصِرٌّ، ما جزاؤك إلا ربح فيها صِرٌّ، فما هو إلا أن غفلت عنه لمحة طَرف، أو نفحة عَرف، ثم التفت وإذا به قد أفلس، وكأنما كان برقا خلس، ولم أدر أقام أو جلس.

ومحاسنه القُطر الذي لا يُعدُّ، والأمر الذي يأخذه الحدُّ. وكفى بهذه الرسالة دليلاً على جلاله مقداره، وتدقُّ بحاره وفخاره؛ لما اشتملت عليه من بلاغة وبيان، وبساط حال أنت على خبره بعيان، وعلوم ذات افتنان، خلَّد الله عليه الرحمة، وضاعف له المنة والنعمة.

مولده: بأوائل ربيع الثاني عام خمسة وستين وأربعمئة<sup>(٢)</sup>.

وفاته: من خط الحافظ المحدث أبي القاسم بن بشكوال، رحمه الله: كان<sup>(٣)</sup> ممن أصيب أيام الهَرَج بقرطبة، فعظم المصاب به، الشيخ الأجل، ذو الوزارتين، السيد الكامل، الشهير الأثير، الأديب، اللغوي، السري، الكاتب البليغ، معجزة زمانه

(١) البازل: ما بزل نابه من الإبل في السنة التاسعة. محيط المحيط (بزل).

(٢) قال في معجم الصدفى (ص ١٥٤): «ومولده سنة خمس، وقيل: سنة ثلاث وستين وأربعمئة».

(٣) هذا النص غير وارد في الصلة. وجاء في الصلة بعض مما ذكر هنا.

وسابق أقرانه، ذو المحاسن الجمّة، الجليّة الباهرة، والأدوات الرفيعة الزكية، الطاهرة الكاملة، المُجمّع على تناهي نباهته، وَحَمْدُ خصاله وفصاحته، من لا يُشَقُّ غباره، ولا تلحق آثاره، معجزة زمانه في صناعة النثر والنظم، أبو عبد الله بن أبي الخصال، رحمه الله تعالى ورضي عنه ونَصَّر وجهه. أُلْفِي مقتولاً قرب باب داره بالمدينة، وقد سلب ما كان عليه، بعد نهب داره، واستئصال حاله، وذهاب ماله، وذلك يوم السبت الثاني عشر من شهر ذي الحجة من سنة أربعين وخمسائة. فاحتمل إلى الرِّبض الشرقي بحومة الدرب، فُكِّلَ هنالك وَكُفِّن، ودفن بمقبرة ابن عباس عصر يوم الأحد بعده، ونعي إلى الناس وهم مشغولون بما كانوا بسبيله من الفتنة. فكثرت التفجّع لفقده، والتأسّف على مصاب مثله، وأجمعوا على أنه كان آخر رجال الأندلس علماً وحلمًا، وفهماً ومعرفة، وذكاء وحكمة ويقظة، وجلالة ونباة، وتفنّناً في العلوم. وكان له، رحمه الله، اهتمام بها، وتقديم في معرفتها وإتقانها. وكان، رحمه الله، صاحب لغة وتاريخ وحديث، وخبر وسير، ومعرفة برجال الحديث مضطلعاً بها، ومعرفة بوقائع العرب وأيام الناس، وبالنثر والنظم. وكان جَزُل القول، عذب اللفظ، حلّو الكلام، عذب الفكاهة، فصيح اللسان، بارع الخطّ حُسْنِه ومُتَقْنِه. كان في ذلك كله واحد عصره، ونسيج وحده، يُسَلِّم إليه في ذلك كله، مع جمال مَنْظَرِه، وحسن خلقه، وكرم فعّاله، ومشاركته لإخوانه. وكان مع ذلك كله جميل التواضع، حسن المعاشرة لأهل العلم، مسارعاً لمهماتهم، نهائياً بتكالييفهم، حافظاً لعهدهم، مكرماً لنبهاتهم، واسع الصدر، حسن المجالسة والمحاذثة، كثير المذاكرة، جَمُّ الإفادة. له تصانيف جليّة نبيهة، ظهر فيها علمه وفهمه، أخذها الناس عنه مع سائر ما كان يحمله ويتقنه، عن أشياخه الذين أخذ عنهم، وسمع منهم، وقرأ عليهم.

وقال غيره: قتل بدرب الفرعوني بقرب رَحْبة أبان، بداخل مدينة قرطبة، قرب باب عبد الجبّار يوم دخلها النصاري مع أميرهم ملك طليطلة، يوم قيام ابن حَمْدِين، واقتتاله مع يحيى بن علي بن غانية المُشَوِّفِي المُلَكَّم المرابطي يوم الأحد ثلاث عشرة مضت من ذي الحجة عام أربعين وخمسائة. قتله بَزْبَر المصامدة رَجَالَة أهل دولة اللثام لِحُسْنِ ملبسه، ولم يعرفوه، وقتلوا معه ابن أخته عبد الله بن عبد العزيز بن مسعود، وكان أنكحه ابنته، فقتلا معاً. وكان محمد خيرة الشيوخ، وعبد الله خيرة الأحداث، رحمهما الله تعالى.

### محمد بن مُفَضَّل بن مُهَيْب اللخمي

يكنى أبا بكر، من أهل شِلْب من العَلِيا.

حاله: قال الأستاذ أبو جعفر بن الزبير: كان منقبضاً عن الناس، أديباً، شاعراً، خمّس عشرينيات الفازاري، رحمه الله تعالى. وذكره صاحب الذيل، وقال لي شيخنا أبو البركات، وهو جدّه، أبو أبيه، ما معناه: كان شريفاً، عالي الهمة، عظيم الوقار، ألّوفاً، صمّوتا، نحيف الجسم، آدم اللون، خفيف العارض، مُقَطَّب الوجه، دائم العبوس، شامخ الأنف، إلّا أنه كان رجلاً عالماً راسخاً، عظيم النزاهة، حافظاً للمروءة، شهير الذكر، خطيباً مضقّعا، مهيباً كشهرة، قديم الرياسة، يُعَضِّد حديثه قديمه. واستقرّ بالمرية، لما تغلب العدو على بلد سلفه. ولما توفي شيخ المشايخ؛ أبو إسحق بن الحجاج، تنافس الناس من البلدين، وغيرهم، في خُطبة بنته. قال شيخنا أبو البركات: ومن خطّه نقلت، وكان ابن مهيب واحداً منهم في الإلحاح بالخطبة، متقدماً في حلفتهم، بجيوش الأشعار. ورام غلبته ذوو اليسار، من حيث كان بحمراء جيش الإعسار، فأذلّهم بالمقابلة في عُقر الدار، فلم يراجعوا من الغنيمة إلّا بالفرار. قلت: وجلب في هذا المعنى شعراً كثيراً، ناسب الغرض. ونال من المُتَغلب على المرية، على عهده، حُظوة، فاستظهر به تارة على معقل مَرَشانة، وتارة على الرسالة إلى الحضرة الحفصية بتونس. ولما أب من سفره إليها، سعى به لديه بما أوجب أن يحجّر عليه التّصرف، وسجنه بمنزله. فلما قصد المرية الغالب بالله، مُسْتَخْلِصاً إياها من يد الرئيس أبي عبد الله بن الرّميمي، ونزل بمدينتها، وحاصر قَصَبَتها، وقع اختيار الحاصر والمحصور على تعيين ابن مهيب، بمحاولة الأمر، وعقد الصلح، رضّى بدينه وأمانته، فعَقَد الصلح بينهما على أن يسلم ابن الرّميمي القصبة، ويُعان على ركوب البحر بماله وأهله وولده، فتأتّى ذلك واكتسب عند الغالب بالله، ما شاء من عِزّة وتَجَلّة.

وقفني شيخنا أبو البركات على ظهير سلطاني، صدر عن الأمير الغالب بالله، يدل على جلاله قدره، نصّه:

هذا ظهير كريم، أظهر العناية الحافلة لمُسْتَوْحِيها ومُسْتَحِقِّها، وأجراه من الرعاية الكاملة على الحُبِّ طرُقها. أمر بإحكام أحكامه، والتزام العمل بفصوله وأقسامه، الأمير أبو<sup>(١)</sup> عبد الله محمد بن يوسف بن نصر نَصَر الله أعلامه، وأدام لإقامة قِسْط العدل أيامه، لوليّه العليّ المكانة، وصفيّه المليء بأثرتي المعرفة

(١) كلمة «أبو» ساقطة في الأصل. وقد حكم أبو عبد الله محمد بن يوسف بن نصر غرناطة من سنة ٦٣٥ هـ إلى سنة ٦٧١ هـ. لللمحة البدرية (ص ٤٢).

والديانة، الحري بما اختصه، أيده الله، من الحفظ لمرتبه السامية والصيانة. للشيخ الفقيه، الجليل، العالم، الأوحد، العَلَم، الأتقى، الأزهر، الفاضل، الخطيب الأرفع، المحدث الثقة، الرؤية، الصالح، السني، الحافظ، الحافل، الماجد، السري، الطاهر، المُكْرَم، المبرور، الكامل، أبي بكر ابن الشيخ الوزير الأجل، الفقيه، الحسيب، الأصيل، الأمجد، المكرم، المبرور، الأفضل، المرحوم، أبي عمرو بن مَهَب، أدام الله عزّة جانبه، ووصل بالعلم والعمل ارتقاء مراتبه، أقام به الشواهد على اعتقاده، أنه أَخْلَصُ أوليائه وُدًّا، وأفضلهم قصداً، وأكرمهم عهداً، حين ظهرت له، أيده الله، آثار آرائه الأصيله، وبانت في الصلاح والإصلاح مَيَامُن مناقبه الجميلة، ووجب له من العناية والمزيتات أتم ما توجه معارفه، وتقتضيه مَجَادته، وزَهَادته، التي لا يُفْنَد في وصفها واصف. وأعلن بأنه دام عزّه، أحق من حُفِظَتْ عليه مرتبةُ صدور العلماء الراسخين في العلم، وأُبْقِيَتْ مزِيّة ما تميز به التقى والوَرَع الكافي والجَلَم، وبَرَعَ بصلة العناية بجانبه، لما أهلت إليه معرفته من نفع المتعلمين، وإرشاد من يَسْتَرْشده في مسائل الدين من المسلمين، وأفصح بأنه أولى مخصوص بالتجَلّة والتوقير، وأجدر مَنْصُوص على أن قَدَره لديه معتمد بالتكريم والتكبير. وأمر، أعلى الله أمره، أن يستمر له ولزوجه الحرّة الأصيله الزكية، التقية الصالحة، المصونة المكرمة المبرورة، عائشة بنت الشيخ الفقيه الجليل العالم الصالح السني، الزاهد الفاضل، المرحوم المقدس، الأَرْضَى، أبي إسحق ابن الحاج؛ ما اطردت به العادة لهما قديماً وحديثاً، وتضمنه الظهيران الكريمان، المؤرخ أحدهما بالعشر الأواخر لشوال عام خمسة وثلاثين وستمائة، من صَرَف النظر في أعشارهما وزَكَاتهما إليهما، ليضعا ذلك في أحقّ الوجوه، ويؤدّيا فيه حقّ الله تعالى، ما مثلهما علماً ودينًا من يؤدّيه، موكولاً ذلك لله، إلى ما لديهما، من نشر الأمانة، مصروفًا إلى نظرهما الجاري مع العلم والديانة، وتجديد أحكام ما بأيديهما من الظواهر والأوامر القديمة والحديثة، المتضمنة تسويغ الأملاك، على اختلافها، وتباين أجناسها وأوصافها، لهما ولأعقاب أعقابهما، على التأييد والتخليد، والمُحَاشاة من اللّوْازم، والمعاوز والمغارم، وأن يطرد لشركائهما، وعَمَرَة أملاكهما، ووكلاتهما، وحواشيها، ومن اتصل بهما، جميل العناية، وحَفِيل الرعاية، وموصول الحماية، الاستمرار الذي يطرد العمل به مدى الأيام، وتتوالى التَّمْشِيَة له من غير انصرام على الدوام، مُوَفَّى بذلك، ما يحقّ لجانب الفقيه العالم، الأوحد الأسنى، أبي بكر، أدام الله عزته، من حظوظ الإجلال، مُتَنَهًى فيه إلى أبعد آماذ العناية الشريفة، الفَسِيحة المجال، مُقَضًى على حقّ ما انفرد به من العلم، واتصف به من الديانة، اللذين أضافيا عليه ملابس البهاء والجلال. فمن وقف على هذا الظهير الكريم من الولاية

والعمال، وسائر ولاية الأشغال، وليلتقه بغاية الاثمار والامثال، إن شاء الله. وكتب في الثاني عشر من ذي الحجة عام ثلاثة وأربعين وستمائة.

مشيخته: أخذ عن أبي العباس أحمد بن مئذر الإشبيلي، تلا عليه بإشبيلية، وعلى عباس بن عطية أبي عمرو. وروى عن أبي محمد عبد الكبير الإشبيلي، وصحب أبا الحسن بن زرقون، وتفقه عليه. وانتقل إلى المرية، فصحب أبا إسحق البليفي وأخذ عنه، وتزوج ابنته. وأجاز له أبو عبد الله بن هشام الشواش وغيره. ثم انتقل آخر عمره إلى سبتة.

شعره: نقلت من خط شيخنا أبي البركات قوله في غرض الوصية: [الطويل]

أليل التوى، هل من سبيل إلى فخر؟  
أبى القلب إلا أن يهيم بحبكم  
رحلت عنكم لا بقلبي وإنما  
أعود بدهر الوصل من حين هجركم  
لتلعب<sup>(١)</sup> نفسي لست أنفق قربكم  
تقطع أكباد عليكم صباة  
وبالقلب من لا يصلح الصبر عنهم  
فلولاهم ما كنت أحسب ساعة  
ألا يا أخي فاسمع وصاتي<sup>(٢)</sup> فإنها  
يحبك في ذات الإله وبتغني  
ألا إنما التوفيق كنت من أهله<sup>(٣)</sup>  
بتوحيده في ذاته وصفاته  
فشابر على القرار والأثر الذي  
وعد لك الخيرات عما سواها  
إذا يسلك الشيطان فجأ سوى الذي

ويا قلب، كم تأسى ويا دمع، كم تجري  
وأن تبرحوا إلا القليل عن الفكر  
تركت لديكم حين ودعتم سري  
ورب وصال مستعاد من الهجر  
لزهدي فيكم بل حرصت على البر  
فاضبر فإن<sup>(٤)</sup> الخير أجمع في الصبر  
وإن كان خيرا فهو عنهم من الشر  
فقدتكم فيها عيانا من العمر  
أنتك<sup>(٥)</sup>، لعمرى، من أخ سالم الصدر  
بحبك عند الله مدخر الأجر  
مراعاة حق الله في السر والجهر  
وأفعاله أيضا وفي الند<sup>(٦)</sup> والأمر  
يصح عن المختار والسادة الغر  
وكن بها مستمسكا أبد الدهر  
سلكت ولا يلقي سبيلا إلى مكر

(١) في الأصل: «للعباب» وكذا لا يستقيم الوزن والمعنى معا.

(٢) في الأصل: «إن» وكذا ينكسر الوزن.

(٣) الوصاة، بفتح الواو: الوصية. محيط المحيط (وصى).

(٤) في الأصل: «لبيتك»، وهو ما لا معنى له.

(٥) في الأصل: «من أهله» وكذا ينكسر الوزن، لذا جعلنا همزة القطع همزة الوصل.

(٦) في الأصل: «الندى» وكذا لا يستقيم الوزن والمعنى معا.

وفَرَّقْ من<sup>(١)</sup> الأجناس حاشا تقيتهم  
ولا تَنَسَّني واذكُرْ أخاك بدعوة

قال شيخنا أبو البركات: ومن شعره، ومن خطه نقلت: [الكامل]

للصالحين إلى الصلاح طريقُ  
صرفوا النفوس من الهوى عن صوبها  
رَحَّبْتُ بهم وَعَدْتُ عليك تضيقُ  
فَعَدْتُ إلى طلب النجاة تَتَوَقُّ  
منها بعد أبيات:

يا قرّة العينِ استمغ من ناصح  
أنت الشقيق ولادةً ولذلك لي  
لا تَخْدَعَنَّكَ تُرْهَاتُ أُخْدِثَتْ  
واعكف على القرآن دهرَكَ واجتمع  
إنّ الحديث وفقهه وعلومه  
واهجز بني الدنيا فإنّ يَهْجُرْهم  
والحقّ بقومٍ قد عَنَوْا بتجارة  
واحفظ لسانك عن أذية<sup>(٢)</sup> مُسلم  
لا تَبْكِ هَمَّ الرزق فهو مُقَدَّرُ  
ولتَرْضَ بالرحمن ربًّا حاكمًا  
حلّوا عقال عقولهم وتحكّموا  
ولقد أَثْنَكْ نصيحتي ولشمنسها  
فكنّ القريبَ مكانه من نفعها  
واصطدّ بباري العزم أطيّار الرضا  
ولتجعل التسبيح شأنك إنه  
واقنع بعلم الوحي علما ثم لا  
لا تَرْضَ فيه بالدنية وَلَتُمُتْ  
ما كلُّ عِلْمٍ يُهْتَدَى بحصوله  
في صدره قَلْبٌ عليك شفيقُ  
روحٌ لروحك في الخُلوص شقيقُ  
وَحُزْنُ غَبَلَاتٍ للجهول تَرَوُّقُ  
فالشغلُ عنك لغيره تفريقُ  
هذا الذي للمؤمنين يليقُ  
يتضاعف الإيمان والتصديق  
نَفَقَتْ لهم يوم القيامة سُوقُ  
فسيبابه قال الرسول فسوق  
والعبد طول حياته مَرْزُوقُ  
ودع الفضول فممنه ضلّ فريقُ  
إنّ التحكم بالعقول مُرُوقُ  
في أفقِ حُبِّكَ يا حبيبُ شُروقُ  
فمكان سَدَّتْها إليك سحيقُ  
فأخوك غايةً بازه التحليقُ  
في الصُّعب ممن شأنه التّضفيقُ  
يذهب بك التّشقيق والتوفيقُ  
عَطَشًا إذا لم تُسَقَ منه رحيقُ  
منه الرّكيك نَعَمَ ومنه رقيقُ

(١) كلمة «من» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها ليستقيم الوزن.

(٢) في الأصل: «إذاية».



كمدارك الأصوات منها طيَّبَ      تسلو النفوس به ومنه نهيق  
وعليكم مني تحية من له      قلب إليكم أجمعين<sup>(١)</sup> مشوق  
وقال: ألفت بخطه ما نصه: وكان بعض السفهاء قد كتب إلي بيتين من شعر  
وهما: [الطويل]

إليك، أبا بكر، رَفَعْتُ وسيلتي      ومثلك من تلقى إليه الوسائل  
غَرقت ببحر الدل يومًا وليس لي      بأرضكم إلا اهتمامك ساحل  
وأساء المحاولة في دفعها، فصرفت، ولم أقف عليهما، فضرب عليهما، وكتب  
في ظهرهما: [الطويل]

حللت، أبا بكر، بموطن عزة      فأنسيت ما قد كنت فيه من الدل  
وأصلك من كبر وكن متكبرًا      وكيف يطيب الفرع من ذلك الأضل؟  
وكتبت إليه صُخبة دراهم وَجَّهْتُ بها إليه: [الطويل]

جَفَوْتُ وما زال الجفاء<sup>(٢)</sup> سجيَّة      لمثلك ما إن زال تُبلى بها مثلي<sup>(٣)</sup>  
وما قلت في أصلي فكذبة فاجر      رأى الفرع محمودًا فعاب على الأضل  
وبالإفك ما عَثَرْتُ لا بحقيقة      فما الكبر من شأني ولا كنت في ذل  
وما زلت، والله، الحميد مُكْرَمًا      وفي نائبات الدهر للعقد والحل  
ولو كنت مَنْ يَتَّقِي الله لم تكن      تُمرُّ<sup>(٤)</sup> متى تَسْخَطُ وعند الرضا تُحلي<sup>(٥)</sup>  
أما قلت أني ساحل لك عندما      عَرَفْتُ ببحر الدل في زمن المخل؟  
وكيف نَسَخْتُ المدح بالدُّم قبل أن      تبث لي الشكوى وتذلي بما تُذلي<sup>(٦)</sup>  
ولكن لؤم الطَّبْع يحمل أهله      على الصُّعْب من سب الكرام أو الثَّيل  
إذا<sup>(٧)</sup> كان بعض الكبر نقصًا فإنه      عليك من الأوغاد يُحسب في الفضل  
وما الدل إلا ما أتى بك نحونا      فقيرًا من التَّقوى سليبا من العقل  
ومطلوبك الدنيا فخذها خسيَّة      توافي خسيس النَّفس والقول والفعل

(١) في الأصل: «أجمعه» وكذا ينكسر الوزن. (٢) في الأصل: «الجفاء» وهكذا ينكسر الوزن.

(٣) في الأصل: «مثل» وهكذا ينكسر الوزن، وأعتقد أنه خطأ في الطبع.

(٤) في الأصل: «تمد» بالدال.

(٥) في الأصل: «تحل». يقول: يُضَرَّ متى يَسْخَطُ، وعند الرضا يرفع.

(٦) في الأصل: «تذل» بدون ياء. (٧) في الأصل: «إن» وكذا ينكسر الوزن.

وما الجود إلّا ما أصبَتْ مكانه ومثلُك من يُجفّي ويقلب خاسئًا  
ولكنني عَوِّذْتُ نَفْسِي عَادَةً  
فخذها، لحاك الله، غير مبارك  
ومثلي مَنْ يُؤْذَى فيحتمل الأذى  
وقد قال من لا شك في قوله مِنْ حِكْ  
فإن زِدْتَنَا زِدْنَا وإن كنتَ نادمًا  
ففي كل شيء لستُ عنك مقصّرًا

ومهما فَقَدْتَ الأصل لا عارَ في البُخل  
فلستُ لإسداء الصَّنِيعَةِ بالأهل  
من البَذل لم أعدلُ بها قطُّ عن نَذل  
لسعيك فيها يا ابن خانية النُّعل  
ولكنه قد يَذرُّ<sup>(١)</sup> الجَهْلَ بالجهل  
مّةً إنما القتلُ أذهبُ للقتل<sup>(٢)</sup>  
فَبلُنّاك أخذًا في أموركَ بالعدل  
بما شئتَ من قطع وما شئتَ من وَضَل

قال الشيخ: قول الهاجي: وأصلك من كبر، معناه التعريض يكون سلف أبي بكر بن مهيب، علواً في أنفسهم وتكبروا، فثاروا بسبب ذلك بطيرة وجهاتها، ثار منهم عبد الرحمن جد أبي بكر، ثم حسن، ثم عامر أخوه، وإلى هذا أشار أبو بكر بن مهيب بقوله في بعض شعره: [الكامل]

إن لم أكن مَلِكًا فكنْتُ رَئِيسًا<sup>(٣)</sup>

وأنشد في الصلة الزيرية<sup>(٤)</sup>، قوله رحمه الله: [الكامل]

أُملي من الدنيا المباحة كِسْرَةً  
قد أَضْرَبَ الزمانُ عن سكانها  
أُبقي بها رمقي ودارُ نابيه  
فكأنها في القَفْرِ دارُ خالیه  
ومن شعره في المقطوعات: [الطويل]

تَرَحَّلَ صَبْرِي والولوعُ مقيمُ  
وَصَحَّ اشتياقي والسُّلُو سقيمُ  
فِياليت شعري هل أفوز بعطف من  
زَيْنَت خُدِّي وَزَدًا عليه أقوم<sup>(٥)</sup>؟  
ويا جَنَّةً قد حِيلَ بيني وبينها  
بِقَلْبِي مِنْ شَوْقي إِلَيْكَ جحيمُ

دخوله غرناطة: قال الشيخ: دخل غرناطة مرتين، أخبرني بذلك الشيخ القاضي أبو الحسن بن عُبَيْدة، وهو بصير بأخباره، إذ هو من أصحاب سلفه، وممن رافق جدّه في الكُتُب عن بعض الأمراء مدة، وفي الخطابة بالمرّة أخرى.

(١) في الأصل: «يُدر» وكذا لا يستقيم المعنى والوزن معاً. وذرّ الجهل بالجهل: دفعه دفعاً شديداً.

(٢) في الأصل: «... من الحكما القتل...» وكذا لا يستقيم الوزن والمعنى معاً.

(٣) في الأصل: «رئيساً» وكذا ينكسر الوزن. (٤) أي كتاب «صلة الصلة» لابن الزبير.

(٥) عجز هذا البيت لا يستقيم وزنه ولا معناه.

وفاته: توفي بسبته أول ليلة من جمادى الآخرة عام خمسة وأربعين وستمائة.

### محمد بن عبد الله بن داود بن خطاب الغافقي

حاله: من صلة ابن الزبير: كان كاتبًا بارعًا، شاعرًا مجيدًا، له مشاركة في أصول الفقه وعلم الكلام، وغير ذلك، مع نباهة وحسن فهم، ذو فضل وتعقل، وحسن سمّت. وورد على غرناطة، واستعمل في الكتابة السلطانية مدة، وكان معلوم القدر، معظمًا عند الكافة. ثم إنه رجع إلى مرسية، وقد ساءت أحوالها، فأقام بها مدة، ثم انفصل عنها، وقد اشتدت أحوالها، واستقر بالعدوة بعد مكابدة.

قلت: أخبرني شيخنا أبو الحسن الجياب، رحمه الله، قال: كان شكس الأخلاق، متقاطبًا، زاهيًا بنفسه؛ ابتداء يومًا كاتبًا مُصدّرًا بخطبته، فقال فيه يصف صحابة رسول الله ﷺ «عفو العفوة»، وتركه لأمر عرض له، فنظر إليه الفقيه عمر اللّوشي، وهو كاتب المقام السلطاني، فظنّ لقصوره أنه وهَم، وأراد «الصفوة» فأصلحه، فلمّا عاد ونظر إليه مزّقه، وكسر الآلة، وقال: لا أقيم بموضع بلغ فيه الجهل إلى هذا القدر، ويُنسَوُ به الإصلاح على قلم يُطمع بعد في مقامه. وانصرف، واستقرّ بتلمسان، كاتبًا عن سلطانها أبي يحيى يغمُراسن بن زيّان. وزعموا أن المستنصر أبا عبد الله ابن الأمير أبي زكريا، استقدمه على عادته في استدعاء الكتاب المشاهير والعلماء، وبعث إليه ألف دينار من الذهب العَيْن، فاعتذر ورّد عليه المال، وكانت أشقّ ما مرّ على المستنصر، وطهر له علوّ شأنه، وبُعْدُ هُمّته.

مشيخته: روى عن القاضيين أبي عيسى بن أبي السّداد، وأبي بكر بن مُحرز، وعن الأستاذ أبي بكر محمد بن محمد، المعروف بالقرشي، وقرأ وسمع على هؤلاء ببلده، وأجاز له كتابة أبو الربيع بن سالم وغيره.

شعره: من ذلك قوله: [الكامل]

اقنع بما أوتيته تئل الغنى	وإذا دهّثك مُلِمةً فتصبّر
واعلم بأنّ الرزق مقسوم فلو	رُمنّا زيادة ذرّة لم نقدر
والله أرحمُ بالعباد فلا تسَلْ	أحدًا تعيش عيش الكرام وتؤجر
وإذا سخطت لبؤس حالك مرة	ورأيت نفسك قد عوّث فلتبصر
وانظر إلى من كان دونك تذكر	لعظيم نعمته عليك وتشكر

ومما قاله في صباه: [الكامل]

يَا دَعْوَةَ شَاكِ<sup>(١)</sup>  
 ظَنَيْتُ تَصَدَّى لِلْقُلُوبِ يَصِيدُهَا  
 وَرَمَى وَإِنْ قَالُوا رَنَا عَنْ فَاتِرٍ  
 قَدْ كُنْتُ أَحْذَرُ بَطْشُهُ لَوْ أَنَّنِي  
 أَوْ مَا عَلَيْهِ وَلَا عَلَيْهِ حَاكِمٌ  
 أَوْ مَا لَجَارِكَ ذِمَّةٌ مَرْعِيَّةٌ  
 إِنِّي اسْتَنْمْتُ إِلَى ظَلَالِكَ ضَلَّةٌ  
 مَا لِي أَخَاطِبُ بَائِئَةً مَا أَنْ تَعِي  
 أَكْرِيْمَةُ الْحَيِّينَ، هَلْ لِمُتَيِّمٍ  
 أَصْبَتْنِي بَعْدَ الْمَشِيبِ وَلَيْسَ مِنْ  
 لَوْلَاكِ<sup>(٢)</sup> مَا جَذَبْتُ عِنَانِي لَوْعَةً  
 لَمَّا دَعَا دَاعِي هَوَاكِ أَجَبْتُهُ  
 أَضْلَيْتَنِي نَارَ الصُّدُودِ وَإِنِّي  
 وَأَبْخْتُ مَا مَنَعَ التَّشْرِعَ مِنْ دَمِي  
 وَتَرَكْتُ قَلْبِي طَائِرًا مَتَخَبُطًا  
 وَمَنْعْتُ أَجْفَانِي لِذِيذِ مَنَامِهَا  
 وَلَقَدْ عَجَبْتُ وَأَنْتِ جِدُّ بِخِيلَةٍ  
 إِنِّي لِأَيَّاسُ مِنْ وَصْلِكَ تَارَةً  
 أَسْمَاكَ أَنْكَ قَدْ خَفَضْتَ مَكَانَتِي  
 إِنِّي مُعْنَاكِ الْمَتَيِّمِ فَلِيَكُنْ  
 تَشْنِي مَعَاطِفِكَ الصُّبَا خُوطِيَّةٌ  
 أَبْعَدْتَنِي مِنْهَا بِطَعْنَةِ رَامِحٍ  
 أَمُوتَ مِنْ عَطَشٍ وَثَغْرِكَ مَوْرِدٌ  
 هَلَا تَنْسِي عَنْ حُلُوةٍ فَلِيلَةٍ

مَا قَدْ دَهَاهُ مِنْ لِحَاطِ رَشَاكِ  
 مِنْ نَاطِرِيهِ فِي سِلَاحِ شَاكِ  
 سَاجَ عَلَيْهِ سِيْمَةُ<sup>(٣)</sup> الثُّسَاكِ  
 أَبْصَرْتُ مِنْهُ مَخَايِلَ الْفَتَاكِ  
 يَحْمِي ثُغُورَكَ أَوْ يَحُوطُ حِمَاكَ  
 أَبْذَا يَظْلُ دُمُ الْغَرِيبِ طِلَاكَ؟  
 فَإِذَا ظَبَاؤُكَ مَاضِيَاتِ ظَبَاكَ  
 قَوْلًا وَلَا تَرْتِي لِدَمْعَةٍ بَاكَ؟  
 رَحِمَى لَدَيْكَ فَأَرْتَجِي رَحِمَاكَ؟  
 عُذْرُ لِمَنْ لَمْ يُضْبِهِ ثَرَاكَ  
 وَاللَّهِ يَشْهَدُ أَنَّنِي لَوْلَاكَ  
 مِنْ لَا يَجِيبُ إِذَا دَعَتْ عَيْنَاكَ؟  
 رَاضٍ بِأَنْ أَضْلَى وَلَا أَسْلَاكَ  
 بِاللَّهِ مَنْ أَفْتَاكَ قَتْلَ فَتَاكَ؟  
 بِشِبَاكِ<sup>(٤)</sup> خَتَلِكَ أَوْ بَطْغَنَ سِبَاكَ  
 كَيْ لَا يَتِيحَ لِي الْكَرَى لُقْيَاكَ  
 كَأَنَّ<sup>(٥)</sup> أَعَزَّتِ الشَّمْسُ بَغْضَ حُلَاكَ  
 لَكِنْ أَعْلَلْتُ مَطْمَعِي بُعْلَاكَ  
 هَلَا خَلَعْتَ عَلَيَّ مِنْ سِيْمَاكَ؟  
 حَظِّي لَدَيْكَ مَنَاسِبًا مَعْنَاكَ  
 وَكَذَا الصُّبَا فَصِبَاكَ مِثْلُ جِمَاكَ  
 أَلْذَاكَ سَمْتُكَ الْوَرَى بِسَمَاكَ؟  
 فِيهِ الْحَيَاةُ اسْتَوْدَعَتْهَا فَاكَ؟  
 وَضَعْتُ أَدَاةَ النَّفْيِ فِي اسْمِ لَمَاكَ

(١) صدر هذا البيت مختل الوزن والمعنى. (٢) في الأصل: «سيم» وكذا لا يستقيم الوزن.

(٣) في الأصل: «لولا» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٤) في الأصل: «شباك» وكذا ينكسر الوزن. (٥) في الأصل: «أن» وكذا ينكسر الوزن.

وقال يجيب أبا عبد الله بن خميس، رحمه الله، عن قصيدة بعث بها إليه أولها:

[الكامل]

رُذِي فِي حَدَائِقِ مَائِهَا مَرْتَادُ      قَدْ لَدُ مَوْرُودٌ وَطَابَ مُرَادُ  
رُزْقُ الْأَسْتَةِ دُونَ رُزْقِ حَمَامِهَا      وَظُبَى كَمَا رَنَّتِ الْعَيُونُ حِدَادُ  
هذه الأبيات: [الكامل]

نِعَمَ الْمَرَادُ لِمَنْ غَدَا يَرْتَادُ      مَرَعَى يَرِفَ نَبَاتُهُ وَمِهَادُ  
سَأَلَتْ عَلَى الْعَافِي جِدَاوُلُهُ كَمَا      صَالَتْ عَلَى الْعَادِي ظُبَى تَنَادُ<sup>(١)</sup>  
فَشَدَّدَتْ رَحْلَ مَطِيئِي مِنْهُ إِلَى      حَيْثُ السِّيَادَةِ تُبْتَنِي وَتُشَادُ  
وَرَكِبْتُ نَاجِيَةً<sup>(٢)</sup> مَبَارِيَةَ الصَّبَا      خُضْرَاءَ<sup>(٣)</sup> فَوْقَ خُضَارَةٍ<sup>(٤)</sup> تُعْتَادُ  
يَغْتَادُهَا سَكَانُهَا قُلُبٌ عَلَى      مَنْ كَانَ مِنْ سَكَانِهَا اسْتِبْدَادُ  
عَجَبًا لَهُمْ أَحْلَامُهُمْ عَادِيَةً      تَمْضِي عَلَيْهِمْ حُكْمُهَا أَعْوَادُ  
خَبَزَ تِلْمِيسَانَا بِأَنِي<sup>(٥)</sup> جِئْتُهَا      لَمَّا دَعَانِي نَحْوُهَا الرُّوَادُ  
وَأَعَاقَهَا<sup>(٦)</sup> سَفْعًا وَلَمْ أَرْ حُسْنَهَا      إِلَّا أَنَا سَا حَذَّوْا فَأَجَادُوا<sup>(٧)</sup>  
وَلَرَبُّ حُسْنٍ لَا ثَوَاهُ نَاطِرُ      وَيَرَاهُ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ فَوَادُ  
وَدَخَلْتُهَا فَدَخَلْتُ مِنْهَا جَنَّةً      سَكَانُهَا لَا تَخْفَى وَلَا حِيَادُ<sup>(٨)</sup>  
وَرَأَيْتُ فَضْلًا بَاهِرًا وَمَكَارِمًا      وَعُلَا تَغَاظِرُ دُونَهَا التَّعْدَادُ  
أَهْلَ الرُّوَايَةِ وَالِدِرَايَةِ وَالنُّدَى      فِي نُورِهِمْ أَبَدًا لَنَا اسْتِمْدَادُ  
فَهُمْ إِذَا سُئِلُوا بِحَارٍ مَعَارِفَ      وَلَدَى السَّكِينَةِ وَالنَّهْيِ أَطْوَادُ  
دَرَجَاتِهَا يَنْحَطُّ عَنْهَا غَيْرُهُمْ      وَمَنْ الْوَرَى قَتَرَ وَمِنْهُ وَهَادُ  
فَأَجْلَهُمْ وَأَحْلَهُمْ مِنْ مَهْجَتِي      بِمَكَانَةٍ مَا فَوْقَهَا مُزْدَادُ  
وَأَوْدُ حِينَ أَخْطُ أَطِيبَ ذِكْرَهُمْ      لَوْ أَنَّ أَسْوَدَ مُقْلَتَيَّ مِدَادُ

- (١) في الأصل: «العادي بدا ناد» وكذا لا يستقيم الوزن ولا معنى له. والعادي: العدو.  
(٢) الناجية: الناقة السريعة تنجو بمن ركبها. محيط المحيط (نجا).  
(٣) في الأصل: «خضراء» وكذا ينكسر الوزن. والخضراء: السماء. محيط المحيط (خضر).  
(٤) الخضارة: عَلَمٌ لِلْبَحْرِ غَيْرُ مَنْصَرَفٍ. محيط المحيط (خضر).  
(٥) في الأصل: «بأنني» وكذا ينكسر الوزن.  
(٦) في الأصل: «وعاقتها» وكذا لا يستقيم المعنى ولا الوزن.  
(٧) في الأصل: «فأجاد». (٨) عجز البيت مختل الوزن والمعنى معًا.

وقال يخاطبه وقد وقف على بعض قصيدة: [الكامل]

رَقْتُ حواشي طبعك ابنَ خميسٍ      فهفا قريضُك بي وهاج رَسيسي  
ولمثلة يَضْبُو الحليم ويمتري      ما للشروق به وسيرُ العيس  
لك في البلاغة والبلاغة بعض ما      تحويه من أثرِ محلِّ ريسسي  
نَظْمٌ ونثر لا تُبارى فيهما      مهَّدت<sup>(١)</sup> ذاك وذا بعلم الطُوسِ

وقال عند وفاته وربما نُسبت لغيره: [الخفيف]

ربُّ أنت الحليم فاغفر ذنوبي      ليس يعفو عن الذنوبِ سواكا  
ربُّ ثَبَّتْ عند السؤال لساني      وأَقَمْنِي على طريق هُداكا  
ربُّ كن لي<sup>(٢)</sup> إذا وقفتُ ذليلاً      ناكسَ الرأي أَسْتَحِي أن أراكا  
ربُّ من لي والنارُ قد قُرِبَتْ لي      وأنا قد أبَحْتُ عَهْدَ حِمَاكا؟  
ربُّ مالي من عُدَّةٍ لمالي      غير أني أعددت صِدْقَ رجاكا  
ربُّ أقرزْتُ أُنِّي<sup>(٣)</sup> عَبدُ سوء      جَلُمُك الجُمُ غَرَّه فعصاكا  
ربُّ أنت الجواد بالخير دوماً      لم تزل راحماً فَهَبْ لي رضاكا  
ربُّ إن لم أكن لفضلك أهلاً      باجترائي فأنت أهلٌ لذاكا

نثره: ومن نثره ما خاطب به صديقين له بمرسية من مدينة إشبيلية:

كتبته، كتب الله لكما فوزاً بالحسنى، وأجناكما من ثمرات إحسانه أكثر ما يُجْنَى. من إشبيلية، وحالي بحمد الله حسنة، ونفسي بحب قريبكما مُرتَهنة، وعليّ بما لديكما من السراوة التي جُبِلْتما على فطرتيها، وامتزجتما في الاجتلاء بغرَّتْها، علم لا يدخله الشك، ونسبتي إلى وُدكما الذي لبسته مغلماً، وتقلدته مخرماً، لا يعبر عن معناها إلا بما لا يزال ولا ينفك. فلنثن عِنان القلم عن مداده، ونأخذ في حديث سواه. وصلنا إشبيلية ضحوة يوم الثلاثاء خامس ربيع الآخر، ولقينا الإفانت<sup>(٤)</sup> على ميلين، وفزنا بما ظهر من بشره واعتنائه بقرار خاطر، وقرة العين، ونزلنا في الأخيبة

(١) في الأصل: «تمهَّدت» وكذا ينكسر الوزن.

(٢) كلمة «لي» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها ليستقيم المعنى والوزن معاً.

(٣) في الأصل: «أني» وكذا ينكسر الوزن.

(٤) المراد: الإفانت، بالإسبانية Infante، وهو لقب كان يطلق على ولي عهد ملك قشتالة، إذ كانت إشبيلية آنذاك تابعة لقشتالة لأنها سقطت في أيدي الإسبان سنة ٦٤٦ هـ. وصارت عاصمة لقشتالة. راجع: الإحاطة (ج ٢ ص ٤٣١) تحقيق عنان، حاشية رقم ٦.

خارج البلد، موضعاً يعرف بالقنب<sup>(١)</sup>، قد تفجّر عيوناً، وجمع ماؤه وهواؤه من المحاسن فنوناً، وعرض علينا النزول في الدّيار داخل المدينة، فرأينا المقام فيه أحد الأسباب المُسعدة على حفظ الصحة المَعينة، ورغبنا عن المدينة لحرّها الوهاج، وغبارها العجاج، ومائها الأجاج. ولما ثاب من النشاط البارح، واستقلّ من المَطْي الرازح، طفت في خارجها وداخلها، ووقفت على مبانيها المشيّدة ومنازلها، ورأيت انسياب أراقشها، وتقصيت آثار طُرَيَاتِهَا<sup>(٢)</sup> وبراقشها، فشاهدت من المباني العتيقة، والمنارة<sup>(٣)</sup> الأنيقة، ما يملأ أعين النُّظَّار، وينفسح فيه مجال الاعتبار، على أني ما رأيته إلا بعد ما استولى عليها الحُسنف، وبان عنها الظُّرف، ونبا عنها الطُّرف، فلا ترى من مغانيها إلا طللًا دارسًا، ولا تلمح من بدائعها إلا مُحَيّا عابسًا، لكن الرائي إذا قَدَّر وضعها الأول، وركب وهمه من مبانيها ما تحلّل، وتخيل في ذهنه حُسْنَهَا وتمثل، تصور حُسْنًا يدعو إلى المجون، ويُسلي عن الشجون، لولا أنها عُرِضت لأشمط راهب، لما دان إلا بدَن ولا تقَرَّب بغير قارب، وحسبي أن أصفها بما يقيها من القبول، وأقول إنها في البلاد بمنزلة الربيع من الفصول، ولولا أن خاطري مُقسَّم، وفكري حدّه مثلّم، لقضيت من الإطناب وطُرًا، ولم أدع من معاهدها عينًا إلا وصفتها ولا أثرًا.

**وفاته:** توفي بتلمسان يوم عاشوراء سنة ست وثمانين وستمائة.

### محمد بن عبد الله بن محمد بن لب الأمي<sup>(٤)</sup>

يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن الصايغ، بالصاد المهملة، والغين المعجمة، من أهل المريّة.

**حاله:** من خط<sup>(٥)</sup> شيخنا أبي البركات في «الكتاب المؤتمن على أنباء أبناء الزمن»: كان سهلًا، سَلِسَ القياد، لذيذ العشرة، دَمِثَ الأخلاق، مِتَالًا إلى الدّعة، نَفُورًا عن اللّصّب، يركن إلى فضل ثبّاهة وذكاء، يُحاسِب بها<sup>(٦)</sup> عند التحصيل والدراسة والدُّؤوب على الطلب، من رجل يجري من الألحان على مضمارٍ لطيف،

(١) القنب: بالإسبانية El Campo، وهو الحقل أو الميدان.

(٢) طريانة: بالإسبانية Triana وهي ضاحية بإشبيلية على نهر الوادي الكبير.

(٣) هي منارة المسجد الجامع بإشبيلية، وتعرف اليوم باسم La Giralda.

(٤) ترجمة ابن لب الأمي في الكتيبة الكامنة (ص ٨٨) وبغية الوعاة (ص ٦٠) والدرر الكامنة (ج ٤ ص ١٠٣) ونفع الطيب (ج ٨ ص ٣٥٨ وما بعدها).

(٥) النص في نفع الطيب (ج ٨ ص ٣٥٩). (٦) في النفع: «بهما».

ولم يكن له صوت رخيم، يُساق<sup>(١)</sup> انطباعه في التّلحين، يخبر<sup>(٢)</sup> ذلك بالأوتار. وحاول من ذلك بيده مع أصحابه، ما لاذ به الظرفاء منهم. واستعمل بدار الأشراف بالمرية، فأحكم تلك الطريقة في أقرب زمان، وجاء زمامه يروق من ذلك العمل شأنه<sup>(٣)</sup>. ثم نهضت به همته إلى أرفع من ذلك، فسار إلى غرناطة، وقرأ<sup>(٤)</sup> بها العربية وغيرها، وانخرط في سلك نبهاء الطلبة لأدنى مدة. ثم رحل إلى بلاد المشرق في حدود العشرين وسبعمائة، فلم يتجاوز القاهرة لموافقة هوائها<sup>(٥)</sup> علّة كان يشكوها، وأخذ في إقراء العربية بها، وعُرف بها إلى أن صار يدعى بأبي عبد الله النحوي. قال شيخنا المذكور: ورأى في صغره فأرة أنثى، فقال: هذه قرينة، فلُقّب بذلك، وصار هذا اللقب أغلب عليه<sup>(٦)</sup> من اسمه ومعرفته.

وجرى ذكره في التاج بما نصه<sup>(٧)</sup>: لُج معرفة لا يغيض<sup>(٨)</sup>، وصاحب فنون يأخذ فيها ويُفيض. نشأ ببلده مُشمرًا عن ساعد اجتهاده، وشارك<sup>(٩)</sup> في قُنن<sup>(١٠)</sup> العلم ووهاده، حتى أነع روضه، وفهّق<sup>(١١)</sup> حوضه. ثم أخذ في إراحة<sup>(١٢)</sup> ذاته، وشام بارقة<sup>(١٣)</sup> لذاته، ثم سار في البطالة سير الجُمُوح، وواصل العُبُوق بالصُّبُوح، حتى قضى وطره، وسيم بطره، وركب الفُلُك، وخاض اللُّجَج الحُلُك، واستقرّ بمصر على النعمة العريضة، على شكّ في قضائه<sup>(١٤)</sup> الحجة العريضة، وهو اليوم<sup>(١٥)</sup> بمدرستها الصالحة، نبيه المكانة، معدود في أهل العلم والديانة.

مشيخته: قرأ بالمرية على المكتّب أبي عبد الله الميزقي، وأخذ عن شيخ الجماعة أبي الحسن بن أبي العيش، وقرأ بالحضرة على الخطيب أبي الحسن<sup>(١٦)</sup> القيجاطي وغيره. وأخذ بالقاهرة عن الأستاذ أبي حيّان، وانتفع به وبجاهه.

(١) يساق: يجاري ويوازي. لسان العرب (سوق).

(٢) في النفع: «فجبر». (٣) في النفع: «من شأنه».

(٤) في النفع: «فقرأ». (٥) في الأصل: «هواها» والتصويب من النفع.

(٦) كلمة «عليه» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من النفع.

(٧) النص في نفع الطيب (ج ٨ ص ٣٥٨ - ٣٥٩).

(٨) لا يغيض: لا ينضب. لسان العرب (غيض).

(٩) في النفع: «وسائرًا».

(١٠) القُنن: جمع قُنّة وهي القمّة. لسان العرب (قُنن).

(١١) فهّق: امتلأ. لسان العرب (فهق).

(١٢) في النفع: «راحة». (١٣) في النفع: «بارق».

(١٤) في النفع: «في قضاء حجة الفريضة».

(١٥) كلمة «اليوم» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من النفع.

(١٦) في نفع الطيب (ج ٨ ص ٣٥٩): «على الخطيب أبي علي القيجاطي وطبقته».



شعره: قال شيخنا أبو البركات: وكان أخذ من قَرَض جيد الشعر بالحظ الوافر. فمن شعره ما نقله إلينا الحاج الحافظ المُكْتَب أبو جعفر بن غصن، حسبما قيده عنه بمصر<sup>(١)</sup>: [الكامل]

بُعْدُ الْمَزَارِ وَلَوْعَةُ الْأَشْوَاقِ<sup>(٢)</sup>      حَكَمًا بِقَيْضِ مَدَامِعِ الْأَمَاقِ  
وَحَفُوقُ تَجْدِي النَّسِيمِ إِذَا سَرَى      أَذْكَى لَهَيْبِ فَوَادِي الْخَفَاقِ  
أَمْعَلِّي إِنَّ التَّوَاصِلَ فِي غَدٍ      مَنْ ذَا الَّذِي لِعَدِّ قَذِيئِكَ بَاقٍ؟  
إِنَّ اللَّيَالِي سُبَّقَ قَدْ<sup>(٣)</sup> أَقْبَلَتْ      وَإِذَا تَوَلَّتْ لَمْ تُنَلِّ بِلِحَاقِ  
عُجْ<sup>(٤)</sup> بِالْمَطِيِّ عَلَى الْحَمَى، سُقِيَ الْحِمَا      صَوَّبَ الْغَمَامِ الْوَكَافِ الرَّفَاقِ  
فِيهِ<sup>(٥)</sup> لَذِي الْقَلْبِ السَّلِيمِ وَدَادُهُ      قَلْبٌ سَلِيمٌ يَا<sup>(٦)</sup> لَهُ مِنْ رَاقٍ<sup>(٧)</sup>  
قَلْبٌ غَدَاةَ فِرَاقِهِمْ فَارَقْتُهُ      لَا كَانَ فِي الْأَيَّامِ يَوْمُ فِرَاقٍ<sup>(٨)</sup>  
يَا سَارِيَا وَاللَّيْلُ سَاجٍ عَاكِفٌ      يَفْرِي الْفَلَا<sup>(٩)</sup> بِنَجَائِبِ<sup>(١٠)</sup> وَنِيَاقِ  
عَرَجٌ عَلَى مَثْوَى الثُّبِيِّ مُحَمَّدٍ      خَيْرِ الْبَرِيَّةِ ذِي الْمَحَلِّ الرَّاقِي<sup>(١١)</sup>  
وَرَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَمَنْ لَهُ      حَفِظَ الْعَهْدِ وَصَحَّةُ الْمِيثَاقِ  
الظَّاهِرُ الْآيَاتِ قَامَ دَلِيلُهَا      وَالطَّاهِرُ الْأَخْلَاقِ وَالْأَعْرَاقِ  
بَذُرُ الْهَدْيِ<sup>(١٢)</sup> الْبَادِي الَّذِي<sup>(١٣)</sup> آيَاتُهُ<sup>(١٤)</sup>      وَجَبِيئُهُ كَالشَّمْسِ فِي الْإِشْرَاقِ

(١) القصيدة في الكتيبة الكامنة (ص ٨٨ - ٩٠) ونفع الطيب (ج ٨ ص ٣٥٩ - ٣٦٣).

(٢) في الأصل: «وَلَوْعَتُهُ أَشْوَاقُ» والتصويب من المصدرين.

(٣) في المصدرين: «إِنَّ».

(٤) في الأصل: «فَصَفَحَ تَمْدُونَهُ عَلَى...». وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصدرين.

(٥) في الكتيبة: «فِيهِ». (٦) في النفع: «مَا لَهُ».

(٧) جاء في الكتيبة بدل عجز هذا البيت عجز البيت التالي. والسليم: المريض. والراقي: الذي يستعمل الرقية لمداداة المرض. لسان العرب (سلم) و(رقى).

(٨) هذا البيت غير وارد في الكتيبة.

(٩) في الأصل: «يَفْتَرِي لِلْعَلَا» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصدرين.

(١٠) النجائب: الإبل السريعة. لسان العرب (نجب).

(١١) في الأصل: «الْمَنْخَلُ الْبَرَاقُ» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة. وفي النفع: «المقام» بدل «المحل».

(١٢) في الكتيبة: «الْهَوَى».

(١٣) كلمة «الذي» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من المصدرين.

(١٤) في النفع: «... الْهَدْيُ وَهُوَ الَّذِي آيَاتُهُ».

الشافعُ المقبولُ مَنْ عَمَّ الورى  
والصادق<sup>(١)</sup> المأمونُ أَكْرَمُ مُرْسَلِ  
أعلى الكرام نَدَى وأبسطُهم يَدَا  
وأشدُّ خلقِ الله إقدامًا إذا  
أمضاهُم والخيْلُ تعثرُ في القنا<sup>(٢)</sup>  
مَنْ صَيَّرَ الأديانَ دينًا واحدًا  
وأحلَّنا من حُزْمَةِ الإسلام في  
لو أن لبذر المنيرِ كماله  
لو أن للبحرين جودَ يمينه  
لو<sup>(٣)</sup> أن للآباء رحمةً قلبي  
ذو العلم<sup>(٤)</sup> والحلم الخفي<sup>(٥)</sup> المنجلي  
آياته شُهْبٌ وغُرٌّ بنائِه  
ماجت<sup>(٦)</sup> فتوح الأرض وهو غياثها  
ذو رافعةٍ بالمؤمنين ورحمةٍ  
وخصالٍ مجدٍ أفرَدَتْ بالخصلِ في  
ذو المعجزاتِ الغُرِّ والآي التي  
تنتِ المعارض حائراً<sup>(٧)</sup> لما حكث  
يقظ الفؤادِ سُرَى وقد هَجَّع الورى  
وسما وأملكُ السماء تحفه

بالجود والإرفاد والإرفاق  
سارث رسالته إلى الآفاق  
قَبَضَتْ عِنانَ المجد باستحقاق  
حَمِي الوطيسُ وشَمَرَتْ عن ساق  
وتجولُ سَبْحًا في الدَّم المِهراق  
من بَعْدِ إشراك<sup>(٨)</sup> مضى ونفاق  
ظِلُّ ظليلٍ وارِف الأوراق  
ما ناله<sup>(٩)</sup> كسَفٌ ونكس<sup>(١٠)</sup> محاق  
أَمِنَ السَّفينُ غوائلَ الإغراق<sup>(١١)</sup>  
ذابت نفوسهم<sup>(١٢)</sup> من الإشفاق  
والجاء والشرف القديم الباقي  
سُحِبَ النُّوالِ تُدَرُّ بالأزراق  
وَرَبَّتْ رُبى الإيمان وهو الساقى<sup>(١٣)</sup>  
وهُدَى وتأديبٍ بحُسنِ سياق  
مَزَمَى الفَخارِ وغايةِ الشَّباق  
كم آيةٍ فُقِدَتْ وهُنَّ بواقى  
فَلَقَّ الصُّباح وكان ذا إفلاق  
لمقامِ صدقٍ فوق ظهيرِ بُراق  
حتى تجاوزَهنَّ سَبَعُ طباق

(١) في النفع: «الصادق».

(٢) في الأصل: «إشراق»، والتصويب من المصدرين.

(٣) في الكتيبة: «ما طاله».

(٤) في النفع: «الإساق».

(٥) في الكتيبة: «قلوبهم».

(٦) في الأصل: «ذو العلم والخفي المنجلي» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصدرين.

(٧) في الأصل: «فاحت فيوح الأرض...»، والتصويب من النفع.

(٨) في الأصل: «وهو الشاق» والتصويب من النفع.

(٩) في الأصل: «خيرًا» والتصويب من النفع.

(١٠) في الكتيبة: «ذو العلم والخفي المنجلي» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصدرين.

(١١) في الأصل: «فاحت فيوح الأرض...»، والتصويب من النفع.

(١٢) في الأصل: «وهو الشاق» والتصويب من النفع.

(١٣) في الأصل: «خيرًا» والتصويب من النفع.

منها:

يا ذا الذي اتصلَ الرَّجاءُ<sup>(١)</sup> بحبله  
حُبِّي إليك وسيلتي وذخيرتي  
وإليك أَغَمَلْتُ الرَّواحِلَ ضُمُرًا  
نُجْبًا إِذَا تَشَرَّتْ<sup>(٥)</sup> حُلَى<sup>(٦)</sup> تلك العلا<sup>(٧)</sup>  
يَخْدُو بهنَّ من النُّحيب مُرَدَّدٌ  
عَرَضٌ إِلَيْهِ فَوَقَّتْنَا<sup>(٨)</sup> أَسْهُمَا  
وَأَتَخْتُهَا<sup>(٩)</sup> بفنائك الرُّخْب الذي  
وَقَرَى<sup>(١١)</sup> مؤمِّلُك الشِّفَاعَةُ فِي عَدٍ  
وعليك يا خَيْرَ الْأَنَامِ تَحِيَّةٌ  
تَتَأَرَّجُ الْأَزْجَاءُ مِنْ نَفَّحَاتِهَا<sup>(١٢)</sup>  
منها<sup>(١٣)</sup>:

قَسَمًا بطيبِ ثَرَابٍ طَيِّبَةٍ إِنَّهُ  
وَبِشَانٍ<sup>(١٥)</sup> مسجدها الذي برحابه  
لَأَجُودُ فِيهِ بِأَذْمُعِ أَسْلَاكُهَا  
مِسْكُ الْأَنْوِفِ وَإِثْمَدُ<sup>(١٤)</sup> الْأَحْدَاقِ  
لِمُعَامِلِ الرَّحْمَنِ أَيُّ نَفَاقٍ  
مَنْظُومَةٌ بِتَرَائِبٍ وَتَرَاقٍ

(١) في الأصل: «الرجاء» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصدرين.

(٢) في الأصل: «لِلوَرَى» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصدرين.

(٣) الإملاق: الْفَقْر. لسان العرب (ملق).

(٤) الْوَخْد والإعناق: ضربان من السير السريع. لسان العرب (وخد) و(عق).

(٥) في النسخ: «نشدت».

(٦) كلمة «حلى» ساقطة في الإحاطة، وقد أضفناها من المصدرين.

(٧) في الأصل: «الفلا» والتصويب من المصدرين.

(٨) في الأصل: «فَوَقَّتْنَا» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النسخ. وفي الكتيبة: «فَوَقَّتْهَا».

(٩) في المصدرين: «فَأَتَخْتُهَا».

(١٠) في الأصل: «الدِّقَاق»، والتصويب من المصدرين.

(١١) في الأصل: «وَقَوَّى» والتصويب من المصدرين.

(١٢) في الأصل: «لفحاتها» والتصويب من المصدرين.

(١٣) الأبيات التالية غير واردة في الكتيبة.

(١٤) الإثمد: حجر يُكْتَحَلُ به. محيط المحيط (ثمد).

(١٥) في الأصل: «وأبَار مسجده» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النسخ.

أَغْدُو بِتَقْبِيلٍ عَلَى حَضْبَائِهِ  
وَعَلَيْكَ ذَا النُّورَيْنِ<sup>(٢)</sup> تَسْلِيمٌ لَهُ  
كُفُّوا<sup>(٣)</sup> النَّبِيَّ وَكُفُّوا أَعْلَى جَنَّةِ  
وَعَلَى أَبِي السَّبْطَيْنِ<sup>(٤)</sup> مَنْ سَبَقَ الْأَلَى  
الطَّاهِرُ الصُّهْرُ<sup>(٥)</sup> ابْنُ عَمِّ الْمُصْطَفَى  
مُبْدِي الْقَضَايَا<sup>(٦)</sup> مِنْ وَرَاءِ حِجَابِهَا  
يَغْزُو الْعُدَاةَ بِغُلْظَةٍ فَيَهْدُهُمْ<sup>(٧)</sup>  
رَايَاثُهُ لَا شَيْءَ مِنْ عِقْبَانِهَا  
وَعَلَى كِرَامِ سِتَّةِ عَشْرَتِ<sup>(٨)</sup> بِهِمْ  
مَا بَيْنَ أَرْوَغِ مَا جِدَ نِيرَانُهُ  
وَأَخِي حُرُوبِ صَدَّهِ رَشْفُ<sup>(٩)</sup> الْقَنَا  
مَا غَرَّدَتْ شَجْوًا مُطَوِّقَةً وَمَا  
وَعَلَى الْقَرَابَةِ وَالصَّحَابَةِ كُلِّهِمْ

وَعَلَى كِرَائِمِ<sup>(١٠)</sup> جُذْرِهِ بَعْنَاقِ  
نُورٌ يَلُوحُ بِصَفْحَةِ الْمُهْرَاقِ  
حِيزَتْ لَهُ بِشَهَادَةِ وَصْدَاقِ  
سَبَقُوا إِلَى الْإِسْلَامِ أَيْ<sup>(١١)</sup> سَبَاقِ  
شَرَفٌ عَلَى التَّعْمِيمِ<sup>(١٢)</sup> وَالْإِطْلَاقِ  
وَمُفْتَّحِ الْأَحْكَامِ عَنْ إِغْلَاقِ  
بِصَوَارِمِ تَفْرِي الْفِقَارَ رِقَاقِ  
بِمَطَارِ يَوْمٍ وَغَى وَلَا بِمُطَاقِ  
عِنْدَ النَّظَامِ لِيَالِي<sup>(١٣)</sup> التُّسَاقِ  
جَنَحَ الظَّلَامِ تَشَبُّ لِلطَّرَاقِ  
عَمَّا قَدَوِدِ مِثْلُهُنَّ رِقَاقِ  
شَقَّتْ كِمَامَ الرُّوضِ<sup>(١٤)</sup> عَنْ أَطْوَاقِ  
وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ لِيَوْمِ تَلَاقِ

ولَمَّا سَنَى اللَّهُ فِي الرُّومِ الْوَقْعَةَ الْمُبِيرَةَ وَالْوَقِيعَةَ الشَّهِيرَةَ الَّتِي أَجْلَتْ عَنْ قَتْلِ  
مَلِيكَهُمْ مَعْرَكَتُهَا، وَانْتَهَتْ لِلْفَتْحِ مَعْرَكَتُهَا وَحَرَكَتُهَا، وَعَمَّتِ الْإِسْلَامَ بِإِتْعَاسٍ فَلَّ الْكُفْرَ  
بِرَكَّتُهَا، قَدِمَ مَعَ الْوُفُودِ مِنْ أَهْلِ بَلَدِهِ، وَهَذَا أَمِيرُ الْمُسْلِمِينَ<sup>(١٥)</sup> بَفَتْحِهِ ذَلِكَ، وَطُلُوعِ

(١) فِي الْأَصْلِ: «كِرَامِ جُذْرِهِ» وَهَكَذَا يَنْكَسِرُ الْوِزْنُ، وَالتَّصْوِيبُ مِنَ النَّفْحِ.

(٢) ذُو النُّورَيْنِ: هُوَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عِثْمَانُ بْنُ عَفَانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، تَزَوَّجَ بِنْتَيْنِ مِنْ بَنَاتِ رَسُولِ  
اللَّهِ ﷺ عَلَى التَّعَاقُبِ، فَلَقَّبَ بِذِي النُّورَيْنِ.

(٣) فِي الْأَصْلِ:

«كُفُّوا لِنَبِيِّ وَكُفُّوا عَلَى جَنَّةِ خُيِّرَتْ.....»

وَالْتَّصْوِيبُ مِنَ النَّفْحِ.

(٤) أَبُو السَّبْطَيْنِ: هُوَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

(٥) فِي النَّفْحِ: «يَوْمٌ».

(٦) فِي النَّفْحِ: «التَّخْصِيسُ».

(٧) فِي الْأَصْلِ: «الْقَضَا» وَهَكَذَا يَنْكَسِرُ الْوِزْنُ، وَالتَّصْوِيبُ مِنَ النَّفْحِ.

(٨) فِي الْأَصْلِ: «فِيَعِيدُهُمْ»، وَالتَّصْوِيبُ مِنَ النَّفْحِ.

(٩) فِي النَّفْحِ: «عَشْرَتٌ».

(١٠) فِي النَّفْحِ: «رَشْفٌ».

(١١) فِي الْأَصْلِ: «رُوضٌ» وَهَكَذَا يَنْكَسِرُ الْوِزْنُ، وَالتَّصْوِيبُ مِنَ النَّفْحِ.

(١٢) هُوَ السُّلْطَانُ أَبُو الْوَلِيدِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ فَرَجِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ يُونُسَ بْنِ مُحَمَّدٍ، حَكَمَ غُرْنَاطَةَ مِنْ

سَنَةِ ٧١٣ هـ إِلَى سَنَةِ ٧٢٥ هـ. رَاجِعِ اللَّحْمَةَ الْبِدْرِيَّةَ (ص ٧٨).

ولده، فقال: [الكامل]

أَمْلِيكَ أَمْ بَذَرُ الدُّجَى الْوَضَاحُ  
أَعْلَى الْمَسَالِكِ مَا بَنَتْهُ يَدُ الثَّقَى  
وَأَحَقُّ مَنْ يَدْعَى خَلِيفَةَ رَبِّهِ  
كَأَمِيرِ أُنْدَلُسٍ وَنَاصِرِهَا الَّذِي  
أَسْمَى الْمَلُوكُ أَبُو الْوَلِيدِ الْمُزْتَضَى  
هُوَ دَوْحَةُ الْمَلِكِ الْعَلِيِّ فِرْعَوْنِهَا  
وَبِمَحْوِ رَسْمِ عِدَاتِهِ بَلْبَانِهِ<sup>(١)</sup>  
بَذَرُ الْكَمَالِ لَوْ أَنَّ<sup>(٢)</sup> بَذَرًا مِثْلَهُ  
بَخَرُ النَّوَالِ لَوْ أَنَّ<sup>(٣)</sup> بَذَرًا مِثْلَهُ  
وَلَمِثْلُهُ قَادَ الْجِيَادِ عِدْوُهُ  
أَهْوَاهُ شَيْطَانِ الْهَوَى فِي لُجَّةِ  
طَمَعِ الشَّقِيِّ أَضْلُهُ وَأَذْلُهُ  
فَأَبَادَهُمْ وَمَلُوكُهُمْ فَتَحَّ بِدَا  
وَفَوَاصِلُ تُبْرَى بِهِنَ مَفَاصِلِ  
لَمْ تُفْنِ كُلَّهُمْ سَيُوفُ الْهِنْدِ بَلِ  
مَا زَالَ حَيٌّ عُدَاكَ يَحْسُدُ مَيْتَهُمْ  
فَاقْتُلْ كَبِيرَهُمْ وَأَخْيِ صَغِيرَهُمْ  
تَسْبِيحُ<sup>(٥)</sup> مَا حَاطَ الْعُدَاةُ وَمَا حَمَوْا  
يَا أُمَّةَ الْكُفْرَانِ تَفْنِيدًا وَهَلِ  
أَتْرَكْتُمْ بِطُرُوقِ<sup>(٦)</sup> وَحِيدًا مُفْرَدًا  
وَجُوعَانِ<sup>(٧)</sup> يَرْتَشِفُ النَّدَى فَنَدِيمُهُ

وَحُسَامُهُ أَمْ بَارِقُ لَمَّاحُ؟  
وَعِمَادُهَا الْأَعْلَامُ وَالْأَزْمَاحُ  
مَلِكٌ خَلَافَتُهُ هُدًى وَنَجَاحُ  
أَفْنَى الْعُدَاةِ حُسَامُهُ السَّفَاحُ  
وَأَعَزُّ مَنْ شَرُفَتْ بِهِ الْأَمْدَاحُ  
وَبِرَاحَتَيْنِهِ تَرْزُقُ الْأَذْوَاحُ  
نَطَقَ الْكِتَابُ وَخُطَّتِ الْأَلْوَاحُ  
لَمْ يُبْدِ خَشْيَةً تُورِهُ الْإِصْبَاحُ  
لَا رَتَاعَ خَشْيَةٍ فَيَنْضِهُ الْمَلَّاحُ  
فَخَبَا لَهُ قِذْحٌ وَخَابَ قِدَاحُ  
إِنَّ الْهَوَى بِأَلْفِيفِهِ طَمَاحُ  
كُلِّ الْمَطَامِعِ لِلْعَبِيِّ فَصَاحُ  
وَيَسْغَدُ جَدُّكَ رُبَّنَا فَتَاحُ  
وَصَفَائِحُ<sup>(٣)</sup> يُفَرِّى بِهِنَ صِفَاحُ  
لِسَيْفِ جُودِكَ فِي النَّفُوسِ جِرَاحُ  
وَيَحْتُ قَوْنًا عَاجِلًا فَيُرَاحُ  
وَاسِبِ النِّسَاءِ<sup>(٤)</sup> فَمَا عَلَيْكَ جُنَاحُ  
وَجِمَاكَ يَا مَنْصُورَ لَيْسَ يُبَاحُ  
لِجَفْوَنِ أَغْمَى يَنْجَلِي مَصْبَاحُ؟  
يَشْدُو عَلَيْهِ الطَّائِرُ الصَّيَّاحُ؟  
غَرِبَائِهِ وَوَسَادُهُ الصُّفَّاحُ<sup>(٨)</sup>

(١) في الأصل: «بلبانه» وكذا ينكسر الوزن.

(٢) في الأصل: «أن» وكذا ينكسر الوزن، لذا جعلنا همزة القطع همزة وصل.

(٣) في الأصل: «وصفاح» وكذا ينكسر الوزن. (٤) في الأصل: «النساء» وكذا ينكسر الوزن.

(٥) في الأصل: «تسبيح» وكذا ينكسر الوزن.

(٦) هو بطرقة بن ألهونش بن هرانده بن شانجه، صاحب قشتالة. راجع للحملة البدرية (ص ١١٩).

(٧) هو الدون خوان Don Juan، الوصي على ملك قشتالة.

(٨) الصُّفَّاح: حجارة عريضة رقيقة. محيط المحيط (صفح).

وكذلك المَطْرَانُ جاد رسومه  
 أَرُوْسُ<sup>(١)</sup> تَبْيِضُ النِّعَامُ بَمَرْجِنَا  
 مَا لِلْمَطَامِيرِ اشْتَكَتْ مِنْ ضَيْقِهَا  
 جَارَتْ بِكُمْ أَبْطَالُنَا فَكَأَنَكُمْ  
 تَبًّا لِرُومِيٍّ يَهِيْمُ بِرَاحَةٍ  
 قُصِّتْ قَوَادِمُكُمْ فَمَا إِقْدَامُكُمْ  
 هَذَا فَلَا تَسْتَعْجِلُوا بِبِلَادِكُمْ  
 قَدْ إِنْثَنَتْ<sup>(٢)</sup> بِطَحَاؤُنَا بِحِطَامِكُمْ  
 تَالله مَا كُنْتُمْ بِأَوَّلِ عَسْكَرِ  
 الْقُسِّ غَرْكُمُ لِيَهْلِكَ نَسْلُكُمْ  
 كَمْ ذَا يَسْخَرُكُمْ وَيَسْخَرُ مِنْكُمْ  
 مِنْهَا:

وفوارس نَشَاوُا لِنَهَبِ فِرَاسِ  
 أَرْبُوا عَلَى الْأَسَدِ الْهَزْبِرِ بِسَالَةٍ  
 خَاضُوا بِحَارِ الْحَرْبِ يَطْمُو بِحَرْهَا  
 مَا هُمْ بِبِذْلِ نَفُوسِهِمْ وَنَفِيسِهِمْ  
 وَإِذَا هُمْ ذُكِرُوا بِنَادٍ فَانْتَشِقُوا  
 فَعَدَا وَرَاحَ النَّصْرُ يُقَدِّمُ جَمْعَهُمْ  
 سَنَّاكَ مَوْلَانَا بِسَغْدٍ مُقْبِلِ  
 وَبِنَجْلِكَ الْبَذْرِ الَّذِي آفَاقُهُ  
 بَذَرِ الْبَدُورِ فَلَا بَدَارَ عَلَيْهِ

طلبوا انتِشاءً للذِّمَا لَا الرَّاحُ<sup>(٤)</sup>  
 مَعَ أَنَّهُمْ غَرُّ الْوُجُوهِ صَبَاحُ  
 وَوَطِيسُهَا حَامِي الصُّلَى لِقَاحُ  
 وَعَنْ<sup>(٥)</sup> النَّوَالِ أَوْ النَّزَالِ سِجَاحُ  
 مَسْكًا تَضْوَعُ عَرْفُهُ النَّقَاحُ  
 وَيَحْفَهُمْ حَيْثُ اعْتَدُوا أَوْ رَاحُوا<sup>(٦)</sup>  
 خَلَصَاءُ قَدْ عَمَّثَهُمُ الْأَفْرَاحُ<sup>(٧)</sup>  
 مُلْكٌ وَهَالِئُهُ هُدَى وَصَلَاحُ  
 وَيَذَا أَنْارَتْ<sup>(٨)</sup> أَرْبَعٌ وَبِطَاحُ

(١) في الأصل: «أم تبيض» وكذا ينكسر الوزن، لذا حذفنا كلمة «أم».

(٢) في الأصل: «ولليل» وكذا ينكسر الوزن.

(٣) في الأصل: «قد انثنت» وكذا ينكسر الوزن، لذا جعلنا همزة الوصل همزة قطع.

(٤) في الأصل: «انتشوا الذِّمَا للراح» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٥) في الأصل: «عن النوال والنزال...»، وكذا ينكسر الوزن.

(٦) في الأصل: «راح».

(٧) في الأصل: «له أفرح» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٨) في الأصل: «نارت» وكذا ينكسر الوزن. وأنارت ونارت: كلاهما بمعنى وهو أضاء.

فلکم عدوّ ما<sup>(١)</sup> أَقَلَّ بزوغه  
وهنا ونالك بالأمير تجدد  
قد جاء بعد العشر يُسرّ شامل  
فالحمد لله الذي قد خَصَّنَا  
وعلى المقام المؤلّوي تحية  
ما خطّ مدحك في الطُروس مُحَبَّر  
وقال يرثي الخطيب ببلده، الشهير الفاضل، أبا الحسن بن شعيب، رحمه الله:

[الطويل]

بَوَادِي لَقَدْ حَمَلْتِ مَا لَيْسَ لَقَوَاهُ  
بُلَيْتِ بَذَا التَّفْرِيقِ فَاضِرٍ فَرِيحاً  
شَجَا كُلَّ نَفْسٍ فَقَدْ أَنْفَسَ جَوْهَرُ  
بَكَى كُلُّنَا حَزْناً عَلَيْهِ كَمَا بَكَى  
فَلِلَّهِ خَطْبٌ جَلِيلٌ لَقَدْ رَمَى  
فَلَوْلَاكُمْ يَغْلِبُ تَأْسِينَا الْأَسَى  
فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ جَفَا جَفْنَهُ الْكَرَى  
وَفَاءُ<sup>(٥)</sup> الْمَرِيّ وَقَى فَوْقِي أَجْرَهُ  
أَبِي الْحَسَنِ الْعَدْلُ الرُّضَا الْمُحْسَنُ الَّذِي  
خَطِيبٌ جَلَا فَصَلَ الْخَطَابَ بَيَانُهُ  
وَجِسْمُ الْهَدْيِ الرَّحْبِ السَّبِيلُ وَرُوحُهُ  
مَطِيعٌ رَفِيعٌ خَاضِعٌ مُتَوَاضِعٌ  
مَتَى يَمْشِ<sup>(٦)</sup> هَوْنًا لَيْسَ إِلَّا لِمَسْجِدٍ  
تَكَلَّمَهُ عَزْفٌ وَذَكَرٌ وَحَكْمَةٌ

فِرَاقٌ وَلَا<sup>(٣)</sup> مِنْ شَرَفِ الْأَرْضِ تَقْوَاهُ  
بَلَّغْتَ بِحَسَنِ الصَّبْرِ مَا تَمَتَّنَاهُ<sup>(٤)</sup>  
تُعَدُّ وَلَا تُخْصَى كِرَامُ سَجَايَاهُ  
لَفُزِقَتْهُ مِخْرَابُهُ وَمُصَلَّاهُ  
أَجَلٌ خَطِيبٌ بِالْجَلَالَةِ مَضْمَاهُ  
وَلَمْ يَشْمَلِ الشُّمْلُ التَّفَجُّعُ لَوْلَاهُ  
وَمَنْ جَانَبَتْ وَضَلَ الْمَضَاجِعُ جَنْبَاهُ  
وَأَضْفَى بِإِصْفَاءِ الْإِلَهِ وَصَافَاهُ  
أَتَتْهُ بِأَضْعَافِ الزِّيَادَةِ حُسْنَاهُ  
وَأَعْدَلَ قَاضٍ فَاضِلٌ فِي قَضَايَاهُ  
وَلَفِظُ الْعُلَى الْفَخْرُ الْأَصِيلُ وَمَعْنَاهُ  
كَرِيمٌ حَلِيمٌ طَاهِرٌ الْقَلْبِ أَرَاهُ  
تَمِذٌ<sup>(٧)</sup> خَجَلًا أَرْضٌ بِهَا حَطٌّ نَعْلَاهُ  
تَلَذُّ بِهَا الْأَسْمَاعُ مَا كَانَ أَخْلَاهُ

(١) كلمة «ما» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها لكي يستقيم الوزن.

(٢) في الأصل: «ومحي دجاجة» وكذا لا يستقيم لا المعنى ولا الوزن. والدياجير: جمع ديجور وهو الظلام. محيط المحيط (دجا).

(٣) في الأصل: «ولى شرف» وكذا ينكسر الوزن.

(٤) في الأصل: «ما تمناه» وكذا ينكسر الوزن. (٥) في الأصل: «وفاة».

(٦) في الأصل: «يمشي» وكذا ينكسر الوزن.

(٧) في الأصل: «تميد» وكذا ينكسر الوزن. وهو فعل مجزوم لأنه جواب فعل الشرط.

كذا صَمَّمَتْهُ خَوْفٌ وَفَكْرٌ وَخَشْيَةٌ  
 يصوم وقد طال النهار مُهَجَّرًا  
 فكم دارس أحياء من أربُع الثُّقا  
 فيا طَيِّبًا أَضَلًّا وَذَكَرًا وَتُزْبَةً  
 وفي حرقه تحنو ومرأى وباطنا<sup>(٢)</sup>  
 مُحَيًّا يُرَوِّي الناظرين تَهْلُلًا  
 بِحُبِّكَ هَامَتْ كُلِّ نَفْسٍ مُنِيْبَةً  
 فما أَنْعَمَ الأرض التي بك قُدْسَتْ  
 بُشْرَاك إِنَّا قد شغلنا بحزننا  
 عَزًّا لِأَهْلِيهِ الْأَهْلَةِ أَنَّهُمْ  
 نال شُعَيْبٌ فِي الزَّمان بِدَوْرِهِ  
 أَعْزَى أُولِي الْإِيْمَانِ كَلًّا بِفَقْدِهِ  
 سقى الله وَسَمِيَّ الْحَيَا ذَلِكِ الثَّرَى  
 كما قد سقاه ليلة الدَّفْنِ رُبُّهُ  
 تَرْضُوا عَنِ الْقَاضِي الْإِمَامِ خَطِيْبِكُمْ  
 وَصَلُّوا عَلَى هَادِي الْأَنَامِ نَبِيِّكُمْ  
 عَلَيْكَ سَلامُ اللَّهِ ما الرَوْضُ فَاحٍ إِنْ  
 وفاته: توفي، رحمه الله، في رمضان، تحقيقًا من سنة خمس<sup>(٣)</sup> على شكِّ  
 وسبعمائة، أخبرني بذلك مَنْ يُوثِقُ بِهِ.

### محمد بن عبد الله بن الحاج البضيعة

من أهل مالقة، وتردّد كثيرًا على الحضرة، مُسْتَرْفَدًا وَمُنْشَدًا، وفي غير ذلك من الأغراض، يكتنى أبا عبد الله.

حاله وشعره: من الإكليل: شاعر اتخذ النظم بضاعة، وما ترك السعي في مذهب ساعة، أجرى في الملا، لا في الخلا، وجعل ذكره دلوّه من الدّلا، وركض

(١) في الأصل: «للتغمض» وكذا ينكسر الوزن.

(٢) في الأصل: «وفي حشقة تحن ومرتجًا وباطنًا» وكذا لا يستقيم لا المعنى ولا الوزن.

(٣) الصواب أنه توفي سنة خمسين وسبعمائة كما جاء في بغية الوعاة (ص ٦٠). وجاء في الدرر الكامنة (ج ٤ ص ١٠٣) أنه مات بالطاعون عام ٧٤٩ هـ.



في حَلْبَةِ النجبا النجائب، ورمى في الخواطي بسهم صائب، فخرج بَهْرَجُهُ وَنَفَقَ،  
وارتَفَدَ بسببه وارتَفَقَ. وهو الآن قد سالمته السنون، وكأثما أَمِنَ المَثُون، من رجل  
مَكْفُوف الأذى، حسن الحالة إلّا إذا، هذا قُلْتُ، ثبت هذا والمذكور حيّ، وقد مات،  
رحمه الله.

ومن شعره: [الطويل]

رَجَائِي <sup>(١)</sup> في المولى العظيم عظيم	عَنَيْت به حيث الغناء مُدِيمٌ
وَحَسْبِي الرجا فيمن عليه مَعُولِي	حديث حديث لم يزل وخديمٌ
وما عَرَفْتُ نَفْسِي سوى بابِ فَضْلِهِ	على ثِقَةٍ أَنَّ الكريم كريمٌ
فإن قيل عَنِّي مُذنب قلت سيّدٌ	كفيل بغفران الذنوب رحيمٌ
وما اغْتَصَم المملوك إلّا بِحَبْلِهِ	فجانبُهُ تُغْمَى لنا ونَعِيمٌ
رضاه سبيلٌ للنجاة وحبُّه	طريقٌ لجنّاتِ التَّعِيمِ قديمٌ

وأُشَدَّ يوماً الأمير ثالث الأمراء من بني نصر<sup>(٢)</sup> يهنيه بالملك ويُعْزِيهِ<sup>(٣)</sup>:  
[الوافر]

على مَنْ تُشْشَرُ اليومَ البُنودُ؟ وتحت لواء مَنْ تشري الجنودُ؟  
وقال<sup>(٤)</sup>: على هذا الكذا، الذي بين يديك، فحجل، وعظم استظراف  
الحاضرين لذلك.

وفاته: توفي في كذا وسبعمائة.

### محمد بن عبد الله بن فطيس

يكنى أبا عبد الله، من أهل مالقة. وقال الأستاذ<sup>(٥)</sup>: من بيت فطيس  
الألبيريين.

(١) في الأصل: «رجاي» وهكذا ينكسر الوزن.

(٢) هو السلطان أبو عبد الله محمد بن محمد بن يوسف بن نصر، الملقب بالمخلوع،  
وقد حكم من سنة ٧٠١ هـ حتى سنة ٧٠٨ هـ. اللوحة البديرية (ص ٦٠).

(٣) الحكاية والبيت في اللوحة البديرية (ص ٦١).

(٤) في اللوحة البديرية أن ضمير «قال» يعود إلى السلطان أبي عبد الله المخلوع، وجاء هناك هذه  
العبارة: «فقال له السلطان: على هذا الزبلح الذي ترى قدامك - يعني نفسه - فاستطرفها الناس،  
وخجل الشاعر».

(٥) الأستاذ: هو أبو جعفر بن الزبير، صاحب كتاب صلة الصلة.

حاله: قال: طبيبٌ ماهر، وأديب شاعر؛ كان في أيام بني حُسُون، يخفُّ عليهم، وله فيهم أمداح كثيرة. يُذكر أنه دخل يوماً على القاضي أبي مروان بن حُسُون، بعد انقطاع عن زيارته، فعَتَبَه القاضي، فاعتذر، ثم أنشد: [مخلع البسيط]

يا حاملاً من غُلاه تاجاً      ومن سَنا وجهه سراجاً  
لو كان رُودي عديل وُدِّي      لكنْتُ من بابك الرُتاجاً  
إن لم يُعرِّج عليك شخصي      نَفسي وروحي عليك عاجاً  
وذكره ابن عسکر في كتابه.

محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن يحيى بن محمد بن  
فتوح بن محمد بن أيوب بن محمد بن الحكيم اللخمي  
ذو الوزارتين<sup>(١)</sup>

يكنى<sup>(٢)</sup> أبا عبد الله، رُندي النشأة، إشبيلي الأصل، يرجع بيته، وبيت بني حجاج، وبيت بني عباد، إلى جُرثومة واحدة. وانتقل سلفه إلى رُنْدَة في دولة بني عباد، ويحيى جدّ والده هو المعروف بالحكيم لطبه. وقدم ذو الوزارتين على حضرة غرناطة أيام السلطان أبي عبد الله محمد بن محمد بن نصر، إثر قُفُوله من الحج في رحلته التي رافق فيها العلامة أبا عبد الله بن رُشيد الفهري، فألحقه السلطان بكتابه، وأقام يكتب له في ديوان الإنشاء، إلى أن توفي هذا السلطان، وتقلّد الملك بعده وليّ عهده أبو عبد الله المخلوع، فقلّده الوزارة والكتابة، وأشرك معه في الوزارة أبا سلطان عبد العزيز بن سلطان الدّاني، فلما توفي أبو سلطان أفرد السلطان بالوزارة، ولقبه ذا الوزارتين، وصار صاحب أمره، إلى أن توفي بحضرة غرناطة قتيلاً، نفعه الله تعالى، عُذوة يوم الفِطْر، مستهل شوال سنة ثمان وسبعمئة، وذلك لتاريخ خلع سلطانه، وخلافة أخيه أمير المسلمين، أبي الجيوش، مكانه.

حاله: كان<sup>(٣)</sup>، رحمه الله تعالى، عَلَماً في الفضيلة والسّراوة، ومكارم الأخلاق، كريم النفس، واسع الإيثار، متين الحُرْمة، عالي الهمة، كاتباً بليغاً، أديباً،

(١) ترجمة أبي عبد الله ابن الحكيم في نفح الطيب (ج ٣ ص ٣٦٠) و(ج ٨ ص ٤٢) ضمن ترجمة ولده أبي بكر محمد بن أبي عبد الله بن الحكيم الرندي.

(٢) النص في نفح الطيب (ج ٨ ص ٤٢ - ٤٣). (٣) النص في نفح الطيب (ج ٨ ص ٤٣).

شاعراً، حسن الخط، يكتب خطوطاً على أنواع كلها جميلة الانطباع، خطيباً، فصيح القلم، زاكى الشيم، مؤثراً لأهل العلم والأدب، براً بأهل الفضل والحسب، نفقت بمدته للفضائل أسواق، وأشرقت بإمداده للفضائل آفاق<sup>(١)</sup>. ومن «عائد الصلة»: كان<sup>(٢)</sup>، رحمه الله، فريد دهره سماحة، وبشاشة، ولؤذعية، وانطباعاً، رقيق الحاشية، نافذ العزمة، مهتزاً للمديح، طلقاً للأمل، كهفاً للغريب، بزمكي المائدة<sup>(٣)</sup>، مهلبى الحلوى<sup>(٤)</sup>، ريان من الأدب، مضطلعاً بالرواية، مستكثرًا من الفائدة. يقوم على المسائل الفقهية، ويتقدم الناس في باب التحسين والتفبيح، ورّفَع راية الحديث والتحديث، نفق بضاعة الطلب، وأخيا معالم الأدب، وأكرم العلم والعلماء، ولم تشغله السياسة عن النظر، ولا عاقه تدبير الملك عن المطالعة والسماع والإفراط<sup>(٥)</sup> في اقتناء الكتب، حتى ضاقت قصوره عن خزائنها، وأثرت أُنْدِيته من ذخائرها. قام له الدهر على رَجُل<sup>(٦)</sup>، وأخذه صدور البيوتات، وأعلام الرياسات، وخُوطب من البلاد النازحة، وأُمِّل من<sup>(٧)</sup> الآفاق النائية.

رحلته ونباهته: رحل<sup>(٨)</sup> إلى الحجاز الشريف من بلده، على فتاء سنّه، أول عام ثلاثة<sup>(٩)</sup> وثمانين وستمائة، فحج وزار، وتجوّل في بلاد المشرق، مُنتجعاً عوالي الرواية في مظانها، ومُتَقَرّاً عنها عند مُسَيّ شيوخها، وقيد الأناشيد الغريبة، والأبيات المُرَقَّصة، وأقام بمكة شرفها الله، من شهر رمضان إلى انقضاء الموسم، فأخذ بها عن جماعة يأتي ذكرهم في مشيخته. وانصرف إلى المدينة المشرفة، ثم قفل مع الركب الشامي إلى دمشق، ثم كَرَّ إلى المغرب، لا يَمَرّ بمجلس عِلْمٍ أو تَعَلُّمٍ إِلَّا رَوَى أو رُوِيَ. واحتل رُنْدَة، حرسها الله، أواخر عام خمسة وثمانين وستمائة، وأقام<sup>(١٠)</sup> بها عَيْناً في قرابته، وعَلَمًا في أهله، مُعْظَماً عندهم<sup>(١١)</sup>، إلى أن أَوْقَعَ السلطان بالوزراء من بني حبيب، الوقيعَة البَزْمَكِيَّة<sup>(١٢)</sup>. وورد رُنْدَة في أثر ذلك، في شهر جمادى الآخرة من عام ستة وثمانين وستمائة، فتعرّض إليه، ومدحه<sup>(١٣)</sup>، وهنأه بقصيدة طويلة

(١) هنا ينتهي النص في نفح الطيب. (٢) النص في نفح الطيب (ج ٨ ص ٤٧ - ٤٨).

(٣) برمكي المائدة: نسبة إلى البرامكة الذين كانوا مضرب المثل في الكرم والضيافة.

(٤) مهلبى الحلوى: نسبة إلى بني المهلب بن أبي صفرة، وكانوا مضرب المثل في أكل الحلوى.

(٥) في النفح: «وأفراط».

(٦) قام له الدهر على رَجُل: كناية عن مطاوعة الدهر له.

(٧) في النفح: «في». (٨) النص في نفح الطيب (ج ٨ ص ٤٨ - ٤٩).

(٩) في الأصل: «ثلاث»، وهو خطأ نحوي. (١٠) في النفح: «فأقام».

(١١) في النفح: «لديهم». (١٢) المراد وقية هارون الرشيد بالبرامكة.

(١٣) كلمة «ومدحه» غير واردة في النفح.

من أوليات شعره، أولها<sup>(١)</sup>: [الرمل]

هل إلى رَدَّ عَشِيَّاتِ الوصالِ سَبَبٌ أم ذاك مِنْ ضَرْبِ المُحالِ؟

فلَمَّا أنشدَها إياه، أعجب به، وبُحَسِّن خطَّهُ ونَصاعةَ ظَرْفه، فأثنى عليه، واستدعاه إلى الوفادة على حَضْرته، فوفد<sup>(٢)</sup> إليها في آخر العام المذكور، فأثبته في خواصِّ دولته، وأخطاه لديه، إلى أن رَقاه إلى كتابة الإنشاء ببابه. واستمرت حاله، مُعْظَم القَدْر، مخصوصًا بالمزية، إلى أن توفي السلطان، ثاني الملوك من بني نصر، وتقلَّد الملك بعده، ولِيَّ عهده أبو عبد الله، فزاد في إحْظائه وتقريبه، وجمع له بين الكتابة والوزارة، ولَقَّبه بذي الوزارتين؛ وأعطاه العلامة، وقَلَّده الأمر، فَبُعِد الصَّيْثُ، وطاب الذِّكْرُ، إلى أن كان من الأمر<sup>(٣)</sup> ما يَأْتِي به الذكر قريبًا إنشاء الله تعالى.

مشيخته: قرأ<sup>(٤)</sup> بُرْنْدَة على الشيخ النحوي أبي الحسن علي بن يوسف العَبْدَرِي السَّفاح، القرآن العظيم بالروايات السَّبْع، والعربية وغير ذلك. وعلى الخطيب بها أبي القاسم بن الأيسر، وأخذ عن والده جميع مَرْوِيَّاته. واستجاز له في صغره أعلام ذلك الزمان، وأخذ في رحلته عن الجِلَّة من الجملة الذين يضيق عن أمثالهم الحصر.

فمنهم أبو اليمن جار الله ابن عساكر، لقيه بِالْحَرَم الشَّريف، وانتفع به، واستكثر من الرواية عنه. ومنهم الشيخ أبو العز عبد العزيز بن عبد المنعم الحرَّاني، المعروف بابن هِبَة الله الحرَّاني. ومنهم الشيخ الشَّريف<sup>(٥)</sup> أبو العباس أحمد بن عبد الله بن عمر بن معطي ابن الإمام الجزائري - جزائر المغرب - نزيل بغداد. ومنهم الشيخ أبو الصفا خليل بن أبي بكر بن محمد المرادي الحنبلي، لقيه بالقاهرة. ومنهم الشيخ رَضِي الدين القَسْطَمِينِي أبو بكر. ومنهم الشيخ شرف الدين الحافظ أبو محمد عبد المؤمن بن خلف الدُّمِيَّاطِي، إمام الديار المصرية، في الحديث ومؤرخها وحافظها. ومنهم عبد المنعم بن محمد بن يوسف بن أحمد الخيمي، شهاب الدين أبو عبد الله، نزيل مَشْهَد الحُسَيْن بن علي، قرأ عليه قصيدته البائية الفريدة التي أولها<sup>(٦)</sup>: [البسيط]

يا مَطْلَبًا ليس لي في غيره أَرْبُ إليك آلُ التَّقْصِي وانتهى الطَّلَبُ

(١) هو مطلع قصيدة طويلة سترد في هذه الترجمة بعد قليل.

(٢) في النسخ: «فوفد آخر عام ستة وثمانين». (٣) في النسخ: «من أمره ما كان».

(٤) النص في النسخ (ج ٣ ص ٣٦١ - ٣٦٢). (٥) في النسخ: «الشرف».

(٦) البيت في نصح الطيب (ج ٣ ص ٣٦١) و(ج ٧ ص ٢٤٦) وجاء في الجزء السابع: «التقصي بالضاد المعجمة».

ومنها البيت المشهور الذي وقع النزاع فيه<sup>(١)</sup>:

يا بارقًا بأعالي الرُقْمَتَيْنِ بَدَا      لقد حَكَيْتَ ولكن فائِكَ السَّبَبُ<sup>(٢)</sup>

ومنهم عبد المولى يحيى بن حماد البَغْلَبَكِي؛ مولده سنة إحدى عشرة وستمائة. ومنهم محمد بن بكر بن خلف بن أبي القاسم الصَّفَار. ومنهم الشيخ أبو الفضل الأديب جمال الدين بن أبي الخير بن علي بن عبد الله بن رواحة. ومنهم محمد بن يحيى بن عبد الله القرشي جمال الدين أبو صادق، ومن تخريجه «الأربعون المروية بالأسانيد المصرية»، وسمع الحَلَيْيَات من ابن عماد الحراني والشيخ أبي الفضل عبد الرحيم خطيب الجزيرة، ومولده سنة ثمان وتسعين وخمسمائة. ومنهم الشيخ محمد بن عباس الأشعري تقي الدين الحافظ أبو القاسم. ومنهم الشيخ محمد بن إسماعيل بن عبد الله بن عبد المجيد الأنماطي. ومنهم أبو البدر بن عبد الله بن أبي الزبير، الكاتب المصري. ومنهم الشيخ عبد الرحيم بن عبد المنعم بن خلف التُّدميري. ومن رؤساء شيوخه؛ الشيخ محيي الدين أبو الفضل. ومنهم زينب بنت الإمام أبي محمد عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن علي البغدادى، تُكْنَى أُم الفضل، وسمعت من أبيها. ومنهم محمد بن أحمد بن إبراهيم بن أحمد الخُرَّاساني، أبو عبد الله مُوقَّر الدين، وألبسه خِزَّة التصوف. ومنهم الشيخ محمد بن يحيى بن هَيِّيرة الشَّيباني شرف الدين. ومنهم الشيخ شهاب الدين أحمد بن عيسى بن عيسى بن يوسف بن إبراهيم بن إسماعيل السَّلَفِي. ومنهم الشيخ علي بن عبد الكريم بن عبد الله الدَّمَشَقِي، أبو الحسن؛ ولد سنة سبع وتسعين وخمسمائة. ومنهم الشيخ غازي بن أبي الفضل بن عبد الوهاب الجلاوي. ومنهم الشيخ نور الدين علي بن محمد أبي البركات الأنصاري المقرئ بحَرَم الخليل، سمع من أبي الحسن علي بن شجاع. ومنهم يوسف بن داود بن عيسى بن أيوب الحنفي.

ومنهم الملك الأوحَد يعقوب بن الملك الناصر صلاح الدين<sup>(٣)</sup> داود بن الملك المعظَّم عيسى ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب. ومنهم عبد المنعم بن يحيى بن إبراهيم بن علي بن جعفر القرشي الزُّهري خطيب القُدْس. ومنهم الشيخ عبد الحفيظ بن بَذْران، ويُدعى عليّ الدين من أهل بانياس، سمع من ابن صيصرى. ومنهم الشيخ علي بن عبد الرحمن بن عبد المنعم المقدسي. ومنهم الشيخ محمد بن

(١) البيت في نفع الطيب (ج ٣ ص ٣٦١). (٢) في النفع: «السَّبَب».

(٣) في الأصل: «صلاح الدين داود»، والتصويب من النفع.

محمد بن سالم بن يوسف بن أسلم القرشي، جمال الدين. ومنهم عبد الواسع بن عبد الكافي شمس الدين. ومنهم الشيخ أحمد بن أحمد الزجاجي البغدادي الإمام تقي الدين. ومنهم عبد الجميل بن أحمد بن الزجاج. ومنهم فاطمة بنت إبراهيم بن محمد بن محمود بن جوهر البعلبكي، الشیخة الكاتبة الخيرة أم الخير. ومنهم الشيخ يوسف ابن أبي ناصر السفاوي. ومنهم الشيخ عبد السلام بن محمد بن مزروع، أبو محمد عفيف الدين. ومنهم الشيخ أحمد بن عثمان بن محمد الشافعي البخاري شمس الدين. ومنهم الشيخ عبد الله بن خير بن أبي محمد بن خلف القرشي. ومنهم الشيخ محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الباقي بن علي الصواف شرف الدين. ومنهم الشيخ علي بن محمد بن أبي القاسم بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن زريق الكاتب، لقيه بتونس. ومنهم الشيخ سليمان بن علي بن عبد الله الكاتب التلمساني عفيف الدين الصوفي الأديب نزيل دمشق، ومولده بتلمسان. ومنهم الشيخ محمد بن علي بن أحمد بن علي بن محمد بن الحسن بن عبد الله بن أحمد الميموني البُستي القسطلاني قطب الدين، الإمام المفتي شيخ دار الحديث الكاملية بالقاهرة المعزية. ومنهم الشيخ عبد الكريم بن علي بن جعفر القرشي جمال الدين. ومنهم الشيخ أحمد بن محمد بن عبد الظاهر جمال الدين. ومنهم محمد بن محمد بن إبراهيم النجاشي. ومنهم الشيخ عبد الله بن محمد بن محمد بن أبي بكر الطبري، إمام الروضة النبوية ثم الصخرة القدسية. ومنهم الشيخ فخر الدين عثمان بن أبي محمد بن إسماعيل بن جندرة. ومنهم الشيخ عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبد العلي بن أنسكرت فخر الدين. ومنهم الشيخ ثابت بن علي بن عبد العزيز بن قاسم بن عبد الرازق، سمع على ابن المغيرة البغدادي. ومنهم الشيخ أمين الدين أبو الهامات جبريل بن إسماعيل بن سيد الأهل الغساني. ومنهم الشيخ محمد بن أحمد بن عبد الله الأندلسي الأصل شرف الدين، سمع من علم الدين الشيخوني وغيره. ومنهم الشيخ محمد بن محمد الشامي الشافعي الدمشقي، إمام مسجد أبي بكر الصديق، رضي الله عنه، يدعى شمس الدين، سمع من الزبيدي. ومنهم الشيخ يحيى بن الخضر بن حاتم الأنصاري، يعرف بابن عز الدولة.

وأجاز له جماعة، منهم ابن عماد الحراني، ومنهم ابن يحيى بن محمد بن محمد الهمداني كمال الدين، وسمع من ابن الزجاج وابن رَوَّاح الحميري. ومنهم الشيخ عبد الملك أبو المعالي بن مفضل الواسطي، عُرف بابن الجوزي، سمع على جماعة، منهم شُعيب الزعفراني. ومنهم الشيخ محمد بن أحمد بن ياسر بن شاکر الحاكمي. ومنهم الإمام مفتي المسلمين، رضي الله عنه. ومنهم أبو عبد الله محمد بن

أبي بكر بن خليل العسقلاني المكي. ومنهم الخطيب أبو عبد الله محمد بن صالح بن أحمد بن محمد بن محمد بن رُحيمة الكِناني، خطيب بجاية. ومنهم قاضي القضاة ببلاد إفريقية أبو العباس ابن العَمَّاز البَلَنْسي، لقيه بتونس. ومنهم الفقيه العلامة الوزير أبو القاسم محمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن بن يوسف بن جُزي الكلبي. ومنهم الشيخ أبو محمد عبد الله بن يوسف الخلابي. ومنهم الشيخ المغربي أبو محمد الحجاج بن يوسف بن إبراهيم بن عتاب، لقيه بتونس. ومنهم الشيخ الفقيه أبو بكر بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن يربوع السبتي. ومنهم الإمام قُدوة النحاة أبو الحسين عبيد<sup>(١)</sup> الله بن أحمد بن عبيد الله بن أحمد بن عبد الله بن أبي الربيع القرشي. ومنهم الإمام أبو علي ناصر الدين منصور بن أحمد بن عبد الحق الزواوي المَشْدالي، من أهل بجاية. ومنهم الخطيب القاضي أبو عمرو إسحق بن أبي إسحق بن عبد الوهاب الرُندي، إلى طائفة كبيرة من أهل المشرق والمغرب.

معرفته: أغرى به الأمير ولي العهد، بسبب أمور اختلف فيها، منها أبيات في هَجْو الدولة النصرية، الله أعلم بصحة نسبها إليه، فأوقع به، وناله بين يديه نكال كبير أفلّت منه برفق، واختفى مدة في المآذن المُقفلة والأماكن الخفية، حتى أصحى له جو سخطه، وقضى الله برد أمره إليه، واستيلائه على ما وراء بابه.

من روى عنه: أخذ عنه الخطيب الصالح أبو إسحق بن أبي العاصي، وتدبج معه رفيقه عبد الله بن رُشيد وغير واحد. وكان ممدوحاً، وممن مدحه الرئيس أبو محمد عبد المُهَيمن الحضرمي، والرئيس أبو الحسن بن الجيّاب، وناهيك بهما. ومن بديع مدح ابن الجياب له، قصيدة رائية رائقة، يهئنه فيها بعيد الفطر، منها في أولها<sup>(٢)</sup>: [البسيط]

يا قادمًا عَمَّتِ الدنيا بشائِرُهُ	أَهْلًا بِمَقْدِمِكَ الميمونِ طائرُهُ
وَمَرْحَبًا بِكَ مِنْ عِيدِ تَحَفُّ بِهِ	من السعادة أجنَادُ تُظَاهِرُهُ <sup>(٣)</sup>
قَدِمْتَ فَالخلقُ فِي نُعْمَى وَفِي جَذَلٍ	أَبْدَى بِكَ البشرَ باديهِ وحاضِرُهُ <sup>(٤)</sup>
وَالأَرْضُ قَدْ لَبِسَتْ أَثْوَابَ سُندُسِهَا	وَالرَّوْضُ قَدْ بَسَمَتْ مِنْهُ أَزَاهِرُهُ
حَاكَتْ يَدُ الْغَيْثِ فِي سَاحَاتِهِ خُلَلًا	لَمَّا سَاقَهَا دِرَاكًا مِنْكَ بَاكِرُهُ
فَلَاحَ فِيهَا مِنَ الْأَنْوَارِ بَاهِرُهَا	وفاح فيها من الثُّوَارِ عاطِرُهُ

(١) في النسخ (ج ٣ ص ٣٦٢): «عبد الله».

(٢) القصيدة في نفع الطيب (ج ٨ ص ٤٣ - ٤٥) وأزهار الرياض (ج ٢ ص ٣٤٢ - ٣٤٤).

(٣) في المصدرين: «تظافره».

(٤) أراد بحاضره سكان الحاضرة.

وقام فيها خطيب الطير مرتجلا  
 موشى ثوب طواه الدهر آوتة  
 فالغصن من نشوة يثني معاطفه  
 وللكمام انشقاق عن أزهارها  
 لله يومك ما أذكى فضائله  
 فكم سريرة فضل فيك قد خبيث  
 فافخر بحق على الأيام قاطبة  
 فأنت في عصرنا كابن الحكيم إذا  
 يلتاح منه بأفق الملك نور هدى  
 مجد صميم على عرش السماك سما  
 وزارة الدين والعلم الذي رفعت  
 وليس هذا ببذع من مكارمه  
 يلقى الأمور بصدر منه منشرح  
 راعى أمور الرعايا مغملا نظرا  
 والملك سير في تدبيره حكما  
 سياسة الحكم<sup>(١)</sup> لا بطش يكدرها  
 لا يضدر الملك إلا عن إشارته  
 تجري الأمور على أقصى إرادته  
 وكم مقام له في كل مكرمة  
 ففضلها طبق الآفاق أجمعها  
 فليس يخجده إلا أخو حسد  
 لا ملك أكبر من ملك يدبره  
 يا عز أمر به اشتدت مضاربه  
 ثنني البلاد وأهلوها بما عرفوا  
 بشرى لآمله الموصول مأملة  
 فالعلم قد أشرق نورا مطالعه

والزهر قد رصعت منه منابره  
 فها هو اليوم للأبصار ناشره  
 والطير من طرب تشدو مزاهره  
 كما بدت لك من خل ضمائره  
 قامت لدين الهوى<sup>(١)</sup> فيه شعائره  
 وكم جمال بدا للناس ظاهره  
 فما لفضلك من ند يظاها<sup>(٢)</sup>  
 قيست بفخر أولي العليا مفاخره  
 تضاءل الشمس مهما لاح زاهره  
 طالت مبانیه واستغلت مظاهره  
 أعلامه والندى الفياض زاخره  
 ساوت أوائله فيه أواخره  
 بحر وآراؤه العظمى جواهره  
 كمثل علياه مغدوما نظائره  
 تنال ما عجزت عنه عساكره  
 فهو المهيب وما تخشى بواده  
 فالرشد لا تتعداه مصائره  
 كأنما دهره فيه يشاوره  
 أنست موارده فيها مصادره  
 كأنه مثل قد سار سائره  
 يرى الصباح فيغشى منه ناظره  
 لا ملك أسعد من ملك يؤازره  
 يا حسن ملك به ازدانت محاضره  
 ويشهد الدهر آتیه وعابره<sup>(٣)</sup>  
 تغسا لحاسده المقطوع دابره  
 والجود قد أسبلت سحا مواطره

(١) في المصدرين: «الهدى».

(٣) في المصدرين: «الحلم».

(٢) في أزهار الرياض: «يناطره».

(٤) في المصدرين: «وغابره» بالغين المعجمة.



والناس في بِشْرٍ<sup>(١)</sup> والمُلْك في ظَفِرِ  
والأَرْضُ قد مُلِثَتْ أَمَّا جَوَانِبُهَا  
والى<sup>(٢)</sup> أَيْاديه من مَثْنَى وواحدة<sup>(٣)</sup>  
فكُلَّ يَوْمٍ تَلْقَانَا عَوَارِفُهُ  
فمن يُوْذِي لما أولاه من نَعَمٍ  
يا أيها الْعَبْدُ<sup>(٤)</sup> بَادِرْ لَثَمَ رَاحَتِهِ  
وافخر بأن قد<sup>(٥)</sup> لَقِيتَ ابْنَ الْحَكِيمِ على  
ولَّى الصَّيَامُ وقد عَظُمَتْ حَزْمَتُهُ  
وأقبلَ الْعِيدُ فاستقبلَ به جَذَلًا

عَالٍ على كُلِّ عَالِي الْقَدْرِ قَاهِره  
بِيَمْنٍ مَنْ خَلَصَتْ فِيهَا سِرَائِره  
تُسَاجِلُ الْبَحْرَ إِنْ فَاضَتْ زَوَاحِرُه  
كسَاهُ أَمْوَالُهُ الطُّولَى دَفَاتِرُه  
شَكَرًا وَلَوْ أَنَّ سَخْبَانَا يُظَاهِرُه  
فَلَثَمُهَا خَيْرُ مَأْمُولٍ تُبَادِرُه  
عَظِرٍ يُبَارِيكَ أَوْ دَهْرٍ تُفَاخِره  
فَأَجْرُهُ لَكَ وَافِيه وَوَافِرُه  
وَاهِنًا بِهِ قَادِمًا عَمَّتْ بِشَائِرُه

ومن مدح الرئيس أبي محمد عبد المهيمن الحَضْرِي له قوله: [الطويل]

ترأى سَحِيرًا والنسيم عليلُ  
وللفجر نَهْرٌ خاضه الليل فاعتلتُ  
بريقٌ بأعلى الرَّقْمَتَيْنِ كأنه  
فمزَّق ساجي الليل منه شرارة  
تبسمُ تُغْرِ الرُّوض عند ابتسامه  
ومالتُ غصون البان نَشْوَى كأنها  
وغتت على تلك الغصون حمائم  
إذا سَجَعَتْ في لحنها ثم قَرَقَرَتْ  
سقى الله رُبْعًا لا يزال يشوقني  
وجاد رُبَاهُ<sup>(٦)</sup> كَلَمَّا ذَرَّ شَارِق  
وما لي أَسْتَسْقِي الغمام وَمَذْمَعِي  
وعاذلة باتت تلوم على السُّرى  
تقول إلى كم ذا فراقٌ وغربةٌ

وللنجم طَرْفٌ بالصباح كليلُ  
شوى أذهم الظُّلُمَاء منه خجول  
طلائع شُهَبٍ والسَّماء تجول  
وخرَّق سِثْر الغيم منه نُصُول  
وفاضت عيونٌ للغمام همول  
يُدار عليها من صباه شُمُول  
لهنَّ حَفِيفٌ فوقها وهَدِيل  
يطيح خَفِيفٌ دونها وثَقِيل  
إليه رسومٌ دونها وطلول  
من الوَذْقِ<sup>(٧)</sup> هَتَانٌ أَجَشُّ هَطُول  
سفوحٌ على تلك العِراض هَمُول؟  
وتُكْثِر من تَغْذَالِهَا وتُطِيل  
ونأى على ما خَيَّلَتْ ورحيل

(١) في أزهار الرياض: «بُشْرٍ».

(٢) في الأصل: «والى» والتصويب من المصدرين.

(٣) في المصدرين: «وَمَوْحِدَةً».

(٤) في المصدرين: «العيد».

(٥) كلمة «قد» ساقطة في الإحاطة، وقد أضفناها من المصدرين.

(٦) في الأصل: «رُبَاهُ» وكذا ينكسر الوزن. (٧) الوَذْق: المطر. محيط المحيط (ودق).

ذَرِينِي أَسْعَى لَلَّتِي تُكْسِبُ الْعَلَا  
 فَأَمَّا تَرِينِي مِنْ مُمَارَسَةِ الْهُوَى  
 وَفَوْقَ أَنْابِيبِ الْبِرَاعَةِ صَفْوَةِ  
 وَلَوْلَا السُّرَى لَمْ يَخْتَلِ الْبَدْرُ كَامِلًا  
 وَلَوْلَا اغْتِرَابُ الْمَرْءِ فِي طَلَبِ الْعَلَا  
 وَلَوْلَا نَوَالُ ابْنِ الْحَكِيمِ مُحَمَّدٍ  
 وَزِيرُ سَمَا فَوْقَ السَّمَاءِ جَلَالَةِ  
 مِنَ الْقَوْمِ أَمَّا فِي النَّدَى<sup>(١)</sup> فَإِنَّهُمْ  
 حَوَّزُوا شَرَفَ الْعَلِيَاءِ إِزْنًا وَمَكْسِبًا  
 وَمَا جَوْنَةُ هَطَّالَةِ ذَاتِ هَيْدَبٍ  
 لَهَا زَجَلٌ مِنْ رَغْدِهَا وَلِوَامِعٍ  
 كَمَا هَدَرَتْ وَسْطَ الْقِلَاصِ وَأَرْسَلَتْ  
 بِأَجْوَدَ مِنْ كَفِّ الْوَزِيرِ مُحَمَّدٍ  
 وَلَا رَوْضَةً بِالْحَسَنِ طَيْبَةَ الشُّدَا  
 وَقَدْ أَذْكَيتَ لِلزَّهْرِ فِيهَا مَجَامِرَ  
 وَفِي مُقْلِ الثُّوَارِ لِلطَّلِّ عِبْرَةٌ  
 بِأَطْيَبِ مَنْ أَخْلَاقُهُ الْغُرُّ كُلَّمَا  
 حَوَيْتَ، أَبَا عَبْدِ الْإِلَهِ، مَنَاقِبًا  
 فَغَرْنَابَةً مِضْرً وَأَنْتَ خَصِيْبُهَا  
 فِدَاكَ رَجَالٌ حَاحِلُوا دَرْكَ الْعَلَا  
 تَخَيَّرَكَ الْمَوْلَى وَزِيرًا وَنَاصِحًا  
 وَأَلْقَى مَقَالِيدَ الْأُمُورِ مُفَوَّضًا  
 وَقَامَ بِحِفْظِ الْمُلْكِ مِنْكَ مُؤَيَّدٌ  
 وَسَاسَ الرِّعَايَا مِنْكَ أَشْوَسُ بَاسِلٍ  
 وَأَبْلَجُ وَقَادَ الْجَبِينِ كَأَنَّمَا  
 تَهْيِمُ بِهِ الْعَلِيَاءُ حَتَّى كَأَنَّهَا  
 لَهُ عَزَمَاتٌ لَوْ أُعِيرَ مِضَاؤُهَا

سَنَاءٌ وَتُبْقِي الذِّكْرَ وَهُوَ جَمِيلٌ  
 نَحِيلًا فَحَدُّ الْمَشْرِفِي نَحِيلٌ  
 تَزِينُ وَفِي قَدِّ الْقَنَاةِ ذَبُولٌ  
 وَلَا بَاتَ مِنْهُ لِلشُّعُودِ نَزِيلٌ  
 لَمَّا كَانَ نَحْوَ الْمَجْدِ مِنْهُ وَصُولٌ  
 لِأَصْبَحَ رَنْعُ الْمَجْدِ وَهُوَ مَحِيلٌ  
 وَلَيْسَ لَهُ إِلَّا نَجُومٌ قَبِيلٌ  
 هَضَابٌ وَأَمَّا فِي النَّدَى فَسَيُولُ  
 وَطَابَتْ فُرُوعُ مِنْهُمْ وَأَصُولُ  
 مَرَّتْهَا شَمُولُ مُزْجَفٍ وَقَبُولُ  
 مِنَ الْبَرْقِ عَنْهَا لِلْعَيُونِ كُلُّوْلُ  
 شَقَاشِقِهَا عِنْدَ الْهِيَاجِ فَحُولُ  
 إِذَا مَا تَوَالَتْ لِلْسَّنِينِ مُحُولُ  
 يَنْمُ عَلَيْهَا أَذْخَرُ وَجَلِيلُ  
 تُعْطَرُ مِنْهَا لِلنَّسِيمِ ذَيُولُ  
 تَرْدُدُهَا أَجْفَانُهَا وَتُحِيلُ  
 تَفَاقُمَ خَطْبُ لِلزَّمَانِ يَهُولُ  
 تَفُوتَ يَدَيَّ مَنْ رَامَهَا وَتَطُولُ  
 وَنَائِلُ يُنْمِنَاكَ الْكَرِيمَةَ نِيلُ  
 بِبَخْلِ وَهَلْ نَالَ الْعَلَاءُ بِخِيلُ؟  
 فَكَانَ لَهُ مِمَّا أَرَادَ حَصُولُ  
 إِلَيْكَ فَلَمْ يَغْدَلْ يَمِينِكَ سُورُ  
 نَهَوْضُ بِمَا أَعْيَا سَوَاكَ كَفِيلُ  
 مَبِيدُ الْعِدَا لِلْمُغْتَفِينَ مُنِيلُ  
 عَلَى وَجْنَتَيْهِ لِلنُّضَارِ مَسِيلُ  
 بُثْنِيَّةٌ فِي الْحُبِّ وَهُوَ جَمِيلُ  
 حُسَامٌ لَمَّا نَالَتْ ظُبَاهُ فَلُولُ

سرى ذكره في الخافقين فأصبحت  
وأغدى قريضي جوده وثناؤه  
إليك أيا فخر الوزارة أزلت  
فلئت إلى لقياك ناصية الفلا  
تسدذني سهمًا لكل ثنية  
وقد لفظتني الأرض حتى رمت إلى  
فقيذت أفراسي به وركائبي  
وقد كنت ذا نفس عزوف وهمة  
وتهوى العلا حظي وتغري بضده  
وتأبى لي الأيام إلا إدالة  
فكل خضوع في جنابك عزة

إليه قلوب العالمين تميل  
فأصبح في أقصى البلاد يجول  
برخلي هوجاء الثجاء ذلول  
بأيدي ركاب سيرهه ذميل  
ضواير أشباه القيسي نحول  
دراك برحلي هوجل وهجول  
ولذ مقام لي به وحلول  
عليها لأحداث الزمان دخول  
لذاك اغترته رقة ونحول  
فضونك لي أن الزمان مديل  
وكل اعتزاز قد عداك خمول

شعره: وبضاعته في الشعر مُزجاة، وإن كان أغلَم الناس بنقده، وأشدَّهم تيقظًا لمواقفه الحسنة وأضدادها. فمن ذلك قوله، ورفعته إلى السلطان ببلده رُندة، وهو إذا ذاك فتى يملأ العين أبهة، ويستميل القلوب لباقه، وهي، ومن خطه نقلت<sup>(١)</sup>: [الرمل]

هل إلى رذ عشيّات الوصال  
حالة يسري بها الوهم إلى  
وليل<sup>(٢)</sup> ما تبقى بعدها  
إذ مجال الوصل فيها مسرحي  
ولحالات التراضي جولة  
فبوادي الخيف خوفي مُسعد  
لست أنسى الأئس فيها أبدًا  
وغزال قد بدا لي وجّهه  
ما أمال الثية من أعطافه

سبب أم ذاك من ضرب المحال؟  
أنها تُثبِت بُراء باعترال  
غير أشواقي إلى تلك الليالي  
ونعيمي أمر فيها ووال  
مزجت<sup>(٣)</sup> بين قبول واقتبال  
وبأكناف منى أسنى نوال<sup>(٤)</sup>  
لا ولا بالعذل في ذاك أبالي  
فرايت البذر في حال الكمال  
لم يكن إلا على فضل<sup>(٥)</sup> اعتدال

(١) القصيدة في نفح الطيب (ج ٣ ص ٣٦٢ - ٣٦٣).

(٢) في الأصل: «وليلي» وهكذا ينكسر الوزن، وهو خطأ نحوي، لذلك صوبناه من نفح الطيب.

(٣) في النفح: «مَرَحَتْ».

(٤) في النفح: «موال».

(٥) في النفح: «خصل».

خُصَّ بالحسن فما أنت ترى      بعده للناس حظًا في الجمال  
 مَنْ تَسَلَّى عن هَوَاهُ فَأَنَا      بسواهُ عن هَوَاهُ غَيْرُ سَالٍ  
 فَلْتَنْ أَتَعْبِنِي حُبِّي لَهُ      فكم نِلْتُ به أَنْعَمَ حَالٍ  
 إِذْ لَأَلِي<sup>(١)</sup> جِيْدِهِ مِنْ قَبَلِي      وشاحاهُ يميني وشمالي  
 خَلَّفَ النَوْمُ لي السُّهْدَ بِهِ      وترامي الشُّخْصُ لا طَيْفُ الْخِيَالِ  
 فَيُدَاوِي<sup>(٢)</sup> بِلَمَاهُ ظَمْئِي      مَزَجَكَ الصُّهْبَاءُ بِالماءِ الزُّلَالِ  
 أَوْ إِشَادَاتِ<sup>(٣)</sup> بِنَاءِ الْمَلِكِ الـ      أَوْحَدِ الْأَسْمَى الْهُمَامِ الْمُتَعَالِي  
 مَلِكٍ إِنْ قَلْتُ فِيهِ مَلَكًا      لم تكن إِلَّا مُحَقًّا فِي الْمَقَالِ  
 أَيْدِ الْإِسْلَامِ بِالْعَدْلِ فَمَا      أَنْ تَرَى رَسْمًا لِأَصْحَابِ الضَّلَالِ  
 ذُو أَيَادٍ شَمَلْتُ كُلَّ الْوَرَى      ومعالٍ يَا لَهَا خَيْرُ مَعَالِ  
 هِمَّةٌ هَامَتْ بِأَحْوَالِ التَّقَى      وصفاتٌ بِالْجَلَالَاتِ حِوَالِ  
 وَقَفَ النَّفْسَ عَلَى إِجْهَادِهَا      بين صوم وصلاةٍ ونِوَالِ  
 وَمِنْهَا فِي ذِكْرِ الْقَوْمِ الْمَوْقِعِ بِهِمْ<sup>(٤)</sup> :  
 وَفَرِيقٌ مِنْ عُتَاةٍ عَانَدُوا      أمره فاستوجبوا سوءَ نَكَالِ  
 غَرَّهُمْ طَوْلُ التَّجَافِي عَنْهُمْ      مَعَ شَيْطَانٍ لَهُمْ كَانَ مُوَالِ  
 فَلَقَدْ كَانَتْ بِهِمْ رُئْدَةٌ أَوْ      أَهْلُهَا فِي سُوءِ تَدْبِيرِ وَحَالِ  
 وَلَقَدْ كَانَ التُّفَاقُ مَذْهَبًا      فاشيًا بين هَاتِيكَ التَّلَالِ  
 مَا يَعُودُ الْيَوْمَ إِلَّا بِادْرُوا      برواةٍ وَنَكِيرَاتِ ثِقَالِ  
 طُوقُوا التُّعْمَى فَلَمَّا أَنْكَرُوا      طُوقُوا الْعَذْلَ بِذِي الْبَيْضِ الْعَوَالِ  
 مَا طَلَّ الدَّهْرُ بِهِمْ غَرِيمَهُ      فهو الْآنَ وَفِي بَغْدِ الْمَطَالِ  
 وَلَقَدْ كُنْتُ غَرِيمَ الدَّهْرِ إِذْ      شَدَّنِي جَوْرُهُمْ شَدَّ عِقَالِ  
 وَلَكُمْ نَافِرْتُهُ مَجْتَهِدًا      عندما ضَاقَ بِهِمْ صَدْرُ احْتِمَالِ  
 أَعْقَبُوا جِزَاءَ مَا قَدْ أَسْلَفُوا      فِي الدُّنَا وَيَعْقِبُوهُ فِي الْمَالِ

(١) في الأصل: «لألي» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفع.

(٢) في النفع: «فتداوى».

(٣) في الأصل: «أو أشادت ثنا الملك...» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفع.

(٤) من هنا حتى آخر البيت: (في المآل) غير وارد في نفع الطيب.

وهي طويلة ومنها:

أيها المولى الذي نعماءه      أعجزت عن شكرها كُنه المقال  
ها أنا أنشدكُم مَهْنًا      من بديع النظم بالسُخر الحلالِ  
فأنا العبد الذي حُبُّكُم      لم يزلُ والله في قلبي وبالي  
أورقت روضة آمالي لكم      وتولّاهَا الكبير المُتعالى<sup>(١)</sup>  
واقتنيتُ الجاه من خِذمتكم      فهو<sup>(٢)</sup> ما أذخره من كُنز مال  
ومنها:

يا أميرَ المسلمين هذه      خدمة تنبىء عن أصدق حالِ  
هي بنتُ ساعةٍ أو ليلةٍ      سهّلتَ بالحُبِّ في ذاك الجلالِ  
ما عليها إذ أجادت مَدَحَهَا      من بعيدِ الفهمِ يُلغِيها وقالِ  
فَهِيَ في تأدية الشكر لكم      أبدًا بين احتفاء واحتفالِ  
وكتب، رحمه الله، يخاطب أهله من مدينة تونس<sup>(٣)</sup>:

حيّ حيّ بالله يا ریح نَجْدِ      وتَحَمَّلْ عَظِيمَ شوقي ووجدي  
وإذا ما بثثتَ حالي فَبَلِّغْ      من سلامي لهم على قَدْرِ وُدِّي  
ما تناسيتُهُمْ وهل في مغربي      هم<sup>(٤)</sup> نسوني على تطاولِ بُغدي  
بي شوقٍ إليهم ليس يُغزى      لجميل<sup>(٥)</sup> ولا لسُكّان نَجْدِ  
يا نسيم الصّبا إذا جثت قوماً      مُلِثتَ أَرَضَهُمْ بِشِيحِ وزندِ  
فَتَلَطَّفْ عند المرور عليهم      وحقوقاً لهم عليّ فأذِ  
قلّ لهم قد غدوت من وَجدهم في      حالِ شوقٍ لكلّ رنْدٍ وزندِ  
وإن استفسروا حديثي فإني      باعتناء الإله بُلِّغْتُ قُضدي  
فله الحمد إذ حَباني بلطفٍ      عنده قلّ كلُّ شُكْرِ وحمْدِ

(١) في النفع: «... بكم مذ تولّاهَا الرباب المتوالي».

(٢) في النفع: «فهي».

(٣) القصيدة في نفع الطيب (ج ٣ ص ٣٦٣ - ٣٦٤).

(٤) في النفع: «قد».

(٥) أراد جميل بن معمر، صاحب بثينة.

قال شيخنا أبو بكر ولده: وجدت بخطه، رحمة الله عليه، رسالة خاطب بها أخاه أبا إسحق إبراهيم افتتحها بقصيدة أولها<sup>(١)</sup>: [الكامل]

دَكَرَ اللَّوَى شَوْقًا إِلَى أَقْمَارِهِ	فَقَضَى أَسَى أَوْ كَادَ مِنْ تَذْكَارِهِ
وَعَلَا زَفِيرُ حَرِيقِ نَارِ ضُلُوعِهِ	فَرَمَى عَلَى وَجَنَاتِهِ بِشَرَارِهِ
لَوْ كُنْتَ تُبْصِرُ خَطَّهُ فِي خَدِّهِ	لَقَرَأْتَ سِرَّ الْوَجْدِ مِنْ أَسْطَارِهِ
يَا عَاذِلِيهِ أَقْصِرُوا فَلَرَبِّمَا <sup>(٢)</sup>	أَفْضَى عَتَابُكُمْ إِلَى إِضْرَارِهِ
إِنْ لَمْ تَعِينُوهُ عَلَى بُرَحَائِهِ <sup>(٣)</sup>	لَا تُنْكِرُوا بِاللَّهِ خَلْعَ عِذَارِهِ
مَا كَانَ أَكْثَمَهُ لِأَسْرَارِ الْهَوَى	لَوْ أَنَّ جُنْدَ الصَّبْرِ مِنْ أَنْصَارِهِ
مَا ذَنْبُهُ وَالْبَيْنُ قَطَعَ قَلْبَهُ	أَسْفًا وَأَذَى النَّارِ فِي أَغْشَارِهِ
بَخَلَ اللَّوَى بِالسَّاكِنِيهِ وَطِيفَهُمْ	وَحَدِيثِهِ وَنَسِيمِهِ وَمَزَارِهِ
يَا بَرْقُ خُذْ دَمْعِي وَعَرِّجْ بِاللَّوَى	فَأَسْفَحْهُ فِي بَانَاتِهِ وَعَرَارِهِ
وَإِذَا لَقِيتَ بِهَا الَّذِي بِإِخَائِهِ	أَلْقَى خُطُوبَ الدَّهْرِ أَوْ بِجَوَارِهِ
فَاغْرِ السَّلَامَ عَلَيْهِ قَدَرِ مُحِبَّتِي	فِيهِ وَتَرْفِيعِي إِلَى مَقْدَارِهِ
وَأَلِّمِ <sup>(٤)</sup> بِسَائِرِ إِخْوَتِي وَقَرَابَتِي	مَنْ لَمْ أَكُنْ لَجَوَارِهِمْ بِالْكَارِهِ
مَا مِنْهُمْ إِلَّا أَخٌ أَوْ سَيِّدٌ	أَبَدًا أَرَى دَأْبِي عَلَى إِكْبَارِهِ
فَإِثْبُتْ <sup>(٥)</sup> لِذَاكَ الْحَيِّ أَنَّ أَخَاهُمْ	فِي حِفْظِ عَهْدِهِمْ عَلَى اسْتِبْصَارِهِ
مَا مَنَزَلَ اللَّذَاتِ فِي أَوْطَانِهِ	كَلَّا وَلَا السُّلُوفُ مِنْ أَوْطَارِهِ <sup>(٦)</sup>

وقال، رحمه الله، في غرض كلّفه سلطانه القول فيه<sup>(٧)</sup>: [الوافر]

أَلَا وَأَصِلْ مُوَاصِلَةَ الْعُقَارِ	وَدَعْ عَنْكَ التَّخَلُّقَ بِالْوَقَارِ
وَقُمْ وَاخْلَعْ عِذَارَكَ فِي غَزَالِ	يَحِقُّ لِمَثَلِهِ خَلْعُ الْعِذَارِ
قَضِيبٍ مَائِسٍ مِنْ فَوْقِ دَغِصِ	تَعَمَّمٍ بِالْدُّجَى فَوْقَ النَّهَارِ
وَلَاخَ بِخَدِّهِ أَلْفَ وَلَا مَ	فَصَارَ مُعَرِّقًا بَيْنَ الدَّرَارِ

(١) القصيدة في نفح الطيب (ج ٣ ص ٣٦٤ - ٣٦٥) وورد البيتان الأول والثاني أيضًا في نفح

الطيب (ج ٨ ص ٤٩).

(٢) في النفح: «فلشدّ ما».

(٣) في الأصل: «علّي برجائه» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.

(٤) في الأصل: «وألّم» وهكذا ينكسر الوزن. (٥) في النفح: «فإثبّت».

(٦) هذا البيت لم يرد في النفح. (٧) الأبيات في نفح الطيب (ج ٣ ص ٣٦٥).

رمانى قاسمَ والسينَ صاذاً  
وقد قُسمت محاسنُ وجنتيه  
فذاك الماءُ من دَمْعِي عليه  
عَجِبْتُ له أقامَ برزَعِ قلبي  
ألِفْتُ الحبَّ حتى صار طبعاً  
فما لي عن مذاهبه ذهاب  
بأشفارِ تنوبٍ عن الشِّفار  
على ضِدَّين من ماء ونار  
وتلك النارُ من فرطِ استِيعاري<sup>(١)</sup>  
على ما شَبَّ فيه من الأوار  
فما احتاجُ فيه إلى اذكّار  
وهذا فيه أشعاري شِعاري<sup>(٢)</sup>

وقال العلامة ابنُ رُشيد في «ملء العيّبة»<sup>(٣)</sup>: لما قَدِمنا المدينة سنة ٦٨٤ هـ، كان معي رفيقي الوزير أبو عبد الله بن أبي القاسم الحكيم، وكان أزمَد<sup>(٤)</sup>، فلما دخلنا ذا الحليفة أو نحوها، نزلنا عن الأكوار، وقوي الشوق لقرب المزار، فنزل وبادر إلى المشي على قدميه احتساباً لتلك الآثار، وإعظاماً لمن حلَّ في<sup>(٥)</sup> تلك الديار، فأحسّ بالشفاء، فأنشد لنفسه في وصف الحال قوله: [الطويل]

ولمّا رأينا من ربوع حبيبنا  
وبالتُّرب منها إذ كَحَلْنَا جفوننا  
وحين تَبَدَّى للعيون جمالها  
نزلنا من<sup>(٦)</sup> الأكوار نمشي كرامة  
نُسخُ سِجَالِ الدَّمْعِ في عَرَصاتِها  
وإن بقائي دونه لخسارة  
فيا عجباً ممن يُحبُّ بِزَعْمِهِ  
وزَلَّاتٌ مثلي لا تُعدُّ كثيرة<sup>(٧)</sup>  
ومن شعره قوله<sup>(٨)</sup>: [السريع]

ما أَحَسَّنَ العَقْلَ وأثارَهُ  
لو لازم الإنسانُ إيثارَهُ

(١) في الأصل: «استعار» والتصويب من النفع. (٢) في الأصل: «شعار» والتصويب من النفع.

(٣) النص مع الأبيات في نفع الطيب (ج ٣ ص ٣٦٥ - ٣٦٦).

(٤) الأرمَد: المصاب بمرض الرمد. لسان العرب (رمد).

(٥) كلمة «في» ساقطة في النفع. (٦) في النفع: «عن».

(٧) في النفع: «لا تُعدُّ كثرة».

(٨) الأبيات في نفع الطيب (ج ٨ ص ٤٦). كما وردت في المصدر نفسه (ج ٤ ص ٣١٠) منسوبة

إلى صالح بن شريف.

يَصُونُ بالعقل الفتى نَفْسَهُ      كما يَصُونُ الحُرُّ أَسْرَارَهُ  
لا سيما إن كان في غُزْبَةٍ      يحتاجُ أن يَغْرِفَ مِقْدَارَهُ

وقوله رحمه الله<sup>(١)</sup>: [البسيط]

إني لأَغْسِرُ أحيانًا فيلحقني      يُسِرُّ من الله إنَّ العُسْرَ قد زالا  
يقولُ خيرُ الورى في سُنَّةٍ ثَبَتَتْ      (أَنْفِقْ ولا تَخْشَ من ذي العرش إقلالاً)  
وهو من أحسن ما قاله رحمه الله .

ومن شعره قوله<sup>(٢)</sup>: [الطويل]

فَقَدْتُ حياتي بالفراق<sup>(٣)</sup> وَمَنْ غدا      بحالِ نَوَى عَمَّنْ يُحِبُّ فقد فَقَدَ  
ومن أجل بُغْدِي من<sup>(٤)</sup> ديارِ أَلْفَتْهَا      جحيمِ فؤادي قد تَلَطَّى وقد وَقَدَ  
وحكي أن ذا الوزارتين المترجم، لما اجتمع مع الفقيه الكاتب ابن أبي مدين،  
أنشده ابن أبي مدين<sup>(٥)</sup>: [الطويل]

عَشِفْتُكُمْ بالسَّمْعِ قبل لِقائِكُمْ      وَسَمِعُ الفتى يَهْوَى لَعَمْرِي<sup>(٦)</sup> كَطَرْفِهِ  
وحَبَّبَنِي ذِكْرُ الجليسِ إِلَيْكُمْ      فلَمَّا التَقِينَا كُنْتُمْ فَوْقَ وَضْفِهِ

فأنشده ذو الوزارتين ابن الحكيم قوله<sup>(٧)</sup>: [البسيط]

ما زِلْتُ أَسْمَعُ عن عَلَيَاكَ كُلِّ سَنًا      أبهى من الشمس أو أجلى من القمرِ  
حتى رَأَى بَصْرِي فوق الذي سَمِعْتُ      أذني فوقَ بَيْنِ السَّمْعِ والبصرِ

ومن نظمه مما يكتب على قوس<sup>(٨)</sup>: [الكامل]

أنا عُدَّةٌ للدين في يَدِ مَنْ عَدَا      لله مُنْتَصِرًا على أَعْدَائِهِ  
أحكي الهلالَ وأشْهُمِي في رَجْمِهَا      لمن اعتدى تَحْكي رجوم<sup>(٩)</sup> سَمَائِهِ  
قد جاء في القرآن أَنِّي عُدَّةٌ      إذ نَصَّ خَيْرُ الخلقِ مُخَكِّمَ آيِهِ  
وإذا العَدُوُّ أَصابه سَهْمِي فقد      سَبَقَ القضاءُ بهلكه وفنائِهِ

(١) البيتان في نفح الطيب (ج ٨ ص ٤٦) .

(٢) في النفح: «بالعراق» .

(٣) البيتان في نفح الطيب (ج ٨ ص ٤٧) .

(٤) في النفح: «عن» .

(٥) البيتان في نفح الطيب (ج ٨ ص ٤٧) .

(٦) في الأصل: «العمر»، والتصويب من النفح .

(٧) الأبيات في نفح الطيب (ج ٨ ص ٤٩ - ٥٠) .

(٨) في النفح: «نجوم» .



ومن<sup>(١)</sup> توقيعه ما نقلته من خط ولده أبي بكر في كتابه المسمى بـ «الموارد المستعذبة»، وكان<sup>(٢)</sup> بمدينة وادي آش الفقيه الكذا أبو عبد الله محمد بن غالب الطريفي، فكتب<sup>(٣)</sup> يوماً إلى الشيخ خاصة والذي<sup>(٤)</sup> أبي جعفر بن داود، قصيدة طويلة على روي السنين، يشتكي<sup>(٥)</sup> فيها من جور<sup>(٦)</sup> مشرف بلدهم إذ ذاك أبي القاسم بن حسان، منها: [البسيط]

فيا صفّي أبي العباس، كيف ترى وأنت كيّس<sup>(٧)</sup> من فيها من أكياس  
ولؤه إن كان ممتن ترتضون به فقد دنا الفتح للأشراف في فاس  
ومنها يستطر ذكر ذي الوزارتين، رحمه الله:

للشرق فضلٌ منه أشرق شهب من نورهم أقبسونا كل مقباس  
فوقع عليها رحمة الله تعالى عليه ورضوانه<sup>(٨)</sup>: [البسيط]

إن أفرطت بابل حسان غوائله فالأمر يكسوه ثوب الذل والياس<sup>(٩)</sup>  
وإن تزل به في جوره قدّم كان الجزاء له ضرباً على الرأس  
فقد أقامني المولى بنعمته لبث أحكامه بالعدل في الناس

كتابته: وهي مرتفعة عن نمط شعره، فمن ذلك رسالة كتبها عن سلطانه في فتح مدينة قيجاطة<sup>(١٠)</sup>:

من الأمير فلان، أيده الله ونصره، ووقفه لما يحب حتى يكون ممن قام بفرض الجهاد ونشره. إلى ابننا الذي نمنحه الحب والرضى، ونسأل الله أن يهبه الخلاص التي تُستحسن والشيم التي تُرتضى، الولد الأتجب، الأزضى، الأنجد، الأزشد، الأسعد، محمد، وإلى الله تعالى إسماعده، وتولى بالتوفيق والإرشاد سداده،

(١) النص في نفح الطيب (ج ٨ ص ٥٠).

(٢) في النفح: «وكان بوادي آش الفقيه الطريفي».

(٣) في النفح: «فكتب إلى خاصة والذي أبي جعفر».

(٤) في الأصل: «والذي وخاصة أبي...»، والتصويب من النفح.

(٥) في النفح: «يتشكى».

(٦) كلمة «جور» غير واردة في النفح.

(٧) كلمة «ورضوانه» غير واردة في النفح.

(٨) في النفح: «ثوب الذكر والباس».

(٩) قيجاطة، بالإسبانية Quesada: مدينة من أعمال ولاية جيان. الإحاطة (ج ٢ ص ٤٦٥)

حاشية ٨.

وأطلع عليه من أنباء الفتوح المُبَشِّرة بالنصر الممنوح ما يكمل من بُغيته في نصر دين الإسلام ويُسني مراده.

أما بعد حمد الله، الذي جعل الجهاد في سبيله أفضل الأعمال، الذي يقربه إلى رضاه، وندب إليه بما وعد من الثواب عليه، فقال: يا أيها النبي، حَرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ، تَنْبِيْهَا عَلَى مَحَلِّ الثِّقَةِ، بِأَنَّ الْفِتَّةَ الْقَلِيلَةَ مِنْ أَوْلِيَائِهِ، تَغْلِبُ الْفِتَّةَ الْكَثِيرَةَ مِنْ أَعْدَائِهِ، وَتُدَارِكُ دِينَ الْإِسْلَامِ بِإِنْجَازِ وَعْدِهِ فِي قَوْلِهِ، وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ، عَلَى رَغْمِ أَنْفٍ مَنْ ظَنَّ أَنَّهُ خَاذِلُهُ، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ خِذْلَانِ جَنْدِهِ. وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى نَبِيِّهِ وَرَسُولِهِ وَمُجْتَبَاهِ، لِهَدَايَةِ الْخَلْقِ لِسَبِيلِ الْحَقِّ، وَالْعَمَلِ بِمُقْتَضَاهِ. قَالَ تَعَالَى فِيمَا أَنْزَلَ: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ﴾<sup>(١)</sup> تحريضاً على أن يمحوا ظلام ضلالهم بنور هداه ﷺ، وعلى آله الأبرار، وأصحابه الأشداء على الكفار، الذين جرّدوا في نُصْرَةِ دِينِهِ صَوَارِمَ الْعِزِّ وَأَمْضَوْا ظُبَاهُ، وَفَتَحُوا مَا رَوَى لَهُ مِنْ مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا حَتَّى عَمَّ الْإِسْلَامُ حَدَّ الْمَعْمُورِ وَمَنْتَاهَا. فَإِنَّا كَتَبْنَا لَكُمْ، كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ سَمَاعِ الْبَشَائِرِ مَا يَعُودُ بِتَحْوِيلِ الْأَحْوَالِ، وَأُطْلِعَ عَلَيْكُمْ مِنْ أَنْبَاءِ الْفَتْوحِ مَا يُلَوِّحُ بِآفَاقِ الْأُمَمِ، مُبَشِّرًا بِالْيَمْنِ وَالْإِقْبَالِ. مِنْ قِيَجَاظَةِ، وَبِرَكَاتِ ثِقَتِنَا بِاللَّهِ وَحْدِهِ، تُظْهِرُ لَنَا عَجَائِبَ مَكْنُونَاتِ أَلْطَافِهِ، وَتَجْنِينًا ثَمَارِ النَّصْرِ فِي إِيَّانِ قَطَافِهِ، وَتُسَخِّرُ لَنَا وَزِدَ مَشْرِعِ الْفَتْحِ فَتْرَدَ عَذَبُ نِطَافِهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لَأَنْ نَتَّقَلَ نَجَادَهَا، وَنَمُطِّي جَوَادَهَا، وَنُسْتَوْرِ زِنَادَهَا، وَنُسْتَفْتِحَ بِهَا مَغَالِقَ الْمَآرِبِ، وَلَطَائِفَ الْمَطَالِبِ، حَتَّى دَخَلَتِ الْمَلَّةُ الْحَنِيفِيَّةُ فِي هَذِهِ الْجَزِيرَةِ الْأَنْدَلُسِيَّةِ أَغْوَارَهَا وَأَنْجَادَهَا. وَقَدْ تَقَرَّرَ عِنْدَ الْخَاصِّ وَالْعَامِّ، مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ، وَاشْتَهَرَ فِي جَمِيعِ<sup>(٢)</sup> الْأَقْطَارِ اشْتِهَارُ الصَّبْحِ فِي سَوَادِ الظَّلَامِ، أَنَّا لَمْ نَزَلْ نَبْدُلْ جُهْدَنَا فِي أَنْ تَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا، وَنُسَمِّحَ فِي ذَلِكَ بِالنَّفُوسِ وَالْأَمْوَالِ رَجَاءَ ثَوَابِ اللَّهِ لَا لَغَرَضٍ<sup>(٣)</sup> دُنْيَا. وَأَنَّا مَا قَصَّرْنَا فِي الْاسْتَنْصَارِ وَالْاسْتِيفَارِ<sup>(٤)</sup>، وَلَا قَصَّرْنَا<sup>(٥)</sup> عَنِ الْاعْتِضَادِ لِكُلِّ مَنْ أَمْلَنَّا مَعُونَتَهُ<sup>(٦)</sup> وَالْاسْتَظْهَارِ، وَلَا اكْتَفَيْنَا بِمُطَوَّلَاتِ الرِّسَالِ وَبَنَاتِ الْأَفْكَارِ، حَتَّى اقْتَحَمْنَا بِنَفُوسِنَا لُجَجَ الْبَحَارِ، وَسَمَخْنَا بِالطَّارِفِ مِنْ أَمْوَالِنَا وَالثَّلَادِ، وَأَعْطَيْنَا رَجَاءَ نُصْرَةِ الْإِسْلَامِ مَوْفُورَ الْأَمْوَالِ وَالْبِلَادِ، وَاشْتَرَيْنَا بِمَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْنَا مَا قَرَضَ اللَّهُ عَلَى كَافَةِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ مِنَ الْجِهَادِ، فَلَمْ

(١) سورة التوبة ٩، الآية ١٢٣.

(٢) من هنا حتى قوله: «إلى بلوغ الأمانة والمأمول» وارد في نفع الطيب (ج ٣ ص ٣٦٦ - ٣٦٧).

(٣) في النفع: «آفاق». (٤) في النفع: «لا لغرض الدنيا».

(٥) في النفع: «في الاستنفار والاستنصار». (٦) في النفع: «ولا أقصرنا».

(٧) في النفع: «معاملته».

يكن بين تَلْبِيَةِ المدعوِّ وزُهدِهِ، وبين قبولِهِ ورُدِّهِ، إلّا كما يخسُو الطائر ماء الثّمام ويأبى الله أن يَكِلَ نصر<sup>(١)</sup> هذه الجزيرة إلى سواه، وأن يجعل فيها سَبَبًا إلّا لمن أخلص لوجهه الكريم علانيته ونَجواه. ولَمّا أسلم الإسلام بهذه الجزيرة الغربية إلى مثاويه<sup>(٢)</sup>، وبقي المسلمون يتوقَّعون حادثًا ساءت ظنونهم لمباديهِ، ألقينا إلى الثّقة بالله تعالى وحده يَدَ الاستسلام، وشَمَرنا عن ساعد الجِدِّ والاجتهاد<sup>(٣)</sup> في جهاد عِبْدَةِ الأصنام، وأخذنا بمقتضى قوله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾<sup>(٤)</sup> أخذَ الاعتزام، فأمدَّنا الله تعالى بتوالي البشائر، ونَصَرنا بِالطَّافِ أغنى فيها خلوص الضمائر عن قُود<sup>(٥)</sup> العساكر، ونفلنا<sup>(٦)</sup> على أيدي قُودانا ورجالنا من السَّبايا والغنائم ما عُدَّ<sup>(٧)</sup> ذكره في الآفاق كالمثل السائر ﴿وَلَنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾<sup>(٨)</sup>، وكيف يُخصيها المحصي أو يَحْصُرُها الحاصر. وحين أبَدَتْ لنا العناية الرِّبَانِيَّة وجوه الفُتُوح<sup>(٩)</sup> سافرة المُحَيَّا، وانْتَشَقْنَا نسيم<sup>(١٠)</sup> النُّصر الممنوح عِبْقَ الرِّيا، استخرنا الله تعالى في الغزو بأنفسنا<sup>(١١)</sup> ونِعم المُستَخار، وكتبنا إلى من قرب من عمالنا<sup>(١٢)</sup> بالحرص على الجهاد والاستنفار. وحين وافى مَنْ خَفَّ للجهاد من الأجناد والمُطَوِّعين، وَعَدَّوا بحكم رغبتهم في الثواب على طاعة الله مجتمعين، خرجنا بهم ونَصَرُ الله تعالى أهدى دليل، وعناية الله بهذه الفئة المُفَرَّدَةِ من المسلمين، تقضي بتقريب البعيد من آمالنا، وتكثير القليل. ونحن نسأل الله تعالى أن يحملنا على جادَّة الرِّضا والقَبُول، وأن يرشدنا إلى طريق يُفْضِي<sup>(١٣)</sup> إلى بلوغ الأُمْنِيَّة والمأمول<sup>(١٤)</sup>، إلى أن حَلَلْنَا عَشِيَّةَ يوم الأحد ثاني يوم خروجنا بمقربة حصن اللُّقوة فأدْرَنا به التَّدبير، واستشرنا من أوليائنا من تحققتنا نصحه فيما يشير، فاقْتَضَى الرَّأْيُ المقتَرَن بالرِّشاد، المؤذَن بالإسعاد، قصد قيجاطة لما رَجَى من تيسير فتحها، وأملا في إضاءة فجر الأمانى لديها، وبيان صُبْحها، فسيرنا نحوها في جيش يجرُّ على المَجَرَّة ذيل النقع المُثار، ويضيق عن كثرته واسع الأقطار، ويُقَرَّرُ عين الإسلام بما اشتمل عليه من الحُماة والأنصار، تطير بهم نياتهم بأجْنِحَةِ العزم إلى

(١) في النفع: «نُصرة الإسلام بهذه الجزيرة إلى سواه، ولا يجعل فيها شيئًا إلّا...».

(٢) في النفع: «مُثاويه». (٣) كلمة «والاجتهاد» ساقطة في النفع.

(٤) سورة البقرة ٢، الآية ١٩٥. (٥) في النفع: «قود».

(٦) في الأصل: «ونفلنا» والتصويب من النفع. ونَقْلُ القائِدُ جُنْدَهُ: أعطاهم ما غنموه. لسان العرب (نفل).

(٧) في النفع: «ما غدا». (٨) سورة إبراهيم ١٤، الآية ٣٤.

(٩) في النفع: «الفتح». (١٠) في النفع: «نسائم».

(١١) في النفع: «بنفسنا». (١٢) في النفع: «أعمالنا».

(١٣) في النفع: «تفضي». (١٤) لَهَا يَنْتَهِي النَّصُّ في النفع.

قبض أرواح الكفار. فلما وصلنا إلى وادي على مَقَرَّةٍ منها نزلنا به نريح الجياد، ونكمل التأهُّب للقتال والاستعداد، وبات المسلمون ليلتهم يسألون الله تعالى بأن يمنحهم الإعانة بتأييده والإمداد. وحين فجر الفجر وأثار النهار، وقدحت به الأصباح زُند الأنوار، رَكِبْنَا إليها والعساكر قد انتظمت عقودها، والسيوف قد كادت تلفظها غُمودها، وبصائر الأولياء المجاهدين قد لاح من نصر الله تعالى معهودها. فلما وصلناها وجدنا ناسنا قد سَبَقُوا إليها بالبُوس، وهَتَكُوا سِتْرَ عِصْمَتِهَا المحروس، وأُذِنَ لها بزوال النعم وذهاب النفوس، فعاجلها الأولياء بالقتال، وأهدوا إليها حُمُر المنايا من رُزق النُصَال، ورَشَقُوا جنودها بالنُّبال، وجَدُّوا بنات الآجال، فلما رأوا ما لا طاقة لهم به لاذوا بالفرار من الأسوار، وولَّوا الأدبار، وودَّعوا الديار وما فيها من الآثار. وتَسَنَّم المسلمون ذِوَةَ البلد الأول فملكوه، وخَرَقُوا حجاب السُّتْرِ المسدول عليه وهَتَكُوهُ، وتسرعوا إلى البلد الثاني وقد ملأ النصارى أسواره من حُماة رجالهم، وانتقوهم من مُتَخَيَّرِي أبطالهم، ممن وثقوا بإقدامه في حماية ضلالهم، فحمل عليهم المسلمون حَمْلَةً عَرَفُوهم بها كيف يكون اللقاء، وصَرَفُوهم إلى ما تنصرف إليه أرواحهم من الشَّقاء، وأظهروا لهم من صدق العزائم ما علموا به أن لدين الإسلام أنصارًا لا يرغبون بأنفسهم عن الذَّبِّ عنه وحماية راياته، ولا يَصُدُّون إلا إلى طاعة الله ابتغاء مُرَضَاتِهِ. وبادر جماعة إلى إضرار باب المدينة بالنيران، وعقدوا تحت سماء العَجَاج منها سماء الدُّخان، ورموا النصارى من النُّبال بِشُهْبٍ تتبع منهم كل شيطان. فهزم الله النصارى، وولوا أدبارهم، وقذف الله في قلوبهم الرعب، فأخْلَوْا بروجهم وأسوارهم، وتَسَنَّمها المسلمون مُغلَّين شعار الإسلام، رافعين من الرايات الحُمُر كواكب في سماء السَّعادة تُبَشِّرُ بتيسير كل مرام. ودخلوا المدينة فألقوا بها من القُوت والعَتَاد، والمتاع الفاخر الذي يربو على التَّعداد، ما ملأ كلَّ يمين وشمال، وظهروا عليها بعد بلوغ الأمانى على الكمال، وقتلوا بها من الحُماة أعداء أبدوا في حماية ضلالهم ماضي الفِنا والاعتزام، وأعملوا فيهم ماضي العوامل وشبا الإضرار. وارتفع النصارى إلى القَصْبَةِ لائذين بامتناعها، مُغتصمين بعلُوها وارتفاعها، مُتَخَيِّلِينَ لضلالهم، وعدم استبصارهم أن نور الهدى لا يحلُّ بديارهم. فرأينا أن نُرقي الرجال إلى أبراج البلد وأسواره، وأمرناهم أن يبيتوا طول ليلتهم مُضَيِّقِينَ على مَنْ اعتصم بالقصبة في حِصاره، وعَمَدنا بالعسكر المظفر إلى موضع استيطانه من المحلة المنصورة واستقراره. فلما بدا ضوء الصباح بنور الإشراق، ولاح وجه الغزالة طارحًا شعاعه على الآفاق، أمرنا بترتيب العساكر على القصبة للحصار، وعيَّنَّا لكل جماعة منهم جهةً يبادرون إلى منازلها بالقتال أشدَّ البدار، فانتهى المسلمون من ذلك إلى غاية لم تَخْطُر

للكافرين ببال، وجرّعوهم كؤوس المنايا، وأداروا بها بنات الحنايا، فأفضت السّجال وأظهر الكفار، مع وقوعهم في بحر الموت صبرًا وطمعوا أن يقيموا بذلك لصلبانهم عُذْرًا. فلما رأوا من عَزَمنا ما لم تتخيله ظنّوهم وأوْهامهم، وصابَرهم المسلمون عند النزال مصابرةً عَظُم فيها إقدامهم وثَبَّت أقدامهم، ألقوا بأيديهم إلى التَّهْلُكَة إلقاء من هاله لَمعان الأسيّة واهتزاز رُذَيِّنِيّات القنا، ولاذوا بطلب الأمان لياذ الغريق بالساحل بعد ما أشرف على الفَناء، وهبط زعيمهم مقتحمًا خطر تلك المسالك، متضرّعًا تضرع من طمع في الحياة بعد ما أخذته أيدي المهالك، وشرط أن يُمْلِكنا القصبه، ويبقى خديمًا لنا بما بيده من البلاد الكثيرة والكتيبة المنتخبة، فلم يظهر له عند ذلك قَبُولًا، ولم نجعل له إلى تكميل ما نريده على شرط الأمان. فأسعَفنا رغبته على شروط، بَعَدَ عَهْدُ المسلمين بمثلها، وهُيئت الأسباب بما نعلمه من الثقة بالله وحده في أمورنا كلها، وذلك على كذا وكذا. وحين كُمِلت الشروط حقّ التكميل، وظهرت لنا منه أمارات الوفاء الجميل، دخلنا القصبه حماها الله، وقد أغنى يوم النصر عن شهر السلاح، كما أغنى ضوء الصبح عن نور المصباح، ورُفِعت على أبراجها حُمر الأعلام، ناطقةً عن الإسلام، بالتعريف والإعلام. وفي الحين وجهنا من يَقْبِضُ تلك الحصون، ويُزيل ما بها من جُرم الكفر المأفون، أمناء رجالنا. فالحمد لله على هذه النعمة التي أحدثت للقلوب استبشارًا، وخَفَضَتْ عَلم التثليث ورفعت للتوحيد منازًا، وأظهرت لِلْمَلَّة الحنيفية على أعدائها اعتلاءً واستكبارًا. وهذا القدر من الفتح وإن كان سامي الفَخْر، باقي الذكر بقاء الدهر، فإننا لنرجو من فضل الله أن يُتْبِعَه بما هو أعلى منه متانَةً، وأعظم في قلوب أهل الإيمان موقعًا وأعز مكانة، وأن يرغم بما يظهر على أيدينا من عز الإسلام، أنف من أظهر له عنادًا وخذلانًا. فاستبشروا بهذا الفتح العظيم وبشّروا، واشكروا الله عليه، فواجب أن تشكروا. وقد كتبنا هذا، ونحن على عزمنا في غزو بلاد الكفار، والسعي الحميد إلى التنكيل بهم والإضرار، والمسلمون أعزهم الله في أرضهم يشنون المغار، ويمتلكون الأنجاد منها والأغوار، ويكثرون القتل والأسار، ويَحْكُمون أينما نزلوا السيف والنار، والسلام.

ومن نثر آخر إجازة ما صورته<sup>(١)</sup>:

(١) النص في نفح الطيب (ج ٨ ص ٤٥) وأزهار الرياض (ج ٢ ص ٣٤٦ - ٣٤٧)، وفي الأزهار يخاطب ابن الجياب الشيخ أبا علي عمر الجراوي.

وها أنا أجري منه<sup>(١)</sup> على حُسْنِ مُعْتَقَدِهِ، وَأَكْلِهِ في هذا الغرض إلى ما رآه بمقتضى تَوُدِّهِ، وَأَجِيزُ له ولولديه، أَقَرَّ الله بهما عَيْنَهُ، وجمع بينهما وبينه، رواية جميع ما نقلته وحملته<sup>(٢)</sup>، وَحُسْنُ اِطْلَاعِهِ يُفْضِلُ من ذلك ما أَجْمَلْتُهُ، فقد أَطْلَقْتُ لهم الإذن في جميعه، وَأَبْحَثُ لهم الحَمْلَ عني ولهم الاختيار في تنويعه. والله سبحانه وتعالى<sup>(٣)</sup> يُخَلِّصُ أَعْمَالَنَا لِدَاثِهِ، ويجعلها في ابتغاء مَرْضَاتِهِ. قال هذا<sup>(٤)</sup> محمد بن عبد الرحمن بن الحكيم حامداً لله عَزَّ وَجَلَّ، ومصلِّياً ومسلماً.

**وفاته:** قُتِلَ، رحمه الله، صَبِيحَةَ عيد الفطر من عام ثمانية وسبعمئة<sup>(٥)</sup>، وذلك لتاريخ خلع سلطانه. واستولت<sup>(٦)</sup> يد الغوغاء على منازلها، شغلهم بها مُدَبِّرُ الفتنة خيفةً من أن يعاجلوه قبل تمام أمره، فضاع بها مال لا يُكْتَبُ، وعروض لا يُعْلَمُ لها قيمة من الكُتُبِ، والذخيرة والفرش والآنية والسلاح والمتاع والخُرثي، وَأُخْفِرَتْ ذِمَّتُهُ<sup>(٧)</sup>، وَتَعَدَّى به عُدُوهُ القتل إلى المُثَلَّة<sup>(٨)</sup>، وقانا الله مصارع السوء، فَطِيفَ بِشُلُوهِ، وانشَبَ فضاع ولم يُقَبِّرَ، وجرت فيه شناعة كبيرة، رحمه الله تعالى.

**مولده:** بُرْنَدَةُ ظهر يوم الاثنين الحادي والعشرين من ربيع الأول المبارك، من عام ستين وستمئة. وممن رثاه شيخنا أبو بكر بن شبرين رحمه الله تعالى بقوله<sup>(٩)</sup>:  
[الطويل]

سَقَى الله أَشْلَاءَ كَرُمَنْ عَلَى الْبَلَى	وما غَضَّ من مقدارها حادثُ الْبَلَا
وَمِمَّا شَجَانِي أَنْ أَهِيَنَّ مَكَائِهَا	وأَهْمَلُ قَدْرَ ما عهدناه مُهْمَلَا
أَلَا أَضْنَعُ بِهَا يَا ذَهْرُ مَا أَنْتَ صَانِعُ	فما كُنْتُ إِلَّا عَبْدُهَا الْمُتَذَلَّلَا
سَفَكْتُ وما كان الرُّقُوءُ نَوَالَهُ	لقد جَتَّتْهَا <sup>(١٠)</sup> شَنْعَاءَ فَاضِحَةِ الْمَلَا

(١) في المصدرين: «معه».

(٢) في أزهار الرياض: «والله عَزَّ وَجَلَّ يَخْلُصُ...».

(٤) في الأزهار: «قال هذا وكتبه محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن يحيى بن محمد اللخمي بن الحكيم، عفا الله عنه، حامداً لله عَزَّ وَجَلَّ، ومصلِّياً على رسوله المصطفى، ومسلماً عليه وعلى آله، في منتصف جمادى الآخرة عام ثلاثة وسبعمئة».

(٥) كذا جاء في نفح الطيب (ج ٣ ص ٣٦٧). (٦) النص في نفح الطيب (ج ٨ ص ٥٠ - ٥١).

(٧) أُخْفِرَتْ ذِمَّتُهُ: نقضت عهوده ولم تحفظ حرمة. لسان العرب (خفر).

(٨) المُثَلَّة: التمثيل بالقتل. لسان العرب (مثل).

(٩) القصيدة في نفح الطيب (ج ٨ ص ٨٥ - ٨٧).

(١٠) في النفح: «جَتَّتْهَا».

بَكْفِي سَبَنْتِي أَرْقِي الْعَيْنِ مُطَرِّقٌ<sup>(١)</sup>  
لِنِعْمَ قَتِيلُ الْقَوْمِ فِي يَوْمِ عِيده  
أَلَا إِنَّ يَوْمَ ابْنِ الْحَكِيمِ لَمْثُكِلٌ  
فَقَدْنَاهُ فِي يَوْمٍ أَغْرَّ مُحَجَّلٌ  
سَمَتْ نَحْوَهُ الْأَيَّامُ وَهُوَ عَمِيدُهَا  
تَعَاوَرَتْ الْأَسْيَافُ مِنْهُ مُمَدِّحًا  
وْخَانَتْهُ رِجْلٌ فِي الطَّوَافِ بِهِ سَعَتْ  
وَجُدَلٌ لَمْ يَخْضُرْهُ فِي الْحَيِّ نَاصِرٌ  
يَدُ اللَّهِ فِي ذَاكَ الْأَدِيمِ مُمَرِّقًا<sup>(٢)</sup>  
وَمِنْ حَزَنِي أَنْ لَسْتُ أَعْرِفُ مَلْحَدًا  
رُؤَيْدِكَ يَا مَنْ قَدْ غَدَا شَامِتًا بِهِ  
وَكُنَّا نُغَادِي أَوْ نُرَاوُحُ بِأَبِهِ  
ذَكَرْنَاهُ يَوْمًا فَاسْتَهَلَّتْ جَفُونُنَا  
وَمَا رَجَّ مِنْهُ الْحُزْنُ طَوْلَ اعْتِبَارِنَا  
وَهَاجَ لَنَا شَجْوًا تَذَكُّرُ مَجْلِسِ  
بِهِ كَانَتْ الدُّنْيَا تُؤَخَّرُ مُذْبِرًا  
لِتَبْكِ عَيُونُ الْبَاكِياتِ عَلَى فِتْيِ  
عَلَى خَادِمِ الْأَنَارِ تُثَلِّي صَحَائِحَا  
عَلَى عَضْدِ الْمُلْكِ الَّذِي قَدْ تَضَوَّعَتْ

عَدَا فَعْدَا فِي غَيْهِ مُتَوَغَّلَا  
قَتِيلٌ تُبَكِّيهِ الْمَكَارِمُ وَالْعُلَا  
فَوَادِي، فَمَا يَنْفُكُ مَا عَشْتُ مُثْكَلَا  
فَفِي الْحَشْرِ نَلْقَاهُ أَغْرَّ مُحَجَّلَا  
فَلَمْ تَشْكِرِ الثُّغْمَى وَلَمْ تَحْفَظِ الْوَلَا  
كَرِيمًا سَمَا فَوْقَ السَّمَائِينَ مَنَزَلَا<sup>(٣)</sup>  
فَنَاءً بِصَدْرِ الْعُلُومِ تَحْمَلَا  
فَمَنْ مُبْلَغُ الْأَحْيَاءِ أَنْ مَهْلَهْلَا<sup>(٤)</sup>  
تُبَارِكُ مَا هَبَّتْ جَنُوبًا وَشَمَالَا  
لَهُ فَأَرَى لِلتَّرْبِ مِنْهُ مَقْبَلَا  
فَبِالْأَمْسِ مَا كَانَ الْعِمَادَ الْمُؤَمَّلَا  
وَقَدْ ظَلَّ فِي أَوْجِ الْعُلَا مُتَوَقَّلَا<sup>(٥)</sup>  
بَدَمَعَ إِذَا مَا أُمَحَّلَ الْعَامُ أَخْضَلَا  
وَلَمْ تَذِرْ مَاذَا مِنْهُمَا كَانَ أَطْوَلَا  
لَهُ كَانَ يُهْدِي الْحَيِّ وَالْمَلَأَ الْأَلَى  
مَنْ النَّاسِ حَثْمًا أَوْ تُقَدِّمُ مُقْبَلَا  
كَرِيمٍ إِذَا مَا أَسْبَغَ الْغُرْفَ أَجْزَلَا  
عَلَى حَامِلِ الْقُرْآنِ يُثَلِّي مَفْضَلَا  
مَكَارِمُهُ فِي الْأَرْضِ مِسْكًا وَمَنْدَلَا

(١) السَّبَنْتِي: النمر. محيط المحيط (سبت). وصدر هذا البيت عجز بيت من قصيدة تنسب إلى جزء بن ضرار، أخي الشماخ، قاله في عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، والبيت هو: [الطويل]

وما كنت أخشى أن تكون وفاته  
بكفني سبنتي أرق العين مطرق  
طبقات ابن سلام (ص ١١١).

(٢) في النفح: «مزحلاً».

(٣) إشارة إلى قول الشاعر في مهلهل بن ربيعة: [الكامل]

من مبلغ الحيين أن مهلهلاً  
أضحى قتيلاً في الفلاة مجندلاً  
هذا من قول جزء بن ضرار: [الطويل]

عليك سلام من أمير وباركث  
يَدُ اللَّهِ فِي ذَاكَ الْأَدِيمِ الْمُمَرِّقِ  
الشعر والشعراء (ص ٢٣٥).

(٥) متوقلاً في أوج العلا: صاعداً فيه. لسان العرب (وقل).

على قاسم الأموال فينا على الذي  
وأنى لنا من بعده مُتَعَلِّلُ  
ألا يا قصيرَ العُمرِ يا كاملَ العُلا  
يسوءُ المُصَلَّى أن هَلَكْتَ ولم تُقَم  
وذاك لأنَّ الأمرَ فيه شهادة  
فيا أيها المَيتُ الكريمُ الذي قضى  
لِتَهْنَكُ<sup>(١)</sup> من ربِّ السماء شهادة  
رثيتك عن حبِّ نوى في جوانحي  
ويا ربَّ من أوليته منك نعمة  
تناساك حتى ما تَمُرُّ بباله  
يرابضُ في مَثَواك كلَّ عَشِيَّةٍ  
لَحَى الله من ينسى الأذمةَ رافضاً  
خَنَائِكَ يا بَذَرَ الهدى فَلَسَدٌ ما  
وكنْتَ لآمالي حياةً هنيئةً  
فلا وأبيك الخيرِ ما أنا بالذي  
فأنت الذي آوَيْتَنِي مُتَعَرِّباً  
فإن لم أنلْ منك الذي كنتَ آملاً  
فأليْتَ لا ينفكُ قلبي مُكَمِّداً

وضغنا لديه كلَّ إضرٍ على غُلا  
وما كان في حاجاتنا مُتَعَلِّلا  
يمينا لقد غادرتَ حُزْناً مؤثلاً  
عليك صلاةٌ فيه يشهدُها المَلا  
وسُنَّتُها محفوظةٌ لن تُبَدَّلَا  
سعيداً حميداً فاضلاً ومُفَضَّلاً  
تُلاقِي بِبُشْرَى وجهك المُتَهَلِّلاً  
فما وَدَّعَ القلبُ العَميدُ وما قَلَا<sup>(٢)</sup>  
وكنْتَ له دُخْراً عتيداً ومَوْثِلاً  
ولم يَذْكُرْ<sup>(٣)</sup> ذاك الندى والتَفَضُّلاً  
صَفِيفَ شِوَاءٍ أوقديداً<sup>(٤)</sup> مُعَجَّلاً<sup>(٥)</sup>  
ويُذهَلُ مهما أصبح الأمرُ مُشْكِلاً  
تركتَ بُدُورَ الأفق بعدك<sup>(٦)</sup> أَقْلاً  
فغادرتَ مني اليومَ قَلْباً مُقَتَّلاً  
على البُعْدِ يَنسَى من ذِمَامِكَ ما خلا  
وأنت الذي أكرمتني مُتَطَفِّلاً  
فما كنتَ إلَّا المُحْسِنُ المُتَفَضِّلُ<sup>(٧)</sup>  
عليك ولا ينفكُ دمعي مُسْبِلاً

### محمد بن عبد الرحمن العقيلي الجراوي

من أهل وادي آش، وسكن غرناطة.

- (١) في الأصل: «لِتَهْنَلْ» والتصويب من النفع.  
(٢) هذا من قول الله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ [الضحى: ٣].  
(٣) يَذْكُر: يتذكر. محيط المحيط (ذكر). (٤) في النفع: «قديراً».  
(٥) أخذه من قول امرئ القيس في معلقته: [الطويل]  
وظلَّ طُهاةَ اللحمِ من بَيْنِ مُنْضِجٍ  
صَفِيفَ شِوَاءٍ أوقدِيرٍ مُعَجَّلٍ  
ديوان امرئ القيس (ص ٢٢).  
(٦) في الأصل: «بعد» والتصويب من النفع.  
(٧) هذا البيت غير وارد في نفع الطيب.



حاله: فقيه أديب مُتَطَبِّب، متفنن في علوم جمعة، شاعر مطبوع، يكتنى أبا بكر.  
مدح الأمير علي بن يوسف اللمتوني بقوله: [مجزوء الكامل]

رحلوا الركائب موهنا      فأذاع عَزْفُهُمُ السَّنا  
والحَلْيُ قد أغرى بهم      لَمَّا ترثم مُغلنا  
كم حفَّ حول جِماهمُ      من كلِّ خَطَّارِ القَنَا

قال أبو جعفر بن الزبير، ينفك منها قصائد: [الكامل]

رحلوا الركاب موهنا ليكتموا      ظَننَ الحُمُولُ وهل تُورَى الأَنْجُمُ؟  
فأذاع سرُّهُمُ السَّنا ورمى بهم      فلُ الذمِيلُ شذاهُمُ المُتَنَسِّمُ  
كم حفَّ حمل قبابهمُ وركابهم      من ليثٍ غابٍ في برائنه الدَّمُ  
من كلِّ خَطَّارِ القَنَا ممّوه      بين الرحيل نَضْبُهُ يستسلم

وهي طويلة، خاطب بها أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين. وقال في وصف القصيدة: [الطويل]

أيا ملكًا يسمو بسَعْدٍ مُساعد      وقَدَّرَ على عُلُوِّ الكواكبِ صاعدٍ  
نظمت قصيدًا في علاك مُضَمَّنًا      ثلاث قوافٍ في ثلاث قصائدٍ  
إذا قُصِّلَتْ أُغْنَى عن البعض بعضُها      وإن وُصِّلَتْ كانت ككعبٍ وساعدٍ

فأجازه بظهير كريم بتحريه ماله وتنويهه.

### محمد بن عبد الرحمن المُتَاهِل

من أهل وادي آش، يعرف بعمامتي.

حاله: من التاج: ناظم أبيات، وموضح غُرر وشيات، وصاحب توقيعات رفيعات، وإشارات ذوات شارات. وكان شاعرًا مكثارًا، وجوادًا لا يخاف عِثارًا. أَدخل على أمير بلده المخلوع عن مُلكه، بعد انتشار سِلْكه، وخروج الحَضرة عن ملكه، واستقراره بوادي آش، مروع البال، معللًا بالأمال، وقد بلغه دخول طبرنش في طاعته، فأنشده من ساعته: [مجزوء الكامل]

خُذْها إليك طبرنشَا      شَفَعُ بها وادي الأشَا  
والأَمُّ تتبع بنتها      والله يفعل ما يشَا

ومن نوادره العذبة يطلب خطة الحشبة: [الطويل]

أَنِسْنِي يا خَيْرَ البريّةِ خُطَّةً      تُرَفِّعُنِي قَدْرًا وتكسبني عِزًّا

فأعترُ في أهلي كما اعترَ بَيْدَقْ على سُفْرة الشطرنج لما انثنى فرزا  
فوقع الأمر بظهر رقعته ما ثبت في حرف النون عند ذكره، والاحتجاج  
بفضله.

وفاته: كان حيًا بعد سنة سبع عشرة وسبعمائة. وفد على الحضرة مرات  
كثيرة.

### محمد بن عبد الملك بن محمد بن محمد بن طُفَيْل القيسي<sup>(١)</sup>

من أهل وادي آش، يكنى أبا بكر.

حاله: كان عالمًا، صَدْرًا، حَكِيمًا، فيلسوفًا، عارفًا بالمقالات والآراء، كلفًا  
بالحكمة المشرقية، محققًا، متصوفًا، طبيبًا ماهرًا، فقيهاً، بارع الأدب، ناظمًا، ناثرًا،  
مشاركًا في جملة من الفنون.

مشيخته: روى عن أبي محمد الرُّشَاطِي، وعبد الحق بن عطية وغيرهما.

حُظُوتُهُ ودخوله غرناطة:

اختصَّ بالريس أبي جعفر، وأبي الحسن بن مَلْحَان. قال ابن الأبار في  
تُخْفَتِهِ<sup>(٢)</sup>: وكتب لوالي غرناطة وقتًا.

توَالِيْفُهُ: رسالة حيّ بن يقظان، والأرجوزة الطبيّة المجهولة، وغير ذلك.

شعره: قال: وهو القائل من قصيدة في فتح قَفْصَةِ سنة ست وسبعين<sup>(٣)</sup>،  
وأنْفِذَتْ إلى البلاد<sup>(٤)</sup>: [الطويل]

ولمّا انقضى الفَتَح الذي كان يُرتجى	وأصبح حزب الله أغْلَبَ غالبِ
وأنجزنا وَغْدٌ من الله صادقٌ	كفيل بإبطال الظنون الكواذبِ
وساعدنا التوفيق حتى بيئت	مقاصدنا مشروحة بالعواقبِ
وأذعن من عليا هلالُ بن عامر	أبيّ ولبى الأمر كلّ مجانبِ

(١) ترجمة ابن طفيل في المعجب (ص ٣١١) والمقتضب من كتاب تحفة القادم (ص ١٢٥) وعيون  
الأنباء في طبقات الأطباء (ص ٥٣٠) في ترجمة أبي الوليد بن رشد.

(٢) المقتضب من كتاب تحفة القادم (ص ١٢٥).

(٣) في الأصل: «وتسعين»، وقد صوّبناه عن ابن عذاري؛ إذ روى أن الخليفة يوسف بن  
عبد المؤمن الموحدي فتح قَفْصَةَ في شهر رمضان من عام ٥٧٦ هـ. البيان المغرب - قسم  
الموحدين (ص ١٤١).

(٤) القصيدة في البيان المغرب - قسم الموحدين (ص ١٤١ - ١٤٢).

ولم يتركوا بالشُّرق عُلقة آيب  
وقد زاحموا الآفاق من كل جانب  
بهم وخَضَّم البحر بعض المذائب  
يديه عظيمُ الروم في حال راغب  
نَفْسٌ مذعور وتُفْرة راهب  
وما<sup>(٦)</sup> وضحت<sup>(٧)</sup> عنه فصاح القَوَاضِ  
عليه وإضراره في كفِّ حالب  
وعُجْبًا عليكم من صدور الرِّكائب  
بمن حلَّ فيها من ولي<sup>(٩)</sup> وصاحب  
توافيهم بين الصُّبا والجَنائب

وهبوا إذا<sup>(١)</sup> هبَّ النسيم كما<sup>(٢)</sup> سرى  
يُغَصُّ بهم غُرض القَلَا وهو واسع<sup>(٣)</sup>  
كَأَنَّ بسِيط الأرض حَلَقَة خاتم  
ومَدَّ على حكم<sup>(٤)</sup> الصغار لسلْمنا  
يُصْرِّح بالرؤيا<sup>(٥)</sup> وبين ضلوعه  
وعى من لسان الحال أفصح خُطبة  
وأبصر مَثْن الأرض كَفَّة حامل  
أشرنا بأعناق الجياد إليكم  
إلى بُقعة قد بيَّن<sup>(٨)</sup> الله فضلها  
على الصَّفوة الأذنين مَنّا تحيةً  
وله أيضًا<sup>(١٠)</sup>: [الطويل]

وأسْرَتْ إلى وادي<sup>(١٢)</sup> العَقِيق من الحمى  
ومَرَّتْ بثُعْمان فأضحى مُنْعَمًا  
فما زال ذاك الثُّزْب نهبًا مقسِّمًا  
ويحمِله الداري<sup>(١٧)</sup> أَيْانَ يَمُمَا  
وَأَنْ سُرَاهَا فيه لن يَتَكْتَمَا  
فأبدتْ شُعاعًا يرفع اليوم مظلما<sup>(١٩)</sup>

أَلَمْتُ وقد نام الرقيب<sup>(١١)</sup> وهَوُمَا  
وراحت<sup>(١٣)</sup> إلى تَجْدٍ فَرُخْتُ مُتَّجِدًا  
وجَرَّتْ على تَرْبِ الْمُحَصَّبِ<sup>(١٤)</sup> ذيلها  
تناقله<sup>(١٥)</sup> أيدي الثُّجَار<sup>(١٦)</sup> لطيمة  
ولَمَّا رَأَتْ أَنْ لا ظِلَامَ يَجِئُهَا  
سَرَتْ<sup>(١٨)</sup> عذبات الرِّيطِ عن حُرِّ وجهها

(١) في البيان المغرب: «كما». (٢) في البيان المغرب: «إذا».

(٣) في البيان المغرب: «... عرض الفيافي وطولها».

(٤) في البيان المغرب: «رغم». (٥) في البيان المغرب: «بالرغبي».

(٦) في الأصل: «ما» وهكذا ينكسر الوزن. (٧) في البيان المغرب: «وما صمتت».

(٨) في البيان المغرب: «يمن». (٩) في البيان المغرب: «إمام».

(١٠) القصيدة في المعجب (ص ٣١٢ - ٣١٣) والمقتضب من كتاب تحفة القادم (ص ١٢٥ - ١٢٦).

(١١) في المعجب: «المُشِيع».

(١٢) في الأصل: «وأسرت الوادي...» وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصدرين السابقين.

(١٣) في الأصل: «وراج»، والتصويب من المقتضب.

(١٤) في الأصل: «المُخَصَّب»، والتصويب من المصدرين. والمُخَصَّب: مكان بين مكة ومنى.

(١٥) في المعجب: «تناوله». (١٦) في المقتضب: «الرجال لِطِيَّة».

(١٧) في الأصل: «الدارين» والتصويب من المصدرين. والداري: الملاح الذي يلي الشراع.

(١٨) في المعجب: «نَضَّتْ».

(١٩) في المعجب: «فأبدت مُحَيَّا يذهش المتوسِّما». وفي المقتضب: «... شعاعًا يرجع الصبح=

فَكَانَ تَجَلِّيَهَا حِجَابَ جَمَالِهَا  
وَلَمَّا رَأَتْ زُفَرَ الْكَوَاكِبِ أَنَّهَا  
بَكَتْ أَسْفًا أَنْ لَمْ تَقْزُ بِجَوَارِهَا  
فَجَلَّتْ يَمُجُّ الْقَطَرِ رِيَانُ بُزْدِهَا  
يَضُمُّ عَلَيْنَا الْمَاءَ فَضْلَ زَكَاتِهَا  
وَيَفْتَقُ نَضْحَ الْغَيْثِ طِيبَ عَرْفِهَا  
جَلَّتْ عَنْ ثَنَائِيهَا وَأَوْمَضَ بَرْقُهَا<sup>(٢)</sup>  
وَسَاعَدَنِي جَفْنُ الْغَمَامِ عَلَى الْبُكَاءِ  
وَنَظَمَ سِنْمَطِي ثَغَرَهَا وَوَشَاحَهَا  
تَقُولُ وَقَدْ أَلَمَّتْ أَطْرَافُ كَمِّهَا  
نَشْدُوكَ لَا يَذْهَبُ بِكَ الشُّوقُ مَذْهَبًا  
فَأَقْصَرْتُ<sup>(٤)</sup> لَا مُسْتَغْنِيَا عَنْ نَوَالِهَا

وقال<sup>(٥)</sup>: [الوافر]

أَتَذَكَّرُ إِذْ مَسَحْتُ بِفِيكَ عَيْنِي<sup>(٦)</sup>  
ذَكَرْتُ بِأَنْ رِيَقَكَ مَاءٌ وَزَدَ  
فَقَابَلْتُ الْحَرَارَةَ بِالْبُرُودَةِ

وقال: [الوافر]

سَأَلْتُ مِنَ الْمَلِيحَةِ بُزْءَ دَائِي  
فَمَا زَالَتْ تُقْبِلُ فِي جَفَوْنِي  
وَقَالَتْ إِنَّ طَرْفَكَ كَانَ<sup>(٧)</sup> أَصْلًا  
لِدَائِكَ فَلْيَقْدِّمْ فِي الْعِلَاجِ  
بِرَشْفٍ بَرُودِهَا الْعَذْبِ الْمَزَاجِ  
وَتُبْهَرْنِي بِأَصْنَافِ الْحِجَاجِ

وفاته: توفي بمراكش سنة إحدى وثمانين وخمسمائة، وحضر السلطان<sup>(٨)</sup> جنازته.

= معلما.

(١) في الأصل: «كمل» وكذا ينكسر الوزن، ولا معنى له.

(٢) في المعجب: «بارق». (٣) في المعجب: «دمعا».

(٤) في المعجب: «فأمسكت».

(٥) البيتان في المقتضب من كتاب تحفة القادِم (ص ١٢٥).

(٦) في المقتضب: «دَمَعِي».

(٧) كلمة «كان» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها ليستقيم المعنى والوزن معًا.

(٨) السلطان هو المنصور أبو يوسف يعقوب بن عبد المؤمن الموحدي، وقد حكم المغرب والأندلس من سنة ٥٨٠ هـ إلى سنة ٥٩٥ هـ. ترجمته في البيان المغرب - قسم =

## محمد بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبيد الله ابن عياش التَّجِيبِي البُرْشَانِي<sup>(١)</sup>

من أهل حصن بُرْشَانَة المحسوب في هذه العِمالة، يكنى أبا عبد الله، كاتب الخلافة.

حاله: قال القاضي أبو عبد الله بن عبد الملك<sup>(٢)</sup>: كان كاتبًا بارعًا، فصيحًا، مُشرقًا على علوم اللسان، حافظًا للغات والآداب، جَزَلًا، سَرِيَّ الهمة، كبير المقدار، حسن الخلق، كريم الطباع<sup>(٣)</sup>، نفاعًا بجاهه وماله، كثير الاعتناء<sup>(٤)</sup> بطلبة العلم والسعي الجميل لهم، وإفاضة المعروف على قُصَّاده، مستعينًا على ذلك بما نال من الثروة والحظوة والجاه عند الأمراء من بني عبد المؤمن، إذ كان صاحب القلم الأعلى<sup>(٥)</sup> على عهد المنصور وابنه، رفيع المنزلة والمكانة لديهم، قاصدًا<sup>(٦)</sup> الإعراب في كلامه، لا يخاطب أحدًا<sup>(٧)</sup> في كلامه من الناس، على تفريق أحوالهم، إلَّا بكلام مُعَرَّب، وربما استعمله<sup>(٨)</sup> في مخاطبة خُدُمته<sup>(٩)</sup> وأُمته، من حُوشِي الألفاظ، ما لا يكاد يستعمله<sup>(١٠)</sup>، ولا يفهمه إلَّا حُفَظ اللغة من أهل العلم، عادة أَلْفَها واستمرت حاله عليها.

مُشِيخته: روى<sup>(١١)</sup> عن أبي عبد الله بن حُميد، وابن أبي القاسم السَّهْلِي، وابن حُبَيْش، وروى عنه بنوه أبو جعفر، وأبو القاسم<sup>(١٢)</sup> عبد الرحمن، وأبو جعفر بن عثمان، وأبو القاسم البلوي.

- 
- = الموحدين (ص ١٧٠) والمعجب (ص ٣٣٦) والحلل الموشية (ص ١٢١).  
(١) ترجمه ابن عياش في التكملة (ج ٢ ص ١١٦) والذيل والتكملة (ج ٦ ص ٣٨٤). والبرشاني: نسبة إلى بُرْشَانَة Purchena وهي عمل ألمرية، وهي حصن على مجتمع نهريْن، من أمنع الحصون. الروض المعطار (ص ٨٨) والتكملة (ج ٢ ص ١١٦).  
(٢) الذيل والتكملة (ج ٦ ص ٣٨٥). (٣) في الذيل والتكملة: «الطبع».  
(٤) في المصدر نفسه: «الاعتبار».  
(٥) في المصدر نفسه: «الأعلى عند المنصور منهم فابنه الناصر، فابنه المستنصر، رفيع...».  
(٦) في المصدر نفسه: «عامدًا».  
(٧) في المصدر نفسه: «أحدًا من أصناف الناس...».  
(٨) في المصدر نفسه: «استعمل».  
(٩) في الأصل: «قدمته» والتصويب من الذيل والتكملة.  
(١٠) في الذيل والتكملة: «يستعمل».  
(١١) النص في الذيل والتكملة (ج ٦ ص ٣٨٤ - ٣٨٥).  
(١٢) في الأصل: «وأبو القاسم، وعبد الرحمن» والتصويب من الذيل والتكملة.

**تواليه:** له<sup>(١)</sup> اختصار حسن في إصلاح المنطق، ورسائل مشهورة، تناقلها الناس، وشيخ يُحسِن في بعضه.

**جاهه:** حدّث الشيخ أبو القاسم البلوي، قال<sup>(٢)</sup>: كنت أخفّ إليه<sup>(٣)</sup>، وأشفع عنده في كبار المسائل، فيسرع في قضائها. ولقد عرّضت لبعض أصحابي من أهل بلاد الأندلس حاجةً مهمّةً كبيرة، وجب عليّ السعي فيها، والتماس قضائها وفاء لرّبّها، ولم يكن لها إلّا ما قدّرتُه من حسن نظره فيها، ورجوته من جميل أثره في تيسير أمرها، وكان قد أصابه حينئذٍ التّياثُ لَزِمَ من أجله داره، ودخلت<sup>(٤)</sup> عليه عائداً، فأطال السؤال عن حالِي، وتبسّط معي في الكلام، مبالغة في تأنيسي، فأجلّلتُ ذكر الحاجة<sup>(٥)</sup>، ورغبت منه في الشّفاة عند السلطان في شأنها، وكان مضطجعاً، فاستوى جالساً، وقال لي: جَهَلُ الناسُ قَدْرِي، وكَرَّرها ثلاثاً، في<sup>(٦)</sup> مثل هذا أشفع إلى أمير المؤمنين؟ هات الدّواة والقرطاس، فناولته إياهما، فكتب برغبتي، ورفعني إلى السلطان، فصُرف في الحين مُعلّماً، فاستدعاني، ودفعه إليّ، وقال: يا أبا القاسم، لا أرضى منك أن تُخجم عني في التماس قضاء حاجة تعرّضت لك خاصة، وإن كانت لأحد من معارفك عامة، كَبُرَتْ أو صَغُرَتْ، فالتزّم قضاءها، وعليّ الوفاء، فإن لكل مكسب<sup>(٧)</sup> زكاة، وزكاة الجاه بذلّه.

وحَدّثني شيخِي أبو الحسن بن الجيّاب، عمن حدّثه من أشياخه، قال: عرض أبو عبد الله بن عيّاش والكاظم ابن القالمي على المنصور كتابين، وهو في بعض الغزوات، في كَلْبِ البَرْد، وبين يديه كائون جَمْر. وكان ابن عيّاش بارع الخط، وابن القالمي ركيكّه، ويفضّله في البلاغة، أو بالعكس الشكّ مني. وقال المنصور: أي كُتِبَ لو كان بهذا الخط؟ وأي خطّ لو كان بهذا الكُتِبَ؟ فرضي ابن القالمي، وسَخِطَ ابن عيّاش. فانتزع الكتاب من يد المنصور، وطرّحه في النار وانصرف. قال: فتغيّر وجهُ المنصور، وابتدر أحد الأشياخ، فقال: يا أمير المؤمنين، طَعَنُتُمُ له في الوسيلة التي عرّفته باباكم، فعظمت غيْرَتُهُ لمعرفته بقَدْرِ السبب الموصول إليكم. فسُرّي عن المنصور، وقال لأحد خدّامه: اذهب إلى السّبي، فاختر أجمل نساء الأبيكار؛ وأتِ بابن عيّاش؛ فقلّ له: هذه تُطْفِئ من خُلُقِكَ. قال ابن عيّاش يخاطب ولّده، وقد حدّث الحديث: هي أمّك، يا محمد، أو فلان.

(١) النص في الذيل والتكملة (ج ٦ ص ٣٨٥). (٢) النص في الذيل والتكملة (ج ٦ ص ٣٨٦).

(٣) في الذيل والتكملة: «عليه». (٤) في الذيل والتكملة: «فدخلت».

(٥) في الذيل والتكملة: «ذكر تلك الحاجة». (٦) في الذيل والتكملة: «أفي».

(٧) في المصدر نفسه: «مكتسب».

## بعض أخباره مع المنصور ومحاورته الدالة على جلالته قدره:

قال ابن خميس: حدثني خالي أبو عبد الله بن عسكر أن الكاتب أبا عبد الله بن عيَّاش، كتب يومًا كتابًا ليهودي، فكتب فيه، ويحمل على البرِّ والكرامة. فقال له المنصور: من أين لك أن تقول في كافر، ويحمل على البرِّ والكرامة؟ فقال: ففكرت ساعة، وقد علمت أن الاعتراض يلزمني، فقلت: قال رسول الله ﷺ: إذا أتاكم كريم قوم، فأكرموا، وهذا عام في الكافر، وغيره. فقال: نعم هذه الكرامة، فالمبرة أين أخذتها؟ قال: فسكت ولم أجد جوابًا. قال: فقرأ المنصور: ﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾<sup>(١)</sup> «لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الدِّينِ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ أَنْ تَبْرُوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ»<sup>(٢)</sup>. قال: فشهدت بذلك، وشكرته.

شعره: من شعره<sup>(٣)</sup>: [الطويل]

بلنسية، بيني عن العليا<sup>(٤)</sup> سلوة  
وكيف يحب المرء دارًا تقسمت  
فلإنك روض لا أحسن لزهرك  
على صارمي<sup>(٥)</sup> جوع<sup>(٦)</sup> وفئتة مشرك؟

وذكره الأديب أبو بحر صفوان بن إدريس في «زاد المسافر» عند اسم ابن عيَّاش، قال: اجتمعنا في ليلة بمراكش، فقال أبو عبد الله بن عيَّاش: [البسيط]

وليلة من ليالي الصَّفْح قد جمعت  
كانوا على سنة الأيام قد بعدوا  
إخوان صدق ووصل للدهر مختلس<sup>(٧)</sup>  
فألقت بينهم لو ساعد الغلس

وقال من قصيدة: [الكامل]

أشفارها أم صارم الحجاج؟  
فإذا نظرت لأرضها وسمائها  
وجفونها أم فئتة الحلاج؟  
لم تلف غير أسنة وزجاج

(١) سورة النحل ١٦، الآية ٩٨. وصواب الآية: ﴿فَاسْتَوِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾.

(٢) سورة الممتحنة ٦٠، الآية ٨. وصواب الآية: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ أَنْ تَبْرُوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ﴾.

(٣) البيتان في الروض المعطار (ص ١٠١) ونفع الطيب (ج ١ ص ١٧٢) ومعجم البلدان (ج ١ ص ٤٩١) وفيه ينسبهما ياقوت إلى ابن حريق.

(٤) في الأصل: «العليا» وكذا ينكسر الوزن. وفي سائر المصادر: «عن القلب».

(٥) في معجم البلدان: «على ضاربي».

(٦) في الأصل: «جذع» والتصويب من المصادر الثلاثة.

(٧) في الأصل: «للدهر غير مختلس» وكذا لا يستقيم لا الوزن ولا المعنى، لذا حذفنا كلمة «غير».

وقال في المٌضحف الإمام، المنسوب إلى عثمان بن عفان، لما أمر المنصور بتخلّيته بنفيس الدرّ من قصيدة<sup>(١)</sup>:

وَنُقِلْتَهُ<sup>(٢)</sup> مِنْ كُلِّ مَلِكٍ ذَخِيرَةً      كَأَنَّهُمْ كَانُوا بِرَشْمٍ مَكَاسِبَةٍ  
فَإِنْ وَرِثَ الْأَمْلَاكَ شَرْقًا وَمَغْرِبًا      فَكَمْ قَدْ أَخْلَوْا جَاهِلِينَ بِوَاجِبَةٍ  
وَالْبَسْتَهُ الْيَاقُوتَ وَالدرَّ<sup>(٣)</sup> حِلِيَةً      وَغَيْرُكَ قَدْ رَوَاهُ مِنْ دَمٍ صَاحِبِيَةٍ

كتابتَه: قال ابن سعيد في المُرَقَّصات والمُطَرِّبات<sup>(٤)</sup>: أبو عبد الله بن عياش، كاتب الناصر وغيره، من بني عبد المؤمن، وواسطة عَقْدَ تَرْسِيلِهِ، قوله في رسالة كتبها في نزول الناصر على المَهْدِيَةِ بحرًا وبرًا، واسترجاعها من أيدي المُلْتَمِين:

ولما حَلَلْنَا عُرَى السَّفَرِ، بَأَن حَلَلْنَا حِمَى المَهْدِيَةِ، تَفَاءَلْنَا بِأَن تَكُونَ لِمَنْ حَلَّ بِسَاحَتِهَا هَدِيَّةٌ، فَأَخَذْنَا بِهَا إِحْدَاقَ الْهُدْبِ بِالْعَيْنِ، وَأَطَرْنَا لِمَخْتَلَسٍ وَصَالَهَا غِزْبَانِ الْبَيْنِ، فَبَانَتْ بَلِيلَةً بِاسِنِيَّةٍ، وَصَاحِبٌ يَوْمًا صَافِحَتِهِ فِيهِ يَدُ الْمَنِيَةِ. وَلَمَّا اجْتَلَيْنَا مِنْهَا عُرُوسًا قَدْ مَدَّ بَيْنَ يَدَيْهَا بِسَاطِ الْمَاءِ، وَتَوَجَّهَتْ بِالْهَلَالِ وَقَرَّطَتْهُ بِالثُّرَيَّا وَوُشَّجَتْ بِنَجُومِ السَّمَاءِ، وَالسُّحُبِ تَسَحَّبَ عَلَيْهَا أَزْدَانُهَا فَتَرْتَدِّيْهَا تَارَةً مُتَلْتَمَةً، وَطُورًا سَافِرَةً، وَكَأَنَّمَا شُرُفَاتُهَا الْمُشْرِفَةُ أُنَامِلُ مُخْضَبَةٍ بِالدِّيَاجِي، مُخْتَمَّةٌ بِالْكَوَاكِبِ الزَّاهِرَةِ، تُضْحِي عَنْ شَنْبٍ لَا تَزَالُ تُقْبَلُهُ أَفْوَاهُ الْمَجَانِيْقِ، وَتُؤَمِّسِي بِاسْمَةٍ عَنْ لَعَسٍ لَا تَبْرَحُ تَرْشِفُهُ شِفَاهُ سِيْهَامِ الْحَرِيقِ، خَطَبْنَاهَا فَأَرَادَتْ التَّنْبِيْهَ عَلَى قَدْرِهَا، وَالتَّوْفِيرَ فِي إِعْلَاءِ مَهْرِهَا، وَمَنْ خَطَبَ الْحَسَنَاءَ لَمْ يُغْلِهِ الْمَهْرُ فَتَمَنَّتْ تَمَنُّعَ الْمَقْصُورَاتِ فِي الْخِيَامِ، وَأَطَالَتْ إِعْمَالُ الْعَامِلِ فِي خِدْمَتِهَا وَتَجَرِيدُ الْحَسَامِ، إِلَى أَنْ تَحَقَّقَتْ عِظَمَ مَوْقِعِهَا فِي النُّفُوسِ، وَرَأَتْ كَثْرَةَ مَا أَلْقَى لَهَا مِنْ نِثَارِ الرُّؤُوسِ، جَنَّتْ إِلَى الْإِخْصَانِ بَعْدَ التُّشُوزِ، وَرَأَتْ اللَّجَاجَ فِي الْإِمْتِنَاعِ مِنْ قَبُولِ الْإِحْسَانِ لَا يَجُوزُ، فَأَمَكَّنَتْ زَمَامَهَا مِنْ يَدِ خَاطِبِهَا، بَعْدَ مَطَاوِلَةِ خَطَبِهَا وَخِطَابِهَا، وَأَمْتَنَتْهُ عَلَى رَغَمِ رُفْيِهَا بِعِنَاقِهَا وَرَشْفِ رُضَابِهَا، فَبَانَتْ مُعْرِسًا حَيْثُ لَا حِجَالَ إِلَّا مِنَ الْبُنُودِ، وَلَا خُلُوقَ إِلَّا مِنْ دِمَاءِ أَبْطَالِ الْجُنُودِ، فَأَصْبَحَ وَقَدْ تَلَأَلَتْ بِهَذِهِ الْبَشَائِرِ وَجُوهَ الْأَفْكَارِ؛ وَطَارَتْ بِمَسَارِهَا سَوَائِحُ الْبَرَارِيِّ وَسَوَانِحُ الْبَحَارِ. فَالْحَمْدُ

(١) الأبيات في التكملة (ج ٢ ص ١١٦) والذيل والتكملة (ج ٦ ص ٣٨٧).

(٢) في الأصل: «وَنُقِلْتُ» وكذا ينكسر الوزن. والتصويب من الذيل والتكملة. وفي التكملة: «وَنُقِلْتَهُ».

(٣) في الأصل: «الدرّ والياقوت». وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصدرين.

(٤) لم يرد شيء من هذا في المرقصات والمطربيات، وجاء فيه (ص ٩٢) بيتان من الشعر لأبي جعفر بن عياش، شاعر المائة السابعة، وليس لأبي عبد الله بن عياش.



الله الذي أقرَّ الحقَّ في نصابه، واسترَّجعه من أيدي غُصَّابه، حمداً يجمع شمل النعم، ويُلقِّحها كما تُلقِّح الرياح الدَّيم، فسْتَفُوا الأسماع بهذه البشائر، واملئوا الصُّدور بما يرويه لكم من أحاديثها كل وارد وصادر، فهو الفتح الذي تفتحت له أبواب السماء، وعم الخير واليمن به بَسِيطِي الشَّرْقِ والماء؛ فشكر الله عليه، فرض، في كل قَطْرِ من أقطار الأرض.

دخل غرناطة، مُرتاداً، ومُتعلماً، ومُجتازاً.

مولده: بُبرشانة بلده، عام خمسين وخمسمائة.

وفاته: توفي بمراكش في شهر رجب<sup>(١)</sup> الفرد من عام ثمانية عشرة وستمائة، رحمه الله.

### محمد بن علي بن محمد بن إبراهيم بن محمد الهمداني

من أهل وادي آش، يكنى أبا القاسم ويعرف بابن البراق<sup>(٢)</sup>.

حاله: قال ابن عبد الملك<sup>(٣)</sup>: كان محدثاً حافظاً، راويةً مكثراً، ثقةً ضابطاً<sup>(٤)</sup>، شهر بحفظ كتب كثيرة من الحديث وغيره، ذا نظر صالح في الطب<sup>(٥)</sup>، أديباً بارعاً، كاتباً بليغاً، مكثراً لجيده<sup>(٦)</sup>، سريع البديهة في النظم والنثر، والأدب أغلب عليه. قال أبو القاسم ابن الموعيني: ما رأيت في عباد الله أسرع ارتجالاً منه.

مشيخته: روى<sup>(٧)</sup> عن أبي بحر يوسف بن أحمد بن أبي عيشون، وأبي بكر بن زرقون، وابن قيد<sup>(٨)</sup>، وابن إبراهيم بن المل، وابن النعمة وصحبه<sup>(٩)</sup>، ولقيه بمراكش، ووليد بن موفق، وأبي عبد الله بن يوسف بن سعادة، ولازمه أزيد من ست سنين وأكثر عنه، وابن العُمريسي، وأبي العباس بن إدريس، والخروبي، وتلا عليه بالسبع،

(١) في الذيل والتكملة (ج ٦ ص ٣٨٧): «توفي بمراكش لخمس بقين من جمادى الآخرة...». وفي التكملة (ج ٢ ص ١١٦): «توفي بمراكش في العشر الأواخر من جمادى الآخرة...».

(٢) ترجمة ابن البراق في رايات المبرزين (ص ١٦٦) والمقتضب من كتاب تحفة القادم (ص ١٣٣) وزاد المسافر (ص ١٥١) والمطرب (ص ٢٤١) والتكملة (ج ٢ ص ٧٦) والذيل والتكملة (ج ٦ ص ٤٥٧) وبغية الملتبس (ص ١١٤) والمغرب (ج ٢ ص ١٤٩) وكنيته فيه: أبو عمرو، ونفح الطيب (ج ٥ ص ٥٣).

(٣) الذيل والتكملة (ج ٦ ص ٤٦٧). (٤) في الذيل والتكملة: «ضابطاً ثقة».

(٥) في الأصل: «في الطلب» والتصويب من الذيل والتكملة.

(٦) في المصدر نفسه: «مكثراً مجيداً». (٧) قارن بالذيل والتكملة (ج ٦ ص ٤٥٨).

(٨) في الذيل والتكملة: «وابن قيد». (٩) في الذيل والتكملة: «ونجبة».

وأكثر عنه، وعَرَض عليه من حفظه كثيرًا، وابن مضاء، وأبي علي بن عرب<sup>(١)</sup>، وأبي القاسم بن حُبَيْش، وابن عبد الجبار، وأبي محمد بن سهل الضرير، وعاشر وقاسم بن دَحْمَان، وأبي يوسف بن طلحة. وأجاز له أبو بكر بن العربي، وابن خير، وابن مَنْدَلَة<sup>(٢)</sup>، وابن تَمَارَة<sup>(٣)</sup>، وأبو الحسن شريح، وابن هُذَيْل، ويونس بن مُغِيث، وأبو الجليل<sup>(٤)</sup> مفرج بن سلمة، وأبو عبد الله حفيد مكي، وأبو عبد الرحمن بن مساعد، وأبو عامر محمد بن أحمد السالمي، وأبو القاسم ابن بشكوال، وأبو محمد بن عبيد الله، وأبو مروان البياضي، وابن قُزْمَان، وأبو الوليد بن حجاج.

مَنْ رَوَى عَنْهُ: روى<sup>(٥)</sup> عنه ابنه أبو القاسم، وأبو الحسن بن محمد بن بقي العَسَّانِي، وأبو عبد الله محمد<sup>(٦)</sup> بن يحيى السُّكْرِي، وأبو العباس التُّبَّاتِي، وأبو عمرو بن عِيَاد، وهو أَسْنُ مِنْهُ، وأبو الكرم جودي.

توَالَفَهُ: صَنَّفَ<sup>(٧)</sup> في الأدب<sup>(٨)</sup> مصنِّفات منها «بهجة الأفكار، وفرجة»<sup>(٩)</sup> التَّذْكَار، في مختار الأشعار»، و«مباشرة ليلة السَّفْح»<sup>(١٠)</sup>، ومقالة في الإخوان، خَرَّجَهَا من شواهد الحكم، ومصنَّف في أخبار معاوية، و«الدُّر المنظم في الاختيار»<sup>(١١)</sup> المعظَّم، و«مجموع في الأغاز»<sup>(١٢)</sup>، و«روضة الحدائق، في تأليف الكلام الرائق»، مجموع نظمه ونثره، وملقى<sup>(١٣)</sup> السبل في فضل رمضان، وقصيدته في ذكر النبي ﷺ، وخطرات الواجد في رثاء الواحد، ورجوع<sup>(١٤)</sup> الإنذار بهجوم العِذار، إلى غير ذلك.

مَحَنَّتْهُ: غَزَبَهُ الأمير ابن سعد<sup>(١٥)</sup> من وطنه، وألزمه سكنى مُرْسِيَّة، ثم بَلَنْسِيَّة. ولما مات ابن سعد آخر يوم من رجب سبع وستين وخمسائة، عاد إلى وطنه واستقرَّ به يفيدة الديَّة، إلى آخر عمره.

(١) في الذيل والتكملة: «عريب». (٢) في الذيل والتكملة: «وابن فندلة».

(٣) في الذيل والتكملة: «وابن نمارة». (٤) في الذيل والتكملة: «أبو الخليل».

(٥) قارن بالذيل والتكملة (ج ٦ ص ٤٦٧). (٦) كلمة «محمد» ساقطة في الذيل والتكملة.

(٧) قارن بالذيل والتكملة (ج ٦ ص ٤٦٨). (٨) في الذيل والتكملة: «في الآداب».

(٩) في الأصل: «وفرة» والتصويب من الذيل والتكملة.

(١٠) في الذيل والتكملة: «ومباشرة ليلة السفح، من خبر أبي الأصمغ عبد العزيز ابن أبي الفتح...».

(١١) في الأصل: «الإحसार» والتصويب من الذيل والتكملة.

(١٢) في الذيل والتكملة: «في أغاز». (١٣) في الذيل والتكملة: «ملتقى السبيل...».

(١٤) في الأصل: «ورجوم» والتصويب من الذيل والتكملة.

(١٥) هو الأمير محمد بن سعد بن مردنيش الجذامي، أمير بلنسية ومرسية، وقد تقدمت ترجمته في هذا الجزء.

شعره: وشعره كثير. فمن ذلك القصيدة الشهيرة في مدح رسول الله ﷺ، وذكر صحابته<sup>(١)</sup>: [الكامل]

بالهَضْبِ هَضْبٍ زُرودٍ أو تلعاتِها      شاقتك<sup>(٢)</sup> هاتفةً على نَعَماتها  
مصدورةٌ تفتنُ في ترجيعها<sup>(٣)</sup>      فيبين نَفْتُ السَّحَرِ في نَفْثاتها  
إن راقها<sup>(٤)</sup> رأذ الضحى أو راعها      جَنَحُ الدُّجَى سَيَانٍ في ذِكراتها  
هذا يُمَتِّعُها وذاك يشوقها      والموت<sup>(٥)</sup> في يَفْظَاتِها وسِنَاتِها  
ولو<sup>(٦)</sup> التَّعَلُّ بالكَرَى ينتابها      نضحت فَرَزُورُ<sup>(٧)</sup> الطَّيْفِ بَرَحَ شَكَاتِها  
لكنَّ بين جُفونِها ومنامها<sup>(٨)</sup>      حَزَبًا<sup>(٩)</sup> تثير النُهْبَ في كَرَّاتِها  
ولئن نطقَتْ لها به فتقولُ      مَنْ للرياح<sup>(١٠)</sup> بملتقى هَبَّاتِها؟  
مَطْلُولَةُ الْفَرَزَعِينَ تُلَحِّفُها الرُّبَى      كَنَفًا<sup>(١١)</sup> وتُلِيْمُها لَمَى زَهْرَاتِها  
ويُسَيِّغُها<sup>(١٢)</sup> ماءُ التُّخَيْلَةِ جَرْعَةً      لَغِيَاضِها<sup>(١٣)</sup> من مُجْتَنَى نَخْلَاتِها  
منها:

يا من تَبَلَّجَ نوره عن صاعد      بالواضحات الغُرَّ من آياتِها  
يا شارعًا في أمةٍ جُعِلَتْ به      وَسَطًا نالت<sup>(١٤)</sup> مستدامَ حياتِها

(١) هي مخمسة، وهي طويلة، وقد وردت كاملة في الذيل والتكملة (ج ٦ ص ٤٦٩ - ٤٨٢) ومطلعة:

يا مُسْبَلًا من عينه عبراتِها      أَشَجَّكَ هاتفةً على أثلاثِها  
أم شُمْتُ بارقةً بَعْرَضِ فلاتِها      بِالْهَضْبِ هَضْبٍ زُرودٍ أو تلعاتِها؟  
شاقتك هاتفة على نغماتها

(٢) في الأصل: «ساقتك» والتصويب من الذيل والتكملة.  
(٣) في الأصل: «في جيعها» والتصويب من الذيل والتكملة.  
(٤) في الأصل: «إن راغها راد»، والتصويب من الذيل والتكملة.  
(٥) في الذيل والتكملة: «فالموت».  
(٦) في الأصل: «ولولا» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الذيل والتكملة.  
(٧) في الذيل والتكملة: «بِرُزُور».  
(٨) في الأصل: «وهنامها» والتصويب من الذيل والتكملة.  
(٩) في الأصل: «خرزًا» والتصويب من الذيل والتكملة.  
(١٠) في الأصل: «من يلقي الرياح بملتقى...» وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الذيل والتكملة.  
(١١) في الأصل: «كنفًا ويلثمها المنى...» والتصويب من الذيل والتكملة.  
(١٢) في الأصل: «وتسغيها» والتصويب من الذيل والتكملة.  
(١٣) في الذيل والتكملة: «تعتاضها».  
(١٤) في الأصل: «فغالت» والتصويب من الذيل والتكملة.

في دارِ خُلْدٍ لا يَشِيب وليدُها      حيث الشَّبَابُ يَرِفُ في جَنَّتِها  
وتَسْنَمُ<sup>(١)</sup> الرِّضْوَانُ في أَكْنافِها      وتنسَمُ<sup>(٢)</sup> الرِّيحَانُ من جَنَبَاتِها  
يا مُضْطَفَاها يا<sup>(٣)</sup> مُرْقَع قَدْرُها      يا كَهْفَهَا يا مُتْنَهَى غَايَاتِها<sup>(٤)</sup>  
يا مُنْتَقَاها من أَرْوَمَةِ هَاشِم      يا هَاشِمَ الصُّلْبَانِ في نَزَاوَتِها  
يا خَاضِدًا لِلشُّرْكَ شَوْكَةً حَزَبِها      يا يَافِعًا<sup>(٥)</sup> لِلْعَرْبِ في جَمَرَاتِها

قلت: نقل الشيخ<sup>(٦)</sup> أزيد من ذلك أو ضعفه أو نحوه. إلى أن قال: وهي طويلة، قلتُ: وثقيلة الروح. ولقد صدق في قوله.

ومن شعره: [السريع]

يا بَذَرَ تَمَّ طَالَعًا في الحِشَا      بَرَّحَ بي منك أوان المغِيبِ  
حَظُّكَ من قلبي تعذيبُ      وحَظُّهُ منك الأسَى والوجِيبِ  
فمن يكن يُزْهِى بلبس المُنَى      فإن زَهْوِي بلحاس التُّحِيبِ  
في ساعة قصر أنيابها      غيبَتْه لي وحضور الرقيبِ  
لعلَّ مَنْ باعد ما بيننا      يُفَرِّجَ الكَرْبَةَ عَمَّا قَرِيبِ

وقال: [الكامل]

رَشُوا<sup>(٧)</sup> القَبَابَ بِأدمع مَفْضُوضَةٍ      ذوى لفراق وأكْبِدِ تَتَصَرَّمُ  
فللنَّفْسِ في تلك الرُّبُوعِ حَبِيبَةٌ      والقلب في إثر الوداع مُقَسَّمُ  
هل لي بهاتيك الطِّبَا إلماعة؟      أم هل لذاك السَّرْبِ شَمْلٌ يُنْظَمُ؟  
حَقًّا فَقَدْتُ الذَّاتَ عند فراقهم      فالشَّخْصَ يُوجَدُ والحقيقة تُغْدَمُ

وفاته: توفي ببلده لثلاث بقين من رمضان ست وتسعين وخمسمائة<sup>(٨)</sup>. قال أبو القاسم المواعيني: عَثَرَ في مَشْيِهِ فسقط، فكان سبب مَنيَّتِهِ، ودخل غرناطة في غير ما وَجْهَةٌ منها، رَاوِيًا عن أبي القاسم بن الفرس، ومع ذلك فهو من أحوازاها وَبُيُوتَاتِها.

(١) في الأصل: «وتَسْنَمُ» والتصويب من الذيل والتكملة.

(٢) في الأصل: «وشيم» والتصويب من الذيل والتكملة.

(٣) كلمة «يا» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من الذيل والتكملة.

(٤) في الأصل: «باكفها... علياتها»، والتصويب من الذيل والتكملة.

(٥) في الذيل والتكملة: «يا نابغًا». (٦) هو الشيخ أبو الحسن الرعيني.

(٧) في الأصل: «رثوا» بالثاء.

(٨) في بغية الملتبس: توفي في سنة ٥٩٥ هـ. وولادته في المصادر: سنة ٥٢٩ هـ.

## محمد بن علي بن محمد بن علي بن محمد ابن خاتمة الأنصاري<sup>(١)</sup>

من أهل المريّة، يكنى أبا عبد الله.

حاله: من كتاب الإكليل ما نصّه<sup>(٢)</sup>: ممن تكلّته البراعة، وفقدته البراعة، تأدّب بأخيه<sup>(٣)</sup>، وتهذّب، وأراه في النظم المذهب، وكساه من التفهّم والتعليم البرد<sup>(٤)</sup> المذهب، فاقتفى واقتدى، وراح في الحلبه واغتدى، حتى نبّل وشدا، ولو أمهله الدهر لبلغ المدى. وأما خطّه فقيد الأبصار، وطُرْفه من طُرْف الأمصار، واغتبط<sup>(٥)</sup> يانع الشبيبة، مخضّر الكتيبة.

شعره: [البسيط]

كفوا الملام فلا أضغي إلى العذل عَفْلِي وَسَمْعِي عن العُدَالِ في شغلٍ  
يقول في هذه القصيدة:

هَزُلُ المحبّة جدّ والهوان هَوَى	والصَّبُّ يثلف بين الجدّ والهزل
مَنْ مُسْعِدِي وفؤادي لا يساعدي	أَوْ مَنْ شَفِيعِي وذَلِّي ليس يشفع لي
أَعْلَلُ النَّفْسَ بالآمالِ أَطْمِعُهَا	حَتَّى وَقَعْتُ من التَّعْلِيلِ في عِلَلٍ
لئن كنت تَجْهَلُ ما في الحبِّ من مَحَنٍ	أنا الخبير فغيري اليوم لا تَسَلِ
أنا الذي قد حَلَبْتُ الحبَّ أَشْطَرَهُ	فلم يُفِدْنِي لا حولي ولا حيلٍ
لا أشرب الرّاح كي أخلو براحتها	لكن لأدْفَعُ ما بالنَّفْسِ من كسلٍ
ولا أجول بطَرْفِي في الرياض سوى	ذكري لأيامنا في ظلّها الأول
أنا العَهْدُ مضى ما كان أغذّبه	لم يبق لي غير آياتٍ من الحَبْلِ
كم قَدَيْتُكَ يا قلبي وأنت على	تلك الغواية لم تَبْرَحْ ولم تزل
فاختر لنفسك إما أن تُصاحِبَنِي	حُلُوا وإلّا قَدَغْنِي منك وارْتَحِلْ
فقد تبعْتُكَ حتى سرْتُ من شَعْفِي	ولَوَعْتِي في الهوى أعجوبة المثل

(١) ترجمة ابن خاتمة الأنصاري في الدرر الكامنة (ج ٤ ص ٢٠١) ونفع الطيب (ج ٨ ص ٣٦٤).

(٢) النص في نفع الطيب (ج ٨ ص ٣٦٤ - ٣٦٥).

(٣) هو أبو جعفر أحمد بن علي بن محمد، ويعرف أيضًا بابن خاتمة، المتوفى سنة ٧٧٠ هـ، وترجمته تقدمت في الجزء الأول، وله ديوان شعر مطبوع، حققه الدكتور محمد رضوان الداية.

(٤) اعْطِط: مات شابًا. لسان العرب (عبط).

(٥) في النفع: «الرداء».

ومن شعره<sup>(١)</sup>: [الرمل]

وَمَضَى الْبَرْقُ فَشَارَ الْقَلْقُ      ومضى النُّومُ وَحَلَّ الْأَرْقُ  
وَيَتَعَانِي مِنْ غَرَامِي قَدْ شَكَا      ودموعي من ولوعي تَنْطَقُ<sup>(٢)</sup>  
وَدَلِيلِي فِي غَلِيلِي زَفَرْتِي      وعذابي بانتيحابي أَصْدَقُ  
وَحَسُودِي مِنْ وَقُودِي رَقٌّ لِي<sup>(٣)</sup>      ضَمْنَا فِيهَا الْحُمَى وَالْأَبْرَقُ<sup>(٤)</sup>  
وَعَشِيَّاتٍ تَقْضُتْ بِاللَّوَى      فِي مُحَيَّا<sup>(٥)</sup> الدَّهْرِ مِنْهَا رَوْنَقُ  
إِذْ شَبَابِي وَالتَّصَابِي جُمِعَا      وَرِيَاضُ الْأُنْسِ غَضُّ مُوْنَقُ<sup>(٦)</sup>  
شَتْ<sup>(٧)</sup> يَوْمَ الْبَيْنِ شَمْلِي لَيْتَ مَا      خُلِقَ الْبَيْنُ لِقَلْبٍ يَعِشَقُ  
أَوْ مِنْ يَوْمٍ قَضَى لِي فُرْقَةً      شَابَ مِنِّي يَوْمَ حَلَّتْ مَفْرَقُ  
ومن ذلك: [الطويل]

أَيَا جِيرَةَ الْحَيِّ الْمَمْنَعِ جَارُهُ      سَقَى رَيْقُكُمْ دَمْعِي إِذَا بَخَلَ الْوَبْلُ  
مَتَى غَبِثْتُ عَنِّي فَأَنْتُمْ بِخَاطِرِي      وَإِنْ تَقْصِدُوا ذُلِّي فَقَدْ لَذْنِي الذُّلُّ  
عَذَابُكُمْ قُرْبٌ وَبُخْلُكُمْ نَدَى      وَإِذْ لَأَلُكُمُ عَزٌّ وَهُجْرَانُكُمْ وَصَلُّ  
وَأَنْتُمْ نَعِيمِي لَا نَعِمْتُ بِغَيْرِكُمْ      وَرَوْضِي لَا مَاءَ<sup>(٨)</sup> أُرِيدُ وَلَا ظِلُّ  
ومن ظريف نزعاته قوله<sup>(٩)</sup>: [البسيط]

الرَّفْعُ نَعْتُكُمْ لَا خَانَكُمْ<sup>(١٠)</sup> أَمَلُ      وَالْحَفْضُ شِمَّةٌ شَانِي<sup>(١١)</sup> وَالْهُوَى دَوْلُ  
هَلْ مِنْكُمْ لِي عَطْفٌ بَعْدَ بُعْدِكُمْ؟      إِذْ لَيْسَ لِي مِنْكُمْ يَا سَادَتِي بَدَلُ

(١) ورد منها ستة أبيات في نفح الطيب (ج ٨ ص ٣٦٥).

(٢) هذا البيت والذي يليه لم يردا في نفح الطيب.

(٣) رواية صدر البيت في النفح هي: مَذْ تَذَكَّرْتُ لَأَيَّامٍ حَلَّتْ.

(٤) في الأصل: «والأيفق»، والتصويب من النفح. «والأبرق»: غَلَطَ فِيهِ حَجَارَةٌ وَرَمْلٌ وَطِينٌ مُخْتَلَطَةٌ، وَالْجَمْعُ أَبَارِقُ. محيط المحيط (برق).

(٥) في الأصل: «مخيلي» وكذا ينكسر الوزن والتصويب من النفح.

(٦) في النفح: «مُورِق». (٧) شَتْ: فَرْقَ. لسان العرب (شتت).

(٨) في الأصل: «ماء» وكذا ينكسر الوزن.

(٩) البيتان في الدرر الكامنة (ج ٤ ص ٢٠١) ونفح الطيب (ج ٨ ص ٣٦٥).

(١٠) في الأصل: «خابكم» والتصويب من النفح. (١١) في النفح: «مثلي».

وفاته: اعتُبط في الطاعون في أوائل ربيع الأول عام خمسين وسبعمئة. وَرَدَ إلى الحضرة غير ما مرة.

### محمد بن عيسى بن عبد الملك بن قُزْمان الزُّهري<sup>(١)</sup>

من أهل قرطبة، يكنى أبا بكر.

حاله: نسيجٌ وَحْدَهُ أدبًا وظرفًا وَلَوْذَعِيَّةٌ وشهرة. قال ابن عبد الملك: كان أدبًا بارعًا، محسنًا، شاعرًا حُلُو الكلام، مليح التَّنْدير، مبرِّزًا في نظم الطريقة الهزلية، بلسان عوام الأندلس، الملقب بالزَّجَل. قلتُ<sup>(٢)</sup>: وهذه الطريقة بدِعةٌ يتحكَّم فيها ألقاب البديع، وتُفَسِّخ لكثير مما يضيِّق سلوكه على الشاعر. وبلغ فيها أبو بكر مَبْلَغًا حَجَرَهُ الله عن سواه؛ فهو آيَتُها المعجزة، وحجَّتُها البالغة، وفارسها العَلَم، والمُبْتَدَى فيها والمُتَمِّم، رحمه الله. وقال الفَتْح فيه<sup>(٣)</sup>: «مبَرِّزٌ في البيان، ومُحرِّزُ السَّبْق»<sup>(٤)</sup> عند تسابق الأعيان، اشتمل عليه المتوكل<sup>(٥)</sup> على الله اشتمالًا رَقَاهُ<sup>(٦)</sup> إلى مجالس، وكساه ملابس، واقتطع<sup>(٧)</sup> أسمى الرُّتَب وتبَوَّأها، ونال أسمى الخُطَط<sup>(٨)</sup> وما تملأها.

شعره: قال الفَتْح<sup>(٩)</sup>: وقد أثبت له ما يُعلم<sup>(١٠)</sup> به رفيع قدره، ويُعرف كيف أساء الزمن<sup>(١١)</sup> بغيره، قوله<sup>(١٢)</sup>: [الكامل]

رَكِبُوا السَّيُولَ مِنَ الْخِيُولِ وَرَكَّبُوا  
فَوْقَ الْعَوَالِي السُّمُرِ رُزْقَ نِطَافٍ<sup>(١٣)</sup>

(١) ترجمة ابن قزمان في المغرب (ج ١ ص ١٠٠) والمقتضب من كتاب تحفة القادم (ص ٩٥) ورايات المبرزين (ص ١٢٦) والوفائي بالوفيات (ج ١ ص ٥٤) ونفع الطيب (ج ٥ ص ١٧٢) و(ج ٦ ص ٧٠) و(ج ٩ ص ٢٤١).

(٢) القول لابن الخطيب معلقًا على قول ابن عبد الملك المراكشي.

(٣) يخلط ابن الخطيب هنا بين المترجم له وبين عمه أبي بكر محمد بن عبد الملك بن عيسى بن قزمان القرطبي، المتوفى سنة ٥٠٨ هـ. وقول الفتح بن خاقان في قلائد العقيان (ص ١٨٦).

(٤) في القلائد: «الخصل».

(٥) هو المتوكل بن الأفطس، صاحب بطليوس، في عصر ملوك الطوائف، وقد قتله المرابطون سنة ٤٨٨ هـ.

(٦) في القلائد: «أرقاه».

(٧) في المصدر نفسه: «فاقتطع».

(٨) في المصدر نفسه: «الحظوظ».

(٩) قلائد العقيان (ص ١٨٦).

(١٠) في القلائد: «ما تعلم به حقيقة قدره، وتعرف...».

(١١) في المصدر نفسه: «الزمان».

(١٢) في المصدر نفسه: «فمن ذلك قوله» والبيتان في المغرب (ج ١ ص ١٠٠) منسوبين إلى أبي بكر محمد بن عبد الملك بن عيسى بن قزمان، عم المترجم له.

(١٣) في الأصل: «قطاف» والتصويب من القلائد والمغرب.

وتجَلَّلُوا الغُذْرَانِ من مَآذِيهِنَّ مُرْتَجَّةً إِلَّا عَلَى الْاِكْتِفَافِ  
وكتب إليه ذو الوزارتين أبو عبد الله بن أبي الخصال<sup>(١)</sup> يستدعيه إلى مجلس  
أنس: [البسيط]

إنني أهزك هزَّ الصَّارمِ الحَـذِمِ      وبيننا كلُّ ما تَذْريه من ذَمِّ  
ذا شاكٍّ<sup>(٢)</sup> من قَطْعِ أنسٍ أنتَ واصلُهُ      بما لديك من الآدابِ والحِكمِ  
وشئتَ شملُ كِرامٍ أنتَ ناظِمُهُ      ورَدَّ دعوة أهلِ المجدِ والكرمِ  
ولو دُعيتَ إلى أمثالها لَسَعَتْ      إليك سَغْيَ مَشُوقٍ هائمٍ قَدِمِ  
وإن نَشِطْتَ لتصريفي صرَفْتُ له      وجهي وكنْتُ من الأعوانِ والحَدَمِ  
وما أريدُ سوى عفوٍ تجود به      وفي حديثك ما يُشفي من الأَلَمِ  
أنتَ المُقَدَّمُ في فخرٍ وفي أدبٍ      فاطلَعُ علينا طلوعَ السَّيِّدِ العَـمِ  
فأجابه رحمه الله: [البسيط]

أتى من المجد أمرٌ لا مَرَدُّ له      نمشي على الرأسِ فيه لا على القَدَمِ  
لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ أضعافاً مضاعفةً      إنني أَجَبْتُ ولكنَّ داعيَ الكَرَمِ  
لي همَّةٌ ولأهلِ العِزِّ مَطْمَـحُها      لا زَلْتُ في كلِّ مَجْدٍ مطمحِ الهممِ  
وإنَّ حَقِّكَ معروفٌ وملتَزَمِ      وكيف يُوجد عندي غيرُ مُلتَزِمٍ؟  
زَفَنُ<sup>(٣)</sup> ورَقَصُ وما أَحبَّبتُ من مَلَحٍ      عندي وأكثرُ ما تَذْريه من شِيبِ  
حتى يكونَ كلامُ الحاضرينَ بها      عند الصُّباحِ وما بالعهدِ من قَدَمِ  
يا ليلةَ السَّفحِ هَلَّا عُدَّتْ ثانيةً      سقى زمانك هَطَّالاً من الدَّيَمِ  
وقال في غرضِ التَّسْيِبِ<sup>(٤)</sup>: [السريع]

يا رَبُّ يومِ زارني<sup>(٥)</sup> فيه مَنْ      أَطْلَعَ من عَرَّتِهِ<sup>(٦)</sup> كوكبا  
ذو شَفَةِ لَمِيَاءٍ معسولةٍ      يَنْشَعُ مِنْ خَدْيِهِ ماءُ الصُّبا

(١) تقدمت ترجمة ابن أبي الخصال في هذا الجزء من الإحاطة.

(٢) في الأصل: «ذاك شاكٍّ» وكذا يتكسر الوزن.

(٣) الزَفَنُ: الرقص. لسان العرب (زفن).

(٤) الأبيات في المقتضب (ص ٩٥) ونفح الطيب (ج ٥ ص ١٧٢).

(٥) في الأصل: «زادني» والتصويب من المصدرين.

(٦) في الأصل: «عَرَّتِهِ» وكذا يتكسر الوزن، والتصويب من المصدرين.



قُلْتُ لَهُ هَبْ<sup>(١)</sup> لِي بِهَا قُبْلَةً      فقال لي مُبْتَسِمًا: مَرْحَبًا  
فَذُقْتُ شَيْئًا لَمْ أَذُقْ مِثْلَهُ      لله ما أَخْلَى وما أَعَذَّبَا  
أُسْعَدَنِي اللهُ بِإِسْعَادِهِ      يا شِقْوَتِي<sup>(٢)</sup> يا شِقْوَتِي لو أبى  
وقال: [المنسرح]

جِئْتُ لِتَوْدِيعِهِ وَقَدْ ذَرَقْتُ      عَيْنَايَ مِنْ حَسْرَةٍ وَعَيْنَاهُ  
فِي مَوْكَبِ الْبَيْنِ بِأَكْيَيْنِ<sup>(٣)</sup> وَلَا      أَضْعَبُ مِنْ مَوْقِفٍ وَقَفْنَاهُ  
مَعَانِقًا جِيدَهُ عَلَى حَذَرٍ      فَمَنْ رَأَيْتِي مُقْبِلًا فَاهُ  
نَعَصُ تَوْدِيعِهِ لِعَاشِقِهِ      ما كَانَ مِنْ قَبْلُ قَدْ تَمَنَّاهُ  
وقال يعتذر ارتجالاً وأحسن ما أراد<sup>(٤)</sup>: [البسيط]

يا أَهْلَ ذَا الْمَجْلِسِ السَّامِي سَرَاوْتُهُ<sup>(٥)</sup>      ما مِلْتُ لِكُنْنِي مَالِثَ بَيْ الرَّاخِ  
وَإِنْ<sup>(٦)</sup> أَكُنْ مُطْفِئًا<sup>(٧)</sup> مِضْبَاحَ بَيْتِكُمْ      فَكُلُّ مَنْ فِيكُمْ<sup>(٨)</sup> فِي الْبَيْتِ مِصْبَاحُ  
وقال يُهَيِّئْ بَعْرَسَ: [الكامل]

صَرَقْتُ إِلَيْكَ وَجُوهَهَا الْأَفْرَاحُ      وَتَكُنْفَقُكَ سَعَادَةٌ وَنِجَاحُ  
فَاقْضِ الْمَآرِبَ فِي زَمَانٍ صَالِحٍ      لَا سُدَّ عَنْكَ مِنَ الزَّمَانِ صِلَاحُ  
إِنْ كَانَ كَالشَّمْسِ الْمَنِيرَةِ حُسْنُهَا      فَالْبَذْرُ أَنْتَ وَمَا عَلَيْكَ جُنَاحُ  
لَا فَرْقَ بَيْنَكُمَا لِرَأْيٍ فَاسْتَوَى      زَيْ النِّسَاءِ قِلَادَةٌ وَوِشَاحُ  
هَلْ يُوقِدُ الْمِصْبَاحَ عِنْدَكُمَا مُهْجَا      وَكَلَاكُمَا بِبَهَائِهِ مِصْبَاحُ؟  
أَحْرَزْتُ يَا عَبْدَ الْعَزِيزِ مُحَاسِنَا      كَثُرَتْ فَلَمْ تَسْتَوْفِهَا الْأَمْدَاحُ  
يَا مَنْ لَهُ كَفٌّ تَجُودٍ وَأَضْلَعُ      مَطْوِي عَلَى حِفْظِ الْوَدَادِ سِجَاحُ<sup>(٩)</sup>

(١) في الأصل: «وَهَبْ» وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصدرين.

(٢) الشَّقْوَةُ: الشَّقاء. لسان العرب (شقا).

(٣) في الأصل: «بَاكَيْنِ» بياء واحدة، وكذا ينكسر الوزن.

(٤) البيتان في المغرب (ج ١ ص ١٠٠) وجاء فيه أنه قالهما وقد رقص في مجلس شرب، فأطفا السراج بأكماه.

(٥) في المغرب: «سرارته».

(٦) في المغرب: «فَإِنْ».

(٧) في الأصل: «مُظْعِنًا» والتصويب من المغرب.

(٨) في المغرب: «فَكُلُّ مَنْ قَدْ حَوَاهُ الْبَيْتُ...».

(٩) في الأصل: «سِجَاحُ» بالشين المعجمة. والسَّجَاح: الذي يحسن العفو. لسان العرب (سجج).

ما أَلَقْتُ الحاجات دوني قُفْلها  
في كل ما تنحو إليه ملاحَةٌ  
وَمِنْ حَكْمِهِ قَوْلُهُ<sup>(١)</sup>: [الوافر]

كثِيرُ المال تَبْذُلُهُ فيبْقَى  
وَمِنْ غَرَسَتْ يَدَاهُ ثِمَارَ جُودٍ  
وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ<sup>(٣)</sup>: [الوافر]

وعَهْدِي بالشُّبابِ وحُسْنِ قُدِّي  
فَصَرْتُ اليَوْمَ مُنَحْنِيًا كَأَنِّي  
وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ<sup>(٦)</sup>: [الرمْل]

يُمسِكُ الفَارِسُ رُمْحًا بِيَدٍ<sup>(٧)</sup>  
وَكَلَانًا<sup>(٨)</sup> بَطْلٌ فِي حَرْبِهِ  
وَأَنَا أُمْسِكُ فِيهَا قَصَبَةً  
إِنَّ الْأَقْلَامَ رِمَاحُ الْكَتَبَةِ

قال ابن عبد الملك: أنشدت على شيخنا أبي الحسن الرُّعَيْنِي، قال: أخبرنا الراوية أبو القاسم بن الطُّيْلَسَان، قال: سألتُه، يعني أبا القاسم أحمد بن أبي بكر هذا، أن ينشد شيئًا من شعر أبيه المَغْرِب، فأخرج لي قطعة بخط أبيه وأنشده. وقال: أنشدني أبي رحمه الله لنفسه: [المنسرح]

أَحْسَنُ ما نِيِطُ في الدُّعَاءِ<sup>(٩)</sup> لِمَنْ  
خَلَّصَكَ اللهُ مِنْ عَوَائِقِهَا  
مُقَرَّبًا مِنْكَ ما تُسَرُّ بِهِ  
الْكُلُّ بِالْعَدْلِ مِنْكَ مُغْتَبِطٌ  
رُتِبَ في خُطَّةٍ مِنَ الْخُطُوطِ  
وَدُمْتَ في عِصْمَةٍ مِنَ الْغُلُوطِ  
وَكُلُّ مَكْرُوهَةٍ عَلَى شَحَطِ  
وَلَيْسَ في النَّاسِ غَيْرُ مُغْتَبِطٍ  
مِنْ عَمَلٍ بِالنَّجَاةِ مُرْتَبِطٌ  
وَلَيْسَ يَخْلِيكَ مِنْ أَنَا لَكُهَا

(١) البيتان في المقتضب من كتاب تحفة القادم (ص ٩٥) ونفع الطيب (ج ٦ ص ٧١).

(٢) في المقتضب: «وقد يبقى من الذكر القليل».

(٣) البيتان في المقتضب من كتاب تحفة النادم (ص ٩٥ - ٩٦) ونفع الطيب (ج ٥ ص ١٧٢).

(٤) هو أبو علي محمد بن علي بن الحسين بن مقلة، المتوفى سنة ٣٢٨ هـ، يضرب به المثل بحسن خطه. وفيات الأعيان (ج ٤ ص ٣٥٤، ٣٥٧).

(٥) في المصدرين: «على شبابي». (٦) البيتان في المقتضب (ص ٩٦).

(٧) كلمة «يِد» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من المقتضب.

(٨) في المقتضب: «فكلانا». (٩) في الأصل: «الدعا» وكذا ينكسر الوزن.

فَانْفِذْ بِعَوْنِ اللَّهِ<sup>(١)</sup> مُجْتَهِدًا      بقلْبٍ صَافِي الضَّمِيرِ<sup>(٢)</sup> مُرْتَبِطٍ  
 يَا صَاحِبَ الْأَمْرِ وَالَّذِي يَدُهُ      نَائِلُهَا لِلْعُفَاةِ غَيْرِ بَطِي<sup>(٣)</sup>  
 رَفَعْتُمْ يَا بَنِي رَفَاعَةٍ مَا      كَانَ مِنَ الْمَعْلُوفَاتِ فِي هَبْطِ  
 وَمِنْبَرِ الْحَقِّ مِنْ سِوَاهِ بَكْمٍ      فَهَا هُوَ الْآنَ غَيْرُ مُخْتَلَطِ  
 وَانْضَبَطَ الْأَمْرُ وَاسْتَقَامَ لَكُمْ      وَلَمْ يَكُنْ<sup>(٤)</sup> قَبْلَ ذَا بِمُنْضَبِطِ  
 أَتَيْتَ فِي كُلِّ مَا أَتَيْتَ بِهِ      فَالْغَيْثُ بَعْدَ الرَّجَاءِ<sup>(٥)</sup> وَالْقَنْطِ  
 جَلَلْتَ عَمَّنْ سِوَاكَ مَنْزِلَةً      فَلَسْتُ بِمَنْ سِوَاكَ فِي نَمَطِ  
 أَنْتَ مِنَ الْمَجْدِ وَالْعُلَا طَرْفٌ      وَكُلُّهُمْ فِي الْعُلَا مِنَ الْوَسَطِ  
 كِتَابَتِهِ: وَقَفْتُ مِنْ ذَلِكَ عَلَى أَفَانِينَ. مِنْهَا فِي اسْتِهْلَالِ شَهْرِ رَمَضَانَ قَوْلُهُ:

سَلَامٌ عَلَى أُنْسِ الْمُجْتَهِدِينَ، وَرَاحَةِ الْمُتَهَجِّدِينَ، وَقَرَّةِ أَعْيُنِ الْمُهْتَدِينَ، وَالَّذِي  
 زَيَّنَ اللَّهُ بِهِ الدُّنْيَا وَأَعَزَّهُ بِهِ الدِّينَ. شَرَّفَ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَجَعَلَ أَيَّامَهُ رُقُومًا فِي عَوَاتِقِ  
 الْأَيَّامِ، وَشَهُورَهُ غُرَرًا فِي جِبَاهِ الْأَعْلَامِ، وَحَلَّ بِهِ عَنْ رِقَابِ الْأُمَّةِ قَلَانِدَ الْآثَامِ، وَنَزَّهَ  
 فِيهِ الْأَسْمَاعَ عَنِ الْمَكَارِهِ وَصَانَ الْأَفْوَاهَ مِنْ رَقَبَتِ الْكَلَامِ. أَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ أَثْنَى عَلَيْكَ،  
 وَأَدْخَلَ مَنْ شَاءَ الْجَنَّةَ عَلَى يَدَيْكَ، وَخَصَّكَ مِنَ الْفَضَائِلِ بِمَا يَمْشِي فِيهِ التَّفْسِيرُ حَتَّى  
 يَكُلَّ، وَيَسَامُ ذَلِكَ اللِّسَانُ وَيَمْلُ، وَأَبَادَتْ ذُنُوبَ الْأُمَّةِ بِمِثْلِ مَا أَبَادَتْ الشَّمْسُ الظَّلَّ،  
 ذَلِكَ الَّذِي يَتَهَلَّلُ لِلسَّمَاءِ هَلَالَهُ، وَيَهْتَزُّ الْعَرْشُ لَجَلَالِهِ، وَتَرْتَجِ الْمَلَائِكَةُ فِي حِينِ  
 إِقْبَالِهِ، وَتَدْخُلُ الْحُورُ الْعَيْنُ فِي زِينَتِهَا تَكْرِيمًا، وَتَلْتَزِمُ إِجْلَالَهُ وَتَعْظِيمًا، وَيَهْتَدِي فِيهِ  
 النَّاسُ إِلَى دِينِهِمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا، وَتُغَلُّ الشَّيَاطِينُ عَلَى مَا خِيلَتْ، وَتَذُوقُ وَبَالَ مَا  
 كَادَتْ بِهِ وَتَخِيلَتْ، وَيَشْمُرُ التَّقِيُّ لِعِبَادَةِ رَبِّهِ ذِيلاً، وَتَهْبِطُ الْمَلَائِكَةُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا  
 لَيْلًا، وَيَنْتَظِمُ الْمُتَّقُونَ فِي دِيْوَانِهِ انْتِظَامَ السُّلُوكِ، وَيَكُونُ خُلُوفُ قَمِّ الصَّائِمِ عِنْدَ اللَّهِ  
 أَطْيَبَ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، وَتَفْتَحُ الْجَنَّةُ أَبْوَابَهَا، وَيُغْفَرُ لِمَنْ صَامَهَا إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا، جَزَاءً  
 مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حَسَابًا، وَبِمَا فَضَّلَكَ اللَّهُ عَلَى سَائِرِ الشُّهُورِ، وَقَضَى لَكَ بِالشَّرَفِ  
 وَالْفَضْلِ الْمَشْهُورِ. فَرَضَكَ فِي كِتَابِهِ، وَمَدَحَكَ فِي خُطَابِهِ، حَيْثُ قَالَ: شَهْرُ رَمَضَانَ  
 الَّذِي أَنْزَلَ فِيهِ الْقُرْآنَ، هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ، يَعْنِي تَكْبِيرِ النَّاسِ

(١) فِي الْأَصْلِ: «اللَّهُ» وَكَذَا يَنْكسر الْوِزْنَ.

(٢) فِي الْأَصْلِ: «صَفَى بِالضَّمِيرِ» وَكَذَا يَنْكسر الْوِزْنَ.

(٣) فِي الْأَصْلِ: «بَطِ».

(٤) فِي الْأَصْلِ: «لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلُ...»، وَكَذَا يَنْكسر الْوِزْنَ، لِذَا حَذَفْنَا كَلِمَةَ «مِنْ».

(٥) فِي الْأَصْلِ: «الرَّجَاءُ» وَكَذَا يَنْكسر الْوِزْنَ.

عليك، وتقلب أحداقهم بالنظر إليك، حين لُثِمَت بالسحاب، ونظرت من تحت ذلك الثُّقَاب، وقد يمتاز الشَّيْب وإن استتر بالخِضَاب، حتى إذا وقف الأئمة منك على الصَّحيح، وصرَّحوا برؤيتك كلَّ التصريح، نَظَرَت كل جماعة في اجتماعها، وتأهَّبت القراء لإشفاعها، واندفعت الأصوات باختلاف أنواعها، وتضرعت الألباب، وطلبت المواقف أواخر الأعشار والأحزاب، وابتدئت أَلَم ذلك الكتاب، عندما أوقدت قناديل كأنما قد بَدَت من الصباح، ورقصت رقص النواهد عند هبوب الرياح، والله نُور السموات والأرض مثلُ نوره كمشكاة فيها مصباح، فأَمَلَك المسلمون في سرِّ وجهه، وحُطَّت أثقال السيئات عن كل ظَهر، والتُمست الليلة التي هي خيرٌ من ألف شهر، فنشط الصالحون بك صومًا، وهجر المُتَهَجِّدون في ليلك نومًا، وأكْمَلْنَاكَ إن أذن الله ثلاثين يومًا. فيا أيها الذي رَحَلَ، رحل بعد مُقامه، وقام للسفر من مقامه، ورأى مَنْ قضى حَقَّهُ وَمَنْ قَصَّر في صيامه، فمشى الناس إلى تَشْييعه، وبَكَوا لفراقه وتوديعه، وَدِمَ الْمُضْبِيع على ما كان من تَضْييعه، ولم يثق بدوام العيش إلى وقت رجوعه، فعَضَّ على كَفِّهِ ندمًا، وبَكَت عينه ماءً وكَبِدَه دمًا. رويدًا حتى أَمْرَح في ميدان فراقك، وأنضَرَّع إلى حَنَانِكَ وإشفاقك، وأنشَفَى من تَقْيِيلِكَ وعناقك، وأسألُ منك حاجةً إن أراد الله قضاءها، وشاء نفوذها وإمضاءها، إذا أنت وَقَفْتَ لربِّ العالمين، فَقَبْلِكَ من قوم وردَّكَ في وجوه آخرين. إن تُثْنِي جميلًا، فعسى يصفح لعهدِهِ وإن أساء، فعَلِمَ الله أَنِّي نويت التوبة أولاً وآخرًا، وأملتُ الأداء باطنًا وظاهرًا، وكنْتُ على ذلك لو هَدَى الله قادَرًا، وإنما عَلِمَ، من تقصير الإنسان ما عَلِمَ، وللمرء ما قُضِيَ عليه به وحُكِمَ، وإن النفس لأَمَارَةٌ بالسوء إلَّا من رَحِمَ، فَإِنْ غَفَرَ فبَطُولُهُ وإحسانه، وإن عاقب فيما قَدَّمْتُ يَدُ العبد من عصيانه، فيا وَخْشَةَ لهذه الفرقة، ويا أَسَفًا على بعد الشُّقَّة، ويا شَدًّا ما خَلَفْتَهُ لَنَا بفراقك من الجَهد والمشقة، ولطالما هَجَرَ الإنسان بك ذنبه، وراقب إعظامًا لكربه، وَشَرَحْتَ إلى أعمال البرِّ قلبه. ومع هذا أتراك ترجع وترى، أم تُضَمُّ علينا دونك أطباق الثرى؟ فيا وَيلَنا إن حلَّ الأجل، ولم أَقْضِ دَيْنَكَ، وَرَجَعْتَ وقد حال الموت بيني وبينك، فأَغْرِب، لا جعله الله آخر التوديع، وأَيُّ قلب يستطيع.

وقال في استهلال شوال:

ولكل مقام مقال. الله أكبر هذا هلالُ شَوَالٍ قد طَلَعَ، وكرَّ في منازلِهِ وَقَطَعَ، وغاب أحد عشر شهرًا ثم رَجَعَ. ما لي أراه رقيق الاستهلال، خفيَّ الهلال، وروحًا تردَّد في مثل انملال؟ ما باله أَمْسَى الله رُسْمَهُ، وصَحَّح جسمه، ورفع في شهور العام اسمه؟ على وجهه صُفْرَةٌ بَيِّنَةٌ، ونار إشراقِهِ لُيْنَةٌ، وأرى السحاب تعتمده وَتَقِفُ،

وتغشاه سُوَيْعة وتنصرف، ما أراه إلّا يَطُول ذلك المقام، وتوالي الأهوال العظام، أصابه مرض في فضل من فصول العام، فعادته كما يُعاد المريض، وبَكَته الأيام العُرُ والليالي البيض، وقُلْنَ: كلاك الله وكفاك، وحاطك وشفاك، وقُلْنَ: كيف نجدك لا فض فاك، هذا على الظن لا على التحقيق، ومجازاً لا يخكم التصديق. وليُبْعُد مثل هذا المقدار، أن يقدح فيه طول الغيب وتواتر الأسفار. أليس هو قد أَلِفَ مجالي الرياح، وصحب بَرْد الصُّباح، وشاهد الأهوية مع الغدو والرواح، وطواها بتجربته طي الوشاح؟ ما ذاك إلّا أنه رأى الشمس في بعض الأيام ماشية، والحسن يأخذ منها سطاً وحاشية، ودلائل شبابها ظاهرة فاشية، فوقع منها في نفسه ما وقع، وثبت على قلبه من النظر ما زرع، ووقع في شركها وحق له أن يقع. فرثت هي لحاله وأشفقت، ونهجت بوصالها وتأثقت، وقطعت من معدن نيلها وأنفقت، ورأته، أنها له شاكلة يبلغ أملها، وتبلغ مآملها، ولذلك ما مدّت لذيد السّماح، فنعرضت بالعشي وارتصدها في الصّباح، مع ما أيقنا به من الانقطاع، ويمسنا من الاجتماع، كما نفد القدر، وصدر الخبر، وقال: تعلن لا الشمس ينبغي لها أن تُدرك القمر، فوجد لذلك وجداً شديداً، وأذاقه مع الساعات شوقاً جديداً، وأصبح بها دفناً، وأمسى عميداً، حتى سلب ذلك بهاء، وأذهب سنه، وردّه النحول كما شاه، ولقي منها مثل ما لقي غيلان من ميته، وجميل من بُثينته، وحن إليها حنين عروة إلى غفراء، وموعدهما يوم وهب ناقته الصّفراء. على رسلك أني وهمت، وحسبت ذلك حقاً وتوهّمت، والآن وقد قطنت، وأصبت الفص فيما ظننت، إنه لقي رمضان في إقباله، وضّمه ثَقْصان هلاله، وصامه فجأة ولم يك في باله، فأثر ذلك في وجهه الطلق، وأضعفه كما فعل بسائر الخلق، وها هو قد أقبل من سفره البعيد، فقل هو هلال الفطر أو قل هو هلال العيد، فلقه صباح مشى الناس فيه مشي الحباب، ولبسوا أفضل الثياب، وبرزوا إلى مُصْلاهم من كل باب، فارتفعت همّة الإسلام، وشرفت أمة محمد عليه السلام، وخطب بالناس ودعا للإمام، عندما طلعت الشمس بوجه كدور المرأة، ولون كصفا المهرأة، وخرج لا يُنسيها ريم الفلاة. وقضوا السّنة، وبذلوا الجهد في ذلك والجمّة، وسألوا من الله أن يُدخلهم الجنة، ثم خطبوا حمداً لله وشكراً، وذكره كذكرهم آباهم أو أشدّ ذكراً، ثم انصرفوا راشدين، وافترقوا حامدين، وشبك الشيخ بيديه، ونظر الشاب في كفيه، ورجعوا على غير الطريق الذي أتوا عليه، فلقد استشفى من الرؤية ذو عينين، وتذكر العاشق موقف البين، وشقّ المُتَنَزّه بين الصّفين، فنقل عينيه من الوشي إلى الديباج، ووجوه كضوء السّراج، وعيون أقتل من سيف الحجاج، ونظرات لا يدفع داوها بالعلاج، وقد زُيئت العيون بالتكحيل، والشعور بالترجيل، وكُرّر السّواك على مواضع التّقبيل، وطوّقت الأعناق بالعقود، وضرب الفكر في صفحات الخدود، ومُدّ بالغالية الإحاطة في أخبار غرناطة / ج ٢ / م ٢٣

على مواضع السجود، وأقبلت صنعاء بأوشيتها، وعنت بأرديتها، ودخلت العروس في جلّيتها، ورُقمت الكفوف بالحناء، وأثني على الحُسن وهو أحقُّ بالثناء، وطُلقت الثوبة ثلاثاً بعد البناء، وغصّ الذراع بالسّوار، وتُختم في اليمين واليسار، وأمسكت الثياب بأيدي الأبيكار، ومشت الإماء أمام الأحرار، وتقدمت الدّايات بالأطفال الصّغار، وامتلات الدنيا سروراً<sup>(١)</sup>، وانقلب الكلُّ إلى أهله مسروراً. وبينما كانت الحال كما نصّضت، والحكاية كما قصّضت، إذ تلالأت الدنيا برّقا، وامتدّ مع الأفقّين غرباً وشرقاً، ورَدّ لمعانه عيون الناظرين زُرّقا، ولولا أنه جرّب حتى يذرى، لقليل قد طلعت مع الشمس شمسٌ أخرى، حتى أقبل من شرقت العربُ بنسبه، وفخر الإسلام بنسبه، من انتسب إلى زهرة وقصّي، وازدانت به آل غالب وآل لؤي، من إذا ذكر المجد فهو مُنسك بعده، أو الفضل فهو لابس بُزّده، أو الفخر فهو واسطة عقده، أو الحُسن فهو نسيج وحده، الذي رفع لواء العليا، وعارضت مكارمه صوب الحيا، وحكّت محاسنه زهرة الحياة الدنيا. فأما وجهه فكما شرقت الشمس وأشرقت، وغربت كواكب سمائها وشرقت، وتفتحت أطواق الليل عن غرر مجده وتشققت. ولولا حيا يغلب عليه، وخفّر يصحبه إذا نظرت إليه، لاستحال النهار، وغارت لنوره كواكب الأسحار، ولكاد سنا بزقه يذهب بالأبصار، لا يحفل بالصبح إذا انفلق، ولا بالفجر إذا عمّ آفاق الدّجا وطبق، ولو بدا للمسافر في ليله لطرق، وقد عجم الأبنوس على العاج، وأدار جفّنا كما عطف على أطفالها النّعاج، يضرب بها ضرب السيف، ويُلّم بالفؤاد إمام الطّيف، ويتلقّاها السّحر تلقّي الكريم للضيف. لو جرّدها على الرّؤم لوقف، أو على فيزعون ما صرف من سخره ما صرف، أو على بنظام ابن قيس لألقى سلاحه وانصرف. وأما أدواته فكما انشقت الأرض عن نباتها، وأخذت زُخرفها في إنباتها، ونفّح عرف التّسيم في جنّباتها، يتفنّن أفانين الزهر، ويتقلب تقلّب الدهر، وتطلع له نوارد كالنجوم الزهر، لو أبصره مُطرّف ما شهر بخطّه، ولا جرّ من العُجب ذيل ميزّطه، ولا كان المخبر معه من شرّطه. وأما أنه لو قرىء على سحبان كتابه، وانحدر على نهره عُبابه، وملأت مسامعه أطنابه وأسبابه، ما قام في بيانه ولا قعد، ولنزل عن مقامه الذي إليه صعد، ولا خلف من بلاغته ما وعد. لعمرك ما كان بشر بن المعتمر يتفنّن للبلاغة فنونا، ولا يتقبّلها بطونا ومُتونا، ولا أبو العتاهية ليشرّطها كلاما موزونا، ولا نمق الحسن بن سهل الألفاظ، ولا رفع قس بن ساعدة صوته بعكاظ، ولا أغاظ زيد بن علي هشاما بما أغاظ، وأما مكارمه

(١) في الأصل: «سررا».

فكما انسكب الغيث عن ظلاله، وخرج الودق من غلاله، فتدارك النعمة عن فوتها، وأحيا الأرض بعد موتها، ذلك الشريف الأجل، الوزير الأفضل، أبو طالب ابن القرشي الزهري، أدام الله اعتزازه، كما رَقَم في حُلل الفخر طرازه، فاجتمعت به السيادة بعد افتراقها، وأشرق وجه الأرض لإشراقها، والتفت الثياب بالثياب، وضم الركاب بالركاب، ولا عهد كأيام الشباب، فوصل القريب البعيد، وهتوه كما جرت العادة بالعيد، فوقف مع ركابه وسلمت، وجرت كلاماً وبه تكلمت، فقلت: تقبل الله سعيك، وزكى عملك، وبلغك فيما تودّه أملك، ولا تأملت وجهاً من السُرور إلّا تأملت، ونفّعتك بما أوليت، وأجزل حظك على ما صُممت وصلّيت، ووافقتك لعلّ وساعدتك ليّت، وهتاك عيد الفطر وهتاتّه، وبدأك بالمسرات وبداتّه، وتبرأ لك الدهر مما تحسد وبرأتّه. وهكذا بحول الله أعياداً واعتياد، وعمر في دوام وعز في ازدياد، والسنة تفصح بفصلك إفصاح الخطباء من إيداد، وأقرأ عليك سلام الله ما أشرق الضحى، ودام الفطر والأضحى.

**دخوله غرناطة:** دخل غرناطة، وتردّد إليها غير ما مرة، وأقام بها، وامتح ابن أضحى<sup>(١)</sup> وابن هاني، وابن سعيد وغيرهم من أهلها. قال ابن سعيد في «طالعها»: وقد وصف وصول ابن قزمان إلى غرناطة، واجتماعه بجنته بقرية الزاوية من خارجها، بنزهون القليعية الأدبية، وما جرى بينهما، وأنها قالت له بعقب ارتجال بديع، وكان ليس غفارة صفراء: أحسنت يا بكرة بني إسرائيل، إلّا أنك لا تسر الناظرين، فقال لها: إن لم أسر الناظرين، فأنا أسر السامعين، وإنما يطلب سرور الناظرين منك، يا فاعلة يا صانعة. وتمكّن السكر من ابن قزمان، وآل الأمر إلى أن تدافعوا معه حتى رموه في البركة، فما خرج منها إلّا وثيابه تقطر، وقد شرب كثيراً من الماء، فقال: اسمع يا وزير ثم أنشد<sup>(٢)</sup>: [السرّيع]

إيه أبا بكر ولا حوّل لي	بدفع أغيان وأنذال
وذات فزج <sup>(٣)</sup> واسع دافق	بالماء يحكي حال أذالي <sup>(٤)</sup>
غرقتني في الماء يا سيدي	كفره بالتغريق في المال

(١) هو الوزير أبو الحسن علي بن عمر بن أضحى، من بيت عظيم بغرناطة، ثار بها ودعا لنفسه بعد مقتل تاشفين بن يوسف بن تاشفين المرابطي سنة ٥٣٩ هـ. توفي سنة ٥٤٠ هـ. وقد تقدم التعريف به في الجزء الأول من الإحاطة في ترجمة أبي بكر المخزومي الأعمى. وسيترجم له ابن الخطيب في الجزء الرابع من الإحاطة.

(٢) الأبيات في نفح الطيب (ج ٦ ص ٧١). (٣) في الأصل: «جرح» والتصويب من النفع.

(٤) في الأصل: «أذبال» والتصويب من النفع.

فأمر بتجريدته، وخلع عليه ما يليق به، ولم يمرّ لهم بعد عهدهم بمثله.  
ولم ينتقل ابن قرمان من غرناطة، إلّا بعد ما أجزل له من الإحسان، ومدحه بما هو في ديوان أَرْجاله.

**مِحتته:** جَرَتْ عليه بابن حَمْدِين<sup>(١)</sup> محنة كبيرة عَظُم لها نكاله، بسبب شَكَاةِ أخلاق كان موصوفًا بها، وحَدَّةِ شَقِيّ بسببها. وقد أَلَمَ الفتح في قلائده بذلك، واختَلَّتْ حاله بآخرة، واحتاج بعد انفصال أمر مخدومه الذي نَوَّه به.

**وفاته:** توفي بقرطبة لليلة بقيت من رمضان سنة خمس وخمسين وخمسمائة، والأمير ابن سعد يحاصر قرطبة رحمه الله.

### محمد بن غالب الرُّصافي<sup>(٢)</sup>

يكنى أبا عبد الله، بلنسي الأصل، سكن غرناطة مدة، ثم مالقة.

**حاله:** قال الأستاذ<sup>(٣)</sup>: كان فحلًا من فحول الشعراء، ورئيسًا في الأدباء، عفيفًا، ساكنًا، وقورًا، ذا سَمْتٍ وعقل. وقال القاضي<sup>(٤)</sup>: كان شاعرًا مُجِيدًا، رقيق الغزل، سَلِسَ الطبع، بارع التَّشْبِيهات، بديع الاستعارات، نبيل المقاصد والأغراض، كاتبًا بليغًا، دِينًا، وقورًا، عفيفًا، متفَقِّها، عالي الهمّة، حسن الخَلْقِ والخُلُقِ والسَّمْتِ، تام العقل، مُقْبِلًا على ما يعنيه من التَّعِيشِ بصناعة الرِّفْي التي كان يعالجها بيده، لم يَنْتَهِدْ نفسه في خدمة، ولا تعرض لانتجاع بقافية، خلا وقت سُكْنَاهُ بغرناطة، فإنه امتدح واليها حينئذٍ، ثم نَزَعَ عن ذلك، راضيًا بِالخُمُولِ حالًا، والقناعة مَالًا، على شدّة الرغبة فيه، واغتنام ما يصدر عنه.

**أخبار عقله وسكوته:** قال الفقيه أبو الحسن شاعر بن الفَخَّار المالقي، وكان خبيرًا بأحواله: ما رأيت عمري رجلًا أحسن سَمْتًا، وأطول صَمْتًا، من أبي عبد الله الرصافي. وقال غيره من أصحابه: كان رَقَاءً، فما سمع له أحد من جيرانه كلمة في أحد. وقال أبو عمرو بن سالم: كان صاحبًا لأبي، ولقيته غير ما مرة، وكان له

(١) هو أبو جعفر بن حمدين، قاضي قرطبة، الذي ثار بها في رمضان من العام ٥٣٩ هـ. وتمّ له الأمر إلى أن ثار عليه ابن غانية في شعبان من عام ٥٤٠ هـ. راجع الجزء الرابع من الإحاطة في ترجمة يحيى بن علي بن غانية.

(٢) ترجمة ابن غالب الرصافي في مقدمة ديوانه بقلم محققه الدكتور إحسان عباس، وفيها ثبت بأسماء المصادر التي ترجمت له.

(٣) المراد بالأستاذ أبا جعفر ابن الزبير صاحب كتاب: صلة الصلة.

(٤) المراد بالقاضي: ابن عبد الملك المراكشي صاحب كتاب: الذيل والتكملة.



موضع يخرج إليه في فصل العصير، فكنت أجتاز عليه مع أبي فألثم يده، فربما قبل رأسي، ودعا لي، وكان أبي يسأله الدعاء فيخجل، ويقول: أنا والله أصغر من ذلك. قال: وكان بإزائه أبو جعفر البلنسي، وكان مُتَوَقِّدَ الخاطر، فربما تكلم مع أحد التجار، فكان منه هفوة، فيقول له جلساؤه: شتان والله بينك وبين أبي عبيد الله في العقل والصمت، فربما طالبه بأشياء ليجاوبه عليها، فما يزيد على التبسّم. فلما كان أحد الأيام، جاء البلنسي ليفتح دكانه، فتعمّد إلقاء الغُلُق من يده، فوقع على رأس أبي عبد الله، وهو مقبل على شغله، فسال دمه، فما زاد على أن قام ومَسَحَ الدم، ثم ربط رأسه، وعاد إلى شغله. فلما رأى ذلك منه أبو جعفر ترامى عليه، وجعل يُقَبِّل يديه، ويقول: والله ما سمعت برجل أصبر منك، ولا أعقل.

شعره: وشعره لا نهاية فوقه رونقًا ومائية، وحلاوة وطلاوة، ورقّة ديباجة، وتمكّن ألفاظ، وتأصل معنى. وكان، رحمه الله، قد خرج صغيرًا من وطنه، فكان أبدًا يكثر الحنين إليه، ويُقصر أكثر منظومه عليه. ومحاسنه كثيرة فيه، فمن ذلك قوله<sup>(١)</sup>: [الطويل]

خليلي، ما للبيد قد عَيَقَتْ نَشْرًا؟ وما لرؤوس الرُّكْبِ قد رُتَحَتْ<sup>(٢)</sup> سُكْرًا؟  
هل المِسْكُ مَفْتُوقًا<sup>(٣)</sup> بِمَذْرَجَةِ الصُّبَا  
خليلي، عُوْجا بي قليلًا<sup>(٤)</sup> فإنه  
قفا غير مأمورين وَلْتَصْديا<sup>(٥)</sup>  
بجسر معانٍ والرُّصافة أنه  
بلادي التي ريشَتْ قُوَيْدِمتي<sup>(٨)</sup> بها  
مباديء<sup>(٩)</sup> أنيق<sup>(١٠)</sup> العَيْشِ في رَيِّقِ الصُّبَا  
وما لرؤوس الرُّكْبِ قد رُتَحَتْ<sup>(٢)</sup> سُكْرًا؟  
أم القوم أجروا من بلنسية ذُكْرًا؟  
حديث كَبَزِ الماء في الكَبِدِ الحَرَى  
على ثقةٍ للمُزَن<sup>(٦)</sup> فاستَسْقيا القَطْرَا  
على القَطَر أن يَسْقِي الرُّصافة والجِسرًا<sup>(٧)</sup>  
فريخًا وأورثتني قرارُها وَكُرا  
أبى الله أن أنسى اغتراري بها غُرًا<sup>(١١)</sup>

(١) القصيدة في ديوان الرصافي البلنسي (ص ٦٨ - ٧١).

(٢) في الأصل: «رجحت» والتصويب من الديوان.

(٣) في الأصل: «مفتوقًا» والتصويب من الديوان. (٤) في الديوان: «عليها».

(٥) في الديوان: «ولتصديا بها». (٦) في الديوان: «للغيث».

(٧) الرصافة: من أبعد منازل بلنسية تقع بين بلنسية والبحر. الروض المعطار (ص ٢٦٩)، والمغرب في حلى المغرب (ج ٢ ص ٢٩٨). وجسر معان: أغلب الظن أنه جسر نهر معان، وهو نهر بلنسية؛ يذكر الحميري أن بلنسية تقع على نهر جارٍ يُنْتَفَعُ به، وتدخله السفن.

(٨) القويمة: تصغير القادمة وهي إحدى القوادم أربع ريشات في مقدّم الجناح. لسان العرب (قدم).

(٩) في الأصل: «قبادى» والتصويب من الديوان. (١٠) في الديوان: «لين».

(١١) في الديوان: «... أنسى لها أبدًا ذُكْرًا».

لبسنا بها ثوب الشباب لباسها  
 أمزلنا عصر الشبيبة ما الذي  
 محل أغر العهد لم نبد ذكره  
 أكل مكان كان<sup>(٢)</sup> في الأرض مسقطاً  
 ولا مثل مذخو من المسك تربة  
 نبات كأن الحد يحمل نوره  
 وماء<sup>(٥)</sup> كتر صيع المجرة جللت  
 أنيق كريان<sup>(٨)</sup> الحياة التي خلّت<sup>(٩)</sup>  
 وقالوا: هل الفردوس ما قد وصفته؟  
 بلنسية تلك الزمردة<sup>(١٢)</sup> التي  
 كأن عروساً أبدع الله حسننها  
 تؤبد<sup>(١٣)</sup> فيها شغشعانية الضحى<sup>(١٤)</sup>  
 نزاحم<sup>(١٦)</sup> أنفاس الرياح بزهرها  
 وإن كان قد مدت يد البين بيننا  
 ولكن عرينا من حلاه، ولم تغرا<sup>(١)</sup>  
 طوى دوننا تلك الشبيبة والعصرا؟  
 على كبد إلا امترى أذمعا حُمرا  
 لرأس الفتى يهواه ما عاش مضطراً<sup>(٣)</sup>  
 تملّي الصبا فيه حقيبتها<sup>(٤)</sup> عطرأ  
 تخال لجيننا في أعاليه أو تبرأ  
 نواحيه<sup>(٦)</sup> الأزهار واشتبت<sup>(٧)</sup> زهرا  
 طليق كريعان<sup>(١٠)</sup> الشباب الذي مرأ  
 فقلت: وما الفردوس في الجنة الأخرى<sup>(١١)</sup>  
 تسيل عليها كل لؤلؤة نهرا  
 فصير من شرخ الشباب لها عفرا  
 مضاحكة الشمس البحيرة والبحرا<sup>(١٥)</sup>  
 نجومًا فلا شيطان يقربها<sup>(١٧)</sup> ذعرا  
 من الأرض ما يهوى المجد به شهرأ<sup>(١٨)</sup>

(١) هذا البيت والبيتان التاليان لم ترد في الديوان.

(٢) في الديوان: «راح».

(٣) مضطراً: أي أنه يهوى مسقط رأسه اضطراراً دون حاجة إلى إقناع.

(٤) في الأصل: «حقيقتها» والتصويب من الديوان.

(٥) في الأصل: «وما» والتصويب من الديوان.

(٦) في الأصل: «نواحيه» والتصويب من الديوان.

(٧) في الديوان: «فاشتبتك».

(٨) في الديوان: «كريعان».

(٩) في الديوان: «خلّت» بالحاء المهملة.

(١٠) في الديوان: «كريان».

(١١) في الديوان: «الزبرجدة».

(١٢) في الأصل: «يؤبد منها» والتصويب من الديوان. وتؤبد فيها: تقيم فيها ولا تبرح.

(١٣) في الأصل: «يؤبد منها» والتصويب من الديوان. وتؤبد فيها: تقيم فيها ولا تبرح.

(١٤) شعشانية الضحى: أي أن أنوارها مشعشة كشمس الصباح.

(١٥) في الديوان: «إذا ضاحك الشمس...». والبحيرة: هي بحيرة بلنسية التي تزيد في ضياء بلنسية صحو الشمس عليها. المغرب (ج ٢ ص ٢٩٧).

(١٦) في الأصل: «تراجم» والتصويب من الديوان.

(١٧) في الأصل: «يُغَرَّبُها» وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الديوان.

(١٨) هذا البيت لم يرد في الديوان.

أضاءت وَمَنْ لِلدَّرِّ أَنْ يُشْبِهَ الْبَذْرَا؟<sup>(٢)</sup>  
 هي الوطنُ المحبوبُ أَوْكَلَهُ<sup>(٤)</sup> الصُّدْرَا<sup>(٥)</sup>  
 فلا لَقَمْتُ نَغْلِي مساكنَها الخَضْرَا  
 تَضُمُّ فتاها النَّدْبُ أو كَهَلْها الحَزَى  
 فبادت لِياليهم فهل أَشْتَكِي الدهرَا؟  
 عليهم قُبُيبَاتُ فُوقِ الثَّرَى غُبْرَا  
 أبى الله أن يرعى السَّمَاكِ أو الثُّشْرَا  
 وغير محمود جِيادِ العلا خُضْرَا<sup>(٨)</sup>  
 تلقوك لا غُثَّ الحديث ولا غُمْرَا  
 هلال ثلاثٍ لو شفا رَقَى أو بَذْرَا  
 زَكُوا خَبْرًا بين الورى وزكوا خُبْرَا  
 فَعَجَّرَ ذَا أُمَّا وَسَجَّرَ ذَا جَمْرَا؟  
 فلم أَلِقَ مَنْ سُرِّي منها ولا سُرَا  
 لِيُظْهَرَ لِي خَيْرًا تَأْبَطُ لِي شَرَا  
 هناك فَيَسْبِينِي<sup>(١٢)</sup> بما يَقْصِمُ الظُّهْرَا  
 وساكنُ قصرٍ ضَرَّ<sup>(١٣)</sup> مَسْكُنُهُ الْقَبْرَا  
 سناء كما يستقبل الأَرَقَّ الفَجْرَا  
 ولم يتناسَّ الجود أضرمَ أم أثرا  
 أنامله لا بل هَواطِله الغُرَا  
 تخطى به في البرد خَطِيئَةُ سُمْرَا  
 خلائقُ هُنَّ الخَمْرُ أو تشبه الخمرَا

هي الدُّرَّةُ البيضاء من حيث جِثَّتْها<sup>(١)</sup>  
 خليلي، أن أصدر لها فلإنها<sup>(٣)</sup>  
 ولم أطو عنها الخطو هجرًا لها إذا  
 ولكنَّ إجلالًا لثُرْبَتِها التي  
 أكارِمُ، عاث الدهر ما شاء فيهم  
 هجوعٌ ببطنٍ وأرض قد ضرب الردى  
 تقَضُوا فمن نجم سالكٍ ساقطٍ<sup>(٦)</sup>  
 ومن سابقٍ هذا إذا شاء<sup>(٧)</sup> غايَةً  
 أناسٌ إذا لاقيت مَنْ شِئْتَ منهم  
 وقد دَرَجَتْ أعيمازُهُم فتَطَلَّعُوا  
 ثلاثة أمجادٍ من النُّقَرِ الألى  
 أنكَلْتَهُمْ<sup>(٩)</sup> نَكَلًا دَهَى العَيْنِ والحَشَا  
 كفى حَزَنًا أني تباعدتُ عنهم  
 وإلا<sup>(١٠)</sup> متى أسلُو<sup>(١١)</sup> بهم كلُّ راکب  
 أباحته عن صالحاتٍ عَهْدَتْها  
 مُحْيَا خليلٍ غاض ماء حياته  
 وأزهر كالإصباح قد كنت أجتلي  
 فتى لم يكن خلُو الصفات من الندى  
 يُصَرِّفُ ما بين اليراعة والقنا  
 طويلُ نجادِ السيف لان كأنما  
 سَقَنَتْهُ على ما فيك من أزيحية

(١) في الأصل: «جذَّتْها» وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الديوان.

(٢) في الأصل: «الدَّرَا» والتصويب من الديوان. (٣) صدر هذا البيت منكسر الوزن.

(٤) في الأصل: «أوكَلته» وكذا ينكسر الوزن.

(٥) من هنا حتى آخر الأبيات غير وارد في الديوان.

(٦) صدر البيت مختل الوزن والمعنى.

(٧) عجز البيت مختل الوزن والمعنى.

(٨) في الأصل: «وإلى» وكذا ينكسر الوزن.

(٩) في الأصل: «فيسبيني» وكذا ينكسر الوزن.

(١٠) في الأصل: «أسلُو» وكذا ينكسر الوزن.

(١١) في الأصل: «أضرمَ» وكذا ينكسر الوزن.

(١٢) في الأصل: «فيسبيني» وكذا ينكسر الوزن.

وَتَشْرُ مُحَيًّا لِلْمَكَارِمِ لَوْ سَرَتْ  
 هَلِ السَّعْدُ إِلَّا حَيْثُ حَطَّ صَعِيدُهُ  
 طَوْنَيْنِ اللَّيَالِي طَيُّهُنَّ وَإِنَّمَا  
 فَلَا حُرْمَتَ سَقِيَاهُ أَدْمَعُ مُزْنَةٍ  
 وَمَا دَعَوْتِي لِلْمُزْنِ عُذْرًا لِدَعَوْتِي  
 حُمَيَّاهُ فِي وَجْهِ الْأَصِيلِ لَمَّا أَصْفَرَا  
 لِمَنْ بَلَّ فِي شَفْرِي ضَرِيحَ لَهُ شَفْرَا؟  
 أَطَوْنَيْنِ<sup>(١)</sup> عَنِّي التَّجْلُدُ وَالصَّبْرَا  
 تَرَى مَبْسَمَ النَّوَارِ عَثْبَرُ مُغْتَرَا  
 إِذَا مَا جَعَلْتَ الْبُعْدَ عَنْ قُرْبِهِ عُذْرَا

وقال يرثي أبا محمد بن أبي العباس بمالقة<sup>(٢)</sup>: [الكامل]

أَبْنِي الْبَلَاغَةَ، فَيَمَّ حَفْلُ النَّادِي؟  
 أَمَّا الْبَيَانُ، فَقَدْ أَجْرُ لِسَانِهِ  
 عَرَشَتْ سَمَاءُ<sup>(٣)</sup> عَلَاكِمَ<sup>(٤)</sup> مَا أَنْتُمْ  
 حُطُّوا عَلَى عُمْدِ الطَّرِيقِ فَقَدْ خَبَا<sup>(٥)</sup>  
 مَا قُلْ لَهْذَمُهُ<sup>(٦)</sup> الصَّقِيلُ وَإِنَّمَا  
 إِلَيْهِ عَمِيدَ الْحَيِّ غَيْرِ مُدَافِعِ  
 مَا عُذْرُ سِلْكٍ كُنْتَ عَقْدَ نِظَامِهِ  
 حَسْبُ<sup>(٨)</sup> الزَّمَانِ عَلَيْكَ تُكْلَلًا أَنْ يُرَى  
 يَوْمِي بِأَنْجُمِهِ لِمَا قَلَّدَتْهُ  
 كَثُفَ الْحِجَابِ فَمَا تَرَى مُتَفَضِّلَا  
 أَلَيْمَ بَرَنْعِكَ غَيْرِ مَأْمُورٍ فَقَدْ  
 خَبَرًا يُبَلِّغُهُ إِلَيْكَ وَدُونَهُ  
 قَدْ طَاطَأَ الْجَبَلُ الْمَنِيْفَ قَذَالَهُ  
 أَعِدِ التَّفَاتِكَ نَحُونًا وَأَظْثَهُ  
 هَبَّهَا عُكَاطُ، فَأَيْنَ قُسُ إِبَادِ؟  
 فَيَكُنْ بِفَتْكَتِهِ الْجِمَامِ الْعَادِي  
 مِنْ بَعْدِ ذَلِكُمُ الشُّهَابِ الْهَادِي  
 لِأَلَاءِ<sup>(٦)</sup> ذَاكَ الْكُوكَبِ الْوَقَادِ  
 نُثِرَتْ كَعُوبُ قَنَاكُمُ الْمَنَادِ  
 إِلَيْهِ فِدَى لَكَ غَابِرِ الْأَمْجَادِ  
 إِنْ لَمْ يَصِرْ بُرْذَا إِلَى الْآبَادِ؟  
 مِنْ طَوْلِ لَيْلٍ فِي قَمِيصٍ جِدَادِ  
 مِنْ دُرِّ الْفَاطِ وَبِيضِ أَيْادِ  
 فِي سَاعَةٍ تُصْغِي بِهِ وَتُنَادِي<sup>(٩)</sup>  
 غُصَّ الْفَنَاءِ<sup>(١٠)</sup> بِأَزْجُلِ الْقُصَادِ  
 أَمْنُ الْعُدَاةِ وَرَاحَةُ الْحُسَادِ  
 لِلْجَارِ بَعْدَكَ وَاقْشَعِرَّ الْوَادِي<sup>(١١)</sup>  
 مِثْلَ الْحَدِيثِ لَدَيْكَ غَيْرُ مَعَادِ

(١) في الأصل: «طوين» وكذا ينكسر الوزن.

(٢) هو الفقيه الأديب عبد الله بن أبي العباس الجذامي المالقي، وله شعر في مدح يوسف بن عبد المؤمن الموحيدي. المغرب (ج ١ ص ٤٢٦). والبيت الأول في المغرب (ج ١ ص ٤٢٦) وبعض أبيات هذه القصيدة في ديوان الرصافي البلنسي (ص ٦٠ - ٦١).

(٣) في الأصل: «سما» وكذا ينكسر الوزن. (٤) في الأصل: «علايكم» وكذا ينكسر الوزن.

(٥) في الأصل: «خبت». (٦) في الأصل: «لآلىء» وكذا ينكسر الوزن.

(٧) في الأصل: «لهزمه» بالزاي. واللهزم: اتحاذ القاطع من الأسته. محيط المحيط (لهزم).

(٨) في الأصل: «حيث» والتصويب من الديوان. (٩) في الأصل: «وتناد» بدون ياء.

(١٠) في الأصل: «الفناء» بدون همزة وكذا ينكسر الوزن.

(١١) في الأصل: «الواد» بدون ياء.

نومًا تكابد من بُكا وسُهاد  
 طال الرُقَاد ولات حين رقاد  
 سَبَقَتْ إلى البُشْرِى بحُسن معاد  
 أخشِن به من مرقَد ووساد  
 من جوفها في مثل حرف الصَّاد  
 تُزب التُّدى<sup>(١)</sup> وصفائح أنضاد  
 طار الدليلُ بها وحاد الحادي  
 تُبلى<sup>(٢)</sup> عن الزُّوار والعُوداد  
 سُفِيًا لتلك الجيرة الأقراد!  
 منشورة الأطناب والأغماد  
 ناب البلى فيه عن الأوتاد  
 مجهولة الغايات والآماد  
 ما أشبه التَّأويب بالإسناد  
 وعلى الرِّواحل عُنفوانُ الزاد  
 تعة الحياة<sup>(٣)</sup> حقائب الأجساد  
 والحال مؤذنة بطول بَعَادِ  
 أم لانقضاء نَوَاك من ميعاد؟  
 كَثُرَتْ حمائله على الأكتاد<sup>(٤)</sup>  
 شاموك في غمْدٍ بغير نِجاد  
 جُثمانه بالأبْرَق المُنْقَاد  
 نعم الغُوير بأبؤُس الأنجاد

وامسَح لنا عن مُقلتيك من الكرى  
 هذا الصباح ولا تَهَبْ إلى متى  
 وكأنما قال الرُّدى نَم وادعَا  
 أموسدًا تلك الرخام بمرقد  
 خَصِبَتْ بِقَدْرِكَ حفرة فكَانَهَا  
 وَثُرَ لجنبك مِنْ أَثَاثٍ مُخَيِّمٍ  
 يا ظاعنًا رَكِبَ السُّرى في ليلةٍ  
 أعزَّزَ علينا إِنْ حَطَّطْتَ بِمَنْزِلِ  
 جَارِ الأَفْرَادِ هَنَالِكَ جيرة<sup>(٥)</sup>  
 الساكنين إلى المعاد، قَبَابُهُمْ  
 مِنْ كُلِّ مُلْقِيَةِ الجِرَابِ بِمَضْرِبِ  
 بِمُعَرَّسِ السَّفَرِ الأَلَى ركبوا السُّرى  
 سَيَّانَ فِيهِمْ ليلةً ونهارها  
 لحق البطون من اللَّعبِ على الطَّوى<sup>(٦)</sup>  
 اللَّهُ هُمْ فَلشَدَّ مَا نَفَضُوا مِنْ أَمَدٍ  
 يَا لَيْتَ شِعْرِي وَالْمُنَى لَكَ جَنَّةُ  
 هَلْ لِلْعَلَا بِكَ بَغْدَهَا مِنْ نَهْضَةٍ  
 بِأَبِي وَقَدْ سَارُوا بِنَغْشِكَ صَارِمٍ  
 ذُلَّتْ عَوَاتِقُ حَامِلِيكَ فَإِنَّهُمْ  
 نِغَمَ الذَّمَاءِ<sup>(٧)</sup> البُرُّ مَا قَدْ غَوَّروا  
 عَلَيَّاءِ<sup>(٨)</sup> خُصَّ بِهَا الضَّرِيحَ وَإِنَّمَا

(١) في الأصل: «تُدُّ» وكذا ينكسر الوزن.

(٢) في الأصل: «تَبَلَّ» وكذا لا يستقيم لا الوزن ولا المعنى.

(٣) صدر البيت منكسر الوزن.

(٤) صدر البيت غير مستقيم الوزن والمعنى. والطَّوى: الجوع. محيط المحيط (طوى).

(٥) في الأصل: «... الحياة في حقائب...» وكذا ينكسر الوزن، لذا حذفنا كلمة «في».

(٦) الأكتاد: جمع كتد وهو مجتمع الكتفين. لسان العرب (كتد).

(٧) أصل القول: «الذما» بدون همزة، وكذا ينكسر الوزن.

(٨) أصل القول: «علياء» بدون همزة، وكذا ينكسر الوزن.

أبني العباس، أي حلال  
هل كان إلا العين وافق سهمها  
أخلل بمجد لا يسد مكائه  
ولكن يرى بك من هضاب لم يكن  
ما زلت تُنْعَشها بسَيْبِكَ قابضاً  
حتى أراك أبا محمد الردى  
يا حرّها من جَمْرَةٍ مَشْبُوبَةٍ  
كيف العزاء وإنها لرزِيّة  
صدع النّعاة بها فقلتُ لمدّمي  
لك من دمي ما شئت غير مُنْهَنِي  
بِقَصِيرِ مجتهدٍ وحسبك غاية  
أما الدموعُ فهنَّ<sup>(١)</sup> أضْعَفُ ناصرٍ  
ثمّ السّلام ولا أغبّ قراره  
تَسْقِيكَ ما سَفَحَتْ عليك يَرَاعَةٌ

سَلَبَتْكُمْ الدُّنْيَا وَأَيَّ مَصَادٍ  
قَدَرًا فَأَقْصَدَ أَيُّمَا إِقْصَادٍ؟  
بِالْإِخْوَةِ التُّجْبَاءِ وَالْأَوْلَادِ  
لَوْلَاكَ غَيْرُ ذَكَادِكَ وَوَهَادٍ  
مِنْهَا عَلَى الْأَضْبَاعِ وَالْأَعْضَادِ  
كَيْفَ انْهِدَادِ بَوَافِخِ الْأَطْوَادِ  
يَلْقَى لَهَا الْأَيْدِي عَلَى الْأَكْتَادِ  
خَرَجَ الْأَسَى فِيهَا عَنِ الْمَغْتَادِ  
كَيْفَ انْسِكَابِكَ يَا أَبَا الْجَوَادِ؟  
صَبَّ كَيْفَ شَتَّتَ مُعْصِفِرَ الْأَبْرَادِ  
لَوْ قَدْ بَلَغْتَ بِهَا كَبِيرَ مُرَادٍ  
لَكُنَّهِنَّ كَثِيرَةُ التَّعْدَادِ<sup>(٢)</sup>  
وَأَرْثُكَ صَوْبَ رَوَائِحِ وَعُوَادٍ  
فِي خَدِّ قَرْطَاسٍ دَمُوعٍ مِدَادٍ

ومن غرامياته وإخوانياته قوله من قصيدة<sup>(٣)</sup>: [البسيط]

عَادَ الْحَدِيثُ إِلَى مَا جَرَّ أَطْيَبَهُ  
إِيَّهِ عَنِ الْكُذْبَةِ الْبِيضَاءِ إِنَّ لَهَا  
رَاوِخَ بِهَا<sup>(٥)</sup> السَّهْلَ مِنْ أَكْنَافِهَا وَأَرْخَ  
وَانْضَخَ نَوَاجِيَهَا<sup>(٧)</sup> مِنْ مُفْلَتِيكَ وَسَلَّ  
وَقُلَّ لِسَرْحَتِهِ يَا سَرْحَةَ كَرُمَتْ  
يَا عَذْبَةَ الْمَاءِ وَالظِّلِّ أَنْعَمِي طِفْلاً  
مَاذَا عَلَى ظِلِّكَ الْأَلْمَى وَقَدْ قَلَصَتْ

وَالشَّيْءُ يَبْعَثُ ذِكْرَ الشَّيْءِ عَنْ سَبَبٍ  
هَوَى بِقَلْبٍ<sup>(٤)</sup> أَخِيكَ الْوَالِيهِ الْوَصِبِ  
رِكَابَنَا لَيْلَنَا<sup>(٦)</sup> هَذَا مِنَ التَّعَبِ  
عَنْ<sup>(٨)</sup> الْكَيْثِيبِ الْكَرِيمِ الْعَهْدِ فِي الْكُتُبِ<sup>(٩)</sup>  
عَلَى أَبِي عَامِرٍ: عَزَّيْ عَنْ السُّحْبِ  
حَيِّيتِ مُنْسِيَةً مَيَادَةَ الْقُضْبِ<sup>(١٠)</sup>  
أَفْيَاؤُهُ لَوْ ضَفَا شَيْئًا لِمُغْتَرِبِ

(١) في الأصل: «فهي» وكذا ينكسر الوزن. (٢) في الديوان: «الأعداد».

(٣) القصيدة في ديوان الرصافي البلسني (ص ٣١ - ٣٤).

(٤) في الأصل: «يغلب» وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الديوان.

(٥) في الديوان: «بنا».

(٦) في الديوان: «ليلها».

(٧) في الديوان: «جوانبها».

(٨) في الديوان: «الكتب» بالثاء المثناة.

(٩) في الديوان: «الغضب» والتصويب من الديوان.

أهكذا تنقضي نفسي لديك ظمًا  
لولاك يا سرح لم يبق<sup>(٢)</sup> الفلا عطلًا  
ولم نبت نتقاضى من مدامعنا  
إننا<sup>(٣)</sup> إذا ما تصدّى من هوى طلل  
مستغطفين سخيّات الشؤون له  
سلي خميلتك الريا بأية<sup>(٦)</sup> ما  
عن فثية نزلوا غلبا<sup>(٧)</sup> سرازرها  
محافظين على العليا وزيّتما  
حتى إذا ما قضوا من كأسها وطرا  
راحوا زواحا وقد زيدت عمائمهم  
لا يظهر الشكر<sup>(١٠)</sup> حالا من<sup>(١١)</sup> ذوائبهم  
المُنزلين القوافي من معاقلها  
ومن مقطوعاته قوله<sup>(١٣)</sup>: [الطويل]

دعاك خليل والأصيل كأنه  
إلى شطّ منساب كأنك ماؤه  
ومَهوى جناح للصبا يمسح الرّبي  
وفتيان صدق كالنجوم تألفوا

عليل يُقضى مدة الزمن الباقي<sup>(١٤)</sup>  
صفاء ضمير أو عذوبة أخلاق<sup>(١٥)</sup>  
خفي الخوافي والقوادم خفاق  
على النأي من شتى بروج وآفاق

(١) الجار الجنب: الذي يجاور واحداً ونسبه في قوم آخرين، فهو في الأصل غريب.

(٢) في الديوان: «لم تُبقي».

(٣) في الديوان: «أخا».

(٤) في الأصل: «بحاك» والتصويب من الديوان.

(٥) في الأصل: «مموق»، وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الديوان.

(٦) في الديوان: «لاية».

(٧) في الأصل: «على» والتصويب من الديوان. والسرارة من الشيء: وسطه وأفضله.

(٨) في الأصل: «لدى جد» والتصويب من الديوان.

(٩) في الأصل: «أسفى من الشهب» والتصويب من الديوان.

(١٠) في الأصل: «الشكر» والتصويب من الديوان.

(١١) في الأصل: «في» والتصويب من الديوان.

(١٢) في الأصل: «الفتات» والتصويب من الديوان.

(١٣) ورد منها في الديوان (ص ١١٧) فقط البيت الثاني.

(١٤) في الأصل: «الباق» بدون ياء.

(١٥) في الأصل: «صفاء ضميراً وعذوبة أخلاق» وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الديوان.

على حينَ راح البرقُ في الجو مُغمداً .  
وجالتُ بعيني في الرياض التفاتةً  
على سطرٍ خيرِي ذَكَرْتُكَ فانشنى  
وقفَ وقفةً المحبوبِ منه فإنها  
وصلَ زَهْرَاتِ منه صُفْرِ كأنها  
وقال، وكَلِّفها في حائك، وهو بديع<sup>(٢)</sup>: [البسيط]

قالوا وقد أكثروا في حبه عذلي<sup>(٣)</sup>  
فقلتُ لو أنَّ أُمري في الصَّبابَةِ لي  
في كلِّ قلبٍ عَزِيزَاتٍ مُدَلَّة  
عُلَّقَتْهُ حَبَبِي<sup>(٥)</sup> الثُّغْرَ عَاطِرُهُ  
إذا تَأَمَّلْتُهُ أَعْطَاكَ مُلْتَفِتًا  
هِيَهَاتِ أَبْغِي بِهِ مِنْ غَيْرِهِ بَدَلًا  
عُزَّيْلٌ لَمْ تَزَلْ فِي الْعَزَلِ جَائِلَةً  
جَذْلَانِ تَلْعَبُ بِالمَحْوَاكِ<sup>(٨)</sup> أَنَّمْلُهُ  
مَا إِنْ يَنِي تَعِبَ الْأَطْرَافُ مُشْتَغِلًا  
ضَرْبًا<sup>(١٠)</sup> بِكَفِّهِ أَوْ فَحَصًا بِأَخْمَصِهِ  
وقال<sup>(١١)</sup>: [الكامل]

وَمَهْفَهْفٍ كَالْغُضَنِ إِلَّا أَنَّهُ  
سَلَبَ التُّنْثَى النُّومَ عَنْ أَثْنَائِهِ

- 
- (١) في الأصل: «الساق» بدون ياء.  
(٢) الأبيات في ديوان الرصافي البلنسي (ص ١٢١ - ١٢٢). وجاء في المغرب (ج ٢ ص ٣٥٢):  
«وقوله في غلام حائك».  
(٣) في الأصل: «عذل» والتصويب من الديوان.  
(٤) في الأصل: «بمزال» بالزاي، والتصويب من الديوان. والمُذال: الممتهن، المبتذل.  
(٥) في الأصل: «حبيبي». وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.  
(٦) في الديوان: «ألمى المُقْبَلِ أَخْوَى سَاحِرِ المُقْلِ».  
(٧) في الديوان «العزل».  
(٨) في الأصل: «بالمحراك»، والتصويب من الديوان.  
(٩) في الديوان: «بالدول».  
(١٠) في الديوان: «جذبا».  
(١١) البيتان في ديوان الرصافي البلنسي (ص ٢٨).



أضحى يَنَامُ وقد تَخَدَّدُ<sup>(١)</sup> خَدُهُ عَرَقًا فَقَلَّتْ الْوَزْدُ رُشٌ بِمَائِهِ  
وقال<sup>(٢)</sup>: [الوافر]

أِدْزَهَا فَالْغَمَامَةُ قَدْ أَجَالَتْ سَيْوْفَ الْبَرْقِ فِي لَمَمِ الْبَطَاحِ  
وراقِ الرَوْضِ طَاوُوسًا بِهِيًّا تَهْبُّ عَلَيْهِ أَنْفَاسُ الرِّيحِ  
تَقُولُ وَقَدْ ثَنَى قُزَحٌ عَلَيْهِ ثِيَابَ الْغَيْمِ مُغْلَمَةَ النُّوْحِ  
خَذُوا لِلصُّخْرِ أَهْبَتَكُمْ فَإِنِّي أَعَزْتُ الْمِزْنَ قَادِمَتِي جَنَاحِ  
وقال<sup>(٣)</sup>: [الطويل]

أِدْزَهَا عَلَى أَمْرٍ فَمَا ثَمَّ مِنْ بَاسٍ وَإِنْ جَدَّدْتَ آذَانَهَا وَرَقُ الْآسِ  
وَمَا هِيَ إِلَّا ضَاحِكَاتُ غَمَائِمٍ لَوَاعِبُ مِنْ وَمَضِ الْبُرُوقِ بِمُقْيَاسِ  
وَوَفِدَ رِيَّاحُ زَغَزَغِ النَّهْرِ مَدَّهُ كَمَا وَطِئَتْ دِزْعًا سَنَابِكَ أَفْرَاسِ  
وقال في وصف مغنٍّ مُحَسَّنٍ<sup>(٤)</sup>: [الكامل]

وَمُطَارِحٍ مِمَّا تَجَسُّ<sup>(٥)</sup> بِنَائُهُ صَوْتًا<sup>(٦)</sup> أَفَاضَ عَلَيْهِ مَاءَ وَقَارِهِ  
يَثْنِي الْحَمَامَ فَلَا يَرُوحُ لَوَكْرِهِ طَرَبًا وَرِزْقُ بَنِيهِ فِي مِثْقَارِهِ  
وقال يصف جدول ماء عليه سَرْحَةٌ، ولها حكاية معروفة<sup>(٧)</sup>: [الكامل]

وَمُهْدِلِ الشَّطِطَيْنِ تَحْسَبُ أَنَّهُ مُتَسَيِّلٌ مِنْ دُرَّةٍ لِصَفَائِهِ  
فَاءَتْ عَلَيْهِ مَعَ الْعَشِيَّةِ<sup>(٨)</sup> سَرْحَةٌ صَدِثَتْ لِفَيْثَتِهَا صَفِيحَةُ مَائِهِ  
فَتَرَاهُ أَزْرَقَ فِي غِلَالَةِ سُمْرَةٍ كَالدُّرَاعِ اسْتَلْقَى بِظِلِّ لَوَائِهِ  
نثره: قال من مقامة يصف القلم<sup>(٩)</sup>: [المتقارب]

قَصِيرُ الْأَنَابِيْبِ<sup>(١٠)</sup> لَكِنَّهُ يَطُولُ مِضَاءُ<sup>(١١)</sup> طَوَالِ الرُّمَاحِ

(١) في الديوان: «تَجَبَّبَ».

(٢) هذه الأبيات لم ترد أيضًا في ديوان الرصافي البلنسي.

(٣) البيتان في ديوان الرصافي البلنسي (ص ١٠١).

(٤) في الأصل: «تَحَسَّ» بالحاء المهملة، والتصويب من الديوان.

(٥) في الديوان: «لَخَنَّا».

(٦) الأبيات في ديوان الرصافي البلنسي (ص ٢٦ - ٢٧).

(٧) في الديوان: «الهجيرة».

(٨) لم ترد هذه الأبيات في ديوان الرصافي البلنسي.

(٩) في الأصل: «كالأنابيب» وكذا ينكسر الوزن. (١١) في الأصل: «مِضَاء».

إذا عِبَّ للنفس في دَمِسٍ      ودبَّ من الطُّرس فوق الصَّفاحِ  
تجلَّتْ به مُشكلاتُ الأمور      ولان له الصُّعْبُ بعد الجِماحِ

فلولا هو<sup>(١)</sup> لَعَدَّتْ أغصان الاكتساب ذاوية، وبيوت الأموال خاوية، وأسرعت إليها البُوسى، وأصبحت كفؤاد أم موسى، فهو لا محالة تَجْرُها الأربع، وميزانها الأربع. به تَدُرُّ ألبانها، وتثمر أفنانها، وتستمرُّ أفضالها وإحسانها، وهو رأس مالها، وقُطْبُ عُمَالِها وأعمالها. وصاحب القلم قد حوى المملكة بأسرها، وتحكَّم في طَيِّها ونَشَرها، وهو قُطْب مدارها، وجُهينة أخبارها، وسِرُّ اختيارها واختبارها، ومظهر مجدها وفخارها، يعقد الرِّايات لكل والٍ، ويمنحهم من المبرة كلَّ صافية المقيِل ضافية السُّربال، يُطفي جَمرة الحرب العَوان، ويكايد العُدُوَّ بلا صارم ولا سِنان، يَقْدُ المفاصل، ويتخلل الأباطح والمعازل، ويقمع الحواسد والعوذال.

وفاته: توفي بمالقة يوم الثلاثاء لإحدى عشرة بقية من رمضان سنة اثنتين<sup>(٢)</sup> وسبعين وخمسمائة. وقبره مشهور بها.

### محمد بن قاسم بن أبي بكر القرشي المالقي

من أهل مالقة، وسكن غرناطة وتردد إليها.

حاله: كان لبيباً لودعياً، جامعاً لخصال؛ من خطِّ بارع، وكتابة، ونظم، وشطرنج، إلى نادرٍ حار، وخاطر ذكي، وجُرأة. توجه إلى العُدوة، وارْتَسَم بها طبيباً؛ وتولَّى النظر على المارِستان بفاس في ربيع الثاني من عام أربعة وخمسين وسبعمئة.

شعره: أنشدني بمدينة فاس عام ستة وخمسين، في وُجْهتي رسولاً إلى المغرب، قوله في رجل يقطع في الكاغد: [المجتث]

أبا عليَّ حُسِينا	أين الوفا منك أيننا؟
قد بيّن الدمع وَجْدي	وأنت تزدد بَيْننا
بَلْتُ لحاظك قلبي	تالله ما قلْتُ مينا
قطَّ المقصَّ لهذا	سبب الصَّبِّ مينا
بقيتَ تفتُرُ حُسْننا	ودمَّتْ تزدد رَيْننا

(١) أي: فلولا.

(٢) في الأصل: «اثنين» وهو خطأ نحوي.

وقال أيضًا: [البسيط]

فَظُلُّ التجارات بادٍ في الصناعات      لولا الذي هو فيها هاجر عاتٍ  
حاز الجمال فأعياني وأعجزني      وإن دعيْتُ بوصاف ونعَاتٍ

وكان شديد المغالطة، ذاهبًا أقصى مذاهب القiche، يحرك مَنْ لا يتحرك، ويغضب مَنْ لا يغضب. عتب يومًا جدته على طعام طبخته له، ولم يستطبه، وكان بين يديه القُط يصدعه بصياح طلبه، فقال له: ضجرًا، خمسمائة سوط، فقالت له جدته: لم تعط هذه السياط للقط، إنما عنيّني بها، وأعطيتها باسم القط، فقال لها: حاش لله يا مولاتي، وبهذا البخل تدريني أو الزحام عليها، بل ذلك للقط حلالًا طيبًا، ولك أنت ألف من طيبة قلب، فأرسلها مثلاً، وما زلنا نتفكّه بذلك، وكان في هذا الباب لا يُشَقّ غباره.

مولده: بمالقة عام ثلاثة وسبعمائة.

وفاته: بعث إليّ الفقيه أبو عبد الله الشّديد، يعرفني أنه توفي في أواسط عام سبعة وخمسين وسبعمائة.

### محمد بن سليمان بن القصيرة<sup>(١)</sup>

أبو بكر، كاتب الدولة اللّمتونية، وعلم وقته.

حاله: قال ابن الصيرفي: الوزير الكاتب، الناظم، النائر، القائم بعمود الكتابة، والحامل لواء<sup>(٢)</sup> البلاغة، والسابق الذي لا يُشَقّ غباره، ولا تخمد أبدًا أنواره. اجتمع له براعة الشر، وجزالة النظم، رقيق النسيج، خفيف المثن، رُقعته ما شئت في العين واليد. قال ابن عبد الملك<sup>(٣)</sup>: وكان كاتبًا مجيدًا، بارع الخط، كتب عن يوسف بن تاشفين<sup>(٤)</sup>.

مشيخته: روى عن أبي الحجاج الأعلم، وأبي الحسن بن<sup>(٥)</sup> شريح، وروى عنه أبو الوليد هشام بن يوسف بن الملجوم، لقيه بمراكش<sup>(٦)</sup>.

(١) ترجمة ابن القصيرة في الذخيرة (ق ٢ ص ٢٣٩) والمغرب (ج ١ ص ٣٥٠) والمطرب (ص ٧٦) والمعجب (ص ٢٢٧) والوافي بالوفيات (ج ٣ ص ١٢٨) والمحمدون من الشعراء (ص ٣٥٨) والذيل والتكملة (ج ٦ ص ٢٢٧) وقلائد العقيان (ص ١٠٣) والصلة (ص ٨٣٠) والبيان المغرب (ج ٤ ص ٦٠) ونفح الطيب (ج ٦ ص ١٣٠) و(ج ٩ ص ٢٥٧).

(٢) في الأصل: : «اللواء». (٣) الذيل والتكملة (ج ٦ ص ٢٢٧).

(٤) في الذيل والتكملة: «كتب عن أبي يعقوب يوسف بن تاشفين اللمتوني».

(٥) في الذيل والتكملة: «وأبي الحسن شريح».

(٦) في الذيل والتكملة: «لقية بمراكش سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة».

شعره: وهو عندي في نمط دون ما وُصف به. فمن ذلك قوله من قصيدة أنحى فيها على ابن ذي الثون، ومدح ابن عباد، عند خلع ابن جَهْوَر، أبي الوليد، وتُضِير قرطبة إليه: [الطويل]

فَسَلَّ عَنْهُ أَحْشَاءُ ابْنِ ذِي النُّونِ هَلْ سَرَى  
وَهَلْ قَدَّرْتَ مَذْ أَوْحَشْتُهُ طَلَانُغُ الـ  
أَلَمْ يَجْنِ يَحْيَى مِنْ تَعَاطِيكَ ظَلَّهُ  
لِجَارَاكَ وَاسْتَوْفَيْتَ أَبْعَدَ غَايَةِ  
فَأَحْرَزْتَ فَضْلَ السَّبْقِ عَفْوًا وَكُفَّهُ  
وَيَا شَدَّ مَا أَغْرَثَهُ قَرْطَبَةُ وَقَدْ  
وَمِنْهَا:

أَتَتْكَ وَقَدْ أَرَزَى بِبَهْجَةِ حُسْنِهَا  
فَالْبَسْتَهَا مِنْ سَابِغِ الْعَدَلِ حَلَّةً  
وَجَاءَتْكَ مَتَفَالًا فَضَمَّخَ حَيَّهَا  
وَأَجَرَيْتَ مَاءَ الْجُودِ فِي عَرَصَاتِهَا  
وَطَابَ هَوَاءٌ <sup>(٤)</sup> أَفْقِهَا فَكَأَنَّهَا  
وَمَا أَذْرَكَتْهُمْ فِي هَوَاكَ هَوَادَةً  
وَمَا قَلَّدُوكَ الْأَمْرَ <sup>(٥)</sup> إِلَّا لَوَاجِبِ  
وَبَوَّأَهُمْ فِي ذُرَّةِ الْمَجْدِ مَعْقِلًا  
وَأَوْرَدَهُمْ مِنْ فَضْلِ سَيْنِيكَ مُورِدًا  
فَلَوْلَاكَ لَمْ تُفْصَلْ عُرَى الْإِضْرَعِ عَنْهُمْ  
أَعَدَّتْ نَهَارَ لَيْلِهِمْ وَلَطَالَمَا  
وَلَا زَلْتَ تُؤْوِيهِمْ إِلَى ظِلِّ دَوْحَةٍ

وَلَا أَنَّهَا <sup>(٢)</sup> مِنْ جُورِ مَالِكِهَا طُمْرُ  
زَهَايَا بِهَا تِيَةً وَغَاظِلَهَا كِبْرُ  
وَأَزْدَانِهَا <sup>(٣)</sup> مِنْ ذِكْرِكَ الْمُغْتَلِي عِطْرُ  
فَرُوضٍ حَتَّى كَادَ أَنْ يُورِقَ الصَّخْرُ  
تَهَبُّ نَسِيمًا فِيهِ أَخْلَاقُكَ الزُّهْرُ  
وَمَا أَتْتُمُرُوا إِلَّا لِمَا أَمَرَ الْبُرُ  
وَمَا <sup>(٦)</sup> جِئْتَهُ فِيهِ الْمُجْرِبُ وَالْغَمْرُ  
حَرَامٌ عَلَى الْأَيَّامِ إِلِمَامُهُ حَجَرُ  
عَلَى كَثْرَةِ الْوَارِدِ مَشْرَعُهُ غَمْرُ  
وَلَا انْفَكُّ مِنْ رِبْقِ الْأَذَى لَهُمْ أَسْرُ  
أَرَاهُمْ نَجُومَ اللَّيْلِ فِي أَفْقِهِ الظُّهْرُ  
مِنْ الْعَزِّ فِي أَرْحَابِهَا النَّعْمِ الْخُضْرُ

(١) في الأصل: «أن» وهكذا ينكسر الوزن.

(٢) في الأصل: «ولا لأنها» وهكذا ينكسر الوزن.

(٣) همزة الوصل هنا جعلناها همزة قطع لكي لا ينكسر الوزن.

(٤) في الأصل: «هوا» وهكذا ينكسر الوزن. (٥) في الأصل: «لأمر» وهكذا ينكسر الوزن.

(٦) كلمة «وما» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها ليستقيم الوزن والمعنى.

كتابته: وهي من قِلَّة التصنُّع والإخشوشان، بحيث لا يخفى غرضها، ولكل زمان رجاله. وهي مع ذلك تُزينها السداجة، وتشفع لها الغضاضة. كتب عن الأمير يوسف بن تاشفين ولاية عهده لولده:

«هذا كتاب توليةٍ عظيمٍ جسيم، وتوصيةٍ حميمٍ كريم، مُهدت على الرضا قواعده، وأُكِّدت بيد التقوى مواعده ومعاقده، وسُدِّدت إلى الحُسنى مقاصده، وأُبعدت عن الهوادة والهوى مصادره وموارده. أُنْفَذَه أمير المسلمين، وناصر الدين، أبو يعقوب يوسف بن تاشفين، أدام الله أمره، وأعزَّ نصره، وأطال فيما يرضيه منه، ويرضى به عنه عمره، غير مُحابٍ، ولا تاركٍ في النصيحة لله ولرسوله والمسلمين مَوْضِعَ ارتيابٍ لمرتاب، للأمير الأجل أبي الحسن عليّ ابنه، المُتَقَبِّلُ هَمِّهِ وشِيمِهِ، المتأثِّلُ حِلْمِهِ وتحلِّمِهِ، الناشئ في حِجْرِ تَقْوِيهِ وتأديبِهِ، المتصرِّف بين يدي تخريجه وتذريبِهِ، أدام الله عزَّه وتوفيقه، ونهَجَ إلى كلِّ صالحٍ من الأعمال طريقه، وقد تهَمَّمُ بمن تحت عصاه من المسلمين، وهدى في انتقاء مَنْ يخلفه هدى المتّقين، ولم ير أن يتركهم بعد سُدَى غير مدينين، واعتماد في النُّصاب الرفيع واختار واستنصح أولي الرأي والدين، واستشار فلم يوقع بعد طول تأمل، وتراخي مدة، وتمثل اختياره، واختبار مَنْ فاوضه في ذلك من أولي التقوى والحُكْمَةِ واستشارة الأغلبية، ولا صار بدونهم الارتياح والاجتهاد إلَّا إليه، ولا التقى رُؤَادَ الرأي والتشاور إلَّا لديه. فوَلَّاهُ عن استحكام بصيرة، وبعد طول مَشُورَةٍ، عهده، وأفضى إليه الأمر والنهي، والقَبْضُ والبَسْطُ عنده بعده، وجعله خليفته السَّاد في رعاياه مَسْدُهُ، وأوطأ عَقْبَهُ جماهير الرجال، وناط به مهمات الأمور والأعمال، وعهد إليه أن يَتَّقِيَ الله ما استطاع، ولا يعدل عن سَمْتِ العدل وحُكْمِ الكتاب والسُنَّةِ في أحدِ عصا أو أطاع، ولا ينام عن حماه الحَيْف والخوف بالاضطجاع، ولا يتلَيَّنُ دون معلن شكوى، ولا يَتَصَامَ عن مُسْتَصْرَخٍ لذي بَلْوَى، وأن ينظم أقصى البلاد وأدناها في سِلْكِ تدبيره، ولا يكون بين القريب والبعيد بَوْنٌ في إحصائه وتقديره. ثم دعا، أدام الله تأييده، لمبايعته، أدام الله عزَّه ونصره، مَنْ حضر ودنا من المسلمين، فلبَّوا مسرعين، وأتوا مُهْطِعِينَ، وأعطوا صفقة إيمانهم متبرِّعين متطوعين، وبابِعَوْهُ على السمع والطاعة، والتزام سَنَنِ الجماعة، وبذل النصيحة جهد الاستطاعة، ومناصفة مَنْ ناصفه، ومُحاربة مَنْ حاربه، ومكايده مَنْ كايده، ومُعاندة مَنْ عانده، لا يَدْخِرُونَ في ذلك على حال المَنْشُطِ مقدرة، ولا يحتجون في حالتي الرضا والسخط إلى مَعذَرَةٍ. ثم أمر بمخاطبة سائر أهل البلاد لمبايعته، كل طائفة منهم في بلدها، وتعطيه كما أعطاه من حضر صفقة يدها، حتى ينتظم في التزام طاعته القريب والبعيد، ويجتمع على الاعتصام بحبل دعوته الغائب الإحاطة في أخبار غرناطة/ ج ٢/ م ٢٤

والشهيد، وتطمئن من أعلام الناس وخيارهم نفوس قلقة، وتنام عيون لم تزل مخافة إقذائها مُورقة، ويشمل الناس كافة السرور والاستبشار، وتتمكن لديهم الدعة ويتمهد القرار، وتنشأ لهم في الصلاح آمال، ويستقبلهم جد صالح وإقبال. والله يبارك لهم بئعة رضوان، وصفقة رُجحان، ودعوة يُمن وأمان، إنه على ما يشاء قدير، لا إله إلا هو، نعم المولى ونعم النصير. شهد على إشهد أمير المسلمين بكل ما ذكر عنه فوق هذا من بيعته، ولقيه حَملة عنه ممن التزم البيعة المنصوصة قبل، وأعطى صفقته طائعا متبرعا بها. وبالله التوفيق. وكُتب بحضرة قرطبة في ذي الحجة سنة ست وتسعين وأربعمائة.

دخل غرناطة غير ما مرة، وخده، وفي ركاب أميره.

وفاته: توفي في جمادى الآخرة من عام ثمانية وخمسمائة.

### محمد بن يوسف بن عبد الله بن إبراهيم التميمي المازني

من أهل سَرْقُسطة، ودخل غرناطة، وروى عن أبي الحسن بن الباذش بها، يكنى أبا الطاهر. وله المقامات اللزوميات المعروفة.

حاله: كان كاتباً لغوياً شاعراً، مُعْتَمِداً في الأدب، فرداً، متقدماً في ذلك في وقته، وله المقامات المعروفة، وشعره كثير مُدَوَّن.

مشيخته: روى عن أبي علي الصّدي، وأبي محمد بن السيد، وأبي الحسن بن الأخضر، وأبي عبد الله بن سليمان، المعروف بابن أخت غانم، وأبي محمد بن عتاب، وأبي الحسن بن الباذش، وأبي محمد عبد الله بن محمد التّجيبى الدّكلى، وأبي القاسم بن صوابه، وأبي عمران بن أبي تليد، وغيرهم. أخذ عنه القاضي أبو العباس بن مضاء، أخذ عنه الكامل للمبرّد، قال: وعليه اعتمد في تقييده. وروى عنه المُقرئ المُسن الخطيب أبو جعفر بن يحيى الكتامي، وذكره هو وابن مضاء.

وفاته: توفي بقرطبة ظهر يوم الثلاثاء، الحادي والعشرين من جمادى الأولى، سنة ثمانٍ وثلاثين وخمسمائة، بِزَمَانَةٍ<sup>(١)</sup> لازمته نحواً من ثلاثة أعوام، نفعه الله.

شعره: [الوافر]

أيا قَمَرُ، أنطلع من وشاح      على غض فاخر من كل راح؟

(١) الزمّانة: العاعة. لسان العرب (زمن).

أدار السُّخْرَ مِنْ عَيْنِيهِ خَمْرًا  
وَأَهْدَى إِذْ تَهَادَى كُلٌّ طَيْبٍ  
وَأَخِيَا حِينَ حَيَا نَفْسٌ صَبٌّ  
وَسَوْغٌ مِنْهُ عَثْبِي بَعْدَ عَثْبٍ  
وَأَجْنَانِي الْأَمَانِي فِي أَمَانٍ  
وَقَالَ أَيضًا: [الكامل]

وَمُنْعَمِ الْأَعْطَافِ مَعْسُولِ اللَّمَى  
لَمَّا ظَفَرْتُ بِلَيْلَةٍ مِنْ وَصْلِهِ  
أَنْضَخْتُ وَرْدَةً خَذَهُ بِنَفْسِي  
وَقَالَ أَيضًا: [الكامل]

حَكَتِ السُّلَافُ صِفَاتِهِ بِحَبَابِهَا  
وَتَوَرَّدَتْ فَحَكَتْ شَقَائِقَ خَذَهُ  
وَصَفَّتْ فَوْقَ أَدِيمِهَا فَكَأَنَّهَا  
لِعَبَّتِ بِالْبَابِ الرِّجَالِ وَغَادَرَتْ  
مِنْ ثَغْرِهِ وَمِذَاقِهَا مِنْ رَشْفِهِ  
وَتَأَرَّجَتْ فَيُسَيِّمُهَا مِنْ عِزْفِهِ  
مِنْ حُسْنِ رَوْنَقٍ وَجَنَّتِيهِ وَلُطْفِهِ  
أَجْسَامَهُمْ صَزَعَى كِفْعَلَةَ طَرْفِهِ

### «ومن الغرباء في هذا الحرف»

محمد بن حسن العمراني الشريف<sup>(١)</sup>

من أهل فاس.

حاله: كان جَهْوِيًّا سَاجِدًا، خشن البزة، غير مُرْهَفِ الثَّجَنْدِ، ينظم الشعر، ويذكر كثيرًا من مسائل الفروع، ومعاناة الفرائض، يُجْعَجِعُ بِهَا فِي مَجَالِسِ الدَّرُوسِ، فَشَقِي بِهِ الْمُدْرَسُونَ، عَلَى وَتِيرَةٍ مِنْ صَحَةِ السَّجِيَّةِ، وَحَسَنِ الْعَهْدِ، وَقَلَّةِ التَّصْنُوعِ.

وجرى ذكره في الإكليل<sup>(٢)</sup>: كريم الانتماء، مستظل<sup>(٣)</sup> بأغصان الشجرة الشَّمَاءِ، من رجل سليم الضمير، ذي باطن أَضْفَى مِنَ الْمَاءِ الثَّمِيرِ، لَهُ فِي الشَّعْرِ طَبْعٌ يَشْهَدُ بِعَرُوبِيَّةِ أَصُولِهِ، وَمِضَاءِ نَصُولِهِ.

(١) ترجمة الشريف العمراني في الدرر الكامنة (ج ٤ ص ٤٦) ونفع الطيب (ج ٨ ص ٣٧٤).

(٢) النص في نفع الطيب (ج ٨ ص ٣٧٤). (٣) في النفع: «متظل».

فمن ذلك قوله يخاطب السلطان أمير المسلمين، وقد أمر له بكسوة:  
[الطويل]

مَنْحَتْ مُنِخَتِ النَّصْرِ والعزِّ والرضا	ولا زَلْتُ بالإحسان منها <sup>(١)</sup> مَقْرَضًا
ولا زلت للعليا جَنَى ومكارمًا <sup>(٢)</sup>	وللأمر، للملك <sup>(٣)</sup> العزيز، مُقَيِّضًا
ولا زالت الأملاك باسمك تُتَقَى	وجيشك وفرا يملأ الأرض والفضا
ولا زلت ميمون النقيبة ظافرا	مهيبا ووهابا وسيفك مُنتَضَى
تُقَرُّ به الدين الحنيف وأهله	وتقمع جَبَّارًا وتهلك مُبْغِضًا
وَصَلَّتْ شريف البيت من آل هاشم	وَحَوَّلَتْهُ أسنى مرادٍ ومفتَضَى
وَجَذَتْ بإعطاء اللُجَيْنِ وكُسوة	سَتَكْسَى بها <sup>(٤)</sup> ثوبًا من النور أبيضًا
وما زالت الأنصار تفعل هكذا	فَعَالَ <sup>(٥)</sup> عليّ في الزمان الذي مضى
هُمُ نصروا الهادي وآووا وجَدَلُوا	بحدِّ دُبابِ السيف مَنْ كان مُعْرَضًا
فَحُذِّ ذَا أبا الحجاج من خير مادح	لخير مَلِيكَ في البرية مُرْتَضَى
فقد كان قبل اليوم غاض قريضة	فلَمَّا رأى الإحسان منك تَفَيُّضًا
وَنَظَّمُ الفتى يسمو على قدر ما يرى	من الجود مهما ينقضي نَيْلُهُ انقضى
ومن حكم القول اللّهي مَتَحَ اللّهي	وَمَنْ مَدَحَ الأملاك يرجو التَّعَرُّضًا
فلا زال يهديك الشريف قصائدًا	ينال بها منك المودة والرضى

وقال يخاطب مَنْ أخلفته بوارق الأمل فيه، وخابت لديه وسائل قوافيه:  
[البسيط]

الشَّعْرُ أسنى كلام خُصَّ بالعرب	والجود في كل صِنْفٍ خيرٌ مكتسب
وَأَفْضَلُ الشعرِ أبيات يقدِّمها	في صدر حاجته مَنْ كان ذا أدب
فما يُوقِي كريمةً حقَّ مادحه	لو كان أولاه ما يحويه من نَسَب
المال يَفْنَى إذا طال الشواء به	والمدح يبقى مدى الأزمان والحِقَب
وقد مدحتُ لأقوام ذوي <sup>(٦)</sup> حسب	فيما ظننْتُ وليسوا من ذوي حسب

(١) في الأصل: «له»، وكذا ينكسر الوزن. (٢) في الأصل: «مكارمًا»، وكذا ينكسر الوزن.

(٣) في الأصل: «الملك»، وكذا ينكسر الوزن.

(٤) كلمة «بها» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها ليستقيم الوزن.

(٥) في الأصل: «نال»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٦) في الأصل: «ذي»، وكذا ينكسر الوزن.



مدحتهم بكلام لو مدحتُ به      دهري أمنتُ من الإملاق والنَّصب  
فعاد مدحي لهم هجوا يصدقه      من لؤمهم عودتي عنهم بلا أرب  
فكان ما قلتُ من مدحهم كذباً      أستغفر الله من زورٍ ومن كذب

وقال في غرض يظهر من الأبيات، يخاطب السلطان: [الكامل]

ما لي أرى تاج الملوك وحوله      عَبْدَانِ لا حِلْمٌ ولا آدَابُ  
فكأنه البازي الصَّيُود وحوله      نُغَرٌّ<sup>(١)</sup> يَقلُّ ريشه وُغرابُ  
يا أيها المَلِكُ الكرامُ جدوده      أسنى المحافل غيرُها أترابُ  
أبدلهما بالبيض<sup>(٢)</sup> من صَفْيَهِمَا      إن العبيد محلُّها الأبوابُ  
وفاته: توفي في حدود ثمانية وأربعين وسبعمائة أو بعد ذلك<sup>(٣)</sup>.

#### محمد بن محمد بن إبراهيم بن المرادي ابن العشاب<sup>(٤)</sup>

قرطبي الأصل، تونسبي الولادة والمنشأ، ابن نعمة وغذي جاه وحرمة.  
حاله: كان حيًّا فاضلاً كريماً، سخياً. ورد على الأندلس، مُفْلَتاً من نكبة أبيه،  
وقد عَزَّكَ عَزْكَ الرِّحَى لثقالها، على سُنَنٍ من الوقار والديانة والحِما، يقوم على بعض  
الأعمال النسيئة.

وجرى ذكره في الإكليل بما نصّه<sup>(٥)</sup>: جواد لا يُتعاطى طَلَقُهُ، وَصُبْح فضل لا  
يُمائل فَلَقُهُ. كانت لوالده<sup>(٦)</sup>، رحمه الله تعالى<sup>(٧)</sup>، من الدول الحفصية منزلة لطيفة  
المحلّ، ومفاوضة في العَقْد والحلّ، ولم يزل تسمو<sup>(٨)</sup> به قدم النّجابه، من العمل إلى  
الحجابه. ونشأ ابنه هذا مَقْضِي الديون، مُقْدَى بالأنفس والعيون. والدهر ذو ألوان،

(١) النُّغَر: البلبل. محيط المحيط (نفر).

(٢) في الأصل: «من البيض» وكذا ينكسر الوزن، لذا حذفنا كلمة «من».

(٣) قال في النفع (ج ٨ ص ٣٧٤): «وذكر في الإحاطة أن الشريف المذكور توفي في حدود ثمانية وثلاثين وسبعمائة».

(٤) ترجمة ابن العشاب في نفع الطيب (ج ٨ ص ٢٢٤) وجاء فيه: «أبو عبد الله العشاب». وله ترجمة أخرى في نفع الطيب (ج ٨ ص ٣٧٤) وجاء فيه: «محمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم المرادي العشاب».

(٥) النص في نفع الطيب (ج ٨ ص ٣٧٤ - ٣٧٥).

(٦) في النفع: «لأبيه».

(٧) كلمة «تعالى» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من النفع.

(٨) في الأصل: «يسمو» والتصويب من النفع.

ومارِقُ حربٍ عَوَان<sup>(١)</sup>، والأَيامُ كُرَاتٌ تُتَلَقَّفُ، وأَهْوَال<sup>(٢)</sup> لا تُتَوَقَّفُ، فَأَلْوَى بِهِمُ الدَّهْرُ وَأُنْحَى<sup>(٣)</sup>، وَأَغَامَ جَوْهَمُ بَقِيبٍ مَا أَضْحَى<sup>(٤)</sup>، فَشَمَلَهُمُ الْإِعْتِقَالُ، وَتَعَاوَرَتِهِمُ<sup>(٥)</sup> التُّوبُ الثَّقَالُ، وَاسْتَقَرَّتْ بِالْمَشْرِقِ رِكَابُهُ، وَحُطَّتْ بِهِ أَقْتَابُهُ، فَحَجَّ وَاعْتَمَرَ، وَاسْتَوَطَنَ تِلْكَ الْمَعَاهِدَ وَعَمَرَ، وَعَكَفَ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى<sup>(٦)</sup> فَجَوَّدَ الْحُرُوفَ، وَأَحْكَمَ<sup>(٧)</sup> الْخَلْفَ الْمَعْرُوفَ، وَقَيَّدَ وَأَسَدَ، وَتَكَرَّرَ إِلَى دَوْرِ الْحَدِيثِ وَتَرَدَّدَ، وَقَدَّمَ عَلَى هَذَا الْوَطَنِ قَدُومَ النَّسِيمِ الْبَلِيلِ، عَلَى كَبْدِ الْعَلِيلِ. وَلَمَّا اسْتَقَرَّ بِهِ قَرَارُهُ، وَاشْتَمَلَ عَلَى جَفْنِهِ غِرَارُهُ، بَادَزَتْ إِلَى مُؤَانِسَتِهِ، وَثَابَزَتْ عَلَى مَجَالِسَتِهِ، فَاجْتَلَيْتُ لِلْسَّرِ<sup>(٨)</sup> شَخْصًا، وَطَالَعْتُ دِيوانَ الْوَفَاءِ مُسْتَقْصَا.

شعره: وشعره ليس بحايد عن الإحسان، ولا غُفْلٍ من النكت الحسان. فمن ذلك ما خاطبني به<sup>(٩)</sup>: [الطويل]

بِيُمْنِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ <sup>(١٠)</sup> مُحَمَّدٍ	تَيَمَّنَ هَذَا الْقَطْرُ وَأَنْسَجَمَ الْقَطْرُ
أَفَاضَ عَلَيْنَا مِنْ جَزِيلِ عَطَائِهِ	بَحُورًا تَدِيمٌ <sup>(١١)</sup> الْمَدَّ لَيْسَ لَهَا جَزْرُ
وَأَنْسَنَا لَمَّا عَدِمْنَا مَغَانِيًا	إِذَا ذُكِرَتْ فِي الْقَلْبِ مِنْ ذِكْرِهَا عِبْرٌ <sup>(١٢)</sup>
هَنِيئًا بَعِيدَ الْفَطْرِ يَا خَيْرَ مَاجِدٍ	كَرِيمَ بِهِ تَسْمُو السِّيَادَةُ وَالْفَخْرُ
وَدُمَّتْ مَدَى الْأَيَّامِ فِي ظِلِّ نِعْمَةٍ	تُطِيعُ لَكَ الدُّنْيَا وَيَعْنُو <sup>(١٣)</sup> لَكَ الدَّهْرُ

ومما خاطب به سلطانه في حال الاعتقال: [البسيط]

لَعَلَّ عَفْوَكَ بَعْدَ السُّخْطِ يَغْشَانِي يَوْمًا فَيُنْعَشِ قَلْبَ الْوَالِدِ الْعَانِي<sup>(١٤)</sup>

(١) الحرب العَوَان: الشديدة التي قُوتِلَ فيها مرة بعد مرة. لسان العرب (عون).

(٢) في النفع: «وأحوال».

(٣) أَلْوَى بِهِمُ الدَّهْرُ، وَأُنْحَى عَلَيْهِمُ الدَّهْرُ: أَهْلَكَهُم. لسان العرب (لوى) و(نحا).

(٤) في الأصل: «ما أضْحَى» والتصويب من النفع.

(٥) تعاوَرَتِهِمُ: تداوَلَت عَلَيْهِم. لسان العرب (عور).

(٦) كلمة «تعالى» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من النفع.

(٧) في النفع: «وقرأ المعروف».

(٨) في النفع: «للسر». والسُرُو: الفضل. محيط المحيط (سرو).

(٩) الأبيات في نفع الطيب (ج ٨ ص ٢٢٤).

(١٠) في الأصل: «عبد الله محمد يُيَمِّنُ هَذَا الْقَطْرُ...» وهكذا ينكسر الوزن، ولا معنى له، والتصويب من النفع.

(١١) في الأصل: «بحور الدَّيْم...» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفع.

(١٢) في النفع: «... القلب ليس لها دَعْر». (١٣) يعنو: يخضع. لسان العرب (عنا).

(١٤) في الأصل: «العان» بدون ياء.

مولاي، رحماك، إني قد عهدتُك ذا  
فاصرفَ حنانك ثمَّ أعطف<sup>(١)</sup> عليَّ وجُدْ  
فقد تناهى الأسى عندي وعذبني  
وحقُّ آلائك الحُسنى وما لك من  
إني ولو حلَّت البلوى على كَيْدي  
لَواثقٌ بحنانٍ منك يَطْرُقني  
دامت سعودُك في الدنيا مضاعفة

حلم وعفو وإشفاق وتُحنانٍ  
برحمةٍ منك تُخيي جِسمي الفاني<sup>(٢)</sup>  
وشرَّد النوم عن عيني وأعياني<sup>(٣)</sup>  
طوّلَ وفضلَ وإنعام وإحسان  
وأسكبتُ فوق خدِّ دمعِي القاني<sup>(٤)</sup>  
عَمَّا قَرِيبٍ وعَفْوٍ عاجلٍ دان  
تذلَّ مَنْ دان<sup>(٥)</sup> طوعًا كلَّ سلطان

### محمد بن محمد بن عبد الملك بن محمد بن سعيد الأنصاري الأوسي<sup>(٦)</sup>

يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن عبد الملك، من أهل مراكش، وسكن غرناطة.  
حاله: من عائد الصلة<sup>(٧)</sup>: كان، رحمه الله، غريب المنزَع، شديد الانقباض،  
محبوب المحاسن، تنبو العين عنه جَهامة، وغرابة شكل، ووَحْشة ظاهر<sup>(٨)</sup>، في طيِّ  
ذلك أدبٌ غَضٌّ، ونَفْسٌ حرّة، وحديث ممتع، وأبوة كريمة، أحد الصابرين على  
الجُهد، المتمسكين<sup>(٩)</sup> بأسباب الحشمة، الراضين بالخصاصة. وأبوه قاضي القضاة،  
نسيجٌ وخُده، الإمام العالم، التاريخي، المُتبحِّر في الأدب<sup>(١٠)</sup>، تقلّبت به أيدي  
الدهر<sup>(١١)</sup> بعد وفاته لَتِيعةٌ سُلطت على نسبه<sup>(١٢)</sup>، فاستقرَّ بمالقة، متحارفاً مقدورًا  
عليه، لا يَهتدي لمكان فضله، إلّا مَنْ عثر عليه جُزأفاً.

شعره: (١٣) [السريع]

من لم يَصُنْ في أملٍ وجْهَهُ      عنك فَصُنْ وجهك عن رَدِّهِ

- 
- (١) في الأصل: «واعطف» وكذا ينكسر الوزن. (٢) في الأصل: «الفان» بدون ياء.  
(٣) في الأصل: «وأعيان» بدون ياء. (٤) في الأصل: «القان» بدون ياء.  
(٥) قوله: «من دان» ساقط في الأصل، وقد أضفناه ليستقيم المعنى والوزن معًا.  
(٦) ترجمة محمد بن محمد بن عبد الملك في نفح الطيب (ج ٨ ص ٢٢٤).  
(٧) النص في نفح الطيب (ج ٨ ص ٢٢٥) بتصرف.  
(٨) في النفح: «ظاهرة». (٩) في النفح: «المستمسكين».  
(١٠) في النفح: «الآداب». وهنا يشير إلى والد محمد، القاضي ابن عبد الملك المراكشي، صاحب  
كتاب «الذيل والتكملة».  
(١١) في النفح: «الليالي».  
(١٢) في النفح: «نشبه».  
(١٣) البيتان في نفح الطيب (ج ٨ ص ٢٢٥).

واعرف له الفضل وعرف به<sup>(١)</sup> حيث أحل النفس من قضيده

ومما خاطبني به قوله<sup>(٢)</sup>: [الوافر]

وليت ولاية أحسننت فيها ليغلم أنها شرقت بقدرك

وكم وإل أساء فقليل فيه دني القدر ليس لها بمذكر

وأشندني في ذلك أيضا رحمة الله عليه<sup>(٣)</sup>: [الوافر]

وليت فقليل أحسن<sup>(٤)</sup> خير وإل ففاق<sup>(٥)</sup> مدى مداركها بفضله

وكم وإل أساء فقليل فيه<sup>(٦)</sup> دنا فمحا محاسنها بفعلة

ومما خاطب به السلطان يستعديه على من مطله من العمال، وعذر عليه واجبه  
من الطعام والمال: [مخلع البسيط]

مولاي نصرًا<sup>(٧)</sup>، فكم يضام من ما له غيرك اعتصام

أمرت لي بالخلاص فامرر<sup>(٨)</sup> لي عنده المال والطعام

فقال ما اعتاده جوابا وحسبي الله والإمام

هذا مقام ولا فعال بغير مولاي والسلام

وفاته: فقد في وقية على المسلمين من جيش مالقة بأحواز إستبة<sup>(٩)</sup> في ذي  
عدة من عام ثلاثة وأربعين وسبعماية.

محمد بن خميس بن عمر بن محمد بن عمر بن محمد

ابن خميس الحنجري حنجر ذي رعين التلمساني

يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن خميس<sup>(١٠)</sup>.

(١) في النسخ: «له».

(٢) في الأصل: «أحسن» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النسخ.

(٣) في الأصل: «ففاق»، والتصويب من النسخ.

(٤) كلمة «فيه» ساقطة في الإحاطة، وقد أضفناها من النسخ.

(٥) في الأصل: «نصيرًا» وهكذا ينكسر الوزن. (٦) في الأصل: «فمر» وهكذا ينكسر الوزن.

(٧) إستبة: كورة تابعة لقرطبة، كما جاء في المغرب في حلى المغرب (ج ١ ص ٣٥). وأغلب

الظن أن المراد هنا: إشتبونة Estepona، الواقعة على البحر المتوسط على مقربة من مالقة.

(٨) ترجمة ابن خميس في بغية الوعاة (ص ٨٦) وأزهار الرياض (ج ٢ ص ٣٠١) ونسخ الطيب (ج

٧ ص ٣٣٤).

حاله: من عائد الصلة<sup>(١)</sup>: كان، رحمه الله، نسيج وَخده زهدًا وانقباضًا، وأدبًا وهمة، حَسَنَ الشَّيْءِ، جميل الهيئة، سليم الصدر، قليل التَّصَنُّع، بعيدًا عن الرِّياء والهوادة<sup>(٢)</sup> عاملاً على السياحة والغزلة، عالماً<sup>(٣)</sup> بالمعارف القديمة، مضطلعاً بتفاريق النُّحل، قائماً على صناعة<sup>(٤)</sup> العربية والأصْلين، طبقة الوقت في الشعر، وفحل الأوان في النظم<sup>(٥)</sup> المُطَوَّل، أقدر الناس على اجتلاب الغريب، ومزج<sup>(٦)</sup> الجزالة بالسلاسة، ووضع الألفاظ البيانية مواضعها، شديد الانتقا والإرجا، خامد نار الرُّوية، منافساً في الطريقة منافسة كبيرة. كتب بتلمسان عن ملوكها من بني زِيَّان، ثم فرَّ عنهم، وقد أوجس منهم خيفةً، لبعض ما يجري بأبواب الملوك. وبعد ذلك بمدة، قدم غرناطة، فاهتزَّ الوزير ابن الحكيم لتلقَّيه، ومثَّ إليه بالوسيلة العلمية، واجتذبه بخُطبة التلميذ، واستغفَره بتأنيسه وبرّه، وأقعدَه للإقراء بجواره. وكان يروم الرُّحلة، وينوي السفر، والقضاء يُثْبِطُه. حدَّثني شيخنا الرئيس أبو الحسن بن الجياب، قال: بلغ الوزير أبا عبد الله<sup>(٧)</sup> الحكيم أنه يروم السفر، فشقَّ ذلك عليه، وكلفنا<sup>(٨)</sup> تحريك الحديث بحضرته. وجرى ذلك، فقال الشيخ: أنا كالدُّم بطبعي، أتحرك في كل ربيع.

شعره: وشعره بديع، فمن ذلك قوله يمدح أبا سعيد بن عامر، ويذكر الوخشة الواقعة بينه وبين أبي بكر بن خَطَّاب<sup>(٩)</sup>: [الوافر]

مَشُوقٌ زَارَ زَنْعَكَ يَا إِمَامَا	مَحَا آثَارَ دِمْنَتِهَا التَّشَامَا <sup>(١٠)</sup>
تَتَّبَعَ رِبْقَةَ الطَّلِّ ارْتِشَافَا	فَمَا <sup>(١١)</sup> تَفَعَّتْ وَلَا نَقَعَتْ أَوَامَا
وَقَبَّلَ خَدَّ وَزَدَتْهَا جَهَارَا	وَمَا رَاعَى لَضُرَّتِهَا ذِمَامَا
وَمَا لَحْرِيمٍ بَيْتِكَ أَنْ يَدَانِي	وَلَا لِعَلِّي <sup>(١٢)</sup> قَدْرَكَ أَنْ يُسَامَا

(١) النص في نفع الطب (ج ٧ ص ٣٣٤) وأزهار الرياض (ج ٢ ص ٣٠١ - ٣٠٢).

(٢) هذه الكلمة غير واردة في النفع. وفي أزهار الرياض: «والهوى».

(٣) في النفع وأزهار الرياض: «عارفاً».

(٤) كلمة «صناعة» ساقطة من المصدرين السابقين.

(٥) كلمة «النظم» غير واردة في المصدرين السابقين.

(٦) من هنا حتى قوله: «أبو الحسن بن الجياب» غير وارد في المصدرين السابقين.

(٧) في المصدرين السابقين: «أبا عبد الله بن الحكيم».

(٨) في المصدرين السابقين: «وكلفه».

(٩) ورد فقط البيتان الأول والثاني في أزهار الرياض (ج ٢ ص ٣٠٥).

(١٠) في أزهار الرياض: «الشَّامَا». (١١) في المصدر السابق: «فلا».

(١٢) في الأصل: «لعلّا» وهكذا يتكرر الوزن.

ولكن عاش في رسم لِمَغْنَى<sup>(١)</sup>      تجشّمه سلامًا واستلامًا  
 تنفّس روضة المَطْلُول وَهنا      فحنّ وشَمَّ<sup>(٢)</sup> رِيّاه فهاما  
 تلقى طيب بـ... ته<sup>(٣)</sup> حديثا      زَوَتْ مُسْنَدًا عنه النُعاما  
 فيا نفّس الصّبا إن جئت ساحا      ولم تعرف لساكنها مَقاما  
 وأخطأت الطريق إلى جماها      فردّتكَ العرادة والخزاما  
 فلا تُبصر بسزححتها قضيبا      ولا تُذعِر بمسرحها سواما  
 وعانق قُربانتها ارتباطًا      وصافح كفّ سَوْسِنها التزاما  
 ونافح عَزف زَهْرتها كِبَا      تعاطك ماء ريقَتِها مُداما  
 ويا بَزَقًا أضاء على أوال      يمانيًا متى جِئت الشّامًا  
 أنغر إمامة أنت ابتسامًا      أم الدُرّ الأوامى انتظامًا؟  
 خَفَقَتْ ببطن واديها لَوَا      ولُخت على نُثَيَّتِها حُساما  
 أمشِبْ قلبي المُضني احتداما      على م دُذت عن عيني المناما؟  
 ولم أنْهَرْتَنِي وطردتْ عني      خيالًا كان يأتيني لِماما؟  
 وأبلغ منه تَأْرِيقًا لجفني      كلامٌ أثخن الأحشا كلاما  
 تعرّض لي فأيقظت القوافي      ولو تُرك القطا يومًا لناما  
 وقيل وما أرى يومي كأمسي      جَدَعْتَ رواطبا وقَلَبْتَ هاما  
 وجرّعتْ العدوَّ سُمًّا زُعافًا      فكان لحسدٍ مَوْتًا زواما  
 دعوت زعيمهم ذاك ابتياسا      ورُغت خميسهم ذاك اللّماما  
 نزعت شواه كبشهم نطاحا      ولم أترك لقرْمِهم سِناما  
 أضام وفي يدي قلبي لماذا      أضام أبا سعيد أو عَلاما؟  
 به وبما أذلق من لساني      أفل الصارم العَضْب انهزاما  
 وغرام الوزير أبي سعيد      أصرفه إذا شئت انتقاما  
 به وبنجله البَرّ انتصاري      لما أكلوه من لَحْمي حراما  
 أعثمن بن عامر لا تَكِلْنِي      لدهرٍ عَلم الشّخ الغماما  
 وردتْ فلم أَرِدْ إلّا سرابًا      وشِمت فلم أُثِم إلّا جِهاما

(١) في الأصل: «مغنى» وهكذا ينكسر الوزن.

(٢) في الأصل: «وشم» وهكذا ينكسر الوزن، ولا يستقيم المعنى.

(٣) يياض في الأصل.

قَطَعْتُ الْأَرْضَ طَوْلًا ثُمَّ عَرْضًا  
وجاجاني على كرم ندامهم  
وذَلَّتْ المَطَامِعُ مِنْ إِبَائِي  
ومن أَدْبِي نَصَبْتُ لَهُمْ حَبَالًا  
فَلَمْ أَرِ مِثْلَ رَنْعِي دَارَ أُتْسٍ  
ولا كَأَبِيهِ أَوْ كُنَى أَبِيهِ  
كفاني بَابِنِ عامِرٍ خَفَضُ عَيْنِشِ  
وإني من ولائك في يَفَاعٍ  
ومن شعره، رحمه الله، قوله<sup>(١)</sup>: [الطويل]

تُراجِعُ مِنْ دُنْيَاكَ مَا أَنْتَ تَارِكُ  
تُؤَمِّلُ بَعْدَ التَّرِكِ رَجْعَ ودَادِهَا  
حَلَا لَكَ مِنْهَا مَا خَلَا<sup>(٢)</sup> لَكَ فِي الصُّبَا  
تَظَاهَرُ بِالسُّلُوفِ عَنْهَا تَجَمُّلاً  
تَنَزَّهَتْ عَنْهَا نَخْوَةٌ لَا زَهَادَةً  
لِيَالِي تُغْرِي بِي وَإِنْ هِيَ أَغْرَضَتْ  
غَصُونُ قُدُودٍ فِي حِقَافِ رَوَادِفِ  
تُطَاعِنُنِي مِنْهُمْ فِي كُلِّ مَلْعَبٍ  
وَكَمْ كَلَّةٍ فِيهَا هَتَكْتُ وَدُونَهَا  
وَلَا خِذْنُ إِلَّا مَا أَعَدْتَ رَدِينَهُ  
تُضِلُّ فُؤَادَ الْمَرْءِ عَنْ قِصْدِ رَشْدِهِ  
وَفِي كُلِّ سِنٍّ لِابْنِ آدَمَ وَإِنْ تَطُلَّ  
وَلَا فَمَا لِي بَعْدَ مَا شَابَ مَفْرِقِي

وتسألها<sup>(٣)</sup> العُتْبَى وها هي فارِكُ<sup>(٤)</sup>  
وَشَرُّ ودَادٍ مَا تَوَدُّ التَّرَائِكُ  
فَأَنْتَ عَلَى حَلَوَاتِهِ مَتِهَالِكُ  
فَقَلْبُكَ مَحْزُونٌ وَتَغْرُكُ ضَا حَكُ  
وَشَعْرُ عِذَارِي أَسْوَدُ اللَّوْنِ حَالِكُ  
زَنَانِبٍ مِنْ ضَوَّاتِهَا وَعَوَاتِكُ  
تَمَائِلُ مِنْ ثِقَلِ بَيْنِ الْأَرَائِكُ  
تُذِي كَأَسْنَانِ الرِّمَاحِ فَوَاتِكُ  
صُدُورُ الْعَوَالِي وَالسُّيُوفِ الْبَوَاتِكُ  
لِطَالِبِهَا أَوْ مَا تَحْيِرُ هَالِكُ  
فَوَاتِرُ الْحَافِظِ لِلطُّبَا الْفَوَاتِكُ  
سَنُوهُ طِبَاعِ جَمَّةٍ وَعَوَائِكُ  
وَأَعْجَزُ رَأْيِي عَجْزُهُنَّ<sup>(٥)</sup> الرُّكَارِكُ

(١) بعض أبيات هذه القصيدة في نفح الطيب (ج ٧ ص ٣٣٧ - ٣٣٨) وأزهار الرياض (ج ٢ ص ٣٠٥ - ٣٠٦).

(٢) في الأصل: «وتسلها» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح وأزهار الرياض.

(٣) الفارك: المرأة التي تكره زوجها. العُتْبَى: الاسترخاء. لسان العرب (فرك) و(عتب).

(٤) في النفح وأزهار الرياض: «ما حلا».

(٥) في الأصل: «عَجَزُ من» وهكذا ينكسر الوزن، ويصح في القافية عيب الإقواء.

أجوب إليها كلَّ بَيْدَاءٍ مُنْقَلِقٍ  
وأسترشد الشُّهْبَ الشُّوَابِكِ جَارِ  
نُهَازِزِ أَمْثَالِ الْجِيَادِ تَوَوْدَةٍ  
ظَمَاءٍ وَمَا غَيْرِ السَّمَاءِ مَوْرِدِ  
ذَوَاهِلُ عَنْ عَضِّ الرِّجَالِ ظُهُورِهَا  
إِذَا مَا نَبَا عَنْ سُنْبُكِ الْأَرْضِ سُنْبُكِ  
تَقْدُ بِنَا فِي كُلِّ قَاعٍ وَقَدْ قَدِ  
فَأَمَامَهَا رِيٌّ كَالسَّحَابِ مَوَالِغِ  
قِلَاصٍ بِأَطْوَافِ الْجُدِيلِ بَوَالِغِ  
تَرَامِي بِهَا نِيَاقُهَا كُلِّ مُزْتَمِي  
وَكَمْ مَنْزِلَ خَلِيَّتُهُ لَطَالِبِهَا  
يَمُرُّ بِهِ زُؤَارُهُ وَعُفَاتِهِ  
وَأَثَارَتِنَا تَقَادِمُ عَهْدِهِمْ  
لَوَارِبِ أَفْرَاسٍ وَنَوَى حِذَاةِ  
تَمُرُّ عَلَيْهِ نَسْمَةُ الْفَجْرِ مِثْلَمَا  
وَأَزْكَبُ كَالشَّهْدِ يَنْفَحُ بُرْدَهُ  
وَيَطْلُبُهَا مِنِّْي غَرِيمٌ مُمَاحِكِ  
أَحَاوِلُ مِنْهَا مَا تَعَذَّرَ فِي الصُّبَا  
يُسَلِّي الْفَتَى مِنْهَا وَإِنْ رَاقَ حُسْنُهَا  
فَمِنْهَا مَلَالٌ دَائِمٌ لَا تَمْلُهُ  
تُهَاوِنُ بِالْإِفْكِ الرِّجَالِ جِهَالَةَ  
تَزِنُ طَوْلَ تَشْهَادِي وَقَدْرِي تَمْلَمِي  
تَغْيِرُ عَلَى الدَّهْرِ مِنْهُ جَحَافِلِ  
فَلَيْتَ الَّذِي سَوَّدَتْ فِيهَا مَعْوَضُ  
أَلَا لَا تُذَكِّرُنِي تِلْمَسَانَ وَالْهَوَى  
فَإِنَّ أَذْكَارَ مَا مَضَى مِنْ زَمَانِهَا

ترافقني فيها الرجال الحواتك<sup>(١)</sup>  
إذا اشتبهت فيها عليّ المسالك  
اغوارب أمثال الهضاب توامك  
وينحى وما دون الصّاة مبارك  
إذا ما اشتكت عضّ السروج الموارك  
هلغن فلانث تحتهنّ السنابك  
بوائكها والمُنغيات الدّراhek  
وأمامها رَكًا كالرياح بواشك  
وجزّد لأوساط الشّكيم عوالك  
فهنّ نواح للردى أو هوالك  
تُعَفّيهِ تعدي السّافيات السّواhek  
وما إنّ به إلّا لصوق حباثك  
وهنّ عليه جاثيات بوارك  
ثلاث أثاف كالحمام سوادك  
تمرّ على طيب العروس المداوك  
لمجهول حسيّ ما له للدّهر مبانك  
ويَمْطُنني منها عديمٌ مُماعك<sup>(٢)</sup>  
ومن دونه وَقَعُ الجِمام المُواشِك  
حسائف لا تُحصى هنا ومبارك  
تزور إفك عن رضى الحق آفك  
وما أهلك الأحياء إلّا الأفايك  
طوال الليالي والنجوم النّوابك  
كأنّ مُدَوِّمَ الرّجَم فيها نيازك  
بما بيّضت مني دجاها الحوالك  
وما دهكت منّا الخطوب الدّواhek  
لجِسمي وللصّبر الجميل لناhek

(١) الحواتك: من حتك، أي أسرع في السير. لسان العرب (حتك).

(٢) المماعك: «المماطل». لسان العرب (معك).



ولا تَصِفُنْ أمواها لي فإنها  
وَمَنْ حال عن عهدٍ أو أَخْفَرَ ذِمَّةً  
سَقَى منزلي فيها وإن مَحَّ رَسْمُهُ  
وجادت ثَرَى قبرٍ بمسجد صالح  
ولا أَقْلَعْتَ عن دار يونس مُزَنَةً  
إلى أن يَرُوق النَّاظِرِينَ رُؤاؤُها  
ويصبح من حول الحيا في عِراضها  
ولا برحت منه ملائكة الرُّضَى  
وطوبى لمن روى منازلها الحيا  
ألا ليت شعري هل تُقَضِّى لُبائتي  
وهل مَكَّن الطَّيْفُ المَغِيبُ زيارة  
وهل تَغْفُلُ الأيام عنها بقدر ما  
ويا ليت شعري أي أرض تقلني  
وأي غرار من صفاها يحثني  
إذا جَهِل الناس الزمان فإنني  
تَثَبَّتْ إذا ما قَمَتْ تعمل خطوة  
ولا تَبْذِلُنْ<sup>(٢)</sup> وجهًا لصاحب نعمة  
تَجَسَّمُ إن<sup>(٣)</sup> استطعت واحذر أذاهم  
فكلَّ على ما أنعم الله حاسد  
ولا تَأْسُ<sup>(٤)</sup> ريبة الزمان فإنه  
تمتئى مصاب برير وأعاره  
ويَبْذُرُ ليلَ الجُونِ حَوْضَ لجاجها<sup>(٥)</sup>  
فما أَدْعَنْتُ إِلَّا إِلَيَّ عُشَارَ  
ولا قَصَدْتُ إِلَّا فَنائِي وقُودُها  
به شَرَفْتُ أذواؤها وملوكها

لنيران أشواقِي إليها مُحارِك  
فإنني على تلك العهود لرامِك  
عِهاد العَوادي والدُمُوع السَّوافِك  
رواعِدُها والمُذخِمت الحواشِك  
يرُوي صداه قَطْرُها المُتَدَارِك  
ويُرضي الرُّعاوَى نَبْثُها المُتَلاحِك  
زُرَّاق تحاكي بُسْطَها ودَرَانِك<sup>(١)</sup>  
تصلي على ذاك الصِّدى وتبارِك  
وبُشرى لمن صلَّت عليه الملائِك  
إذا ما انقَضَتْ عَشْرٌ عليها دَكَادِك  
فيرقب أو تُلقَى إليه الرُّوامِك  
تُؤدي إليها بالعِتاب الحالِك  
إذا كَلَّ عن رحلي الجلال اللكالِك  
إذا فقدتني مَسَّها والدُّكَادِك  
بدونهم دون الأنام لحاتِك  
فإن بقاع الأرض طُرا شوائِك  
فما مثلُ بذل الوجه للستَر هاتِك  
ولا تَلْقُهُمْ إِلَّا وهْرُك شانِك  
وكلَّ إذا لم يَغصم الله حاسِك  
بمَنْ فات مَنَّا لا محالة فاتِك  
وترضى ذكامي فارس والهنادِك  
وتعرف إقدامي عليها المِهالِك  
ولا أَضْفَقْتُ إِلَّا عَلَيَّ الشكاشِك  
ولن أملتُ إِلَّا قَتامي الضرارِك  
كما شَرَفْتُ بالتَّوْيهار البرامِك

(١) الدرانك: ضرب من البسط.

(٢) في الأصل: «تبذل» وهكذا ينكسر الوزن.

(٣) في الأصل: «ما» وهكذا ينكسر الوزن.

(٤) في الأصل: «تأس» وهكذا ينكسر الوزن.

(٥) في الأصل: «ويذرَّت الليالي الجون حوضي لجاجها» وهكذا ينكسر الوزن.

فلا تَدْعُونَ غيري لدفع مُلِمَةٍ  
 فما إنْ لَذاك الصوت غيري سامعٌ  
 يَعْصُ وَيَشْجَى نَهْشَلٌ وَمُجَاشَعٌ  
 تفارقني روعي<sup>(٤)</sup> التي لَسْتُ غيرها  
 وماذا عسى ترجو لِداتي وأرتجي  
 يعود لنا شَرْخُ الشَّبَابِ الذي مضى  
 ومن شعره أيضًا قوله: [الكامل]

سَحَتْ بِسَاحِكِ يا محلَّ الأدمع  
 ولطالما جادت ثرى الآمال من  
 لله أيام بها قَضَيْتُهَا  
 فلقد رَشَفْتُ بها رُضَابَ مُدَامَةٍ  
 في روضة يرضيك منها أنها  
 تجري بها فَقَرٌ سَكَنْتُ رِهَانَهَا  
 فَقَرٌ كَرِيعَانَ الشَّبَابِ وَعَهْدُنَا  
 نَقَاةَ الْأَنْوَاءِ فِي عَقْدِ الثَّرَى  
 حتى إذا حاك الربيع برودها  
 بدأت كمائم زَهْرَهَا تُبْدي بها  
 قد صُمَّ منها ما تَجَمَّع مُغْلَقٌ  
 وكلاهما مهما أَرَدْتَ مُسَالِمٌ  
 كُلُّ لَهْ شَرْخُ الْبَيَانِ مُحَلَّلٌ  
 حيث ازدهت أنوار كلِّ حديقة

وَتَصَرَّمَتْ سَقًا عَلَيْكَ الْأَضْلَعُ  
 جاوي مؤمك الغُيُوثُ الْهَمْعُ  
 قد كنت أعلم أنها لا ترجع  
 بنسيم أنفاس البديع تُشْغِشُ  
 مَرْعَى لَأَفْكَارِ النَّدَامِ وَمَشْرَعُ  
 أَجْدَى بِمِيدَانِ الْكَلَامِ وَأَسْرَعُ  
 بجنابها وهو الجناب الأَمْنَعُ  
 وَالثَّفْتُ فِي عَقْدِ الثَّرَى لَا يَمْنَعُ  
 وكسا رُبَاهَا وَشَيْهَ الْمُتَنَوِّعِ  
 بِدَعَا تُفَرِّقُ تَارَةً وَتُجَمِّعُ  
 إِذْ بُتَّ مِنْهَا مَا تَفَرَّقَ مُضْغَعُ  
 وَمُحَارَبٌ وَمُؤْمِنٌ وَمُرَوِّعُ  
 وَمَنْكَرٌ<sup>(٩)</sup> فِي مِثْلِ هَذَا مُدْفَعُ  
 أَدْبَا يُنْظَمُ تَارَةً وَيُسَجَّعُ

(١) الداهك: الطاحن الكاسر. لسان العرب (دهك).

(٢) السامك: الرافع للقواعد المحلي للبناء. لسان العرب (سمك).

(٣) نهشل ومجاشع وحير والسكاسك: قبائل عربية.

(٤) في النفع وأزهار الرياض: «الروح».

(٥) في الأصل: «ثنأى» وهكذا ينكسر الوزن والتصويب من النفع وأزهار الرياض.

(٦) الصائك: اللاحق. محيط المحيط (حوك). (٧) في النفع وأزهار الرياض: «مني».

(٨) الأفانك: جمع إفنيك وهو مجمع اللحين. لسان العرب (فك).

(٩) في الأصل: «المُنْكَر» وكذا ينكسر الوزن.

فَمُرَجَّلٌ مِنْ رَقْمِهَا وَمُهْلَلٌ  
أَبْدَى الْبَدِيعُ بِهَا بَدَائِعَ صُنْعِهِ  
وَمُوشَّحٌ وَمُرَشَّحٌ وَمُصَدَّرٌ  
كُلُّ يَرُوقُ بِهَا بِحُسْنِ زُؤَانِهِ  
وَلَقَدْ غَدُوْتُ بِهَا وَفِي وَكُنَاتِهَا  
بِمُطَهِّمِ الْفِكْرِ الَّذِي مَا إِنَّ لَهُ  
قَيْدَ الْمَطَالِبِ لَا نَزَالَ<sup>(١)</sup> نَحْبُهُ  
أَرْمَى بِهِ الْأَمَدَ الْبَعِيدَ وَإِنَّهُ  
مِنْ بَعْدِ مَا عَقَّتِ السَّوَارِي سُبُلَهُ  
لَكِنْنِي جَدَّدْتُ دَائِرَ رَسْمِهِ  
أَوْضَحْتُ فَهَمَّ حَدُودِهِ وَضُرُوبِهِ  
حَتَّى وَرَدْتُ مِنَ السَّمَاعِ مَوَارِدًا  
مَعَ كُلِّ مَصْقُولِ الذِّكَاءِ فَخَذَّشُهُ  
يَرْتَادُ مِنْ نَجْعِ الْعُنَاصِرِ نُجْعَةً  
لَا شَيْءَ أَبْدَعُ مِنْ تَجَاوُرِهَا وَمَا  
فَإِذَا تَشَعَّشَعَ مَزْجُهَا أَوْرى بِهَا  
فَمَكِينٌ سِرُّ حَيَاتِهِ بِحَبَابِهَا  
وَهُنَا تُفَاضُ عَلَيْهِ صُورَتُهُ الَّتِي  
مِنْ وَاهِبِ الصُّورِ الَّتِي قَدْ خَصَّهَا  
رَبُّ لَهْ فِي كُلِّ شَيْءٍ حِكْمَةً  
وَحَلَلْتُ مِنْ أَرْضِ الرِّيَاضَةِ أَزْبُعًا  
قَامَتْ زَوَايَاهَا فَمَا أَوْتَادَهَا  
وَتَنَاسَبَ أَقْدَارُهَا نَسَبًا لَهَا  
فَأَجَلٌ مَا قَدْ سُنَّمَتْ بِحُلُولِهَا  
لَا شَكَّ أَنَّ وَرَاءَهُ مَطَرًا لَهُ  
بَخَرٌ رَوِيٌّ مُثَرِّعٌ مُلَاحَظُهُ

وَمُسَمِّطٌ مِنْ نَظْمِهَا وَمُصَرَّعٌ  
فُمَجَّئِسٌ وَمُبَدَّلٌ وَمُرْصَعٌ  
وَمُكَرَّرٌ وَمُفَرَّعٌ وَمُتَبَّعٌ  
وَإِذَا تَزَيَّنَ بِهِ كَلَامُكَ تَبَرَّعٌ  
طَيَّرَ لَهَا فَوْقَ الْغُصُونِ تَرْجِعُ  
إِلَّا بِمُسْتَنْزِ الْأَدَلَّةِ مَزْتَعُ  
بَيْنَ الْجِيَادِ لَعَتَقَهُ أَوْ يَوْضَعُ  
جَمَلٌ يَضِلُّ بِهِ الدَّلِيلُ الْأَصْمَعُ  
وَمَحَتْ مَعَالِمَهُ الرِّيَّاحُ الْأَرْبَعُ  
فَطَرِيقَهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ مَهْيَعُ  
وَالْكُلُّ فِي كُلِّ الْمَسَالِكِ يَنْتَفِعُ  
فِيهَا لَظْمَانُ الْمُبَاحِثِ مَكْرَعُ  
لِذِكَا أَسْرَارِ الطَّبَائِعِ مَطْلَعُ  
فِيهَا مَصِيفٌ لِلْعُقُولِ وَمَرْبَعُ  
يُبْدَى<sup>(٢)</sup> بِهَا ذَاكَ التَّجَاوُرِ أَبْدَعُ  
نَارُ الْخُبَابِ مَرْجَحُهَا الْمُتَشَعِّشُ  
مِنْ بَعْدِ قَذْحِ زَنَادِهَا مَسْتَوْدَعُ  
لِبَهَائِهَا شَمُّ الطَّبَائِعِ تَخَضُّعُ  
بِبَدِيعِ حِكْمَتِهِ الْحَكِيمِ الْمَبْدَعُ  
يَقْضِي بِهَا الْبَدْعِيَّ وَالْمُتَشَرِّعُ  
نَفْسِي الْفِدَاءَ لَهَا وَهَذِي الْأَرْبَعُ  
إِلَّا تَقْوَمُ مَا تَقِيمُ الْأَضْلَعُ  
لَوْ كُنْتُ تُبْصِرُهَا فَرُوعُ فُرْعُ  
مِنْ بَارِقِ لَجْنَابِ رُشْدِي يَلْمَعُ  
فِي كُلِّ ضَرْبٍ مِنْ قِيَاسِي مَوْقِعُ  
مِنْ فَيْضِهِ هَذَا الرُّوِّيُّ الْمُثَرِّعُ

(١) في الأصل: «لا يزال».

(٢) في الأصل: «يبتدى» وكذا ينكسر الوزن.

لَمْ لَا أَضِيعُ بِهَا عِهَادَ مَدَامَعِي  
خِلِّي، لَوْ لَمْ تَسْعِدَانِي فِي الْبِكَاءِ  
أَرَأَيْتُمَا نَفْسًا تَفَارِقُ جِسْمَهَا  
عَظُمَتْ رَزِيئَتُهَا وَأَيُّ رَزِيئَةٍ  
هَذِي حَمَامُكَ، يَا عَلِيُّ، سَوَاجِعُ  
إِنْ طَارَحْتَنِي وَرَزَقَهَا فَبِأَضْلَعِي  
أَهْ عَلَى جِسْمِي الَّذِي فَارَقْتُهُ  
وَمِنَ الْعُجَابِ رَجُوعُ مَا أَوْدَى بِهِ  
الْجَوْرُ مِنْهُ إِذَا اسْتَمَرَّ طَبِيعَةً  
هَذِي عَقُوبَةُ زَلَّةٍ سَلَفَتْ بِهَا  
قَدْ كُنْتُ أَمْنَعُ رَسْخِ نَفْسِي قَبْلَهَا  
لَمْ لَا وَقَدْ أَصْبَحْتُ بَعْدَ مُحَلَّةٍ  
دَارَ يَدْرُ الرِّزْقِ مِنْ أَخْلَاقِهَا  
وَكَأَنَّ مَجْلِسَهَا الْبَهِيِّ بِصَدْرِهَا  
وَكَأَنَّ مَجْمَرَ عَنْبِرٍ بِفَنَائِهَا  
وَكَأَنَّهَا الْمُتَوَكِّلِيَّةُ بِهَجَّةٍ  
فِي حَجَرٍ ضَبُّ خَافِضٍ بِجَوَارِهِ  
يَا نَفْثَةُ الْمَصْدُورِ كَمْ لَكَ قَبْلَهَا  
وَعَسَاكَ تَنْقَعُ غُلَّةٌ بِكَ إِنَّهَا  
لِلَّهِ أَنْتَ مَذَاعَةٌ أَوْذَعْتَهَا  
بِدَوِيَّةٍ فِي لَفْظِهَا وَنِظَامِهَا  
لَمْ لَا تَشْفَعُ فِي الَّذِي أَشْكُو بِهَا  
كَمُلْتُ وَمَا افْتَرَعْتُ فَأَيُّ خَرِيدَةٍ  
بَارَتْ عَلَيَّ فَأَصْبَحْتُ لِحَيَاتِهَا

إِنِّي إِذَا لِعُهُودِهَا<sup>(١)</sup> لَمْضِيْعُ  
لَقَطَعْتُ مِنْ حَبْلَيْنِكما مَا يُقْطَعُ  
وَبِهِ تَنْعُمُهَا وَلَا تَتَوَجَّعُ؟  
ظَلْتُ لَهَا أَكْبَادُنَا تَنْتَصِدُّعُ  
وَأَخَالُهَا أَسْفًا عَلَيْهَا تُسْجِعُ  
شَوْقُ يَطَارِحُهُ أَذْكَارُ مُوجِعُ  
لَا كُنْتُ مِمَّنْ جِسْمُهُ لَا يَزْجَعُ  
ذَهَرَ بِتَشْتِيَتِ<sup>(٢)</sup> الْأَجْبَةِ مَوْلَعُ  
وَالْعَدْلُ مِنْهُ إِذَا اسْتَقَامَ تَطْبُعُ  
مِنْ أَكْلِ طُعْمَتِهِ الَّتِي لَا تُشْبِعُ  
وَالْيَوْمَ أَوْجِبُ أَنَّهُ لَا يُمْنَحُ  
فِيهَا السَّحَابُ بِالرَّغَائِبِ تَهْمَعُ؟  
وَلَكُمْ دَعَا دَاعٍ بِهَا مِنْ يُوْضَعُ  
مَلِكٌ بِأَعْلَى دَنْتِهِ مَتَرَبِّعُ  
يُذَكِّي وَمَا<sup>(٣)</sup> قَدْ سَيْفٌ مِنْهُ يَسْطَعُ  
وَعَلِيٌّ بِنَ الْجَهْمِ فِيهَا يُبْدَعُ  
مَنْ كَانَ قَبْلُ لَهُ الْعَوَامِلُ تُزْفَعُ  
مَنْ زَفَرَةٍ بَيْنَ الْجَوَانِحِ تَسْفَعُ  
بِجَحِيمٍ مَا أَسْبَلْتُهُ لَا تَنْقَعُ  
مَنْ كُلِّ سِرٍّ بِالضَّمَائِرِ يُودَعُ  
حَضْرِيَّةٌ فِيمَا بِهِ يُتَرَجَّعُ  
وَمِثَالُهَا فِي مِثْلِهِ يُتَشَفَّعُ؟  
لَوْ كَانَ يَفْرَعُهَا هَمَامُ أَرْوَعُ  
مَنْ بِضَافِي مِرْطُهَا تَتَلَفَّعُ

(١) فِي الْأَصْل: «لِعُهُودَهَا» وَكَذَا لَا يَسْتَقِيمُ الْمَعْنَى وَلَا الْوِزْنُ.

(٢) فِي الْأَصْل: «بِتَشْتِيَتِ»، وَكَذَا يَنْكَسِرُ الْوِزْنُ. (٣) فِي الْأَصْل: «مَا» وَكَذَا يَنْكَسِرُ الْوِزْنُ.

ومن شعره قوله يمدح ذا الوزارتين أبا عبد الله بن الحكيم، وهي من مشاهير أمداحه<sup>(١)</sup>: [الطويل]

سَلِّ الرِّيحَ إِنْ لَمْ تُسْعِدِ السُّفْنَ أَنْوَاءَ  
وَفِي خَفَقَانِ الْبَرْقِ مِنْهَا إِشَارَةٌ  
تَمُرُّ اللَّيَالِي لَيْلَةً بَعْدَ لَيْلَةٍ  
وَإِنِّي لِأَضْبُو لِلصَّبَا كُلَّمَا سَرَتْ  
وَأُهْدِي إِلَيْهَا كُلَّ حِينٍ<sup>(٥)</sup> تَحِيَّةً  
وَأَسْتَجْلِبُ النَّوْمَ الْغَرَارَ وَمُضْجِعِي  
لَعَلَّ خَيْالًا مِنْ لَدُنْهَا يَمُرُّ بِي  
وَكَيْفَ خُلُوصِ الطَّيْفِ مِنْهَا وَحَوْلَهَا<sup>(٧)</sup>  
وَإِنِّي لَمُسْتَنَاقٌ إِلَيْهَا وَمُنْبِئٌ  
وَكَمْ قَائِلٍ تَفْنَى غَرَامًا بِحَبِّهَا  
لِعَشْرَةِ أَعْوَامٍ عَلَيْهَا تَجَرَّمَتْ  
يُطَنَّبُ فِيهَا عَائِثُونَ وَخُرَّبٌ<sup>(١٠)</sup>  
كَأَنَّ رِمَاحَ الذَّاهِبِينَ<sup>(١٢)</sup> لِمُلْكُهَا  
فَلَا تَبْغِينَ فِيهَا مَنَاحًا لِرَاكِبٍ  
وَمَنْ عَجَبِي<sup>(١٤)</sup> أَنْ طَالَ سُقْمِي وَتَزَعُّهَا  
وَكَمْ أَزْجَفُوا غَيْظًا بِهَا ثُمَّ أَزْجَأُوا

فَعِنْدَ صَبَاها مِنْ تِلْمِسَانَ أَنْبَاءَ  
إِلَيْكَ بِمَا تُنْمِي إِلَيْهَا<sup>(٢)</sup> وَإِيمَاءَ  
وَلِلْأَذُنِ إِصْغَاءَ وَلِلْعَيْنِ إِكْلَاءَ<sup>(٣)</sup>  
وَلِلنَّجْمِ مَهْمَا كَانَ لِلنَّجْمِ إِضْبَاءَ<sup>(٤)</sup>  
وَفِي رَدِّ إِهْدَاءِ التَّحِيَّةِ إِهْدَاءَ  
قَتَادُ كَمَا شَاءَتْ نَوَاهَا وَسُلَاءَ<sup>(٦)</sup>  
فَفِي مُرِّهِ بِي مِنْ جَوَى الشُّوقِ إِبْرَاءَ  
عِيُونَُ لَهَا فِي كُلِّ طَالَعَةٍ رَاءَ  
بِبَعْضِ اسْتِيقَايَ لَوْ تَمَكَّنَ إِنْبَاءَ  
وَقَدْ أَخْلَقْتُ مِنْهَا مِلَاءَ وَأَمْلَاءَ<sup>(٨)</sup>  
إِذَا مَضَى قَيْظٌ بِهَا جَاءَ إِهْرَاءَ<sup>(٩)</sup>  
وَيَرْحَلُ عَنْهَا قَاطِنُونَ وَأَخْيَاءَ<sup>(١١)</sup>  
قِدَاحُ، وَأُمُوالُ الْمَنَازِلِ أَبْدَاءَ<sup>(١٣)</sup>  
فَقَدْ قَلَصَتْ مِنْهَا ظِلَالٌ وَأَفْيَاءَ  
وَقُسَمَ إِضْنَاءَ عَلَيْنَا وَإِطْنَاءَ<sup>(١٥)</sup>  
فِيكَذْبِ إِرْجَافٍ وَيَضْدُقِ إِرْجَاءَ

(١) القصيدة في أزهار الرياض (ج ٢ ص ٣٣٦ - ٣٤٠) ونفع الطيب (ج ٧ ص ٣٥١ - ٣٥٣).

(٢) في أزهار الرياض: «إليك».

(٣) الإكلاء: ترديد البصر. محيط المحيط (كلأ).

(٤) في أزهار الرياض: «إشراء». (٥) في المصدرين: «كل يوم».

(٦) القتاد والسُّلَاء: شوك. لسان العرب (قتد) و(سلا).

(٧) في المصدرين: «ودونها».

(٨) أخلقت: بليت. الميلاء: جمع ملاءة. الأملاء: جمع ملاء وهو الأرض الواسعة. لسان العرب (خلق) و(ملاء).

(٩) الإهراء: شدة البرد التي تهرأ الأجسام. لسان العرب (هرأ).

(١٠) في الأصل: «عابثون وخُرَّب»، والتصويب من المصدرين.

(١١) في أزهار الرياض: «وتنأ». (١٢) في المصدرين: «الناهيين».

(١٣) الأبداء: جمع بدء وهو النصيب من الجزور. محيط المحيط (بدأ).

(١٤) في المصدرين: «ومن عجب». (١٥) الإطناء: الداء. لسان العرب (طنأ).

يَرَدُّدُهَا عُيَابُهَا<sup>(١)</sup> الدَّهْرَ مَثَلَمَا  
 فِيا مَنْزِلًا نال الرَّدَى مِنْهُ ما اشْتَهَى  
 وَهَلْ لِلظَى الْحَرْبِ الَّتِي فِيكَ تَلْتَطِي  
 وَهَلْ لِي زَمَانٌ أَرْتَجِي فِيهِ عَوْدَةً  
 فَوَاسِئِي حَالِي<sup>(٢)</sup> إِنْ هَلَكْتُ وَلَمْ أَقْلَنْ  
 وَلَمْ أَطْرُقِ الدَّيْرَ<sup>(٣)</sup> الَّذِي كُنْتُ طَارِقًا  
 أَطِيفُ بِهِ حَتَّى تَهْرُ كِلَابُهُ  
 وَلَا صَاحِبٌ إِلَّا حُسَامٌ<sup>(٤)</sup> وَلَهْذَمْ  
 وَأَسْحَمُ قَارِي كَشْغَرِي حُلْكَةً  
 فَمَا لِشِرَابِي فِي سِوَاكَ مَرَارَةً<sup>(٥)</sup>  
 وَيَا دَارِي الْأُولَى بِدَرْبِ حِلَاوَةٍ<sup>(٦)</sup>  
 أَمَا أَنَّ أَنْ يُخْمَى جِمَاكِ كَعَهْدِهِ  
 أَمَا أَنَّ أَنْ يَغْشَوْ لِنَارِكَ طَارِقُ  
 يُرَجِّي نَوَالًا أَوْ يُؤْمَلُ دَغْوَةً  
 أَجْنُ لَهَا مَا أَطَّتِ النَّيْبُ حَوْلَهَا  
 فَمَا فَاتَهَا مِنْ نِزَاعٍ عَلَى النَّوَى

يُرَدُّدُ حَرْفُ الْفَاءِ فِي النَّطْقِ فَأَفَاءُ  
 تُرَى وَهَلْ لِعُمْرِ الْأَنْسِ بَعْدَكَ إِنْشَاءُ<sup>(٧)</sup>؟  
 إِذَا مَا انْقَضَتْ أَيَّامُ بُوسِكَ إِطْفَاءُ؟  
 إِلَيْكَ وَوَجْهُ الْبِشْرِ أَزْهَرُ وَضَاءُ؟  
 لَصَحْبِي بِهَا الْغُرَّ الْكَرَامُ إِلَّا هَاؤُا  
 كَعَادِي<sup>(٨)</sup> وَيَذَرُ الْأَفْقَ أَسْلَعُ مِشْنَاءُ<sup>(٩)</sup>  
 وَقَدْ نَامَ غَسَّاسٌ وَهَوْمٌ سُبَّاءُ  
 وَطِرْفٌ لَخَذَ اللَّيْلَ مَذْكَانَ وَطَاءُ  
 تَلَالًا فِيهِ مِنْ سَنَى الصَّبْحِ أَضْوَاءُ  
 وَلَا لَطْعَامِي دُونَ بَابِكَ<sup>(١٠)</sup> إِمْرَاءُ  
 وَقَدْ جَدَّ عَيْثُ فِي بِلَاهَا وَإِزْدَاءُ  
 وَتَجْتَازُ أَحْمَاشُ<sup>(١١)</sup> عَلَيْكَ وَأَحْمَاءُ؟  
 جَنْيَبٌ لَهُ رَفَعٌ إِلَيْكَ وَدَأْدَاءُ؟<sup>(١٢)</sup>  
 فَمَا زَالِ قَارٍ فِي ذُرَاكَ وَقُرَّاءُ  
 وَمَا عَاقَبَهَا عَنْ مُورِدِ الْمَاءِ أَظْمَاءُ<sup>(١٣)</sup>  
 وَلَا فَاتَنِي مِنْهَا عَلَى الْقُرْبِ إِجْشَاءُ<sup>(١٤)</sup>

(١) في الأصل: «عِيَابُهَا» والتصويب من المصدرين.

(٢) الإنشاء: التأخير. لسان العرب (نساء).

(٣) في أزهار الرياض: «فِيَا هَيَّ مَا لِي». ومن هنا حتى البيت (يرجى نوالاً) غير وارد في نفع الطيب.

(٤) في أزهار الرياض: «الدرب». (٥) في المصدر نفسه: «لعاذ».

(٦) في الأصل: «أَسْلَعُ مِشْنَاءُ». والتصويب من أزهار الرياض. والأسلع: الذي به البرص. والمِشْنَاءُ: الذي ييغضه الناس.

(٧) في الأصل: «الأحسام» وهكذا ينكسر الوزن، ولا معنى له، والتصويب من الأزهار.

(٨) في أزهار الرياض: «مزاة».

(٩) في أزهار الرياض: «مائل».

(١٠) في أزهار الرياض: «ويجتال أحماس».

(١١) الرفع: المبالغة في السير. والدأداء: أشد العدو.

(١٢) أظنت: صوّتت. النيب: الإبل، واحدها ناب. الأظماء: جمع ظمء وهو المدة التي تنقطع فيها

عن ورود الماء. لسان العرب (أطط) و(ناب) و(ظما).

(١٤) الإجشاء: مصدر أجشأ؛ يقال: جشأت نفسه من حزن أو فزع: ثارت وجاشت. والإجشاء

أيضاً: تحرك النفس بالشوق. لسان العرب (جشأ).

كذلك جَدِّي في صحابي وأُسرتي  
ولولا جِوارِ ابنِ الحكيمِ محمدٍ  
حماني فلم تَنْتَبِ محلي نوائِبُ  
وأَكْفاء<sup>(٤)</sup> بيتي في كَفّالةِ جاهه  
يؤمنون قصدي طاعةً ومحبةً  
دعاني إلى المجد لذي كنتُ آملاً  
ويؤاني من هَضْبَةِ العِزِّ تَلَعَةً  
يُشَيِّعُنِي منها<sup>(٨)</sup> إذا سِرْتُ حافِظُ  
ولا مثلُ نومي في كفالةِ غيره  
بَغِيضَةٍ ليث أن بمرقبٍ خالب  
إذا كان لي من نائب المُلْكِ كافِلُ  
وإخوانُ صدقٍ من صنائعِ جاهه  
سِرَاعٌ لما يُزجى من الخير عندهم  
إليك أبا عبد الإله صنعَتْها  
مُبَرَّاةٌ مما يعيبُ لزومَها  
أَدْعَتْ بها السُّرَّ الذي كان قبلها  
وإن لم يكن كلُّ الذي كنتُ آملاً  
ومَن يتكَلَّفُ مُفَحِّمًا شُكْرَ مِثَّةٍ  
إذا مُنْشِدٌ لم يَكُنْ عنك ومُنْشَىءٌ

وَمَنْ لي به من<sup>(١)</sup> أهل وُدِّي إن فاؤوا<sup>(٢)</sup>  
لما فات نَفْسِي من بني الدهر إقْماء<sup>(٣)</sup>  
بسوءٍ ولم تَزْزَأْ فؤادي أَرْزاء  
فصاروا عبيداً لي وهم لي أكْفاء  
فما عَفْتُه عافُوا وما شِئْتُه شاءوا<sup>(٥)</sup>  
فلم يك لي عن دعوة المجدِ إبطاء  
يُنَاجِي السُّها منه<sup>(٦)</sup> صَعُودٌ وطَاطْأ<sup>(٧)</sup>  
ويَكْلَأني منها إذا نمتُ كَلَاء<sup>(٩)</sup>  
وللذئبِ إلمامٌ وللصلِّ إلماء  
تَنْدُ<sup>(١٠)</sup> كُسا فيه وتُقطعُ أكساء  
ففي حيثما هَوَمْتُ كُنْ وإذفاء  
يُبادرني منهم قيامٌ وإيلاء  
ومَنْ كلُّ ما يُخشى من الشرِّ أبراء<sup>(١١)</sup>  
لزومِئَةٍ فيها لَوْجِدِي إفشاء  
إذا عاب إكْفاءُ سواها وإيطاء<sup>(١٢)</sup>  
عليه لأخْنايَ الجوانحِ إضْناء  
وأغَوَزَ إكلَاءُ فما عازَ إكماء<sup>(١٣)</sup>  
فما لي إلى ذاك التكلُّفِ إلْجاء  
فلا كان إنشادٌ ولا كان إنشاء

(٢) في أزهار الرياض: «وَدِّي إرفاء».

(١) في النفع: «في».

(٣) الإقماء: الإذلال. لسان العرب (قما).

(٤) في المصدرين: «وَأَكْفَأَ»؛ يقال: أكفا البيت إذا ستره. لسان العرب (أكفا).

(٥) في الأصل: «شاء». والتصويب من المصدرين.

(٦) في المصدرين: «منها».

(٧) الطاطأ: المنخفض من الأرض. لسان العرب (طاطأ).

(٨) في الأصل: «يشاعني فيها» والتصويب من المصدرين.

(٩) الكَلَاء: الحافظ. لسان العرب (كلا). (١٠) في المصدرين: «تَنْدُ».

(١١) الأبراء: جمع بريء وهو الذي لا ذنب له. لسان العرب (برأ).

(١٢) الإكفاء والإيطاء: عيان من عيوب القافية. راجع: كتاب القوافي للأخفش (ص ٤٣، ٥٥).

(١٣) الإكماء: كثرة الكمأة. لسان العرب (كما).

ومن شعره قوله: [المتقارب]

أطار فؤادي بَزَقْ أَلَحَا      وقد ضَمَّ بعد لو كَرِ جَنَاحَا  
كَأَنَّ تَأَلَّقَهُ فِي الدُّجَى      حُسَامُ جَبَانٍ يَهَابُ الْكَفَاحَا  
أَضَاءَ وَلِلْعَيْنِ إِغْفَاءُ      تَلَدُّ إِذَا مَا سَنَا الْفَجْرَ لَاحَا  
كَمَعْنَى خَفِيٍّ بَدَا بَغْضُهُ      وَزَيْدٌ بَيَانَا فَزَادَ اتِّضَاحَا  
كَأَنَّ النُّجُومَ وَقَدْ غَرُبَتْ      نَوَاهِلُ مَاءٍ صَدَرْنَ قُمَاحَا  
لَوَاغِبٍ بَاتَتْ تُجَدُّ الشُّرَى      فَأَدْرَكَهَا الصَّبْحُ رُوحِي طِلَاحَا  
وَقَدْ لَبَسَ اللَّيْلُ أَسْمَالَهُ      فَمَحَّتْ عَلَيْهِ بَلًّا وَانْصِيَا حَا  
وَأَيَقِظُ رَوْضَ الرُّبَا زَهْرَهُ      فَحَيًّا نَسِيْمُ صَبَاهُ الصُّبَا حَا  
كَأَنَّ النَّهَارَ وَقَدْ غَالَهَا      مَبِيْتُ مَالٍ حَوَاهِ اجْتِيَا حَا  
أَتَى يَسْتَفِيضُ دَمُوعِي امْتِيَا حَا      وَيُلْهَبُ نَارَ ضُلُوعِي اقْتِدَا حَا  
فَلَمْ يَلْقَ دَجْنَ انْتِحَابِي شَحِيحَا      وَلَمْ يُلْفِ زَنْدَ اشْتِيَاقِي شَحَا حَا  
وَلَوْ لَا تَوَقُّدُ نَارِ الْحَشَا      لِاتَّفَذْتُ مَاءَ جَفُونِي امْتِيَا حَا  
وَمِمَّا يُشَرِّدُ عَنِّي الْكَرَى      هَدِيلُ حَمَامٍ إِذَا نَفَتْ صَا حَا  
يَنْوُحُ عَلَيَّ وَأَبْكِي لَهُ      فَأَقْطَعُ لَيْلِي بَكًّا أَوْ نِيَا حَا  
أَعَيْنُ، أُرِنِّحِي أَطْلُتِ الْأَسَى      عَلَيْكَ وَمَا زِدْتَ إِلَّا انْتِزَا حَا  
دَعِينِي أُرِدْ مَاءَ دَمْعِي فَلَمْ      أُرِدْ بَعْدَ مَائِكَ مَاءَ قَرَا حَا  
أَحْنُ إِلَيْكَ إِذَا سَفْتُ رِيحَا      وَأَبْكِي عَلَيْكَ إِذَا دُقَّتْ رَا حَا  
وَأَفْنَى التِّيَا حَا إِلَيْكَ وَكَمْ      أَشْخَتْ بِوَجْهِي عَنْكَ اتِّشَا حَا  
وَلَوْ لَا سَخَائِمُ قَوْمِ أَبْوَا      إِيَابِي رَكِبْتُ إِلَيْكَ الرِّيَا حَا  
أَبَاحُوا جِمَائِي وَكَمْ مَرَّةً      حَمِيْتُ جَمِي عِرْضَهُمْ أَنْ يُبَا حَا  
وَدَافَعْتُ عَنْهُمْ بِشَغْرِي انْتِصَارَا      فَكَانَ الْجَزَاءُ جَلَائِي الْمَتَا حَا  
أَبَاعُوا وَدَادِي بَخْسًا فَسَلَنَ      أَكُنْ سَمَاحُهُمْ بِي رِبَا حَا؟  
وَأَغْرُوا بِنَفْسِي طَلَابَهَا      سَرَّازًا فَجَاءُوا لِقَتْلِي صَرَا حَا  
وَأَلَوْا يَمِينًا عَلَى أَنْ مَا      تَوَهَّمْتُ لَمْ يَكُ إِلَّا مَزَا حَا  
فَشَاوَزْتُ نَفْسِي فِي ذَا فَمَا      رَأَتْ لِي بَغِيرَ الْفَلَاةِ فَلَاحَا  
فَبِتُّ أَنَاغِي نَجُومَ الدُّجَى      نَجَاءً فَلَمْ أَلْقَ إِلَّا نَجَا حَا



أجوب الدياجير وحدي ولا  
وإلا الثعالب تحتس في  
أجوز الأفاحيص فيحًا قفارا  
فأعيي شوارد هذي عداء  
وجواب بدو إذا استنبحوا  
يرون قتالي في الحجر جلا  
قصذت هناهم فلم أخطهم  
فَسَلْ كيف كان خلاصي من  
ولا مثل بيت تيممته  
عيابا ملاء ونيبا سمانا  
وإلا أعارب شُم الأنوف  
وإلا يعافير سود العيون  
يُرذذن فينا لحاظا مراضا  
وتحت الوجاح طلا رزب<sup>(٥)</sup>  
أراني محاسن منه فلم  
مُحيًا وسيما وفزعًا أثيثا  
وأبدي لعيني بدائع لم  
إذا لم يُرذ غير سفك دمي  
وما زلت سَمَحًا بنفسي كذا  
وبابن رَشِيد تَعَوَّذُ من  
وقد ضاق صدري عن كُثمه

مؤانس إلا القطا والسَراحا<sup>(١)</sup>  
مبיתי فتملاً سمعي ضباحا<sup>(٢)</sup>  
وأعرو الأداحي غبرًا فساحا<sup>(٣)</sup>  
وأعلو لَواعِي تلك صياحا  
أجابوا عواء وأثوا النباحا  
وإذهاب نَفْسِي فيه مُباحا  
أعاجم شوس العيون قباحا  
أَسارهم أسرى أم سَراحا؟  
فلم أُلَف إلا الغنا والسَماحا  
وغيدا خِداًلاً وعودًا أفاحا<sup>(٤)</sup>  
كرام الجدود فصاحا صباحا  
يَرين فسادَ المُحبِّ صلاحا  
يُمَرِّضن منا القلوب الصُحاحا  
لَوْ أَنَّ<sup>(٦)</sup> القيان رفغن الوجاحا  
أطق عن حِماه بقلبي بَراحا  
وقدًا قويمًا وردفًا رداحا  
يدغ لي عَقلاً بها حين راحا  
فَجَلَّ وِبَلٌ<sup>(٧)</sup> له ما استباحا  
متى ما رأيت الوجوه الملاحا  
هواه فقد زِدْتُ فيه افتضاحا  
وأودغته جَفُن عيني فباحا

(١) السَراح: جمع سرحان وهو الذئب. محيط المحيط (سرح).

(٢) الضباح: صوت الثعلب. محيط المحيط (ضبح).

(٣) الأفاحيص: جمع أفحوص وهو الموضع الذي تبيض فيه القطا. الأداحي: جمع أدحي وهو مبيض النعام. محيط المحيط (فحص) و(دحا).

(٤) العياب: جمع عيبة وهي ما يجعل فيها الثياب. والنَّيب: جمع نيباء وهي الناقة المستة. والغيد الخدال: الغليظة الممتلئة. محيط المحيط (عيب) و(نيب) و(خدل).

(٥) الوجاح: الشَّوْر. الربرب: القطيع من بقر الوحش. محيط المحيط (وجح) و(ربرب).

(٦) في الأصل: «لَوْ أَنَّ» وكذا ينكسر الوزن، لذا جعلنا الهمزة الأصلية همزة وصل.

(٧) جَلَّ وِبَلٌ: حلال ومباح. محيط المحيط (حلل).

وبابن رُشيدٍ تَعَوَّذْتُ من  
 ألَحَّ الزمان بأحداثه  
 أعاد شبابي مَشِيبًا كما  
 وفرَّق بيني وبين الأهل  
 أخي وسميّي، أصبَحُ مُسْعِدًا  
 فقد جَبَّ ظهري على ضعفه  
 وطوَّح بي عن تِلْمِسَانٍ ما  
 وأعجل سيري عنه ولم  
 نأى بصديقك عن رَبِّعه  
 وكان عزيزًا على قومه  
 فها هو إن قال لم يُلتفت  
 عجبْتُ لدهري هذا وما  
 لقد هَدُ منِّي ركنًا شديدًا  
 وُقِيْتُ الردى من أخٍ مخلص  
 وإنى على فَنِيحٍ ما بيننا  
 أحزنٌ إليه حنين الفحول  
 وأسأل عنه هبوب التَّسِيم  
 وإن شئت عِزفان حالي وما  
 فقلْبُ يذوب إليك اشتياقا  
 وغَرْسُ ودادٍ أصاب قَضَاء  
 كراسخٍ مَجْدٍ تألَّته  
 وعلياءٌ بُوئَتْها لو بَغَى  
 مكارمُ جَمَعَتْ أفذاذها  
 ودرسُ علومٍ تهيم بها

خُطوبٍ أَجَلْن عليَّ القِداحا  
 فألقيْتُ طوعًا إليه السِّلَاحا  
 سمعتُ وصيْرَ نسكي طَلاحا<sup>(١)</sup>  
 ولم يَرَ ذا عليه جُنَاحا  
 لشجورِ حَزِينٍ إليك استراحا  
 كُدَامًا وأذهى شواتي نطاحا<sup>(٢)</sup>  
 ظننْتُ فراقِي لها أن يُتاحا  
 يدغني أودَّعَ تلك البِطَاحا  
 فكان له الثَّأِي موتًا صَراحا<sup>(٣)</sup>  
 إذا هاج خاضوا إليه الرُّمَاحا  
 إليه امتهانًا له وأطراحا  
 أَلَاقِي مساءً به وصباحا  
 وذُلَّ منِّي حياءَ لقاحا  
 لو أَسْطَعْتُ<sup>(٤)</sup> طُرْتُ إليه ارتياحا  
 لَأَتَّبَعُ ذاك الشَّدَا حيث فاحا  
 ونُوحَ الحمام إذا هو ناحا  
 وخَفَقَ الوِمْيَضُ إذا ما ألاحا  
 يُعانيه جسمي ضَنَى أو صَاحا  
 وصَدْرُ يفاح إليك انشراحا  
 نَدِيًا وصادف أرضًا بِراحا  
 فلم تخش بَغْدُ عليه امتِصاحا  
 سُمُوا إليها السَّمَاك لطاحا  
 فكانت لعطف عَلاكَ وشاحا  
 عَمَزَتْ العُذُوُّ به والرَّواحا

(١) الطَّلَاح: ضدَّ الصَّلاح. محيط المحيط (طلع).

(٢) جَبَّ: قطع. والكُدَام: أصل المرعى وهو نبات يتكسر على الأرض. محيط المحيط (جبب) و(كدم).

(٣) الصُّراح: الخالص من كل شيء. محيط المحيط (صرح).

(٤) في الأصل: «استطعت»، وكذا يتكسر الوزن.

نشأت عن الخير واغتذته فلم تذر إلا الثقى والصّاحا  
 وقُمت لها أيما رحلة كَسَخَت المعارف فيها اكتساحا  
 بهزت رجال الحديث اقتداءً وفُتّ رجال الكمال اقتراحا  
 فما إن جليس إذا قلت قال أو أنّ<sup>(١)</sup> الخطيب إذا لُخت لاحا  
 ولو لم تحجّ بها مكة لحجّ الملائك عنك صراحا  
 وأما أنا بعد نهي النهى فما زادني الطنبُع إلا جماحا  
 أدير كؤوس هواي اغتباقا وأشرب ماء دموعي اضطباحا  
 فبرّذ جوأي برّذ جواب ثوبُخ فيه مَشْيِ الوُقاحا  
 وهنّ بُنَيَات فكري وقد اتيتك فاخفيض لهنّ الجناحا

ومن شعره، رحمه الله، وله يمدح ذا الوزارتين المتقدم ذكره، ويذكر غفارة وجهها له مع هدية: [الكامل]

كَبَتِ العِدَى، إنعامك البَغْتُ فلي الهناء<sup>(٢)</sup> وللعدى الكَبْتُ  
 يا من إلى جَدوى أنامله يُزجى السفينُ وتُزجرُ البُخْتُ<sup>(٣)</sup>  
 لولاك لم يُوصل بناحية وخذّ ولم يُقطع بها دَشْتُ<sup>(٤)</sup>  
 لولاك لم يطلع بها تَشْرُ منه ولم يهبط بها خَبْتُ  
 خَوَّلْتَنِي ما لم تَسْغِه يدي فأصابني مِنْ كُثره غَمْتُ<sup>(٥)</sup>  
 شَتَّى أيا دِ كلما عَظُمْتُ عندي تَلْكَأُ خاطري الهْتُ<sup>(٦)</sup>  
 يَغِيَا لساني عن إذاعتها ويضيقُ عن شكري لها الوقت  
 وطأتْ لي الدنيا فلا عَوَجُ فيما أرى منها ولا أَمْتُ  
 أَمَكُنْتَنِي منها فما ليدي رده ولا لمقالتني عْتُ  
 بالغتْ في برّي ولا نَسَبُ أدلي إليك به ولا حَسَبُ

(١) في الأصل: «أو أنّ» وكذا ينكسر الوزن، لذا جعلنا الهمزة الأصلية همزة قطع.

(٢) في الأصل: «الهناء» وكذا ينكسر الوزن.

(٣) في الأصل: «للسفين» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى. والسفين: جمع سفينة وهي المركب.

والْبُخْتُ، بضم الخاء: الإبل الخراسانية. محيط المحيط (سفن) و(بخت).

(٤) الدَشْتُ: الصحراء. محيط المحيط (دشت).

(٥) الغَمْتُ هنا بمعنى: التخمّة؛ يقال: غَمَتَه الطعماءُ: ثَقُلَ على قلبه فصيرَه كالسكران. محيط

المحيط (غمّت).

(٦) الهْتُ: المكسور؛ يقال: هَتَّ الشيء إذا كسره وفَتّه. محيط المحيط (هتت).

لَكِنْ حَسْبِي إِنْ مَتَّتْ بِهِ      يَوْمًا إِلَيْكَ وَدَادِي الْبَحْثُ  
 بَوْرَكْتَ مِنْ رَجُلٍ بِرُؤْيَتِهِ      يُوسَى الضُّنَى وَيُعَالِجُ الْعَثُ<sup>(١)</sup>  
 لَوْ سَارَ فِي بِهِمَاءِ مُقْفِرَةٍ      فِي حَيْثُ لَا مَاءٌ وَلَا نَبْتُ  
 لَتَفَجَّرَ الْمَاءُ التُّمِيرَ بِهَا      وَلَأَعْشَبَتْ أَرْجَاؤُهَا الْمَرْثُ  
 لَا تَخْسَبَنَّ الْبُخْتَ نَيْلَ غَنَى      نَيْلُ الرِّضَا مِنْهُ هُوَ الْبَحْثُ  
 أَلَتْ جَلَالَتُهُ وَحَقُّ لَهَا      أَنْ لَا يَحِيطَ بِكُنْهَيْهَا نَعْتُ  
 أَظْهَرْتَ دِينَ اللَّهِ فِي زَمَنِ      مَا زَالَ يَغْلِبُ حَقُّهُ الْبَهْتُ  
 شَيْدَتُهُ وَهَدَذَتْ مُنْتَعِضًا      لَضِياعِهِ مَا شَيْدَ الْجَبْتُ<sup>(٢)</sup>  
 أُمْنَتْ أَرْضُ الْمُسْلِمِينَ فَلَا      ذَنْبَ يُخَافُ بِهَا وَلَا لِضْتُ<sup>(٣)</sup>  
 وَحَفِظَتْهَا مِنْ كُلِّ نَائِبَةٍ      تُخْشَى فَأَنْتَ حَفِظْتُهَا الثَّبْتُ  
 وَنَهَجْتَ سُبُلَ<sup>(٤)</sup> الْمَكْرُمَاتِ فَمَا      لِمُؤْمِلٍ عَنْ غَايِهِ أَلْتُ<sup>(٥)</sup>  
 لَمْ تُبْقِ غُفْلًا مِنْ مَتَالِعِهَا      إِلَّا وَفِيهِ لِحَائِرِ بُرْتُ<sup>(٦)</sup>  
 هَادِنُ طُغَاةِ الْكُفْرِ مَا هَدَأْتُ      حَتَّى يَجِيءَ نَهَارُهَا الْمَحْتُ<sup>(٧)</sup>  
 دَعَا تَوَدَّعَ فِي مَعَاقِلِهَا      مَا لَمْ تَعُدْ جُفَاتِهَا الْعَفْتُ<sup>(٨)</sup>  
 كَمْ دُذَّتْهَا عَنَّا وَقَدْ هَبَرْتُ      لِهَرِاشِنَا أَشْدَاقُهَا الْهَزْتُ<sup>(٩)</sup>  
 بِوَقُوفِ طَرْفِكَ عِنْدَ شِدَّتِهِ      يَبْنَى وَيَفْخَرُ مَلَكُهَا الرُّثُ<sup>(١٠)</sup>  
 وَالشُّكْرُ<sup>(١١)</sup> مَا أَظْهَرْتَ مِنْ كَرَمِ      فِي ذَاكَ تَفْصَحُ عُجْمُهَا الْمَرْثُ  
 لَكَ مِنْ مَمَالِكِهَا وَإِنْ رَغِمَتْ      مَا جَالَ فِيهِ جَوَادِكُ الْحَثُ<sup>(١٢)</sup>  
 وَلِكُلِّ أَضِيدٍ مِنْ بَطَارِقِهَا      فِي كُلِّ أَزْيٍ لَهُ دَعْتُ<sup>(١٣)</sup>

(١) الْعَثُ: الغم والحزن. لسان العرب (غنت).

(٢) الْجَبْتُ: الذي لا خير فيه. محيط المحيط (جبت).

(٣) اللَّضْتُ: اللص. محيط المحيط (لصت). (٤) في الأصل: «سبيل» وكذا يتكرر الوزن.

(٥) الْأَلْتُ: مصدر أَلَتْهُ، أي حبسه وصرفه عن وجهه. محيط المحيط (ألت).

(٦) الْبُرْتُ: الدليل الماهر. محيط المحيط (برت).

(٧) النَّهَارُ الْمَحْتُ: الحار. محيط المحيط (محت).

(٨) الْعَفْتُ: مصدر عَفَّتْ؛ يقال عَفَّتَ الشَّيْءُ إِذَا لَوَاهُ وَكَسَرَهُ. محيط المحيط (عفت).

(٩) الْأَشْدَاقُ الْهَزْتُ: الواسعة. محيط المحيط (هرت).

(١٠) الرُّثُ: الرئيس. محيط المحيط (رتت). (١١) في الأصل: «ويشكر»، وكذا يتكرر الوزن.

(١٢) الْحَثُ: الساقط. محيط المحيط (حتت).

(١٣) الدَّعْتُ: الدَّفْعُ الشديد. محيط المحيط (دعت).

لولا لباك البيض ما أَرَقْتُ      للقائها أفراسنا الكُمْتُ  
عندي<sup>(١)</sup> لِمَنْ يَنْتَابُهُ مَقَّةٌ      ولمن يُنِيب لغيره مَقْتُ  
وَلَوْ أَنَّ<sup>(٢)</sup> بِيضَكَ لَمْ تَسَلْ لَمَّا      ذُلْتُ أَنْوَفَ طُغَاتِهَا السُّلْتُ  
يا ابن الحكيم أَمِنْتُ صَرْفَ رَدَى      أَبَدًا لَهُ فِي أَثْلَتِي نَخْتُ<sup>(٣)</sup>  
وَبِيْمْنِهِ أَتَسْتُ مِنْ أَمْلِي      ما لم يكن يومًا له عَزْتُ<sup>(٤)</sup>  
مَثْنَى الْوَزَارَةِ مَوْتِلِي وَلَهُ      ما دُمْتُ أَمْلِكُ قُدْرَتِي أَقْتُ<sup>(٥)</sup>  
وَببَاسِهِ أَظْفِي شَرَارَةَ مَنْ      يَغْتُو وَأَقْدُحُ أَنْفَ مَنْ يَغْتُو<sup>(٦)</sup>  
عَمَّ الْوَرَى جَوْدًا وَفَضَلَ غَيَّ      حتى تساوى العَدُو والغُلْتُ<sup>(٧)</sup>  
وَهَمِي عَلَى عَالٍ وَمُنْخَفَضِ      لم يبق فوقَ لا ولا تحْتُ  
ظِلٌّ إِذَا نَصْطَافُ مَعْتَدِلٌ      عَطِرُ الشُّذَا وَخِيَا إِذَا نَشْتُو<sup>(٨)</sup>  
يَتَضَاءَلُ الصَّبْحُ الْمَنِيرُ إِذَا      لاقى سَنَاهُ جَبِينِكَ الصُّلْتُ  
حتى كَأَنَّ شَمْسَ الضُّحَى قَمَرٌ      وكَأَنَّ ضَوْءَ شِعَاعِهَا فَخْتُ<sup>(٩)</sup>  
وْغَرِيبَةٌ فِي لُطْفِ صَنْعَتِهَا      يَمْضِي الزَّمَانُ وَمَا لَهَا أُخْتُ  
يَنَأَى الثَّدَى بِهَا إِذَا لِبَسْتُ      وَيَتِيهِ إِنْ طَوِيْتُ بِهَا الثَّخْتُ  
زَنْجِيَّةٌ لَكِنْ لِمَخْتَدِهَا      فِي الرُّومِ يَعْنُو الْقُسُ وَالشُّنْتُ<sup>(١٠)</sup>  
مِثْلُ الْعُرُوسِ عَلَى مَنَصَّتِهَا      مِنْ شَأْنِهَا التَّزْيِينِ وَالرَّزْتُ<sup>(١١)</sup>  
لَأَكُونَ أَتَحَلَّ مَا أَكُونَ هُدَى      فِيهَا فَيَغْبِلُ جِسْمِي الشَّخْتُ  
وَبِمِثْلِ شَيْبِي فَوْقَ حُلْكَتِهَا      يَبْدُو الْوَقَارُ وَيَحْفَظُ السَّمْتُ  
تُظْهِرْنِي<sup>(١٢)</sup> بِلِبَاسِهَا وَبِهِ      عِنْدِي لَهَا الْإِثَارُ مَا عِشْتُ

(١) في الأصل: «عنده»، وكذا ينكسر الوزن.

(٢) في الأصل: «ولو أن»، وكذا ينكسر الوزن، لذا جعلنا الهمزة الأصلية همزة وصل.

(٣) الأثلة: الأصل؛ وقوله: له في أثلي نحت: أي يطعن في حسي. محيط المحيط (أثل).

(٤) العَزْتُ: الشدة والاضطراب. محيط المحيط (عرت).

(٥) الأَقْتُ: الوقت المعين. محيط المحيط (أقت).

(٦) في الأصل: «يعت» بدون واو. (٧) الغُلْتُ: الغلط. محيط المحيط (غلت).

(٨) في الأصل: «نشت» بدون واو.

(٩) الفَخْتُ: ضوء القمر أول ما يبدو. محيط المحيط (فخت).

(١٠) الشُّنْتُ: كلمة إسبانية Santo، وتعني القديس.

(١١) رَزْتُ العروس: تزينها. محيط المحيط (زنت).

(١٢) في الأصل: «تظهريني» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

لا زلت تُؤثرني بها أبداً ولا تف من يشقى بذا السُّلْتُ  
ويقيت تدرك ما تُريد وما تُهوى بقاء ماله فتُ

ومن شعره أيضاً في المدح قوله، رحمه الله، من قصيدة ثبتت في ديوان مجموع  
من أمداحه منها قوله: [الكامل]

طرقَ ثُكَّ وَهنا أَخْتُ آلَ علاجٍ  
في ليلةٍ لَيْلاءٍ لم ينبخ بها  
أتى أَهْتَدَتْ لمضللين توهنوا  
مُتَسَرِّبلي بُزْدَ الظَّلامِ كأنهم  
وثقوا بمحمود السُّرى وتسلَّموا  
ومنازلَ دُزُسِ الرسومِ بلاقعٍ  
مَحَّتْ معالمُهنَّ غيرَ مُثْلَمٍ  
ومَوائلٍ مثلَ الحَمَامِ جوائِمٍ  
ومُشَجِّجٍ ما زال مَنهلُ الحيا  
حتى أعاد لعوده أوراقه  
وكسا عِراةَ عِراضه من وشيه  
لا مثلَ ليلاتِ مَضَيْنٍ سريعةٍ  
أدرَكْتُ منها في صباي مطالبي  
كم ليلةٍ مرَّت ولم يشعر بها  
بثنا نُديرُ إلى انبلاجِ صباحها  
وُتديرُ أعيننا حديثَ غرامنا  
بمآرجِ التُّفَحَاتِ من دارين أو  
وخلوصِ وُدٍّ في نَقَاءِ سريرةٍ  
أَمَحَضْتُهُ حَظِّي من الزمنِ الذي  
واختَرْتُ قربَ جواره لخلوصه  
ما في زمانك غيره فاخلص له  
لا تحفلنْ بغيره واستَغْفِينْ

والرُّكْبُ بين دَكَادِكِ وَجِراجٍ  
كلبٌ ولم يصرخ أذِينُ دِجاجٍ  
منها لِهَثْكَ دِياجرٍ وَدِياجٍ  
فيه قِداخٌ في رمايةٍ ساجٍ  
لمخارمٍ مجهولةٍ وفجاجٍ  
أخوين من هيجٍ ومن هِجهاجٍ  
كسِوارِ تاجٍ أو كَدِمَلَجٍ عاجٍ  
وُزُقٍ وأَسْمَجٍ دائمِ التَّشْحاجِ  
يبكي صده بدمعه التَّشْجاجِ  
خُضِرَ الظُّلالِ ذَكِيَّةَ الأراجِ  
حُللاً تُبَوِّرُ صنعةَ الدِيباجِ  
بَرَدَتْ حرارةَ قلبي المهتاجِ  
وقضيتُ منها في شبابي حاجي<sup>(١)</sup>  
غيري وَعَيزُ منادمي وسراجي<sup>(٢)</sup>  
كأسِ الهوى صِرْفًا بغيرِ مزاجِ  
بمِرامِزٍ من فُضْها وأحاجِ  
بمِدارِجِ التُّسَمَاتِ من دَرَّاجِ  
كَسُلافٍ راجٍ في صفاءِ زُجاجِ  
أغيا مرامي أهله وعلاجي<sup>(٣)</sup>  
وتركت كلَّ مُماذِقٍ<sup>(٤)</sup> مَرَّاجِ  
غَيبًا وداهنٍ مَن أرَدْتُ وداجِ  
بوقاره عن كلِّ غَمَرِ ماجِ

(١) في الأصل: «حاج» بدون ياء.

(٣) في الأصل: «وعلاج» بدون ياء.

(٢) في الأصل: «وسراج» بدون ياء.

(٤) مماذق: غير مخلص. محيط المحيط (مذق).

اثركُ بني الدنيا وأعرض عنهم  
 نزّهتُ نفسي عنهم بنوالة  
 أصبختُ من آلائه وولائه  
 ولو أنني<sup>(١)</sup> عجتُ الركابَ مُيمّما  
 طَلَقْتُ إذا احتلك الزمان أنار في  
 طُود الرّصانة والرّزانة والحِجَا  
 وغمامه الهامي على أماله  
 وهزبرُ آجام القنا الضاري إذا  
 ضَمِنَ الإله له على أعدائه  
 أبقى أبو عبد الإله محمد  
 وبنى أبو إسحق قَبْلُ وِصْثُوهُ  
 وجرى على آثار أسلاف لهم  
 ما مِنْهُمْ إِلَّا أَعَزُّ مَبَارِكُ  
 بيتُ بنوه من سراوة جفير  
 كم كان في الماضين من أسلافهم  
 أساسُ كل رئاسة ورؤوسُ كُذْ  
 أغيت نجوم الليل من سهر وما  
 حتى أصارته لرحمة ربّه  
 وأقيم نَجْلُ أخيه بعد مقامه  
 فزدا يَلْفُ كَتَائِبًا بكتائب  
 حتى تجلّى دَجْنُ كلّ عِجَاجَةٍ  
 مَنْ مِثْلُ يوسفَ في قراع كتائب  
 أو مَنْ يَشْقُ من الأنام غُبَارَه

فعساك تُطعم لَذَّةَ الإثلاج  
 وحَفِظْتُهَا من جاهه بسياج  
 في عِزَّةٍ ضَخِيَا وعِزُّ داج  
 أحدا سواه ما حَمِذْتُ مَعَاجِي<sup>(٢)</sup>  
 ظلمائه كالكوكب الوهاج  
 بَخِرُ النّدى المتلاطم الأمواج  
 من غير إزعاد ولا إزعاج  
 سقطت عواتمها على الأزجاج  
 ما شاء من ظَفِرٍ ومن إفلاج  
 ما شاد والده أبو الحجاج<sup>(٣)</sup>  
 رُكْنَا الضعيف ومَغْدِنَا المحتاج  
 دَرَجُوا وكُلُّهُمْ على مِثْهاج  
 مصباح ليل أو صباح عَجَاج  
 في الذّروة العَلِيَاء من صِثْهاج  
 من رَبِّ إكْلِيلٍ وصاحب تاج  
 لِ سِياسةٍ وليوث كل هياج  
 أعيّا أبو موسى من الإدلاج  
 يومَ العقاب وقِيعَةُ الأغلاج  
 فيهم يطاعن مثله ويواج  
 ويكبُّ أفوَاجًا على أفواج  
 عنهم وأمسك رَعْد كل ضجّاج  
 ولقاء أعداءٍ وخوض لجّاج؟  
 في ردِّ آراءٍ ونقض حجّاج

(١) في الأصل: «ولو أني» وكذا ينكسر الوزن، لذا جعلنا الهمزة الأصلية همزة وصل.

(٢) في الأصل: «معاج» بدون ياء.

(٣) أبو عبد الإله محمد هو الغني بالله محمد بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن نصر، وقد تقدمت ترجمته في أول هذا الجزء من الإحاطة. ووالده أبو الحجاج هو يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن نصر، وسيترجم له ابن الخطيب في الجزء الرابع من الإحاطة.

إن خاض يوماً في بيان حقيقة  
وإذا تكلم في الغريب وضبطه  
أنست قصائد جزول أشعاره  
جمع الفصاحة والصباحة والتقى  
تخشاه أسد الغاب في أجماتها  
إننا بني قحطان لم نخلق لغيد  
نُبْري طلى الأعراب في الهيجا وفي الد  
بسيوفنا البيض اليمانية التي  
تأبى لنا الإحجام عن أعدائنا  
أنصار خير العالمين وحزبه  
وفداته بنفوسهم ونفيسهم  
هم صفوة الخلق التي اختيرت له  
إلا الألى سبقوا بباهر فضلهم  
وكفى بحكمتنا إقامة حجة  
ولنا مفاخر في القديم شهيرة  
منا الثبابعة الذين ببابهم  
ولأمرهم كانت تُدين ممالك ال  
من يقتدح زندا فلان زنادهم

أنهى عن الثوري والحلاج<sup>(١)</sup>  
لم يعبأ بالعنبي والزجاج<sup>(٢)</sup>  
وأراجز العجلي والعجاج<sup>(٣)</sup>  
والجود في وجد وفي إحراج  
والرؤم في الأسوار والأبراج  
بر غياث ملهوف ومنعة لاج  
أواء سوف ثماري الأعراجي<sup>(٤)</sup>  
طبعث لحز غلاصم ووداج  
يوم اللقاء طهارة الأمشاج  
وحمائه في الجحفل الرجزاج  
من غدر مغتال وسبة هاج  
وسواهم همج من الأهماج  
من سائر الأصحاب والأزواج  
وبركننا من كغبة الحجاج  
كالصبح في وضح وفي إبلاج  
كانت تُنيخ جبأة كل خراج  
لُنْيا بلا قهر ولا إحراج  
في الجود وارية بلا إخراج

(١) الثوري: هو سفيان بن سعيد الثوري، إمام علم الحديث وغيره من العلوم. توفي سنة ١٦١ هـ. وفيات الأعيان (ج ٢ ص ٣٢٢). والحلاج: هو الحسين بن منصور، الزاهد المشهور، والمتوفى سنة ٣٠٩ هـ. الفهرست (ص ٣٢٨).

(٢) العنبي: هو محمد بن عبيد الله بن عمرو، الذي اشتهر بالفصاحة. توفي سنة ٢٢٨ هـ. معجم الشعراء (ص ٤٢٠). والزجاج: هو إبراهيم بن محمد بن السري، النحوي، المتوفى سنة ٣١٠ هـ. بغية الوعاة (ص ١٧٩).

(٣) جزول: هو جرول بن أوس بن مالك، المعروف بالحطيفة. توفي نحو ٣٠ هـ. فوات الوفيات (ج ١ ص ٢٧٦). والعجلي: هو الأغلب بن عمرو بن عبيدة، شاعر راجز، توفي سنة ٢١ هـ. الأعلام (ج ١ ص ٣٣٥) وفيه ثبت بأسماء المصادر التي ترجمت له. والعجاج: هو عبد الله بن روية، راجز مجيد، توفي نحو ٥٩٠. الأعلام (ج ٤ ص ٨٦) وفيه ثبت بأسماء المصادر التي ترجمت له.

(٤) في الأصل: «الأعراج» بدون ياء. والطلّى: جمع طلية وهي العنق. واللاواء: الشدة والمحنة. ونماري: نجادل. محيط المحيط (لاى) و(مرى).



أبوابُهُمْ مفتوحةٌ لضيوفهم      أبداً بلا قُفْل ولا مِزْلاج  
ومما اشتهر من شعره قوله<sup>(١)</sup>: [السريع]

أَرْقَ عَيْنِي بَارِقٌ مِنْ أَثَانٍ      كَأَنَّهُ فِي جُنْحٍ لَيْلِي دُبَانٍ  
أَثَارَ شَوْقًا فِي<sup>(٢)</sup> ضَمِيرِ الْحِشَا      وَعَبَّرْتَنِي فِي صَحْنِ خَدِّي أَسَالٍ  
حَكَى فُؤَادِي قَلَقًا وَاشْتِعَالَ      وَجَفَّنَ عَيْنِي أَرْقًا وَانْهَمَالَ  
جَوَانِحَ تَلْفَحَ نِيرَانُهَا      وَأَذْمَعُ تَنْهَلُ مِثْلَ الْعَزَالِ<sup>(٣)</sup>  
قُولُوا وَشَاةَ الْحُبِّ مَا شَتُّهُ      مَا لَذَّةَ الْحُبِّ سِوَى أَنْ يُقَالَ  
عُذْرًا لِلْوَامِي<sup>(٤)</sup> وَلَا عَذْرَ لِي      فَزَلَّةَ الْعَالِمِ مَا إِنْ تُقَالَ  
قُمْ نَظْرِدِ الْهَمِّ بِمِشْمُولَةٍ      تُقْصِرُ اللَّيْلَ إِذَا اللَّيْلُ طَالَ  
وَعَاطِهَا صَفْرَاءَ ذَمِيَّةٍ      تَمْنَعُهَا الذَّمَّةُ مِنْ أَنْ تُنَالَ  
كَالْمِسْكِ رِيحًا وَاللَّمَى مَطْعَمًا      وَالتَّبَرُّ لَوْنًا وَالْهَوَى فِي اعْتِدَالٍ  
عَتَّقَهَا فِي الدَّنِّ خَمَارُهَا      وَالبِكْرُ لَا تَعْرِفُ غَيْرَ الْحِجَالِ  
لَا تُثَقِّبِ الْمَصْبَاحَ<sup>(٥)</sup> لَا وَاسِقِنِي      عَلَى سَنَى الْبَرْقِ وَضَوْءِ الْهَلَالِ  
فَالْعَيْشُ نَوْمٌ وَالرَّدَى يَفْقِظُهُ      وَالْمَرْءُ مَا بَيْنَهُمَا كَالْخِيَالِ  
خُذْهَا عَلَى تَنْغِيمِ مِسْطَارِهَا<sup>(٦)</sup>      بَيْنَ خَوَابِيهَا وَبَيْنَ الدَّوَالِ  
فِي رَوْضَةٍ بِإِكْرٍ وَسَمِيَّةٍ      أَخْمَلَ دَارِينَ وَأَنْسَى أَوَالَ<sup>(٧)</sup>  
كَأَنَّ فَارَ الْمِسْكِ مَغْبُوقَةً<sup>(٨)</sup>      فِيهَا إِذَا هَبَّتْ صَبَاً أَوْ شَمَالَ  
مِنْ كُلِّ<sup>(٩)</sup> سَاجِي الطَّرْفِ أَلْحَاطُهُ      مُفَوِّقَاتٌ أَبَدًا لِلنِّضَالِ  
مَنْ عَازَرِي وَالْكُلُّ لِي عَازِلُ<sup>(١٠)</sup>      مِنْ حَسَنِ الْوَجْهِ قَبِيحِ الْفِعَالِ  
مَنْ خُلِبِي الْوَعْدَ كَذَّابُهُ      لَيَّانٌ لَا يَعْرِفُ غَيْرَ الْمِطَالِ

(١) القصيدة في نفع الطيب (ج ٧ ص ٣٣٨ - ٣٣٩) وأزهار الرياض (ج ٢ ص ٣٠٦ - ٣٠٨).

(٢) في أزهار الرياض: «من صميم».

(٣) أراد العزالي وهي جمع عزلاء، والعزلاء هو مصب الماء من الراوية. محيط المحيط (عزل).

(٤) في أزهار الرياض: «أعذر لوامي».

(٥) أثقب المصباح: جعل ضوءه ساطعاً. لسان العرب (ثقب).

(٦) المِسْطَار، بضم الميم وكسرهما وسكون السين: الخمرة الصارعة لشاربها. محيط المحيط (سطر).

(٧) الوسمي: مطر الربيع الأول. وأوال: الاسم القديم للبحرين.

(٨) في المصدرين: «مفتوتة». (٩) في المصدرين: «من كف».

(١٠) في المصدرين: «عاذر».

كانه الدهرُ وأيُّ امرئٍ  
أما تراني آخذًا ناقضًا  
ولم أكن قَطُّ له عائبًا  
يأبى ثراء المالِ عِلْمِي، وهل  
وتأنفُ الأرضُ مُقامي بها  
لولا بنو زِيَّانَ ما لَدَّ لي الـ  
همُ خوَّفوا الدهرَ وهم خَفُّوا  
وَرِثْتُ<sup>(٤)</sup> من عامرهم سِيَدًا  
وكعبةً للجود منصوبةً  
خُذْها أبا زِيَّانَ من شاعر  
يَلْتَفِظُ الألفاظَ لَفْظَ النُّوى  
مُجَارِيًا مَهْيَارَ<sup>(٧)</sup> في قوله

يبقى على حال<sup>(١)</sup> إذا الدهرُ حال  
عليه ما سَوَّعَنِي من محال؟  
كمثل ما عابَثه قَبْلِي رجال  
يجتمعُ الضُّدَّانَ: علَمٌ ومال؟  
حتى تَهَاداني ظهورُ الرجال<sup>(٢)</sup>  
عَيشٌ ولا هَانَتْ عَلَيَّ اللَّيَالِ  
على بني الدهرِ<sup>(٣)</sup> حُطَّاه الثِّقال  
عَمَرَ رداءَ الحَمْدِ عَمَرَ<sup>(٥)</sup> النُّوال  
يسعى إليها النَّاسُ من كل حال<sup>(٦)</sup>  
مُسْتَمْلِحِ النَّزْعَةِ عَذْبِ المقالِ  
وَيَنْظِمُ الآلَاءَ نَظْمَ اللَّالِ  
(ما كنتُ لولا طمعي في الخيال)

ومما قال أيضًا، واشتمل ذلك على شيء من نظمه ونثره، وهذا الرجل مُغْرَبُ  
النزعة، في شغف نظمه على نثره<sup>(٨)</sup>: [الكامل]

عجبًا لها أيدوقُ طعمَ وصالها  
وأنا الفقيرُ إلى تَعِلَّةٍ ساعةٍ  
كم ذادَ عن<sup>(١٠)</sup> عيني الكَرَى متأنفٌ<sup>(١١)</sup>  
مَنْ ليس يطعم<sup>(٩)</sup> أن يَمُرَّ ببالها؟  
منها، وتمنعني زكاةَ جمالها  
يبدو ويخفى في خفي مطالها

(١) في المصدرين: «على الدهر». (٢) في المصدرين: «الرحال».

(٣) في المصدرين: «الدنيا».

(٤) في النسخ: «لقيت»، وفي أزهار الرياض: «ألفيت».

(٥) في المصدرين: «جَمَ». (٦) في المصدرين: «بال».

(٧) هو مهيار الديلمي، وعجز هذا البيت هو مطلع قصيدة [السريع]:

ما كنتُ لولا طمعي في الخيال أنشد ليلى بين طول الليال

ديوان مهيار الديلمي (ج ٣ ص ١٦٦) ونفع الطيب (ج ٧ ص ٣٣٩) وأزهار الرياض (ج ٢ ص ٣٠٨).

(٨) القصيدة في نفع الطيب (ج ٧ ص ٣٤٣ - ٣٤٤) وأزهار الرياض (ج ٢ ص ٣١٩ - ٣٢٢).

(٩) في المصدرين: «يأمل».

(١٠) في الأصل: «كم ذا وعن»، والتصويب من المصدرين.

(١١) في المصدرين: «متألق».

يسمو لها بذر الدجى متضائلًا  
وابن السبيل يجيء يقيس ناراها  
يعتاذني في النوم طيف خيالها  
كم ليلة جادت به فكأثما  
أشري فعطّلها<sup>(٤)</sup> وعطل شهبها  
وسواد طرته كجنح ظلامها  
دغني أشيم بالوهم أدنى لمحة<sup>(٥)</sup>  
ما راد طرفي في حديقة خدّها  
أنسيب شغري رق مثل نسيمها  
وانقل أحاديث الهوى واشرخ غري  
وإذا مررت برامة فتوق من  
وانصب لمغزلها جبالة قانص  
واسل جدولها بفينض دموعها  
أنا من بقية معشر عركتهم  
أكرم بها فئة أريق نجيغها  
حلت مدامة وضلها وحلت لهم  
بلغت بهزيمس غاية ما نالها  
وعدت على سقراط صورة<sup>(٩)</sup> كأسها

كتضاؤل الحسناء في أسمالها<sup>(١)</sup>  
ليلاً فتمنح عقيلة مالها<sup>(٢)</sup>  
فتصيبني ألحاظها بنبالها  
رقت علي ذكاء<sup>(٣)</sup> وقت زوالها  
بأبي شذا المغطار من مغطالها  
وبياض غرته كضوء هلالها  
من ثغرها وأشيم مسكة خالها  
إلا لفثنته بحسن دلالة  
فشمول راحك مثل ريح شمالها  
ب لغاتها وأذكر ثقات رجالها  
أطلالها<sup>(٦)</sup> وتمش في أطلالها  
ودع الكرى شركاً لصيد غزالها  
وانضخ جوانحها بفضل سجالها  
هذي النوى عرك الرحي بثقالها<sup>(٧)</sup>  
بغيا فراق العين حسن جمالها<sup>(٨)</sup>  
فإن انتشوا فبحلوها وحلالها  
أحد وناء بها لبعيد منالها  
فهريق ما في الدن من جزيالها

(١) أخذه من قول أبي تمام [الكامل]:

كسيت سبائب لؤمي فضاء لث

كتضاؤل الحسناء في الأطلال

ديوان أبي تمام (ص ١٣٤).

(٢) عقيلة المال: أكرمه. محيط المحيط (عقل). (٣) ذكاء: اسم الشمس. محيط المحيط (ذكو).

(٤) في الأصل: «أشري فعطّلها وعطل شهبها يابى...» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصدرين.

(٥) في المصدرين: «لمعة».

(٦) الأطلال: جمع طلا وهو ولد الظبية. لسان العرب (طلا).

(٧) في الأصل: «بثقالها» والتصويب من المصدرين. وهنا يعتمد الشاعر على قول زهير بن أبي سلمى في معلقته:

فتعرككم عرك الرحي بثقالها وتلقح كشافاً ثم تنتج فتتم  
المعلقات العشر (ص ١٢٢).

(٨) في المصدرين: «مالها».

(٩) في المصدرين: «سورة».

وَسَرَتْ إِلَى فَارَابٍ مِنْهَا نَفْحَةٌ  
 لِيَصَوِّغَ مِنَ الْحَانَةِ فِي حَانِهَا  
 وَتَعْلَقَتْ<sup>(٢)</sup> فِي سَهْرَوَزْدَ<sup>(٣)</sup> فَأَسْهَرَتْ  
 فُخْبَا شَهَابِ الدِّينِ لَمَّا أَشْرَقَتْ  
 مَا جُنَّ مِثْلَ جُنُونِهِ أَحَدٌ وَلَا  
 وَبَدَتْ عَلَى الشُّوْذِيِّ<sup>(٥)</sup> مِنْهَا نَفْحَةٌ<sup>(٦)</sup>  
 بَطُلَتْ حَقِيقَتُهُ وَحَالَتْ حَالُهُ  
 هَذَا صُبَابَتُهُمْ تَرِقُّ صَبَابَةً  
 أَعْلَمَ أَبَا الْفَضْلِ بَنَ يَحْيَى أَنَّنِي  
 فَإِذَا رَأَيْتَ مُوَلَّاهَا<sup>(٩)</sup> مِثْلِي فَخُذْ  
 لَا تَغْجَبَنَّ لِمَا تَرَى مِنْ شَأْنِهَا  
 فَصَلِّحْهَا بِفَسَادِهَا وَنَعِيمِهَا  
 وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنْ أَقِيمَ بِبَلَدَةٍ  
 شَغِلُوا بِدُنْيَاهُمْ أَمَا شَعَلَتْهُمْ  
 حُجُبًا بِجَهْلِهِمْ فَإِنْ لَاحَتْ لَهُمْ  
 وَإِنْ انْتَسَبَتْ فَإِنَّنِي مِنْ دَوْحَةٍ  
 مِنْ جَنْبَرٍ مِنْ ذِي رُعَيْنٍ مِنْ دُرَى<sup>(١٢)</sup>  
 وَإِذَا رَجَعْتُ لَطِينَتِي مَغْنَى فَمَا  
 قُدْسِيَّةٌ جَاءَتْ بِثُخْبَةِ آلِهَا<sup>(١)</sup>  
 مَا سَوَّغَ الْقَسِيسُ مِنْ أَرْمَالِهَا  
 عَيْنًا يُورِّثُهَا طُرُوقُ خِيَالِهَا  
 وَخَبَا<sup>(٤)</sup> فَلَمْ يَثْبُثْ لِنُورِ جَلَالِهَا  
 سَمَحَتْ يَدٌ بِيضًا بِمِثْلِ نَوَالِهَا  
 مَا لَاحَ مِنْهَا غَيْرُ لَمْعَةٍ آلِهَا  
 فِيمَا يُعْبَرُ عَنْ حَقِيقَةٍ<sup>(٧)</sup> حَالِهَا  
 فَيُرِوْقُ شَارِبَهَا صَفَاءَ زُلَالِهَا  
 مِنْ بَعْدِهَا أَجْرِي عَلَى آسَالِهَا<sup>(٨)</sup>  
 فِي عَذْلِهِ إِنْ كُنْتَ مِنْ عُذَّالِهَا  
 فِي حَلِّهَا إِنْ كَانَ أَوْ تَرْحَالِهَا  
 بِعَذَابِهَا وَرِشَادِهَا بِضَلَالِهَا  
 يَوْمًا وَأَسْلَمَ مِنْ أَذَى جُهَاالِهَا  
 عَنِّي فَكَمْ ضَيِّعْتُ مِنْ أَشْغَالِهَا  
 شَمْسُ الْهُدَى عِشْوًا<sup>(١٠)</sup> بِضَوْءِ دُبَالِهَا  
 تَتَقِيلُ<sup>(١١)</sup> الْأَقْيَالُ بَرْدَ ظِلَالِهَا  
 حَجَرٍ مِنَ الْعِظْمَاءِ مِنْ أَقْيَالِهَا  
 سَلَسَالَهُمْ<sup>(١٣)</sup> بَارَقَ مِنْ صَلْصَالِهَا

(١) إشارة إلى الفارابي الفيلسوف وقدرته في الموسيقى.

(٢) في المصدرين: «وتغلغت». (٣) هنا إشارة إلى السهرورددي المتصرف.

(٤) في المصدرين: «وخوى».

(٥) الشوذى: هو الشيخ أبو عبد الله الحلوى، أحد فقهاء مرسية، والشوذية طريقة صوفية تشبه طريقة ابن عربي، إلا أنها أكثر إيجابية.

(٦) في المصدرين: «نشوة».

(٧) في الأصل: «حقيقته» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصدرين.

(٨) من هنا حتى آخر القصيدة غير وارد في نفع الطيب. وفي أزهار الرياض: «أحرى على آمالها».

(٩) في أزهار الرياض: «مدلّها».

(١٠) في الأصل: «عشوا» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من أزهار الرياض.

(١١) في أزهار الرياض: «يتفيا الإنسان برّد...». (١٢) في الأزهار: «ذوي».

(١٣) في الأزهار: «سلسالهم».

لله دُرْكُ أَيُّ نَجَلٍ كَرِيمَةٍ      وَلَدَّتْهُ فَاسٌ مِنْكَ بَغْدَ حَبَالِهَا<sup>(١)</sup>  
 وَلَأَنْتَ لَا عَدِمْتَكِ وَالِدُ فَخْرِهَا      وَسِمَاكَ سُوْدُودِهَا وَبَذْرُ كِمَالِهَا  
 اغْلُظْ عَلَى مَنْ عَاثَ مِنْ أَنْذَالِهَا      وَاخْشَعْ لِمَنْ تَلْقَاهُ مِنْ أَبْدَالِهَا  
 والبسْ بما أُولِيَتْهَا مِنْ نَغْمَةٍ      حُلِّلَ الثَّنَاءُ وَجُرَّ مِنْ أَذْيَالِهَا  
 خُذْهَا أَبَا الْفَضْلِ بَنَ يَحْيَى تُخْفَةً      جَاءَتْكَ لَمْ يُنْسَخْ عَلَى مِثْوَالِهَا  
 مَا جَالَ فِي مِضْمَارِهَا شِعْرٌ وَلَا      سَمَحَتْ قَرِيحَةُ شَاعِرٍ بِمِثَالِهَا  
 وَأَثَلْ أَبَا الْبَرَكَاتِ مِنْ بَرَكَاتِهَا      وَادْفَعْ مَحَالَ شُكُوكِهِ بِمَحَالِهَا<sup>(٢)</sup>

هذه، أَمِنَعَ اللهُ بِبِقَائِكَ، وَأَسْعَدَ بِلِقَائِكَ، وَأَرَاهَا بِمَا تُؤَمِّلُهُ مِنْ شَرِيفِ اعْتِنَائِكَ،  
 وَتَرْجُوهُ مِنْ جَمِيلِ احْتِفَائِكَ، مَا تَعْرِفُ بِهِ مِنْ احْتِذَائِكَ، وَتَعْتَرِفُ لَهُ بِبِرْكََةِ اعْتِفَائِكَ،  
 كَرِيمَةِ الْأَحْيَاءِ، وَعَقِيلَةِ الْأَمْوَاتِ وَالْأَحْيَاءِ، بِنْتَ الْأَذْوَاءِ وَالْأَقْيَالِ، وَمَقْصُورَةَ الْأَسِيرَةِ  
 وَالْحِجَالِ، بَلْ أَسِيرَةِ الْأَسَاوِيرِ وَالْأَخْجَالِ، عَلَى أَنَّهَا حَلِيفَةُ آلَامٍ وَأَوْصَابٍ، وَالْيَفَةِ  
 أَشْجَانٍ وَأَطْرَابٍ، صُبَابَةِ أَغْرَابٍ مِنْ صُبَابَةِ أَغْرَابٍ، جَاوَرَتْ سَيْفَ بَنِ ذِي يَزْنَ فِي  
 رَأْسِ غُمْدَانٍ، وَجَاوَزَتْ مَسْلَمَةَ بَنِ مَخْلَدٍ يَوْمَ جَابِيَةِ الْجَوْلَانِ، وَذَلَّكَتْ لِسَانَ ابْنِ أُخْتِهِ  
 حَسَّانٍ، فَتَضَاعَلَتْ لِرَقَّةِ حَدِّهِ جِسُومُ بَنِي عَبْدِ الْمُدَّانِ، وَقَرَّبَهُ وَمَا شِيمَ مِنْ غِمْدِهِ قَيْدَ ابْنِ  
 الْإِطْنَابَةِ بَيْنَ يَدَيِ الثُّعْمَانِ، قَرِبتَ بَيْنِي جَفْنَةُ مَزَارِ جِلْقٍ، وَسَعَرْتَ لِبْنِي تَمِيمَ نَارِ  
 مَخْلُوقٍ، وَمَرَّتْ عَلَى مُعْتَادِ غَالِبٍ فَمَا أَنْسَتْ نَارَهُ، وَطَافَتْ بِبَيْتِ عَبْدِ اللَّهِ بَنِ دَارِمٍ فَلَمْ  
 تَرْضَ جَوَارَهُ، وَلَوْ حَلَّتْ بِفَنَائِهِ، وَاسْتَحَلَّتْ مَا أَحَلَّ لَهَا مِنْ مَبْذُولِ حِبَائِهِ، لَاغْتَفَرَ لَهَا  
 مَا جَنَّتَهُ بِيْطْنِ أَوَارِهِ، وَلَحَلَّتْ لَهَا حَبُوتَا مَجَاشِعِ وَزْرَارِهِ، مَزَقْتَ عَلَى مَزِيْقِيَا حُلَلَا،  
 وَأَذْهَبْتَ يَوْمَ حَلِيمَةِ مَثَلَا، وَأَرْكَبْتَ عَنَزَا شَرَّ يَوْمِهَا يَجْدَعُ جَمَلَا، وَنَاطَتْ بِأُذُنِ مَارِيَةٍ  
 قِرْطَهَا، وَجَرَّتْ عَلَى أَثَرِ الْكَنْدِيِّ مِرْطَهَا، وَقَفَهَا بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْملَ فَوَقَفْتَ، وَأَنْفِهَا  
 يَوْمَ دَارَةِ جُلْجُلٍ فَأَنْفَتْ مِنْهُ وَمَا أَلْفَتْ، عَقَرَ نَاقَتَهُ وَانْتَهَسَ عَيْبِطَهَا، وَدَخَلَ خِذَرَ عَنِيْزَةٍ  
 وَأَمَالَ غَبِيْطَهَا. أَغْرَتْ أَبَا قَابُوسَ بَزِيَادَ، وَأَسْرَجَتْ لِلزَّبِيْدِيِّ فَرَسَ أَبِي دَاوُدَ وَنَافَرَتْ  
 بِحَاتِمَ طَيِّ كَعْبِ إِيَادَ، وَسَاوَرَتْ لِلْمَسَاوِرِ، بِمِثْلِ جُودِهِ السَّائِرِ. وَلَثَنَ بِلْتَ الْجَعْفَرِيِّ  
 لَبِيْدَا، فَلَقْدَ اسْتَعْبَدْتَ الْأَسْدِيَّ عَبِيْدَا، وَقَطَعْتَ بِهِ فِي أَثَرِ سُلَيْمَاهِ الْأَسْدِيَّةِ بِيْدَا، أَرْتَهُ  
 الْمَنِيَّةَ عَلَى حَرِيَةِ هَنْدَاهَا الْمَلْحُوبِ، وَمَا حَالُ قَرِيضِهِ، دُونَ جَرِيضِهِ، وَأَقْفَرُ مِنْ أَهْلِهِ  
 مَلْحُوبٌ، وَمَا زَالَتْ تَخْبِطُ فِي شَعَابِ الْأَنْسَابِ فَتُرْشِدُ، وَتُشِيدُ ضَالَتَهَا الْيَمَانِيَّةَ، فَتَنْشُدُ:  
 [الكامل]

إِنْ كُنْتَ مِنْ سَيْفِ بَنِ ذِي يَزْنَ      فَانْزِلْ بِسَيْفِ الْبَحْرِ مِنْ عَدَنِ

(١) في الأزهار: «حبالها».

(٢) في الأزهار: «من أكلها».

وَدَرِ الشَّامَ وما بناه به الرُّومِيُّ من قصر ومن قَدَنٍ

تعلف سَيل العِرم وتردغسان، وتمهد لها أهضام تباله فتقول: مَزَعَى ولا كالسَّغْدَان<sup>(١)</sup>، تساجل عن سَمِيحة بابن خُرام، وتناضل بسمير يوم خزام، وتَنسَى قاتل ستة آلاف، وكاسي بيت الله الحرام ثلاثة الأفواف، فلو ساجَلَتْ بَنَبِيعَها أبا كَرْب، وأرته ضراعة خذها الثُّرب، لساجَلَتْ به أخضر الجلد في بيت العرب، ماجداً يملأ الدُّلو إلى عَقْد الكَرْب، بل لو حطت بفناء بيتها الحجري رَحَلها، وساجلت بفناء جَدَّها ذي رُعين لاستَوَفت سجلها. كم عاذت بسيفها اليزني، فأدركت ذحلها، ولاذت بركنها اليمني، فأَجْزَل محلها، ولو استسقت بأوديتها لأذهبت مَحَلها. كافحت عن دينها الحنيفي، فما كُهم حُسامها، ونافَحَتْ عن نبيها الأُمِّي فأيَّدت بروح القدس سهامها. سَدَّت باب الدرب دون بني الأَضْفَر، وشَدَّت لموته ثوب موتٍ أحمر، وما شَغَلها كَسْرُ تاج كِسرى عن قَرْع هامة قَيْصر. ولقد حَلَّت من سنام نسبها العربي باسمك دُرُوة، وتعلَّقت من ذمام نبيها العربي بأوثق عُرُوة. تفرَّد صاحب تيماء بأبْلَقه الفرد فعَزَّ، وتمرَّد ربُّ دُومة الجندل لما كان من مارد في حِرز، فما ظنك، أعزك الله، بمن حلَّ من قُدسي عقله، بمَغْغِل قُدس، يُطار إليه فلا يُطار، وراد من فردوس أدبه في جَنَّة لا يُضام رائدُها ولا يُضار. رَها بمجاورة المُلْك، فازدهى رؤساء الممالك، وشُغِف بمجاورة الملك، فاشتغل عن مطالعة المسالك، أَيْشَقُ غُبارَه، وعلى جبين المرزم مَثارَه، أو يُنتَهك ذماره، وقلْبُ الأسد بيئته ودار أخيه أسامة زاره. ولما قَضَتْ من أنديتها العربية أوطارها، واستَوَفت على أشرف منازعها الأدبية أطوارها، وعَطَّرت بنوافح أنفاسها الذُكية آثارها، وأطلعت في ظُلَم أنفاسها الدُّجُوجية كواكبها النيرة وأقمارها، عطفت على مَغْغِلتها الشاذلية فحلَّت عِقالها، وأمر لها فراق الوطن فلما استمرَّ لها حلالها، استودعت بطنان تباله أَلها، وتركت أهضامها المُخَصَّبة وحلالها، أطلَّت على دارات العرب فحيَّت أطلالها، ودعت لزيارة أختها اليونانية أدواء حَمير وأقبالها. أطمَعَتها بلمعية المعِيَّتِها الأعْجَمِيَّة، ومثلها يُطعم، وجاء بها من قُدَماء الحُكماء كلُّ أوَحدي الأحودية، فباتت تخبُّ إليه وتوضع، باحثة عن مركز دارتهم الفيشاغورية، آخذة في إصلاح هيئتهم الإنكساغورية، مؤثِّرة لما تدلُّ عليه دقائقُ حقائق بقايا علوم مقاييسهم البرهانية، وتشير إليه رموزُ كنوز وصايا عُلماء نواميسهم الكَلْدَانِيَّة، من ماثور تأثير لاهوتية قواهم

(١) «مَزَعَى ولا كالسَّغْدَان» مثل، والسَّغْدَان: نبت ذو شوك كأنه فلَكة، ينبت في سهول الأرض، وهو من أطيب مراعي الإبل ما دام رطباً. مجمع الأمثال (ج ٢ ص ٢٧٥) ولسان العرب (سعد).

السيماوية، رغبةً فيما يُفاض على مادتها الجُسمانية، ويطراً على عاقلِيَّتِها الهيولانية، من علُويات آثار مواهبها الربّانية، موافقةً لمثلهم المفارقة أفضل موافقة، موافقةً لما وافق من شوارد آرائهم المُؤَفِّقة أحسن موافقة. وتحت هذه الأستار مُحذَرَات أسرار أضرّ بها الإسرار، وطالما نكر معارفها الإنكار، ونُقلت من صدور أولئك الصدور إلى بطون هذه الأوراق، في ظهور فوق دفاتر فُلْسَفِيَّات معاني علومهم الرِّقاق. وفي تلك المعاني، أبكار معاني، سكن الجوانح والصدور، بدل الأرائك والخدور، ولحن في دياجي، ظلم هذه الأحاجي، كأقمار في أطمار بهّزن وما ظهّزن، وسَطَّغن وما لمغن، فَعَشِشْنَ وما رَمَقْنَ، واستمَلَحْنَ وما لَمَحْنَ. أدزن خمور أجفانهن، على ماخوريات ألحانهن، فهَيَّجت البلابل، نَعَمْ هذه البلابل، واستَفَرَّغته الأكياس، مثرعات تلك الأكواس. ما سِخِرُ بابل، كَخمر بابل، ولا منتقى أغانيهن الأوائل، كحماثكم الهُودال، إن وصلت هَدِيلُها بِحَفِيف، وصلن ثَقِيلُهن بِحَفِيف. إيه أيها الشُمري المشمعل، دعنا من حديثك المُضْمَل، سِرْ بنا أيها الفارس النُّدس<sup>(١)</sup>، من حظيرة النُّفس، إلى حضرة القُدس، صرِّح بإطلاق الجمال، وجُلْ من عالمِيَّتِكَ المَلَكُوتية في أفصح مجال، تَمَشْ بين مقاصر قُصورها، ومعاصر خمورها، رخي البال، مرخي السريال، فما ينسج لك على منوال، نادِمٌ عليها من شَغَف دَن سُقراط، إن استَخَسَنْتَ لها حِسان فما يَضْلُح لك صالح بن علاط، بت صريع مُحْيَاها فقد أَوْصَتْ بمعالجة عقير مُعاقرة عَقَارها بِقراط، لا تخش صاحب شُرطتها فلا شُرط له عليك ولا اشتراط، ما لك غير مبيدك الأول، من قال امْتِثِل الأمر وما عليك من أمر وال. على رِسْلِكَ ما هذا العَجَل، لا خطأ تتوقعه ولا خَطَل، أمْكِرْه أنت في هذه الكريهة، أم بَطَل. لو عُلِم أنك ضبارية هذا الخميس، وخبعتة ذلك الخميس، لما عانى اليم رسيس، شوقاً إليك محمد بن خميس، على أن لا غالب اليوم لأنني غالب، ولا طالب يُذْرِك شأو هذا الطالب، فِقَّة بلا تفهق، وجَذَق في تَحَذُّق. أقسم أبا الفضل بما لك على أبي البركات من الفضل، ذلك العراقي الأزومة، لا هذا الفارسي الجرثومة، وإن يك ذلك، إسرائيلي الأصل، وهذا إسماعيلي الجنس، علوي الفضل. فلتلك الذات، شرف تلك الأدوات. قدّم لي غالبنا المذكور، من بأسه الثُرّ لأرفع وأسمى من مقعد رقوطيهم المشهور، من إغزناطة الحُمراء، ومن مُتَبَوِّأ أبي أميَّتْهم المرحوم من جنات جزيرتهم الخضراء، فيما لنت أبا الفضل من هذه العريجة، وألوك، أرايت في عمرك مثل هذا الصعلوك؟ لا والله ما على ظهر هذه الغبرا، مَن يتظاهر بمثل هذه المعرفة في بني غبرا. فأَي

(١) الفارس النُّدس: السريع في الطعن. لسان العرب (ندس).

شيء هذا المنزع؟ إيش، لا حال لنا معك ولا عيش، مَنْ يضحك على هذا الطيش. ما هذا الخبل، أخمار بك أم ثمل؟ ارجع إلى ما كنت بِصَدِّهِ وُقِيت الزَّلَل، خُذْ في الجدِّ فما يليق بك الهزل، رَقْ عن ذلك فحك لنا منه أَرْقَ غَزَل، ماذا أقول؟ وأي عقل يطاوعني على هذا المعقول؟ أَفَحَمَّتَنِي، والله، عن مكالمتكم هذه المحن، ومنعتني من طلب مسالمتكم ما لكم عليّ في دنياكم هذه من الإحن. إن تكلمت كَلِمَت، وإذا استعجمت عَجِمْتَ. أما لهذه العلة آس، أم على هذه الفيلة مواس؟ ما حيلتي في طبع بلدكم الجاسي؟ أما يلين لضعفي، أما يرق قلبُ زمانكم القاسي؟ ما هذه الدَّمَن، يا بني خضراوات الدمن، أظهرتم المحن، فقلب لكم ظَهَرَ المِجَن<sup>(١)</sup>. إن مرَّ بكم الولي حمقتموه، وإن زَجَركم العالم فَجَرْتُم عليه فَفَسَقْتُمُوهُ، وإذا نَجَم فيكم الحكيم غُصِصْتُم به، فكفَرْتُمُوهُ وَزَنَدَقْتُمُوهُ. كونوا فوضى، فما لكم اليوم مَسْرَى سواه واذهبوا من مراعيكم المستوبلة، حيث شئتم، فقد أهملكم الرعاية. ضيَعْتُم النص والشرائع، وأظهرتم في بدْعكم العجائب والبدائع. نَفَقْتُمُ الثُّفاق، وأقمتُم سوق الفسوق على ساق. استَصَغَرْتُم الكبائر، وأبختُم الصَّغائر، أين غَنِيَّتكم الشاكر، يتفقد فقيركم الصابر؟ أين عالمكم الماهر، يرشد مُتَعَلِّمكم الحائر. مات العلم بموت العلماء، وحكَّم الجهل بقطع دابر الحكماء. جَرَّد لنا شريعَتك يا أفضل الشَّارعين، أتبم فيها موعظتك يا أفصح التابعين. لا، والله، ما يوقظكم من هذا الوَسَن، وَغَطَّ الحَسَن، ولا يُنقذكم من فِتَن هذا الزمن، إِلَّا سَيْف مُعَلِّمه أبي الحسن، والسلام.

قدم غرناطة في أواخر عام ثلاثة وسبعمائة. وتوفي في يوم مقتل صاحبه الوزير أبي عبد الله بن الحكيم؛ فرَّ من دهليز جاره فيمن كان بها من الأعلام، بعد أن نُهبت ثيابه، حسبما جرى على غيره من الحاضرين، وهو يقول: هكذا تقوم الساعة بغتة. ولقيه بعض قرابة السلطان، ممن كان الوزير قد وَثَره، فشرع الرُّمَح إليه، فتوسَّل إليه برسول الله، فلم يقبل منه، وطعنه، فقتله يوم عيد الفطر عام ثمانية وسبعمائة، وآخر العهد به، مطرَحًا بالعراء، خارج باب الفخارين، لا يُعلم قبره؛ لمكان الهرج في تلك الأيام، نَسَأَلُ الله جميل ستره، وساء بأثر قتله إياه حال ذلك الرجل وفَسَد فكره، وشرَّد نومه وأصابته علَّة رديَّة، فكان يَثِبُ المرة بعد الأخرى، يقول: ابن خميس يقتلني، حتى مات لأيام من مقتل المذكور.

(١) أخذه من المثل: «قَلَبَ لَهُ ظَهَرَ المِجَن»، وهو يضرب لمن كان لصاحبه على مودة ورعاية ثم حال عن العهد. مجمع الأمثال (ج ٢ ص ١٠١).



## محمد بن عمر بن علي بن إبراهيم المليكي<sup>(١)</sup>

يكنى أبا عبد الله .

حاله : كان فاضلاً، متخلفاً، أديباً، شاعراً، صوفياً، جميلَ العشرة، حسنَ الخلق، كريم العهد، طيب النفس . كتب عن الأمراء بإفريقية، ونال حظوة، ثم شَرَق وحجَّ، ولقي جلَّة، ووصل الأندلس عام ثمانية عشر وسبعمائة، فلقي بغرناطة حفايةً، وأنسخت بها عليه جِراية، ثم انصرف إلى وطنه، وناله به اعتقال، ثم تخلص من التَّكْبَةِ، وأقام به، يُزجى وقته إلى آخر عمره .

وجرى ذكره في «الإكليل الزاهر»<sup>(٢)</sup> : كاتبُ الخلافة، ومُشغِشُ الأدب المُرْزِي<sup>(٣)</sup> بالسُّلَافَةِ، كان، يرحمه الله، بطل مَجَال، وربُّ رويَّة وارتجال، قدم على هذه البلاد وقد نَبَا به وطنه، وضاق ببعض الحوادث عَطْنَه، فتلوم بها تلوم النسيم بين الخمائل، وحلَّ بها<sup>(٤)</sup> محل الطَّيف من الوشاح الجائل، ولبت مدة إقامته تحت جِراية واسعة، وميرة<sup>(٥)</sup> يانعة . ثم أثر قُطْرُه، فولَّى وجهه شَطْرَه، واستقبله دهره بالإنبابة، وقلَّده خُطَّة الكتابة، فاستقامت<sup>(٦)</sup> حاله، وحُطَّت رحاله . وله شعر أنيق، وتصوَّف وتحقيق، ورحلته<sup>(٧)</sup> إلى الحجاز سببها<sup>(٨)</sup> في الخبر وثيق، ونسبها<sup>(٩)</sup> في الصالحات عريق .

شعره : نقلت من خطِّ الوزير أبي بكر بن ذي الوزارتين، مما قيَّد عنه، وكان خبيراً بحاله<sup>(١٠)</sup> : [الطويل]

رَضَى نَلَتْ ما تَرْضين<sup>(١١)</sup> من كلِّ ما يَهْوَى      فلا تُوقِفيني<sup>(١٢)</sup> موقفَ الذلِّ والشُّكوى  
وصَفِّحَا عن الجاني المَسِيءِ لنفسه      كفاه الذي يَلْقَاه مِنْ شِدَّةِ البَلْوى

(١) ترجمة محمد بن عمر المليكي في نيل الابتهاج (ص ٢٣٧) والدرر الكامنة (ج ٤ ص ٢٢٦) ورحلة البلوي (الورقة ٢٢) ونفح الطيب (ج ٨ ص ٣٧٥).

(٢) النص في نفح الطيب (ج ٨ ص ٣٧٥). (٣) في النفح : «الذي يزري».

(٤) في المصدر نفسه : «منها».

(٥) في الأصل : «وميرة» والتصويب من نفح الطيب.

(٦) في الأصل : «واستقامت» والتصويب من نفح الطيب.

(٧) في النفح : «ورحلة». (٨) في النفح : «سَعْيُهَا».

(٩) في النفح : «وَنَسَبُهَا». (١٠) القصيدة في نفح الطيب (ج ٨ ص ٣٧٥).

(١١) قوله : «ما تَرْضين» ساقط في الأصل، وقد أضفناه من نفح الطيب.

(١٢) في الأصل : «فلا توقني» وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.

بما بيننا من خَلْوَةٍ معنوية  
 قفي أتشكّي لوعةَ البَيْن ساعةً  
 قفي ساعة في عَزَصَةِ الدار وانظري  
 وكم قد سألتُ الريحَ شوقًا إليكم  
 فيا ريحُ، حتى أنتِ يَمُنُّ يَغَارُ بي  
 خُلِفْتُ ولي قَلْبٌ جليدٌ على الثوى

وحدّث<sup>(٢)</sup> بعض من عني بأخباره، أيام مقامه بمالقة واستقراره، أنه لقي ليلة<sup>(٣)</sup>  
 بباب الملعب من<sup>(٤)</sup> أبوابها ظُنيّةً من ظبيات الإنس، وفُتِنَ من فُتْنٍ<sup>(٥)</sup> هذا الجنس،  
 فخطب وصالها، واتّقى بفؤاده نصالها، حتى هَمَّتْ بالانقياد، وانعطفت انعطاف الغُصن  
 الميّد، فأبقى على نفسه وأمسك، وأنفَ من خَلع العِذار بعد ما تنسّك، وقال<sup>(٦)</sup>:

[الكامل]

لم أنسَ وَفَقَتْنَا بباب الملعب  
 وَعَدْتُ فكنْتُ مراقبًا لحديثها  
 وتَدَلَّلْتُ<sup>(٧)</sup> فذلَّلْتُ بعد تَعَزُّزِ  
 بدويّةٍ أبدى الجمالُ بوجهها  
 تدنو وتبعدُ نُفْرَةً وتجنّيا<sup>(٩)</sup>  
 ورَنْتُ بلحظٍ فاترٍ لك فاتن<sup>(١١)</sup>  
 وأزْتُكَ بابلُ سحرها بجفونها  
 وتضاحكت فحكّت بنير ثغرها  
 بمنظّم في عَقْدٍ سَمَطِيّ جوهر

بين الرّجا واليأس من مُتَجَنَّبِ  
 يا ذلّ وَفَقّةٍ خائفٍ مُترقّبِ  
 يأتي الغرامُ بكلّ أمرٍ معجب  
 ما شئتَ من خدّ شريك<sup>(٨)</sup> مذهب  
 فتكادُ تحسبها مهابة الرّيب<sup>(١٠)</sup>  
 أنضى وأمضى من حُسام المضرب  
 فسَبْتُ، وحقّ لمثلها أن تُسَبّي<sup>(١٢)</sup>  
 لمعان<sup>(١٣)</sup> نورِ ضياءٍ بَرَقِ خُلْبِ<sup>(١٤)</sup>  
 عن شبه نُورِ الأقحوان الأشنب

(١) في النفع: «علي».

(٢) النص والقصيدة البائية في نفع الطيب (ج ٨ ص ٣٧٥ - ٣٧٦).

(٣) كلمة «ليلة» ساقطة في النفع.

(٤) في الأصل: «في» والتصويب من النفع.

(٥) في النفع: «وقبّنة من قبّانات...».

(٦) القصيدة في نفع الطيب (ج ٨ ص ٣٧٦).

(٧) في الأصل: «وتدلّلت» والتصويب من النفع.

(٨) الشريك: المشرق. لسان العرب (مها) و(ربرب).

(٩) في الأصل: «وتجنّيا» والتصويب من النفع.

(١٠) المهابة: البقرة الوحشية. والربرب: القطيع من بقر الوحش. لسان العرب (مها) و(ربرب).

(١١) في النفع: «بلحظ فاتن لك فاتر».

(١٢) في الأصل: «تسب» بدون ياء.

(١٣) في الأصل: «لمعات» والتصويب من النفع.

(١٤) البرق الخُلْب: المَطْمَع المُخْلِف. محيط المحيط (خلب).

وتمايلت كالغصن أخضله الندى<sup>(١)</sup> رَيَّانَ من ماء الشبيبة مُخَصَّب  
تَشْنِيهِ أرياح<sup>(٢)</sup> الصُّبابة والصُّبا فتراه بين مُشْرِقٍ ومُغْرَب  
أَبَتِ الرُّودف أن تميل بميله فرَسَتْ وجالَ كأنه في لَوَلب  
مُتَتَوِّجًا بهلالٍ وَجِهٍ لاح في خلل السجوف<sup>(٣)</sup> لحاجِبٍ ومُحَجَّب  
يا من رأى فيها مُحَبًّا مُغْرَمًا لم ينقلب إلا بقلبٍ قُلْب  
ما زال مذ وَلَّى يحاولُ حيلةً تُذْنِيهِ من نيلِ المُنَى والمَطْلَبِ  
فأجالَ نارَ الفكر حتى أوقِدَتْ في القلب نارُ تَشْوُقٍ وتَلْهَب  
فتلاقت الأرواحُ قبل جسمها وكذا البسيطُ يكونُ قبلَ مرْكَب

ومن مقطوعاته البديعة، مما سمع منه بغرناطة، حرسها الله، أيام مقامه بها قوله<sup>(٤)</sup>: [الطويل]

أرى لك يا قلبي بقلبي محبةً بَعَثْتُ بها سِرِّي إليك رسولا  
فقابلهُ بالبشرى<sup>(٥)</sup> وأقبل عَشِيَّةً فقد هَبَّ مِنْكَ<sup>(٦)</sup> للنسيم عيلا  
ولا تعتذر بالقَطَر أو بللِ الندى فأخسَنَ ما يأتي النسيمُ بليلا

ونقلت من خط الفقيه القاضي أبي جعفر الرُّعيني، مما أملاه عليّ بمنزله بغرناطة، قال: وحضرت في عام ثلاثة عشر وسبعمائة، يوم إحرام الكعبة العليّة، وذلك في شهر ذي القعدة على اصطلاحهم في ذلك، وصِفَتُهُ أن يتزيّن سَدَنَةُ البيت من شبيبة بأحسن زي، ويعمدوا إلى كرسي يصل فيه صاعده إلى ثلث الكسوة، ويقطعها من هنالك، ويبقى الثلثان إلى الموسم، وهو يوم مشهود عند سكان الحَرَم، يحتفل له، ويقوم المنشدون أدراج الكعبة ينشدون. فقلت في ذلك: [الطويل]

ألم تَرَهَا قد شَمَرَتْ تطلبُ الجَدَا وتخبِرُ أن الأَمْرَ قد بَلَغَ الحَدَا؟  
فَجُدَّ كما جُدَّتْ إليها وشَمُرُ عن السَّاعِدِ الأقوى تَنَلُّ عندها سَغْدَا  
طَوَتْ بُزْدَهَا طَيَّ السَّجَلُ كنايةً لأَمْرٍ خَفِيٍّ سِرُّهُ طَوَتْ البُزْدَا  
وَأَنْدَثَ مُحَيَّاها فَحَيَّي<sup>(٧)</sup> جماله وَقَبْلَ على صوت المُقَى<sup>(٨)</sup> ذلك الخدَا

(١) أخضله الندى: بلّله. لسان العرب (خضل). (٢) في النفع: «أرواح».

(٣) في النفع: «السحاب». (٤) الأبيات في نفع الطيب (ج ٨ ص ٣٧٦).

(٥) في الأصل: «بالبشر» والتصويب من النفع. (٦) في الأصل: «مسي» والتصويب من النفع.

(٧) في الأصل: «فحيّا».

(٨) في الأصل: «المقلة» وكذا لا يستقيم الوزن، والمُقَى: جمع مُقَيَّة وهي المائق. لسان العرب =

فكم سَتَرَتْ سَوْدُ البُرودِ جمالها  
وكم خال ذاك الخالُ عما مُقَصَّر  
لقد سَفَرَتْ عن وجهها الكعبة التي  
وقالت ألا أين مُكَلَّلِي، قصدوا إلى<sup>(٣)</sup>  
فلبَّت لها العشاق من كل جانب  
فمن نَدَفٍ أَشْفَى على تَلَفٍ ومن  
ومن ساهر على النجوم ولم يَذُقْ  
يسائل عن بدرٍ وبدرٍ تجاهه  
ومن مُسْتَهَامٍ لا يقرُّ قَرَارَهُ  
يُقَلِّبُ قَلْبًا بين جنبيه موريا  
إذا ما حدا حادي الرُّكَّاب ركابه  
أحاد بها إن أنت جئت بها مِنِّي  
ولا خوفُ هذا الخَيْفُ<sup>(٥)</sup> والتربة التي  
وفي عرفاتٍ فاعترف وانصرف إلى  
وإن كنت من أوفى العبيد جراثما  
لئن صدقتُ فيك الوعيد جراثم  
وعُدَّ مفضيًّا للبيت طُفٌّ واستلم وقُم  
ورُدَّ في الثنا والحمد والشكر واجتهد  
وعُجِّ نحو فرض الحب وأقْصِ حقوقه

وغَطَّتْه لَكُنْ عن سننها الرمدا<sup>(١)</sup>  
عن العلم بالأنساب لا يعرف الحدَا  
لها الحَجَرُ<sup>(٢)</sup> المَسْنِي في حُسْنِها المُبْدَا  
جمالي فقد أبدى الحجاب الذي أبدا  
يُؤْمُونُها يستقربون لها البُعْدَا  
مُحِبٌّ على قَرَبٍ يهيم بها وَجدا  
بعينه طعم النور أو يبلغ القصدا  
كذاك<sup>(٤)</sup> اشتراك اللفظ قد ينغص الخدا  
كأنَّ به من حرٍّ أشواقه وَقْدا  
أوار الأسى فيه فتحسبه زُنْدا  
كأنَّ قلوب الراكبين له تَجْدا  
ونلتُ المُنَى والأمنَ فانزلَ ورْدَ وَزدا  
سرت بهما<sup>(٦)</sup> قد عَيَّنَ المصطفى عَدَا  
مشاعر<sup>(٧)</sup> فيها يرحمُ المالكُ العَبْدَا  
فَحَسَّنْ نبيل العقد من ربِّكَ العَقْدَا  
فَعَفَوْا جميل<sup>(٨)</sup> الصَفْح يصدقك الوعدَا  
بها للمقام الرحب واسجد وكُنْ عبدا  
فمن عَرَفَ الإحسانَ زادته حَمْدَا  
وزرَّ قَبْرَ مَنْ أولاك من هَدْيِهِ رُشْدَا

قال: وكنت في زمن الحداثة، أفضل الأصيل على السَّحَر، وأقول فيه رُقَّة المودع ورقَّة المعتذر. فلما كان أوان الأسفار، واتصلت ليالي السير إلى أوقات

= (مق). .

(١) عجز هذا البيت مختل الوزن والمعنى معًا.

(٢) كلمة «الحجر» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها ليستقيم المعنى والوزن معًا.

(٣) صدر هذا البيت مختل المعنى والوزن معًا. (٤) في الأصل: «كذلك» وكذا ينكسر الوزن.

(٥) الخَيْفُ: غُرَّة بيضاء في الجبل الأسود الذي هو خلف جبل أبي قُبَيْس، وبها سمي مسجد الخَيْف. محيط المحيط (خيف).

(٦) كلمة «بهما» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها ليستقيم المعنى والوزن معًا.

(٧) المشاعر: مناسك الحج، مفردا مَشْعَر. محيط المحيط (شعر).

(٨) في الأصل: «الجميل» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

الأسحار، رأيت أفق الشرق أشرق، ووجدت القائل بفضل السحر أصدق، فابتدأت راكبًا، فلما جئت لذكر الجنب العلي النبوي، أتممت ماشيًا، وأنا في رملة بين مصر وعقبة إيله، وقلت: [البسيط]

ما أحسن الأفقَ الشرقيَ إسفارا      فكم هذا في دُجى الإدلاج أسفارا  
إذا بدا سارت الأظعانُ هاديةً      له وصارت به الظلماء أنوارا  
يجلو غياهب ليلٍ طالما سدلّت      على المحبين في الظلماء أستارا  
ونسَم منه نسيم ثم ذا بعد      على أحاديثٍ كانت ثم أسرارا  
سَرَتْ سحيرا فبَرَتْ سِرٌّ ذي سحر      أهدت له ريح من يهواه معطارا  
سرت ببنات أكناف اللوى فَعَدّت      كأن دارينَ قد أصبحت دارا  
طابت بطيبة أرواح معطرة      بها فأصبح أفقُ الشوق عطّارا  
كانما قَلَقُ الإصباح حين بدا      خَذُ وبهجة<sup>(١)</sup> حسن الشمس قد وارى  
حقي بدث وتبدّث حسن صورتها      فَعَمَّت<sup>(٢)</sup> الأرض أنجادًا وأغوارا  
كأنه دعوة المختار حين بدث      دانت لها الخلقُ إعلاتًا وإصرارا  
من نوره كل نور أنت تُبصره      ونوره زاد للأبصار<sup>(٣)</sup> إبصارا  
هدا به الله أقوامًا به سَعَدًا<sup>(٤)</sup>      لولاه كانوا مع الكُفر كُفّارا  
هو الشّفيع الذي قالت شفاعته      للمؤبّقين ألا لا تدخلوا النارا  
هو العَفْو<sup>(٥)</sup> عن الجاني وإن عَظَمَتْ      من المسيء ذنوب كان غفّارا  
هو الكريم الذي ما رُدَّ سائِلُهُ      يومًا ولو كرّر التّسأل تكرارا  
هو الحبيب الذي ألقى محبته      في كل قلب فقلبي نحوه طارا  
أَحَبُّهُ كلُّ مخلوق وهام به      حتى الجمادات أحجارًا وأشجارا  
وانشق بدر الدّجى من نور غُرته      وانهلّت السُّحبُ من كُفّيه أنهارا

ومن مقطوعاته، قال: ومما نظمته في ليل السرى، وتخيل طيف الكرى، مبدأ قصيد قصده، أي معنى أردته، أشغل عنه ما بي منه: [الخفيف]

منع الهجر من سليمى هجوعا      فانشئ طنبُعها يريدُ الرّجوعا

(١) في الأصل: «خدر بهجة» وكذا لا يستقيم الكلام ولا الوزن.

(٢) في الأصل: «فعمته» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٣) في الأصل: «الأبصار» وكذا ينكسر الوزن. (٤) في الأصل: «سعداء» وكذا ينكسر الوزن.

(٥) العَفْو، بفتح العين وضّم الفاء: العافي الكثير العَفْو. محيط المحيط (عفا).

بعثته ليلاً يُعَلِّلُ قَلْبًا      مُسْتَهَامًا بِهَا مُجِبًّا وَلَوْعَا  
 لم يجد غيرَ طَرْفِ جَفْنٍ قَرِيحٍ      شَاخِصًا نَحْوَهَا يَذُرُّ الدُّمُوعَا  
 وكتب إلى صديقه شيخنا أبي بكر بن شبرين من بجاية، وهو معتقل بقصبتها،  
 وقد امتحنه بذلك أبو عبد الله بن سيد الناس: [الخفيف]

شَرَحُ حَالِي لِمَنْ يَرِيدُ سُؤَالِي      إِنِّي فِي اعْتِقَالِ مَوْلَى الْمَوَالِي<sup>(١)</sup>  
 مُطْلَقُ الْحَمْدِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ      وَهُوَ لِلْعُطْفِ وَالْجَمِيلِ مُوَالٍ  
 لَا أَرَى لِلْوَلَاةِ فِيَّ احْتِكَامًا      وَوَلِيَّ مَالٍ عَلَى كُلِّ وَالٍ  
 أُرْتَجِي بِالصَّابِ تَكْفِيرَ ذَنْبِي      حَسْبَمَا جَاءَ فِي الصُّحَاكِ الْعَوَالِي<sup>(٢)</sup>  
 لَا تَدُومُ الدُّنَا وَلَا الْخَيْرُ فِيهَا      وَكَذَا الشَّرُّ ذَا وَذَا لِلزَّوَالِ  
 فَاعْتَنِمْ سَاعَةَ الْوَصَالِ وَكَمْ مِنْ      مَحْنَةٍ وَهِيَ مَنَحَةٌ مِنْ نَوَالٍ  
 فَإِذَا غَبَثُ عَنْكَ فَاحْضِرْ تَجِدُهَا      لِلْجَوَابِ الْمَفِيدِ عَنِ السُّؤَالِ<sup>(٣)</sup>  
 فَهِيَ نُورُ النَّهَارِ<sup>(٤)</sup> وَالنُّورُ مِنْهَا      وَهِيَ الْأَنْسُ فِي اللَّيَالِي الطَّوَالِ  
 فَاسْتَدِمْهَا تَدْمٌ وَلَا تَضُجْ مِنْهَا      وَأَذِرْهَا عَلَى الْيَمِينِ وَوَالِ

فإنَّ الكأسَ مجراها على اليمين، ومسراها لفي الصبح المبين، تغني عن  
 الإصباح والمصباح، وتُذني لهم معنى النور المشرق في الوجوه الصُّباح، وتجري في  
 الأشباح، فتسري في الأرواح. وهذه الرسالة طويلة، فيها كل بديع من نظم ونثر.

فأجابه رحمه الله: [الخفيف]

أَرْغَمَنَ هَذِهِ الْقَيُودُ الثَّقَالُ      رَبُّ وَدَّ مَصِيرُهُ لِلتَّغَالِي<sup>(٥)</sup>  
 طَالَ صَبْرِي عَلَى الْجَدِيدِينَ حَتَّى      كَذْتُ مِمَّا لَقِيتُ أَنْ يُشْفَقَا لِي<sup>(٦)</sup>  
 إِنَّ بَعْضَ الرِّضَا لَدَيْهِ فَسِيحٌ      أَيُّ مَدٍّ<sup>(٧)</sup> بِهِ وَأَيُّ ابْتِقَالٍ  
 حَاشَ اللَّهُ أَنْ أَكُونَ لَشَيْءٍ      شَادَهُ الصَّنَاعُ الْقَدِيمُ بَغَالٍ  
 إِنْ عِنْدِي مِنَ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ      لِأَمَانِي لَمْ يُمْلِهِنَّ الْقَالِي<sup>(٨)</sup>  
 يَا إِمَامِي الَّذِي بَوَدِّي لَوْ أُمُّ      كُنْ نُضْلِي<sup>(٩)</sup> إِلَيْهِ أَوَّارُ قَالَ

(١) في الأصل: «الموال» بدون ياء.  
 (٢) في الأصل: «العوال» بدون ياء.  
 (٣) عجز البيت منكسر الوزن.  
 (٤) في الأصل: «للتغال» بدون ياء.  
 (٥) في الأصل: «مدد» وكذا يتكسر الوزن.  
 (٦) في الأصل: «ل» بدون ياء.  
 (٧) في الأصل: «مدد» وكذا يتكسر الوزن.  
 (٨) في الأصل: «القال» بدون ياء.  
 (٩) في الأصل: «نصي»، ولا معنى له.

ازجُ دنياك وازجُ مولاك واعلم  
 وابْتَغَاءُ الشَّوَابِ مِنْ رَبِّكَ اَعْمَلْ  
 واغتنم غيبة الرقيب ففيها  
 وأجل في الوجود ففكر غني  
 وإذا الوقت ضاق وسَّغهُ بالصَّبْرِ  
 ربما تكره النفوس من الأَمْرِ  
 أن راجي سواه غير مُقال  
 فهو يُجزِي الأعمال بالمشقال  
 لقلوب الرجال أي صقال  
 عن ضروب الإنعام والأخقال  
 ر ولا تنس من شهير المقال  
 ر له فرحة كحل العقال

لا غرو أن وقع توان، أو تلوم دهر ذو ألوان، فالأمر بين الكاف والنون، ومن صبر لم يبوء بصفقة المغبون، وللسعداء تخصيص، ومع التقريب تمحيص، وما عن القضاء محيص، والمتصرف في ماله غير مَعْتُوب، وقديم الحقيقة إلى الحيف ليس بمنسوب. وقد ورد خطاب عمادي أطاب الله محضره، وسدد إلى المرامي العلية نظره، ناطقاً بلسان التفويض، سارحاً من الرضا في القضاء العريض، لائذاً بالانقياد والتسليم، قائماً على أَسْكُفَةٍ<sup>(١)</sup> باب الأدب لمثابة حكم الحكيم.

ومنها: والوقائع عافاكم الله وعَاظ، ونحن هُجُود وفي الحي أيقاظ، وما كل المعاني تؤذيها الألفاظ. وهذا الفنا الذي نشأ عن الوقت، هو إن شاء الله عين البقيا. وإذا أحب الله عبداً حماه الدنيا، وما هي إلا فنون، وجنون فنون، وحديث كله مجون. وقد يجمع الله الشيتتين، ولن يغلب عسرٌ يُشرين ولا باس، ويا خَطْبَ لا مساس، وأبعد الله الياس، وإنما يوفي الأجر الصابرون، ولا يياس من روح الله إلا القوم الكافرون. وهي طويلة بديعة.

أسمع بحضرة غرناطة لما قدم عليها وارتسم في جملة الكتاب بها، وحدث عن رضي الدين أبي أحمد إبراهيم الطهري، بسماعه من الشريف يونس بن يحيى الهاشمي، بسماعه من أبي الوقت طراد. وعن الإمام سراج الدين أبي حفص عمر بن طراد المعري القاضي بالحرم الشريف، وعن شرف الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الحميد الهمداني، وعن الإمام بهاء الدين الخميري عن أبي الطاهر السلفي، وعن جماعة غيرهم، وكان وروده على الأندلس في أوائل عام خمسة عشر وسبعمائة، وحضر بها غزوات، ولقي من كان بها من الأعلام. ثم انصرف عنها في أوائل عام ثمانية عشر، وأحل بسبته، فأكرم رئيسها أبو عمر يحيى بن أبي طالب العزفي قدومه، وأنزله بدار جليلة كان بها علو مطل على البحر، لم يتمكن من مفتاحه، لأمر اقتضى

(١) أَسْكُفَةُ الباب: خشبته التي يوطأ عليها. محيط المحيط (سكف).

ذلك، فكتب إليه : [الكامل]

يا صاحبَ البلدِ المليحِ المشرقِ      ما مثله في مَغربٍ أو مَشرقِ  
منها:

وَحَفَظْتَ عِيشِي فِيهِ فَارْفَعْ مَنْزِلِي      حَتَّى أَرَى الدُّنْيَا بِطَرْفِ مُطَرِّقِ  
وتجول في البلاد، ولقي مَنْ بها، واتصل بالأمير أبي علي بسجلماسة، ومدحه  
بقصيدة حُفظ له منها: [الطويل]

فيا يوسفِي الحُسْنِ والصَّفْحِ والرِّضَا      تَصَدَّقْ عَلَى الدُّنْيَا بِسُلْطَانِكَ الْعَذْلِ  
ثم اتصل بوطنه.

**وفاته:** نقلت من خط شيخنا أبي بكر المذكور: وفي عام أربعين وسبعمائة،  
توفي بتونس صاحبنا الحاج الفاضل المتصوِّف، الكاتب أبو عبد الله محمد بن علي  
المليكشي الشهير بابن عمر. صَدُرَ في الطلبة والكتاب، شهيرٌ ذو تواضع وإيثار،  
وقبول حسن، رحمه الله.

### محمد بن علي بن الحسن بن راجح الحسني<sup>(١)</sup>

من أهل تونس، يكنى أبا عبد الله.

**حاله:** هذا<sup>(٢)</sup> الرجل الفاضل، صاحب زُواء وأبهة، نظيفُ البرّة، فارهُ المَرْكَب،  
صدوف عن المَلّة، مقيم للرسم، مطقّف في مكياَل الإطراء، جَمُوحٌ في إيجاب  
الحقوق، مترامٍ إلى أقصى آماد التوغُّل، سخيُّ اللسان بالثناء لثرائزه، فكةٌ مطبوعٌ،  
حسن الخلق، عذب الفكاهة، مخصوصٌ حيث حلّ من الملوك والأمراء بالأثرة،  
وممّن دونهم بالمُداخلة والصُّحبة، ينظم الشعر، ويحاضر بالأبيات، ويتقدّم في باب  
التحسين والتّقييح، ويقوم على تاريخ بلده، ويثابر على لقاء أهل المعرفة والأخذ عن  
أولي الرواية. قَدِمَ على الأندلس في إحدى جمادين، عام خمسين وسبعمائة، مُفْلِتًا  
من الوقعة<sup>(٣)</sup> بالسلطان أبي الحسن بالجهات الشرقية، بأيدي بني زِيّان وأخلافهم،

(١) ترجمة ابن راجح في نفح الطيب (ج ٨ ص ٢١٩).

(٢) راجع نفح الطيب (ج ٨ ص ٢١٩ - ٢٢٠).

(٣) هي الوقعة التي دارت بين أبي الحسن المريني، صاحب المغرب، وبين بني زيان، أصحاب تلمسان، وقد هزم فيها أبو الحسن المذكور.



فمهّد له سلطانها، رحمه الله، كَنَفَ برّه، وأواه إلى سعة رَغِيهِ، وتأكدت بيني وبينه صحبة.

شعره: كتبتُ إليه لأول قدومه بما نصّه: أخذو حذو أبيات، ذَكَرَ أَنَّ شيخنا أبا

محمد الحضرمي خاطبَه بها<sup>(١)</sup>: [الطويل]

أَمِنْ جَانِبِ الْعَرَبِيِّ نَفْحَةً بَارِحَ  
قَدَحْتُ بِهَا زَنْدَ الْغَرَامِ وَإِنَّمَا  
وَمَا هِيَ إِلَّا نَسْمَةٌ حَاجِرِيَّةٌ  
رَجَحْنَا لَهَا مِنْ غَيْرِ شَكِّ كَأَنَّهَا  
فَتَى هَاشِمٍ سَبَقًا إِلَى كُلِّ عِلْيَةٍ<sup>(٢)</sup>  
أَصِيلُ الْعَلَاءِ، جُمُ السِّيَادَةِ، ذَكَرَهُ  
وَفُزْقَانُ مُجَدِّ يَصْدَعُ الشُّكَّ ثَوْرَهُ  
وَفَارِسُ مِيدَانِ الْبَيَانِ إِذَا انْتَضَى  
رَقِيقٌ كَمَا رَاقَتِكَ نَغْمَةٌ سَاجِعٌ  
إِذَا مَا احْتَبَى مُسْتَخْفِرًا<sup>(٣)</sup> فِي بِلَاغَةٍ  
وَقَدْ شُرِعْتُ فِي مَجْمَعِ الْحَفْلِ نَحْوَهُ  
فَمَا ضَغَضَعْتُ مِنْهُ لَصُولَةَ صَادِحٍ<sup>(٤)</sup>  
تَذَكَّرْتُ قُسًا قَائِمًا فِي عُكَاطِهِ  
لِيَهْنِكَ شَمْسُ الدِّينِ مَا حُزْتُ مِنْ عِلَا  
رَعَى اللَّهُ رُكْبًا أَطْلَعَ الصَّبْحَ مُسْفِرًا  
وَمِنْهَا:

أَقُولُ لِقَوْمِي عِنْدَمَا حَطَّ كَوْرُهَا  
وَسَاعَدَهَا السَّعْدَانُ وَسَطَ الْمَسَارِحِ<sup>(٥)</sup>

(١) القصيدة في نفع الطيب (ج ٨ ص ٢٢٠ - ٢٢١).

(٢) في النفع: «الجوارح». (٣) في النفع: «غاية».

(٤) في الأصل: «مُعَارِ الْحَبْلِ» والتصويب من النفع.

(٥) الفادح: الخطب الذي يقلل حمله. يقول امرؤ القيس من معلقته: [الطويل]  
فِيَا لَكَ مِنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نَجْوَاهُ  
بِكُلِّ مُغَارِ الْقَتْلِ شُدَّتْ بِئِذْ بِلِ

ديوان امرئ القيس (ص ١٩).

(٦) في النفع: «مستحضراً».

(٨) في النفع: «صادع».

(١٠) في الأصل: «والبطائح».

(٧) في النفع: «وَحَوْضٍ».

(٩) في النفع: «خواتمه».

(١١) في النفع: «الأباطح».

بمَغْرِضِ سوءٍ فهي ناقةٌ صالح  
بطوعِ القوافي وانبعاثِ القرائح  
وموردَ ظمآنٍ وكعبةَ ماح  
أرختَ السُرى من كلِّ غادٍ ورائح

ذُرُوها وأرضَ الله لا تَغْرِضُوا لها  
إذا ما أَرَدْنَا القولَ فيها<sup>(١)</sup> فَمَنْ لنا  
بقيتَ مَنى نَفْسٍ وتُحَفَّةَ رائد<sup>(٢)</sup>  
ولا زلتَ تلقى الرحب<sup>(٣)</sup> والبرَّ حيثما  
فأجابني بما نصه<sup>(٤)</sup>: [الطويل]

تُعار لمفْقُودٍ<sup>(٥)</sup> عن الحيِّ نازح؟  
غليلٌ عليلٌ للتواصلِ جانح؟  
ورُنْدَ الحمى والشَّيخِ شَيْخِ المشايخ<sup>(٦)</sup>  
فسقياً لها سُقياً لناقَةِ صالح  
جَمى لِمَحَاتِ العينِ عن لَمَحِ سامح<sup>(٧)</sup>  
حُلَى الحسنِ والحُسْنَى وحَلَى الملامح  
يدلُّ، وهل حَسَمَ لداءِ التَّبارح؟  
لَعَقَرِ عَقَارٍ<sup>(٨)</sup> الأُنسَ بين الأباطح؟  
تُعَصُّ نواديها بغادٍ ورائح  
لترتيلِ آياتِ النُّدى والمَنائِح  
وأوترِ بالثُّورَةِ شَفْعَ المَدائِح  
نأتُ عن رشادٍ فيه معنى<sup>(٩)</sup> النصائح  
لكلِّ هدى هادٍ لأرجحِ راجح  
وأورى الهدى للرشدِ أوضحِ واضح

أَمِنْ مَطْلَعِ الأنوارِ لَمَحَةِ لامح  
وهل بالمُنَى من مَوْرِدِ الوضلِ يرتوي  
فيا فَيَضُ عَيْنِ الدمعِ ما لك والجَمى  
مَرَابِعُ آرامي وموردُ ناقِتي  
سَقَى الله ذاكَ الحيِّ وذَقَا<sup>(١٠)</sup> فإنه  
وأبْدَى لنا حُورَ الخيامِ تَزَفُ في  
ترى حيَّ تلكَ الحورِ للهورِ مَهْيَع<sup>(١١)</sup>  
ويا دَوْحَةَ الرِّيحانِ<sup>(١٢)</sup> هل لي عودةٌ  
وهل أنبِ إلَّا طَلَّةً<sup>(١٣)</sup> حاتِمةً  
أقام بها الفخرَ الخطيبُ<sup>(١٤)</sup> منابرًا  
وشَفْعَ بالإنجيلِ حَمْدَ مديحه  
وفَرَّقَ بالفُزْقانِ كلَّ فَرِيقَةٍ  
وهل هو إلَّا لِلْبَرِيَةِ مُرْشِدٌ  
فبُشْرَى<sup>(١٥)</sup> لسانَ الدينِ سادَ بِكَ الورى

(١) في النفع: «فيه».

(٢) في النفع: «البرَّ والرحب».

(٣) القصيدة في نفع الطيب (ج ٨ ص ٢٢١ - ٢٢٣).

(٤) في النفع: «تُعَاد لمفْقُودٍ».

(٥) في النفع: «الأشايخ».

(٦) الودق: المطر. لسان العرب (ودق).

(٧) المهيح: الطريق الواضح. محيط المحيط (هيج).

(٨) في الأصل: «الرُّويحان» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفع.

(٩) في النفع: «لَعَقَرِ عَفَارٍ».

(١٠) في الأصل: «ابن الخطيب» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفع.

(١١) في النفع: «محض».

(١٢) في الأصل: «فبشرك شمس الدين» والتصويب من النفع.

(١٣) في النفع: «قادم».

(١٤) في النفع: «الاشايخ».

(١٥) في النفع: «الاشايخ».

متى قُلْتَ لم تترك مقالاً لقائل  
فَمَنْ حَامَ بالحي الذي أَنْتَ أَهْلُهُ<sup>(٣)</sup>  
يحقُّ له أَنْ يَشْفَعَ الحَمْدَ بالثنا  
ويا فوزَ مَلِكٍ دُمْتَ صَدْرَ صدره  
بآرائك التي تدلُّ على الهدى  
مَلَكْتَ خصال السُّبْق في كل غاية  
مطامحُ آمالٍ لأشرفِ هِمَّةٍ  
فدونكها يا مُهدي المدحِ مدحةً  
تُهْنِيكَ<sup>(٨)</sup> بالعام الذي عَمَّ حَمْدُهُ<sup>(٩)</sup>  
فَحْذُها سَمِيَّ الفَخْرِ يا خَيْرَ مُسْبِلٍ  
ودُمَ خاطِبَ العُلَيَّا لها خَيْرَ خاطِبٍ

وتلقاني بمالقَة عند قدومي من الرُّسالة إلى المغرب، في محرم عام ستة وخمسين وسبعمئة، ونظم لي هذه الأبيات، ولا حول ولا قوة إلا بالله: [الطويل]

قدومك ذا أبدى لذي الراية الحمرا  
وأينع فَجَرُ الرُّشد من فَلَق الهدى  
سرينا له كي يُحَمِّد السَّيْرُ والسُّرى  
ونصبح في أحياء للمن<sup>(١١)</sup> نستلم  
ونخطب ما، يا ابن الخطيب، تشاء<sup>(١٢)</sup> من  
فقابلت بالإقبال والبرِّ والرُّضى  
فأبناءً قُدس الحمد خُضرة قُدسنا

(١) في النفع: «وإن».

(٢) في النفع: «مدح».

(٣) في النفع: «ربّه».

(٤) في النفع: «عطائك».

(٥) في النفع: «سُبُل».

(٦) في النفع: «ما».

(٧) الجحاجح: جمع جحاجح وهو السيد السمح الكريم. لسان العرب (جحجج).

(٨) في الأصل: «يُهْنِك»، وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفع.

(٩) في النفع: «مدحه».

(١٠) في الأصل: «أغضا» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفع.

(١١) في الأصل: «في أحيان المن» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(١٢) في الأصل: «تشاء» وكذا ينكسر الوزن.

هنيئاً لنا نلنا ولننا ولم نزل  
 رأينا وزير الملد والمُلك واللوى  
 سجدنا وكبّرنا وقلنا: رسولنا  
 ويهني الورى هذا الإياب فإن في  
 أرانا سنا ذا اليوم أجمل منظر  
 أما والذي أوليت من نعمة عَدَتْ  
 لَأَنْتَ لسان الدين للدين حُجَّة  
 بقيت لنا كَثُفًا منيعًا مشرقًا  
 ودُمنا بكم في كلِّ أمِنٍ ومئة  
 ومن أمثل ما مدح به السلطان لأول قدومه بالنسبة إلى غير ذلك من شعره:  
 [الطويل]

أما والعيون الثجل ترمق عن سِخْرِ  
 وريحانه والراح والطلّ والطلّى  
 ونور جبين الشمس في رونق الضحى  
 لقد قلدت آراء يوسف مُلكه  
 وقد أيد<sup>(٢)</sup> الإسلام منه بناصر  
 هم القوم أنصار النبي محمد  
 وحسبك من قوم حموا سيّد الورى  
 سقى شرعة الإسلام وذق سيوفهم  
 فأصبح روض الرشد يعبق طيبه  
 فيا سائلي عنه وعن سَطَواته  
 وجُز<sup>(٤)</sup> مع الإقدام جَنيشًا عرمرما  
 ووَزِد رياض الخدّ والكأس والخمر  
 وتزجسه والزهر والنور والتّهر  
 وهالة بذر التّم منتصف الشّهر  
 قلائد نصرٍ لن تَبِيد مع الدّهر  
 نصيرٍ وخَيْرِ النصر نُصْرُ بني نُصْر  
 به<sup>(٣)</sup> غُضبة الأعلام في اليُسْر والعُسْر  
 وقاموا بِنصر الحقّ في السّرّ والجهر  
 رحيق الأمانى طيّب العُزف والتّشّير  
 ودَوّح الهدى بالزّهر أزهاره تُزري  
 إذا لاح محفوفًا براياته الحُمر  
 وشَرَد بالتأييد شِرْذمة<sup>(٥)</sup> الكُفر

(١) في الأصل: «أو نصلي» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٢) في الأصل: «أيده» وكذا ينكسر الوزن ولا يستقيم المعنى.

(٣) في الأصل: «وحزبه وعصبة...» وكذا ينكسر الوزن.

(٤) في الأصل: «وجُز» وكذا ينكسر الوزن، ولا معنى له.

(٥) الشّرذمة: الجماعة القليلة من الناس. محيط المحيط (شردم).

لخَلِيلَةٍ تَنْبِيكِ عَمَّا وَرَاءَهَا  
فِيَا فَوْزَ مَنْ أَدْنَاهُ بِالْغُنْمِ وَالْغِنَى  
يَمِينًا بِمَا اخْتَارَتْ يَدَاكَ وَأَخْرَزَتْ  
لَقَدْ أَضَعَدْتَ مَجْدِي مَدَائِحُكَ الَّتِي  
وَحَقٌّ لِمَثَلِي يُشْفَعُ الْحَمْدُ بِالْقَنَا  
فَأَجْنِي ثِمَارَ الْأَثْنِ مِنْ رَوْضَةِ الْمُنَى  
وَأَشْرَبْ مَاءَ الْفَوْزِ عَذْبًا خِتَامَهُ  
وَلَا بَرِحْتَ أَمْدًا حُكْمَ تَعَجُّزِ النَّهْيِ  
وَلَا زَالَتْ الْأَقْدَارُ تَخْدُمُ رَأْيَكُمْ

وكتب إليّ في غرض يظهر منه نصّ المراجعة، وحسبنا الله<sup>(٣)</sup>: [الطويل]

أَمَّا وَالَّذِي لِي فِي حُلَاكَ مِنَ الْحَمْدِ  
لَقَدْ أَشْعَرَتْنِي النَّفْسُ أَنَّكَ مُعَرِّضٌ  
فَإِنْ زَلَّةً مَنِيَّ<sup>(٦)</sup> بَدَتْ لَكَ جَهْرَةً

فراجعته بقولي<sup>(٨)</sup>: [الطويل]

أَجِلُّكَ عَنْ عَثَبٍ يَغْضُ مِنْ الْوُدِّ  
وَلَكِنِّي أَهْدِي إِلَيْكَ نَصِيحَتِي  
إِذَا مَقُولُ الْإِنْسَانِ جَاوَزَ حَدَّهُ  
فَأَصْبَحَ مِنْهُ الْجِدُّ هَزَلًا مُدْمَمًا  
فَمَا اسْتَطَعْتُ<sup>(٩)</sup> فَيْضًا<sup>(١٠)</sup> لِلْعَيْنَانِ فَإِنَهُ

(١) في الأصل: «شعر» بدون ياء. (٢) في الأصل: «زهير» وكذا ينكسر الوزن.

(٣) الأبيات في نفع الطيب (ج ٨ ص ٢١٩). (٤) في النفع: «الدي».

(٥) في الأصل: «يستجد» بدون ياء. وفي النفع: «الآتي لفضلك يستجدي».

(٦) كلمة «مني» ساقطة في الإحاطة، وقد أضفناها من النفع.

(٧) في النفع: «... والله أذنبت عن قُضْدٍ». (٨) الأبيات في نفع الطيب (ج ٨ ص ٢١٩).

(٩) في الأصل: «استطعت» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفع.

(١٠) في النفع: «قبضًا».

(١١) في الأصل: «بالعلاء» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفع.

توفي يوم الخميس الثالث لشعبان عام خمسة وستين وسبعمائة، وقد ناهز السبعين سنة، ودفن بروضتنا بباب البيرة، وأغفي شارب الشعر من نابي<sup>(١)</sup> مقصّه. وغير هذه الدعوى قرارها تجاوز القضية.

### محمد بن علي بن عمر العبدري<sup>(٢)</sup>

من أهل تونس، شاطبي الأصل، يكنى أبا عبد الله، صاحبنا.

حاله: كان فاضلاً من أبناء النعم، وأخلاف العافية، وُلّي أبوه الحجابة بتونس عن سلطانها برهة، ثم عدا عليه الدهر، واضطر ولده هذا إلى اللحاق بالمشرق، فاتصل به سُكناه وحجّ، وآب إلى هذه البلاد ظريف التزعة، حُلُو الضريبة، كثير الانطباع، يكتبُ ويشعر، ويكُفّ بالأدب، ثم انصرف إلى وطنه. وخاطبني إلى هذا العهد، يُعرّفني بتقلده خُطة العلامة، والحمد لله.

وجرى ذكره في كتاب «الإكليل» بما نصّه<sup>(٣)</sup>: غَذي نعمة هامية، وقرِيع رتبة سامية، صُرِفَتْ إلى سلفه الوجوه، ولم يبق بإفريقية<sup>(٤)</sup> إلّا مَنْ يَخافُه وَيَزجوه، وبلغ هو مدة ذلك الشرف، الغاية من الثرف. ثم قَلَب الدهر له ظهر المِجَنّ، واشتدّ به الخُمَار<sup>(٥)</sup> عند فراغ الدّنّ، ولحق صاحبنا هذا بالمشرق بعد خطوبٍ مبيّرة<sup>(٦)</sup> وشدة كبيرة، فامتزج بسكانه وقُطّانه، ونال من اللَّذات ما لم ينلّه في أوطانه؛ واكتسب الشُمائل العذاب، وكان كابن الجَهَم<sup>(٧)</sup> بُعِثَ إلى الرُّصافة ليرقّ فذاب، ثم حوّم على وطنه تحويم الطائر، وألّم بهذه المدينة<sup>(٨)</sup> إمام الخيال الزائر، فاغتنمَتْ صَفقة ودّه لحين وروده، وخَطَبَتْ موالاته على انقباضه وشروده، فحصلَتْ منه على دُرّة تُقْتنى، وحديقة طيبة الجنى.

شعره: أنشدني في أصحاب له بمصر قاموا ببرّه<sup>(٩)</sup>: [الطويل]

لكلّ أناسٍ مَذْهَبٌ وَسَجِيَّةٌ وَمَذْهَبُ أولادِ النظامِ المكارمِ

(١) في نفح الطيب (ج ٨ ص ٢٢٣): «ثاني».

(٢) ترجمة محمد بن علي العبدري في الدرر الكامنة (ج ٤ ص ١٩٨) ونفح الطيب (ج ٨ ص ٣٧٧).

(٣) النص في نفح الطيب (ج ٨ ص ٣٧٧). (٤) في النفح: «من إفريقية».

(٥) الخُمَار، بضم الخاء: الألم في الرأس يصيب شارب الخمر. لسان العرب (خمر).

(٦) مُبيرة: مُهلكة. لسان العرب (بير).

(٧) هو علي بن الجهم، من شعراء المتوكل العباسي.

(٨) في النفح: «البلاد». (٩) الأبيات في نفح الطيب (ج ٨ ص ٣٧٧).

إذا كنتَ فيهم ثاورًا كنتَ سيّدًا      وإنْ غِبْتَ عنهم لم تَنَلْكَ المظالمُ  
أولئك صُخبي، لا عَدِمْتَ حَيَاتَهُمْ      ولا عَدَمُوا السُّعْدَ الذي هو دائمٌ!  
أُعْنِي بِذَكَرَاهُمْ وَطِيبِ حَدِيثَهُمْ      كما عَرَّدْتَ فوق العُصُونِ الحَمائمُ

ومن شعره يتشوّق إلى تلك الديار، ويتعلل بالتذكّار، قوله<sup>(١)</sup>: [الوافر]

أَجِبْتَنَا بِمَصْرِ لَوْ رَأَيْتُمْ      بكائي عند أطرافِ النهارِ  
لكنتُمْ تُشْفِقُونَ لِفِرطٍ وَجَدِي      وما أَلْقَاهُ مِنْ بُغْدِ المِزَارِ<sup>(٢)</sup>

ومن شعره: [الطويل]

تَعْنَى حَمَامُ الْأَيْكَ يَوْمًا بِذَكَرِهِمْ      فَأَطْرَبَ حَتَّى كَذْتُ مِنْ ذَكَرِهِمْ أَفْنَى  
فَقُلْتُ: حَمَامُ الْأَيْكَ لَا تُبْلِكُ جِيرَةً      نَأَوُا<sup>(٣)</sup> وانْقَضَتْ أَيَّامُ<sup>(٤)</sup> وَضَلَّيْهِمْ عَنَا  
فَقَالَ وَلَمْ يَزُدْ جَوَابًا لِسَائِلِ      أَلَا لَيْتَنَا كُنَّا جَمِيعًا بِذَا حِقْنَا<sup>(٥)</sup>

ومن جيد شعره الذي أجهد فيه قريحته، قوله يمدح السلطان المعظم أبا الحسن في ميلاد عام سبعة وأربعين وسبعمائة: [الطويل]

تَقْرُ مُلُوكُ الْأَرْضِ أَنَّكَ مَوْلَاهَا      وَأَنَّ الدُّنَا وَقَفَتْ عَلَيْكَ قَضَايَاهَا  
ومنها:

طَلَعْتَ بِأَفْقِ الْأَرْضِ شَمْسًا مَنِيرَةً      أَنَارَ عَلَى كُلِّ الْبِلَادِ مُحَيَّاهَا  
حَكَيْتَ لَنَا الْفَارُوقَ<sup>(٦)</sup> حَتَّى كَأَنَّا      مَضِينَا<sup>(٧)</sup> بَعِينَ لَا تُكْذِبُ رُؤْيَاهَا  
وَسَزَتْ عَلَى آثَارِهِ خَيْرَ سِيرَةٍ      قَطَعْنَا بِأَنَّ اللَّهَ رَبُّكَ يَرْضَاهَا  
إِذَا ذُكِرَتْ سِيرُ الْمُلُوكِ بِمَحْفَلِ      وَنَادَى بِهَا النَّادِي وَحَسَّنَ دُنْيَاهَا  
فَجُودُكَ رَوَّاهَا وَمَلِكُكَ زَانَهَا      وَعَذْلُكَ زَانَهَا<sup>(٨)</sup> وَذَكَرَكَ حَلَّاهَا  
وَأَنْتَ لَهَا كَهْفٌ حَصِينٌ وَمَعْقِلِ      تَلُودُ بِهَا أُولَى الْأُمُورِ وَأَخْرَاهَا

(١) البيتان في نفع الطيب (ج ٨ ص ٣٧٧). (٢) في النفع: «الديار».

(٣) في الأصل: «نأوا» وكذا ينكسر الوزن ولا يستقيم المعنى.

(٤) كلمة «أيام» ساقطة في الأصل. (٥) في الأصل: «ألحقنا» وكذا ينكسر الوزن.

(٦) في الأصل: «للفاروق»، وكذا ينكسر الوزن. والفاروق هنا: هو لقب عمر بن الخطاب، سمي بذلك لأنه فَرَّقَ بين الحق والباطل. محيط المحيط (فرق).

(٧) كلمة «مضينا» ساقطة في الأصل.

(٨) في الأصل: «زأها» وكذا لا معنى له، وفي الوقت نفسه يختل الوزن.

ومنها بعد كثير:

وَمِنْكُمْ ذُوو التَّيْجَانِ وَالْهَمَمِ الَّتِي	أَنَافَ عَلَى أَعْلَى السَّمَائِينَ أَذْنَاهَا
إِذَا غَابَ مِنْهُمْ مَالِكٌ قَامَ مَالِكٌ	فَجَدَّدَ <sup>(١)</sup> لِلْبَيْتِ الْمُقَدَّسِ عَلَيْهَا
بَنَاهَا عَلَى التَّقْوَى وَأَسَّسَ بَيْتَهَا	أَبُو يَوْسُفَ الزَّكَاءِ وَسَيَّرَ مَبْنَاهَا
وَأَوْرَثَهَا عِثْمَنُ خَيْرُ خَلِيفَةِ	وَأَخْلَمَ مَنْ سَاسَ الْأَنَامَ وَأَنْدَاهَا
وَقَامَ عَلِيٌّ بَعْدَهُ خَيْرُ مَالِكِ	وَخَيْرُ إِمَامٍ فِي الْوَرَى رَاقِبَ اللَّهِ
عَلِيٌّ بْنُ عَمْرِ بْنِ يَعْقُوبَ ذُو الْعَلَا	مَذِيْقُ الْأَعَادِي حَيْثَمَا سَارَ بَلَوَاهَا
أَدَامَ اللَّهُ وَأَعْطَى الْخِلَافَةَ وَقْتَهَا	وَنَوَّرَ أَخْلَاقَ الْخُطُوبِ وَجَلَّاهَا

ووصلني كتاب منه مؤرخ في التاسع عشر من شهر شعبان المكرم من عام أربعة وستين وسبعمائة، جدد عهدي من شعره بما نصه: [الطويل]

رَحَلْنَا فَشَرَقْنَا وَرَاحُوا فَغَرَّبُوا	فَفَاضَتْ لِرُوعَاتِ الْفِرَاقِ عُيُونُ
فِيَا أَدْمَعِي مُنْهَلَّةٌ إِثْرَ بَيْنِهِمْ	كَأَنَّ جَفُونِي بِالْدمُوعِ عُيُونُ
فِيَا مَغْهَدًا قَدْ بَنَتْ عَنْهُ مَكَلْفًا	بِدِيلِي مِنْهُ أُنَّةٌ وَحَنِينُ
سَقَّتْكَ غَوَادِي الْمَزْنِ كَرَّ عَشِيَّةِ	وَدَاؤِكَ مُحْلُولِ النِّطَاقِ هَتُونُ
فَإِنْ تَكُنِ الْأَيَّامُ لَمْ تَقْضِ بَيْنَنَا	بَوْضَلُ فَمَا يُقْضَى فَسَوْفَ يَكُونُ
يَعِزُّ عَلَيْنَا أَنْ تُفَارِقَ رَبْعَكُمْ	وَأَنَا عَلَى أَيْدِي الْخُطُوبِ نَهُونُ
وَلَوْ بَلَّغْتَنِي الْعِيرُ عَنْكُمْ رِسَالَةً	وَسَاعِدَ دَهْرٍ بِاللِّقَاءِ ضَنِينُ
لَكُنَّا عَلَى مَا تَعْلَمُونَ مِنَ الْهَوَى	وَلَكِنْ لِأَحْدَاثِ الزَّمَانِ فُنُونُ

(١) في الأصل: «مُجَدَّدٌ» وكذا ينكسر الوزن.



## فهرس المحتويات

٣	..... الخزر جي	محمد بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن فرج بن يوسف بن نصر
٥	..... شيخ الغزاة ورئيس الجند الغربي لأول أمره	
٩	..... الأحداث في أيامه	
١١	..... الحادثة التي جرت عليه	
١٤	..... ترتيب الدولة الثانية السعيدة الدور إلى بيعة الكور	
١٨	..... ظَرْفُ السلطان وحسن توقيعه	
٢١	..... ومن ملوك التصارى	
٢٤	..... بعض مناقب الدولة لهذا العهد	
٤٣	..... الجهاد في شعبان من عام سبعة وستين وسبعمائة	
٤٥	..... الغزاة إلى حصن أشر	
٤٥	..... الغزاة المُعملة إلى أطريرة	
٤٦	..... الغزاة إلى فتح جَبَان	
٤٦	..... الغزاة إلى مدينة أبدة	
٥٠	..... مولده السعيد التَّشِيَّة، الميمون الطلوع والجِيَّة	
٥١	..... الأنصاري	محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن خميس بن نصر بن قيس الخزر جي
٥٤	..... الملوك على عهده	
٥٧	..... الوليد بن يزيد بن عبد الملك المعافري، المنصور بن أبي عامر	محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أبي عامر بن محمد بن أبي
٥٨	..... غزواته وظهوره على أعدائه	
٦١	..... عباد بن عمرو بن أسلم بن عمرو بن عَطاف بن نعيم، لخمى النسب	محمد بن عباد بن محمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل ابن قريش بن
٦٦	..... توقيعه ونثره في البديهة	
٧٠	..... محمد بن سعد بن محمد بن أحمد بن مَرْدَنِيش الجُدَامِي	

٧١	..... ما نقيم عليه ووصم به
٧٣	..... بعض الأحداث في أيامه، ونبدأ من أخباره
٧٤	..... محمد بن يوسف بن هود الجذامي
٧٥	..... بعض الأحداث في أيامه
	محمد بن أحمد بن زيد بن أحمد بن زيد بن الحسن بن أيوب بن حامد بن
٧٧	..... زيد بن منخل الغافقي
٧٧	..... حاله ونباهته ومحتته ووفاته
٧٨	..... خبر في وفاته ومغزجه
٧٩	..... محمد بن أحمد بن محمد الأشعري
٨٠	..... محمد بن فتح بن علي الأنصاري
٨٠	..... محمد بن أحمد بن علي بن حسن بن علي بن الزيات الكلاعي
٨١	..... محمد بن علي بن عبد الله بن محمد بن الحاج
٨٢	..... محمد بن رضوان بن محمد بن أحمد بن إبراهيم بن أرقم التميمي
	محمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن خلف بن
	محمد بن سليمان بن سوار بن أحمد بن حزب الله بن عامر بن سعد
٨٣	..... الخير بن عيَّاش
١٠١	..... محمد بن عبد الله بن منظور القيسي
١٠٣	..... محمد بن علي بن الخضر بن هارون الغساني
	محمد بن يحيى بن محمد بن يحيى بن أحمد بن محمد بن أبي بكر بن سعد
١٠٦	..... الأشعري المالقي
	محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن محمد بن
	محمد بن علي بن موسى بن إبراهيم بن محمد ابن ناصر بن حيون بن
	القاسم بن الحسن بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله
١١٠	..... تعالى عنه
١١٤	..... محمد بن أحمد بن عبد الملك الفشتالي
	محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن يحيى بن عبد الرحمن بن أبي
١١٦	..... بكر بن علي بن داود القرشي المقرئ
١٢٥	..... من فصل الإقبال
١٤٤	..... محمد بن عياض بن محمد بن عياض بن موسى اليحصبي
١٤٥	..... محمد بن عياض بن موسى بن عياض بن عمر بن موسى بن عياض اليحصبي
	محمد بن أحمد بن جبير بن سعيد بن جبير بن محمد بن سعيد بن جبير بن
١٤٦	..... محمد بن مروان بن عبد السلام بن مروان بن عبد السلام بن جبير الكِناني
	محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن
١٥٢	..... عبد الرحمن بن علي بن شبرين
١٥٩	..... محمد بن أحمد بن قُطبة الدُّوسي

١٦١	..... محمد بن محمد بن أحمد بن قُطبة الدُّوسي
١٦٢	..... محمد بن محمد بن محمد بن قُطبة الدُّوسي
١٦٢	..... محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن قُطبة الدُّوسي
١٦٣	..... محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن قُطبة الدُّوسي
١٦٣	..... يوسف بن جُزَي الكَلبي
١٧٢	..... محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن يحيى بن محمد بن الحكيم اللخمي
١٧٤	..... محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن محمد بن علي بن محمد اللُّوشي
١٧٤	..... اليحصبي
١٧٦	..... محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن يحيى بن الحكيم اللخمي
١٨١	..... محمد بن محمد بن علي بن العابد الأنصاري
١٨٢	..... محمد بن مالك المُرِّي الطُّغْثري
١٨٣	..... محمد بن علي بن محمد بن عبد الله بن عبد الملك الأوسي
١٨٤	..... محمد بن علي بن عبد الله بن علي القيسي العرادي
١٨٥	..... محمد بن علي بن العابد الأنصاري
١٨٦	..... محمد بن هاني بن محمد بن سعدون الأزدي الإلبيري الغرناطي
١٩٠	..... محمد بن يحيى بن محمد بن يحيى بن علي بن إبراهيم بن علي الغساني البرجي الغرناطي
١٩٦	..... محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن يوسف بن محمد الصُّريحي
٢٠٧	..... ومن السفر السابع المُفَسَّح بقوله ومن الطَّارئين منهم في هذا الباب
٢٠٧	..... محمد بن أحمد بن محمد بن أبي خيشمة الجبَّائي
٢٠٧	..... محمد بن أحمد بن عبد الله بن أحمد الإستجِّي الحميري
٢١٦	..... محمد بن أحمد بن علي الهواري
٢٢٠	..... محمد بن أحمد بن الحذَّاد الوادي أشي
٢٢٣	..... محمد بن إبراهيم بن خيرة
٢٢٤	..... محمد بن إبراهيم بن علي بن باق الأموي
٢٢٦	..... محمد بن إبراهيم بن سالم بن فضيلة المعافري
٢٢٨	..... محمد بن إدريس بن علي بن إبراهيم بن القاسم
٢٢٩	..... شعره ودخوله غرناطة
٢٣٣	..... محمد بن محمد بن أحمد الأنصاري
٢٤٣	..... محمد بن محمد بن أحمد بن شلبطور الهاشمي
٢٤٦	..... محمد بن محمد بن جعفر بن مُشتمل الأسلمي
٢٤٩	..... محمد بن محمد بن حزب الله
٢٥٢	..... محمد بن إبراهيم بن عيسى بن داود الحميري

٢٦١	محمد بن محمد بن عبد الله بن مقاتل .....
٢٦٢	محمد بن أحمد بن أحمد بن صفوان القيسي .....
٢٦٢	محمد بن محمد بن عبد الواحد بن محمد البلوي .....
٢٦٧	محمد بن محمد بن الشَّدِيد .....
٢٦٩	محمد بن مسعود بن خالصة بن فرج بن مجاهد بن أبي الخصال الغافقي .....
٢٨٨	محمد بن مُفَضَّل بن مُهَيَّب اللخمي .....
٢٩٥	محمد بن عبد الله بن داود بن خطاب الغافقي .....
٢٩٩	محمد بن عبد الله بن محمد بن لب الأُمي .....
٣٠٨	محمد بن عبد الله بن الحاج البضيعة .....
٣٠٩	محمد بن عبد الله بن فُطَيْس .....
	محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن يحيى بن محمد بن فتوح بن محمد بن
٣١٠	أيوب بن محمد بن الحكيم اللخمي ذو الوزارتين .....
٣٣٢	محمد بن عبد الرحمن العقيلي الجراوي .....
٣٣٣	محمد بن عبد الرحمن المُتَاهِل .....
٣٣٤	محمد بن عبد الملك بن محمد بن محمد بن طُفَيْل القيسي .....
٣٣٤	حُظُوتِه ودخوله غرناطة .....
٣٣٧	محمد بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبيد الله بن عيَّاش التُّجَيْبِي البُرْشَانِي ..
٣٣٩	بعض أخباره مع المنصور ومحاورته الذَّالَّة على جلاله قدره .....
٣٤١	محمد بن علي بن محمد بن إبراهيم بن محمد الهمداني .....
٣٤٥	محمد بن علي بن محمد بن علي بن محمد بن خاتمة الأنصاري .....
٣٤٧	محمد بن عيسى بن عبد الملك بن قُزَّمان الزُّهْرِي .....
٣٥٦	محمد بن غالب الرُّصَافِي .....
٣٦٦	محمد بن قاسم بن أبي بكر القرشي المالقي .....
٣٦٧	محمد بن سليمان بن القصيرة .....
٣٧٠	محمد بن يوسف بن عبد الله بن إبراهيم التميمي المازني .....
٣٧١	«ومن الغرباء في هذا الحرف» محمد بن حسن العُمُرَانِي الشريف .....
٣٧٣	محمد بن محمد بن إبراهيم بن المرادي ابن العشاب .....
٣٧٥	محمد بن محمد بن عبد الملك بن محمد بن سعيد الأنصاري الأوسي .....
	محمد بن خميس بن عمر بن محمد بن عمر بن محمد بن خميس الحَجْرِي
٣٧٦	حَجْر ذِي رُعَيْن التُّلَمْسَانِي .....
٤٠٥	محمد بن عمر بن علي بن إبراهيم المليكي .....
٤١٢	محمد بن علي بن الحسن بن راجح الحسني .....
٤١٨	محمد بن علي بن عمر العبدري .....